

مَجْمَعُ الْبَيَانِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لمؤلفه

الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكبر علماء الأملية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات أو عشرة أجزاء

يكون مجموعته مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

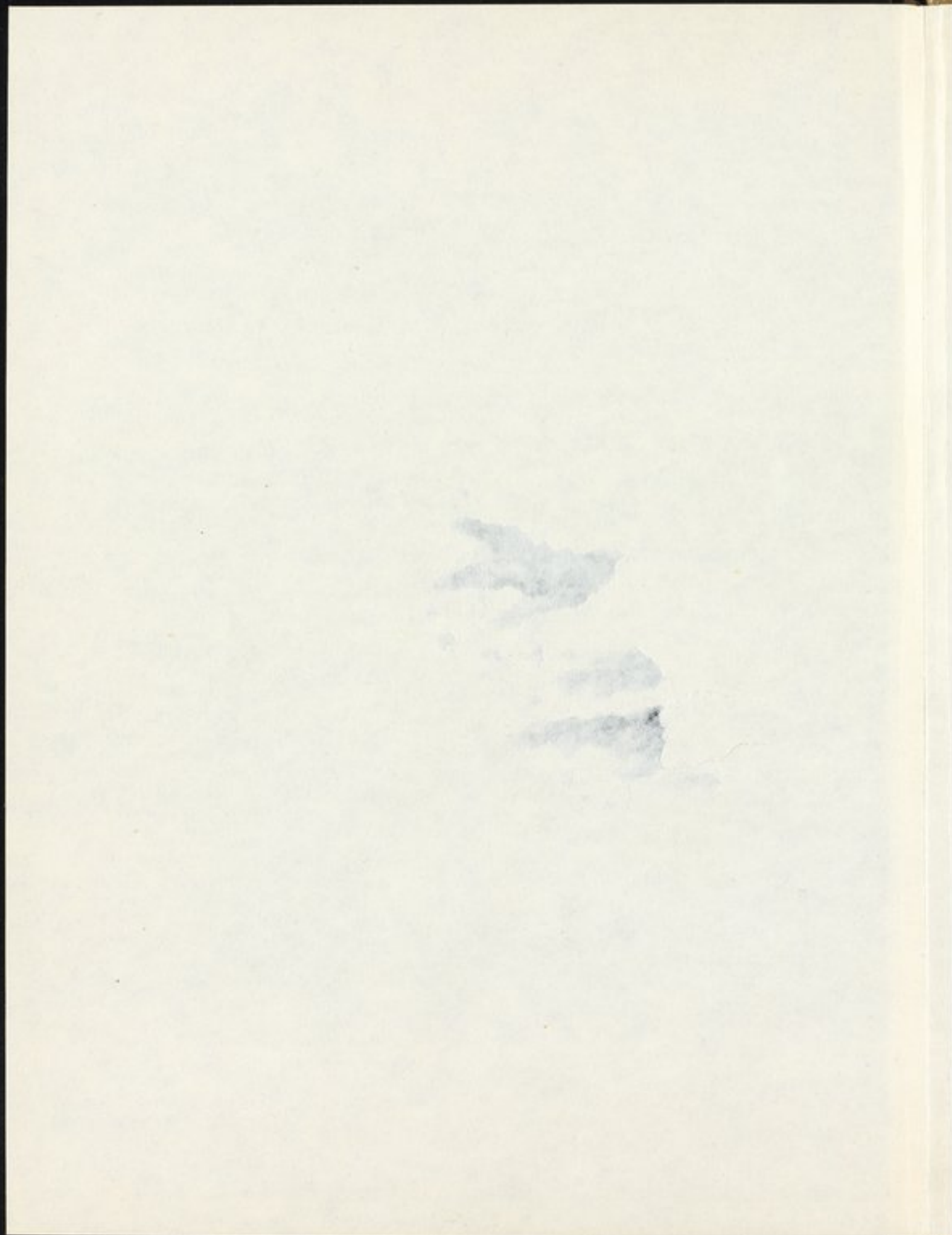
المجلد الخامس

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

نم - إيران ١٤٠٣ هـ



GENERAL
LIBRARY





مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لمؤلفه

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات أو عشرة اجزاء

يكون مجموعه مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

﴿ الجزء التاسع ﴾

وهو جزء من عشرة اجزاء

حسب تجزئة المصنف

وبه تفسير من سورة حم السجدة الى سورة الصف

﴿ المجلد الخامس ﴾

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم - ايران ١٤٠٣ هـ ق

هدية از كتابخانه عمده من آية الله العظمى
مرعشي نجفي قم بابت بهانه

١٣٥

BP

130.4

T343

1983

V.5

﴿ الجزء التاسع ﴾

سورة حم السجدة ﴿مكية﴾

﴿ عدد آياتها ﴾

اربع وخمسون آية كوفي ثلاث حجازي آيتان بصري شامي
﴿ اختلافها ﴾ آيتان حم كوفي عاد وثمود حجازي كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ حم السجدة أعطي بعدد كل حرف منها عشر حسنات
وروى ذريح المحاربي عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ حم السجدة كانت له نورا يوم القيامة مد بصره
وسرورا وعاش في هذه الدنيا مغبوطا محمودا

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سورة المؤمن بذكر المتكبرين لايات الله وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) نَزَّلَ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) كِتَابٌ
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٤) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
(٥) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ
إِنَّا عَامِلُونَ خمس آيات

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب فصلت هذا مذهب البصريين وقال الفراء يجوز ان
يكون تنزيل يرتفع بحم ويجوز ان يرتفع باضمار هذا والمعنى هذا تنزيل او هو تنزيل وقوله قرآنا عربيا
نصب قرآنا على الحال بمعنى بينت آياته في حال جمعه وبشيرا ونذيرا من صفته

﴿ المعنى ﴾

حم قد تقدم القول فيه وقيل في وجه الاشتراك في افتتاح هذه السور السبع بحم انه للمشاكلة التي بينها
بما يختص به وليس لغيرها وذلك ان كل واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها في الطول ومع شدة
تشاكل الكلام في النظم (تنزيل من الرحمن الرحيم) نزل به جبرائيل على محمد ﷺ (كتاب فصلت
آياته) وصف الكتاب بالتفصيل دون الاجمال لان التفصيل يأتي على وجوه البيان اي الذي بينت آياته بيانا تاما
والتيبين فيه على وجوه منها تبين الواجب مما ليس بواجب وتبين الاولى في الحكمة مما ليس باولى وتبين
الجائز مما ليس بمجائز وتبين الحق من الباطل وتبين الدليل على الحق مما ليس بدليل وتبين ما يرغب فيه
مما لا يرغب فيه وتبين ما يحذر منه مما لا يحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه وقيل فصلت آياته بالامر
والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحلال والحرام والمواظف والأمثال وقيل فصلت اي نظمت
آياته على احسن نظام وأوضح بيان (قرآنا عربيا) وصفه بأنه قرآن لأنه جمع بعضه إلى بعض وبأنه عربي

edh 12/03/84 GFD

لأنه يخالف جميع اللغات التي ليست بعربية وكل ذلك يدل على حدوث القرآن (لقوم يعلمون) اللسان العربي ويعجزون عن مثله فيعرفون اعجازه وقيل يعلمون ان القرآن من عند الله نزل . عن الضحاك (بشيرا ونذيرا) يبشر المؤمن بما فيه من الوعد وينذر الكافر بما فيه من الوعيد (فأعرض أكثرهم) يعني أهل مكة عدلوا عن الإيمان بالله والتدبر فيه (فهم لا يسمعون) أي لا يسمعونه سمع تفكر وقبول فكأنهم لا يسمعونه حقيقة (وقالوا قلوبنا في أكنة) أي في اغطية عن مجاهد والسدي (ما تدعوننا إليه) فلا نفقه ما تقول وإنما قالوا ذلك ليؤسوا النبي ﷺ من قبولهم دينه فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل إليه شيء مما وراؤه (وفي آذاننا وقر) أي نقل عن استماع القرآن وصمم (ومن بيننا وبينك حجاب) أي بيننا وبينك فرقة في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول عن الزجاج وقيل انه تمثيل بالحجاب ليؤسوه من الإجابة عن علي بن عيسى (فاعمل اننا عاملون) قيل ان ابا جهل رفع ثوبا بينه وبين النبي ﷺ فقال يا محمد أنت من ذلك الجانب ونحن من هذا الجانب فاعمل أنت على دينك ومذهبك اننا عاملون على ديننا ومذهبنا عن مقاتل وقيل معناه فاعمل في هلاكنا اننا عاملون في هلاكك عن الفراء وقيل فاعمل به في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك وهذا غاية في العناد

قوله تعالى (٦) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٧) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٩) قُلْ أَنتِمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (١٠) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاَ اللَّسَائِلِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر سواء بالرفع وقرأ يعقوب سواء بالجر والباقون بالنصب سواء

(الحجة)

من قرأ سواء بالرفع جعله خيرا مبتدأ محذوف أي هو سواء ومن قرأ سواء بالجر جعله صفة أيام التقدير في اربعة أيام مستويات تامات واما النصب فعلى المصدر على معنى استوت سواء واستواء

﴿ المعنى ﴾

ثم قال لبيبه ﷺ (قل) يا محمد هو لا الكفار (إنما أنا بشر مثلكم) من ولد آدم لحم ودم وانما خصني الله تعالى بنبوته وميزني منكم بأن اوحى إلي ولولا الوحي ما دعوتكم وهو قوله (يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) لا شريك له في العبادة (فاستقيموا إليه) أي لا تميلوا عن سبيله وتوجهوا إليه بالطاعة كما يقال استقم إلى منزلك أي لا تعدل عنه إلى غيره (واستغفروه) من الشرك واطلبوا المغفرة لذنوبكم من جهته ثم اودعهم فقال (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أي لا يعطون المفروضة وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرائع وهذا هو الظاهر وقيل معناه لا يظهرون أنفسهم من الشرك بقول لا إله إلا الله فإنها زكاة الأنفس عن عطاء ابن عباس وهذا كما يقال اعطى فلان من نفسه الطاعة أي الزمها نفسه

وقد وصف سبحانه الكفر بالنجاسة بقوله إنما المشركون نجس وذكر الزكاة بمعنى التطهير في قوله خيرا منه زكاة وقيل معناه لا يقرون بالزكاة ولا يرون إيتائها ولا يؤمنون بها عن الحسن وقنادة وعن الكلبي عابهم الله بها وقد كانوا يجحون ويعتمرون وقيل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون عن الضحاك ومقاتل وكان يقول الزكاة قنطرة الإسلام وقال الفراء الزكاة في هذا الموضع ان قريشا كانت تطعم الحاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ (وهم بالآخرة هم كافرون) وهم مع ذلك يجحدون بما أخبر الله تعالى به من احوال الآخرة ثم عقب سبحانه ما ذكره من وعبد الكافرين بذكر الوعد للمؤمنين فقال (إن الذين آمنوا) اي صدقوا بأمر الآخرة من الثواب والعقاب (وعملوا الصالحات) اي الطاعات (لهم أجر غير ممنون) اي لهم جزاء على ذلك غير مقطوع بل هو متصل دائم ويجوز ان يكون معناه انه لا أذى فيه من المن الذي يكدر الصنعة ثم وبخهم سبحانه على كفرهم فقال (قل) يا محمد لهم على وجه الانكار عليهم (أنتمكم لتكفرون بالذي خلق الأرض) وهذا استفهام تعجب اي كيف تستجيزون ان تكفروا وتجددوا نعمة من خلق الأرض (في يومين) اي في مقدار يومين (وتعملون له اندادا) اي امثالا واشباها تبدونهم وفي هذا دلالة على انه سبحانه انما يستدل على اثبات ذاته وصفاته بأفعاله فهي دالة على اثبات صفاته بما بنفسها كما يدل صحة الفعل على كونه قادرا واحكامه على كونه عالما وإما بواسطة كما يدل كونه قادرا عالما على كونه حيا موجودا سميعا بصيرا (ذلك رب العالمين) اي ذلك الذي خلق الأرض في يومين خالق العالمين ومالك التصرف فيهم (وجعل فيها) اي في الأرض (رواسي) اي جبالا راسيات ثابتات (من فوقها) اي من فوق الأرض (وبارك فيها) بما خلق فيها من المنافع وقيل بأن امنت شجرها من غير غرس واخرج منها من غير زرع وبذر واولدعها ما يتفع به العباد عن السدى (وقدر فيها اقواتها) اي قدر في الأرض أرزاق أهلها على حسب الحاجة اليها في قوام ابدان الناس وسائر الحيوان وقيل قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في اخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد (في اربعة أيام) اي في تنمة اربعة أيام من حين ابتداء الخلق فاليومان الأولان داخلان فيها كما تقول خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوما اي في تنمة خمسة عشر يوما (سواء للسائلين) اي مستوية كاملة من غير زيادة ولا نقصان للسائلين عن مدة خلق الأرض وقيل معناه للذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون اقواتهم فإن كلا يطلب القوت ويسأله عن قنادة والسدى واختلف في علة خلق الأرض وما فيها في اربعة أيام قبل إنما خلق ذلك شيئا بعد شيء في هذه الأيام الأربعة ليعلم الخلق ان من الصواب التأني في الأمور وترك الاستعجال فيها فإنه سبحانه كان قادرا على ان يخلق ذلك في لحظة واحدة عن الزجاج وقيل إنما خلق ذلك في هذه المدة ليعلم بذلك انها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح ووجوده الأحكام إذ لو صدرت عن مطبوع او موجب لحصلت في حالة واحدة وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى خلق الأرض في يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الاربعاء فتلك اربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وهي دخان فقال لها ولب الأرض أنثيا طوعا أو قوله تعالى (١١) ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها ولب الأرض أنثيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (١٢) فقضيهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء

أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم (١٣) فإن أمرضوا
فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (١٤) إذ جاءتهم الرسل من
بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما
أرسلتم به كافرين (١٥) فإما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا
قوة ولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا يأتينا بجحدون خمس آيات

✽ الإعراب ✽

طوعاً وكرها مصدران وضما موضع الحال التقدير إئتيا تطيماً اطاعة أو تكرهاً كرها وطائعين
يدل على ذلك وهو منصوب على الحال سبع سماوات أيضاً منصوب على الحال بعد الفراغ من الفعل

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه خلق السماوات فقال (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أي ثم قصد إلى خلق
السماء وكانت السماء دخاناً وقال ابن عباس كانت بخار الأرض وأصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير
المستقيم تسوية له وقيل معناه ثم استوى أمره إلى السماء عن الحسن (فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو
كرها قالتا أئيتنا طائعين) قال ابن عباس أنت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وأنت الأرض بما
فيها من الأنهار والأشجار والثمار وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا جواب لذلك القول بل أخبر الله
سبحانه عن اختراعه السماوات والأرض وإنشائه لها من غير تمذر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة ما يقال للأمر
إفعل فيفعل من غير تلبث ولا توقف فعبّر عن ذلك بالأمر والطاعة وهو كقوله إنما أمره إذا أراد شيئاً أن
يقول له كن فيكون وإنما قال أئيتنا طائعين ولم يقل أئيتنا طائعتين لأن المعنى أئيتنا بمن فينا من العقلاء فقلب
حكم العقلاء عن قطرب وقيل إنه لما خوطب من خطاب من يعقل جمع من يعقل كما قال وكل في فلك
يسبحون ومثله كثير في كلامهم قال

فأجهشت للبوابة حين رأيتـه وكبر للرحمن حين رأيتـي
فقلت له أين الذين رأيتهم يجنبك في خفض وطيب زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى على الحدائن

وقال آخر

الانعم صباحاً أيها الرسم وانطق وحدث حديث الحمي إن شئت واصدق
وقد ذكرنا فيما تقدم من أمثال ذلك ما فيه كفاية وقوله سبحانه ثم استوى إلى السماء يفيد أنه خلق
السماء بعد الأرض وخلق الأقوات فيها وقال سبحانه في موضع آخر والأرض بعد ذلك دحاها وعلى هذا
فتكون الفائدة فيه أن الأرض كانت مخلوقة غير مدحوة فلما خلق الله السماء دحاها بعد ذلك الأرض
وبسطها وإنما جعل الله السماء أولادخانا ثم سموات أطباقاً ثم زينها بالمصابيح ليدل ذلك على أنه سبحانه
قادر لنفسه لا يعجزه شيء. عالم لذاته لا يخفى عليه شيء. غني لا يحتاج وكما سواه محتاج إليه سبحانه وتعالى

(قضيبين) أي صنمهم واحكهم وفرغ من خلقهم (سبع سموات في يومين) يوم الخميس والجمعة قال السدي إنما سمي جمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض (وأوحى في كل سماء أمرها) أي خلق فيها ما أراد من ملك وغيره عن السدي وقادة وقبل معناه وأمر في كل سماء بما أراد عن مقاتل وقبل وأوحى إلى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة عن علي بن عيسى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) سمي الكواكب مصابيح لأنه يقع الاهنداء بها كقوله وبالنجم هم يهتدون (وحفظا) أي وحفظناها من استماع الشياطين قبل بالكواكب حفظا (ذلك) الذي ذكر (تقدير العزيز) في ملكه لا يمنع عليه شيء (العليم) بمصالح خلقه لا يخفى عليه شيء ثم عقب سبحانه دلائل التوحيد بذكر الوعيد لأهل الشرك والجنود من العبيد فقال (فإن أعرضوا) عن الإيمان بك بعد هذا البيان (فقل) يا محمد لهم مخوفا أياهم (أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي استعدوا للعذاب فقد خوفكم عذابا مثل عذاب عاد وثمود لما أعرضوا عن الإيمان والصاعقة المهلكة من كل شيء وهي في العرف اسم لل نار التي تنزل من السماء فتحرق (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) إذ متعلقة بقوله صاعقة والتقدير نزلت بهم حين أتتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم عن ابن عباس يعني به الرسل الذين جاؤا آباءهم والرسل الذين جاؤهم في أنفسهم لأنهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرسل فيكون الهاء والميم في من خلفهم للرسل وقيل معناه ان منهم من تقدم زمانهم ومنهم من تأخر قال البلخي ويجوز أن يكون المراد أنهم أخبار الرسل من هاهنا ومن هاهنا (الاتعبدوا) أي ارسلناهم بأن لا تعبدوا (إلا الله) وحده ولا تشركوا بعبادته غيره (قالوا) أي فقال المشركون عند ذلك (لو شاء ربنا) أن نؤمن به ونخلع الأنداد (لأنزل ملائكة) تدعوننا إلى ذلك ولم يبعث بشرا مثلنا وكانهم انفقوا من الأتقياد لبشر مثلهم وجعلوا ان الله تعالى يبعث الأنبياء على حسب ما يبعثه من مصالح عباده ويعلم من يصلح للقيام بأعباء النبوة (فإننا بما أرسلتم به كافرون) أي اظهروا الكفر بهم والجنود ثم فصل سبحانه أخبارهم فقال (فإما عاد فاستكبروا) أي نجبروا وعتوا (في الأرض) وتكبروا على أهلها (بغير الحق) أي بغير حق جعله الله لهم بل للكفر المحض والظلم الصراح (وقالوا من أشد منا قوة) اغتروا بقوتهم لما هددهم هود بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه بفضل قوتنا إذ لا أحد أشد منا قوة فقال الله سبحانه رداعليهم (أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أي أو لم يعلموا ان الله الذي خلقهم وخلق فيهم هذه القوة اعظم اقتدارا منهم فلو شاء أهلكتهم (وكانوا يأتينا) أي بدلائلنا (يمجدون) ينكرونها ولا يعترفون بها قوله تعالى (١٦) **فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدْرِقَهُمْ عَذَابَ الْخَزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ** (١٧) **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَآخَذْنَاهُمْ سَاعِقَةً آتِيَةً فِي طَبَعِهِمْ وَأَنَّ الْكُوفَةَ أَغْوَىٰ أَن يَكْفُرُوا بِالَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ يَكْفِرُونَ** (١٨) **وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَنبَأْنَا الْغُفَّارَ أَن يَأْتِيَكُمُ الْمُنَادُ مِنْ حَتَمِ السَّمَاءِ بِذِكْرِ غَدَاةٍ لَّهُمْ يَوْمَئِذٍ أَكْبَرُ أَلَّا يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ بِمَا عَمِلُوا قَدِيرٌ** (٢٠) **وَمَا جَاءَهَا وَهِيَ شَهِدٌ عَلَيْهِمْ سَمْعُهم وَأَبْصَارُهم وَجُلُودُهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة نحسات بكسر الهمزة والباقون نحسات بسكونها وقرأ نافع ويعقوب

نحشر بالنون اعداء الله بالنصب والباقون يحشر بالياء على ما لم يسم فاعله اعداء الله بالرفع

✽ الحجة ✽

قال ابو علي النحس كلمة يكون على ضربين ✽ احدهما ✽ ان يكون اسما ✽ والآخر ✽ ان يكون وصفا
فما جاء فيه اسما مصدرا قوله في يوم نحس مستمر فالإضافة اليه يدل على انه اسم ليس بوصف لا يضاف اليه
الموصوف وقال المفسرون في نحسات قولين ✽ احدهما ✽ الشديدة البرد ✽ والآخر ✽ انها المشوئمة عليهم
فتقدير قوله في يوم نحس في يوم مشوئوم وقالوا يوم نحس ويوم نحس فن أضافه كان مثل ما في التنزيل ومن
أجره على الاول احتمال أمرين ✽ احدهما ✽ ان يكون وصفا مثل فصل ورذل ✽ والآخر ✽ ان يكون
مصدرا وصف به نحو رجل عدل فمن قرأ في أيام نحسات فأسكن الحاء أسكنها لأنه صفة مثل عبلات
وصمبات ويجوز أن يكون جمع المصدر وتركه على أسكانه في الجمع كما قالوا زورة وعدلة قال ابو الحسن
لم اسم في النحس إلا الإِسْكان وقال ابو عبيدة نحسات ذوات نحس فيمكن أن يكون من كسر العين جملة صفة
من باب فرق ونزق وجمع على ذلك ومن قرأ نحشرا اعداء الله فحجته انه معطوف على قوله ونجينا ويقويه قوله يوم
نحشر للمتقين إلى الرحمن وفدا ومن قرأ يحشر فبني الفعل للمفعول به يقويه قوله فهم يوزعون وكلا الأمرين حسن
- (اللغة) -

اشتقاق الصرصر من الصرير ضوعف اللفظ اشعارا بمضاعفة المعنى يقال صر يصرصر صرا وصرصر يصرصر
صرصر قوريع صرصر شديدة الصوت وأصله صرر ثم قلبت الراء صاد كما يقال نهه ونههه وكفكه وكفكهه قال النابغة
اكفكف عبرة غلبت عزائي إذا نههتها عادت ذباحا
الخرزي الهون الذي يستجيب من مثله خوفا من الغضبة والهون الهوان والوزع المنع والكف ومنه قول الحسن
« لا بد للناس من وزعة »

✽ الإعراب ✽

قوله ويوم يحشر انتصب الظرف بمدلول قوله فهم يوزعون لأن يوما بمنزلة إذا ولا ينتصب بقوله
ونجينا الذين آمنوا لأنه ماض وقوله ويوم يحشر مستقبل فلا يعمل فيه الماضي

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن هلاكهم بقوله (فارسلنا عليهم ريحا صرصرا) اي عاصفا شديدة الصوت من
الصررة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من الصر وهو البرد عن ابن عباس وقناة وقال الفراء هي الباردة
تحرق كما تحرق النار (في أيام نحسات) اي نكدات مشومات ذوات نحوس عن مجاهد وقناة
والسدي والنحس سبب الشر والسعد سبب الخير وبذلك سميت سمود النجوم ونحوسها وقيل نحسات
ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضا عن الجبائي وقيل نحسات بارديات والعرب تسمي البرد
نحسا عن ابي مسلم (لتذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) اي فعلنا ذلك بهم لتذيقهم عذاب الهون
والذل وهو عذاب الذي يجزون في الدنيا فيوقنوا بقوة معذبهم ويقدرته عليهم ويظهر ذلك لمن رأى حالهم
(ولعذاب الآخرة أجزى) وافضح من ذلك (وهم لا ينصرون) اي لا يدفع عنهم العذاب الذي ينزل
بهم ثم ذكر قصة ثمود فقال (وأما ثمود فهديناهم) اي بينا لهم سبيل الخير والشر عن قتادة وقيل دللناهم

وبينا لم الحق عن ابن عباس والسدي وابن زيد (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختروا العمى في الدين على قبول الهدى وبس الاختيار ذلك عن الحسن وقيل اختاروا الكفر على الإيمان عن ابن زيد والفراء (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ذي الهون وهو الذي يهينهم ويخزيهم وقد قيل إن كل عذاب صاعقة لأن كل من يسمعها يصعق لها (بما كانوا يكسبون) من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة (ونجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك أي ونجيننا صالحا ومن آمن به من العذاب ثم أخبر سبحانه عن احوال الكفار يوم القيامة فقال (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرقوا والمعنى إذ أحشروا وقفوا حتى إذا ما جاؤها) أي جاؤا النار التي حشروا إليها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) أي شهد عليهم سمعهم بما قرعوه من الدعاء إلى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وأبصارهم بما رأوا من الآيات الدالة على وحدانية الله فلم يؤمنوا وسائر جلودهم بما بشروه من المعاصي والأفعال القبيحة وقيل في شهادة الجوارح قولان أحدهما ﴿ ان الله تعالى بينها بنية الحمي ويلجوها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله أصحابه ﴾ ﴿ وألاخر ﴾ ﴿ ان الله يفعل فيها الشهادة وإغا أضاف الشهادة إليها مجازا وقيل في ذلك أيضا وجه ثالث وهو انه يظهر فيها أمارات دالة على كون أصحابها مستحقين للنار فسمى ذلك شهادة مجازا كما يقال ميناك تشهدان بسهرك وقيل ان المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكناية عن ابن عباس والمفسرين قوله تعالى (٢١) وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَشِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٣) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٤) فَإِنْ بَصُرُوا فَإِنَّ النَّارَ مَشُورَى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٥) وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُمْ فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيَّنَّ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الحسن وعمرو بن عبيد وان يستعقبوا بضم الياء وفتح التاء فما هم من المعتبين بكسر التاء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني معناه لو استعطفوا لما عطفوا لأنه لا غناء عندهم ولا خير فيهم فيجيبوا إلى جميل

﴿ اللغة ﴾

الإنطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالأولياء إلى النطق أو الدعاء إليه والنطق إدارة اللسان في القوم بالكلام ولذلك لا يوصف سبحانه انه ناطق وان وصف بأنه متكلم والإرداء الإهلاك يقال أرداه فردي يردى فهو ردى قال الأعمش

أفي الطوف خفت علي الردى وكم من ردى أهله لم يرم

والاستمتاب طلب العتي وهي الرضا وهو الاسترضاء والامتاب الارضاء وأصل الاعتاب عند العرب استصلاح الجلد بإعادته في الدباغ ثم استعير فيما يستعطف به البعض بعضا لإعادته ما كان من الألفظة وأصل التقييض التبديل

ومنه المقايضة وهي مبادلة مال بالمال قال الشايع

تذكرت لما أنقل الدين كاهلي وعاب يزيد ما أردت تعذرا

رجالا مضوا مني فليست مقايضا بهم ابدا من سائر الناس معشرا

الاعراب

وذلكم ظنكم ذلكم مبتدأ وظنكم خبره وارداكم خبر بعد خبر وان اضمرت قد فجعلته حالا جاز
اي ذلكم ظنكم مرديا اياكم ويجوز ان يكون ذلكم مبتدأ وظنكم بدلا منه وارداكم خبر المبتدأ

المعنى

ثم حكى سبحانه عنهم بقوله (وقالوا) يعني الكفار (جلودهم لم شهدتم علينا) اي يعاتبون اعضاءهم فيقولون
لهم شهدتم علينا (قالوا) اي فتقول جلودهم في جوابهم (انطلقنا الله الذي انطق كل شيء) اي ما ينطق
والمعنى اعطانا الله آلة النطق والقدرة على النطق وتم الكلام ثم قال سبحانه (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون)
في الآخرة أي الى حيث لا يملك أحد الأمر والنهي سواء تعالى وليس هذا من جواب الجلود (وما كنتم تستترون
ان يشهد) اي من ان يشهد (عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) معناه وما كنتم تستخفون اي
لم يكن يتهاون لكم ان تستروا اعمالكم عن هذه الاعضاء لأنكم كنتم بها تعملون فجعلها الله شاهدا عليكم
في القيامة وقيل معناه وما كنتم تتركون المعاصي حذرا ان تشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم
تظنون ذلك (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا ما تعملون) لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم ارتكاب المعاصي
لذلك وروي عن ابن مسعود انها نزلت في ثلاثة نفر تساروا وقالوا أترى الله يسمع سرارتنا ويجوز ان يكون
المعنى انكم عملتم عمل من ظن ان عمله يخفى على الله كما يقال أهلكت نفسي اي عملت عمل من أهلك
النفس وقيل ان الكفار كانوا يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر عن ابن عباس (وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم) ذلكم مبتدأ وظنكم خبره وارداكم خبر ثان ويجوز ان يكون
ظنكم بدلا من ذلكم ويكون المعنى وظنكم الذي ظننتم بربكم انه لا يعلم كثيرا ما تعملون أهلككم
اذ هون عليكم أمر المعاصي وأدى بكم إلى الكفر (فأصبحتن من الخاسرين) اي فضلتن من جملة من خسرت
تجارته لأنكم خسرت الجنة وحصلتم في النار قال الصادق (ع) ينبغي للمؤمن ان يخاف الله خوفا كأنه يشرف على
النار ويرجوه رجاء كأنه من أهل الجنة ان الله تعالى يقول وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم الآية ثم قال ان الله
عند ظن عبده ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم اخبر سبحانه عن حالهم فقال (فلن يصبروا فالتار مشى لهم) اي
فلن يصبروه لا على النار والآلها وليس المراد به الصبر المحمود ولكنه الإمساك عن اظهار الشكرى وعن الاستغاثة
فالتار مسكن لهم (وان يستعبوا فما هم من المعتبين) اي وان يطلبوا العتبي وسألوا الله تعالى ان يرضى عنهم
فليس لهم طريق إلى الاعتاب فما هم ممن يقبل عذرتهم ويرضى عنهم وتقدير الآية انهم ان صبروا وسكتوا وجزعوا
فالتار ماوهم كما قال سبحانه اصلها فاصبروا اولاً تصبروا سواء عليكم والمعتب هو الذي يقبل عتابه ويجب إلى
ما سأل وقيل معناه وان يستمشوا فما هم من المغائبين (وقيضنا لهم قرنا) اي هبنا لهم قرنا من الشياطين عن
مقاتل ومعناه بدلناهم قرنا سوء من الجن والانس مكان قرنا الصدق الذي أمروا به فمقارنتهم نام يفعلوا بين
الله سبحانه انه إنما فعل ذلك عقوبة لهم على مخالفتهم ونظيره ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وقيل معناه خيلنا بينهم وبين قرنا سوء بما استوجبه من الخذلان عن الحسن فزينوا لهم ما بين
أيديهم وما خلفهم اي زينوا لهم ما بين أيديهم من أمرنا من أمر الدنيا حتى آثروه وعملوا له وما خلفهم من أمر
الآخرة بدعائهم الى انه لا بعث ولا جزاء عن الحسن والسدي وقيل فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة

فقالوا لا الجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وما خلفهم من أمر الدنيا من جمع الأموال وترك النفقة في وجوه البر عن القراء وقيل ما بين أيديهم ما قدموه من أفعالهم السيئة حتى ارتكبوها وما خلفهم ما سنوه لغيرهم ممن يأتي بعدهم (وحسن عليهم القول) أي وجب عليهم الوعيد والعذاب (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس) أي صاروا في أمم أمثالهم كذبوا لتكذيبهم قد مضوا قبلهم وجب عليهم العذاب بعصيانهم ثم قال سبحانه (إنهم كانوا خاسرين) خسروا الجنة ونعيمها

قوله تعالى (٢٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوَى فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) فَلَنذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٨) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ أَلَّفُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ دَارَ الْخُلْدِ وَمَنْ لَمْ يَأْتِنَا بِبَيِّنَاتٍ يَمْجِدُونَ (٢٩) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٣٠) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ هُمْ أَتَمَّامُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا أُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ خمس آيات

اللغة

اللفظ الكلام الذي لا معنى له يستفاد والتاء الكلمة اسقاط عملها يقال لقي بلفي وبلغر لفرنا ولفي بلفي لنا قال عن اللغاة ورفث التكلم

(الإعراب) -

ذلك مبتدأ وجزاء أعداء الله خبره والنار بدل من قوله جزاء أعداء الله ويجوز أن تكون النار تفسيرا كأنه قيل ما هي فقيل يقول هو النار قال الزجاج قوله لهم فيها دار الخلد أي لهم في النار دار الخلد والنار هي النار كما تقول لك في هذه الدار دار سرور وأنت تعني الدار بعينها كما قال الشاعر

أخو رغائب يعطيها ويسألها
يأبى الظلامه منه النوقل الزفر

فيكون ذلك من باب التجريد وموضع أن لا تخافوا نصب تقديره تنزل عليهم الملائكة بأن لا يخافوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الكفار فقال (وقال الذين كفروا) أي قال رؤسائهم لا تباعهم أو قال بعضهم لبعض يعني كفار قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن) الذي يقرؤه محمد ولا تصفوا إليه (والنوا فيه) أي عارضوه باللعو الباطل وما لا يعتد به من الكلام (لعلكم تتأبون) أي لتغلبوه باللعو والباطل ولا يتمكن أصحابه من الاستماع وقيل اللغو فيه بالتخليط في القول والمكاء والصغير عن مجاهد وقيل معناه ارفعوا أصواتكم في وجهه بالشعر والرجز عن ابن عباس والسدي لما عجزوا عن معارضة القرآن احتالوا في اللبس على غيرهم وتواصوا بترك استماعه والالقاء عنه عند قراءته ثم أوعدهم الله سبحانه فقال (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) في الدنيا بالأسر والقتل يوم بدر وقيل في الآخرة (ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي نجازيهم بأقبح الجزاء على اقبح معاصيهم وهو الكفر والشرك وخص الأسوأ بالذكر للمبالغة في الجزع وقيل معناه لنجزينهم بأسوأ أعمالهم وهي المعاصي دون غيرها مما لا يستحق به العذاب (ذلك) يعني ما تقدم الوعيد به (جزاء أعداء الله) الذين

عادوه بالعصيان والكفر وعادوا اوليائه من الأنبياء والمؤمنين (النار) وهي النار والكون فيها (لهم فيها دار الخلد) اي منزل الدوام والتأييد (جزاء لهم) وعقوبة (بما كانوا بآياتنا يحدون) يعني القرآن يحدون بأنه من عند الله عن مقاتل (وقال الذين كفروا) اي وسيقول الكفار في النار (ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والانس) يعنون إبليس الاباسة وقابيل بن آدم أول من ابدع المعصية روي ذلك عن علي (ع) وقيل المراد بذلك كل من ابدع الكفر والضلالة من الجن والانس والمراد بالذين جنس الجن والانس كما في قوله واللذان يأتيانها منكم (نجمها تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين) تمنوا الشدة لشدة عداوتهم لهم وبعضهم إياهم بما أضلوهم وأغروهم ان يعلموه تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار وقيل ان المراد به ندوسهما ونطاونهما باقدامنا اذلالا لها ليكونا من الاضلين الاذلين قال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا ولما ذكر سبحانه وعيد الكفار عقبه بذكر الوعد للمؤمنين الابرار فقال (إن الذين قالوا ربنا الله) اي وحدوا الله تعالى بلسانهم واعترفوا به وصدقوا انبياءه (ثم استقاموا) اي استمروا على ان الله ربهم وحده لم يشر كوا به شيئا عن مجاهد وقيل معناه ثم استقاموا على طاعته وأداء فرائضه عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد وقيل ثم استقاموا في افعالهم كما استقاموا في أفعالهم وقيل ثم استقاموا على ما توجبه الربوبية من عبادته عن ابن مسلم وروي عن انس قال قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية ثم قال قد قالها ناس ثم كفر اكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو من استقام عليها وروي عماد بن الفضيل قال سألت ابا الحسن الرضا (ع) عن الاستقامة فقال هي والله ما انتم عليه (تتنزل عليهم الملائكة) يعني عند الموت عن مجاهد والسدي وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله عن الحسن وثابت وقتادة وقيل في القيامة عن الجبائي والي مسلم وقيل ان البشري تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث عن وكيع بن الجراح (الا تخافوا ولا تحزنوا) اي تقولون لهم لا تخافوا عقاب الله ولا تحزنوا لقوات الثواب وقيل لا تخافوا ما امامكم من أمور الآخرة ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلفتم من اهل وولد عن عكرمة ومجاهد وقيل لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني اغفرها لكم عن صفا بن ابي رباح وقيل ان الحرف يتناول المستقبل والحزن يتناول الماضي وكان المعنى لا تخافوا فإني استقبل من الاوقات ولا تحزنوا على ما مضى وهذا نهاية المطلوب (وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون) بها في دار الدنيا على السنة الأنبياء.

قوله تعالى (٣١) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣٢) نزلاً من غفور رحيم (٣٣) ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين (٣٤) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٥) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم خمس آيات

✽ الاعراب ✽

نزلا نصب على المصدر وتقديره أنزلكم ربكم فإيا تشتهون نزلا ويجوز ان يكون نصبا على الحال وتقديره ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم منزلا نزلا كما يقال جاء زيد مشيا اي ماشيا والقولان جميعا يرجعان إلى كونه مصدرا وقال ابو علي نزلا يحتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون جمع نازل كقوله ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنما معشر نزل

ويكون حالا من الضمير في تدعون اي ما تدعون من غفور رحيم نازلين ﴿ والآخرة ﴾ ان يراد به القوت الذي يقام لتنازل او الضيف ويكون حالا مما تدعون اي لكم ما تدعون نزلا من غفور رحيم صفة نزل وفيه ضمير يعود اليه وقولا نصب على التفسير وقوله ولا السيئة لا هاهنا زائدة مؤكدة لتجديد المساواة

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه ان الملائكة تقول للمؤمنين الذين استقاموا بعد البشارة (نحن أولياؤكم) اي نحن معاشر الملائكة انصاركم واحباؤكم (في الحياة الدنيا) تتولى إيصال الخبرات اليكم من قبل الله تعالى (وفي الآخرة) فلا تفارقكم حتى تدخلكم الجنة من مجاهد وقيل كنا تتولى حفظكم في الدنيا بأنواع المعونة وفي الآخرة تتولاكم بأنواع الأكرام والثوبة وقيل نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا اي نحرصكم في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة عن اي جعفر (ع) (ولكم فيها) اي في الآخرة (ما تشتهي أنفسكم) من الملائذ وتمنونه من المنافع (ولكم فيها ما تدعون) انه لكم فان الله سبحانه يحكم لكم بذلك وقيل ان المراد بقوله ما تشتهي أنفسكم البقاء لانهم كانوا يشتهون البقاء في الدنيا أي لكم فيها ما كنتم تشتهون من البقاء و لكم فيها ما كنتم تمنونه من النعيم عن ابن زيد (تولا من غفور رحيم) معناه ان هذا الموعد به مع جلالته في نفسه له جلالة يعمليه إذ هو عطاء لكم ورزق يجري عليكم ممن يغفر الذنوب ويستر العيوب رحمة منه لعباده فهو أهنا لكم وأكمل لسروركم قال الحسن أرادوا ان جميع ذلك من الله وليس منا وفي هذه الآية بشارة للمؤمنين بمودة الملائكة لهم وفيها بشارة بنيل مشيئاتهم في الجنة وفيها دلالة على ان الملائكة تتردد إلى من كان مستقيا على الطاعات وعلى شرف الاستقامة أيضا تتولى الملائكة صاحبها من أجلها (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً) صورته صورة الاستفهام والمراد به النفي تقديره وليس أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى طاعة الله وأضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصالحة (وقال اني من المسلمين) أي ويقول مع ذلك انني من المسلمين لأمرة الله المنقادين إلى طاعته وقيل معناه ويقول انني من جملة المسلمين كما قال ابراهيم وأنا أول المسلمين وهذا الداعي هو رسول الله ﷺ عن الحسن وابن زيد والسدي وقيل هو جميع الأنمة الدعاء الهداة إلى الحق عن مقاتل وجماعة من المفسرين وقيل هم المؤمنون عن عائشة وعكرمة وفي هذه الآية رد على من قال أنا مؤمن ان شاء الله لأنه مدح من قال انني من المسلمين من غير أن يقرنه بالمشيئة وفي هذه الآية دلالة على ان الدعاء إلى الدين من اعظم الطاعات وأجل الواجبات وفيها دلالة على ان الداعي يجب ان يكون عاملاً بعلمه ليكون الناس إلى القبول منه أقرب واليه أسكن ثم قال سبحانه (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) قيل معناه لا تستوي الملة الحسنة التي هي الإسلام والملة السيئة التي هي الكفر وقيل لا تستوي الأعمال الحسنة ولا الأعمال القبيحة وقيل لا تستوي الحسنة السيئة فلا يستوي الصبر والغضب والحلم والجهل والمداراة والمناظرة والعمو والإسامة ثم بين سبحانه ما يازم على الداعي من الرفق بالمدمر فقال (ادفع بالتي هي أحسن) ادفع بالتّي هي أحسن وقال للنبي ﷺ ادفع بالتّي هي أحسن خاطب النبي ﷺ فقال ادفع بحقك باطلهم وبحلمك جهلمهم وبغفرك اساءتهم (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) معناه فانك إذا دفعت خصومك بلين ورفق ومداراة صار عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك القريب فكأنه وليك في الدين وحميمك في النسب وروي عن ابي عبد الله (ع) ان الحسنة الثقية والسيئة الإذاعة (وما يلقيها) اي وما يلقي هذه الفعلة وهذه الحالة التي هي دفع السيئة بالحسنة (إلا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل إلا الذين صبروا في الدنيا على الأذى عن ابي عبد الله (ع) (وما يلقيها) اي وما يلقي هذه الحصلة المذكورة ولا يؤتاها (إلا ذو حظ عظيم) اي ذو نصيب وافر من الرأي والعقل وقيل إلا ذو نصيب عظيم من الثواب والخير وقيل الحظ العظيم الجنة عن قتادة وما يلقاها إلا من وجبت له الجنة وروي عن

الذي عبد الله «ع» وما يلقاها إلا كل ذي حظ عظيم

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله ومن احسن قولاً من دعا إلى الله الآية بما قبله من قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية فكانه قال الاتعجبون من امراض الكفار عن استماع القرآن وتواصيهم فيما بينهم باللغو في قراءته ولا قائل احسن قولاً من محمد ﷺ يدعوكم إلى من تقرون انه خالقكم ثم انه قد عمل في دينه بما دعاكم اليه فانفتحت عنه التهمة من جميع الوجوه

قوله تعالى (٣٦) وَإِمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٧) وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٨) فَإِن أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٣٩) وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَإِنِّ لِلَّذِي أَحْيَاهَا لَمَكْنِي الْعَوْنِي إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) إِنِّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَن يَلْقَى فِي النَّارِ الْخَبْرَ مَنَّ أَمْ نِي آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤١) إِنِّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤٢) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ (سبع آيات)

(اللغة)

الترغ النخس بما يدعوا إلى الفساد يقال ترغ يترغ وفلان يترغ فلانا كأنه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب وألحد مال عن الحق ويقال لحد يلحد ايضاً بجناه ويسمى القرآن ذكراً لأنه ذكر فيه الدلائل والاحكام

﴿ الإعراب ﴾

واما ينزغك هي ان التي للجزاء زيد عليها ما تأكيداً فأشبه لذلك القسم فلذلك دخل الفعل نون التأكيد ان الذين كفروا بالذكر لم يذكر لأن خبراً والتقدير ان الذين كفروا بالذكر مستداً الخبر معذبون فعذّبوا الخبر ويجوز ان يكون الخبر أو تلك ينادون من مكان بعيد

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر نبيه ﷺ أن يستعذ بالله إذا صرفه الشيطان عن الاحتمال فقال (وإما ينزغك من الشيطان ترغ) ان ما يدعوك ترغ من الشيطان بالوسوسة (فاستعذ بالله) أي فاطلب الاعتصام من شره بالله (انه هو السميع العليم) الآية مفسرة في آخر سورة الاعراف ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال (ومن آياته) أي حججه الدالة على وحدانيته وادلته على صفاته التي باين بها جميع خلقه (الليل) بذهاب الشمس عن بسط الارض (والنهار) بطولها على وجهها وتقديرهما على وجه مستقر وتدبيرهما على نظام مستمر (والشمس والقمر) وما اختصا به من النور وظهر فيهما من التدبير في المسير والفرق في فلك التدبير (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) وان كان فيها منافع كثيرة لأنها ليسا بخالقين (واسجدوا لله الذي خلقهن) وانشأهن وانما قال خلقهن لوجهين ﴿ احدهما ﴾ ان ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث تقول هذا كباشك فسقها وان شئت قلت فسقهن ﴿ والآخر ﴾ ان الضمير يرجع إلى معنى

الآيات لأنه قال ومن آياته هذه الأشياء وسجدوا لله الذي خلقهم (إن كنتم إياه تعبدون) ان كنتم تقصدون بعبادتكم لله كما تعبدون الله فاسجدوا لله دون غيره ثم قال (فإن استكبروا) عن توجيه العبادة إلى الله وحده (فالذين عند ربك) وهم الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أي لا يملون ولا يفقدون وهو مفسر في سورة الاعراف والمروى عن ابن عباس وقتادة وابن المسيب ان موضع السجود عند قوله وهم لا يسأمون وعن ابن مسعود والحسن انه عند قوله ان كنتم إياه تعبدون وهو اختيار عمرو بن العلاء وهو المروى عن أنس بن مالك (ومن آياته) أي ومن آياته الدالة على ربوبيته (انك ترى الأرض خاشعة) أي غيرا. دارسة متهشمة عن قتادة والسدي أي كان حالها حال الخاضع المتواضع وقيل ميتة يابسة لا نبات فيها قال الأزهري إذا بيدت الأرض ولم تظهر قيل قد خشمت (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) أي تحركت بالنبات وربت أي انتفضت وارتفعت قبل ان تثبت وقيل اهتزت بالنبات (وربت) بكثرة ريعها عن الكلبي (ان الذي أحياها) أي أحيأ الأرض بما أنزله من المطر (لمحي الموتى) في الآخرة مثل ذلك (انه على كل شيء قدير) ظاهر المعنى (ان الذين يلحدون) أي ان الذين يلبسون من الإيمان بآياتنا (لا يخفون علينا) بأشخاصهم وأقوالهم وأفعالهم وهذا عن قتادة وابن زيد والسدي وقد قيل ان معنى الإلحاد في آيات الله هو ما كانوا يفعلونه من المكأ والصغير عن مجاهد وقيل هو تبديلهم ذلك ووضعه في غير موضعه عن ابن عباس وقال بعض المفسرين ان المراد بالآيات هنا دلالات التوحيد والإلحاد فيها الانحراف عنها وترك الاستدلال بها ثم قال سبحانه على وجه الانكار عليهم والتهجين لفعالهم والتهديد لهم (أفمن يلقى في النار خيرا) وهم الملحدون (أم من يأتي آمنا يوم القيامة) من عذاب الله وهم المؤمنون المطيعون وهذا استفهام تقرير معناه انها لا يستويان وقيل ان الذي يلقى في النار ابو جهل والذي يأتي آمنا يوم القيامة رسول الله ﷺ عن مقاتل وقيل هو عمار بن ياسر عن عكرمة والصحيح ان الآية على العموم والمراد بها المؤمن والكافر ثم قال سبحانه (اعملوا ما شئتم) لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد والتهديد أي فإذا علمتم انها لا يستويان فليختر كل واحد منكم لنفسه ما شاء من الامرين فإن العاقل لا يختار الاقواء في النار فإذا لم يختتر ذلك فلا بد ان يؤمن بالآيات فلا يلحد فيها (انه بما تعملون) أي بأعمالكم (بصير) عالم لا يخفى عليه شيء منها ثم اخبر سبحانه عنهم متهجنا لهم فقال (ان الذين كفروا بالذكر) الذي هو القرآن وجدوده (لما جاءهم) أي حين جاءهم ثم اخذ سبحانه في وصف الذكر وترك خبر ان على تقدير ان الذين كفروا بالذكر يجوزون بكفرهم ونحو ذلك وقيل ان خبره (أو تلك ينادون من مكان بعيد) عن ابي عمرو بن العلاء وقيل ان قوله (وانه الكتاب عزيز) في موضع الخبر والتقدير الكتاب الذي جاءهم عزيز وأما قوله وانه فالهاء يعود إلى القرآن الذي هو الذكر والمعنى ان الذكر لكتاب عزيز بأنه لا يقدر أحد من العباد على ان يأتي بمثله وقيل انه عزيز باعزاز الله عز وجل إياه إذ حفظه من التنوير والتبديل وقيل هو عزيز إذ جعله الله على أتم صفات الاحكام وقيل عزيز بأنه يجب ان يعز ويحلى بالانتها. إلى ما فيه وترك الاعراض عنه وقيل عزيز أي كريم على الله عز وجل عن ابن عباس (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل فيه أقوال **﴿ احدها ﴾** ان الباطل الشيطان ومعناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقا أو يزيد فيه باطلا عن قتادة والسدي **﴿ وثانيها ﴾** انه لا يأتيه ما يبطله من بين يديه أي من الكتب التي قبله ولا من خلفه أي لا يجيء من بعده كتاب يبطله أي ينسخه عن ابن عباس والكلبي ومقاتل **﴿ وثالثها ﴾** معناه انه ليس في اخباره عما مضى باطل ولا في اخباره عما يكون في المستقبل باطل بل اخباره كلها موافقة لمخبراتها وهو المروى عن ابي جعفر «ع» وابي عبد الله «ع» **﴿ ورابعها ﴾** لا يأتيه الباطل من أول قدره ولا من آخره عن الحسن **﴿ وخامسها ﴾** لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات فلا تناقض في القائله ولا كذب في اخباره ولا يعارض ولا يزداد فيه ولا يغير بل هو محفوظ حجة على المكلفين إلى يوم القيامة ويؤيده

قوله انا نحن تواتر الذكر وانا له حافظون (تنزيل من حكيم) اي هو تنزيل من عالم بوجود الحكمة (حميد) مستحق للحمد على خلقه بالانعام عليهم والقرآن هو من اعظم نعمه فاستحق به الحمد والشكر

قوله تعالى (٤٣) مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٤) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فِصْلَتُ آيَاتِهِ أَعْجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص أعجمي بهزتين وقرأ هشام بن ابن عامر بهززة واحدة وقرأ الباقون بهززة واحدة ممدودة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الأعجمي الذي لا يفصح من العرب كان او من العجم قالوا زياد الأعجم لآفة كانت في لسانه وكان عربيا وقالوا صلاة النهار عجماء أي تخفى فيها القراءة ولا تبين ويجمع الأعجم على عجم انشدا ابو زيد يقول الحناو ابغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمار اليجدع أي ابغض صوت العجم صوت الحمار وتسمي العرب من لم يبين كلامه من أي صنف كان من الناس اعجم ومنه قول ابن الاخرز

سلوم لو اصبحت وسط الأعجم بالروم او بالترك او بالديلم

فقال لو كنت وسط الأعجم ولم يقل وسط العجم لأنه جعل كل من لم يبين كلامه أعجم فكأنه قال وسط القليل الأعجم والعجم خلاف العرب والعجمي خلاف العربي منسوب إلى العجم وإنما قول الأعجمي بالعربي في الآية وخلاف العربي العجمي لأن الأعجمي في انه لا يبين مثل العجمي عندهم فمن حيث اجتماعي انهما لا يبينان قول به العربي في قوله أعجمي وعربي وينبغي ان يكون الأعجمي اليا فيه للنسب إلى الأعجم الذي لا يفصح وهو في المعنى كالعجمي وان كانا يختلفان في النسبة فيكون الأعجمي عربيا ويجوز ان يقال للرجل اعجمي ويراد به ما يراد باعجم بغير ياء النسب كما يقال احمر واحمري ودار وداري وقوله ولو نزلناه على بعض الأعجمين مما جمع على ارادة ياء النسب فيه مثل قولهم النميرون ولولا ذلك لم يجز جمع بالواو والنون ألا ترى انك لا تقول في الاحمر إذا كان صفة أحمر وانا جاز الأعجمون لما ذكرنا فأما الأعجم فينبغي ان تكون تكسير اعجمي كما كان المسامعة تكسير مسعبي وقد استعمل هذا الوصف استعمال الاسماء فمن ذلك قوله خرق يانية لاعجم طعطم فينبغي ان يكون من باب الأجازع والاباطع وأما قوله تعالى اعجمي وعربي فالمعنى المتزل اعجمي والمتزل عليه عربي فقوله اعجمي وعربي يرتفع كل منهما على انه خبر مبتدأ محذوف وهذه الآية في المعنى كقوله ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين

﴿ المعنى ﴾

ثم عزي سبحانه نبيه ﷺ على تكذيبهم فقال (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل مسن قبلك) أي ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا ما قد قيل للأنبياء قبلك من التكذيب والجحد لنبوتهم عن قتادة والسدي

والجبائي وقيل معناه ما يقول الله لك إلا ما قد قاله للرسول من قبلك وهو الأمر بالدعاء إلى الحق في عبادة الله ولزوم طاعته فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب وقيل معناه ما حكاه تعالى بعده من (ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) فيكون على جهة الوعد والوعيد اي انه لذو مغفرة لمن آمن بك وذو عقاب أليم لمن كذب بك (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) اي لو جعلنا هذا الكتاب الذي ترووه على الناس بغير لغة العرب (لقاتلوا لولا فصلت آياته) اي هلا بينت بلسان العرب حتى يفهمه (أأعجمي وعربي) اي كتاب أعجمي ونبي عربي وهذا استفهام على وجه الإنكار والمعنى انهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي وكان ذلك أشد لتكذيبهم فينبى الله سبحانه انه أنزل الكتاب بلغتهم وأرسل الرسول من عشيرتهم ليكون ابلغ في الحجية واقطع للمعذرة (قل) يا محمد لهم (هو) اي القرآن (للذين آمنوا هدى) من الضلالة (وشفاء) من الاوجاع وقيل وشفاء للقلوب من كل شك وريب وشبهة وسمى اليقين شفاء كما سمي الشك مرضا في قوله في قلوبهم مرض (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) اي قفل وصمم عن سماعه من حيث يثقل عليهم استماعه فلا ينتفعون به فكأنهم صم عنه (وهو عليهم عى) عمت قلوبهم عنه عن السدي يعني انهم لما ضلوا عنه وداروا عن تدبره فكأنه عى لهم (أو أنك ينادون من مكان بعيد) اي انهم لا يسمعون ولا يفهمون كما ان من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم واذا قال ذلك لبعد افهامهم وشدة اعراضهم عنه وقيل لبعده عن قلوبهم عن مجاهد وقيل ينادى الرجل منهم في الآخرة باشنع اسمه عن الضحاك (ولقد آتينا موسى الكتاب) اي التوراة (فاختلف فيه) لانه آمن به قوم وكذب به آخرون وهذه تسلية للنبي ﷺ ايضا عن جحود قومه له وانكارهم لنبوته (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن قومك وانته لا يعذبهم وانت فيهم (لقضي بينهم) اي لفرغ من عذابهم واستئصالهم وقيل معناه لولا حكم سبق من ربك بتأخيرهم العذاب إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم فيظهر المحق من المبطل (وانهم لفي شك منه صريب) اي وان قومك لفي شك مما ذكرناه موقع لهم الريبة وهو افظع الشك

قوله تعالى (٤٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٧)
إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامٍهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا
بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُي قَالُوا آذْنَاكَ مَا مِينَا مِنْ شَهِيدٍ (٤٨) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَجِيصٍ (٤٩) لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ
الشَّرُّ فَيَسْأَلْ قَنُوطًا (٥٠) وَلَئِنْ أَدْقَانَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ
السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ خمس آيات

(- القراة -)

قرأ اهل المدينة والشام وحفص من ثمرات على الجمع والباقون من ثمرة على التوحيد

﴿ الحجّة ﴾

قال ابو علي من ثمرة إذا فرد بدل على الكثرة واستغنى به عن الجمع ويقوي الافراد قوله وما تحمل من أنتى وحجة من جمع ان الجمع صحيح وان المعنى على ذلك

﴿ اللغة ﴾

الايكلم جمع كم وكم جمع كمة عن ابن خالويه وقيل هي جمع كمة عن ابي عبيدة وهي الكفري ونكهم الرجل في ثوبه إذا تلف به والا يبدان الإعلام

﴿ المعنى ﴾

ثم أحتج سبحانه عليهم بأن قال (من عمل صالحا فلنفسه) اي من عمل طاعة فلنفسه لأن ثواب ذلك واصل اليه ومنفعته تكون له دون غيره (ومن أساء فعليها) اي من عمل معصية فعلى نفسه وبال ذلك وعقابه يلحقه دون غيره (وما ربك بظلام للعبيد) وهذا على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه للعبيد وإنما قال ذلك مع انه لا يظلم مثقال ذرة لأمرين ﴿ احدها ﴾ ان من فعل الظلم وان قل وهو عالم بقبحه وبأنه غني عنه لكان ظلما ﴿ والآخر ﴾ انه على طريق الجواب لمن زعم انه يظلم العباد فيأخذ احدا بذنب غيره وبصبيه بطاعة غيره ثم بين سبحانه انه العالم بوقت القيامة فقال (اليه يرد علم الساعة) التي يقع فيها الجزاء للمطيع والمعاصي وهو يوم القيامة (وما تخرج من ثمرات من أكلامها) اي وما تخرج ثمرة من اوعيتها وغلفها (وما تحمل من أنتى ولا تضع إلا بعلمه) اي ولا تحمل أنتى من حمل ذكرها كأن او أنتى ولا تضع أنتى إلا في الوقت الذي علم سبحانه انها تحمل فيه وتضع فيه فيعلم سبحانه قدر الثمار وكيفية اجزائها وطعومها وروائحها ويعلم ما في بطون الجبالى وكيفية انتقالها حالا بعد حال حتى يصير بشرا سويا (ويوم يناديهم) اي ينادي الله المشركين (أين شركائى) اي في قولكم وزعمكم كما قال ابن شركائى الذين كتمت زعمون (قالوا أذنناك ما مانا من شهيد) اي يقولون اعلمناك ما منا شاهد بأن لك شريكا يتبرون يومئذ من ان يكون مع الله شريك (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) اي بطل عنهم وذهب ما كانوا أملاوه من اصنامهم (وظنوا) اي ايقنوا (ما لهم من محيص) اي من مهرب وملجأ دخل الظن على ما التي للنفي كما تدخل على لام الابتداء وكلاهما له صدر الكلام والمعنى انهم علموا ان لا مخلص لهم من عذاب الله وقد يعبر بالظن عن اليقين فيما طريقه الخبر دون العيان ثم بين سبحانه طريقتهم في الدنيا فقال (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) قال الكلبي الإنسان هاهنا يراد به الكافر اي لا يمل الكافر من دعائه الخير ولا يزال يسأل ربه الخير الذي هو المال والغنى والصحة والولد (وإن مسه الشر) اي البلاء والشدة والفقر (فيؤتوس) اي فهو يؤتوس شديد اليأس من الخير (قنوط) من الرحمة وقيل يؤتوس من إجابة الدعاء قنوط سمي الظن بربه (ولئن أذقناه رحمة منا) اي خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) اي هذا بعلمي وأنا محقوق به عن مجاهد قال وكل هذا من اخلاق الكافر وقيل معناه هذا لي دائما ابدا (وما نظن الساعة قائمة) اي كانت على ما يقوله المسلمون (ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى) اي لست على يقين من البعث فإن كان الأمر على ذلك ورددت الى ربي إن لي عنده الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الجنة سيعطيني في الآخرة مثل ما اعطاني في الدنيا ثم هدد سبحانه من هذه صفة ان قال (فلننبتن الذين كفروا بما عملوا) اي لننقمهم يوم القيامة على

مساوى اعمالهم عن ابن عباس (وانذ بقنهم من عذاب غلظ) اية شديدة مترام
قوله تعالى (٥١) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ
عَرِيضٍ (٥٢) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ نُزْلٌ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ
بَعِيدٍ (٥٣) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٤) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ
اربع آيات

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن جهل الانسان الذي تقدم وصفه بمواقع نعم الله سبحانه فقال (واذا انعمنا على
الانسان اعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) اي بعد بجانبه تكبرا وتجبيرا عن الاعتراف بنعم الله تعالى ومن قرأ
ناه فإنه مقلوب من نأى كما في قول الشاعر

اقول وقد نأيت بها غربة النوى نوى ختيبور لا تشط ديارك

(واذا مسه الشر) اي الضر او الفقر او المرض (فذو دعاء عريض) اي فهو ذو دعاء كثير عند ذلك
عن السدي وإنما قال فذو دعاء عريض ولم يقل طويل لأنه ابلغ فإن العريض يدل على الطول والطول
لا يدل على العريض اذ قد يصح طويل ولا عرض له ولا يصح عريض ولا طول له فإن العريض الانبساط
في خلاف جهة الطول والطول الامتداد في اي جهة كان وفي الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر
القائلين بأنه ليس لله على الكافر نعمة فإن الله سبحانه اخبر بأنه ينعم على الكافر وأنه يعرض عن موجبها من
الشكر والمراد بالآية ان الكافر يسأل ربه بالتضرع والدعاء ان يكشف ما به من الضر والبلاء ويعرض عن
الدعاء في الرخاء (قل) يا محمد (أرايتم ان كان) القرآن (من عند الله) وقيل ان كان هذا الاتمام من عند
الله (ثم كفرتم به) وجحدتموه (من اضل ممن هو في شقاق بعيد) اي في خلاف للحق بمسده عنه وهو انتم
والشقاق والمشاقة الميل الى شق العداوة اي فلا احد اضل منكم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم) اختلف
في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المعنى سنريهم حججنا ودلائلنا على التوحيد في آفاق العالم واقطار السماء
والارض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار والبحار والجبال وفي انفسهم وما فيها من لطائف
الصناعة وبدائع الحكمة (حتى يتبين لهم) اي يظهر لهم (انه الحق) اي أن الله الحق عن عطاء وابن زيد
﴿ وثانيها ﴾ ان معناه سنريهم آياتنا ودلائلنا على صدق محمد ﷺ وصحة نبوته في الآفاق اي بما يفتح
من القرى عليه وعلى المسلمين في اقطار الارض وفي انفسهم يعني فتح مكة عن السدي والحسن ومجاهد
وقالوا هو ظهور محمد ﷺ على الآفاق وعلى مكة حتى يعرفوا ان ما أتى به من القرآن حق ومن عند الله
لأنهم بذلك يعرفون انه مويد من قبل الله تعالى بعد أن كان واحدا لا ناصر له ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد
بقوله في الآفاق وقائع الله في الأمم وفي انفسهم وقعة يوم بدر عن قتادة ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه نريهم
آياتنا في الآفاق بصدق ما كان يخبرهم به النبي ﷺ من الحوادث فيها وفي انفسهم يعني ما كان بمكة
من انشقاق القمر حتى يعلموا ان خبره حق من قبل الله سبحانه ﴿ وخامسها ﴾ ان المراد سنريهم آثار من

مضى من قبلهم ممن كذب الرسل من الأمم وأثار خلق الله في كل البلاد وفي انفسهم من انهم كانوا نطقا ثم علقا ثم مضوا ثم عظاما ثم كسيت لحما ثم نقلوا الى التمييز والعقل وذلك كله دليل على ان الذي فعله واحد ليس كمثل شي من الزجاج (او لم يكف بربك انه على كل شي شهيد) موضع قوله بربك رفع والمعنى او لم يكف بربك وانه على كل شي شهيد في موضع رفع ايضا على البدل وان حملته على اللفظ فهو في موضع جر والمفعول محذوف وتقديره او لم يكف شهادة ربك على كل شي ومعنى الكفاية هنا انه سبحانه بين للناس ما فيه كفاية من الدلالة على توحيد وتصحیح نبوة رسله قال مقاتل معناه او لم يكف بربك شاهدا ان القرآن من عند الله وقيل معناه او لم يكف بربك لانه على كل شي شهيد اي عليم بالاشياء شاهد لجميعها لا يغيب عنه شي (الا انهم في صرية من لقاء ربهم) الا كلمة تنبيه وتأكيد ان الكفار في شك من لقاء ثواب ربهم وعقابه اي في شك من مجازاة ربهم وفي هذا تسفيه لهم في اضافة العبث الى الله (الا انه بكل شي محبط) اي احاط علمه بكل شي فلا يخفى عليه شي

سورة حم عسق

وتسمى سورة الشورى ايضا وهي مكية عن الحسن إلا قوله والذين استجابوا والذين إذا اصابهم إلى قوله لا يجب الظالمين وعن ابن عباس وقادة إلا اربع آيات منها نزلن في المدينة قل لا اسئلكم عليه اجرا إلا المودة في القربى قال ابن عباس ولما نزلت هذه الآية قال رجل والله ما نزل الله هذه الآية فأنزل الله ام يقولون افترى على الله كذبا ثم ان الرجل تاب وندم فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده إلى قوله لهم عذاب شديد

﴿ عدد آياتها ﴾

ثلاث وخمسون آية كوفي وخمسون في الباقي

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات حم عسق كالاعلام ثلثين كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون وروى سيف بن عميرة عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ حم عسق بشه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقول عبدي اذمنت قراءة حم عسق ولم تدر ما ثوابها أما لو دريت ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها ولكن سأجزيك جزاءك أدخلوه الجنة وله فيها قصر من ياقوتة حمراء ابوابها وشرفها ودرجها منها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وله فيها حوراوان من الحور العين والفقارية والف غلام من ولدان المخلدن الذين وصفهم الله

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سورة حم السجدة بذكر القرآن وافتتح هذه السورة بذكره ايضا فقال
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) عسق (٣) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٥)
تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقَيْنِ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير كذلك يوحى اليك بفتح الحاء والباقون يوحى بكسر الحاء وفي الشواذ رواية الأعمش
عن ابن مسعود حم سق بغير عين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ يوحى فبنى الفعل للمفعول به احتمال امرين ﴿ احدهما ﴾ ان المعنى يوحى اليك
السورة كما اوحى إلى الذين من قبلك زعموا ان هذه السورة قد اوحى إلى الأنبياء قبل ﴿ والآخر ﴾
ان يكون الجار والمجرور يقومان مقام الفاعل ويجوز ان يكون قوله تعالى الله العزيز الحكيم نبينا للفتل كقوله
يسبح له فيها ثم قال رجال كأنه قبل من يسبح فقال رجال ومن قرأ يوحى اليك على بناء الفعل للفاعل فإن
اسم الله يرتفع بفعله وأما اختلاف القراءة في يتفطرن ويتفطرن والوجه في ذلك قد مر ذكره في سورة مريم
وقال ابن جني قراءة ابن مسعود حم سق مما يؤكده ان الغرض في هذه الفواتح انما هو لكونها فواصل بين
السور ولو كان في اسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شيء منها بل كانت مؤداة بأعيانها وقد كان ابن عباس
قد قرأها بلا عين ايضا وكان يقول السين كل فرقة تكون والقاف كل جماعة تكون

﴿ المعنى ﴾

(حم) قد مضى تفسيره (عسق) قيل انما فضلت هذه السورة من بين سائر المواميم بعسق لأن
جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه فذكر عسق ليكون دلالة على الكتاب دلالة التضمين
وان لم يدل عليه دلالة التصريح وهو معنى قول قتادة فإنه قال هو اسم من اسماء القرآن وقيل لأن هذه
السورة انفردت بأن معانيها اوحيت إلى سائر الأنبياء فلذلك خصت بهذه التسمية وقال عطا هي حروف
مقطعة من حوادث آتية فالحاء من حرب والميم من تحويل ملك والعين من عدو مقهور والسين من الاستئصال
بسنين كسني يوسف والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض وسائر الأقوال في ذلك مذكورة في أول
البقرة (كذلك يوحى اليك وإلى الذين من قبلك) أي كالوحي الذي تقدم يوحى اليك اخبار الغيب
وما يكون قبل ان يكون وإلى الذين من قبلك من الأنبياء عن عطا عن ابن عباس قال وما من نبي انزل
الله عليه الكتاب إلا أنزل عليه معاني هذه السورة بلغاتهم وقيل معناه كهذا الوحي الذي يأتي في هذه
السورة يوحى اليك لأن ما لم يكن حاضرا تراه صلح فيه هذا القرب وقته وذلك لبعده في نفسه ومعنى
التشبيه في كذلك ان بعضه كبعض في انه حكمة وصواب بما تضمنته من الحجج والمواعظ والفوائد (الله)
الذي تحق له العباد (العزيز) القادر الذي لا يغال (الحكيم) المحكم لأفعاله (له ما في السموات وما في
الأرض وهو العلي) المستعلي على كل قادر (العظيم) شأنه (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أي
تكاد كل واحدة من السموات تنشق من فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا استظاما

لذلك عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تكاد السماوات يشققن فرقا من عظمة الله وجلاله من فوقهن تقديره من فوقهن اي من عظمة من فوقهم عن الضحاك وقتاده والزجاج وقيل من فوقهن اي من فوق الارضين وهذا على طريق التمثيل والمعنى لو كانت السماوات تنفطر لشي لانفطرت لهذا (والملائكة يسبحون بحمدهم) اي ينزهونه عمالا يجوز عليه في صفاته ويعظمونه عالا يليق به في ذاته وافعاله وروي عن ابي عبد الله (ع) والملائكة ومن حول العرش يسبحون بحمد ربهم لا يفترون (ويستغفرون لمن في الارض) من المؤمنين (الا ان الله هو الغفور الرحيم) والمعنى ظاهر

قوله تعالى (٦) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِيَاءَ اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
(٧) وَكَذَلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ اُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّمِيرِ (٨) وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ اُمَّةً وَاَحَدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنْ بَيْنِهِمْ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٩) اَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠) وَمَا اَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ اِلَى اللهِ ذَلِكُمْ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَاِلَيْهِ اُنِيبُ خمس آيات

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن امهاله الكفار بعد تقديم الانذار فقال (والذين اتخذوا من دونه اولياء) اي الهة عبدها من دون الله يعني كفار مكة (الله حفيظ عليهم) اي حافظ عليهم اعلمهم لا يعزب شيء منها عنه ليجازيهم على ذلك كله (وما انت) يا محمد (عليهم بوكيل) اي وما انت بمسلط عليهم لتدخلهم في الايمان قهرا وقيل معناه انك لم توكل بحفظ اعلمهم وانما بعثت نذيرا لهم داعيا الى الله مبينا سبيل الرشداي فلا يضيعن صدرك بتكذيبهم اياك وفيه تسلية للنبي ﷺ (وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا) اي مثل ما اوحينا الى من تقدمك من الانبياء بالكتب التي انزلناها عليهم بلغة قومهم اوحينا اليك قرآنا بلغة العرب ليفقهوا ما فيه (لتنذر ام القرى ومن حولها) اي لتنذر اهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من سائر الناس وقرى الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) اي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين واهل السماوات والارضين فيوم الجمع مفعول ثان لتنذر وليس يظرف (لا رب فيه) اي لا شك في كونه ثم قسم سبحانه اهل يوم الجمع فقال (فريق في الجنة وفريق في السعير) اي فريق منهم في الجنة بطاعتهم وفريق منهم في النار بمصيبتهم (ولو شاء الله لجمعهم امة واحدة) اي ولو شاء الله ان يجمعهم على دين واحد وهو الاسلام بان يلجئهم اليه لفعله ولكنه لم يفعله لانه يودي الى ابطال التكليف والتكليف انما يثبت مع الاختيار عن الجبائي وقيل ان معناه ولو شاء الله لسوى بين الناس في المنزلة بان يخلفهم في الجنة ولكنه اختار لهم اعلی الدرجتين وهو استحقاق الثواب (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) وهم المؤمنون (والظالمون ما لهم من ولي) يوالهم (ولا نصير) يمنع عنهم عذاب الله (ام اتخذوا من دونه اولياء) اي بل اتخذ الكافرون من دون الله اولياء من الاصنام والاوثان يوالونهم (فالله هو الولي) معناه ان المستحق للولاية في الحقيقة هو الله تعالى دون غيره لانه المالك للنعيم والضر (وهو يحيي الموتى) اي يبعثهم

للجزاء (وهو على كل شيء قدير) من الاحياء والامانة وغير ذلك ، وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله (معناه ان الذي تختلفون فيه من أمور دينكم ودنياكم وتنازعون فيه فحكمه إلى الله فإنه الفاصل بين الحق والمبطل فيه فحكم للمحق بالثواب والمدح والمبطل بالعقاب والذم وقيل معناه بيان الصواب إلى الله بنصب الأدلة وقيل فحكمه إلى الله يوم القيامة فيجازي كل احد بما يستحقه (ذلكم الله) الذي يحكم بين المختلفين (ربي) اي هو ربي (عليه توكلت) في مهاتي (وإليه أنيب) اي اليه ارجع في جميع أموري

قوله تعالى (١١) فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١٢) لَهُ مُقَابِلٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٣) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٤) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوذُوا بِالْكِتَابِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٥) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ خمس آيات

﴿ الفة ﴾

الذرات اظهر الخلق بايجادها يقال ذرأ الله الخلق يذروهم ومنه ملح ذرآني لظهور بياضه ويقال انى الله ذراك وذروك اي ذريتك عن الازهري وشرع الله الدين اي بين واظهر منه المشرعة والشريعة لانهما في مكان معلوم ظاهر من الانهار فالشريعة والشريعة الظاهر المستقيم من المذاهب التي شرعها الله

﴿ الاعراب ﴾

ان اقيموا الدين يجوز ان يكون موضعه رفعا ونصبا وجرا فالرفع على معنى هو ان اقيموا الدين والنصب على معنى شرع لكم ان اقيموا الدين والجر على البدل من الهاء في به وجائز ايضا ان يكون ان اقيموا الدين تفسيرا لما وصى به نوحا ولقوله والذي اوحينا اليك ولقوله وما وصينا به ابراهيم فيكون المعنى شرع لكم وان قبلكم إقامة الدين وترك الفرقه فيه

- (المعنى) -

ثم وصف سبحانه نفسه بما يوجب ان لا يعبد غيره فقال (فاطر السموات والارض) اي خالقها ومبدعها ابتداء (جعل لكم من انفسكم أزواجا) اي اشكالا مع كل ذكر أنثى يسكن اليها وبالغها وبمن الانعام أزواجا اي ذكورا وأنثا لتكمل منافعكم بها كما قال ثمانية أزواج من الضأن اثني لى آخره

(يذروكم فيه) اي يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعل الأزواج فالها في فيه يمود إلى الجمل المراد بقوله جعل لكم وقيل معناه يذروكم في الأزواج لتكثروا به لدلالة الكلام عليه وهو ذكر الأزواج ومثله قول ذي الرمة

ومية أحسن الثقلين جيدا . وسالفة وأحسنه قذالا

اي واحسن من ذكر يعني الثقلين وقال الزجاج والفراء معناه يذروكم به اي يكثرواكم بأن جعل من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا وأنشد الأزهري في ذلك

وارغب فيها عن لقيط وأهله

اي ارغب بها عن لقيط (ليس كئله شي) اي لیس مثله شي والكاف زائدة مؤكدة لمعنى النفي

قال اوس بن حجر

وقتل كئله جذوع النخيل

يفشاهم سبيل منهر

وقال آخر

سعد بن زيد إذا ابصرت فضلهم

ما إن كئلهم في الناس من أحد

وقيل معناه انه لو قدر الله تعالى مثل لم يكن لذلك المثل مثل لما تقرر في القول ان الله تعالى متفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فلو كان له مثل لتفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فكان هو الله وقد دل الدليل على انه ليس مع الله إله آخر وقيل فيه حذف مضاف ومثل بمعنى الصفة تقديره ليس كصاحب صفته شي وصاحب صفته هو اي ليس كشي والوجه هو الأول (وهو السميع البصير) لما نفى ان يكون له نظير وشبهه على وجه من الوجوه بين انه مع ذلك سميع بصير فلما المدحة في انه لا مثل له مع كونه سميعا بصيرا لجميع السموات والمبصرات (له مقابلد السموات والأرض) اي مفاتيح أرزاق السماوات والأرض وانسابها فمطر السماء بأمره وتنبت الأرض بأذنه عن مجاهد وقيل معناه خزائن السماوات والأرض عن السدي (يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء علي ما يعلمه من المصالح للعباد (انه بكل شي عليم) فيفعل ذلك بحسب المصالح ثم خاطب سبحانه خلقه فقال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) اي بين لكم ونهج ولوضع من الدين والتوحيد والبراءة من الشرك ما وصى به نوحا (والذي أوحينا إليك) اي وهو الذي أوحينا إليك يا محمد وهو (ما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) ثم بين ذلك بقوله (أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) وإقامة الدين التمسك به والعمل بموجبه والدوام عليه والدعاء اليه ولا تفرقوا اي ولا تختلفوا فيه واتلفوا فيه وانفقوا كونوا عباد الله اخوانا (كبر على المشركين ما تدعوم اليه) من توحيد الله والإخلاص له ورفض الأوثان وترك دين الآباء لأنهم قالوا اجعل الآلهة إلهنا واحدا ومعناه ثقل عليهم وعظم اختيارنا لك بما تدعوم اليه وتخصيصك بالوحي والنبوة دونهم (الله يجتبي اليه من يشاء) اي ليس اليهم الاختيار لأن الله يصطفي لرسائله من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرسالة وتحمله لها فاجتباك الله لها كما اجتبي من قبلك من الانبياء وقيل معناه الله يصطفي من عباده لدينه من يشاء (ويهدي اليه من ينيب) اي ويرشد إلى دينه من يقبل إلى طاعته وهذا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل يهدي إلى جنته وثوابه من يرجع اليه بالنية والإخلاص ثم قال (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) معناه وان هو لا الكفار لم يختلفوا عليك إلا بعد أن أتاهم طريق العلم بصحة نبوتك

فصدلوا عن النظر فيه (بقيا بينهم) أي فعلوا ذلك للظلم والحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا وقيل
 معناه وما تغرقوا عنه أي عن محمد ﷺ إلا بعد أن علموا أنه حق ولكنهم تغرقوا عنه حسدا له وخوفا
 أن تذهب رئاستهم (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم) معناه ولولا وعد الله تعالى
 وإخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم وتأخر العذاب عنهم في الحال لفصل بينهم الحكم وأنزل عليهم العذاب الذي
 استحقوه عاجلا وقيل معناه ولولا وعد الله بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة وهو الأجل المسمى لقضي بينهم
 بإهلاك المبطل وإثابة المحق (وان الذين أورتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) معناه وان
 اليهود والنصارى الذين أورتوا الكتاب من بعد قوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومن بعد إخبارهم لفي
 شك من القرآن أو من محمد ﷺ مؤد إلى الريبة عن السدي بين بذلك أن أجابهم أنكروا الحق عن
 معرفته وان عوامهم كانوا شاكهن فيه يدل عليه قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه وقيل معناه وان الذين
 أورتوا الكتاب أي القرآن وهم العرب من بعدهم أي من بعد اليهود والنصارى لفي شك منه بليغ ولو استقصوا
 في النظر أدى بهم إلى اليقين والرشد (فلذلك فادع) أي فإلى ذلك فادع عن الفراء والزجاج يقال دعوت
 لفلان وإلى فلان وذلك إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد ومعناه فإلى الدين الذي شرعه الله تعالى
 ووصى به أنبياءه فادع اطلق يا محمد وقيل إن اللام للتعليل أي فلأجل الشك الذي هم عليه فادعهم إلى الحق
 حتى تزيل شكهم (واستقم كما أمرت) أي فإثبت على أمر الله وتمسك به واعمل بوجهه وقيل واستقم
 على تبليغ الرسالة (ولا تتبع أهوائهم) يعني أهواء المشركين في ترك التبليغ (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب)
 أي آمنت بكتب الله التي أنزلها على الأنبياء قبلي كلها (وأمرت لأعدل بينكم) أي كي أعدل بينكم أي
 أسوي بينكم في الدين والدعاء إلى الحق ولا أحابي أحدا وقيل معناه أمرت بالعدل بينكم في جميع الأشياء
 وفي الحديث ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات العدل في الرضاء والغضب والقصد في التضي والغفر
 وخشية الله في السر والعلانية والمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه (الله ربنا وربكم) أي
 وقل لهم أيضا الله مديرتنا ومديركم ومصرفنا ومصرفكم والمنعم علينا وعليكم وإنما قال ذلك لأن المشركين
 قد اعترفوا بأن الله هو الخالق (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أي لا يضرنا أصراركم على الكفر فإن جزاء أعمالنا
 لنا وجزاء أعمالكم لكم لا يؤخذ أحدا بذنب غيره (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة بيننا وبينكم
 عن مجاهد وابن زيد والمعنى ان الحق قد ظهر فسقط الجدل والخصومة وكني بالحجة عن الخصومة لاحتجاج
 أحد الخصمين على الآخر وهذا قبل أن يؤمر بالقتال وإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم تكن بينه وبين
 من لا يجب خصومة وقيل معناه لا حجة بيننا وبينكم لظهور أمركم في النبي علينا والعداوة لنا والمائدة
 لا على طريق الشبهة وليس ذلك تحريما لإقامة الحجة لأنه لا يلزم قبول الدعوة إلا بالحجة التي يظهر بها المحق
 من المبطل فإذا صار الإنسان إلى النبي والعداوة سقط الاحتجاج بينه وبين أهل الحق (الله يجمع بيننا) يوم
 القيامة لفصل القضاء (والله المصير) يحكم بيننا بالحق وفي هذا غاية التهديد

قوله تعالى (١٦) وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٧) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ

لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٨) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٩) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ بِرِزْقٍ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٢٠) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (خمس آيات)

✽ المعنى ✽

لما تقدم ظهور الحجة وانقطاع الحاجة عقبه بذكر من يجاح بالباطل فقال سبحانه (والذين يجاحون في الله) اي يخاصمون النبي ﷺ والمسلمين في دين الله وتوحيدهم وهم اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق عن مجاهد وقناة وإنما قصدوا بما قالوا ليدفوا ما أتى به محمد ﷺ (من بعد ما استجيب له) اي من بعد ما دخل الناس في الإسلام واجابوه الى مادعاهم اليه (حجبتهم داخضة عند ربهم) اي خصومتهم باطلة حيث زعموا أن دينهم افضل من الإسلام ولأن ما ذكروه لا يمنع من صحة نبوة نبينا بأن ينسخ الله كتابهم وشريعة نبيهم وقبل معناه والذين يجادلون في الله بنصرة مذهبهم من بعد ما استجيب للنبي ﷺ دعاؤه في كفار يدبر حتى قتلهم الله بأيدي المؤمنين واستجيب دعاؤه على أهل مكة وعلى مضر حتى قحطوا ودعاؤه المستضعفين حتى خلصهم الله من ايدي قريش وغير ذلك مما يطول تعداده عن الجبائي وقيل من بعد ما استجيب لمحمد ﷺ دعاؤه في اظهار المعجزات واقامتها وقيل من بعد ما استجيب له بأن أقروا به قبل مبثته فلما بعث جحدوه كما قال وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وانما سمي سبحانه شبهتهم حجة على اعتقادهم ولشبهها بالحجة اجرى عليها اسمها من غير اطلاق الصفة بها (وعليهم غضب) اي غضب الله عليهم لأجل كفرهم (ولهم عذاب شديد) دائم يوم القيامة (الله الذي انزل الكتاب) اي القرآن (بالحق) اي بالصدق فيما اخبر به من ماض ومستقبل وقيل بالحق اي بالأمر والنهي والفرائض والاحكام و كله حق من الله (والميزان) اي وانزل الله العدل والميزان عبارة عن العدل كنى به عنه عن ابن عباس وقناة ومجاهد ومقاتل وإنما سمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الانصاف والتسوية بين الخلق وقيل اراد به الميزان المعروف وانزله الله من السماء وعرفهم كيف يحملون به بالحق وكيف يزنون به عن الجبائي وقيل الميزان محمد ﷺ يقضي بينهم بالكتاب عن عقبة ويكون على التوسع والتشبيه ولما ذكر العدل اتبعه بذكر الساعة فقال (وما يدريك لعل الساعة قريب) اي وما يدريك يا محمد ولا غيرك لعل مجيئ الساعة قريب وإنما اخفى الله الساعة ووقت مجيئها على العباد ليكونوا على خوف وليبادروا الى التوبة ولو عرفهم مجيئها لكانوا مغررين بالقبايح قبل ذلك تعويلا على التلافي بالتوبة (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) لجهلهم باحوالها واهوالها فلا يخافون ما فيها إذ لم يؤمنوا بها فهم يطلبون قيامها باعادا لكونها (والذين آمنوا مشفقون منها) اي خائفون من مجيئها وهم غير متأهبين لها (ويعلمون انها الحق) اي أن مجيئها الحق الذي لا خلف فيه (الا إن الذين يمارون) اي تدخلهم المرية والشك (في الساعة) فيخاصمون في مجيئها على وجه الانكار لها (لفي ضلال) عن الصواب (بعيد) حين لم يدركوا فيعلموا أن الذي خلقهم أولا قادر على بشمهم ثم قال (الله لطيف بعباده) اي حفي بارهم رفيق عن ابن عباس وعكرمة والسدي

وقيل اللطيف العالم بخفيات الأمور والتبويب والمراد به هنا الموصل المنافع إلى العباد من وجه يدق ادراكه وذلك في الأرزاق التي قسمها الله لعباده وصرف الآفات عنهم وإيصال السرور والملاذ اليهم وتمكينهم بالقدر والآلات إلى غير ذلك من الطافه التي لا يوقف على كنهها لغموضها ثم قال سبحانه (يرزق من يشاء) أي يوسع الرزق على من يشاء يقال فلان مرزوق اذا وصف بسعة الرزق وقيل معناه يرزق من يشاء في خفض ودعة ومن يشاء في كد ومشقة ومتعبة وكل من رزقه الله من ذي روح فهو ممن شاء الله أن يرزقه (وهو القوي) القادر الذي لا يعجز (العزيز) الغالب الذي لا يقالب (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) معنى الحرث في اللغة الكسب وفلان يحرث لعياله ويحرث أي يكتسب أي من كان يريد بعمله نفع الآخرة ويعمل لها نجاحه بعمله ونضاعف له ثواب عمله فنعطيه على الواحد عشرة ونزيد على ذلك ما نشاء (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤمته منها وما له في الآخرة من نصيب) أي ومن كان يريد بعمله نفع الدنيا نعطه نصيباً من الدنيا لا جميع ما يريد بل على حسب ما تقتضيه الحكمة كما قال سبحانه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وما له في الآخرة من نصيب وقيل معناه من قصد بالجهاد وجه الله فله سهم الثامن والثواب في الآخرة ومن قصد به الغنينة لم يحرم ذلك وحصل له سهمه من الغنينة ولكن لا نصيب له من الثواب في الآخرة وروي عن النبي ﷺ انه قال من كانت نيته الدنيا فرق الله عليه امره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأنه من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقبل من كان يعمل للآخرة نال الدنيا والآخرة ومن عمل للدنيا فلاحظ له في ثواب الآخرة لأن الأعلى لا يجعل تبعاً للأدون عن الحسن

قوله تعالى (٢١) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولو لا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم (٢٢) ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (٢٣) ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور (٢٤) أم يقولون افتري على الله كذباً فإن يشاء الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور (٢٥) وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمر وحمزة والكسائي وخلف يشر الله بفتح الباء وسكون الباء وضم الشين والباقون يشر الله بضم الباء وفتح الباء وكسر الشين مشددة وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ويعلم ما تفعلون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء

- (الاعراب) -

ذلك الذي يبشر الله عباده بتقديره الذي يبشر الله به عباده فحذف الباء ثم حذف الما. ويجوز أن يكون الذي حكمه حكم ما التي تكون مصدرية أي ذلك تبشير الله عباده ويمح الله الباطل ليس بمطوف على يختم لأن محو الباطل واجب فلا يكون معلقا بالشرط

* المعنى *

لما اخبر الله سبحانه أن من يطلب الدنيا باعماله فلا حظ له في الآخرة قال (ام لهم شركاء) اي بل هو لا الكفار شركاء فيما كانوا يفعلونه (شرعوا لهم) اي بينوا لهم ونهجو لهم (من الدين ما لم يأذن به الله) اي ما لم يأمر به الله ولا أذن فيه اي شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام عن ابن عباس (ولولا كلمة الفصل لتضي بينهم) اي لولا ان الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب لهذه الأمة الى الآخرة لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا (وان الظالمين) الذين يكذبونك (لهم عذاب اليم) في الآخرة (ترى الظالمين مشفقين) اي خائفين (مما كسبوا) اي من جزاء ما كسبوا من المعاصي وهو العقاب الذي استحقوه (وهو واقع بهم) لا معاملة لا ينفعهم منه خوفهم من وقوعه والإشفاق الخوف من جهة الرقة على المخوف عليه من وقوع الأمر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) فالروضة الارض الخضرة بحسن النبات والجنة الارض التي يحفها الشجر (لم فيها ما يشاؤون عند ربهم) اي لم ما يتمنون ويشتهون يوم القيامة الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غير ربهم ولا يريد بعد قرب المسافة لأن ذلك من صفات الاجسام وقيل عند ربهم اي في حكم ربهم (ذلك هو الفضل الكبير) اي ذلك الثواب هو الفضل العظيم من الله إذ نالوا نعميا لا ينقطع بعمل قليل منقطع ثم قال (ذلك) الفضل الكبير (الذي يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ليستعجلوا بذلك السرور في الدنيا من شدة الشين اذاد به التكثير ومن خفف فلأنه يدل على القليل والكثير ثم قال سبحانه (قل) لهم يا محمد (لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) اختلف في معناه على اقوال **احدها** لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً إلا التوادد والتحاب فيما يقرب الى الله تعالى من العمل الصالح عن الحسن والجبائي وابي مسلم قالوا هو التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة **وثانيها** أن معناه إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتحفظوني لما عن ابن عباس وقادة ومجاهد وجماعة قالوا وكل قرش كانت بينه وبين رسول الله **قراية** وهذا القرش خاصه والمعنى ان لم تودوني لأجل النبوة فودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم **وثالثها** أن معناه الا ان تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم عن علي بن الحسين (ع) وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وجماعة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) واخبرنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم المسكاني قال حدثني القاضي ابو بكر الخليلي قال اخبرنا ابو العباس الضبي قال اخبرنا الحسن بن علي بن زياد السري قال اخبرنا يحيى بن عبد الحميد الهاماني قال حدثنا حسين الأشتر قال اخبرنا قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجراً الآية قالوا يا رسول الله من هو هؤلاء الذين امرنا الله بمودتهم قال علي وفاطمة وولدهما واخبرنا السيد ابو الحمد قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم بالإسناد المذكور في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل مرفوعاً الى ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله **ان**

الله تعالى خلق الأنبياء من اشجار شتى وخلقنا انا وعلي من شجرة واحدة فانا اصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا اوراقها فمن تعلق بنفسن من اغصانها نجح ومن زاغ عنها هوى ولو ان عبدا عبد الله بين الصفا والمروة الف عام ثم الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشئ البالي ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخره في النار ثم تلا قل لا اسألکم عليه اجرا الا المودة في القربى وروى زاذان عن علي (ع) قال فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا كل مؤمن ثم قرأ هذه الآية والى هذا اشار الكسبي في قوله وجدنا لكم في آل حم آية

تأولها منا قبي ومعرب

وعلى الأقوال الثلاثة فقد قبل في الا المودة قولان * احدهما * انه استثناء منقطع لأن هذا ما يجب بالإسلام فلا يكون اجرا للتوبة * والاخر * انه استثناء منصل والمعنى لا اسألکم عليه اجرا الا هذا قد رضيت به اجرا كما انك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك برا فتقول له اجعل بري قضاء حاجتي وعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لا اسألکم عليه اجرا الا هذا ونفعه ايضا عائد عليكم فكأنني لم اسألکم اجرا كما مر بيانه في قوله قل ما سألکم من اجر فهو لكم وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس ان رسول الله حين قدم المدينة واستحکم الاسلام قالت الأنصار فيما بينها نأتى رسول الله فنقول له ان تعروك امور فهذه اموالنا تحکم فيها غير حرج ولا محذور عليك فاتوه في ذلك فنزلت قل لا اسألکم عليه اجرا الا المودة في القربى فقرأها عليهم وقال تودون قرابتي من بعدي فخرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المناقون ان هذا لشيء افتراه في مجلسه اراد بذلك أن يذلنا لقرابته من بعده فنزلت ام يقولون افتري على الله كذبا فارسل اليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتد عليهم فانزل الله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الآية فارسل في أثرهم فشرهم وقال ويستجيب الذين آمنوا وهم الذين سلموا لقوله ثم قال سبحانه (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أي من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسنا بأن يوجب له الثواب وذكر ابو حمزة الثمالي عن السدي قال ان افتراق الحسنه المودة لآل محمد وصح عن الحسن بن علي (ع) انه خطب الناس فقال في خطبته انا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال قل لا اسألکم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فاقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت وروى اسماعيل بن عبد الحائق عن ابي عبد الله (ع) انه قال انها نزلت فينا أهل البيت اصحاب الكساء (ان الله غفر لشكور) اي غفور للسينات شكور لطاعات يعامل عباده معاملة الشاكر في توفية الحق حتى كأنه ممن وصل اليه النعم فشكره (ام يقولون افتري على الله كذبا) اي بل يقولون افتري محمد على الله كذبا في ادعائه الرسالة عن الله (فإن يشأ الله يختم على قلبك) اي لو حدثت نفسك بأن تقترى على الله كذبا اطعم الله على قلبك ولا نساك القرآن فكيف تقدر أن تقترى على الله وهذا كقوله لئن اشركت ليجنن عمك وقيل معناه فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشق عليك قولهم انه مفتر وساحر عن مجاهد وقائل فعلى هذا يحتاج الى اضرار وحذف ثم اخبر سبحانه انه يذهب ما يقولونه باطلا فقال (ويح الله الباطل) اي يزيله ويرفعه بإقامة الدلائل على بطلانه وحذف الواو من يحجر في المصاحف كما حذف من قوله سندع الزبانية على اللفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين وليس بعطف على قوله يختم لأنه مرفوع يدل عليه قوله (ويح الحق بكلماته) اي ويشب الحق باقواله التي ينزلها على نبيه وهو هذا القرآن المعجز (انه عليهم بذات الصدور) اي بضائر القلوب (وهو الذي يقبل التوبة

من عباده) وان جلت معاصيهم فكانه قال من نسب محمدا ﷺ إلى الاقتران ثم تاب قبلت توبته وإن جلت معصيته (ويفضون عن السيئات ويعلم ما تفعلون) من خير وشر فيجازيهم على ذلك

قوله تعالى (٢٦) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٧) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٨) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٩) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٣٠) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ

(خمس آيات)

القراءة

قرأ أهل المدينة وابن عمر وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم بغير فاء. والباقون بالفاء.

الحجة

قال أبو علي القول في ذلك ان اصاب في قوله وما اصابكم محتمل امرين يجوز أن يكون صلة ما ويجوز أن يكون شرطا في موضع جزم فمن قدره شرطا لم يجز حذف الفاء منه على قول سيويه وقد تأول أبو الحسن بعض الأبي على حذف الفاء في جواب الشرط وقال بعض البغداديين حذف الفاء من الجواب جائز واستدل على ذلك بقوله وان اطعموهم انكم لمشركون واذا كان صلة فالإثبات والحذف جائزان على منين مختلفين اما اذا ثبت الفاء فبديه دليل على ان الأمر الثاني وجب بالأول واذا لم يذكر الفاء جاز ان يكون الثاني وجب للأول وجاز ان يكون لغيره

المعنى

لما تقدم وعيد أهل العصيان عقبه سبحانه بالوعد لأهل الطاعة فقال (ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات) أي يجيبهم إلى ما يسألونه وقيل معناه يجيبهم في دعاء بعضهم لبعض عن معاذ بن جبل وقيل معناه يقبل طاعتهم وعباداتهم ويزيدهم من فضله على ما يستحقونه من الثواب وقيل معناه ويستجيب الذين آمنوا بأن يشفعهم في اخوانهم (ويزيدهم من فضله) ويشفعهم في اخوان اخوانهم عن ابن عباس وروي عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله ﷺ في قوله ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن احسن اليهم في الدنيا (والكافرون لهم عذاب شديد) ظاهر المعنى ولما بين سبحانه انه يزيد المؤمنين من فضله اخبر عقبيه ان الزيادة في الارزاق في الدنيا تكون على حسب المصالح فقال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) أي لو وسع الرزق على عباده على حسب ما يطلبونه لبطروا النعمة وتنافسوا وتقاتلوا وظلموا في الارض وتغلب بعضهم على بعض وخرجوا عن الطاعة قال ابن عباس بنهم في الارض طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة وملبس بعد ملبس (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) أي ولكنه ينزل من الرزق قدر صلاحهم ما يشاء نظرا منه لهم عن قتادة والمعنى انه يوسع الرزق على من تكون مصلحته فيه ويضيق على من يكون مصلحته فيه ويؤيده الحديث الذي رواه أنس عن النبي ﷺ عن جبرائيل (ع) عن الله ان من عبادي من لا يصلحه الا السقم ولو صحته لافسده وان من عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو أسقمته لافسده وان من عبادي من لا يصلحه الا الفنى ولو افقرته لافسده وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده وذلك اني ادبر عبادي لعلمي بقلوبهم والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة ومتى قيل نحن نرى كثيرا ممن يوسع عليه الرزق يعني في الارض قلنا انا اذا علمنا على الجملة انه سبحانه يدبر امور

عباده بحسب ما يعلم من مصالحهم ففعل هو لا . كان يستوي حالهم في البغي وسع عليهم اولم يوسع لو علمهم ان لم يوسع عليهم لكانوا أسز محالا في البغي فلذلك وسع عليهم والله اعلم بتفاصيل احوالهم (انه بعباده خير بصير) اي عليهم باحوالهم بصير بما يصلحهم وما يفسدهم ثم بين سبحانه حسن نظره بعباده فقال (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) اي ينزله عليهم من بعد ما يشسوا من نزوله والغيث ما كان نافعا في وقته والمطر قد يكون نافعا وقد يكون ضارا في وقته وغير وقته ووجه اتزانه بعد القنوط انه ادعى الى شكر الآتي به وتعظيمه والمعرفة بموقع احسانه (وينشر رحمته) اي ويفرق نفعه ويبسطها باخراج النبات والثمار التي يكون سببها المطر (وهو الولي) الذي يتولى تدبير عباده وتقدير امورهم ومصالحهم المالك لهم (الحديد) المحمود على جميع افعاله لكون جميعها احسانا ومنافع (ومن آياته) الدالة على وحدانيته وصفاته التي بابين بها خلقه (خلق السموات والارض) لأنه لا يقدر على ذلك غيره لما فيها من العجائب والاجناس التي لا يقدر عليها القادر بقدرته (وما بث فيها من دابة) والدابة ما تدب فيدخل فيه جميع الحيوانات (وهو على جميعهم إذا يشاء قدير) اي وهو على حشرهم الى الموقف بعد امانتهم قادر لا يتعذر عليه ذلك ثم قال سبحانه (وما اصابكم) معاشر الخلق (من مصيبة) من بلوى في نفس او مال (فيما كسبت ايديكم) من المعاصي (ويعنوا عن كثير) منها فلا يعاقب بها قال الحسن الآية خاصة بالحدود التي تستحق على وجه العقوبة وقال قتادة هي عامة وروي عن علي (ع) انه قال قال رسول الله ﷺ خير آية في كتاب الله هذه الآية يا علي ما من خدش عود ولا نكبة قدم الا بذنب وما عفا الله عنه في الدنيا فهو اكرم من ان يعرد فيه وما عاقب عليه في الدنيا فهو اعدل من أن يشني على عبده وقال أهل التحقيق ان ذلك خاص وان خرج العموم لما يلحق من مصائب الاطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين ولأن الانبياء والائمة يتمتعون بالمصائب وان كانوا معصومين من الذنوب لما يحصل لهم على الصبر عليها من الثواب

﴿ النظم ﴾

والوجه في اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى لما بين عظيم انعامه على العباد بين عبده ان لا يعاقبهم الا على معاصيهم

قوله تعالى (٣١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣٢) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٣) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوْادِكَيْهِ عَلَى ظَهْرِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٤) أَوْ يُوقِعَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٥) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة وابن عامر الجوار بحذف اليا . في الوصل والوقف وقرأ الباقرن الجوارى بإثبات اليا . في الرصل وابن كثير ويعقوب في الوقف ايضا وقرأ أهل المدينة وابن عامر يعلم الذين يجادلون بالرفع والباقرن ويعلم بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي القياس الجوارى ومن حذف فلأن حذف هذه اليا . ت وان كانت لا ما قد كثر في كلامهم فصار كالقياس المستمر ومن قرأ يعلم بالرفع استأنف لأنه موضع استئناف من حيث جاء من بعد الجزاء وان شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف ومن نصب فلأن قبله شرط وجزاء وكل واحد منهما غير واجب تقول في الشرط

إن تأتي وتمطيني أكرمك فتصب وتمطيني وتقديره أن يكن إتيان منك واعطاء أكرمك فالنصب بعد الشرط إذا عطف عليه بالفاء أمثل من النصب بالفاء بعد جزاء الشرط فلما قوله

ومن لا يقدم رجله مطمئنة فيثبتها في مستوى الأرض يزلق

فالنصب فيه حسن لكان النفي فاما العطف على الشرط نحو إن تأتي وتمطيني فأكرمك فالذي يختار سيئويه للنصب في العطف على جزاء الشرط فيختار ويعلم الذين يجادلون إذا لم يقطعوا من الأول فيرفعه ويزعم أن المعطوف على جزاء الشرط شبه بقوله «وألقى بالحجاز فأستريحها» قال إلا أن من ينصب في العطف على جزاء الشرط أمثل من ذلك لأنه ليس يوقع فعلا إلا بأن يكون من غيره فعل فصار بمنزلة غير الواجب وزعم سيئويه أن بعضهم قرأ بحاسبكم به الله فينفر لمن يشاء بالنصب وانشد للامشي في نصب ما عطف بالفاء على الجزاء.

ومن يغترب عن أهله لم يزل يري
وتدفن منه الصالحات وإن يسى
مصارع مظلوم مجرا ومسحبا
يكن ما أساء النار في رأس كبكبا
فهذا حجة لمن قرأ ويعلم

◀ اللغة ▶

الأعلام الجبال واحدا علم قالت الحنساء.

وإن صخر التاتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فيظللن أي يدمن ويقمن يقال ظل يفعل كذا إذا فعله نهارا والرواكد الثوابت والأوياق الإهلاك والإوتلاف ووبق الرجل يبق ووبق يوبق إذا هلك والمحيص المدل والمعجا
* المعنى *

ثم قال سبحانه (وما أنتم) يا مشركين (بمجزين في الأرض) أي لا تعجزوني حيث ما كنتم فلا تسبقوني هربا في الأرض وفي هذا استدعاء إلى العادة وترغيب فيما أمر به وترهيب عما نهى عنه (وما أنكم من دون الله من ولي) يدفع عنكم عقابه (ولا نصير) ينصركم عليه (ومن آياته) أي ومن حجبها الدالة على اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره (الجوار) أي السفن الجارية (في البحر كالأعلام) أي كالجبال الطوال (إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) أي إن يشأ الله يسكن الريح فتبقى السفن راكدة واقفة على ظهر الماء لا يبرح من المكان لأن ماء البحر يكون راكدا فلوم تجي الريح لوقفت السفينة في البحر ولم تجر فأنه سبحانه جعل الريح سببا لجرها فيه وجعل هبوبها في الجهة التي تسير إليها السفينة (إن في ذلك) الذي ذكر (آيات) أي حجبا واضحا (لكل صبار) على أمر الله (شكور) على نعمته وقيل صبار على ركوبها شكور على جريها والنجاة من البحر (أو يوبقن بما كسبوا) معناه إن يشأ أسكان الريح يسكن الريح أو إن يشأ يجعل الريح عاصفة فيهلك السفن أي أهلها بالغرق في الماء عقوبة لهم بما كسبوا من المعاصي (ويغف عن كثير) من أهلها فلا ينزلهم ولا يعاجلهم بعقوبة معاصيهم (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) أي في إبطال آياتنا ودفعها (ما لهم من محيص) أي ملجأ يلجأون إليه من السدي

قوله تعالى (٣٦) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَاعِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ هَبْتُمْ كِبَاءَهُمْ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٩) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٤٠) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَى وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم هنا وفي سورة وللنجم كيد الإثم على التوحيد والباطون كبار الإثم على الجمع
(الحجة)

حجة الجمع قوله ان تجشوا كبار ما تهون عنه ومن قال كيد فافرد جاز أن يريد به الجمع كقوله وان
تبدوا نعمة الله لا تحسوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقنيزها

﴿ الإعراب ﴾

وإذا ما غضبوا هم يغفرون يجوز أن يكون هم تأكيداً للضمير في غضبوا ويغفرون جواب إذا ويجوز أن
يكون هم ابتداء ويغفرون خبره وكذا هم ينتصرون وان شئت كان هم وصفاً للمنصوب قبله وان شئت كان
مبتدأ وقياس قول سيويه أن يرفع هم بفعل مضمر دل عليه هم ينتصرون

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه من تقدم وصفهم فقال (فما أوتيتهم من شيء) أي الذي أعطيتوه من شيء من الأموال
(فتناح الحياة الدنيا) أي فهو متاع الحياة الدنيا تتمتعون به أي بما ثم تموتون فيبقى عنكم أو يهلك المال
قبل موتكم (وما عند الله) من الثواب والنعيم وما أعد للجزاء على الطاعة (خير وأبقى) من هذه المنافع القليلة
(للذين آمنوا) أي صدقوا بتوحيد الله وبما يجب التصديق به (وعلى ربهم يتوكلون) والتوكل على الله تفويض
الأمور إليه باعتقاد أنها جارية من قبله على أحسن التدبير مع الفزع إليه بالدعاء من كل ما ينوب (والذين يجتنبون
كبار الإثم) يجوز أن يكون موضع الذين جراً عطفاً على قوله للذين آمنوا فيكون المعنى وما عند الله خير وأبقى
للمؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كبار الإثم (والفواحش) ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء
ويكون الخبر محذوفاً فيكون المعنى والذين يجتنبون الكبائر والفواحش (وإذا ما غضبوا) مما يفعل بهم من
الظلم (هم يغفرون) ويتجاوزون عنه لهم مثل ذلك والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح القبيح والمنفرة في الآية
المراد بها ما يتعلق بالإساءة إلى نفوسهم فتى عرفوا عنها كانوا ممدوحين فلما ما يتعلق بمحقوق الله وواجبات حدوده
فليس للإمام تركها ولا الغفر عنها ولا يجوز له الغفر من المرتد وعن جرى مجراه ثم زاد سبحانه في صفاته فقال
(والذين استجابوا لربهم) أي اجابوه فيما دعاهم إليه من أمور الدين (واقاموا الصلوة) أي اداها في أوقاتها
بشرائطها (وأمرهم شورى بينهم) يقال صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه وهو فعلي من المشاورة
وهي المفاوضة في الكلام ليظهر الحق أي لا يتفردون بأمر حتى يشاوروا غيرهم فيه وقيل إن المعنى بالآية الانتصار
كانوا إذا أرادوا أمراً قبل الإسلام وقبل قدوم النبي ﷺ اجتمعوا وتشاوروا ثم عملوا عليه فأثنى الله عليهم
بذلك وقيل هو تشاورهم حين سمعوا بظهور النبي ﷺ وورود النقباء عليه حتى اجتمعوا في دار أبي أيوب
على الإيمان به والنصرة له من الضحاك وفي هذا دلالة على فضل المشاورة في الأمور وقدروي عن النبي ﷺ
انه قال ما من رجل يشاور احداً الا هدي الى الرشداً (وما رزقناهم ينفقون) في طاعة الله تعالى وسبيل الخير
(والذين إذا أصابهم البغي) من غيرهم (هم ينتصرون) ممن بغي عليهم من غير ان يتعدوا عن السدي وقيل
ينتصرون أي يتناصرون ينصر بعضهم بعضاً نحو يختصمون ويتخاصمون عن أبي مسلم وقيل يعني به المؤمنين
الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنتهم الله في الأرض حتى انتصروا من ظلمهم عن عطاء وقيل

جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظلمهم وهم الذين ذكروا قبل هذه الآية وهو قوله واذا ما غضبوا هم يعفرون وصنف ينتصرون ممن ظلمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية فمن انتصر وأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما حد الله فهو عليه من اطاع الله فهو محمود من ابن زيد ثم ذكر سبحانه حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) قيل هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله تقول اخزاك الله من غير أن تعتدي من ابن نجيب والسدي ومجاهد وقيل يعني القصاص في الجراحات والدماء عن مقاتل وسمى الثانية سيئة لأنها في مقابلة الأولى كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم ذكر سبحانه العفو فقال (فمن عفى واصح فأجره على الله) اي فمن عفا له المواقفة به واصح امره فيما بينه وبين ربه فتوابه على الله (انه لا يجب للظالمين) ثم بين سبحانه انه لم يرغب المظلوم في العفو من الظالم لئله الى الظالم او لجه إياه ولكن يعرضه بذلك لجزييل الثواب ولجه الاحسان والفضل وقيل انه لا يجب للظالم في قصاص وغيره بتعديه عما هو له الى ما ليس له وقيل ان الآية الاولى عامة في وجوب التناصر بين المسلمين وهذه الآية في خاصة الرجل يجازي من ظلمه بمثل ما فعله او يعفو وقد روي عن النبي ﷺ انه قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان اجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي اجره على الله فيقال العافون من الناس فيدخلون الجنة بغير حساب

قوله تعالى (٤١) وَلَمَّنْ انتصرَ بعدَ ظلمِهِ فأَوْ لَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٣) وَلَمَّنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٤) وَمَنْ يَضِلْ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَّليٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٥) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ خمس آيات

الإعراب

ان ذلك لمن عزم الامور جواب القسم الذي دل عليه قوله ولمن صبر وعفر كما قال سبحانه لئن اخرجوا لا يخرجون معهم وقيل بل هي جملة في موضع خبر المبتدأ الذي هو من صبر وعفرو والتقدير ان ذلك منه لمن عزم الامور وحسن الخذف لطول الكلام وقوله خاشعين من الذليل ينظرون من طرف خفيي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم

المعنى

ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) معناه من انتصر لنفسه واتصف من ظلمه بعد ظلمه اضاف الظلم الى المظلوم اي بعد ان ظلم وتعدى عليه فاخذ لنفسه بحقه فالمنتصرون ما عليهم من اثم وعقوبة وذم ومثله في اضافة المصدر الى المفعول قوله من دعاء الحير (إنا السبيل) اي الاثم والعقاب (على الذين يظلمون الناس) ابتداء (ويبغون في الارض بغير الحق او لك لهم عذاب أليم) اي موجم (ولمن صبر) اي تحمل المشقة في رضا الله (وعفر) فلم ينتصر (إن في ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) اي من ثابت الامور التي امر الله تعالى بها فلم ينسج وقيل عزم الامور هو الأخذ باعلها في باب نيل الثواب والأجر (ومن يضل الله) اي ومن يضلله الله من رحمته وجنته (فما له من ولي) اي معين (من بعده) اي سواه وقيل من عذبه الله عقوبة له على عناده وجورده فما له من ولي يلي أمره ويدفع عذاب الله عنه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) اي ترى الظالمين يا محمدا اذا شاهدوا عذاب النار (يقولون هل الى مرد) اي

رجوع ورد الى دار الدنيا (من سبيل) تجنيا منهم لذلك (وتراهم) يا محمد (يعرضون عليها) اي على النار قبل دخولهم النار (خاشعين من الذل) اي ساكنين متواضعين في حال العرض (ينظرون من طرف خفي) اي خفي النظر لما عليهم من الهوان يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في نفوسهم عن الحسن وقتادة وقيل خفي ذليل من ابن عباس ومجاهد وقيل من عين لا تفتح كلها وانما نظروا ببعضها الى النار (وقال الذين آمنوا) لما رأوا عظيم منازل الظالمين (ان الحاسرين) في الحقيقة هم (الذين خسروا انفسهم) بأن فوتوها الانتفاع بنعيم الجنة (واهليهم) اي واولادهم وازواجهم واقاربهم لا ينتفعون بهم (يوم القيامة) لما حيل بينهم وبينهم وقيل واهليهم من الحور العين في الجنة لو آمنوا (الا ان الظالمين في عذاب مقيم) هذا من قول الله تعالى والمقيم الدائم الذي لا زوال له قوله تعالى (٤٦) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اَوْلِيَاءَ يَنْصُرُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَعَمَلُهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٧) اَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اَللّٰهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَاةٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٨) فَاِنْ اَعْرَضُوْا فَمَا اَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظًا اِنْ عَلَيَّكَ اِلَّا الْبَلَاغُ وَاِنَّا اِذَا اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِثْرًا رَّحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَاِنْ نُصِيبْهُمُ سَيْئَةً يَمَسُّ مَا قَدَّمْتْ اَيْدِيَهُمْ فَاِنَّ الْاِنْسَانَ كَفُوْرٌ (٤٩) فَهُوَ مَلِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اِنَّا وَاِنَّا وَبِهٖ لَمِنْ اَشْيَا اَلَّذِيْنَ كُوْرٌ (٥٠) اَوْ يَزُوْجُهُمْ ذُكْرًا وَاِنَّا وَاِنَّا وَبِهٖ لَمِنْ اَشْيَا اَلَّذِيْنَ كُوْرٌ

خمس آيات

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن الظالمين الذين ذكرهم فقال (وما كان لهم من اولياء) لافيا جوده من دونه ولا فيمن اطاعوه في معصيته اي نصار (ينصروهم من دون الله) ويدفعون عنهم عقابه (ومن يضل الله فإله من سبيل) يوصله الى الجنة ثم قال سبحانه (استجيبوا لربكم) اي اجيبوا داعي ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فيسا دعاهم اليه ورفبكم فيه من المصير الى طاعته والانقياد لامره (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) اي لا رجوع بعده الى الدنيا وقيل معناه لا يقدر احد على رده ودفعه وهو يوم القيامة عن الجبائي وقيل معناه لا يرد ولا يؤخر عن وقته وهو يوم الموت عن ابي مسلم (ما لكم من ملجأ يومئذ) اي معقل يعضكم من العذاب (وما لكم من نكير) اي انكار وتغيير للعذاب وقيل من نصير منكرا ما يحل بكم ثم قال لنبه صلى الله عليه وسلم (فلون اعرضوا) يعني الكفار اي عدلوا عما دعوتهم اليه (فما ارسلناك عليهم حفيظا) اي مأمورا بحفظهم لتلايخرجوا عما دعوتهم اليه كما يحفظ الراعي غنمه لتلا يتفرقوا اي فلا تحزن لاعراضهم (ان عليك الا البلاغ) اي ليس عليك الا ابصال المعنى الى افهامهم والبيان لما فيه رشدهم (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة) وارسلنا اليه نعمة (فرح بها) اي بطر لأن الفرح المراد هنا ما قارنه اشراوجردوا وانكار لأنه خرج مخرج الذم وقيل ان الرحمة هنا العافية (وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم) اي تحط او فقر او مرض او غير ذلك مما يسوهم (فلون الانسان كفور) يعبد المصيبة ويحمد النعم ثم بين سبحانه ان النعم كلها منه فقال (لله ملك السموات والارض) اي له التصرف فيهما وفيما بينها وسياستها بما تقتضيه الحكمة (يخلق ما يشاء) من انواع الخلق (يهب لمن يشاء) من خلقه (انا) اي انما) فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) البنين فلا يولد له انثى (او يزوجهم) ذكرانا واناثا (معناه او يجمع لهم بين البنين والبنات تقول العرب زوجت ابلي اي جمعت بين صغارها وكبارها قال مجاهد هو ان تلد المرأة غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية وقيل هو ان تلد قروما ذكرا وانثى او ذكرا وذكرا او انثى وانثى

عن ابن زيد وقيل هو ان يجمع في الرحم الذكر والأنثى عن محمد بن الحنفية (ويجعل من يشاء) من الرجال والنساء (عقياً) لا يلد ولا يولد له (انه عليهم) بما خلق (تقدير) علي خلق من يشاء.
قوله تعالى (٥١) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٣) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ثلاث آيات

❖ القراءة ❖

قرأ نافع او يرسل بالرغم فيوحي بسكون اليا. والباقون او يرسل فيوحي بالنصب

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من نصب او يرسل فلا يخلو من أن يكون محمولا على ان في قوله ان يكلمه الله او على غيره فلا يجوز أن يكون محمولا عليه لأنه يصير تقديره ما كان لبشر أن يكلمه الله او أن يرسل رسولا اليه ولم يخل قوله او يرسل رسولا من أن يكون المراد أو يرسله رسولا او يكون او يرسل اليه رسولا والتقديران جميعا فاسدان الا ترى ان كثيرا من البشر قد ارسل رسولا وكثيرا منهم قد ارسل اليه الرسل فلماذا لم يخل من هذين التقديرين ولم يصح واحد منهما علمت ان المعنى ليس عليه والتقدير على غيره فالذي عليه المعنى والتقدير الصحيح ما ذهب اليه الخليل من أن يعمل يرسل على ان يوحى الذي يدل عليه وحيا فصار التقدير ما كان لبشر ان يكلمه الله الا أن يوحى وحيا أو يرسل رسولا فيوحي ويجوز في قوله إلا وحيا امران ❖ احدهما ❖ أن يكون استثناء منقطعا ❖ والاخر ❖ أن يكون حالا فلان قدرته استثناء منقطعا لم يكن في الكلام شي يوصل بمن لأن ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما بعده لأن حرف الاستثناء في معنى حرف النفي الا ترى انك اذا قلت قام القوم الا زيدا فالمعنى قام القوم إلا زيدا فكما لا يعمل ما قبل حرف النفي فيما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء اذا كان كلاما تاما فيما بعده اذ كان بمعنى النفي وكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد الا فيما قبلها نحو ما انا الجزا لا آكل كما لم يعمل ما بعد حرف النفي فيما قبله فلماذا كان كذلك لم يتصل الجار بما قبل الا ويمنع أن يتصل به الجار من وجه آخر وهو ان قوله أو من وراء حجاب في صلة وحي الذي هو بمعنى أن يوحى فلماذا كان كذلك لم يجوز ان يجعل الجار الذي هو من قوله او من وراء حجاب على او يرسل لأنك تفصل بين الصلة والموصول بما ليس منهما الا ترى ان المصروف على الصلة في الصلة فلماذا حملت العطف على ما ليس في الصلة فصلت بين الصلة والموصول بالأجنبي الذي ليس منهما فلماذا لم يجوز حمله على يكلمه من قوله ما كان لبشر أن يكلمه الله ولم يكن بد من أن يعلق الجار بشي ولم يكن في اللفظ شي تحمله عليه اضمرت يكلم وجعلت الجار في قوله او من وراء حجاب متعلقا بفعل مراد في الصلة محذوف منها للدلالة عليه وقد يحذف من الصلة اشياء للدلالة عليها ويكون في المعنى معطوفا على الفعل المقدر صلة لأن الموصول هو يوحى فيكون التقدير ما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحى اليه او يكلمه من وراء حجاب فحذف يكلم من الصلة لأن ذكره قد جرى وان كان خارجا من الصلة فعسن ذلك حذفه من الصلة وسوغه الا ترى ان ما قبل حرف الاستفهام مثل ما قبل الصلة في انه لا يعمل في الصلة كما لا يعمل ما قبل الاستفهام فيما كان من حيث الاستفهام وقد جاء الآن وقد عصيت قبل والمعنى الآن آمنت وقد عصيت قبل فلما

كان ذكر الفعل قد جرى في الكلام اضرولا يجوز ان يقدر عطف او من وراء حجاب على الفعل الخارج من الصلة
 فيفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي منهما كما في قوله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فلو انه رجس ثم
 قال او فسقا اهل لغير الله به فمطف با وعلى ما في الصلة بعد ما فصل بين الصلة والموصول بقوله فلو انه رجس لان قوله
 فلو انه رجس من الاعتراض الذي يسد ما في الصلة ويوضحه فصار بذلك بمنزلة الصفة لما في الصفة من التبيين والتخصيص
 ومثل هنا في الفصل في الصلة قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة وفصل بقوله جزاء
 بمثلها وعطف عليه قوله وترهقهم ذلة على الصلة مع هذا الفصل من حيث قوله جزاء سيئة بمثلها يسد ما للصلة
 واما من رفع فقال او يرسل رسولا فجعل يرسل حالا فان الجار في قوله او من وراء حجاب متعلق بمحذوف
 ويكون في الظرف ذكر من ذي الحال فيكون قوله الا وحيا على هذا التقدير مصدرا وقم موقع الحال كقولك
 جئت ركضا واتيت عدوا ويكون من في انه مع ما تجزئه في موضع الحال كقوله ومن الصالحين بعد قوله ويكلم
 الناس في المهدي وكهلا ومعنى او من وراء حجاب فمن قدر الكلام استثناء منقطعا او حالا يكلمهم غير مجاهر
 لهم بكلامه يريد ان كلامه يسمع ويحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين وليس ان ثم حجابا
 يفصل موضعا من موضع فيدل ذلك على تعديد المحجوب ومن رفع يرسل كان في موضع نصب على الحال والمعنى
 هذا كلامه اياهم كما يقول تحيتك الضرب وعتابك السيف

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه اجل النعم وهي النبوة فقال (وما كان لبشر ان يكلمه الله) اي ليس لاحد من البشر
 ان يكلمه الله (الا) ان يوحى اليه (وحيا) وهو داود اوحى في صدره فزير الزبور (او من وراء حجاب)
 اي ويكلمه من وراء حجاب وهو موسى (ع) (او يرسل رسولا) وهو جبرائيل ارسل الى محمد ﷺ عن
 مجاهد وقيل معناه ما كان لبشر ان يكلمه الله الا بمثل ما يكلم به عباد من الامر بطاعته والنهي عن معاصيه
 وتنبهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر او المنام وما اشبه ذلك على سبيل الوحي وسماه وحيا لان الوحي في اللغة
 ما جرى مجرى الايمان والتنبه على الشيء من غير ان يفصح به او من وراء حجاب وهو ان يحجب ذلك الكلام
 عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه به نحو كلامه لموسى (ع) لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا من موسى (ع)
 وحده وفي المرة الثانية حجه عن جميع الخلق الا عن موسى والسبعين الذين كانوا معه وقد يقال انه حجب عنهم
 موضع الكلام الذي اقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرؤن من اين يسمعون لان الكلام عرض لا يقوم الا في جسم
 ولا يجوز ان يكون اراد بقوله ان الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباد لان الحجاب لا يجوز الا على الاجسام
 المحدودة وعنى بقوله (او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) ارساله ملائكته بكتبه وكلامه الى انبيائه ليبلغوا ذلك
 عنه عباد فهذا ايضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله به عباده ويأمرهم فيه وينهاهم من غير ان يكلمهم
 على سبيل ما كلم به موسى وهو خلاف الوحي الذي ذكر في اول الآية لانه تنبيه خاطر وليس فيه افصاح
 عن ابي علي الجبائي وقال الزجاج معناه ان كلام الله للبشر اما ان يكون بالهام يلهمهم او بكلام من وراء حجاب
 كما كلم موسى او برسالة ملك اليهم فيوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء الله (انه علي)
 عن الادراك بالابصار (حكيم) في جميع افعاله (وكذلك اوحينا اليك) اي مثل ما اوحينا الى الانبياء قبلك اوحينا
 اليك (روحا من امرنا) يعني الوحي بما مرنا ومعناه القرآن لانه يهتدى به فقيه حياة من موت الكفر عن قتادة
 والجبائي وغيرها وقيل هو روح القدس عن السدي وقيل هو ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول
 الله ﷺ عن ابي جعفر واني عبد الله (ع) قالوا ولم يصعد الى السماء وانه لقينا (ما كنت تدري) يا محمد قبل
 الوحي (ما الكتاب ولا الايمان) اي ما القرآن ولا الشرائع ومعلم الايمان وقيل معناه ولا اهل الايمان اي من الذي

يو من ومن الذي لا يؤمن وهذا من باب حذف المضاف (ولكن جعلناه نورا) أي جعلنا الروح الذي هو القرآن نوراً لأن فيه معالم الدين عن السدي وقيل جعلناه الايمان نورا لأنه طريق النجاة عن ابن عباس (نهدي به من نشاء من عبادنا) أي نرشده إلى الجنة (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) أي ترشد وتدعو إلى طريق مفض إلى الحق وهو الايمان ثم فسر ذلك الصراط بقوله (صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) ملكا وخلقا (ألا إلى الله تصير الأمور) أي اليه ترجع الأمور والتدبير يوم القيامة فلا يملك ذلك غيره

سورة الزخرف

مكية كلها وقيل إلا آية منها واستل من أرسلنا الآية نزلت بيت المقدس عن مقاتل

﴿ عدد آياتها ﴾

ثمان وثمانون آية شامي تسع في الباقي

﴿ اختلافها ﴾

آيتان حم كوفي هو مهين حجازي بصري

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الزخرف كان بمن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب وعن ابي بصير قال قال ابو جعفر (ع) من أدمن قراءة حم الزخرف آمنه الله في قبره من هوام الارض ومن ضمة القبر حتى يقف بين يدي الله عز وجل ثم جاءت حتى تكون هي التي تدخله الجنة بأمر الله عز وجل

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة حم سبق بذكر القرآن والوحي افتتح هذه السورة بذلك أيضا قال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٣) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٤) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥) أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الَّذِي كَرَّ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ خمس آيات

-(القراءة)-

قرأ اهل المدينة والكوفة غير عاصم ان كنتم بكسر الميم والباقيون بفتحها

﴿ الحجية ﴾

قال ابو علي من قال ان كنتم فالمعنى لأن كنتم فأمأ صفحا فانتصابه من باب صنع الله لأن قوله أفنضرب عنكم الذكر يدل على ان نصف عنكم صفحا وكأن قولهم صفحت عنه أي أعرضت عنه وولبتة صفحة العنق فالمعنى أفنضرب عنكم ذكر الانتقام منكم والعقوبة لكم ان كنتم قوما مسرفين وهذا يقرب من

قوله أيجسب الإنسان أن يترك سدى والكسر على أنه جزاء استغني عن جوابه بما تقدمه مثل أنت بظالم إن فلت كذا كأنه قال إن كنتم مسرفين نضرب

❖ اللغة ❖

يقال ضربت عنه وأضربت عنه أي تركته وأمسكت عنه ويقال صفح عني بوجهه قال كثير وذكرا امرأة صفوحا فما لفلانك إلا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت أي معرضة بوجهها والصفوح في صفات الله تعالى معناه العفو عن الذنب كأنه أعرض عن مجازاته تفضلا يقال صفح عن ذنبه إذا عفا والاسراف مجاوزة الحد في العصيان

❖ المعنى ❖

(ح - ح) مره معناه (والكتاب المبين) أقسم بالقرآن المبين للحلال والحرام المبين ما يحتاج إليه الأنام من شرائع الإسلام (أنا جعلناه) أي أنزلناه عن السدي وقل قلناه عن مجاهد ونظيره ويجعلون الله البنات أي يقولون (قرآنا عربيا) أي بلسان العرب والمعنى جعلناه على طريقة العرب في مذاهبتهم في الحروف والمفهوم ومع ذلك فإنه لا يمكن أحد منهم من انشاء مثله والابتداء بما يقاربه من علو طبقتة في البلاغة والفصاحة أما لعدم علمهم بذلك أو لأنهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلماء فيه (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا وتفكروا فيه فتعلموا صدق من ظهر على يده وفي هذه الآية دلالة على حدوث القرآن لأن المجهول هو المحدث بعينه (وإنه) يعني القرآن (في أم الكتاب) أي في اللوح المحفوظ وإنما سمي أم لأن سائر الكتب تنسخ منه وقيل لأن أصل كل شيء أمه والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ عن الزجاج وهو الكتاب الذي كتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة لما رأى في ذلك من صلاح ملائكته بالنظر فيه وعلم فيه من لطف المكلفين بالأخبار عنه (لدينا) أي الذي عندنا عن ابن عباس (عليه) أي في حال في البلاغة مظهر ما بالعباد إليه من الحاجة وقيل معناه يملو كل كتاب بما اختص به من كونه معجزا وناسخا للكتب وبوجوب إدامة العمل به وبما تضمنه من الفوائد وقيل على أي عظيم الشأن رفيع الدرجة تعظمه الملائكة والمؤمنون (حكيم) أي مظهر للحكمة البالغة وقيل حكيم دلالة على كل حوق وصواب فهو بمنزلة الحكيم الذي لا ينطق إلا بالحق وصف الله تعالى القرآن بهاتين الصفتين على سبيل التوسيع لأنها من صفات الحلي ثم خاطب سبحانه من لم يعتبر بالقرآن وجحد ما فيه من الحكمة والبيان فقال (أنضرب عنكم الذكر صفحا) والمراد بالذكر هنا القرآن أي أفترق عنكم الوحي صفحا فلا تأمركم ولا ننهاكم ولا نرسل إليكم رسولا) أن كنتم قوما مسرفين) أي لأن كنتم والمعنى أفترق عن انزال القرآن ونهملكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وهذا استفهام إنكار ومعناه أنا لا نفعل ذلك وأصل ضربت عنه الذكر أن الراكب إذا ركب دابة فأراد أن يصرفه عن جهة ضربه بعض أو سوط ليعدل به إلى جهة أخرى ثم وضع الضرب موضع الصرف والعدل وقيل إن الذكر بمعنى العذاب ومعناه أحسبته أنا لا تعذبكم أبدا عن السدي

قوله تعالى (٦) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٧) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مِثْلُ الْأَوَّلِينَ (٩) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقْنَاهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (١٠) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا
وَجَعَلَ أَكْمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ خمس آيات

(- المعنى -)

ثم عزي سبحانه نبيه ﷺ بقوله (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) أي في الأمم الماضية (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) يعني من الأمم الخالية التي ذكرناها ككفرت بالأنبياء وسخرت منهم لفرط جهالتهم وغباوتهم واستهزأت بهم كما استهزأت قومك بك أي فلم تضرب عنهم صفحا لاستهزأتهم برسلم بل كررنا الحجج وأعدنا الرسل (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي فأهلكنا من أولئك الأمم بأنواع العذاب من كان أشد قوة ومنعة من قومك فلا يفتخر هؤلاء المشركون بالقوة والنجدة (ومضى مثل الأولين) أي سبق فينا أنزلنا اليك شبه حال الكفار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب ولما اهلكوا أولئك بتكذيبهم رسولهم فعاقبة هؤلاء أيضا الاهلاك (ولئن سألتهم) أي ان سألت قومك يا محمد (من خلق السموات والأرض) أي أنشأها واخترعها (ليقولن خلقهن العزيز العليم) أي لم يكن جوابهم في ذلك إلا أن يقولوا خلقهن يعني السموات والأرض العزيز القادر الذي لا يقهر العليم بمصالح الخلق وهو الله تعالى لأنهم لا يمكنهم ان يجيلوا في ذلك على الأصنام والأوثان وهذا اخبار عن غاية جهلهم إذ اعترفوا بأن الله خلق السموات والأرض ثم عبدوا معه غيره وانكروا قدرته على البعث ثم وصف سبحانه نفسه فقال (الذي جعل لكم الأرض مهدا) وقرئ مهادا وقد مضى ذكره في طه (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في اسفاركم وقيل معناه لتهتدوا إلى الحق في الدين بالاعتبار الذي حصل لكم بالنظر فيها

قوله تعالى (١١) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ
(١٢) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ النَّارِ الْأَنْعَامَ مَاتَرًا كَبُونَ (١٣) لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٤) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٥) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِن
الإنسان لكفور مبين خمس آيات

✽ اللبنة ✽

يقال أنشر الله الخلق فنشروا أي احياهم فحيوا قال الأعشى

لو اسندت ميتا إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر
الإقران الإطاقة يقال اقرنت لهذا البعير أي اطقته

✽ المعنى ✽

ثم أكد سبحانه ما قدمه بقوله (والذي نزل من السماء ماء) أي غيثا ومطرا (بقدر) أي بقدر الحاجة

لا زائداً عليها فيفسد ولا ناقصاً عنها فيضر ولا ينفع وفي ذلك دلالة على انه راقع من قادر مختار قد قدره على ما تقتضيه الحكمة لعله بذلك (فأنشأنا) أي فأجينا (به) أي بذلك المطر (بلدة ميتا) أي جافة يابسة بإخراج النبات والأشجار والزرع والثمار (وكذلك) أي مثل ما أخرج النبات من الأرض اليابسة (تخرجون) من قبوركم يوم البعث (والذي خلق الأزواج كلها) يعني أزواج الحيوان من ذكر وانثى وقيل معناه خلق الأشكال جميعها من الحيوان والجماد فمن الحيوان الذكر والانثى ومن غير الحيوان مامهو كالمقابل كالحلو والمر والرطب واليابس وغير ذلك وقيل الأزواج الشتاء والصيف والليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض والجنة والنار عن الحسن (وجعل لكم من الفلك) أي السفن (والانعام) من الإبل والبقرة عن سعيد بن جبير وقيل الإبل (ما تركبون) في البحر والبر (لتنسوا على ظهوره) بين سبحانه ان الغرض في خلق ما ذكر لتستوا على ظهور ما جعل لكم فالضمير في ظهوره يعود إلى لفظ ما (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استوتبتم عليه) فشكروا على تلك النعمة التي هي تسخير ذلك المركب (وتقولوا) معترفين بنعمه منزهين له عن شبه المخلوقين (سبحان الذي سخر لنا هذا) المركب أي ذلله لنا حتى ركبناه (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين مقاومين في القوة (وانا إلى ربنا لمنقلبون) أي ولتقولوا أيضاً ذلك ومعناه وانا إلى الله راجعون في آخر عمرنا على ما ركب آخر وهو الجنائز قال قتادة قد علمكم كيف تقولون إذا ركبتهم وروي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً في سفر كبير ثلاثاً وقال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى والعمل بما ترضى اللهم هون علينا سفرنا واطو عنا بؤمه اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال وإذا رجع قال آيون ثابتون لربنا حامدون أورده مسلم في الصحيح وروى العياشي بإسناده عن أبي عبد الله «ع» قال ذكر النعمة ان قول الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلنا القرآن ومن علينا بمحمد ﷺ وتقول بعده سبحان الذي سخر لنا هذا إلى آخره ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وجعلوا له من عباده جزءاً) أي نصيباً يعني حكموا بأن بعض عباده وهم الملائكة له أولاد ومعنى الجمل هنا الحكم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد والحسن قالوا زعموا ان الملائكة بنات الله قال الزجاج قد أنشد بعض أهل اللغة بيتاً يدل على ان معنى جزء معنى الإناث وهو

إن أجزاء حرة يوماً فلاعجب قد تجزى الحرة المذكار لحيانا

أي اثنت وقيل ان معناه وجعلوا لله من مال عباده نصيباً فيكون كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فحذف المضاف (إن الإنسان لكفور مبين) أي جاحد لنعم الله مظهر لكفوره غير مستتر به

قوله تعالى (١٦) أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبئيين (١٧) وإذا بشر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم (١٨) أو من بشوا في الحلية وهو في الخصام غير مبين (١٩) وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم

سَكَّتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاكُمْ مَا لَكُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ
إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ينشأ بضم اليا. وفتح النون ونشيد الشين والباقون ينشأ بفتح اليا وسكون
النون والتخفيف وقرأ أهل الكوفة وأبو عمر وعباد الرحمن والباقون عند الرحمن وقرأ أهل المدينة أشهدوا على
أفعلوا بضم الهمة وسكون الشين وقبلها همزة الاستفهام مفتوحة ثم تخفف الثانية من غير أن يدخل بينها
الفا وبعضهم يدخل بينها الفا وقرأ الباقون أشهدوا بفتح الالف والشين

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي يقال نشأت السحابة ونشأ الغلام فإذا نقل هذا الفعل بالهمزة كقوله ينشأ السحاب التقال
ثم أنشأناه خلقاً آخر تمدى إلى مفعول ومن قرأ ينشأ كان مثل فرح وافرح وغرم واغرم وموضع من نصب
على تقدير اتخذوا له من ينشأ في الحلية على وجه التقرير لهم بما افتروه كما قال تعالى أم له البنات ولكم البنون
وحجة من قرأ عباد الرحمن قوله بل عباد مكرمون وحجة من قرأ عند الرحمن قوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون وقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون وفي هذا دلالة على رفع المنزلة والتقريب
كما قال ولا الملائكة المقربون وليس من قرب المسافة وشهدت تستعمل على ضربين ﴿ احدهما ﴾ بمعنى
الحضور ﴿ والآخر ﴾ بمعنى العلم والذي بمعنى الحضور يتعدى إلى مفعول به يدل على ذلك قوله «ويوم
شهدناه نبياً وعامراً» تقديره شهدنا فيه سلباً ومن ذلك قوله

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة يد الدهر إلا جبرئيل أمامها

فهذا محذوف المفعول والتقدير فيه شهدنا المعركة فهذا الضرب إذا نقل بالهمزة تمدى إلى مفعولين
تقول شهد زيد المعركة وأشهدته إياها ومن ذلك قوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض وما شهدت
الذي بمعنى علمت فيستعمل على ضربين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون قسماً ﴿ والآخر ﴾ أن يكون غير قسم
فاستعلمهم إياه قسماً كاستعلمهم علم الله ويعلم الله قسماً تقول علم الله لأفعلن فيتلقاه ما يتلقى الأقسام
واتشد سيبويه

ولقد علمت لتأتين منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها

وحكي أن زفر كان يذهب إلى أنه إذا قال أشهد بالله كان يمينا وإن قال أشهد ولم يقل بالله لم يره يمينا وقال
محمد الشيباني أشهد غير موصولة بقوله بالله مثل أشهد موصولة بقولك بالله في أنه يمينا واستشهد على ذلك بقوله
قالوا نشهد أنك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فجعله يمينا ولم يوصل بقوله
بالله وما شهدت الذي يراد به علمت ولا يراد به حضرت فهو ضرب من العلم مخصوص بكل شهادة علم وليس
كل علم شهادة وما يدل على اختصاصه في العلم انه لو قال عند الحاكم اعلم ان لزيد على عمر وعشرة لم يحكم بها
حتى يقول أشهد فالشهادة مثل التيقن في أنه ضرب من العلم مخصوص وليس كل علم تيقنا وإن كان كل
تيقن علماً فكان معنى أشهد إياها الحاكم على كذا أعلمه علماً يحضرنى وقد تذل لي فلا أتوقف فيه لوضوحه عندي

وتبينه لي وليس كذلك سبيل المعلومات كلها ألا ترى ان منها ما يحتاج إلى توقف فيه واستدلال عليه وأما قوله أشهدوا خلقهم فمن الشهادة التي هي الحضور كأنهم وبخوا على ان قالوا ما لم يحضروه بما حكمه ان يعلم بالمشاهدة ومن قال أشهدوا خلقهم فالمعنى أحضروا ذلك وكان الفعل متعديا إلى مفعولين فلما بني للمفعول به نقص مفعولا فتعدى الفعل إلى مفعول واحد ويقوي هذه القراءة ما أشهدتهم خلق السموات والأرض وأما قوله اني أشهد الله وأشهدوا اني بريء فحذف المفعول الأول على حد ضربتي وضربت وهذا منقول من شهد بكذا الا ان حرف الجر يحذف مع ان وان

المعنى

ثم انكر سبحانه عليهم قولهم فقال (ام) وهذا استفهام انكار وتوبيخ ومعناه بل (اتخذ مما يخلق بنات) أي اتخذ ربكم لنفسه البنات (واصفاكم) أي اخلصكم (بالبنين) وهذا كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين الآية ثم زاد في الاحتجاج عليهم بأن قال (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أي بما جعل الله شهاً وذلك ان ولد كل شيء شبهه وجنسه فالمعنى إذا بشر أحدهم بولادة ابنة له (غل وجهه مسوداً) بما يلحقه من الغم بذلك (وهو كظلم) أي مملوء كرباً وغيظاً ثم وبخهم بما اقترؤه فقال (او من ينشؤا في الحلية) أي اوجعلوا من ينشؤا في الحلية أي في زينة النساء لله عز وجل يعني البنات (وهو في الخصام) يعني المخاصمة (غير مبين) للحجة قال قتادة قلنا تكلم امرأة بحجةها الا تكلمت بالحجة عليها اي لا يمكنها ان تبين الحجة عند الخصومة لضعفها وسفوها وقيل معناه او تعبدون من ينشؤا في الحلية ولا يمكنه ان ينطق بحجته ويعجز عن الجواب وهم الأصنام فإنهم كانوا يحلون بها الحلي عن ابن زيد وإنما قال وهو في الخصام ولم يقل وهي لأنه حمله على لفظ من (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) بأن زعموا انهم بنات الله (أشهدوا خلقهم) هذا رد عليهم اي أحضروا خلقهم حتى علموا انهم اناث وهذا كقوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون (ستكتب شهادتهم) بذلك (ويسألون) عنها يوم القيامة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أي لو شاء الرحمن ان لا نعبد ما عبدناهم فإنما عبدناهم بشيئة الله (ما لهم بذلك من علم) اي لا يعلمون صحة ما يقولون هذا اشارة إلى بطلان قولهم لما لم يصدر عن دليل وعلم (ان هم لا يخرون) اي ما هم إلا كاذبون قال ابو حامد كذبهم الله تعالى لأنهم انكروا التوحيد بإضافتهم الولد اليه سبحانه وفارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيئة الله تعالى

قوله تعالى (٢١) أم آتيناكم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون (٢٢) بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون (٢٣) وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قبيلة من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (٢٤) قال أولو جنتكم يا هدى مياماً وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون (٢٥) فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين خمس آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وحفص قال أولو وقرأ الباقون قل أولو وقرأ ابو جعفر جنتكم والباقيون جنتكم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ قال فالمعنى قال لهم النذير اولو جنتكم ومن قرأ قل فإنه يكون حكاية ما وحي الى النذير كأنه اوحينا اليه قلنا له قل لهم اولو جنتكم بأهدى من ذلك

﴿ المعنى ﴾

لما حكى سبحانه تخرص من اضاف عبادة الاصنام والملائكة الى مشيئة الله قال (ام آتيناكم كتابا) وهو استفهام بمعنى التقرير لهم على خطيئهم والتقدير أهذا الذي ذكروه شيئا تخرصوه وافتملوه أم آتيناكم كتابا (من قبله فهم به مستمسكون) اي مستمسكون بذلك فإذا لم يمكنهم ادعاء ان الله تعالى أنزل بذلك كتابا علم ان ذلك من تخرصهم ودل ام على حذف حرف الاستفهام لأن المعادلة له ثم اعلم انهم اتبعوا آباءهم في الضلالة فقال ليس الامر كذلك (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) اي على ملة وطريقه عن ابن عباس ومجاهد وقادة والسدي وقيل على جماعة اي كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه عن الجبائي (وانا على آثارهم مهتدون) نهدي بهداهم ثم قال سبحانه (وكذلك) اي ومثل ما قال هو لاء في الحوالة على تقليد آباءهم في الكفر (ما ارسلنا من قبلك) يا محمد (في قرية) ومجمع من الناس (من نذير) اي نذيراً لأن من زائدة (إلا قال مترفوها) وهم المتنعمون الذين آثروا الترفه على طلب الحجة يريد الروساء (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) نتقدي بهم فلا نخالفهم واحال جميعهم على التقليد للآباء فحسب دون الحجة والتقليد قبيح في العقول إذ لو كان جائزاً لكان يلزم في ذلك ان يكون الحق في الشيء ونقيضه فكل فريق يقلد اسلافه مع ان كلا منهم يعتقد ان من سواه على خطأ وضلال وهذا باطل لا شبهة في بطلانه فإذا لا بد من الرجوع الى حجة عقلية او سمعية ثم قال سبحانه للنذير (قل) لهم (اولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) تبعون ما وجدتم عليه آباءكم ولا تقبلون ما جنتكم به وفي هذا حسن التلطف في الاستدعاء الى الحق وهو انه لو كان ما يدعونه حقاً وهدى وكان ما جنتكم به من الحق اهدى منه كان اوجب ان يتبع ويرجع اليه ثم اخبر انهم ابوا ان يقبلوا ذلك (وقالوا إنا بما ارسلتم به) ايها الرسل (كافرون) ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم فقال (فانتقمنا منهم) بأن اهلكناهم وعجلنا عقوبتهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) لأنبياء الله والجاحدين لهم وفي هذا إشارة الى ان العاقبة المحمودة تكون لأهل الحق والمصدقين لرسول الله

قوله تعالى (٢٦) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٧) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٨) وَجَمَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ (٢٩) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ خمس آيات

﴿ اللفظة ﴾

قول العرب انا براء منك ونحن براء منك الذكر والاثني والاثنان والجماعة فيه سواء والمعنى انا ذويرا منك كما قالوا رجل عدل وقوم عدل أي ذو عدل وذوو عدل

﴿ المعنى ﴾

(واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه) حين رأهم يعبدون الأصنام والكواكب (انني براءة أبيه بري) (بما تعبدون) ثم استثنى خالقه من جملة ما كانوا يعبدونه فقال (إلا الذي فطرني) أي سوى الله الذي خلقني وابتدأني وتقديره إلا من الذي فطرني قال قتادة كانوا يقولون الله ربنا مع عبادتهم الأوثان (فإنه سيهدين) إلى طريق الجنة بلطف من الطائفه وقبل سيهدين إلى الحق بما نصب لي من الأدلة وفيه بيان ثقتي بالله تعالى ودعاء لقومه إلى ان يطلبوا الهداية من عنده (وجعلها كلمة باقية في عقبه) أي جعل كلمة توحيد وهي قول لا إله إلا الله كلمة باقية في ذرية ابراهيم ونسله فلم يزل فيهم من يقولها عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل جعل هذه الكلمة التي قالها ابراهيم وهو براءة من الشرك باقية في ولده من بعده وقيل الكلمة الباقية في عقبه هي الإمامة إلى يوم الدين عن ابي عبد الله (ع) واختلف في عقبه من هم قبيل ذريته وولده عن ابن عباس ومجاهد وقيل ولده إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل هم آل محمد عن السدي (لعلهم يرجعون) أي لعلهم يتوبون ويرجعون عما هم عليه إلى الاقتداء بأبيهم ابراهيم في توحيد الله تعالى كما اقتدى الكفار بأبائهم عن الفراء والحسن وقيل لعلهم يرجعون عما هم عليه إلى عبادة الله تعالى ثم ذكر سبحانه نعمة على قريش فقال (بل تمتع هؤلاء وأبائهم) المشركين بأنفسهم وأموالهم وأنواع النعم ولم أعاجلهم بالعقوبة لكفرهم (حتى جاءهم الحق) أي القرآن عن السدي وقيل الآيات الدالة على الصدق (ورسول مبين) بين الحق ويظهره وهو محمد ﷺ (ولما جاءهم الحق) أي القرآن (قالوا هذا سحر) أي حيلة خفية وتمويه (وانا به كافرون) جاحدون لكونه من قبل الله تعالى

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قصة ابراهيم (ع) بما قبلها انه سبحانه لما ذم التقليد وأوجب اتباع الحق والدليل اتبعه بذكر ابراهيم الخليل حيث اتبع الحجة وأوضح المحجة وقيل انه سبحانه لما ذم التقليد وذكر أن الكفار ابوا إلا ذلك ذكر ان تقليد ابراهيم اولى لأنهم من اولاده وذريته ويدعون انهم على طريقته وإنما اتصل قوله بل تمتع هؤلاء وأبائهم بما تقدمه من ذكر اعراضهم عن الحجة وتعويلهم على التقليد فيمن سبحانه انهم اتوا من قبل نفوسهم فقد ازبحت علمهم بأن امهلوا وتمتوا ثم جاءهم الحق فلم يؤمنوا

قوله تعالى (٣١) وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣٢) أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَئِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٣) وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُؤْسِهِمْ سَفْتًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٤) وَلِبُؤْسِهِمْ أَبُو آبَا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٥) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر سقفا بفتح السين والباقون سقفا بضم السين والقاف وقرأ عاصم وحمزة وان كل ذلك لما يشهد الميم والباقون لما خفيفة الميم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي سقف جمع سقف مثل رهن ورهن ويخفف فيقال رهن وفعل في الجمع يخفف وسقف واحد يدل على الجمع الا ترى انه علم بقوله لبيوتهم ان لكل بيت سقفا ومن شدد لما كانت ان عنده بمنزلة ما النافية فالمعنى ما كل ذلك الامناع الحياة الدنيا ولما في معنى إلا حكى سيويه نشدتك الله لما فعلت وحمله على إلا وهذه الآية تدل على فساد قول من قال ان قوله وان كل لما جميع لدينا محضرون ان المعنى لمن هو جميع لدينا حاضران وزعموا ان في حرف ابي وما ذلك إلا امتاع الحياة الدنيا ومن قرأ لما بالتخفيف فإن ان في قوله وان كل هي المخففة من الثقلية واللام فيها هي التي تدخل لتفصل بين النفي والايجاب في قوله «هبتك امك ان قتلت لفارسا» ومن نصب بها مخففة فقال ان زيدا لمنطلق استغنى عن هذه اللام لأن النافية لا يتصعب بعدها اسم فلا يقع الابس وما فيه زيادة والمعنى وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا

﴿ اللمنة ﴾

المارج الدرج واحدها معرج والعروج الصعود وظهر عليه إذا علاه وصعدته قال النابغة الجعدي

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لترجو فوق ذلك مظهرا

والسرر جمع سرير ويجمع على اسرة ايضا والزخرف كمال حسن الشيء ومنه قيل للذهب زخرف ويقال زخرفه زخرفة إذا حسنه وزينه ومنه قيل للنعوش والنصاوير زخرف وفي الحديث انه ^{صلى الله عليه وسلم} لم يدخل الكعبة حتى امر بالزخرف فنحي

﴿ المعنى ﴾

(وقالوا) اي وقال هؤلاء الكفار (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعنون بالقريتين مكة والطائف وتقدير الآية على رجل عظيم من القريتين اي من احدى القريتين فحذف المضاف ويعنون بالرجل العظيم من احدى القريتين الوليد بن المغيرة من مكة وابا مسعود عروة بن مسعود الثقفي من الطائف عن قتادة وقيل عتبة ابن ابي ربيعة من مكة وابن عبد ياليل من الطائف عن مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة من مكة وحبيب بن عمر الثقفي من الطائف عن ابن عباس وإنما قالوا ذلك لأن الرجلين كانا عظيمي قومها وذوي الأموال الجسيمة فيها فدخلت الشبهة عليهم حتى اعتقدوا ان من كان كذلك كان اولى بالنبوة فقال سبحانه ردا عليهم (أهم قسمون رحمة ربك) يعني النبوة بين الخلق بين سبحانه انه هو الذي يقسم النبوة لا غيره والمعنى ابايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا عن مقاتل ثم قال سبحانه (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) اي نحن قسمنا الرزق في المعيشة علي حسب ما علمناه من مصالح عبادنا فليس لأحد ان يتحكم في شيء من ذلك فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق فكذلك اصطفينا للرسالة من نشاء وقوله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) معناه افقرنا البعض واغنيا البعض فتلقى ضعيف الحياة عبي اللسان وهو مبسوط له وتلقى شديد الحياة بسيط اللسان وهو مقتر عليه ولم نفوض ذلك اليهم مع قلة خطره بل جعلناه

على ما توجه الحكمة والمصلحة فكيف نفوض اختيار النبوة اليهم مع عظم محلها وشرف قدرها وقوله (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) معناه ان الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة ان في ذلك تسخيرا من بعض العباد لبعض باحواجم اليهم يستخدم بعضهم بعضا فيتفتح احدهم بعمل الآخر فيتظلم بذلك قوام امر العالم وقيل معناه ليملك بعضهم بعضا بما لهم فيتخذونهم صيدا وبما لك عن قتادة والضحاك (ورحمة ربك خير مما يجمعون) اي ورحمة الله سبحانه ونعمته من الثواب والجنة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا وقيل معناه والنبوة لك من ربك خير مما يجمعونه من الأموال عن ابن عباس ثم اخبر سبحانه عن هوان الدنيا عليه وقلة مقدارها عنده فقال (ولولا أن يكون الناس امة واحدة) اي لولا ان يجتمع الناس على الكفر فيكونوا كلهم كفارا على دين واحد ليلهم إلى الدنيا وحرصهم عليها عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وقيل معناه ولولا أن يجتمع الناس على اختيار الدنيا على الدين عن ابن زيد (جعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) قوله لبيوتهم بدل من قوله لمن يكفر والمعنى جعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن سقفا من فضة فالسقف إذا كان من فضة فالحيطان من فضة وقيل ان اللام الثانية بمعنى على فكأنه قال جعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم سقفا من فضة وقال مجاهد ما يكون من السماء فهو سقف بالفتح وما يكون من البيت فهو سقف بضم السين ومنه قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا (ومعارج عليها يظهرون) أي وجعلنا درجا وسلايم من فضة لتلك السقف عليها يعلون ويصعدون (وليبيوتهم أبوابا وسرورا) أي وجعلنا لبيوتهم أبوابا وسرورا من فضة (عليها) اي على تلك السرر (يتكثرون وزخرفا) اي ذهابا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وهو منصوب بفعل مضمر أي وجعلنا لهم مع ذلك ذهابا وقيل الزخرف النقوش عن الحسن وقيل هو الفرش ومتاع البيت عن ابن زيد والمنى لا أعطي الكافر في الدنيا غاية ما يشناه فيها لقلتها وحقاتها عنده ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك لما فيه من المفسدة ثم اخبر سبحانه ان جميع ذلك إنما يتمتع به في الدنيا فقال (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) وقد مر بيانه (والآخر) اي الجنة الباقية (عند ربك للمتقين) خاصة لم قال الحسن والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما نزل سبحانه ذلك فكيف لوفله وفي هذه الآية دلالة على اللطف وانه تعالى لا يفعل المفسدة وما يدعو إلى الكفر وإذا لم يفعل ما يؤدي إلى الكفر فلأن لا يفعل الكفر ولا يريد أولي

قوله تعالى (٣٦) وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٧) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٨) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٩) وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٤٠) أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ خَمْسَ آيَاتٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم في رواية حماد ويعقوب يقبض بالياء والباقون تقبض بالنون وقرأ أهل العراق غير أبي بكر حتى إذا جاءنا على الواحد والباقون جاءنا على الاثنين

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يقبض بالياء فالضمير يعود إلى الرحمن ومن قرأ بالنون فالمعنى على ذلك لكنه سبحانه اخبر عن نفسه بنون العظمة ومن قرأ جاءنا على التثنية فهو الكافر وقرينه ومن قرأ جاءنا فهو الكافر لأنه افرده بالخطاب في الدنيا وأقيمت عليه الحجة بل نفاذ الرسول اليه فاجتزى بالواحد من الاثنين كما قال ليذنب في الخطمة والمراد ليذنب هو وماله

﴿ اللغة ﴾

المش أصله النظر يبصر ضعيف يقال عشي بعشو عشواً وعشوا إذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأن عليها فشاوة وقال الامشي

متى تأتته تعشوا إلى ضوء ناره * تجدد خير نار عندها خير موقد

وإذا ذهب البصر قيل عشي بعشي مشا والرجل أعشى وقرأ في الشواذ ومن يعش بفتح الشين ومعناه يعسى ويقال مشى إلى النار إذا أتاها وقصد لها ومشى عنها إذا عرض عنها قاصدا لغيرها كقولهم مال اليه ومال عنه والتقيض الإيتماع - الأزهر يقيض الله فلانا فلان جاء به

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الوعد للمتقين عقبه بذكر الوعيد لمن هو على ضد صفتهم فقال (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أي يعرض عنه عن قتادة والسدي وقيل معناه ومن يعم عنه عن ابن عباس وابن زيد قال الجبائي شبههم بالاعمى لما لم يبصروا الحق والذكر هو القرآن وقيل هو الآيات والأدلة (تقيض له شيطاناً فهو له قرين) أي نخل بينه وبين الشيطان الذي يغويه ويدعوه إلى الضلالة فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله عن الحسن وابن مسعود قال الحسن وهو الخذلان عقوبة له عن الاعراض حين علم انه لا يفلح وقيل معناه تقرر به شيطاناً في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار كما ان المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة عن قتادة وقيل أراد به شياطين الانس نحو علماء سوء ورؤساء الضلالة يصدونهم عن سبيل الله فيتبعونهم (وانهم) يعني وان الشياطين وإنما جمع لأن قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد (ليصدونهم) أي بصرفون هؤلاء الكفار (عن السبيل) أي عن طريق الجنة (ويحسبون انهم مهتدون) أي ويحسب الكفار انهم على الهدى فيتبعونهم (حتى إذا جاءنا) من قرأ على التثنية فالمعنى جاءنا الشيطان ومن اغواه يوم القيامة الذي يتولى سبحانه حساب الخلق فيه ومن قرأ على التوحيد فالمعنى حتى إذا جاءنا الكافر وعلم ما يستحقه من العقاب (قال) سيف ذلك الوقت لقرينه الذي اغواه (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) يعني المشرق والمغرب فطلب أحدهما كما قال الشاعر

أخذنا بأفاق السماء عليكم لنا قمرها والنجوم الطوالع

يعني الشمس والقمر وقيل يعني محمداً ﷺ و(إبراهيم) (ع) وقيل أراد بالشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف كما في قوله رب المشرقين والمراد يا ليت بيني وبينك هذا البعد مسافة فلم أرك ولا اعتررت بك (فبئس القرين) كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين انت لي اليوم فانما يكونان مشدودين في سلسلة واحدة زيادة عقوبة وغم عن ابن عباس ويقول الله سبحانه في ذلك اليوم للكفار (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون) أي لا يخفف الاشتراك عنكم شيئاً من العذاب لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقيل معناه انه لا تسلي لهم عمام فيه بما يرونه يفرحون من العذاب لأنه قد تسلى الانسان عن الجنة إذا رأى ان عدوه في مثلها ثم قال لبيبة ﷺ (أفأنت تسمع الصم او تهدي العمي) شبه

الكفار في عدم انتفاعهم بما يسمعونه ويرونه بالصم والعمى (ومن كان في ضلال مبين) أي يتن ظاهر مضاف
 معناه فلا يضيق صدرك فإنك لا تقدر على إكراههم على الإيمان
 قوله تعالى (٤١) فَأَمَّا نَذْهَبِينَ بِكَ فَأَمَّا نَذْهَبِينَ مِنْهُنَّ مُتَّقِمُونَ (٤٢) أَوْ نُرَبِّنَكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ
 فَأَمَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٣) فَاسْتَمِعْ بِالَّذِي أَوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 (٤٤) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ (٤٥) وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
 رُسُلِنَا أَجْمَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ خمس آيات

﴿ الإعراب ﴾

لما دخل ما على حرف الشرط اشبه القسم في التأكيذ والإيذان بطلب التصديق فدخلت النون في
 الكلام لذلك لأن النون يلزم في جواب القسم ولا يلزم في الجزاء لأنه مشبه به

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (فأما نذھبن بك فأما نذھبن) أي فأما نذھبنك فأما نذھبنك
 متتقون من أمتك بعدك (أو نربنك الذي وعدناهم) معناه أو نربنك ونربنك في حياتك ما وعدناهم من
 العذاب (فأما عليهم مقتدرون) أي قادرون على الانتقام منهم وعقوبتهم في حياتك وبعد وفاتك قال الحسن
 وقادة إن الله أكرم نبيه ﷺ بأن لم يره تلك النعمة ولم ير في أمته إلا ما قرت به عينه وقد كان بعده
 قمة شديدة وقد روي أنه ﷺ أرى ما تلقى أمته بعده فما زال منقبضا ولم ينسط ضاحكا حتى لقي الله
 تعالى وروى جابر بن عبد الله الأنصاري قال اني لأدناهم من رسول الله ﷺ في حجة الوداع بني حتى
 قال لا أفينكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لعرفتني في الكتيبة
 التي تضاربكم ثم التفت إلى خلفه فقال أو علي أو علي ثلاث مرات فرأينا أن جبرائيل غمزه فأزل الله على
 أثر ذلك فأما نذھبن بك فأما نذھبنك من متتقون بعلي بن أبي طالب (ع) وقيل إن النبي ﷺ أرى الانتقام
 منهم وهو ما كان من نعمة الله من المشركين يوم بدر بعد أن أخرجوه من مكة فقد أمر منهم وقتل مع
 قلة أصحابه وضمف منهم وكثرة الكفار وشدة شوكتهم ثم أمره سبحانه بالتمسك بالقرآن فقال (فاستمسك
 بالذي أوحى إليك) من القرآن بأن تلوه حتى تلاوته وتابع أوامره وتنتهي عما نهى فيه عنه (أنك على
 صراط مستقيم) أي على دين حق وصواب وهو دين الإسلام (وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) أي وإن القرآن
 الذي أوحى إليك لشرف لك ولقومك من قريش عن ابن عباس والسدي وقيل لقومك أي للعرب لأن
 القرآن نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون الشرف لقريش أكثر من غيرهم
 ثم لبني هاشم أكثر مما يكون لقريش (وسوف تسئلون) عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف عن الكافي
 والزجاج وغيرها وقيل تسئلون عن القرآن وما يلزمكم من القيام بحقه (واسئل من أرسلنا من قبلك من
 رسلنا) معناه سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلنا اليهم الرسل هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو
 قول أكثر المفسرين والتقدير سل أمم من أرسلنا أو اتباع من أرسلنا فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه
 وقيل إن المراد سل أهل الكتابين التوراة والإنجيل وإن كانوا كفارا فإن الحجية تقوم بتواتر خبرهم

والخطاب وان توجه إلى النبي ﷺ فالمراد به الأمة أي سلو من ذكرنا (أجعلنا من دون الرحمن آله يبدون) أي هل جعلنا فيما مضى معبودا سوى الله يعبدوه قوم فلأنهم يقولون أنا لم نأمرهم بذلك ولا تعبدناهم وقيل معناه وسل الأنبياء وهم الذين جمعوا له ليلة الأسرى وكانوا تسعين نبيا منهم موسى وعيسى ولم يسألهم ﷺ لأنهم كان اعلم بالله منهم عن الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد

قوله تعالى (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذْ هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٨) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٩) وَقَالُوا يَا آيَةُ السَّاحِرِ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ (٥٠) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُشُونَ (٥١) وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥٢) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَسْكَاذُ بِيُنُ (٥٣) فَلَوْلَا أَلْقِيَا عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٤) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ عشر آيات حجازي بصري نسع عند غيرهم

القراءة

قرأ حفص ويعقوب وسهل أسورة والباقرن اسورة

الحجة

الاسورة جمع سوار مثل سقاء واسقية وخوان واخونة ومن قرأ اسورة جملة جمع اسوار فيكون الهاه عوضا عن اليا التي كانت ينبغي أن تلتحق في جمع اسوار على حد اعصار واعاصير ويموز في اسورة ان يكون جمع اسورة فيكون مثل اسقية واساق ولحق الهاه كما لحق في قشع وقشاعة

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي بالحجج الباهرة والمعجزات القاهرة (إلى فرعون وملئه) أي اشراف قومه وخص الملا بالذكر وان كان أيضا مرسل إلى غيرهم لأن من عدم تبع لهم (فقال) موسى (إني رسول رب العالمين) أرسلني اليكم (فلما جاءهم بآياتنا) أي فلما أظهر المعجزات التي هي اليد البيضاء والمصا (إذا هم منها يضحكون) استهزاء واستخفافا وجهلا منهم بما عليهم من ترك النظر فيها وبما لهم من النفع بمحصل العلم بها (وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها) المراد بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وكانت كل آية من هذه الآيات أكبر من التي قبلها وهي العذاب المذكور في قوله (وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) لأنهم عذبوا بهذه الآيات وكانت عذابا لهم ومعجزات لموسى (ع) فغلب عليهم الشقاء ولم يؤمنوا (وقالوا يا آيه الساحر) يعنون بذلك يا أيها العالم وكان الساحر عندهم عظيما يعظمونه ولم يكن صفة ذم عن الكلبي والجبائي وقيل إنما قالوا استهزاء بموسى (ع) عن الحسن وقيل معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره تقول العرب

خاصته فخصته وحاجته فحجته فكذلك ساحرته وأرادوا أنه غالب السحرة فغلبهم بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما زعمت أنه عهد عندك وهو أنه ضمن لنا أن إذا آمننا بك ان يكشف العذاب عنا (إننا لمهتدون) أي راجعون إلى الحق الذي تدعوننا إليه متى كشف عنا العذاب وفي الكلام حذف لأن التقدير فدعا موسى وسأل ربه ان يكشف عنهم ذلك العذاب فكشف الله عنهم ذلك (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) أي يندرون وينقضون العهد وفي هذا تسلية للنبي ﷺ والمعنى فاصبر يا محمد على اذى قومك فإن حالك معهم كحال موسى مع قومه فيقول أمرك إلى الاستعلاء على قومك كما آل أمره إلى ذلك (ونادى فرعون في قومه) معناه انه لما رأى أمر موسى يزيد على الأيام ظهورا واعتلاء خاف على مملكته فأظهر الجداع فخطب الناس بعد ما اجتمعوا (وقال يا قوم أليس لي ملك مصر) انصرف فيها كما أشاء أراد بذلك اظهار بسطته في الملك والمال (وهذه الانهار) مثل النيل وغيرها (تجري من تحتي) أي من تحت امري وقبل انها كانت تجري تحت قصره وهو مشرف عليها (أفلا تبصرون) هذا الملك العظيم وقوتي وضعف موسى (أم انا خير من هذا الذي هو مهين) أي ضعيف حقير يعني به موسى قال سيويوه والخليل عطف انا بأم على قوله أفلا تبصرون لأن معنى أم انا خير معنى ام تبصرون فكأنه قال أفلا تبصرون ام تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير منه قد صاروا بصراء عنده وقبل المهين الفقير الذي يهين نفسه في جميع ما يحتاج إليه ليس له من يكفيه أمره (ولا يكاد يبين) أي ولا يكاد يفصح بكلامه وحججه للعقدة التي في لسانه وقال الحسن كانت العقدة زالت عن لسانه حين أرسله الله كما قال مخبرا عن نفسه واحلل عقدة من لساني ثم قال قد أوتيت سؤلك يا موسى وإنما عبر بما كان في لسانه قبل وقبل كان في لسانه لثمة فرضه الله تعالى وبقي فيه ثقل عن الجبائي (فلولا التي عليه اسورة من ذهب) أي هلا طرح عليه اسورة من ذهب ان كان صادقا في نبوته وكان إذا سود وار جلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب (او جاء معه الملائكة مقترنين) متتابعين يعينون على أمره الذي بعث له ويشهدون له بصدقه وقيل متماضدين متناصرين كل واحد منهم يمالئ صاحبه (فاستخف قومه) ومعناه ان فرعون استخف عقول قومه (فأطاعوه) فيما دعاهم إليه لأنه احتج عليهم بما ليس بسدليل وهو قوله أليس لي ملك مصر الى آخره ولو عقلوا لقالوا ليس في ملك الإنسان دلالة على انه محق وليس يجب ان يأتي مع الرسل ملائكة لأن الذي يدل على صدق الرسل هو المعجز دون غيره (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله تعالى

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قصة موسى (ع) بما قبلها انه لما تقدم السؤال عن احوال الرسل وما جاؤا به اتصل به حديث موسى وعيسى (ع) لأن اهل الكتابين اليها ينسبون وقيل انه لما تقدم ذكر محمد ﷺ وتكذيب قومه إياه ذكر حديث موسى تسلية له وتطيبا لقلبه ﷺ

قوله تعالى (٥٥) فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فَأَغَرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٦) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ (٥٧) وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٨) وَقَالُوا آلِهَتُنَا

خَيْرُ أُمَّ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٩) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ
وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٦٠) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ
ست آيات

❖ القراءة ❖

قرأ حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام وقرأ الباقون بفتحها وقرأ أهل المدينة وابن عامر والاعشى
والبرجي والكسائي وخلف يصدون بضم الصاد والباقون بكسر الصاد

❖ الحجة ❖

من قرأ سلفا جاز أن يكون جمعا لسلف مثل أسد وأسد ووثن ووثن ومن قرأ سلفا فلأن فعلا قد جاء
في حروف يراد بها الكثرة فكأنه اسم من اسماء الجمع قالوا خادم وخدم وطالب وطلب وحارس وحرس
وكذلك المثل واحد يراد به الجمع ولذلك عطف على سلف في قوله فجعلناهم سلفا ومثلا ومعنى يصدون
ويصدون جميعا يضجون عن ابي عبيدة قال والكسر اجود ويقال صد عن كذا فيوصل بين كما قال الشاعر

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمين

وصدوا عن سبيل الله فمن ذهب في يصدون إلى معنى يصدون كان المعنى إذا قومك منه اي من
أجل المثل يصدون ولم يوصل يصدون وعن ومن قال يصدون يضجون جملا من متصلة يضح كما تقول
يضج من كذا وقال بعض المفسرين معنى يصدون يضجون والمعنى انه لما نزل انكم وما تبدون من دون الله
حصب جهنم الآية لأنها اتخذت آلهة وعبدت فبسي في حكمهم قال ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك
في هذا الذي قالوه منه يضحكون لما أتوا به من عندهم من تسويتهم بين عيسى وبين آلهتهم وما ضربوه إلا
إرادة للمجادلة لأنهم قد علموا ان المراد بحصب جهنم ما اتخذوا من الموات

❖ اللفظة ❖

يقال أسفه فأسف بأسف أسفا اي اغضبه فغضب واحزنه فحزن ويقال الاسف النفيظ من المنعم إلا انه
ها هنا بمعنى الغضب والسلف المتقدم على غيره قبل مجيء وقته ومنه السلف في البيع والسلف تقيض الخلف
والجدل مقابلة الحجة بالحجة وقيل الجدل اللد في الخصام واصله من جدل الحبل وهو شدة قتله ورجل مجدول
الخلق اي شديده وقيل اصله من الجدالة وهي الارض كأن كل واحد من الخصمين يروم القاء صاحبه على الجدالة

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه عن انتقامه من فرعون وقومه فقال (فلما سفونا) اي اغضبونا عن ابن عباس ومجاهد
وغضب الله سبحانه على العصاة ارادة عقوبتهم ورضاه عن المطيعين ارادة ثوابهم الذي يستحقونه على طاعتهم
وقيل معناه اسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله سبحانه (انتقمنا منهم) اي انتقمنا لا وليانا
منهم (فأغرقتناهم اجمعين ما تباعثهم احد) (فجعلناهم سلفا) اي متقدمين إلى النار (ومثلا) اي عبرة وموعظة
(للآخرين) اي لمن جاء بعدهم ينظرون بهم والمعنى ان حال غيرهم يشبه حالهم إذا أقاموا على العصيان
(ولما ضرب ابن مريم مثلا) (اختلف في المراد به على وجوه) ❖ احدها ❖ ان معناه ولما وصف ابن مريم شيئا

في العذاب بالآلهة اي فيما قالوه على زعمهم وذلك انه لما نزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون قد رضينا بأن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى وذلك قوله (إذا قومك منه يصدون) اي يصدون ضجيج المجادلة حيث خاصموك وهو قوله (وقالوا آلهتنا خير أم هو) اي ليست آلهتنا خيرا من عيسى فإن كان عيسى في النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا عن ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما وثانيها رضي الله عنهما ان معناه لما ضرب الله المسيح مثلا بآدم في قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب اي من قدر على ان ينشئ آدم من غير أب وأم قادر على انشاء المسيح من غير أب اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قوم من كفار قريش فنزلت هذه الآية رضي الله عنهما وثالثها رضي الله عنهما ان معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مدح المسيح وأمه وانه كآدم في الخاصة قالوا ان محمدا يريد ان نعبد كما عبدت النصراني عيسى عن قتادة رضي الله عنهما ورواه سادة اهل البيت عن علي عليه افضل الصلوات انه قال جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته في ملا من قريش فنظر إلي ثم قال يا علي إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم احبه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا وابغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا واقتصد فيه قوم فنجوا فعظم ذلك عليهم فضحكوا وقالوا يشبهه بالانبياء والرسل فنزلت الآية وقالوا آلهتنا خير أم هو اي آلهتنا أفضل ام المسيح فإذا كان المسيح في النار رضينا ان تكون آلهتنا معه عن السدي وابن زيد وقيل معناه ان آلهتنا خير من المسيح فإذا عبد المسيح جاز ان تعبد آلهتنا عن الجبائي وقيل هو كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى آلهتنا خير من محمد صلى الله عليه وسلم وهو يأمرنا بأن نعبد كما عبد النصراني المسيح ونطيعه ونترك آلهتنا عن قتادة وقال علي بن عيسى معنى سواهم بقولهم أآلهتنا خير أم هو انهم الزموا ما لا يلزم على ظن منهم وتوهم كأنهم قالوا ومثلنا فيما نعبد مثل ما يعبد المسيح فأيا خير عبادة آلهتنا ام عبادة المسيح على انه ان قال عبادة المسيح أقر بعبادة غير الله وكذلك ان قال عبادة الاوثان وان قال ليس في عبادة المسيح خير قصره عن المنزلة التي أدين لأجلها من سائر العباد وجوابهم عن ذلك ان اختصاص المسيح بضرب من التشريف والانتعام عليه لا يوجب العبادة له كما لا يوجب ان ينعم عليه بأعلى مراتب النعمة (ما ضربه لك إلا جدلا) اي ما ضربوا هذا المثل لك إلا ليجادلوا به ويخاصموك ويدفعوك به عن الحق لأن المتجادلين لا بد ان يكون احدهما مبطلا بخلاف المتناظرين لأن المناظرة قد تكون بين المحقيق (بل هم قوم خصمون) اي جدلون في دفع الحق بالباطل ثم وصف سبحانه المسيح فقال (ان هو إلا عبد انعمنا عليه) اي ما هو إلا عبد انعمنا عليه بالخلق من غير اب وبالنبوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) اي آية لهم ودلالة يعرفون بها قدرة الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير أب فهو مثل لهم يشبهون به ما يرون من اعاجيب صنع الله ثم قال سبحانه دالا على كمال قدرته وعلى انه لا يفعل إلا الاصلح (ولو نشاء لجعنا منكم) اي بدلا منكم معاشر بني آدم (ملائكة في الارض يخلفون) بني آدم اي يكونون خلفاء منهم والمعنى لو نشاء اهلكتنا كم وجعلنا الملائكة بدلهم سكان الأرض يعمرونها ويبعدون الله ومثل قوله منكم في الآية ما في قول الشاعر

فليت لنا من ما زرم شربة مبردة باتت على الطهيان

وقيل معناه ولو نشاء لجعلنا كم أيها البشر ملائكة فيكون من باب التجريد وفيه إشارة إلى قدرته على

تغيير بنية البشر الى بنية الملائكة يخلفون اي يخلف بعضهم بعضا

قوله تعالى (٦١) وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ السَّاعَةَ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٢)
وَلَا يَصُدُّنَكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٣) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ
بِالْحِكْمَةِ وَبِالْبَيِّنَاتِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٦٤) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي
وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٥) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَوْمِ (خمس آيات)

﴿ القراة ﴾

في الشواذ قراة ابن عباس وقادة والضحاك وانه لعلم بفتح العين واللام اي امارة وعلامة

﴿ المعنى ﴾

ثم رجع سبحانه الى ذكر عيسى (ع) فقال (وانه لعلم للساعة) يعني ان نزول عيسى (ع) من اشراط
الساعة يعلم بها قربها (فلا تمترن بها) اي بالساعة فلا تكذبوا بها ولا تشكوا فيها عن ابن عباس وقادة ومجاهد
والضحاك والسدي وقال ابن جريج اخبرني ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي ﷺ
يقول ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمه
من الله لهذه الأمة اورده مسلم في الصحيح وفي حديث آخر كيف انتم إذا نزل فيكم ابن مريم وامامكم
منكم وقيل ان الهاء في قوله وانه يعود إلى القرآن ومعناه ان القرآن دلالة على قيام الساعة والبعث يعلم به
ذلك عن الحسن وقيل معناه ان القرآن لدليل الساعة لانه آخر الكتب انزل على آخر الأنبياء عن ابي مسلم
وقوله (واتبعون هذا صراط مستقيم) معناه واتبعوني فيما أمركم به هذا الذي انا عليه طريق واضح قيم (ولا
يصدنكم الشيطان) اي ولا يصدنكم الشيطان بوساوسه عن دين الله (انه لكم عدو مبين) بين العداوة
يدعوكم إلى الضلال الذي هو سبب هلاككم ثم اخبر سبحانه عن حال عيسى (ع) حين بعثه الله نبيا
فقال (ولما جاء عيسى بالبينات) اي بالمعجزات الدالة على نبوته وقيل بالانجيل عن قتادة (قال) لهم (قد
جئتم بالحكمة) اي بالنبوة عن عطاء وقيل بالعلم بالتوحيد والعدل والشرائع (ولا بين لكم بعض الذي
تختلفون فيه) قيل ان المعنى كل الذي تختلفون فيه كقول لبيد « او يخترم بعض النفوس حمامها » اي كل
النفوس وقول القطامي

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

اي كل حاجته عن ابي عبيدة قال الزجاج والصحيح ان البعض لا يكون في معنى الكل والذي جاء
به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقول الشاعر
« او يخترم بعض النفوس حمامها » انما يعني نفسه وقيل معناه لا بين لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون
أمور الدنيا (فاتقوا الله) بأن تحببوا معاصيه وتعملوا بالطاعات (واطيعون) فيما ادعوكم اليه (ان الله
هو ربي وربكم الذي) تحق له العبادة (فاعبدوه) خالصا ولا تشركوا به شيئا (هذا صراط مستقيم) يفضي
بكم إلى الجنة وثواب الله (فاختلف الاحزاب من بينهم) يعني اليهود والنصارى اختلفوا في أمر عيسى
(فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) قد مر تفسير الآية في سورة صريم

قوله تعالى (٦٦) هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٦٧)
 الأخرى يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (٦٨) يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم
 تحزنون (٦٩) الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين (٧٠) أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم
 تحبرون (٧١) بطأف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذذ
 الأعين وأنتم فيها خالدون (٧٢) وتلك الجنة التي أوردتها بما كنتم تعملون (٧٣) لكم
 فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون (٧٤) إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون (٧٥)
 لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون عشر آيات

✽ التراءة ✽

قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص ما تشبهه الأنف بزيادة الماء والباقون نشهوا النفس بحذف الماء.

✽ الحجة ✽

قال أبو علي حذف هذه الماء من الصلة في الحسن كإثباتها إلا أن الحذف يرجع على الإثبات بأن عامة
 هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف نحو قوله اهنا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى
 ويقوي الحذف من جهة القياس انه اسم قذطل والاسماء إذا طالت قد يحذف منها كما يحذف في اشهباب
 واحمرار وكما حذفوا من كينونة فكما الزموا الحذف لهذا كذلك حسن ان تحذف الماء من الصلة

✽ اللفظة ✽

الجور السرور الذي يظهر في الوجه أثره وحبرته أي حسنته والحر الأثر والصحاف جمع صحيفة وهي
 الجام الذي يؤكل فيه الطعام والاكواب جمع كوب وهي انا على صورة الأبريق لا أذن له ولا خرطوم
 وقبل انه كالكأس للشراب قال الأعشى

صريفية طيب طعمها لها زبد بين كوب وذن

✽ المعنى ✽

قال سبحانه موبخا لهم (هل ينظرون) أي هل ينتظر هؤلاء الكفار بعد ورود الرسل والقرآن (إلا
 الساعة) أي القيامة (ان تأتيهم بغتة) أي فجأة (وهم لا يشعرون) أي لا يدرون وقت مجيئها (الأخرى)
 يومئذ بعضهم لبعض عدو) ومعناه ان الذين تخالوا وتواصلوا في الدنيا يكون بعضهم اعداء لبعض ذلك اليوم
 يعني يوم القيامة وهم الذين نخالوا على الكفار والمعصية ومخالفة النبي ﷺ لما يرى كل واحد منهم
 من العذاب بسبب تلك المصادفة ثم استثنى من جملة الأخرى المتقين فقال (إلا المتقين) من المؤمنين الموحدين الذين
 خال بعضهم بعضا على الأيمان والتقوى فإن تلك الخلة تنأ كديينهم يوم القيامة ولا تنقلب عداوة (باعداد لا خوف
 عليكم اليوم) أي يقال لهم وقت الخوف يا عباد لا خوف عليكم من العذاب اليوم (ولا أنتم تحزنون) من
 فوت الثواب ثم وصف سبحانه عباده ومبزمهم من غيرهم فقال (الذين آمنوا بآياتنا) أي صدقوا بحججنا ودلائلنا
 واتبعوها (وكانوا مسلمين) أي مستسلمين لا مرنا خاضعين منقادين والذين آمنوا في محل النصب على البذل

من عبادي والصفة له ثم بين سبحانه ما يقال لهم بقوله (ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم) اللاتي كن مؤمنات مثلكم وقيل يعني أزواجهم من الحور العين في الجنة (تجبرون) أي تسرون وتكرمون وقد مر تفسيره في سورة الروم (يطاف عليهم بصحاف) أي بقصاع (من ذهب) فيها الوان الاطعمة (واكواب) أي كيزان لا عرى لها وقيل بانية مستديرة الرأس اكتفى سبحانه بذكر الصحاف والاكواب عن ذكر الطعام والشراب (وفيها) أي وفي الجنة (ما تشتهي الانفس) من أنواع النعيم المشروبة والمطعومة والملبوسة والمشمومة وغيرها (وتلذ الاعين) أي وما تلذذه العيون بالنظر اليه وإنما أضاف الالتذاذ إلى العين وإنما التلذذ على الحقيقة هو الانسان لأن المناظر الحسنة سبب من أسباب اللذة فإضافة اللذة إلى الموضوع الذي يلذ الانسان به احسن لما في ذلك من البيان مع الإيجاز وقد جمع الله سبحانه بقوله ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ما لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما في الجنة من انواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمتها تان الصفتان (وأنتم فيها) أي في الجنة وانواع من الملاذ (خالدون) أي دائمون مؤبدون (وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون) أي اعطيتموها بأعمالكم قال ابن عباس الكافر يرث نار المؤمن والمؤمن يرث جنة الكافر وهذا كقوله أو لتلك هم الوارثون (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) جمع لهم بين الطعام والشراب والفواكه وبين دوام ذلك فهذه غاية الأمانة ثم اخبر سبحانه عن احوال اهل النار فقال (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون) دائمون (لا يفتر عنهم) العذاب اي لا يخفف عنهم (وهم فيه ملبسون) أي يسون من كل خير

قوله تعالى (٧٦) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٧) وَتَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُرُونَ (٧٨) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٩) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٨٠) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨١) قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨٢) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٣) فَذَرَهُمْ يَبْخُسُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ (٨٤) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٥) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَهُهُ تُرْجَعُونَ عشر آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم الأبيحي وروح عن يعقوب واليه يرجعون بالياء والباقون بالناء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والاعمش بامال وروي ذلك عن علي (ع) وقراءة ابي عبد الرحمن الياني فأننا أول العبدین بغير الف والقراءة المشهورة العابدین

❖ الحجة ❖

قال ابو علي حجة الباء في يرجعون ان قبله غيبة وهو قوله فذرهم يخوضوا ويلعبوا وحجة التاء ان يراد

به مع النية مخاطبون فقلب الخطاب على النية او يكون على قل لهم واليه ترجعون وقوله يا مال على المذهب
المألوف في الترخيم قال الشاعر

فأبلغ مالكا عني رسولا وما يعني الرسول لديك مال

اي يا مالك قال ابن جنبي وفي هذا الموضع سر وهو انهم لعظم ما هم فيه خفيت قواهم وصغر كلامهم
فكان هذا في موضع الاختصار وقوله انا أول العابدين من قولهم عبت من الامر اعبد عبدا اي انفت منه
قال الفرزدق

أولئك قومي ان هجوني هجوتهم واعبد ان تهجى كليب بدارم
ولكن نصفاً إن سببت وسبني بنو عبد شمس من قريش وهاشم
﴿ اعراب ﴾

قوله وهو الذي في السماء إله ارتفع إله بكونه خير مبتدأ محذوف من الصلة وتقديره وهو الذي هو في
السماء إله وفي السماء يتعلق بقوله إله وموضعه نصب به وان كان مقدما عليه وعنده علم الساعة اي علم وقوع
الساعة فالمصدر مضاف إلى المفعول اي يعلم وقوع الساعة

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه ما يفعله بالجرمين بين انه لم يظلمهم بذلك فقال (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)
نفوسهم بما جنوا عليها من العذاب (ونادوا يا مالك) اي ويدعون خازن جهنم فيقولون يا مالك (ليقتض
علينا ربك) اي ليمتنا ربك حتى نتخلص ونستريح من هذا العذاب (قال) اي فيقول مالك مجيبا لهم (انكم
ما كنتم) اي لا بثون دائمون في العذاب قال ابن عباس والسدي إنما يجيبهم مالك بذلك بعد الف سنة
وقال عبد الله بن عمر بعد اربعين عاما (لقد جئناكم) اي يقول الله تعالى لقد أرسلنا اليكم الرسل (بالحق)
اي جاءكم رسلنا بالحق وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره وقيل هو من قول مالك وإنما قال لقد جئناكم لأنه
من الملائكة وهم من جنس الرسل وعن الجبائي (ولكن أكثركم) معاشر الخلق (للحق) كارهون لأنكم
ألفتم الباطل فكرهتم مفارقتهم (ام ابرموا أمرا فإننا مبرمون) اي بل احكموا أمرا في كيد محمد ^{صلى الله عليه وسلم}
والمر به فإننا مبرمون اي محكمون أمرا في مجازاتهم (ام يحسبون) اي بل أيقظن هؤلاء الكفار (اننا لانسمع
سرههم ونجواهم) اي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم والسر ما يضره الإنسان في نفسه ولا يظهره
لغيره والنجوى ما يحدث به المحدث غيره في الخفية (بلى) نسمع ذلك ونذكره (ورسلا لديهم يكتبون)
ما يقولونه ويفعلونه يعني الحفظه وسبب نزول الآية مذکور في تفسير أهل البيت (ع) (قل إن كان للرحمن
ولد فأننا أول العابدين) اختلف في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى
زعمكم فأننا أول العابدين اي أول من عبد الله وحده فقد دفع ان يكون له ولد والمعنى فأننا أول الموحدين
لله المتكرين لقولكم عن مجاهد ﴿ وثانيها ﴾ أن إن بمعنى ما النفي والمعنى ما كان للرحمن ولد فأننا أول العابدين
لله المقرين بذلك عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه لو كان له ولد لكنت انا أول
الأتفين من عبادته لأن من كان له ولد لا يكون إلا جسا محدثا ومن كان كذلك لا يستحق العبادة لأنه
لا يقدر على العمل التي يستحق بها العبادة عن الجبائي وغيره ﴿ ورابعها ﴾ انه يقول كما اني است أول

من عبد الله فكذلك ليس لله ولد وهذا كما تقول ان كنت كاتباً فأنا حاسب يريد لست كاتباً ولا انا حاسب
 عن سفيان بن عيينة رضي الله عنه وخامسها رضي الله عنه ان معناه لو كان له ولد لكنت أول من يعبده بأن له ولداً ولكن لا ولد
 له عن السدي وابي مسلم وهذا كما يقال لو دعت الحكمة إلى عبادة غيره لعبدته لكن الحكمة لا تدعو إلى
 عبادة غيره ولو دل الدليل على ان له ولداً لقلت به ولكنه لا يدل فهذا تحقيق لنفي الولد وتبديد له لأنه
 تعليق محال بمحال ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال (سبحانه رب السموات والأرض ورب العرش
 عما يصفون) أي تنزيهاً لملك السموات والأرض وخالقهن وخالق العرش ومدبره عما يصفونه به من
 اتخاذ الولد لأن من قدر على ذلك استغنى عن اتخاذ الولد ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم على وجه التهديد
 للكفار فقال (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) فيه
 بعذاب الأبد وهو يوم القيامة (وهو الذي في السماء إلهه وفي الأرض إلهه) أي هو الذي تحقق له العبادة
 في السماء وتحقق له العبادة في الأرض وإنما كرر لفظ إله لأنه لأمرين رضي الله عنهما أحدهما رضي الله عنهما التأكيد ليتمكن المعنى
 في النفس رضي الله عنه والثاني رضي الله عنه لأن المعنى هو إله في السماء يجب على الملائكة عبادته وإله في الأرض يجب على
 الإنس والجن عبادته (وهو الحكيم) في جميع أفعاله (العليم) بمصالح عباده (وتبارك الذي له ملك السموات
 والأرض وما بينهما) أي دامت بركته فمنه البركات واتصال السعادات وجل عن ان يكون له ولد أو شبيه
 من له التصرف في السموات والأرض وفيها بينها بلا دافع ولا منازع (وعنده علم الساعة) أي علم يوم
 القيامة لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره (واليه ترجعون) يوم القيامة فيجازي كلا على قدر عمله

قوله تعالى (٨٦) وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ (٨٧) وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَتَى يُؤْتِكُونَ (٨٨) وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ
 هُوَ لَأَقْوَمُ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٩) فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم وحمزة وقيل بالجهر والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة الاعرج ومجاهد وقيل بالرفع وقرأ
 اهل المدينة والشام فسوف تعلمون بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي وجه الجهر في وقيله انه معطوف على قوله وعنده علم الساعة وعلم وقيله أي يعلم الساعة ومن
 يصدق بها ويعلم وقيله ومعنى يعلم وقيله أي يعلم ان الدعاء مندوب اليه نحو قوله ادعوني أستجب لكم وادعوا
 ربكم تضرعاً وخفية وأما من نصب حمله على موضع وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها وليست بظرف
 فالمصدر مضاف إلى المفعول به ومثل ذلك قوله

قد كنت دانيت بها حسانا مخافة الإفلاس والليانا

يحسن بيع الأصل والقيانا

فكما ان القيان والليان محمولان على ما اضيف اليه المصدر من المفعول به فكذلك قوله تعالى وعنده علم
 الساعة لا كان معناه يعلم الساعة حملت وقيله على ذلك ويموز ان تحمله على يقول وقيله فيدل انتصاب المصدر

على فعله و كذلك قول كعب

بسمي الوشاة جنابيهما وقيلم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول

أي ويقولون حقاً ووجه ثالث ان يحمل على قوله يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله ومن قرأ وقيله بالرفع احتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يحمل الخبر وقيله قبيل يارب فيحذف ﴿ والآخر ﴾ ان يحمل الخبر وقيله يارب مسموع ومتقبل فيارب منصوب الموضع بقيله المذكور وعلى القول الآخر بقيله المضمر وهو من صلته ولا يمنع ذلك من حيث امتنع ان يحذف بعض الموصول ويبقى بعضه لأن حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور وقد يحتمل بيت كعب الرفع على هذين الوجهين وقال ابن جنبي هو معطوف على علم اي وعلم قبيله فحذف المضاف فالمصدر الذي قيل مضاف إلى الهاء الذي هو مفعول في المعنى والتقدير وعنده علم ان يقال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ومن قرأ فسوف تعلمون بالتاء فالوجه فيه انه على تقدير قل لهم فسوف تعلمون ووجه اليا ان يحمل على التيبة التي هي فاصفح عنهم وقوله وقل سلام تقديره وقل أمرنا وأمركم سلام اي متاركة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه انه لا شفاعة لمبودبهم فقال (ولا يملك الذين يدعون من دونه) اي الذي يدعوه الكفار إلهاً ويوجهون عبادتهم اليه من الأصنام وغيرها (الشفاعة) لمن يعبدهم كما توهمه الكفار وهي مسألة الطالب المغفور عن غيره واسقاط العقاب عنه (إلا من شهد بالحق) وهم عيسى بن مريم وعزير والملائكة استثناهم سبحانه ممن عبد من دون الله فإن لهم عند الله منزلة الشفاعة عن قتادة وقيل معناه لا يملك أحد من الملائكة وغيرهم الشفاعة إلا لمن شهد بالحق أي شهد ان لا إله إلا الله وذلك ان التضربين الحارث ونفر آمن قريش قالوا ان كان ما يقوله محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة وهم احق بالشفاعة لنا منه فنزلت الآية فالمعنى انهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله (وهم يعلمون) اي يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وفي هذا دلالة على ان حقيقة الايمان هو الاعتقاد بالقلب والمعرفة لأن الله شرط مع الشهادة العلم وهو ما اقتضى طمأنينة القلب إلى ما اعتقده بحيث لا يتشكك إذا شكك ولا يضطرب إذا حرك (ولئن سألتهم) يا محمد (من خلقهم) أي أخرجهم من العدم إلى الوجود (ليقولن الله) لأنهم يعلمون ضرورة ان اصنامهم لم تخلقهم (فأنى يؤفكون) اي فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره (وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه وينكر عليهم تخلفهم عن الايمان وذكر ان قراءة عبد الله وقال الرسول يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وعلى هذا فالهاء في وقيله يعود إلى النبي ﷺ (فاصفح عنهم) اي فأعرض عنهم يا محمد بصفح وجهك كما قال واعرض عن الجاهلين (وقل سلام) اي مداراة و متاركة وقيل هو سلام هجران ومجانبية لا سلام تحية وكرامة كقوله سلام عليكم لا نبئني الجاهلين وقيل معناه قل ما تسلم به من شرهم وأذام وهذا منسوخ بآية السيف عن قتادة وقيل معناه فاصفح عن سفهم ولا تقابلهم بمثله - ندبه سبحانه إلى الحلم فلا يكون منسوخاً عن الحسن ثم هددهم سبحانه بقوله (فسوف يعلمون) يعني يوم القيامة إذا عاينوا ما يحل بهم من العذاب

سورة الدخان (مكية)

﴿ عدد آياتها ﴾

تسع وخمسون آية كوفي سبع بصري ست في الباين

﴿ اختلافها ﴾

اربع آيات حم وان هو لا . يقولون كوفي شجرة الزقوم عراقي شامي والمدني الأول في البطون عراقي مكّي والمدني الأخير

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ ومن قرأ الدخان في ليلة الجمعة غفر له . ابو هريرة عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون الف ملك . وعنه عن النبي ﷺ قال ومن قرأها في ليلة الجمعة ويوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة . وروى ابو حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بمشقة الله من الآمين يوم القيامة وأغله تحت عرشه وحاسبه حسابا يسيرا واعطى كتابه بيمينه

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة الزخرف بالوعيد والتهديد وافتتح هذه السورة ايضا بمثل ذلك في الإنذار بالعذاب الشديد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٣) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٤) نَبِيهَا يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٥) أَمْأَمِنْ عِنْدَنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٦) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧) رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٨) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٩) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (١٠) فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١١) يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ احدى عشرة آية كوفي في غيرهم

-(القراة)-

قرأ اهل الكوفة رب السموات بالجر والباقون بالرفع

(الحجة)

الرفع فيه على احد امرين اما ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات واما ان يكون مبتدأ وخبره الجملة التي عاد الذكر منها اليه وهو قوله لا إله إلا هو ويقويه قوله رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو ومن قرأ بالجر جملة بدلا من ربك المتقدم ذكره قال ابو الحسن الرفع احسن وبه قرأ

﴿ الإعراب ﴾

انا كنا منذرين جواب القسم دون قوله انا أنزلناه لأنك لا تقسم بالشيء على نفسه فإن القسم تأكيد خبر بخبر آخر فقوله انا أنزلناه في ليلة مباركة اعتراض بين القسم وجوابه. أصراً من عندنا في انصابه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون نصبا على الحال وتقديره انا أنزلناه امرين امرأ كما يقال جاء فلان مشيا ور كضا أي ماشيا ورا كضا وعلى هذا فيكون مصدراً موضوعاً موضع الحال وهذا اختيار الأخفش ويجوز ان يكون تقديره ذا أصراً فحذف المضاف كما قال ولكن البر بمعنى ذا البر ﴿ والثاني ﴾ ان يكون منصوباً على المصدر لأن معنى قوله فيها يفرق فيها يومراً قد دل بفرق على يومراً وقوله رحمة منصوب على انه مفعول له أي إنزلناه للرحمة وقال الأخفش هو منصوب على الحال أي راحمين رحمة

﴿ المعنى ﴾

(حم) مر بيانه (والكتاب المبين) أقسم سبحانه بالقرآن الدال على صحة نبوة نبينا ﷺ وفيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام وجواب القسم (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) أي إنا أنزلنا القرآن والليلة المباركة هي ليلة القدر عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله «ع» وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عكرمة والأصح الأول وبدل عليه قوله إنا أنزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن واختلف في كيفية انزاله فقبل انزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم انزل نجوماً إلى النبي ﷺ وقيل انه كان ينزل جميع ما يحتاج في كل سنة في تلك الليلة ثم كان ينزلهم جبرائيل (ع) شيئاً فشيئاً وقت وقوع الحاجة اليه وقبل كان بدء انزاله في ليلة القدر وروي عن ابن عباس انه قال قد كلف الله جبرائيل في ليلة واحدة وهي ليلة القدر فسمعه جبرائيل وحفظه بقلبه وجاء به إلى السماء الدنيا إلى الكعبة وكتبه ثم نزل على محمد ﷺ بالنجوم في ثلاث وعشرين سنة وقيل في عشرين سنة وإنما وصف الله سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة لأن فيها يقسم الله نعمة على عباده من السنة إلى السنة فتدوم بركاتهما والبركة غناء الخبير وضدها الشوم وهو غناء الشر فالليلة التي أنزل فيها كتاب الله مباركة ينمي الخبير فيها على ما دبر الله سبحانه لها من علو مرتبتها واستجابة الدعاء فيها (إنا كنا منذرين) أي مخوفين بما أنزلناه من تعذيب العصاة والانتذار بالأعلام بموضع الخوف ليتقى وموضع الأمن ليجتنبى فأنه عز اسمه قد اندر عباده بآتم الانتذار من طريق العقل والسمع (فيها يفرق كل امر حكيم) أي في هذه الليلة يفصل وبين والمعنى يقضى كل امر محكم لا تلحقه الزيادة والتقصان وهو انه يقسم فيها الآجال والأرزاق وغيرها من امور السنة إلى مثاها من العام القابل عن ابن عباس والحسن وقتادة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انك لتري الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموق وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزيد فيهم احد ولا ينقص منهم احد (أمرنا من عندنا) معناه إنا نأمر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ (انا كنا مرسلين) محمداً إلى عبادنا كن كان قبله من الانبياء (رحمة من ربك) أي رافة منا بخلقنا ونعمة منا عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل عن ابن عباس (انه هو السميع) لمن دعاه من عباده (العليم) بمصالحهم (رب السموات والأرض) أي خالقهما ومدبرهما (وما ينها ان كنتم موقنين) بهذا الخبر محققين له وهو انه (لا إله إلا هو) لا يستحق

العبادة سواه (يحيى) الخلق بعد موتهم (ويميت) أي ويميتهم بعد احيائهم (ربكم) الذي خلقكم ودير كم (ورب آياتكم الأولين) الذين سبقوكم ثم ذكر سبحانه الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه (بل هم في شك) مما اخبرناك به (يلبسون) مع ذلك ويستهوون بك وبالقرآن إذا قرئ عليهم عن الجاني وقبل يلبسون أي يشتغلون بالدنيا ويترددون في احوالها ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (فارتقب) أي فانتظر يا محمد (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وذلك ان رسول الله ﷺ دعا على قومه لما كذبوه فقال اللهم سنينا كسني يوسف فأجبت الأرض فأصابت قريشاً المجاعة وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان وأكلوا الميتة والعظام ثم جاؤوا إلى النبي ﷺ وقالوا يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وقومك قد هلكوا فسأل الله تعالى لهم بالخصب والسعة فكشف عنهم ثم عادوا إلى الكفر عن ابن مسعود والضحاك وقبل ان الدخان آية من اشراط الساعة تدخل في مسامع الكفار والمنافقين وهو لم يأت بعد وانه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل اسماهم حتى ان رؤوسهم تكون كالرأس الخنيزق ويصيب المؤمن منه مثل الزكاة وتكون الأرض كلها كبيت اوقر فيه ليس فيه خصاص ويمكث ذلك اربعين يوماً عن ابن عباس وابن عمر والحسن والجباي (يغشى الناس) يعني ان الدخان يعم جميع الناس وعلى القول الأول المراد بالناس أهل مكة وهم الذين يقولون (هذا عذاب اليم) أي موجه مؤلم

قوله تعالى (١٢) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٣) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٤) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ (١٥) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٦) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُتَّقِمُونَ (١٧) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٨) أَنْ أَذْوَا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٩) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٠) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢١) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَيَّ فَأَعْتَزَلِينَ عشر آيات

- (الاعراب) -

يوم نبطش منصوب بقوله انا كاشفو العذاب قليلا ويجوز ان يتنصب بضم ردل عليه متممون ولا يتنصب بقوله متممون لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبله

﴿ المعنى ﴾

ثم لما اخبر سبحانه ان الدخان يغشى الناس عذابا لهم وانهم قالوا ويقولون على ما فيه من الخلاف هذا عذاب اليم حكى عنهم ايضا قولهم (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) بمحمد ﷺ والقرآن قال سبحانه (أنى لهم الذكرى) أي من أين لهم التذكر والانتعاظ وكيف يتذكرون ويتمظنون (وقد جاءهم رسول مبين) أي وحالهم انهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والدلالة (ثم تولوا عنه) أي عرضوا عنه ولم يقبلوا قواه (وقالوا معلم مجنون) أي هو معلم يعلمه بشر مجنون بادعاء النبوة ثم قال سبحانه (انا كاشفوا العذاب) أي عذاب الجوع والدخان (قليلا) أي زمانا قليلا يسيرا إلى يوم بدر عن مقاتل (انكم عائدون)

في كفركم وتكذيبكم فلما كشف الله سبحانه ذلك عنهم بدعاء النبي ﷺ واستسقائه لهم عادوا إلى تكذيبه هذا على تأويل من قال إن ذلك الدخان كان وقت النبي ﷺ فأما على القول الآخر فعناه انكم عائدون إلى العذاب الأكبر وهو عذاب جهنم والقبل مدة ما بين العنايين (يوم نبطش البطشة الكبرى) أي واذكر لهم ذلك اليوم يعني يوم بدر على القول الأول قالوا لما كشف عنهم الجوع عادوا إلى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر وعلى القول الآخر البطشة الكبرى تكون يوم القيامة والبطش هو الأخذ بشدة وقع الألم (أنا منتقمون) منهم ذلك اليوم ثم قال سبحانه (ولقد فتنا قبلهم) أقسم سبحانه أنه فتن قبل كفار قوم النبي ﷺ (قوم فرعون) أي اختبرهم وشدد عليهم التكليف لأن الغنّة شدة التعب واصهاها الاحراق بالنار لخالص الذهب من الغش وقبل إن الغنّة معاملة المختبر ليجازى بما يظهر دون ما يعلم مما لا يظهر (وجاءهم رسول كريم) أي كريم الاخلاق والافعال بالتجاوز والصفح والدعاء إلى الصلاح والرشد وقبل كريم عند الله بما استحق بطاعته من الإكرام والإعظام وقبل كريم شريف في قومه من بني اسرائيل (ان ادوا إلى عباد الله) هذا من قول موسى (ع) لفرعون وقومه والمعنى اطلقوا بني اسرائيل من العذاب والتسخير فإنهم احرار فهو كقوله فارسل معي بني اسرائيل فيكون عباد الله مفعول ادوا وقال الفراء معناه ادوا إلي ما أمركم به يا عباد الله (اني لكم رسول أمين) على ما أوّديه وادعوكم إليه (وان لا تعلوا على الله) أي لا تنجبروا على الله بترك طاعته عن الحسن وقبل لا تشكروا على اولياء الله بالني عليهم وقبل لا تبغوا عليه بكفران نعمه وافتراء الكذب عليه عن ابن عباس وقتادة (اني آتاكم سلطان مبین) أي بحجة واضحة يظهر الحق معها وقبل بمعجز ظاهر يبين صحة نبوتي وصدق مقالتي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل والرجم فقال (وانني عذت بربي وربكم) أي لذت بالكي ومالككم والتجأت إليه (ان ترجون) أي من ان ترموني بالحجارة عن قتادة وقبل إن الرجم الذي استعاذ منه موسى هو الشتم كقولهم هو ساحر كذاب ونحوه عن ابن عباس وابي صالح (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي إن لم تصدقوني فاطر كوني لامي ولا علي وقبل معناه فاعتزلوا أذاي عن ابن عباس

قوله تعالى (٢٢) فدعا ربه أن هو لآ قوم مجرمون (٢٣) فأسر بيادي أيلاً إنكم متبعون (٢٤) وأترك البحر رهوا إنهم جند مغرّقون (٢٥) كم تر كوا من جنات وعبّون (٢٦) وزرّوع ومقام كريم (٢٧) ونعمّة كانوا فيها فأكهين (٢٨) كذلك وأورثناها قوماً آخرين (٢٩) فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ثماني آيات

اللفظة

الرهو السهل الساكن يقال عيش راه أي خافض وادع قال الشاعر
يمشين رهوا فلا الإعجاز خاذلة ولا الصدور على الإعجاز تتكفل
وقيل الرهو الدمث ليس يرمل ولا حزن عن الازهري يقال جاءت الخليل رهوا أي مسابقة قال ابن
الاعرابي الرهو من الطير والليل السراع قال الشاعر
طيرا رأت بازيا نضخ الدماء به وأمه خرجت رهوا إلى عيد

﴿ الإعراب ﴾

رہوا نصب على الحال من البحر ويكون حالا بعد الفراغ من الفعل كقولهم قطعت الثوب قباء وهذا يدل على ان البحر كان قبل تركه وبعد تركه رھوا وكم في قوله كم تركوا في موضع نصب بأنه صفة موصوف محذوف وهو مفعول تركوا وتقديره شيئاً كثيراً تركوا كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه تمام قصة موسى بأن قال (فدعا ربه) أي فدعا موسى ربه حين يش من قومه أن يؤمنوا به فقال (إن هوّلاً قوم مجرمون) أي مشركون لا يؤمنون عن الكليبي ومقاتل فكأنه قال اللهم عجل لهم بما يستحقونه بكفرهم ما يكونون به نكالا لمن بعدهم وما دعا عليهم إلا بعد أن أذن له في ذلك وقوله (فأسر بعبادي ليلا) الفاء وقعت موقع الجواب والتقدير فأجيب بأن قيل له فأسر بعبادي أمره سبحانه ان يسير بأهله وبالمؤمنين به ليلا حتى لا يردم فرعون إذا خرجوا نهارا وأعلمه بأنه سيبتمهم فرعون بجنوده بقوله (انكم متبعون واترك البحر رھوا) أي ساكنا على ما هو به إذا قطعتة وعبرته وكان قد ضرب به بالعصا فانغلق لبني اسرائيل فأمره الله سبحانه أن يتركه كما هو ليغرق فرعون وقومه عن ابن عباس ومجاهد وقيل رھوا أي منفتحاً منكشفاً حتى يطعم فرعون في دخوله عن ابي مسلم قال قناذة لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتشد وخاف ان يتبعه فرعون وجنوده فقيل له واترك البحر رھوا أي كما هو طريقا يابساً (انهم جند مفرقون) سيفرقهم الله تعالى ثم اخبر سبحانه عن حالهم بعد اهلاكم فقال (كم تركوا من جنات) رائحة (وعيون) جارية (وزروع) كثيرة (ومقام كريم) أي مجالس شريفة ومنازل خطيرة وقيل هي المناظر الحسنة ومجالس الملوك عن مجاهد وقيل منابر الخطباء عن ابن عباس وقيل المقام الكريم الذي يعطي اللذة كما يعطي الرجل الكريم الصلة عن علي بن عيسى (ونعمة كانوا فيها فاكهين) أي وتنعم وسعة في العيش كانوا بها ناعمين متمتعين كما يتمتع الآكل بأنواع الفواكه (كذلك) قال الكلابي معناه كذلك أفضل بن عصافي (وأورثناها قوما آخرين) ابراث النعمة تصيرها إلى الثاني بعد الأول بغير مشقة كما يصير الميراث إلى اهله على تلك الصفة فلما كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم كان ذلك إربانا من الله لهم و اراد بقوم آخرين بني اسرائيل لأنهم رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون (فابكت عليهم السماء والأرض) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه لم تبك عليهم اهل السماء والأرض لكونهم مسخوطا عليهم عن الحسن فيكون مثل قوله حتى تضع الحرب اوزارها أي اصحاب الحرب ونحوه قول الخطيب

كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره

وشر المنايا ميت وسط اهله

أي وشر المنايا ميتة ميت وقال ذو الرمة

سواسية احرارها وعبيدها

لهم مجلس صهب السبال اذلة

أي لهم أهل مجلس ﴿ وثانيها ﴾ انه سبحانه أراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر فإن العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالمهلك قالت بكاه السماء والأرض وأظلم لفقده الشمس والقمر قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

تبكي عليك نجوم الليل والقمر

الشمس طالعة ليست بكاسفة

اي ليست مع ظلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم المصيبة قد سلبها ضوءها وقال النابغة
 تبدو كواكبها والشمس طالمة لا النور نور ولا الإظلام إظلام
 (وثالثها) ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء وقد
 روي عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقيل وهل يبكيان على احد قال نعم مصلاه في الأرض ومصعد
 عمله في السماء وروى انس عن النبي ﷺ قال ما من مؤمن إلا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل
 منه رزقه فإذا مات بكيا عليه فلي هذا يكون معنى البكاء الاخبار عن الاختلال بعده كما قال مزاحم العقيلي
 بكت دارهم من اجلهم فتهللت دموعي فأني الجأزعين أوم
 امستعبرا يبكي من الهون والبلى أم آخر يبكي شجوه ويهيم
 وقال السدي لما قتل الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) بكت السماء عليه وبكواها حرة اطرافها
 وروى زرارة بن اعين عن ابي عبد الله (ع) انه قال بكت السماء على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن
 علي عليها السلام اربعين صباحا ولم تترك إلا عليها قلت وما بكواها قال كانت تطلع حمراء وتنب
 حمراء (وما كانوا منظرين) اي عوجلوا بالمعقوبة ولم يهلوا

قوله تعالى (٣٠) ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين (٣١) من فرعون إنه كان
 عاليا من المسرفين (٣٢) ولقد اخترناهم على علم على العالمين (٣٣) وآتيناهم من الآيات ما فيه
 بلايا مبين (٣٤) إن هؤلاء ليقولون (٣٥) إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين
 (٣٦) فاتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (٣٧) أم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم
 اهلكتناهم إنهم كانوا مجرمين (٣٨) وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعين
 (٣٩) ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٠) إن يوم الفصل ميقاتهم
 أجمعين احدى عشرة آية

❖ الإعراب ❖

من فرعون اي من عذاب فرعون فحذف المضاف ويجوز أن يكون حالا من العذاب المهين اي ثابتا من فرعون
 فلا يكون على حذف المضاف أم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم يجوز أن يكون الذين من قبلهم
 مبتدأ واهلكتناهم خبره ويجوز ان يكون منصبا بفعل مضمر دل عليه اهلكتناهم ويجوز أن يكون رفعا
 بالمعطف على قوم تبع فلي هذا تقف على قبلهم ويكون اهلكتناهم في تقدير واهلكتناهم اي والمهلكون من قبلهم

❖ المعنى ❖

ثم اقسام سبحانه بقوله (ولقد نجينا بني إسرائيل) الذين آمنوا بموسى (من العذاب المهين) يعني قتل
 الابناء واستخدام النساء والاستعباد وتكليف المشاق (من فرعون انه كان عاليا) اي متجبرا متكبرا متقلبا
 (من المسرفين) اي المجاوزين الحد في الطغيان وصفه بأنه عال وان جاز ان يكون عال صفة مدح لأنه
 قيده بأنه عال في الإسراف لأن العالي في الإحسان ومدوح والعالي في الإساءة مذموم (ولقد اخترناهم)

اي اخترنا موسى وقومه بني اسرائيل وفضلناهم بالتوراة و كثرة الانبياء منهم (علي علم) اي على بصيرة
 منا باستحقاقهم التفضيل والاختيار (على العالمين) اي على عالمي زمانهم عن قتادة والحسن ومجاهد وبدل
 عليه قوله تعالى لامة نبينا ﷺ كنتم خير امة اخرجت للناس وقبل فضلناهم على جميع العالمين في امر كانوا
 مخصوصين به وهو كثرة الانبياء منهم (وآتيناهم) اي واعطيناهم (من الآيات) يعني الدلالات
 والمعجزات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى (ما فيه بلاء مبين) اي ما فيه النعمة
 الظاهرة عن الحسن وقيل ما فيه شدة وامتحان مثل العصا واليد البيضاء فالبلاء يكون بالشدة والرخاء عن
 ابن زيد فيكون في الآيات نعمة على الانبياء وقومهم وشدة على الكفار المكذبين بهم ثم اخبر سبحانه عن
 كفار قوم نبينا ﷺ الذين ذكروهم في اول السورة فقال (ان هو لا يقولون ان هي الامونتنا الاولى)
 اي ما الموتة إلا موتة غوتها في الدنيا ثم لانبت بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) اي يبعوثين
 ولا معادين (فأتوا بآبائنا) الذين ماتوا قبلنا وأعيدوهم (ان كنتم صادقين) في ان الله تعالى يقدر على
 اعادة الاموات وحياتهم وقيل ان قاتل هذا ابو جهل بن هشام قال ان كنت صادقا فابث جدك قصي بن
 كلاب فإنه كان رجلا صادقا نسأله عما يكون بعد الموت وهذا القول جهل من ابي جهل من وجهين
 * احدهما * ان الاعادة انما هي للجزء لا للتكليف وليست هذه الدار بدار جزاء ولكنها دار تكليف فكانه
 قال ان كنت صادقا في اعادتهم للجزء فأعدهم للتكليف * والثاني * ان الاحياء في دار الدنيا انما يكون
 للمصلحة فلا يقف ذلك على اقتراحهم لأنه ربما تعلق بذلك مفسدة ولما تركوا الحجة وعدلوا إلى الشبهة
 جهلا عدل سبحانه في اجابتهم الى الوعيد والوعظ فقال (أهد خير ام قوم تبع) اي امشركو قريش أظهر نعمة
 واكثر أموالا واعز في القوة والقدرة أم قوم تبع الحميري الذي سار بالجيش حتى حير الحيرة ثم اتى سمرقند
 فهدمها ثم بناها وكان إذا كتب كتب باسم الذي ملك براويجر وضحا وريحا عن قتادة وسمي تبعا لكثرة اتباعه
 من الناس وقيل سمي تبعا لأنه تبع من قبله من ملوك اليمن والتبابعة اسم ملوك اليمن فتبع لقب له كما يقال
 خاقان لملك الترك وقيصر لملك الروم واسمه اسعد ابو كرب وروى سهل بن سعد عن النبي ﷺ انه قال
 لا تسبوا تبعا فإنه كان قد اسلم وقال كتب نعم الرجل الصالح ذم الله قومه ولم يذمه وروى الوليد بن صبيح
 عن ابي عبد الله (ع) قال ان تبعا قال للاوس والنضير كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي ﷺ أما ان قالوا دركته
 نخدمته وخرجت معه (والذين من قبلهم) يعني من تقدمهم من قوم نوح وعاد وثمود (اهلكتناهم) معناه
 انهم ليسوا بأفضل منهم وقد اهلكناهم بكفرهم وهو لا مثلهم بل أو تلك كانوا اكثر قوة وعددا فأهلك
 هو لا يسر (إنهم كانوا مجرمين) اي كافرين فلهذا هو لا ان ينالهم مثل ما نال أو تلك (وما خلقنا السموات
 والأرض وما بينهما الا عين) اي لم نخلق ذلك لا لغرض حكيم بل خلقناها لغرض حكيم وهو ان نفع المكلفين
 بذلك ونرضهم للثواب وننفع سائر الحيوانات بضروب المنافع والذات (ما خلقناهما الا بالحق) اي إلا بالعلم
 الداعي الى خلقها والعلم لا يدعو الا إلى الصواب والحق وقيل معناه ما خلقناهما الا للحق وهو الامتحان
 بالامر والنهي والتمييز بين المحسن والمسي لقوله ليجزى الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا الآية
 وقيل معناه ما خلقناهما إلا على الحق الذي يستحق به الحمد خلاف الباطل الذي يستحق به الذم (ولكن
 اكثرهم لا يعلمون) صحة ما قلناه لعدولهم عن النظر فيه والاستدلال على صحته (ان يوم الفصل ميقاتهم

أجمعين) يعني اليوم الذي يفصل فيه بين المحق والبطل وهو يوم القيامه وقيل معناه يوم الحكم ميقات قوم فرعون وقوم تبع ومن قبلهم ومشركي قريش وموعدهم
قوله تعالى (٤١) يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٢) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٣) إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ (٤٤) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٥) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبَطُونِ (٤٦) كغلي الحميم (٤٧) خُدُّهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٨) ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٩) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٥٠) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ عشر آيات

﴿ القراة ﴾

قرأ أهل الكوفة وحفص ورويس بنلي بالياء والباقون تغلي بالفاء وقرأ أهل الكوفة وابوجعفر وابوعمر و فاعتلوه بكسر التاء والباقون بضمها وقرأ الكسائي وحده ذق انك بفتح الهمزة والباقون انك بكسرها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ تغلي بالفاء فلي الشجرة كأن الشجرة تغلي ومن قرأ بالياء حمله على الطعام وهو الشجرة في المعنى ويعتل ويعتل مثل يمكف ويمكف ويفسق ويفسق في انها لثنان ومعنى فاعتلوه قودوه بمنف ومن قرأ انك بالكسر فالمعنى انك انت العزيز الكريم في زعمك فأجرى ذلك على حسب ما كان يذكره او يذكر به ومن قرأ انك بالفتح فالمعنى ذق بأذك

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه ان يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم فيه بأن أي يوم هو فقال (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) فالمولى صاحب الذي من شأنه ان يتولى معونة صاحبه على أمورهِ فيدخل في ذلك ابن العم والناصر والحليف وغيرهم من هذه صفته والمعنى ان ذلك اليوم يوم لا يغني فيه ولي عن ولي شيئا ولا يدفع عنه عذاب الله تعالى (ولا هم ينصرون) وهذا لا ينافي ما يذهب اليه اكثر الأمة من اثبات الشفاعة للنبي ﷺ والأئمة (ع) والمؤمنين لأن الشفاعة لا تحصل إلا بأمر الله تعالى واذنه والمراد بالآية انه ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله وينصرهم من غير ان يأذن الله له فيه وقد بين ما اشرنا اليه باستثنائه من رحمه منهم فقال (الا من رحم الله) اي إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين فإنه إما ان يسقط عقابهم ابتداء او يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له لشفاعته (انه هو العزيز) في انتقامه من أعدائه (الرحيم) بالمؤمنين ثم وصف سبحانه ما يفصل به بين الفريقين فقال (إن شجرت الزقوم) وقد مر تفسيره في سورة الصافات (طعام الأثيم) اي الإثم وهو ابو جهل وروي ان ابا جهل اتي بتمر وزبد فجمع بينهما وأكل وقال هذا هو الزقوم الذي يخوفنا محمده نحن نترقه اي نتملا افواهنا به فقال سبحانه (كالهمل) وهو المذاب من النحاس او الرصاص او الذهب او الفضة وقيل هو دردي الزيت (يغلي في البطون كغلي الحميم) اي إذا حصلت في اجواف اهل النار تغلي كغلي الماء الحار الشديد الحرارة قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يكون المعنى يغلي المهل في البطون لأن المهل إنما ذكر للتشبيه به في الذوب

الا ترى ان المهل لا يظلي في البطون وإنما يظلي ما شبه به (خذه) اي يقال لزلابية خذوا الاثيم (فاعتلوه)
اي زعزعوه وادفعوه بعنف ومنه قول الشاعر

فيا ضيعة الفتيان إذ يمتلونه ببطن الشرى مثل الفتيق المسدم

وقيل معناه جروه على وجهه عن مجاهد (إلى سواء الجحيم) اي إلى وسط النار عن قتادة وسمي وسط
الشيء سواء لاستواء المسافة بينه وبين اطرافه المحيطة به والسواء العدل (ثم صبوا فوق رأسه) قتل مقاتل
ان خازن النار يرميه على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه (من عذاب الجحيم) وهو الماء الذي قد انتهى حره
ويقول له (ذق انك انت العزيز الكريم) وذلك انه كان يقول انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له الملك
ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم في زعمك وفيما كنت تقوله وقبل انه على معنى للتقيض فكأنه قيل انك
انت الذليل المهين الا انه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به وقيل معناه انك انت العزيز في قومك الكريم
عليهم فما اغنى ذلك عنك (ان هذا ما كتتم به تمرون) اي ثم يقال لهم ان هذا العذاب ما كتتم تشكون
فيه في دار الدنيا

قوله تعالى (٥١) **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ** (٥٢) **فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوُنٍ (٥٣) يَلْبَسُونَ مِنْ**
سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٤) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٥) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَاكِهَةٍ آمَنِينَ (٥٦) لَا يَذُقُونَ فِيهَا أَلْوَتًا إِلَّا أَلْوَتًا أُولَىٰ وَوَقَّيَهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٧)
فَضَلَّ مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٨) فَإِنَّمَا يَسْرُنَا فِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٩)
فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ تسع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وابن عامر في مقام بالضم والباقون في مقام بالفتح

﴿ الحجة ﴾

من فتح المهم أراد به المجلس والمشهد كما قال في مقعد صدق ووصفه بالأمن بقوى ان المراد به
المكان ومن ضم فإنه يشمل ان يريد به المكان من اقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحد او يجوز ان
يجمعه مصدرًا وبقدر المضاف مجذوبا أي موضع إقامة

﴿ اللمة ﴾

السندس الحرير والاستبرق الديباج الغليظ الصفيق قال الزجاج وإنما قيل له استبرق لشدة بريقه والحرور
جمع حوراء من الحرور وهو شدة البياض وهن البيض الوجوه وقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين
الشديدة سوادها والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين

﴿ الاعراب ﴾

كذلك جار ومجرور في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ التقدير الأمر كذلك متقابلين نصب على الحال
من يلبسون ويلبسون يجوز ان يكون خبرا بمد خبر ويجوز ان يكون حالا من الظرف الذي هو قوله في

مقام لأن التقدير ان المتقين ثبتوا في مقام ومفعول يلبسون محذوف وتقديره يلبسون ثيابا من سندس فأمنين حال من يدعون . الموتة الأولى نصب على الاستثناء قال الزجاج معناه سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف المعنى سوى ما قد سلف واقول ان سوى لا يكون إلا ظرفا والا حرف فكيف يكون بمعناه فالأولى ان يكون الا هنا مع ما بعدها صفة او بدلا بمعنى غير تقديره لا يذوقون فيها الموت غير الموتة الأولى إذ الموتة الأولى قد انقضت فلا يمكن ان يستثنى من الموت الذي لا يذوقونه في الجنة إذ ليست بداخلة فيه وقوله فضلا من ربك مفعول له تقديره فل الله ذلك بهم فضلا منه وتفضلا منه ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره واعطاهم فضلا ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لما قبله لأن ما ذكره قبله تفضل منه سبحانه كقول امرء القيس « ورضت فذلّت صبة أي إذلال » على معنى ذلته أي اذلال فاستغنى عن اذلكه بذكر رضت

✽ المعنى ✽

ثم عقب سبحانه الوعيد بذكر الوعد فقال (ان المتقين) الذين يجتنبون معاصي الله لكونها قابضين ويضلون الطاعات لكونها طاعات (في مقام أمين) امنوا في النيران من الموت والحوادث وقيل امنوا في من الشيطان والأحزان عن قتادة (في جنات وعيون) أي بساتين وعيون ماء نابعة فيها (يلبسون من سندس واستبرق) خاطب العرب فوعدهم من الثياب بما عظم عندهم واشتهته أنفسهم وقيل السندس ما يلبسونه والاستبرق ما يفترشونه (متقابلين) في المجالس لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل يقابل بعضهم بعضا وقيل معناه متقابلين بالمحبة لا متدابرين بالبغضة (كذلك) حال اهل الجنة (وزوجاتهم يحوز عين) قال الأخفش المراد به التزويج المعروف يقال زوجته امرأة وبامرأة وقال غيره لا يكون في الجنة تزويج والمعنى وقرانهم يحوز عين (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أي يستدعون فيها أي ثمرة شاولوا واشتهوا غير خائفين فوتمها آمنين من نفاذها ومضرتها وقيل آمنين من التخمر والأسقام والأوجاع (لا يذوقون فيها الموت) شبه الموت بالطعام الذي يثاق ويتكره عند المذاق ثم نفى ان يكون ذلك في الجنة وإنما خصهم بأنهم لا يذوقون الموت مع ان جميع اهل الآخرة لا يذوقون الموت لما في ذلك من البشارة لهم بالحياة المنيرة في الجنة فأما من يكون فيها كالموت في الشدة فإنه لا يطلق له هذه الصفة لأنه يموت موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة (إلا الموتة الأولى) قيل معناه بعد الموتة الأولى وقيل معناه لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وقيل سوى الموتة الأولى وقد بينا ما عندنا فيه (ووقهم عذاب الجحيم) أي فصرف عنهم عذاب النار . استبدلت المعتزلة بهذا على ان الفاسق الممي لا يخرج من النار لأنه يكون قد وقى النار والجواب عن ذلك ان هذه الآية يجوز ان تكون مختصة بمن لا يستحق دخول النار فلا يدخلها او من استحق النار فتفضل عليه بالمعفو فلم يدخلها ويجوز ان يكون المراد ووقاهم عذاب الجحيم على وجه التأيد او على الوجه الذي يعذب عليه الكفار (فضلا من ربك) أي فعل الله ذلك بهم تفضلا منه لأنه سبحانه خلقهم وأنعم عليهم وركب فيهم العقل وكلفهم وبين لهم من الآيات ما استدلووا به على وحدانية الله تعالى وحسن الطاعات فاستحقوا به النعم العظيمة ثم جزاهم بالحسنة عشر أمثالها فكان ذلك فضلا منه عز اسمه وقيل إنما سماه فضلا وان كان مستحقا لأن سبب الاستحقاق هو التكليف والتكليف وهو فضل منه سبحانه (ذلك هو الفوز العظيم) أي الفوز المطلوب العظيم الشأن (فلإنما يسرناه بلسانك) أي سهلنا

القرآن فالهاء كناية عن غير مذكور والمعنى هو أن القرآن على لسانك ويسرنا قراءته عليك وقيل معناه جعلنا القرآن عربيا ليسهل عليك وعلى قومك تفهمه (لعلهم يتذكرون) أي ليتذكروا ما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد ويفكروا فيه (فارتقب انهم مرتقبون) أي فإن اعرضوا ولم يقبلوا فانتظر مجيئنا وعذناك به انهم منتظرون لأنهم في حكم من ينتظر لأن المحسن يترقب عاقبة الإحسان والمسي يترقب عاقبة الإساءة وقيل معناه انتظر بهم عذاب الله فإنهم ينتظرون بك الدوائر وقيل انتظر قهرهم ونصرك عليهم فإنهم منتظرون قهرك بزعمهم

سورة الجاثية

وتسمى أيضا سورة الشريعة لقوله فيها نم جعلناك على شريعة من الأمر وهي مكة قال قتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة قل للذين آمنوا يغفروا الآية

﴿ عدد آياتها ﴾

سبع وثلاثون آية كوفي ست في الباقي

﴿ اختلافها ﴾

آية حم كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعه عند الحساب وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها ان لا يرى النار أبدا ولا يسمع زفير جهنم ولا شهيقها وهو مع محمد ﷺ

(- تفسيرها -)

لما ختم الله سبحانه سورة الدخان بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره ايضا فقال سبحانه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٣) إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٤) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥) وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات في الموضعين على النصب والباقيون آيات على الرفع فيها

✽ الحجة ✽

قال ابو علي قوله وفي خلقكم وما بيث من دابة آيات جاز الرفع في قوله آيات من وجهين ✽ احدهما ✽ العطف على موضع ان وما عملت فيه فإنه رفع بالابتداء فيحتمل الرفع فيه على الموضع ✽ والآخر ✽ ان يكون مستأنفا ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة فيكون قوله آيات على هذا مرتفعا بالظرف فهذا وجه قول من رفع آيات في الموضعين قال ابو الحسن من دابة آيات قراءة الناس بالرفع وهي أجود وبها تقرأ لأنه قد صار على كلام آخر نحو إن في الدار زيدا وفي البيت عمرو لأنك انما تعطف الكلام كله على الكلام كله قال وقد قرئ بالنصب وهو عربي انتهت الحكاية عنه واما قول واختلاف الليل والنهار إلى آخره آيات فإنك ان تركت الكلام على ظاهره فإن فيه عطفاً على عاملين احد العاملين الجار الذي هو في من قوله وفي خلقكم وما بيث من دابة والعامل الآخر ان نصبت آيات وان رفعت فالعامل المعطوف عليه في الابتداء والظرف ووجه قراءة من قرأ آيات بالنصب انه لم يحمل على موضع ان كما حمل من رفع آيات في الموضعين او قطعه واستأنف ولكن حمل على لفظ ان دون موضعها فحمل آيات في الموضعين على نصب ان في قوله ان في السموات والأرض لا آيات للمؤمنين فإن قلت انه يمرض في هذه القراءة العطف على عاملين وذلك في قوله واختلاف الليل والنهار آيات وسيبويه وكثير من النحويين لا يميزونه قبل يجوز ان يقدر في قوله واختلاف الليل والنهار آيات وان كانت معذوفة من اللفظ وذلك ان ذكره قد تقدم في قوله ان في السموات وقوله وفي خلقكم فلما تقدم ذكر الجار في هذين قدر فيه الإثبات في اللفظ وان كان محذوفاً منه كما قدر سيبويه في قوله

أكل امرئ تحسين امرئ وثار تأجج بالليل نارا

ان كل في حكم المفعول به واستغني عن اظهاره بقدم ذكره وما يؤكده القراءة ان في آيات محمولة على ان ما ذكر عن ابي انه قرأ في المواضع الثلاثة الآيات فدخول اللامات تدل على ان الكلام محمول على ان واذا كان محمولا عليها حسن النصب وصار كل موضع من ذلك كأن ان مذكورة فيه بدلالة دخول اللام لأن هذه اللام انما تدخل على خبر ان او على اسمها وما يجوز ان يتأول على ما ذكرنا قول الفرزدق

وبأشر راعيها الصلا بلبانه وكفيه حر النار ما يتحرف

فهذا ان حملت الكلام على ظاهره كان عطفاً على عاملين على الفعل والباء ان قدرت ان الباء مفعول بها لتقدم ذكرها صارت في حكم الثبات في اللفظ واذا صار كذلك كان العطف على عامل واحد وهو الفعل دون الجار وكذلك قول الآخر

اوصيت من برة قلبا حرا بالكلب خيرا والحماة شرا

فإن قدرت الجار في حكم المذكور لدلالة المتقدم عليه لم يكن عطفاً على عاملين كما لم يكن قوله واختلاف الليل والنهار آيات كذلك وقد يخرج قوله واختلاف الليل والنهار آيات من ان يكون عطفاً على عاملين من وجه آخر وهو ان تقدر قوله واختلاف الليل والنهار على في المتقدم ذكرها وتجمل آيات متكررة كررتها لما تراخى الكلام وطال كما قال بعض شيوخنا في قوله تعالى ألم يعلموا انه من يحدد الله ورسوله فإن له نار جهنم ان أنهي الأولى كررت وكما جاء فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به لما تراخى عن قوله ولما جاءهم كتاب من عند

الله وهذا النحو في كلامهم غير ضيق

﴿ المعنى ﴾

(حَم) قد بينا ما قيل فيه وأجود الأقوال انه اسم للسورة قال علي بن عيسى وفي تسمية السورة بحَم دلالة على ان هذا القرآن المعجز كله من حروف المعجم لأنه سمي به ليدل عليه بأوصافه ومن أوصافه انه معجز وانه مفصل قد فصلت كل سورة من اختها وانه هدى ونور فكأنه قيل هذا اسم الدال عليه بأوصافه (تتزيل الكتاب من الله) أضاف التتزيل إلى نفسه في مواضع من السور استفتاحا بتعظيم شأنه وتقظيم قدره بإضافته إلى نفسه من اكرم الوجود وأجلها وما اقتضى هذا المعنى لم يكن تكريرا فقد يقول القائل اللهم اغفر لي اللهم ارحمني اللهم عافني اللهم وسم علي في رزقي فيأتي بما يؤذن ان تعظيمه لربه منمقد بكل ما يدعو به وقوله من الله يدل على ان ابتداءه من الله تعالى (العزيز الحكيم) القادر الذي لا ينال (الحكيم) العالم الذي أفعاله كلها حكمة وصراب (ان في السموات والأرض لايات للذين آمنوا) الذين يصدقون بالله وبأنبيائه لأنهم المنتفعون بالآيات وهي الدلالات والحجج الدالة على ان لها مديرا صانعا قادرا عالما (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات) معناه وفي خلقه إياكم بما فيكم من بدائع الصنعة ومجانب الخلقة وما يتعاقب عليكم من الاحوال من مبتدأ خلقكم في بطون الأمهات إلى انقضاء الاجال وفي خلق ما يفرق على وجه الأرض من الحيوانات على اختلاف اجناسها ومنافعها والمقاصد المطلوبة منها دلالات واضحات على ما ذكرناه (لقوم يوقنون) اي يطلبون علم اليقين بالتدبير والتفكير (واختلاف الليل والنهار) اي وفي ذهاب الليل والنهار ومجيئها على وتيرة واحسدة وقيل معناه وفي اختلاف حالها من الطول والقصر وقيل اختلافها في ان احدهما نور والآخر ظلمة (وما أنزل الله من السماء من رزق) أراد به المطر الذي ينبت به النبات الذي هو رزق الحلائق فسماه رزقا لأنه سبب الرزق (فأحيا به الأرض بعد موتها) اي فأحيا بذلك المطر الأرض بعد يبسها وجفافها (وتصرف الرياح) اي وفي تصرف الرياح يجعلها مرة جنوباً وأخرى شمالاً ومرة صبا وأخرى ديورا عن الحسن وقيل يجعلها تارة رحمة وتارة عذابا عن قتادة (آيات لقوم يعقلون) وجوه الأدلة ويتدبرونها فيعلمون ان لهذه الأشياء مديرا حكيما قادرا عليا حيا غنيا قديما لا يشبهه شيء

قوله تعالى (٦) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٧) وَيَلْ أِكُلْ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٨) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ بُصِرَ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٩) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٠) مِنْ رَرَّائِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْيَاءً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير حفص والاعشى والبرجمي وابن عامر ويعقوب وتؤمنون بالنا. والباقون بالياء.

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ بالياء ان قبله غيبة وهو قوله لقوم يؤمنون ومن قرأ بالنا. فالتقدير قل لهم فبأي حديث بعد ذلك تؤمنون

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الأدلة عقب ذلك بالوعيد لمن اعرض عنها ولم يتفكر فيها فقال (تلك آيات الله) اي ما ذكرناه ادلة الله التي نصبها خلقه المكلفين (لتلوها عليك) اي نقرأها عليك يا محمد لتقرأها عليهم (بالحق) دون الباطل والتلاوة الايتان بالتاني في أثر الأول في القراءة والحق الذي تنلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به في جميع انواعه (فبأي حديث بعد حديث الله وآياته يؤمنون) معناه ان هؤلاء الكفار إن لم يصدقوا بما تلوناه عليك فبأي حديث بعد حديث الله وهو القرآن وآياته يصدقون وبأي كلام يستفهمون وهذا اشارة إلى ان المعاند لا حيلة له والفرق بين الحديث الذي هو القرآن وبين الآيات ان الحديث قصص يستخرج منه عبر تبيين الحق من الباطل والآيات هي الأدلة الفاصلة بين الصحيح والفاقد (وبل لكل أفك الئيم) الأفك الفعال من الإفك وهو الكذب ويطلق ذلك على من يكثر كذبه او يعظم كذبه وان كان في خبر واحد ككذب مسيلمة في ادعاء النبوة والائيم ذوالائيم وهو صاحب المعصية التي يستحق بها العقاب والويل كلمة وعيد ينلقى بها الكفار وقبل هو واد سائل من صديد جهنم ثم وصف سبحانه الأفك الئيم بقوله (يسمع آيات الله تتلى عليه) اي يسمع آيات القرآن التي فيها الحجية تقرأ عليه (ثم بصر مستكبراً) اي يقيم على كفره وباطله متعظلاً عند نفسه عن الاتقياد للحق (كأن لم يسمعهما) اصلا في عدم القبول لها والاعتبار بها (فبشره بعذاب أليم) اي مؤلم (ولوذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) اي وإذا علم هذا الأفك الئيم من حججنا وادلتنا شيئا استهزأ بها ليري العوام انه لا حقيقة لها كما فعله ابو جهل حين سمع قوله ان شجرة الزقوم طعام الئيم او كما فعله النضر بن الحارث حين كان يقابل القرآن بأحاديث الفرس (أولئك لهم عذاب مهين) اي مذل مخز مع ما فيه من الألم (من ورائهم جهنم) اي من وراء ما هم فيه من التمرز بالمال والدنيا جهنم ومعناه قدامهم ومن بين أيديهم كتولاه وكان وراءه ملك ووراء اسم يقع على القدام والخلف فإتواى عنك فهو وراءك خلفك كان او أمامك (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا) اي لا يغني عنهم ما حصلوه وجمعه من المال والولد شيئا من عذاب الله تعالى (ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) من الآلهة التي عبدوها لتكون شفعا لهم عند الله (ولهم) مع ذلك (عذاب عظيم)

قوله تعالى (١١) هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم
 (١٢) الله الذي سخر لكم البحر ليجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
 (١٣) وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات ليعلموا يتفكرون
 (١٤) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون
 (١٥) من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرآين كثير وحفص من رجز اليم بالرفع والباقون أليم بالجر وقرأ ابو جعفر ليجز بضم الباء وفتح الزاي وقرأ

ابن عامر وحزمة والكسائي وخلف لتجزي بالنون و كسر الزاي والنصب وقرأ الباقر لجيزي بفتح اليا
وكسر الزاي

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الرجز العذاب فمن جر فالتقدير بهم من عذاب اليم ومن رفع فالمعنى عذاب اليم من
عذاب وفيه قولان ✽ احدهما ✽ ان الصفة تجي على وجه التأكيد كما ان الحال تجي كذلك وذلك نحو
قوله نفخة واحدة ومناة الثالثة الأخرى وقولهم أمس الدابر قال

وأبي الذي ترى الملوك وجمعهم بفعال هامدة كأمس الدابر

✽ والآخر ✽ انه محمول على انه بمعنى الرجز الذي هو النجاسة على البديل للمقاربة ومعنى النجاسة
فيه قوله ويستقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه فكأن المعنى لهم عذاب من تجرع رجز أو شرب
رجس فتكون من نيينا للمذاب مما هو ومن قرأ لجيزي بالياء فحجته ان ذكر الله قد تقدم في قوله لا يرجون
أيام الله فيكون فاعل يجزي ومن قرأ بالنون فالنون في معنى الياء وان كانت الياء أشد مطابقة لما في اللفظ
ومن قرأ لجيزي قوما قال ابو عمرو انه حسن ظاهر وذكر ان الكسائي قال ان معناه لجيزي الجزاء قوما
قال الجامع البصير معناه لجيزي الخير قوما فأضمر الخير لدلالة الكلام عليه وليس التقدير لجيزي الجزاء قوما
لأن المصدر لا يقوم لمقام الفاعل وممكن مفعول صحيح فإذا الخير مضمرة كما اضمر الشمس في قوله حتى
تواتر بالحجاب لأن قوله إذا عرض عليه بالمشي يدل على توارى الشمس

✽ المعنى ✽

ثم قال سبحانه (هذا هدى) أي هذا القرآن الذي تلوناه والحديث الذي ذكرناه هدى أي دلالة
موصلة إلى الفرق بين الحق والباطل من أمور الدين والدنيا (والذين كفروا بآيات ربهم) وجحدوها
(لهم عذاب من رجز اليم) مر معناه ثم نبه سبحانه خلقه على وجه الدلالة على توحيد الله فقال (الله الذي
سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) أي جعله على هيئته لتجري السفن فيه (ولتبتغوا من فضله) أي
ولتطلبوا بركوبه في أسفاركم من الأرباح بالتجارات (ولعلكم تشكرون) له هذه النعمة (وسخر لكم ما في
السموات وما في الأرض) أي وسخر لكم مع ذلك معاش الخلق في السماوات من الشمس والقمر والنجوم
والطرر والناس والبرود وما في الأرض من الدواب والأشجار والنبات والثمار والأثمار ومعنى تسخيرها لنا انه تعالى
خلقها جميعا لانتفاعنا بها فهي مسخرة لنا من حيث انا نتفع بها على الوجه الذي نريده وقوله (جميعا منه) قال
ابن عباس أي كل ذلك رحمة منه لكم وقال الزجاج كل ذلك منه تفضل وإحسان ويحسن الوقف على
قوله جميعا ثم يقول منه أي ذلك التسخير منه لا من غيره فهو فضله وإحسانه وروي عن ابن عباس وصعد
الله بن عمر والجدري انهم قرأوا منة منصوبة ومنونة وعلى هذا فيكون من باب تسمت وميض البرق فكأنه
قال من عليهم منة وروي عن سلمة انه قرأ منة بالرفع وعلى هذا فيكون خبر مبتدأ محذوف أي ذلك منة أو هو
منة أو يكون على معنى سخر لكم ذلك منة (إن في ذلك لآيات) أي دلالات (لقوم يتفكرون) ثم
خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (قل) يا محمد (للذين آمنوا ينفروا) هذا جواب امر محذوف دل عليه
الكلام وتقديره قل لم اغفروا ينفروا فصار قل لهم على هذا الوجه يعني عنه عن علي بن عيسى وقيل معناه

قل للذين آمنوا اغفروا ولكنه شبه بالشرط والجزاء كقوله قل لسبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة عن الفراء وقبل يغفروا تقديره يا هؤلاء اغفروا فحذف المنادى كقوله ألا يا اسجدوا لله وقول الشاعر «ألا يا اسلمي ذات الدماليج والمقد» (الذين لا يرجون أيام الله) أي لا يخافون عذاب الله إذا نالوكم بالأذى والمكروه ولا يرجون ثوابه بالكف عنكم وقد مر تفسير أيام الله عند قوله وذكرهم بأيام الله ومعنى يغفرواها هنا يتركوا مجازاتهم على أذامهم ولا يكافؤوهم ليتولى الله مجازاتهم (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) بيان هذا الجزاء في الآية التي تليها وهو قوله (من عمل صالحا) أي طاعة وخيرا وبراً (فلنفسه) لأن ثواب ذلك يعود عليه (ومن أساء فعلها) أي فوبال أساءته على نفسه (ثم إلى ربكم ترجعون) يوم القيامة أي إلى حيث لا يملك احد النفع والضرر والنهي والأمر غيره سبحانه فيجازي كل إنسان على قدر عمله

قوله تعالى (١٦) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٧) وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٨) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٩) إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَوَيْهِ الْمُتَّقِينَ (٢٠) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ خمس آيات

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر النعمة ومقابلتهم إياها بالكفر والظلم بين عقوب ذلك ذكر ما كان من بني إسرائيل أيضا في مقابلة النعم من الكفران فقال (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب) يعني التوراة (والحكم) يعني العلم بالدين وقيل العلم بالفصل بين الخصمين وبين المحق والمبطل (والنبوة) أي وجعلنا فيهم النبوة حتى روي انه كان فيهم الف نبي (ورزقناهم من الطيبات) أي واعطيناهم من أنواع الطيبات (وفضلناهم على العالمين) أي عالمي زمانهم وقيل فضلناهم في كثرة الأنبياء منهم على سائر الأمم وإن كانت أمة محمد ﷺ أفضل منهم في كثرة المطيعين لله وكثرة العلماء منهم كما يقال هذا افضل في علم النحو وذلك في علم الفقه فأمة محمد ﷺ افضل في علو منزلة نبيها عند الله على سائر الأنبياء وكثرة المجتهدين الاخيار من آله وامته والفضل الخبير الزائد على غيره فأمة محمد ﷺ افضل بفضل محمد وآله (وآتيناهم بينات من الأمر) أي اعطيناهم دلالات وبراهين واضحات من العلم بعبث محمد وما بين لهم من أمره وقيل يريد بالامر أحكام التوراة (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي من بعد ما انزل الله الكتب على انبيائهم واعلمهم بما فيها (بغيا بينهم) أي طلبا للرئاسة وأنفة من الإذعان للحق وقيل بغيا على محمد ﷺ في جحود ما في كتابهم من نبوته وصفته (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ظاهر المعنى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر) أي ثم جعلناك يا محمد على دين ومنهاج وطريقة يعني بعد موسى وقومه والشريعة السنة التي من سلك طريقها أدته إلى البقية كالشريعة التي هي طريق إلى الماء فهي علامة منصوبة على

الطريق من الأمر والنهي يؤدي إلى الجنة كما يؤدي ذلك إلى الوصول إلى الماء (فاتبعها) أي اعمل بهذه الشريعة (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الحق ولا يفصلون بينه وبين الباطل من أهل الكتاب الذين غيروا التوراة اتباعاً لهواهم وحباً للرئاسة واستتباعاً للعوام ولا المشركون الذين اتبعوا أهواءهم في عبادة الأصنام (انهم لن يفتنوا عنك من الله شيئاً) أي لن يبدفوا عنك شيئاً من عذاب الله ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) يعني ان الكفار بأجمعهم متفقون على معاداتك وبعضهم انصار بعض عليك (والله ولي المتقين) أي ناصرهم وحافظهم فلا تشغل قلبك بتناصرهم وتعاونهم عليك فإن الله ينصرك عليهم ويحفظك (هذا بصائر للناس) أي هذا الذي انزلته عليك من القرآن بصائر أي معالم في الدين وعظات وعبر للناس يصرون بها من أمور دينهم (وهدي) أي دلالة واضحة (ورحمة) أي ونعمة من الله (لقوم يوقنون) بثواب الله وعقابه لأنهم هم المستفدون به

قوله تعالى (٢١) أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا ووعيلوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (٢٢) وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٣) أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٤) وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (٢٥) وإذا نتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتونا بآياتنا إن كنتم صادقين خمس آيات

(- القراءة -)

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر وروح وزهد سواء بالنصب والباقون بالرفع وقرأ أهل الكوفة غير غاصم غشوة بفتح الغين بغير الف والباقون غشوة بالالف

(الحجة)

قال أبو علي ليس الوجه في الآية نصب سواء على ان تجربه على ما قبله على حد قولك مردت برجل ضارب أبوه ويزيد خارجاً أخوه لأنه ليس باسم فاعل ولا مشبه به مثل حسن وشهدد ونحو ذلك إنما هو مصدر فلا ينبغي ان يجري على ما قبله كما يجري اسم الفاعل وما شبه به لتعريفه من المعاني التي تعمل لها فاعل وما شبه به عمل الفعل ومن قال مردت برجل خير منه أبوه وسرج خز صفته وبرجل مائة إبله استجاز ان يجري سواء أيضاً على ما قبله كما جرى الضرب الأول فأما من قرأ سواء بالنصب فإن انتصابه يحتمل ثلاثة أوجه أحدها ان يجعل المحيا والمات بدلاً من الضمير المنصوب في جعلهم فبصير التقدير ان نجعل محياهم ومماتهم سواء فينتصب سواء على انه مفعول ثان لنجعل ويكون انتصاب سواء على هذا القول حسناً لأنه لم يرفع مظهرها ويجوز أيضاً ان يجعل محياهم ومماتهم ظرفين من الزمان فيكون كذلك أيضاً ويجوز ان يجعل في الظرفين احد شيتين «أحدهما» ما في سواء من معنى الفعل كأنه يستوون في المحيا والمات

«والآخر» ان يكون العامل الفعل ولم يعلم الكوفيون الذين نصبوا سواء نصبوا المات فإذا لم ينصبوه كان النصب في سواء على غير هذا الوجه وغير هذا الوجه لا يخلو من أن ينتصب على انه حال أو على انه المفعول الثاني لتجمل وعلى اي هذين الوجهين حملته فقد اعلمته عمل الفعل فرفعت به المظهر فإن جعلته حالا أمكن ان يكون الحال من الضمير في نجعلهم ويكون المفعول الثاني قوله كالذين آمنوا فإذا جعلت قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني أمكن ان يكون سواء منتصبا على الحال مما في قوله كالذين آمنوا من معنى الفعل فيكون ذو الحال الضمير المرفوع في قوله كالذين آمنوا وهذا الضمير يعود إلى الضمير المنصوب في نجعلهم وانتصابه على الحال من هذين الوجهين ويجوز ان لا يجعل قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني ولكن يجعل المفعول الثاني قوله سواء بحياهم ومماتهم فيكون جملة في موضع نصب بكونها في موضع المفعول الثاني لتجمل ويجوز فيمن قال مرت برجل مائة ابنة فأعمل المائة عمل الفعل ان ينصب سواء على هذا الوجه أيضا ويرتفع به المحيا كما جاز ان يرتفع به إذا قدرت الجملة في موضع الحال والحال في الجملة التي هي سواء بحياهم ومماتهم يكون من جعل ويكون مما في قوله كالذين من معنى الفعل وقد قبل في الضمير في قوله بحياهم ومماتهم قولان ﴿احدهما﴾ انه ضمير الكفار دون الذين آمنوا فكان سواء على هذا القول مرتفعا بأنه خبر مبتدأ مقدم تقديره بحياهم ومماتهم سواء اي بحياهم محيا سوء ومماتهم مات سوء ولا يكون النصب على هذا في سواء لأنه اثبات في الاخبار بأن بحياهم ومماتهم يستويان في الذم والبعد من رحمة الله ﴿والقول الآخر﴾ ان الضمير في بحياهم ومماتهم للقبيلين فإذا كان كذلك جاز أن ينتصب سواء على انه المفعول الثاني من نجمل فيمن استجاز ان يعمل في الظاهر لأنه يلبس بالقبيلين جميعا وليس في الوجه الأول كذلك لأنه للكفار دون المؤمنين ولا يلبس للمؤمنين من حيث كان للكفار من دونهم ولا يجوز ان ينتصب سواء ولم يكن فيه إلا الرفع ويكون على هذا الوجه قوله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات في موضع المفعول الثاني وسواء بحياهم استئناف ولا يكون في موضع حال من قوله كالذين آمنوا لأنه لا يلبس بهم والقول في غشوة وغشاوة مذكور في سورة البقرة

﴿ اللغاة ﴾

الاجتراح الا كساب يقال جرح واجترح وكسب واكتسب وفلان جارحة قومه اي كاسبة قومه واصله من الجراح لأن لذلك تأثيرا كتأثير الجراح ومثله الاقتراف وهو مشتق من قرف القرحة والسيئة الفعلة القبيحة التي تسوء صاحبها باستحقاق الذم عليها والحسنة هي التي تسر صاحبها باستحقاق المدح عليها قال علي بن عيسى القبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله والحسن هو ما للقادر عليه ان يفعله وكل فعل وقع لا لأمر من الأمور فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة ولا إلى السفه

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه للكفار على سبيل التوبيخ لهم (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) معناه بل أحسب وهذا استفهام إنكار وقيل ان هذا معطوف على معنى مضمر تقديره هذا القرآن بصائر للناس مؤدية إلى الجنة أفعلوا ذلك أم حسب الذين اكتسبوا الشرك والمعاصي ان نجعل منزلتهم منزلة الذين صدقوا الله ورسوله وحققوا أقوالهم بأعمالهم (سواء بحياهم ومماتهم) اي يستوي

عيا القليلين وماتهم يعني أحسبوا أن حياتهم وماتهم كحياة المؤمنين وموتهم (سأ ما يحكمون) أي سأ ما حكموا على الله تعالى فإنه لا يسوي بينهم ولا يستقيم ذلك في العقول بل ينضر المؤمنون في الدنيا ويمكنهم من الشركين ولا ينصر الكافرين ولا يمكنهم من المسلمين وينزل الملائكة عند الموت على المؤمنين بالبشرى وعلى الكافرين بضربون وجوههم وأديارهم وقيل أراد بحياهم بعد البعث وماتهم عند حضور الملائكة لقبض أرواحهم وقيل أراد ان المؤمنين بحياهم على الإيمان والطاعة وماتهم على الإيمان والطاعة وعيا المشركين على الشرك والمعصية وماتهم كذلك فلا يستويان عن مجاهد وقيل ان الضمير في ماتهم ومحياتهم للكفار والمعنى انهم يتساوون في حال كونهم أحياء وفي حال كونهم أمواتا لأن الحي متى لم يفعل الطاعة فهو بمنزلة الميت ثم قال سبحانه (وخلق الله السموات والارض بالحق) أي لم يخلقها عبثا وإنما خلقها لخلقها بالحق بأن يكفهم ويعرضهم للثواب الجزيل (ولنجزى كل نفس بما كسبت) من ثواب على طاعة او عقاب على معصية (وهم لا يظلمون) أي لا يخسرون حقوقهم ثم قال (أفرأيت) يا محمد (من اتخذ إلهه هواه) أي اتخذ دينه ما بهواه فلا يهوى شيئا إلا ركب له لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه فاتبع هواه في امره ولا يحجزه تقوى عن ابن عباس والحسن وقناة وقيل ميناه من اتخذ معبوده ما بهواه دون ما دلت الدلالة على ان العبادة تحق له فإذا استحسنت شيئا وهواه اتخذته إلهًا وكان احدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو احسن منه رمى به وعبد الآخر عن عكرمة ومسيب بن جبير وقيل معنى افرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده ويرتكب ما يدعوه اليه ولم يرد أنه يعبد هواه أو يعتقد أنه تحق له العبادة لأن ذلك لا يعتقد احد عن علي بن عيسى قد أسس الله رسوله من إيمان هؤلاء بهذا (وأضله الله على علم) أي خذله الله وخلاه وما اختاره جزاء له على كفره وعناده وتركه تديره على علم منه باستحقاقه لذلك وقيل أضله الله أي وجدته ضالا على حسب ما علمه فخرج معلومه على وفق ما علمه كما يقال احدث فلانا أي وجدته حميدا وكقول عمرو بن معديكرب قاتلناهم فأجبتناهم وسألناهم فاجبتناهم وقولناهم فاجبتناهم أي ما وجدناهم كذلك وقيل معناه انه ضل عن الله كما قال

هبوني امرأ منك أضل بعيره له ذمة إن الذمام كبير

أي أضل عنه بعيره (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) فسرناه في سورة البقرة (فن يهديه من يهد الله) أي من يهداية الله إياه والمعنى إذا لم يهد بهدى الله بعد ظهوره ووضوحه فلا طبع في اهتدائه (أفلا تذكرون) أي أفلا تتمعظون بهذه المواعظ وهذا استبطاء بالتذكير منهم أي تذكروا واتعظوا حتى تحصلوا على معرفة الله تعالى ثم أخبر سبحانه عن منكري البعث فقال (وقالوا ما هي إلا حيواتنا الدنيا) أي ليس الحياة إلا حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب (نموت ونحيا) قيل في معناه أقوال **﴿**احدها **﴾** ان تقديره نحيا ونموت فقدم وأخر **﴿**والثاني **﴾** ان معناه نموت ونحيا أولادنا **﴿**والثالث **﴾** يموت بعضنا ويحيا بعضنا كما قال فاقتلوا أنفسكم أي ليقتل بعضكم بعضا (وما يهلكنا إلا الدهر) أي وما يميتنا إلا الأيام والليالي أي مرور الزمان وطول العمر انكاراً منهم للصانع (وما لهم بذلك من علم) نفى سبحانه عنهم العلم أي انما ينسبون ذلك إلى الدهر لجهلهم ولو علموا ان الذي يميتهم هو الله وأنه قادر على احيائهم لما نسبوا الفعل إلى الدهر (إنهم إلا يظنون) أي ما هم فيأذكروه إلا ظاننون وإنما الأمر بخلافه وقد روي في الحديث عن النبي **ﷺ** انه قال لا تسبوا الدهر فإن الله هو

الدهر. وتأويله ان اهل الجاهلية كانوا ينسبون الحوادث المجحفة والبلايا النازلة إلى الدهر فيقولون فضل الدهر كذا وكذا يسبون الدهر فقال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ان فاعل هذه الأمور هو الله تعالى فلا تسبوا فاعلها وقيل ممنافون الله مصرف الدهر ومدبره والوجه الأول أحسن فإن كلامهم مملوء من ذلك ينسبون أفعال الله إلى الدهر قال الاصمعي ذم اعرابي رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وقال كثير

و كنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشت
وقال آخر

فاستأثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني وما أرمي
يادهر قد اكرثت فجمعتنا بسرانا ووقرت في العظم

ثم قال سبحانه (واذا تلى عليهم آياتنا بينات) أي إذا قرأت عليهم حججنا ظاهرات (ما كان حجتهم إلا أن قالوا اتوا بآياتنا ان كنتم صادقين) أي لم يكن لهم في مقابلتها حجة إلا مقاتلتهم ان كنتم صادقين في ان الله يعبد الأموات وبعثهم يوم القيامة فأتوا بآياتنا واحبهم حتى نعلم ان الله قادر على بسناؤنا بما لم يجيبهم الله إلى ذلك لأنهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الرشد

قوله تعالى (٢٦) قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمِينُكُمْ ثُمَّ يُجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٧) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُونَ بِخَيْرِ الْمُبْطِلُونَ (٢٨) وَقَرَأَ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٠) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَبِيدُ خمس آيات

﴿ الترواة ﴾

قرأ يعقوب كل أمة تدعى إلى كتابها بفتح اللام والباقون بالرفع .

﴿ الحجة ﴾

الوجه في نصبه انه بدل على الأول وفي الثاني من الابضاح ما ليس في الأول لأن فيه ذكر السبب الداعي إلى الحياة فذلك جاز ابداله منه وتكون تدعى في موضع نصب على الحال أو على انه مفعول ثان على تفصيل معنى ترى

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راداً على الكفار قولهم فقال (قل) يا محمد (الله يجيبكم) في دار الدنيا لأنه لا يقدر على الإحياء احد سواه لأنه القادر لنفسه (ثم ينبتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يجمعكم إلى يوم القيمة) بأن يعيدكم أحياء (لا ريب فيه) أي لا شك فيه في قيام الحجة عليه وإنما احتج بالاحياء في دار الدنيا لأن من قدر على فعل الحياة في وقت قدر على فعلها في كل وقت ومن عجز عن ذلك في

وقت مع ارتفاع الموانع المعقولة وكونه حيا عجز عنه في كل وقت (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ذلك بعدوهم عن النظر الموجب للعلم بصحته (ولله ملك السموات والارض) وهو قادر على البعث والاعادة (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) العادلون عن الحق الفاعلون للباطل انفسهم وحياتهم في الدنيا لا يحصلون من ذلك الا على عذاب دائم (وترى كل امة جاثية) أي وترى يوم القيامة اهل كل ملة باركة على ركبها عن ابن عباس وقيل باركة مستوفزة على ركبها كهيئة قعود الخصوم بين يدي القضاة عن مجاهد والضحاك وابن زيد وقيل ان الجثو للكفار خاصة وقيل هو عام للكفار والمؤمنين ينتظرون الحساب (كل امة تدعى الى كتابها) أي كتاب أعمالها الذي كان يستنسخ لها وقيل الى كتابها المنزل على رسولها ليستلوا عما عملوا به (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك (هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق) أي يشهد عليكم بالحق والمعنى بينه بيانا شافيا حتى كأنه ناطق (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نستكتب الحفظة ما كنتم تعملون في دار الدنيا والاستنساخ الا مر بالنسخ مثل الاستكتاب الا مر بالكتابة وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من خير وشر وعلى هذا فيكون معنى نستنسخ ان الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدون عندها من احوال العباد وهو قول ابن عباس (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي جنته وثوابه (ذلك هو الفوز المبين) أي الفلاح الظاهر

قوله تعالى (٣١) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَنْدُرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ (٣٣) وَبَدَأَ لَهُمْ سِدِّاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ (٣٥) ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُم آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَبْتُمْ أَعْيُنَ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٦) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (سبع آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ حمزة وحده والساعة بالنصب والباقون بالرفع

❖ الحجة ❖

قال ابو علي الرفع على وجهين ❖ أحدهما ❖ ان يقطع من الأول فيعطف جملة على جملة ❖ والآخر ❖ ان يكون محمولا على موضع ان وما عملت فيه وموضعها رفع واما النصب فمحمول على لفظ ان وموضع لا ريب فيها رفع بأنه في موضع خبر ان وقد عاد الذكر إلى الاسم فكانه قال والساعة حق لأن قوله لا ريب فيها في معنى حق قال ابو الحسن والرفع اجود في المعنى واكثر في كلام العرب إذا جاء بعد خبر إن اسم معطوف ويقوه قوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والماقبة للمتقين

(المعنى)

ثم عقب سبحانه الرعد بالوعيد فقال (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) اي فيقال لهم أفلم تكن حججبي وبيناتي تقرأ عليكم من كتابي (فاستكبرتم) اي تعظمتم عن قبولها (وكنتم قوماً مجرمين) اي كافرين كما قال افتجمل المسلمين كالمجرمين والفناء في قوله أفلم تكن دالة على جواب أما المحذوف (وإذ قيل ان وعد الله حق) اي ان ما وعد الله به من الثواب والعقاب كائن لا محالة (والساعة لا ريب فيها) اي وإن القيامة لا شك في حصولها (قلتم) معاشر الكفار (ما ندرى ما الساعة) واتكرونها (أن نظن إلا ظناً) ونشك فيه (وما نحن بمسئقين) في ذلك (وبداء لهم سيئات ما عملوا) اي ظهر لهم جزاء ما صنعهم التي عملوها (وحق بهم ما كانوا به يستهزون) اي جزاء استهزائهم وقيل اليوم نساكم) اي نترككم في العقاب كما نسيتم لقاء يومكم هذا) اي تركتم التأهب للقاء يومكم هذا عن ابن عباس وقيل معناه نحللكم في المذاب محل المنسي كما أحلثتم هذا اليوم عندكم محل المنسي (وما أواكم النار) اي مستقركم جهنم (وما لكم من ناصرين) يدفعون عنكم عذاب الله (ذلكم) الذي فعلنا بكم (بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً) اي سخرية تسخرون منها (وغرتكم الحياة الدنيا) اي خدمتكم بزيتها فافتررت بها (فالיום لا يخرجون منها) اي من النار وقرأ اهل الكوفة غير عاصم يخرجون بفتح الياء كما في قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها (ولا هم يستعجبون) اي لا يطلب منهم العجب والامتداح لأن التكليف قد زال وقيل معناه لا تقبل منهم العتبي ثم ذكر سبحانه عظمته فقال (فله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اي الشكر التام والمدحة التي لا يوازيها مدحة فله الذي خلق السموات والارض ودبرها وخلق العالمين (وله الكبرياء) اي السلطان القاهر والعظمة القاهرة والعلو والرفعة (في السموات والارض) لا يستحقها احد سواه وفي الحديث يقول الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة ازارني فمن نازعني واحدة منها القيت في جهنم (وهو العزيز) في جلاله (الحكيم) في افعاله وقيل العزيز في انتقامه من الكفار والحكيم فيما يفعله بالمومنين والاخيار

سورة الاحقاف

مكية قال ابن عباس وكتادة الآية منها نزلت بالمدينة قل رأيتم ان كان من عند الله الآية نزلت في عبد الله بن سلام

﴿ عدد آياتها ﴾

خمس وثلاثون آية كوفي اربع في الباقيين

﴿ اختلافها ﴾

آية حم كوفي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الاحقاف أعطي من الاجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ومعني عنه عشرين وثلاثون درجة ومن عبد الله بن أبي يعفور عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ كل ليلة او كل جمعة سورة الاحقاف لم يصبه الله بروعة في الدنيا وآمنه من فزعه يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله تلك السورة بذكر التوحيد وذم اهل الشرك والوعيد اقتتحت هذه السورة ايضاً بالتوحيد ثم بالتوبيخ

لاهل الكفر من العبيد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٣)
مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا
مُعْرِضُونَ (٤) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أُرْسِلُوا مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ
فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَوِّى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنَارَةَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٥) وَمَنْ
أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ علي (ع) وابو عبد الرحمن السلمي اواثرة بسكون التاء من غير الف وقرأ ابن عباس بخلاف وعكرمة
وقتادة اواثرة بفتح التين والقراءة المشهورة اواثرة بالالف

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني الاثرة والاثارة البقية وهي ما يوتر من قولهم اثر الحديث يوتره أثراً؛ اواثرة ويقولون هل عندك
من هذا اثرة واثارة اي اثر ومنه سيف مأثور اي عليه أثر الصنعة وطريق العمل وأما الاثرة ساكنة التاء فهي
ابلف معنى وذلك انها الفعلة الواحدة من هذا الاصل فهي كقولهم أتتوني بخبر واحداً وحكاية شاذة اي قدمت
في الاحتجاج لكم بهذا الاصل على قلته

﴿ المعنى ﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) مر تفسيره (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق)
اي ما خلقناها عبثاً ولا باطلاً وإنما خلقناها لتبديس سكانها بالامر والنهي ونعرضهم لاثواب وضروب النعم فنجازيهم
في الآخرة باعمالهم (واجل مسمى) يعني يوم القيامة فإنه اجل مسمى عنده مطوي عن العباد علمه اذا انتهى اليه
تناهى وقامت القيامة وقيل هو مسمى للملائكة وفي اللوح المحفوظ (والذين كفروا عما أُنذروا معرضون) اي
ان الكافرين عبا انذروا من القيامة والجزاء معرضون عادلون عن التفكير فيه (قل) لهؤلاء الذين كفروا بالله
(أرأيتم ما تدعون من دون الله) من الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض) فاستحقوا بخلق ذلك العباد
والشكر (ام لهم شرك في السموات) اي في خلقها وتقديره ام لهم شرك ونصيب في خلق السموات ثم قال
لهم (أتتوني بكتاب من قبل هذا) القرآن انزله الله يدل على صحة قولكم (اواثرة من علم) اي بقية من
علم يوتر من كتب الأولين يعلمون به انهم شركاء لله (إن كنتم صادقين) فيا تقولون من مجاهد وقيل
او اثاره من علم اي خبر من الانبياء عن عكرمة ومقاتل وقيل هو الخط اي بكتاب مكتوب عن ابن عباس
وقيل خاصة من علم أوترتم به من قتادة والمعنى فهاتوا احدى هذه الحجج الثلاث اولها دليل العقل والثانية الكتاب
والثالثة الخبر المتواتر فلماذا لم يمكنهم شيء من ذلك فقد وضع بطلان دعواهم (ومن أضل ممن يدعو من دون
الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) اي من اضل عن طريق الصواب ممن يدعو من دون الله شيئاً او دعاه الى
يوم القيامة لم يجبه ولم يشه والمراد انه لا يستجيب له ابداً (وهم عن دعائهم غافلون) اي ومن يدعوهم مع ذلك
لا علم لهم بدعائهم ولا يسمعون دعاءهم وإنما كنى عن الاصنام بالواو والنون لما أضاف اليها ما يكون من العقلاء
كقوله رأيتهم لي ساجدين

قوله تعالى (٦) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٧) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٨) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩) قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا بُوحِيَ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الآية الدلالة التي تدل على ما يتعجب منه قال

بأية تقدمون الخيل زورا كأن على سنانكها مداما

أفاض القوم في الحديث اذا مضوا فيه وأصل الافاضة الدفع وافاضوا من عرفات اندفعوا منها وحديث مفاض ومستفاض ومستفيض اي جار شائع والبدع والبديع بمعنى وهو بدع من قوم ابداع قال عدي بن زيد

فلا انا بدع من حوادث تعتري رجالا عرت من بعد بوسى واسعد

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت الآية الأخيرة في عهد الله بن سلام وهو الشاهد من بني اسرائيل فروي ان عبد الله بن سلام جاء الى النبي ﷺ فأسلم وقال يا رسول الله سل اليهود عني فإنهم يقولون هو اعلمنا فإذا قالوا ذلك قلت لهم ان التوراة دالة على نبوتك وان صفاتك فيها واضحة فلما سلم قالوا ذلك فحينئذ اظهر عبد الله بن سلام ايمانه فكذبوه

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه انه اذا قامت القيامة صارت آلهتهم التي عبدوها اعداء لهم فقال (وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) وكذلك قوله ويكونون عليهم ضدا (وكفروا بعبادتهم كافرين) يعني ان هذه الاوتان التي عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا ان يكونوا دعوا الى عبادتها ويكفروا بعبادة الكفار ويجحدوا ذلك ثم وصفهم الله سبحانه فقال (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم اي للقرآن والمعجزات التي ظهرت على يد النبي ﷺ (هذا سحر مبين) اي حيلة لطيفة ظاهرة وخداع بين (ام يقولون افتره قُلْ) يا محمد لهم (ان افتريته) اي ان كذبت على الله واختلقت القرآن كما زعمتم (فلا تملكون لي من الله شيئا) اي ان كان الامر على ما تقولون اني ساحر مقتر فلا يمكنكم ان تمنعوا الله مني اذا اراد اهلاكي على افتراضي عليه والمراد كيف افترى على الله من اجلكم وانتم لا تقدررون على دفع عقابه عني ان افترت عليه (هو اعلم بما تفيضون فيه) اي ان الله اعلم بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب به والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بيني وبينكم) ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) في تأخير العقاب عنكم حين لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج هذا دعاء لهم الى التوبة اي من اتى من الكبائر مثل ما اتيتم به من الافتراء على الله وعلي ثم تاب فان الله غفور رحيم به (قل) يا محمد (ما كنت بدعا من الرسل) اي است بأول رسول بعث عن ابن عباس ومجاهد

وقتادة والبدع الاول من الامر (وما ادري ما يفعل بي ولا بكم) اي لا ادري. أموت ام اقتل ولا ادري أيها
 المكذبون اترمون بالطجارة من السماء ام يخسف بكم ام ليس يفعل بكم ما فعل بالامم المكذبة وهذا اتسا
 هو في الدنيا وأما في الآخرة فإنه قد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار عن الحسن والسدي وقيل معناه
 لست ادعي غير الرسالة ولا ادعي علم الغيب ولا معرفة ما يفعله الله تعالى بي ولا بكم في الإحياء والإماتة
 والمنام والمضار إلا أن يوحى الي عن أبي مسلم وقيل ما ادري ما اوامر به ولا ما تأمرون به عن الضحاك وقيل
 ما ادري أتترك بمكة ام اخرج منها بأن أوامر بالتحول عنها الى بلد آخر وما ادري أوامر بقتالكم او بالكف
 عن قتالكم وهل ينزل بكم العذاب ام لا (ان اتبع الامايوحى اليه) اي استاتبع في أمركم من حرب او سلم
 أو أمر او نهي إلا ما يوحى الله الي وما يأمرني به (وما انا إلا نذير مبين) اي مخوف لكم ظاهر (قل) يا محمد
 لهم (أرايتم) معناه اخبروني ماذا تقولون (ان كان من عند الله) اي ان كان هذا القرآن من عند الله هو أتزله
 وهذا النبي رسوله (وكفرتهم) انتم ايها المشركون به (وشهد شاهد من بني اسرائيل) يعني عبد
 الله بن سلام (على مثله) معناه عليه اي على انه من عند الله وقيل على مثله اي على التوراة من مسروق وقال الشاهد
 موسى شهد على التوراة كما شهد النبي ﷺ على القرآن لأن السورة مكية وابن سلام اسلم بالمدينة (فآمن)
 يعني الشاهد (واستكبرتم) انتم على الايمان به وجواب قوله ان كان من عند الله محذوف وتقديره أستم من
 الظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) وقيل جوابه فمن أضل منكم من الحسن
 وقيل جوابه أفتمننون من الزجاج

قوله تعالى (١١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ
 يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَقُولُونَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا قَدِيمٌ (١٢) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ
 مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ (١٣) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
 اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٤) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا
 وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
 الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ
 وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ خمس آيات

« القراءة »

قرأ اهل الحجاز وابن عامر ويعقوب لتندربالتاء، والباقون بالياء، وقرأ اهل الكوفة احسانا والباقون حسنا
 وروي عن علي (ع) وابي عبد الرحمن السلمي حسنا بفتح الحاء والسين وقرأ اهل الحجاز وابوعمره والكسائي
 كرها بفتح الكاف والباقون بضمها وقرأ يعقوب وفضله وهو قراءة الحسن وابي رجاء وعاصم والجدري
 والباقون وفضاله

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ لتندربالتاء، قوله انما انت حنذر وقوله لتندرب به وذكرى وحجة الياء. لينذر
 بأسا شديدا واستند الانذار الى الكتاب كما استند الى الرسول واما الباء في قوله بوالديه فيجوز ان يتعلق بوصينا

بدلالة قوله ذلكم وصلاكم به ويجوز ان يتعلق بالاحسان ويدل عليه قوله وقد احسن في اذ اخرجني ولا يجوز ان يتعلق في الآية بالاحسان لتقدمها على الموصول ولكن يجوز ان تعلقه بمضمرة يفسره الاحسان كما جاز في نحو قوله وكانوا فيمن الزاهد بقوله «كان جزائي بالعسا ان اجله» في قول من لم يعلقه بالجزء . والاحسان خلاف الابهامة والحسن خلاف القبح فمن قال احسانا كان انتصابه على المصدر وذلك ان معنى قوله بوصينا الانسان بالديه حسنا امرناه بالاحسان اي لياقي الاحسان اليهما دون الاسامة ولا يجوز ان يكون انتصابه بوصينا لأن وصينا قد استوفى مفعوليه اللذين احدهما منصوب والاخر المتعلق بالباء . ومن قرأ حسنا فمعناه ليات في امرها امرا ذا حسن اي ليات الحسن في امرها دون القبيح ويؤيده قراءة علي صلوات الرحمن عليه حسنا لأن معناه ليات في امرها فعلا حسنا . واما الكره بالفتح فهو المصدر والكره بالضم الاسم كأنه الشئ المكروه وقال كتب عليكم القتال وهو كره لكم وهذا بالضم وقال ان تروا النساء كرها فهذا في وضع الحال والفتح فيه احسن وقد قيل انهما لفتان ولما اتصل فهو بمعنى الفصال الا ان الأكثر بالالف وفي الحديث لارضاع بعد الفصال يعني بعد القطام

اللغة

التقديم ما تقدم وجوده وفي عرف المتكلمين هو الموجود الذي لا اول لوجوده والايضاع اصله المنع واوزعني امنعني عن الانصراف عن ذلك بلطف ومنه قول الحسن لا بد للناس من وزعة وقلق ابو مهلم الايضاع ايصال الشئ الى القلب

الإعراب

اماما منصوب على الحال من الضمير في الظرف عند سيويه ومن كتاب موسى عند الأخفش ومن رفع بالظرف ويجوز ان يرتفع قوله كتاب موسى بالظرف على قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل اي وشهد شاهد من قبل القرآن كتاب موسى ففضل بالظرف بين الواو والمطوف به ورحمة مطوف على قوله اماما دلسا لتعريما منصوب على الحال ايضا من قوله هذا كتاب ويجوز ان يكون حالا ما في مصدق من الضمير وتقديره وهذا كتاب مصدق محفوظا به على لسان العرب وبشرى عطف على قوله لينذر وهو مفعول له جزء مصدر موكدا قبله وتقديره جوزوا جزءا فاستمضى عن ذكر جوزوا لدلالة الجملة قبلها عليها ويجوز ان يكون جزءا مفعولا له وكرها منصوب على الحال اي حمله كارهة

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) بالله ورسوله (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) اي لو كان هذا الذي يدعوننا اليه محمدا خيرا اي نفعا عاجلا او آجلا ما سبقنا هؤلاء الذين آمنوا به الى ذلك لأننا كنا بذلك اولي واختلف فيمن قال ذلك قليل هم اليهود قالوا لو كان حين محمد صلى الله عليه وسلم خيرا ما سبقنا اليه عبد الله بن سلام عن اكثر المفسرين وقيل ان اسلم وجبينة ومزينة وغاندا لما اسلموا قال بنو عامر بن صعصعة وغطفان واسد واشجع هذا القول عن الكلبي ونظم الكلام بوجب ان يكون ما سبقتمونا اليه ولكنه على ترك المخاطبة (واذ لم يهتدوا به فيقولون هذا افك قديم) اي فلماذا لم يهتدوا بالقرآن من حيث لم يتدبروه فيقولون هذا القرآن كذب متقدم اي اساطير الاولين ثم قال سبحانه (ومن قبله كتاب موسى) اي من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة (اماما) يقتدى به (ورحمة) من الله للمؤمنين به قبل القرآن وتقدير الكلام وتقدمه كتاب موسى اماما وفي الكلام محذوف يتم به المعنى تقديره فلم يهتدوا به ودل عليه قوله في الآية الاولى واذ لم يهتدوا به وذلك ان المشركين لم يهتدوا بالتوراة فيتركوا ما هم عليه من عبادة الاوثان ويعرفوا منها صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال (وهذا كتاب) يعني القرآن (مصدق)

لاكتب التي قبله (لسانا عربيا) ذكر اللسان توكيدا كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا فتذكر رجلا توكيدا (لتنذر الذين ظلموا) اي لتخوفهم يخاطب النبي ﷺ ومن قرأ بالياء استند الفعل الى الكتاب (وبشرى للمحسنين) وبشارة للمؤمنين وقيل معناه وبشر بشرى فيكون نصبا على المصدر ويجوز ان يكون في موضع رفع اي وهو بشرى للمحسنين الموحدين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) مر تفسيره (فلاخوف عليهم) من العقاب (ولا هم يحزنون) من احوال يوم القيامة (او تلك اصحاب الجنة) الملازمون لها المنعمون فيها (خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) في الدنيا من الطاعات والاعمال الصالحات (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) مر تفسيره (حملته امه كرها) اي بكرهه ومشقة عن الحسن وقتادة ومجاهد يعني حين اثقلت وتقل عليها الولد (ووضته كرها) يريد به شدة الطلق عن ابن عباس (وحمله وفضاله ثلاثون شهرا) يريد ان أقل مدة الحمل وكمال مدة الرضاع ثلاثون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر ارضعت احد وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ اشده) وهو ثلاث وثلاثون سنة عن ابن عباس وقتادة وقيل بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل وقت قيام الحجلة عليه من الحسن وقيل هو اربعون سنة وذلك وقت انزال الوحي على الانبياء ولذلك فسره فقال (وبلغ اربعين سنة) فيكون هذا بياننا لزمان الأشد واراد بذلك انه يكمل له رأيه ويحتمس عليه عقله عند الاربعين سنة (قال رب اوزعني) اي المهمني (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه) قدم تفسيره في سورة النمل (واصلح لي في ذريتي) اي اجعل ذريتي صالحين عن الزواج وقيل انه دعاء باصلاح ذريته لبره وطاعته لقوله اصلح لي وقيل انه الدعاء باصلاحهم لطاعة الله عز وجل وهو عبادته وهو الاشبه لأن طاعتهم لله من بره لأن اسم الذرية يقع على من يكون بعده وقيل معناه اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق عن سهل بن عبد الله (اني تبت اليك) من سيئاتي وذنوبي (واني من المسلمين) المتقادين لا أمرك

قوله تعالى (١٦) أو تلك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصديق الذي كانوا يوعدون (١٧) والذي قال لو اذنبه أف لكما اتعداني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويبتغيثان الله واعد الله حق فبقول ما هذا إلا أساطير الأولين (١٨) أو تلك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (١٩) ولكل درجات مما عملوا وليوفينهم أعمالهم وهم لا يظلمون (٢٠) ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر نتقبل وتجاوز بالنون احسن بالنصب والباقون يتقبل ويتجاوز بضم الياء احسن بالرفع وقرأ ابن كثير وابو جعفر ويعقوب اذهبتم بهزة واحدة بمدودة وقرأ ابن عامر اذهبتم بهزتين والباقون اذهبتم بفتح الهزة

* الحجة *

من قرأ يتقبل فلأن الفعل وان كان مبنيًا للمفعول به فمعلوم انه لله تعالى كما جاء في الاخرى انما يتقبل الله من المتقين فبنائه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل وحجة من قرأ نتقبل بالتون انه قد تقدم الكلام ووصينا الانسان وكلاهما حسن وقد ذكرنا اختلافهم في اف في بني اسرائيل وحجة الاستفهام في اذهبتم انه قد جاء هذا التنوير بالاستفهام نحو أليس هذا بالحق وقوله أكفرتم بعد ايمانكم ووجه الخبر ان الاستفهام تقرير فهو مثل الخبر الا ترى ان التقرير لا يجاب بالفاء كما يجاب بالفاء كما يجب بها اذا لم يكن تقريراً فكأنهم يوجبون بهذا الذي يجبرون به ويكتبون والمعنى في القراءة يتبين انهم هذا فحذف القول كما حذف في نحو قوله أكفرتم بعد ايمانكم

- (الاعراب) -

وعد الصدق نصب على المصدر تقديره وعدمه الله ذلك وعدا وضافته الى الصدق غير حقيقية لأن الصدق في تقدير النصب بأنه صفة وعدو الذي كانوا يوعدون موصل وحلة في موضع النصب بكونه صفة الوعد واف لكما مبتدأ وخبر تقديره هذه الكلمة التي تقال عند الامور المكروهة كائنة لكما وبلك منصوب لأنه مفعول فعل محذوف تقديره الزمك الله الويل وقيل تقديره وي لك فهو مبتدأ وخبر كما قلناه في اف لكما وليوفيههم معطوف على محذوف تقديره والله اعلم ليجزيهم بما عملوا وليوفيههم اعمالهم

- (المعنى) -

ثم اخبر سبحانه بما يستحقه هذا الانسان من الثواب فقال (أو تلك) يعني اهل هذا القول (الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) اي يثابون على طاعاتهم والمعنى تقبل بايجاب الثواب لهم احسن اعمالهم وهو ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات فلن المباح ايضا من قبيل الحسن ولا يوصف بأنه متقبل (وتجاوز عن سيئاتهم) التي اقترفوها (في اصحاب الجنة) اي في جملة من يتجاوز عن سيئاتهم وهم اصحاب الجنة فيكون قوله في اصحاب الجنة في موضع نصب على الحال (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) اي وعدمه وعد الصدق وهو ما وعد اهل الايمان بأن يتقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئاتهم اذا شاء ان يفضل عليهم بالسقاط عقابهم او اذا تابوا الوعد الذي كانوا يوعده في الدنيا على السنة الرسل (والذي قال لوالديه) اذا دعوه الى الايمان (اف لكما) وهي كلمة تبرم بقصد بها اظهار التسخن ومعناه بعدا لكما وقيل معناه ننتا وقذرا لكما كما يقال عند شم الرائحة المكروهة (اتعد اني ان اخرج) من القبر واحيا وابعث (وقد خلت القرون من قبلي) اي مضت الامم وماتوا قبلي فما اخرجوا ولا اعيدوا وقيل معناه خلت القرون على هذا المذهب ينكرون البعث (وهما) يعني والديه (يستغيبان الله) اي يستصرخان الله ويطلبان منه الثوث ليلطف له بما يؤمن عنده ويقولان له (ويلك آمن) بالقيامة بما يقوله محمد ﷺ (ان وعد الله) بالبعث والنشور والثواب والعقاب (حق فيقول) هو في جوابها (ما هذا) القرآن وما تزعمانه وتدعوانني اليه (الا اساطير الاولين) اي اخبار الاولين واحاديثهم التي سطرها وليس لها حقيقة وقيل ان الآية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قال له ابواه اسلم وألح عليه فقال احيا لي عبد الله بن جدعان ومشايخ قريش حتى اسألهم عما تقولون عن ابن عباس وابي العالية والسدي ومجاهد وقيل الآية عامة في كل كافر عاق لوالديه عن الحسن وقادة والزجاج قالوا ويدل عليه انه قال عقيبها (أو تلك الذين حق عليهم القول في امم) اي حق عليهم كلمة العذاب في امم اي مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) على مثل حالهم وامتدادهم قال قتادة قال الحسن الجن لا يموتون فقلت أو تلك الذين حق عليهم القول في امم الآية تدل على خلافة ثم قال سبحانه مضرا عن حالهم (انهم كانوا خاسرين) لأنفسهم إذ اهلكوها بالمعاصي (ولكل درجات مما عملوا) اي لكل واحد من تقدم ذكره من المؤمنين

البردة والكافرين الفجرة درجات على مراتبهم ومقادير اعمالهم فدرجات الابرار في عليين ودرجات الفجار دركات في سبعين من ابن زيد والي مسلم وقيل معناه ولكل مطيع درجات ثواب وان تفاضلوا في مقاديرها من الجاني وعلي بن ميسرة (ولم يفهم اعمالهم) اي جزاء اعمالهم وثوابها ومن قرأ بالياء فالمنى وليوفيهم الله اعمالهم (وهم لا يعظلمون) بظلم لا يستحقونه او يمنح ثواب يستحقونه (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعني يوم القيامة اي يدخلون النار كما يقال عرض فلان على السوط وقيل معناه عرض عليهم النار قبل ان يدخلوها ليروا اعمالها (افهتتم طياتكم في سيراتكم الدنيا) اي فيقال لهم آثرتم طياتكم ولذاتكم في الدنيا على طيات الجنة (واستتتم بها) اي انتفتم بها منهمكين فيها وقيل هي الطيات من الرزق يقول انفتسوها في شهواتكم وفي ملاذ الدنيا ولم تنفقوها في مرضاة الله ولما وبعث الله سبحانه الكفار بالتمتم بالطيات والذات في هذه الدار آثر النبي ﷺ وامير المؤمنين (ع) الزهد والتكشف واجتناب الترفه والنعمة وقد روي في الحديث ان عمر بن الخطاب قال استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة ام ابراهيم وانه لم يطجع على خصفة وان بعضه على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا فسلمت عليه ثم جلست فقلت يا رسول الله انت نبي الله وصفوته وخيرته مسن خلقه وكسرى وقيصر على سر الذهب وفرش الديباج والحري فقال رسول الله ﷺ او لئلك قوم عجلت طياتهم وهي وشبكة الانقطاع وانما اخبرت لنا طياتنا وقال علي بن ابي طالب عليه افضل الصلوات في بعض خطبه وانه لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها فقلت اغرب عني فمئذ الصباح محمد القوم السرى وروى محمد بن قيس عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال والله ان كان علي (ع) لياكل اكلة العبد ويجلس جلسة العبد وان كان يشترى القيصين فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فاذا جاز اصابه قطعه واذا جاز كعبه حذفه ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنه على لبنه ولا اورث بيضاء ولا حمراء وان كان يطعم الناس على خبز البر واللحم وينصرف الى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والحل وما ورد عليه امران كلاهما فهو وجل فيه رضى الاخذ باشدهما على بدنه ولقد امتق الف مملوك من كد يمينه تربت منه يدها وعرق فيه وجهه وما اطاق عمله احد من الناس بعده وان كان ليصلي في اليوم والليلة الف ركعة وان كان اقرب الناس شبيها به علي بن الحسين (ع) ما اطاق عمله احد من الناس بعده ثم انه قد اشتهر في الرواية انه (ع) لما دخل على العلاء بن زياد بالبصرة بعهده قال له العلاء يا امير المؤمنين اشكر اليك اخي عاصم بن زياد لبس العباءة وتخلى من الدنيا فقال (ع) علي به فلما جاء به قال يا عدي نفسه لقد استهام بك الحديث لما رحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيات وهو يكره ان تأخذها انت اهون على الله من ذلك قال يا امير المؤمنين هذا انت في خشنة ملبسك وجشوبة ماكلك قال ويحك اني لست كأنت ان الله تعالى فرض على ائمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعة الناس كيلا يتبجح بالفقر فقره (فاليوم تجزون عذاب الهون) اي العذاب الذي فيه الذل والحزني والهوان (بما كنتم تستكبرون في الارض) اي باستكباركم عن الاتقياء للحق في الدنيا وتكبركم على انبياء الله واوليائه (بغير الحق وبما كنتم تقسقون) اي بخروجهكم من طاعة الله الى معاصيه

قوله تعالى (٢١) واذا ذكر انما عاد اذا انذر قومهم بالاحقاف وقد خلت انذار من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٢٢) قالوا احببتنا لنا فيكننا عن اللهيتنا فاننا بما نعدنا ان كنت من الصادقين (٢٣) قال انما العلم عند الله وابلفكم ما ارسلت به وليكني اراكم قومًا تجهلون (٢٤) فلما رآوه عارضًا مستقبل

أَوْ دَيْبِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) تَدْمِرُ
كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير الكسائي ويعقوب وسهل لا يرى بضم الياء. إلا مساكنهم بالرفع وقرأ الباقر لآ ترى
باتا. إلا مساكنهم بالنصب وفي الشواذ قراءة الحسن والي رجا. وقناة ومالك بن دينار والاعمش لآ ترى بضم
التاء. إلا مساكنهم بالرفع وقرأ الأعمش مسكنهم

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي تذكير الفعل في قوله لا يرى إلا مساكنهم حسن وهو أحسن من الحاق علامة التانيث الفعل من
أجل الجمع وذلك أنهم حملوا الكلام في هذا الباب على المعنى فقالوا ما قام الأند ولم يقولوا ما قامت لما كان
المعنى ما قام احدولا يجي التانيث فيه إلا في شذوذ ضرورة فمن ذلك قول الشاعر

يرى النحر والاجراز ما في عروضها فما بقيت إلا الصدور الجراشع
وقرل ذي الرمة

كأنها جمل وهم وما بقيت إلا النخيزة والألواح والعصب
قال ابن جنبي قوله مسكنهم ان شئت جعلته مصدرا وقدرت حذف المضاف اي لا ترى إلا آثار مسكنهم
كما قال ذو الرمة

تقول عجوز مدرجي متروحا على بابها من عند أهلي وغاديا
فالدرج هنا مصدر الاتراء قد نصب الحال وإن شئت قلت مسكنهم واحد كفى من جماعة

﴿ اللفظة ﴾

الاحقاف جمع حقف وهو الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ أن يكون جبلا قال المبرد الحقف هو الرمل الكثير
المكتنر غير العظيم وفيه امرجاج قال العجاج «بات على اوطاة احقف احقفا» والعارض السحاب يأخذ في عرض السماء
قال الاعشى

يا من رأى عارضا قد بت ارمقه كأنما البرق في حافاته شعل
والتدمير الإهلاك وإلقاء بعض الأشياء على بعض حتى يجرب ويهلك قال جرير

و كان لهم كبكر ثمود لما رعى ظهرا فدمرهم دمارا

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم (واذكر) يا محمد لقومك أهل مكة (أخا عاد) يعني هودا (إذ انذر قومه)
أي خوفهم بالله تعالى ودعاهم إلى طاعته (بالاحقاف) وهو واد بين عمان ومهرة عن ابن عباس وقيل رمال فيا بين
عمان إلى حضرموت عن ابن اسحاق وقيل رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن عن قتادة وقيل أرض خللاها
رمال عن الحسن (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي وقد مضت الرسل من قبل هود (ع) ومن بعده
(ألا تعبدوا إلا الله) أي بأن لا تعبدوا والمعنى اني لم ابعث قبل هود ولا بعده إلا بالأمر بعبادة الله وحده وهذا
اعتراض كلام وقع بين انذار هود وكلامه لقومه ثم عاد إلى كلام هود لقومه فقال (إني اخاف عليكم عذاب يوم

عظيم (وتقدير الكلام إذ انذر قومهم بالاحقاف فقال اني اخاف عليكم الآية ثم حكى ما اجاب به قومهم بقوله (قالوا اجئتنا يا هود (لتأفكنا) اي لتلفتنا وتصرفنا (عن آلهتنا) اي عن عبادة آلهتنا (فأتانا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) أن العذاب نازل بنا (قال) هود (إنا العلم عند الله) هو يعلم متى يأتيكم العذاب لا انا (وابلغكم ما أرسلت به) اليكم اي وانا ابلغكم ما امرت بتبليغه اليكم (ولكني اريكم قوما تجهلون) حيث لا تجيبون إلى ما فيه صلاحكم ونجاتكم وتستعملون العذاب الذي فيه هلاككم وهذا لا يفعله إلا الجاهل بالمنافع والمضار (فلا رأوه) اي فلا رأوا ما يوعدون والهاء تعود إلى ما تعدنا في قوله فأتانا بما تعدنا (عارضا) اي سحابيا يعرض في ناحية من السماء ثم يطبق السماء (مستقبل اوديتهم) قالوا كانت عاد قد حبس عنهم المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيب فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم استبشروا (وقالوا هذا عارض ممطرنا) اي سحاب ممطر ايانا هذا تقديره لأنه نكرة بدلالة انه صفة لعارض فقال هود «ع» (بل هو ما استعجالتهم به) اي ليس هو كما توهمتم بل هو الذي وعدتكم به وطلبتم تعجبه ثم فسره فقال (ربيع فيها عذاب اليم) اي هو ربيع فيها عذاب موثم وقيل بل هو قول الله تعالى (تدمر كل شيء بأمر ربها) اي تهلك كل شيء مرت به من الناس والدواب والاموال واعتزل هود ومن معه في حظيرة لم يصيبهم من تلك الريح إلا ما تآين على الجلود وتلذذ به الأنفس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض حتى ترى الظعينة كأنها جراداة عن عمر بن ميمون (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) وما عداها قد هلك ومن قرأ بالتاء فهو على وجه الخطاب للنبي ﷺ (كذلك) اي مثل ما اهلكنا اهل الاحقاف وجازيناهم بالعذاب (نجزي القوم المجرمين) اي الكافرين الذين يسلكون مسالكهم

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيْمَا اِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيْهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَاَبْصَارًا وَاَفْئِدَةً فَمَا اَغْنٰى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَاَلَا اَبْصَارُهُمْ وَاَلَا اَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ اِذْ كَانُوْا يَمْجِدُوْنَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَاَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِءُوْنَ (٢٧) وَلَقَدْ اَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرٰى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ (٢٨) فَلَوْلَا نَصْرُ اللّٰهِ الَّذِيْنَ اَتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ قُرْبٰنًا اَلِهَةً بَلْ ضَلُّوْا عَنْهُمْ وَذٰلِكَ اِفْكَهُمُ وَاَمَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ (٢٩) وَاِذْ صَرَّفْنَا اِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُوْنَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوْهُ قَالُوْا اَنْصِتُوْا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوْا اِلَى قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِيْنَ (٣٠) قَالُوْا يَا قَوْمَنَا اِنَّا سَمِعْنَا كِتٰبًا اُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسٰى مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيْ اِلَى الْحَقِّ وَاِلَى طَرِيْقٍ مُّسْتَقِيْمٍ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وابي عامر افكهم بفتح الالف والفاء والكاف وقراءة عبد الله ابن الزبير افكهم وقراءة ابن عباس افكهم بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قوله افكهم معناه صرفهم وثناهم قال

إن يك عن احسن المرزوة مأفوا كما ففي آخرين قد افكوا
وآفكهم افعلهم منه اي اصارهم إلى الافك ويجوز ان يكون فاعلهم من ذلك مثل خادعهم واما افكهم
فمعناهم وذلك لتكثيره ذلك الفعل بهم وروي عن قطرب ان ابن عباس قرأ آفكهم اي صارفهم

﴿ اللغة ﴾

التمكين اعطاء ما يتمكن به من الفعل وتدخل فيه القدرة والآلة وسائر ما يحتاج اليه الفاعل وقيل التمكين
ازالة الموانع وذلك داخل في الأول لأنه كما يحتاج الفاعل في الفعل إلى الآلات يحتاج إلى زوال الموانع
فإذا ازيلت عنه المال كلها فقد مكن والقربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة أو نسك والجمع قرابين

﴿ الإعراب ﴾

فيا إن مكناكم فيه إن هنا بمعنى ما وان في النفي مع ما الموصولة بمعنى الذي احسن في اللفظ من
ما ألا ترى انك لو قلت رغبت فيما ما رغبت فيه لكان احسن منه ان تقول رغبت فيما ان رغبت فيه
لاختلاف اللفظين

﴿ المعنى ﴾

ثم خوف سبحانه كفار مكة وذكر فضل عاد بالاجسام والقوة عليهم فقال (ولقد مكناهم فيما إن
مكناكم) اي في الذي ما مكناكم (فيه) والمعنى في الشيء الذي لم تمكنكم فيه من قوة الابدان وبسطة
الاجسام وطول العمر وكثرة الاموال عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه فيما مكناكم فيه وان مرزبة والمعنى
مكناهم من الطاعات وجعلناهم قادرين متمكين بنصب الأدلة على التوحيد والتمكين من النظر فيها
والترغيب والترهيب وازاحة العلل في جميع ذلك (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة) ثم اخبر سبحانه عن
او تلك انهم أعرضوا عن قبول الحجج والتفكير فيما يدلهم على التوحيد مع ما اعطاهم الله من الحواس الصحيحة
التي بها تدرك الأدلة (فاغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء) اي لم ينفعهم جميع ذلك
لأنهم لم يعتبروا ذلك ولا استعملوا ابصارهم وافئدتهم في النظر والتدبر (إذ كانوا يجحدون بأيات الله)
وادلته (وحق بهم) اي حل بهم جزاء (ما كانوا به يستهزؤن ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى)
معناه ولقد اهلكنا يا أهل مكة ما حولكم وهم قوم هود وكانوا باليمن وقوم صالح بالحجر وقوم لوط على
طريقهم إلى الشام (وصرفنا الآيات) تصرف الآيات تصيرها تارة في الاعجاز وتارة في الاهلاك وتارة
في التذكير بالنعم وتارة في التذكير بالنقم وتارة في وصف الابرار ليقتدى بهم وتارة في وصف الفجار
ليجتنب مثل فعلهم (لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا عن الكفر (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا آلهة) أي فلا نصر هو لآله المهلكين الذين اتخذوا آلهة وزعموا انهم يبدونهم تقربا إلى الله تعالى ثم
لم ينصروهم لأن هذا استفهام انكار (بل ضلوا عنهم) أي ضلت الآلهة وقت الحاجة اليها فلم تنفعهم عند
نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) اي اتخذهم الآلهة دون الله كذبهم واقترابهم وهو قوله (وما كانوا
يفترون) اي يكذبون من انها آلهة ثم بين سبحانه ان في الجن مؤمنين وكافرين كما في الامس فقال
(واذ صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن) معناه واذا ذكر يا محمد اذ وجهنا اليك جماعة من الجن تسمع
القرآن وقيل معناه صرفناهم اليك عن بلادهم بالتوفيق والالطاف حتى اتوك وقيل صرفناهم اليك عن استراق

السمع من السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه فقالوا ما هذا الذي حدث في السماء إلا من أجل شيء قد حدث في الأرض فصرخوا في الأرض حتى وقفوا على النبي ﷺ يبطن نخلة عامدا إلى عكاظ وهو يصلي الفجر فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا فيكون الرمي بالشهب لطفًا للجن (فلا حضروه) أي حضروا القرآن أو النبي ﷺ (قالوا انصتوا) أي قال بعضهم لبعض استمعوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا وبين القرآن شيء (فما قضى) أي فرغ من تلاوته (ولوا إلى قومهم) أي انصرفوا إلى قومهم (منذرين) أي محذرين أيام عذاب الله أن لم يؤمنوا (قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) يعنون القرآن (مصدقًا لما بين يديه) أي لما تقدمه من الكتب (يهدى إلى الحق) أي يرشد إلى دين الحق ويدل عليه ويدعو إليه (وإلى طريق مستقيم) يؤديه إلى الجنة

❖ القصة ❖

عن الزهري قال لما توفي أبو طالب (ع) اشتد البلاء على رسول الله ﷺ فعد ليقف بالطائف رجاء أن يؤوه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة وهم أخوة عبد ياليل ومسمود وحبيب بنو عمرو ففرض عليهم نفسه فقال أحدهم أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر أعجز على الله أن يرسل غيرك وقال الآخر والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبدا فلئن كنت رسولا كما تقول فأنت أعظم خطرا من أن يرد عليك الكلام وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك بعد وتهمزوا به وأفشوا في قومه ما راجعوه به فعدوا له صفيين على طريقه فلما مر رسول الله ﷺ بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجله ولا يضمها إلا رضخوها بالحجارة حتى أدموا رجله فخلص منهم وهما يسيلان دما إلى حائط من حوائطهم واستظل في ظل نخلة منه وهو مكروب موجه تسيل رجلاه دما فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رأها كره مكانها لما يعلم من عداوتها لله ورسوله فلما رأها أرسلها إليه غلاما لها يدعى عداس معه عنب وهو نصراني من أهل نينوى قال له رسول الله ﷺ من أي أرض أنت قال من أهل نينوى قال من مدينة العبد الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك من يونس بن متى قال أنا رسول الله ﷺ وأله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خرد عداس ساجدا لله ولرسول الله ﷺ وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامها سكتا فلما أتاهما قال ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعث الله الهنا يدعى يونس بن متى فضحكا وقالوا لا يفنتك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين وقيل من اليمن فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له وهذا معنى قول سعيد بن جبير وجماعة وقال آخرون أمر رسول الله ﷺ أن يندرج الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله إليه نفرا من الجن من نينوى فقال ﷺ إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأبكم تبصني فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه أحد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ودخل نبي الله ﷺ شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم امرني أن اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك

ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فنشبهته اسودة كثيرة حتى حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم انطلقوا وطلقوا بنة طلمون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فبرز ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجلا سودا مشعفري ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين وروى علقمة عن عبد الله قال لم اكن مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ووددت اني كنت معه وروى عن ابن عباس انهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم قال زبر بن حيش كانوا تسعة نفر منهم زوبعة وروى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال لما قرأ رسول الله ﷺ الرحمن على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئا فقال رسول الله ﷺ الجن كانوا أحسن جوابا منكم لما قرأت عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا ولا بشي من آلائك ربنا تكذب

قوله تعالى (٣١) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٣) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ مِغْفَرًا عَلَى أَنْ يُجِيبِيَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٤) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ خمس آيات ﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب وحده بقدر بالياء وهو قراءة جده عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي وعاصم الجعدي ومالك بن دينار وقرأ جميع القراء بقادر وفي الشواذ قراءة الحسن وعيسى الثقفى بلاغا بالنصب وقراءة ابن محبصن فهل يهلك بفتح الباء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قراءة القراء اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الى قوله بقادر من الحمل على المعنى ادخل الباء لما كان في معنى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر ومثل ذلك في الحمل على المعنى قول الشاعر

بادت وغير آيهن مع البلى إلا رواكد جرهن هباء

ثم قال «ومشجع اما سوا قنابلها» لما كان غير آيهن مع البلى إلا رواكد بمعنى بها رواكد حمل مشجع على ذلك وكذلك قوله يطاف عليهم بكأس من معين ثم قال وحوار عين لما كان يطاف عليهم بكذا معناه لم فيها كذا وقالوا إن احدا لا يقول ذلك إلا زيد فادخل احدا في الواجب لما كان معنى الكلام النفي ومن قرأ بلاغا فهو على تقدير فعل مضمر اي بلغوا بلاغا كما أن الرفع على تقدير مضمرة اي هو بلاغ او هذا بلاغ وقرأ ابو مجلز بلغ على الأمر

* المعنى *

ثم بين سبحانه تمام خبر الجن فقال حاكيا عنهم (يا قومنا احيوا داعي الله) يعنون عمدا عليه السلام اذا دعاهم إلى توحيده وخلع الانداد دونه (وآمنوا به) اي بالله (يغفر لكم من ذنوبكم) اي فإنتكم ان آمنتم بالله ورسوله يغفر لكم ذنوبكم (ويجركم) اي ويخلصكم (من عذاب اليم) قال علي بن ابراهيم فجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا به وعلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرائع الاسلام وانزل الله سبحانه قل اوحى إلي انه استمع نفر من الجن إلى آخر السورة وكانوا يفرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل وقت وفي هذا دلالة على انه كان مبعوثا إلى الجن كما كان مبعوثا إلى الانس ولم يبعث الله نبيا إلى الانس والجن قبله (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) اي لا يعجز الله فيسبقه ويفوته (وليس له من دونه اولياء) اي انتصار يمنونه من الله ويدفون عنه العذاب إذا نزل بهم ويجوز ان يكون هذا من كلام الله تعالى ابتداء ثم قال (اولئك) يعني الذين لا يجيبون داعي الله (في خلال مابين) اي عدول عن الحق ظاهر ثم قال سبحانه منها على قدرته على البعث والاعادة فقال (أولم يروا) اي لم يعلموا (ان الله الذي خلق السموات والأرض) وانشأها (ولم يبي مخلقين) اي لم يصبه في خلق ذلك اعياء ولا تعب ولم يعجز عنه يقال عبي فلان بأمره إذا لم يتد له ولم يقدر عليه (بقادر) الباء زائدة وموضعه رفع بأنه خبر إن (على ان يحيي الموتى) اي فخلق السموات والأرض اعجب من احياء الموتى ثم قال (بلى) هو قادر عليه (انه على كل شيء قدير) ثم عقبه بذكر الوعيد فقال (ويوم يمرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق) اي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذي جوزتهم به حق لا ظلم فيه (قالوا) اي فيقولون (بلى وربنا) اعترفوا بذلك وحلفوا عليه بعد ما كانوا منكرين (قال فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اي اي بكفركم في الدنيا وانكاركم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) اي فاصبر يا محمد على اذمة هؤلاء الكفار وعلى ترك اجابتهم لك كما صبر الرسل ومن هاهنا لتبيين الجنس كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان وعلى هذا القول فيكون جميع الانبياء هم اولوا العزم لأنهم عزموا على اداء الرسالة وتحمل اعبائها عن ابن زيد والجاثي وجاعة وقيل ان من هاهنا لتبعض وهو قول اكثر المفسرين والظاهر في روايات اصحابنا ثم اختلفوا فقيل اولوا العزم من الرسل من اتى بشرعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه وهم خمسة اولهم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) قال وهم سادة النبيين وعليهم دارت رحا المرسلين وقيل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر في البئر والسجن وايوب صبر على الضر والبلوى عن مقاتل وقيل هم الذين امروا بالجهاد والقتال واظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين عن السدي والكلي وقيل هم ابراهيم وهود ونوح ورايهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابي عالية والعزم هو الوجوب والحتم وأولو العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرائع واوجبوا على الناس الأخذ بها والانقطاع عن غيرها (ولا تستعجل لهم) اي ولا تستعجل لهم العذاب فإنه كائن واقع بهم عن قريب وما هو كائن فكان قد كان وقع (كانهم يوم يرون ما يوعدون) اي من العذاب في الآخرة (لم يلبثوا) في الدنيا (إلا ساعة من نهار) أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في

الديناو البرزخ كأنه ساعة من نهار لأن ما مضى كأن لم يكن وإن كان طويلا وتم الكلام ثم قال بلاغ إي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله اليك والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل معناه ذلك البث بلاغ (فعل يهلك إلا القوم الفاسقون) أي لا يقع العقاب إلا بالعاصين الخارجين من امر الله تعالى وقيل معناه لا يهلك على الله تعالى إلا هالك مشرك ولي ظهره الإسلام أو منافق صدق بلسانه وخالف بعمله عن قتادة وقيل معناه لا يهلك مع رحمة الله ونفضه إلا القوم الفاسقون عن الزجاج قال وما جاء في الرجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية

سورة محمد وتسمى أيضا سورة القتال

وهي مدنية وقال ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت على النبي ﷺ وهو يرهط التوجه إلى المدينة من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزلت وكان من قرية هي اشد قوة من قرنتك الآية

﴿ عدد آياتها ﴾

اربعون آية بصري ثمان وثلاثون كوفي تسع في الباقي

﴿ اختلافها ﴾

آيتان اوزارها غير الكوفي للشاريب بصري

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال النبي ﷺ من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأها لم يدخله شك في دينه ابدا ولم يزل محفوظا من الشرك والكفر ابدا حتى يموت فاذا مات وكل الله به في قبره الف ملك يصلون في قبره ويكون ثواب صلواتهم له ويشيعونه حتى يوقفوه موقف الا من عند الله ويكون في امان الله وامن محمد ﷺ وقال (ع) من اراد ان يعرف حالنا او حال اعدائنا فليقرأ سورة محمد ﷺ فإنه يراها آية فينا وآية فيهم

(- تفسيرها -)

ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد الكفار وافتتح هذه السورة بمثلها فقال جل ثناؤه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ
(٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا
الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٤) فَأِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ

الرَّ قَابَ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتَّمُوهُم مَّ فَشَدُّوا الوَثَاقَ فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا
ذَلِكَ وَكَوَيْشَاءَ اللهُ لَأَنْتَصِرَ مِنْهُمْ وَلِيَكُن لِّبَئِلْوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ
فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٥) سيهديهم ويصلح بالهم (٦) ويدخلهم الجنة عرفها لهم (ست آيات)

- (القراءه) -

قرأ اهل البصرة وحفص والذين قتلوا على ما لم يسرفاعله والباقون قاتلوا بالائف

(الحجية)

قال ابو علي قاتلو اعم من قتلوا الا ترى ان من قاتل ولم يقتل لن يضل عمله كما ان الذي قتل كذلك
فهو لم يموه اولي

➤ اللغة ➤

البال الحال والشأن والبال القلب ايضا يقال خطر ببالي كذا والبال لا يجمع لأنه ايهم اخوانه من الحال
والشأن والاشنانا كثار القتل وغلبة العدو وقهرهم ومنه اثخنه المرض اشتد عليه واثخنه الجراح والوثاق
اسم من الاثاق ويقال اوثقه ايثاقا ووثاقا اذا اشتد اسره كيلا يفك والاوزار السلاح واصل الوزر ما يجعله
الإنسان فسمى السلاح اوزارا لأنه يجعل قال الأعشى

واعددت للحرب اوزارها رملحا طوالا وخيلا ذكورا

ومن نسج داود يجدو بها على اثر الحلي عبرا فعبرا

➤ الاعراب ➤

ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ذلك ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره ذلك كائن
فضرب الرقاب مصدر فعل محذوف تقديره فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل واهيف المصدر الى المفعول
وهذه الإضافة في تقدير الانفصال لأن تقديره فاضربوا الرقاب قال الشاعر «فندلا زريق المال ندل الثعالب»
وكذلك قوله منا وفداء تقديره فإما تمنون منا وإما تغدون فداء.

➤ المعنى ➤

(الذين كفروا) بوحيد الله وعبدوا معه غيره (وصدوا) الناس (عن سبيل الله) اي عن سبيل
الايمان والاسلام باستدعائهم الى تكذيب النبي ﷺ يعني مشركي العرب (اضل اعمالهم) اي
احبط الله اعمالهم التي كان في زعمهم انها قربة وانها تنفعهم كالعتق والصدقة وقرى الضيف والمعنى اذهبها وابطلها
حتى كأنها لم تكن اذ لم يرو لها في الآخرة ثوابا وقيل نزلت في المطعمين ببدر وكانوا عشرة انفس اطعم كل
واحد منهم الجند يوما (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي صدقوا بتوحيد الله وأضافوا الى ذلك الاعمال
الصالحة (وآمنوا بما انزل على محمد) من القرآن والعبادات خص الايمان بمحمد ﷺ بالذكر مع دخوله
في الأول تشريفا له وتعظيما ولتلا يقول اهل الكتاب نحن آمننا بالله وبأنبيائنا وكتبنا (وهو الحق من ربهم)
اي وما نزل على محمد ﷺ هو الحق من ربهم لأنه ناسخ للشرائع والناسخ هو الحق وقيل معناه ومحمد
الحق من ربهم دون ما يزعمون من انه سيخرج في آخر الزمان نبي من العرب فليس هذا هو فرد الله ذلك

عليهم (كفر عنهم سيئاتهم) أي سترها عنهم بأن غفرها لهم يعني غفر سيئاتهم المتقدمة بإيمانهم وحكم بإسقاط المستحق عليها من العقاب (واصلح بالهم) أي أصلح حالهم في معاشهم وأمر دنياهم عن قتادة وقيل أصلح أمر دينهم ودنياهم بأن نصرهم على أعدائهم في الدنيا ويدخلهم الجنة في العقبى ثم بين سبحانه لم فعل ذلك ولم قسمهم هذين القسمين فقال (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وإن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أي ذلك الإضلال والإصلاح باتباع الكافرين الشرك وعبادة الشيطان واتباع المؤمنين التوحيد والقرآن وما أمر الله سبحانه باتباعه (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أي كالبيان الذي ذكرنا بين الله سبحانه للناس أمثال حسنة المؤمنين وسيئات الكافرين فإن معنى قول القائل ضربت لك مثلاً بنيت لك ضرباً من الأمثال عن الزجاج وقيل أراد به المثل المقرون به فجعل الكافر في اتباعه الباطل كمن دعاه الباطل إلى نفسه فأجابه المؤمن كمن دعاه الحق إلى نفسه فأجابه وقبل معناه كما ينت عاقبة الكافر والمؤمن وجزاء كل واحد منهما أضرب للناس أمثالاً يستدلون فيزيدهم علماً ووعظاً وأضاف المثل إليهم لأنه مجبول لهم ثم أمر سبحانه بقتال الكفار فقال (فإذا لقيتم معاشرة المؤمنين الذين كفروا) يعني أهل دار الحرب (فضرب الرقاب) أي فاضربوا رقابهم والمعنى اقتلواهم لأن أكثر مواضع القتل ضرب العنق وإن كان يجوز الضرب في سائر المواضع فإن النرض قتلهم (حتى إذا أختتموهم) أي أقتلتموهم بالجراح وظفرتهم بهم وقيل حتى إذا بالقتل في قتلهم وأكثرتم القتل حتى ضعفوا (فشدوا الوثاق) أي أحكموا وثاقهم في الأسر أمر سبحانه بقتلهم والإختام فيهم لئلا يفلتوا فإذا ذلوا بالقتل أسروا فالأسر يكون بعد المبالغة في القتل كما قال سبحانه ما كان لنبي أن يسرى حتى يشحن في الأرض (فأما من بعد وأما فداء) أي فأما أن تموا عليهم منا بعد أن تأسروهم فطلقوهم بغير عوض وأما أن تغدوهم فداء واختلف في ذلك فقيل كان الأسر محرماً بآية الانتقال ثم أباح بهذه الآية لأن هذه السورة نزلت بعدها فإذا أسروا فالإمام مخير بين المن والفداء بأسارى المسلمين وبالمال وبين القتل والاستعباد وهو قول الشافعي وأبي يوسف ومحمد بن إسحاق وقيل إن الإمام مخير بين المن والفداء والاستعباد وليس له القتل بعد الأسر عن الحسن وكأنه جعل في الآية تقديمًا وخبرًا تقديره فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها ثم قال حتى إذا أختتموهم فشدوا الوثاق فأما من بعد وأما فداء وقيل إن حكم الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فأما نتفغفهم في الحرب عن قتادة والسدي وابن جريج وقال ابن عباس والضحاك الفداء منسوخ وقيل إن حكم الآية ثابت غير منسوخ عن ابن عمر والحسن وعطاء قالوا لأن النبي ﷺ من علي أبي غرة وقتل عقبه بن أبي معيط وفادى أسارى بدر والمروى عن أئمة الهدى صلوات الرحمن عليهم أن الأسارى ضربان ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتل والحرب قائمة فهو لا يكون الإمام مخيراً بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا ولا يجوز المن ولا الفداء والضرب الآخر الذين يؤخذون بعد أن وضعت الحرب أوزارها وانقضى القتال فالإمام مخير فيهم بين المن والفداء أما بالمال أو بالنفس وبين الاسترقاق وضرب الرقاب فإذا أسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وكان حكمهم حكم المسلمين (حتى تضع الحرب أوزارها) أي حتى يضع أهل الحرب أسلحتهم فلا يقاتلون وقبل حتى لا يبقى أحد من المشركين عن ابن عباس وقيل حتى لا يبقى دين غير دين الإسلام عن مجاهد والمعنى حتى تضع حربكم وقاتلكم أوزار

المشركين وقبائح اعمالهم بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الاديان ولا تعبد الاوثان وهذا كما جاء في الحديث والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر امتي الدجال وقال الفراء المعنى حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسلم وقال الزجاج اي اقتلوهم وأسروهم حتى يؤمنوا فما دام الكفر والحرب قائمة ابداً (ذلك) اي الامر الذي ذكرنا (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي من الكفار بإهلاكهم وتعذيبهم بما يشاء (ولكن) يأمركم بالحرب وبذل الأرواح في احياء الدين (ليبلو بعضكم ببعض) اي ليمتحن بعضهم ببعض فيظهر المطيع من الباصي والمعنى انه لو كان الغرض زوال الكفر فقط لاهلك الله سبحانه الكفار بما يشاء من انواع الهلاك ولكن أراد مع ذلك ان يستحقوا الثواب وذلك لا يحصل إلا بالتعب وتحمل المشاق (والذين قتلوا في سبيل الله) اي في الجهاد في دين الله يوم احد عن قتادة ومن قرأ قاتلوا فالعني جاهدوا سواء قتلوا أو لم يقتلوا (فلن يضل اعمالهم) أي لن يضيع الله اعمالهم ولن يهلكها بل يقبلها ويجازيهم عليها ثواباً دائماً (سيهديهم) إلى طريق الجنة والثواب (ويصلح بهم) اي شأنهم وحالهم والوجه في تكرار قوله بهم ان المراد بالأول انه اصلح بهم في الدين والدنيا وبالتالي انه يصلح حالهم في نعيم العقبى فالأول سبب النعيم والثاني نفس النعيم (ويدخلهم الجنة عرفاهم) اي بيناهم حتى عرفوها اذ ادخلوها وتفرقوا إلى منازلهم فكانوا اعرف بها من اهل الجنة إذا انصرفوا إلى منازلهم عن سعيد بن جبير واني سعيد الخدري وقاتلته ومجاهد وابن زيد وقيل معناه بيناهم وأعلمهم بوصفها على ما يشوق اليها فيرغبون فيها ويسعون لها عن الجباني وقيل معناه طيبها لهم عن ابن عباس في رواية عطاء من العرف وهو الرائحة الطيبة يقال طعم معرف اي مطيب قوله تعالى (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ (٩) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ (١٠) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَاللَّكَاظِرِينَ أَمْثَالَهَا اربع آيات

﴿ اللغة ﴾

التمس الاغطاط والمثار والاتماس والازلال والادحاض بمعنى وهو المثار الذي لا يستقل صاحبه فإذا سقط الساقط فأريد به الاتماس والاستقامة قيل لعاله واذا لم يرد ذلك قيل لعا قال الأعشى «فالتمس أولى لها من أن اقول لعا»

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله) اي ان تنصروا دين الله ونبي الله بالقتال والجهاد (ينصركم) على عدوكم (ويثبت اقدامكم) اي يشجكم ويقو قلوبكم لتثبتوا وقيل ينصركم في الآخرة ويثبت اقدامكم عند الحساب وعلى الصراط وقيل ينصركم في الدنيا والآخرة ويثبت اقدامكم في الدارين وهو الوجه قال قتادة حق على الله أن ينصر من نصره لقوله ان تنصروا الله ينصركم وأن يزيد من شكره لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم وأن يذكركم من ذكره لقوله فاذكروني اذ كركم وان يوفي بعهد من أقام على عهده لقوله وأوفوا بعهدي اوف بعهدكم (والذين كفروا فتعسا لهم) أي مكروها

لهم وسواً عن المبرد أي اتهمهم الله فتمسوا نسا قال ابن عباس يريد في الدنيا العسرة وفي الآخرة الترددي في النار (وأصل أمعاهم) مر معناه (ذلك) التمس والاضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) على نبيه ﷺ من القرآن والأحكام وأمرهم بالانقياد فخالفوا ذلك وقال ابو جعفر «ع» كرهوا ما أنزل الله في حق علي «ع» (فأحبط أمعاهم) لأنها لم تقع على الوجه المأمور به ثم نبههم سبحانه على الاستدلال على صحة ما دعاهم اليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله فقال (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) حين أرسل الله اليهم الرسل فدعواهم إلى توحيدهم وإخلاص العبادة له فلم يقبلوا منهم وعصواهم أي فعلا ساروا ورأوا عواقب أولئك (دمر الله عليهم) أي اهلكهم ثم قال (وللكافرين) بك يا محمد (أمثالها) من العذاب ان لم يؤمنوا ويقبلوا ما تدعوهم اليه والمعنى انهم يستحقون أمثالها وانما يؤخر الله سبحانه عذابهم إلى الآخرة تفضلاً منه

قوله تعالى (١١) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١٥)
 إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيبَةٍ حِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيبَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوهُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير اسن مقصورا والباقون آسن بالمد وقرأ علي «ع» وابن عباس امثال الجنة على الجمع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو زيد يقال أسن الماء يأسن اسونا إذا تغير وأسن الرجل يأسن اسنا إذا غشي عليه من ربح خبيثة اوربما مات منها قال

التارك القرن مصفرا انامله تميل في الرمح ميل المائح الأسن

قال ابو عبيدة الاسن المتغير فحجة ابن كثير ان اسم الفاعل من فعل يفعل على فعل وقال ابو الحسن اسن وإنما هو الحال التي تكون عليها ومن قرأ آسن على فاعل فإنما يريد أن ذلك لا يصير اليه فيما يستقبل وقوله امثال الجنة فيه دليل على ان القراءة العامة التي هي مثل في معنى الكثرة لما فيه من معنى المصدرية

﴿ اللفظة ﴾

المثوى المنزل من قولهم ثوى بالمكان ثوا. إذا اقام به ويقال للمرأة أم المثوى أي ربة المنزل والمثل والمثل بمعنى مثل الشبه والشبه والبدل والبدل والأمعاء جمع معى وفي الحديث المؤمن يأكل في معى واحد

والكافر يأكل في سبعة أمعاء وفيه وجوه من التأويل * أحدها * انه قال علي «ع» في رجل معين * والثاني *
ان المعنى يأكل المؤمن فيسمى الله تعالى فيبارك في آكله * والثالث * ان المؤمن يضيق عليه في الدنيا
والكافر يصيب منها * والرابع * انه مثل لزهد المؤمن في الدنيا وحرص الكافر عليها وهذا احسن الوجوه
* الاعراب *

قال الزجاج مثل الجنة مبتدأ وخبره محذوف تقديره مثل الجنة التي وعد المتقون مما قد عرضوه من
الدنيا جنة فيها انهار إلى آخره وقوله كمن هو خالد في النار تقديره أفمن كان على بينة من ربه واعطى هذه
الاشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار

* المعنى *

ثم قال سبحانه (ذلك) اي الذي فعلناه في الفريقين (بأن الله مولى الذين آمنوا) يتولى نصرهم
وحفظهم ويدفع عنهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) ينصرهم ولا أحد يدفع عنهم لا عاجلا ولا آجلا ثم ذكر
سبحانه حال الفريقين فقال (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار)
اي من تحت اشجارها وأبنيتها (والذين كفروا يتمنون ويأكلون كما تأكل الانعام) اي سيرتهم سيرة
الانعام آثروا لذات الدنيا وشهواتها واعرضوا عن العبر يأكلون للشبع ويتمنون لقضاء الوطر (والنار مشوى
لهم) اي موضع مقامهم يقيمون فيها ثم خوفهم وهددهم سبحانه فقال (وكأين من قرية هي اشد قوة
من قرينك) يا محمد يعني مكة (التي اخرجتك) اي اخرجك اهلها والمعنى كم من رجال هم اشد من اهل
مكة ولهذا قال (اهلكتاهم) فكنى عن الرجال عن ابن عباس (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم اهلا كناياهم
والمعنى فمن الذي يؤمن هؤلاء ان افعل بهم مثل ذلك ثم قال سبحانه على وجه التهجين والتوبيخ للكفار
والمناقضين (أفمن كان على بينة من ربه) أي على يقين من دينه وعلى حجة واضحة من اعتقاده في التوحيد
والشرائع (كمن زين له سوء عمله) زين له الشيطان المعاصي واغواء (واتبعوا هواهم) اي شهواتهم وما
تدعوهم اليه طباعهم وهو وصف ابن زين له سوء عمله وهم المشركون وقيل هم المنافقون عن ابن زيد
وهو المروي عن ابي جعفر «ع» ثم وصف الجنات التي وعدا المؤمنين بقوله (مثل الجنة التي وعد المتقون)
تقدم تفسيره في سورة الرعد (فيها انهار من ماء غير آسن) أي غير متغير لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا
(وانهار من لبن لم يتغير طعمه) فهو غير حامض ولا قارص ولا يتريه شي من العوارض التي تصيب الالبان
في الدنيا (وانهار من خمر لذة للشاربين) اي لذينة يلتنون بشرها ولا يتأذون بها ولا يعاقبها بخلاف خمر
الدنيا التي لا تخلو من المازاة والسكر والصداع (وانهار من عسل مصفى) اي خالص من الشمع والرغوة
والقذى ومن جميع الأذى والمهوب التي تكون لسمل الدنيا (ولهم فيها من كل الثمرات) اي بما يعرفون
اسمها وما لا يعرفون اسمها مبرأة من كل مكروه يكون لثمرات الدنيا (ومغفرة من ربهم) اي ولهم مع
هذا مغفرة من ربهم وهو انه يستر ذنوبهم وينسيهم سيئاتهم حتى لا ينتقص عليهم نعيم الجنة (كمن هو خالد
في النار) اي من كان في هذه النعيم كمن هو خالد في النار (وسقوا ماء حميا) شديد الحر (قطع امعاءهم)
إذا دخل أجوافهم وقيل ان قوله كمن هو خالد في النار معطوف على قوله كمن زين له سوء عمله اي
كمن زين له سوء عمله ومن هو خالد في النار فحذف الواو كما يقال قصدني فلان شتمني ظلمي

قوله تعالى (١٦) وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٧) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا
 زَادَتْهُمْ هُدًى وَآتَيْنَهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٨) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا
 فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُكُمْ (١٩) فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (٢٠) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ
 فَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
 نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ خمس آيات

﴿ القراة ﴾

روي في بعض الروايات عن ابي كثير انفا بالتفسير والقراة المشهورة آنفا بالمد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي انشد ابو زيد

وجدنا آل مرة حين خفنا جريتنا هم الانف الكراما

ويسرح جارهم من حيث يسي كأن عليه موئنا حراما

اي كأن عليه حرمة شهر موئنا حرام فحذف والانف الذين بأنفون من احتمال الضيم قال ابو علي

فإذا كان كذلك قد جمع مؤنث على فعل لأن واحد أنف بدلالة قول الشاعر

وجمال المثين إذا ألمت بنا الحدائث والانف النصور

وليس الانف والانف في البيتين مما في الآية في شيء لأن ما في الشعر من الانفة وما في الآية

من الابتداء ولم يسمع انف في معنى ابتداء ويجوز ان يكون توهمه ابن كثير مثل حاذر وحذر وفاكه

وفكه والوجه المد والانف الجائي من الإبتناء وهو الإبتداء فقوله آنفا اسي في اول وقت يقرب منا

﴿ اللغة ﴾

الاهواء جمع الهوى وهو شهوة النفس يقال هوى يهوى هوى فهو هوى واستهواه هذا الأمر اي دعاه

إلى الهوى والاشراط العلامات واشراط فلان نفسه بالأمر إذا اعلها بلامه قال اوس بن حجر

فاشراط فيها نفسه وهو معصم والقي بأسباب له وتو كلا

وواحد الاشراط شرط والشرط بالتحريك العلامة واشراط الساعة علاماتها والشرط ايضا رذال المال قال جرير

تري شرط المغري مهور نسائم وفي شرط المغري لمن مهور

واصحاب الشرط سموا بذلك لبسهم لباسا يكون علامة لهم والشرط في البيع علامة بين المتبايعين

(- المعنى -)

ثم بين سبحانه حال المناقين فقال (ومنهم من يستمع إليك) أي ومن الكافرين الذين تقدم ذكرهم

من يستمع إلى قراءتك ودعوتك وكلامك لأن المناقير كافر (حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين

او توا العلم) يعني الذين اتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين قال ابن عباس انا من اتوا العلم بالقرآن وعن
 الاصمعي بن نباتة عن علي (ع) قال انا كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي فأعياه انا ومن يعبه فإذا
 خرجنا قالوا (ماذا قال آنفا) وقولهم ماذا قال آنفا اي اي شيء قال الساعة وإنما قالوه استهزاء أو اظهار اننا
 لم نشغل ايضا بوعيه وفهمه وقيل اننا قالوا ذلك لأنهم لم يفهموا معناه ولم يعلموا ما سمعوه وقيل بل قالوا
 ذلك تحقيرا لقوله اي لم يقل شيئا فيه فائدة ويحتمل ايضا أن يكونوا سألوا رياء ونفاقا أي لم يذهب عني
 من قوله إلا هذا فإذا قال اعده علي لأحفظه وإنما قال يستمع اليك ثم قال خرجوا من عندك لأن في
 الأول رد الضمير إلى لفظة من وفي الثاني إلى معناه فإنه موحد اللفظ بمجموع المعنى ثم قال (أو تلك الذين
 طبع الله على قلوبهم) اي وسم قلوبهم بسم الكفار أو خلى بينهم وبين اختيارهم (واتبعوا أهواءهم) اي
 شهوات نفوسهم وما مالت اليه طباعهم دون ما قامت عليه الحجة ثم وصف سبحانه المؤمنين فقال (والذين
 اهتدوا) بما سمعوا من النبي ﷺ (زادهم) الله او قراءة القرآن او النبي ﷺ (هدى) وقيل
 زادهم استهزاء المناقبين ايمانا وعلما وبصيرة وتصديقا لنبيهم ﷺ (وآتيهم تقويمهم) اي وفهم للتقوى
 وقيل معناه وآتاهم ثواب تقواهم عن سعيد بن جبيرة وابي علي الجبائي وقيل بين لهم ما يتقون وهو ترك الرخص
 والاخذ بالمرائم (فهل ينظرون إلا الساعة) أي فليس ينتظرون إلا القيامة (أن تأتيهم بغتة) أي فجأة
 فقوله ان تأتيهم بدل من الساعة وتقديره إلا الساعة تبيانها بغتة والمعنى إلا اتيان الساعة اياهم بغتة (فقد
 جاء اشراطها) اي علاماتها قال ابن عباس معالمها والنبي من اشراطها ولقد قال بعثت انا والساعة كهاتين
 وقيل هي اعلامها من انشقاق القمر والدخان وخروج النبي ﷺ ونزول آخر الكتب عن مقاتل (فأني
 لم إذا جاءتهم ذكراهم) اي فمن اين لهم الذكر والانتماظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة وموضع ذكراهم رفع
 مثله في قوله يوم يندكر الانسان وأنى له الذكرى اي ليس تنفعه الذكرى والذكرى ما امر الله سبحانه
 ان يتذكروا به ومعناه وكيف لهم بالنجاة إذا جاءتهم الساعة فإنه لا ينفعهم في ذلك الوقت الايمان
 والطاعات لزوال التكاييف عنهم ثم قال لئيبه ﷺ والمراد به جميع المكلفين (فاعلم انه لا إله إلا الله)
 قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى اقم على هذا العلم واثبت عليه واعلم في مستقبل عمرك ما تعلمه الآن وبدل
 عليه ما روي عن النبي ﷺ انه قال من مات وهو يعلم انه لا إله إلا الله دخل الجنة أورده مسلم في
 الصحيح وقيل انه يتعلق بما قبله على معنى إذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا إله إلا الله اي يبطل الملك عند
 ذلك فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله وقيل ان هذا اخبار بموته ﷺ والمراد فاعلم أن الهى الذي لا يموت
 هو الله وحده وقيل انه كان ضيق الصدر من أذى قومه فقبل له فاعلم انه لا كاشف لذلك إلا الله (واستغفر
 لذنبك) الخطاب له والمراد به الامة وإنما خوطب بذلك لتستن امته بستته وقيل إن المراد بذلك الاقتطاع
 إلى الله تعالى فإن الاستغفار عبادة يستحق به الثواب وقد صح الحديث بالاسناد عن حذيفة بن اليمان قال
 كنت رجلا ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله اني لا أخشى ان يدخلني لسانى في النار فقال رسول
 الله ﷺ فأين انت من الاستغفار اني لا أستغفر الله في اليوم مائة مرة (والمؤمنين والمؤمنات) اكرمهم
 الله سبحانه بهذا إذ امر نبيهم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفع المجاب فيهم ثم اخبر سبحانه عن علمه
 واحوال الخلق وما لم فقال (والله يعلم متقلبكم ومثويكم) اي متصرفكم في أعمالكم في الدنيا ومصيركم في الآخرة

إلى الجنة أو إلى النار عن ابن عباس وقيل يعلم متقلبكم في اصلاص الآباء إلى ارحام الامهات ومثواكم أي مقامكم في الأرض عن عكرمة وقيل متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم في القبور عن ابن كيسان وقيل يعلم متقلبكم متصرفكم في النهار ومثواكم مضجكم بالليل والمعنى انه عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه حكاية عن المؤمنين (ويقول الذين آمنوا لولا انزلت سورة) أي هلا نزلت لأنهم كانوا يأنسون بنزول القرآن ويستوحشون لا بطائه ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم وتصده لهم (فإذا انزلت سورة محكمة) ليس فيها متشابه ولا تأويل وقيل سورة ناسخة لما قبلها من اباحة التخفيف في الجهاد قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل محكمة أي مقرونة بوعيد يؤكد الأمر كقوله الا تنفروا بعدكم عذابا اليما وقيل محكمة بوضوح الفاظها وعلى هذا فالقرآن كله محكم وقيل هي التي تتضمن نصا لم يختلف تأويله ولم يتعبه نص وفي قراءة ابن مسعود سورة محدثة أي مجددة (وذكر فيها القتال) أي ووجب عليهم فيها القتال وامروا به (رأيت) يا محمد (الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) قال الزجاج يريد انهم يشخصون نحوك بابصارهم وينظرون اليك نظرا شديدا كما ينظر الشاخص بصره عند الموت لثقل ذلك عليهم وعظمه في نفوسهم (فأولى لهم) هذا التهديد ووعيد قال الاصمعي معنى قولهم في التهديد اولى لك وليك وفارنك ما تكره وقال قتادة معناه العقاب لهم والوعيد لهم وعلى هذا يكون اولى اسما للتهديد والوعيد ويكون اولى لهم مبتدأ او خبرا زالا ينصرف اولى لأنه على وزن الفعل وصار اسما للوعيد وقول الاصمعي ان معناه وليك ما تكره لا يريد به ان اولى فعل ولو غا فسر على المعنى وقيل معناه اولى لهم طاعة فله ورسوله وقول معروف بالاجابة أي لو اطاعوا فاجابوا كانت الطاعة والاجابة اولى لهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء واختيار الكسائي فيكون على هذا طاعة وقول معروف متصلا بما قبله وكذلك لو كانت صفة لسورة وتقديره فاذا انزلت سورة ذات طاعة وقول معروف على ما قاله الزجاج وعلى القول الاول يكون طاعة مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل او احسن او يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره امرنا طاعة ويكون الوقف حسنا عند قوله فأولى لهم

قوله تعالى (٢١) طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم
 (٢٢) فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم (٢٣) أو لك الذين
 لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (٢٤) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٢٥)
 إن الذين ارتدوا على أذبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب وسهل وتقطعوا بفتح التاء والطاء وسكون القاف والباقون وتقطعوا بالتشديد وضم التاء وكسر
 الطاء وقرأ اهل البصرة وأملى لهم بضم الهززة وفتح اليا وفي رواية رويس عن يعقوب بسكون اليا وقرأ الباقر
 وأملى لهم بفتح الهززة واللام وروي عن النبي ﷺ فهل عسيتم ان وليتم وعن علي (ع) ان توليتم قال ابو
 حاتم معناه ان تولاكم الناس

* الحجة *

حجة من قرأ وتقطعوا بالتخفيف قوله تعالى ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل والتشديد للمباينة وقوله وليتم من الولاية وفيه دلالة على أن القراءة المشهورة توليتم معناه توليتم الأمر قال أبو علي قال انتظرتة مليا من الدهر أي متسما منه صفة استعمال الاسماء وقالوا غلبت حبيبا أي عشت معه ملاوة من الدهر وقالوا الملو ان يريدون بهما تكرار الليل والنهار وطول مدتهما قال

نهار وليل دائم ملواهما على كل حال المره يختلفان

فلو كان الليل والنهار لم يضافا إلى ضميرها من حيث لا يضاف الشيء إلى نفسه ولكن كأنه يراد تكرار الدهر واتساعه بهما والضمير في لملي لهم لاسم الله كما قال واملي لهم ان كيدي متين فن قرأ واملي لهم فبني الفعل للمفعول به فإنه يحسن في هذا الموضع للعلم بأنه لا يورخ احد مدة احد ولا يوسع له فيها الا الله سبحانه

* المعنى *

(طاعة وقول معروف) قد ذكرنا أن فيه مذهبين **﴿١﴾** أحدهما **﴿٢﴾** ان يكون متصلا بما قبله وقد مر ذكره **﴿٣﴾** والآخر ان يكون كلاما مبتدأ ثم اختلف في تقديره على وجهين **﴿٤﴾** أحدهما ان يكون مبتدأ محذوف الخبر ثم قيل ان معناه طاعة وقول معروف امثل واليق من احوال هؤلاء المناققين وقيل معناه طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد عن الحسن والوجه الآخر انه خبر مبتدأ محذوف تقديره قولوا امرنا طاعة وقول معروف أي حسن لا ينكره السامع وهذا امر أمر الله به المناققين عن مجاهد وقيل هو حكاية عنهم انهم كانوا يقولون ذلك ويقتضيه قوله فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (فلوذا عزم الأمر) معناه فلوذا جد الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوما عليه والعزم المقدم على الأمر بالإرادة لأن يفعله فإذا عقد العزم العزم على ان يفعله قيل عزم الأمر على طريق البلاغة وجواب اذا محذوف ويكلم عليه قوله (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) وتقديره فلوذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا من انفسهم فلو صدقوا الله فيا امرهم به من الجهاد ولتتلوا امره لكان خيرا لهم في دينهم ودنياهم من نفاقهم (فهل عسيتم يا معشر المناققين ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم بمعناه ان توليتم الاحكام وتوليتم أي جعلتم ولاية ان تفسدوا في الارض بأخذ الرشاش وسفك الدم الحرام فيقتل بعضهم بعضا ويقطع بعضهم رحم بعض كما قتلت قريش بني هاشم وقتل بعضهم بعضا وقيل ان توليتم معناه ان اعرضتم عن كتاب الله والعمل بما فيه ان تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا بقتل بعضهم بعضا قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن القرآن ألم يفسكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ثم ذم الله سبحانه من يريد ذلك فقال او تلك الذين لعنهم الله) أي ابعدهم من رحمته (فأصمهم واعمى ابصارهم) ومعناه انهم لا يعون الخبر ولا يبصرون مابه يعتبرون فكأنهم صم عمي عن أي مسلم وقيل انهم في الآخرة لا يهتدون إلى الجنة بسنلة الاصم العمي في الدنيا عن أي علي الجبائي ولا يجوز حمله على الصمم والعمى في الجراحة بلا خلاف لأنهم لو كانوا كذلك لما ذموا على انهم لا يسمعون ولا يبصرون وإنما اطلق الصمم لأنه لا يكون الا في الاذن وقرون العمى بالابصار لأنه قد يكون بالبصر وبالقلب (أفلا يتديرون القرآن) بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به وقيل أفلا يتديرون القرآن فيقضوا ما عليهم من الحق عن أي عبد الله (ع) وأي الحسن موسى (ع) (أم على قلوب افعالها) معنى تكبير القلوب ارادة قلوب هؤلاء ومن كان مثاهم من غيرهم وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بنحو وسمم وفيه تنبيه ايضا على فساد قول من يقول إن الحديث ينبغي ان يروى على ما جاء وإن كان مخالفا لاصول الديانات في المعنى لأنه سبحانه دعا إلى التدبر والتفكير وذلك مناف لتعاطي والتجاهل ثم قال سبحانه (إن الذين ارتدوا عن ادبارهم) أي رجعوا عن الحق والایمان (من بعد ما تبين لهم الهدى) أي

من بعد ما بان لهم طريق الحق وهم المنافقون عن ابن عباس والضحاك والسدي كانوا يؤمنون عند النبي ﷺ ثم يظهرون الكفر فيما بينهم فتلك ردة منهم وقيل هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ وقد عرفوه ووجدوا نتمه مكتوبا عندهم من فتادة وليس في هذا دلالة على أن المرء من قد يكفر لأنه لا يتم ان يكون المراد من رجوع في باطنه عن الايمان بعد ان اظهره وقامت الحجة عنده بصحة (الشيطان سول لهم) اي زين لهم خطاياهم عن الحسن وقيل اعطاهم سولهم وامنيتهم اذ دعاهم إلى ما يوافق مرادهم وهواهم عن ابي مسلم (واملى لهم) اي طول لهم املهم فاعتروا به وقيل ارههم طول العمر مع الامن من المكارة وابعدهم في الامل والامنية قوله تعالى (٢٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٧) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يُضْرَبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ (٢٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٩) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَانَهُمْ (٣٠) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتُمُ بَسِيْمَاتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي آخِرِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ خمس آيات

❖ القراءة ❖

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر اسرارهم بالكسر والباقون اسرارهم بالفتح

❖ الحجة ❖

قال ابو علي حجة من قرأ اسرارهم انه لما كان مصدرا افرد ولم يجمع ويقوي الأفراد قوله لم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم فكما افرد السر ولم يجمع كذلك قال اسرارهم ومن فتح الهمزة جملة جمع سر فكانه جمع لاختلاف ضرب السر وجميع الاجناس يحسن جمعها مع الاختلاف وقد جاء سرهم في قوله يعلم سرهم على ما عليه معظم المصادر لانه يتناول جميع ضروبه فافرد مرة وجمع اخرى

❖ اللفظة ❖

الاضغان جمع الضغن وهو الحقد والالحن اصله ازالة الكلام عن جهته ثم انه يستعمل على وجهين في الصواب والخطأ اما في الصواب فمعناه الكناية عن الشيء والمدول عن الافصاح عنه قال الشاعر

ولقد وحيث لكم لكيلا تظنونا ولحننا لحننا ليس بالمرتاب

وقيل الالحن هي القطنة وسرعة الفهم والقائل منه لحن بلحن منه لحن اذا فطن ومنه الحديث لعل احدكم يكون لحن بجهته من بعض اي افطن لها واعرض بها ومنه قول الشاعر

منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحننا

ولو نسا يسمى التعريض لحننا لانه ذهب بالكلام الى خلاف جهته ومنه قول عمر تعلموا الالحن كما تعلمون القرآن واما في الخطأ فلان الالحن ازالة الاعراب عن جهته والفعل منه لحن بلحن فهو لحن

(المعنى)

ثم بين سبحانه سبب استيلاء الشيطان عليهم فقال (ذلك) اي التوسيل والاملاء (بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) من القرآن وما فيه من الامر والنهي والاحكام والمروي عن ابي جعفر والي عبد الله (ع) انهم بنو امية كرهوا ما نزل الله في ولاية علي ابن ابي طالب (ع) (سنطيعكم في بعض الامر) اي نفعل بعض ما تريدونه

(والله يعلم أسرارهم) أي ما أسرهم بعضهم إلى بعض من القول وما أسرهم في أنفسهم من الاعتقاد (فكيف إذا توفتهم الملائكة) أي فكيف حالهم إذا قبضت الملائكة أرواحهم وإنما حذف تفضيلاً لأن ما ينزل بهم في ذلك الوقت (يضربون وجوههم وادبارهم) على وجه العقوبة لهم ثم ذكر الله سبحانه سبب نزول ذلك الضرب فقال (ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله) من المعاصي التي يكرهها الله ويعاقب عليها (وكرهوا رضوانه) أي سبب رضوانه من الإيمان وطاعة الرسول (فأحبط الله أعمالهم) التي كانوا يعملونها من صلاة وصدقة وغير ذلك لأنها في غير إيمان ثم قال سبحانه (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) أي أحقادهم على المؤمنين ولا يبدي عوراتهم للنبي ﷺ (ولو نشاء لأريناكم) باعيانهم يا محمد حتى تعرفهم وهو قوله (فلعرفتهم بسيماهم) أي بملابساتهم التي نصبها لك لكي تعرفهم بها (ولتعرفنهم في لحن القول) أي وتعرفهم الآن في فحوى كلامهم ومعناه ومقصده ومغزاه لأن كلام الإنسان يدل على ما في ضميره وعن أبي سعيد الخدري قال لحن القول بنضهم علي بن أبي طالب (ح) قال وكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم علي بن أبي طالب (ع) وروى مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعن عبادة بن الصامت قال كنا نبور أولادنا بجم علي (ع) فإذا رأينا أحدهم لا يحبنا علمنا أنه لغير رشدة وقال انس ما خفي منافع على عهد رسول الله بعد هذه الآية (والله يعلم أعمالكم) ظاهرها وباطنها

قوله تعالى (٣١) وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ الْآخِبَارَ كُمْ (٣٢) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالَهُمْ (٣٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٥) فَلَا تَهِنُوا وَقَدِّعُوا إِلَى السَّلَهِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ خمس آيات

« القراءة »

قرأ أبو بكر وليلونكم وما بعده بالياء وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) والباقون بالنون وقرأ يعقوب وتبلو ساكنة الواو

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي وجه الياء أن قبله والله يعلم أعمالكم واسم الغيبة اقرب إليه من لفظ الجمع فحمل على الأقرب ووجه النون قوله ولو نشاء لأريناكم

﴿ اللفظة ﴾

يقال وتره يتره وقرأ إذا نقصه ومنه الحديث فكانه وتر أهله وماله واصله القطع ومنه الترة القطع بالقتل ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره

﴿ المعنى ﴾

ثم اتهم سبحانه فقال (وتبلونكم) أي نعاملكم معاملة المختبر بما نكلفكم به من الأمور الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أي حتى يتبين المجاهدون في سبيل الله من جملتكم والصابرون على الجهاد

وقيل معناه حتى يعلم اولياؤنا المجاهدين منكم واضافه الى نفسه تعظيما لهم وتشريفا كما قال إن الذين يؤذون الله ورسوله اي يؤذون اولياء الله وقيل معناه حتى تعلم جهادكم موجودا لأن الفرض ان تغفلوا الجهاد فيسيبكم على ذلك (ونبلوا اخباركم) اي تختبر اسراركم بما تستقبلونه من افعالكم (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) اي امتنعوا عن اتباع دين الله ومنعوا غيرهم عن اتباعه تارة وبالأغواء اخرى (وشاقوا الرسول) أي عاندوه وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) اي من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا انه رسول الله ﷺ (ان يضروا الله) بذلك (شيئا) وإنما ضروا انفسهم (وسيجبط) الله (امامهم) فلا يرون لها في الآخرة ثوابا وفي هذه الآية دلالة على ان هؤلاء الكفار كانوا قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه فلم يقبلوه عنادهم المنافقون وقيل انهم اهل الكتاب ظهر لهم اسم امر النبي ﷺ فلم يقبلوه وقيل هم رؤساء الضلالة جعلوا الهدى طلبا للجهاد والرياسة لأن العناد يضاف إلى الخواص (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله) بتوحيده (واطيعوا الرسول) بتصديقه وقيل اطيعوا الله في حرمة الرسول واطيعوا الرسول في تعظيم امر الله (ولا تبطأوا افعالكم) بالشك والنفاق عن عطا. وقيل بالربا والسمة عن الكلبي وقيل بالمعاصي والكبائر عن الحسن (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) مضى معناه (ثم ماتوا وهم كفار) أي أصروا على الكفر حتى ماتوا على كفرهم (فلن يغفر الله لهم) ابدالان لفظان للتأييد (فلا تهنوا) اي ولا تتوانوا ولا تضعفوا عن القتال (وتدعوا إلى السلم) اي ولا تدعوا الكفار إلى المسالمة والمصالحة (وانتم الأعلون) أي وأنتم القاهرون الغالبون عن مجاهد وقيل إن الراو للبحال أي لا تدعوه إلى الصالح في الحال التي تكون الغلبة لكم فيها وقيل انه ابتداء اخبار من الله عن حال المؤمنين انهم الاعلون يدا ومثلة آخر الامر وان غلبوا في بعض الاحوال (والله معكم) اي بالنصرة على عدوكم (ولن يترككم افعالكم) اي لن ينقصكم شيئا من ثوابها بل يزيدهم عليها ويزيدكم من فضله عن مجاهد وقيل معناه لن يظلمكم عن ابن عباس وقتادة وابن زيد

قوله تعالى (٣٦) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرًا كَثِيرًا وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٧) إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَضْفًا أَنْكُمْ (٣٨) هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعُونَ لِنُفْقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ

ثلاث آيات

القراءة

في بعض الروايات عن ابي عمرو ويخرج بالرفع والمشهور عنه ومن الجميع ويخرج بالجرم

الحجة

وهذا يكون على استئناف الكلام اي وهو يخرج اضفانكم على كل حال

الافعة

الاحفاء. الاحفاء في السؤال حتى ينتهي إلى مثل الحفاء. والمشي بغير هذا. يقال احفاء بالمسألة يفنيه احفاء. وقيل الاحفاء بالمسألة الاطاف فيها عن ابي مسلم والبخل هو منع الواجب وقيل هو منع النفع الذي هو اولى في العقل عن علي بن عيسى

(الاعراب)

يسألكمها فيحفكم إذا قدم المخاطب على الغائب لأن الابتداء بالأقرب مع انه المفعول الأول اولى وتقول

ان يساء لها جماعتكم لأنه غائب مع غائب فالتصل أولى بأن يلي الفعل من المنفصل وقال ها انتم هولاء كمر
التثنية في الموضعين للتأكيد وانتم مبتدأ وهولاء بدل منه وتدعون خبر المبتدأ

المعنى

ثم حض الله سبحانه على طلب الآخرة فقال (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) اي سرية الفناء والاتقضا. ومن
اختار الفاني على الباقي كان جاهلا ومنقرصا قال الحسن الذي خلقها هو اعلم بها (وإن تؤمنوا) بالله ورسوله
(وتتقوا) معاصيه (يؤتكم اجركم) اي جزاء اعمالكم في الآخرة (ولا يسألكم اموالكم) كلها في الصدقة
وان اوجب عليكم الزكاة في بعض اموالكم عن سفيان بن عيينة والجبائي وقيل لا يسألكم اموالكم لأن
الأموال كلها لله فهو املك لها وهو المنعم باعطائها وقيل لا يسألكم الرسول على اداء الرسالة اموالكم ان
تدفوها اليه (ان يستلكموها فيحلفكم) اي يجهدكم بمسألة جميعها (تبخلوا) بها فلا تعطوها اي ان يستلكم
جميع ما في ايديكم تبخلوا وقيل فيحلفكم اي فيحلف في السؤال بأن يعد عليه الثواب الجزيل عن اي مسلم
(ويخرج اضغانكم) اي ويظهر بغضكم وعداوتكم لله ورسوله ولكنه فرض عليكم ربع العشر قال قتادة
علم الله أن في مسألة الاموال خروج اضغان وهي الاحقاد التي في القلوب والعداوات الباطنة (ها انتم هولاء) تدعون
لتنفروا في سبيل الله (يدي ما فرض عليهم في اموالهم أي إننا تؤمرون باخراج ذلك وانفاقه في طاعة الله (فإنكم
من يبخل) بما فرض عليه من الزكاة (ومن يبخل فإننا يبخل عن نفسه) لأنه يجرها بثوبة جسيمة ويلزمها عقوبة
عظيمة وهذه اشارة إلى ان معطي المال اخرج اليه من الفقير الاخذ فيبخله بخل على نفسه وذلك اشد البخل قال
مقاتل إننا يبخل بالحير والفضل في الآخرة عن نفسه وقيل معناه فإننا يبخل بداع عن نفسه يدعوه إلى البخل
فإن الله تعالى نهى عن البخل وذمه فلا يكون البخل بداع من جهته (والله العني) عما عندكم من الأموال
(وانتم الفقراء) إلى ما عند الله من الحير والرحمة اي لا يأمركم بالاتفاق حاجته ولكن لتتنفروا به في الآخرة
(وان تتولوا) اي تعرضوا عن طاعته وعن امر رسوله (يستبدل قوما غيركم) امثل وأطوع لله منكم ثم
لا يكونوا امثالكم) بل يكونوا خيرا منكم وأطوع لله وروى ابو هريرة ان ناسا من اصحاب رسول الله ﷺ
قالوا يا رسول الله من هولاء الذين ذكر الله في كتابه وكان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ فضرب يده
على فخذه سلان فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا باثريا لتناوله رجال من فارس وروى
ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال إن تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوما غيركم يعني الموالي وعن ابي عبد الله (ع)
قال قد والله ابدل بهم خيرا منهم الموالي

سورة الفتح (مدنية)

عدد آياتها ٦

تسع وعشرون آية بالاجماع

فضلها

الابن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فكأنما شهد مع محمد ﷺ فتح مكة وفي رواية اخرى
فكأنما كان مع من بايع محمدا ﷺ تحت الشجرة. عمر بن الخطاب قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر
فقال نزلت علي البارحة سورة هي احب الي من الدنيا وما فيها انا فتحنا الى قوله وما تأخر اوردته البخاري في الصحيح
قتادة عن انس قال لما رجعنا من نزوة الحديدية وقد حبل بيننا وبين نسكتنا فنحن بين الحزن والكآبة اذ انزل

الله عز وجل إنا فتحنا لك فتحنا مينا فقال رسول الله ﷺ لقد انزلت علي آية هي أحب الي من الدنيا كلها عبد الله بن مسعود قال اقبل رسول الله ﷺ من الحديدية فجعلت ناقته تنقل فتقدمنا فانزل الله عليه إنا فتحنا لك فتحنا مينا فادركنا رسول الله ﷺ وبه من السرور ما شاء الله فأخبر أنها انزلت عليه عبد الله بن بكير عن أبيه قال قال أبو عبد الله (ع) حصنوا أموالكم ونسألكم وما ملكت إيمانكم من التلغ بقراءة إنا فتحنا فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلائق أنت من عبادي المخلصين الحقوه بالصالحين من عبادي فاسكنوه جنات النعيم واسقوه الرحيق المختوم بزواج الكافور

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله تلك السورة بقوله والله الغني وانتم الفقراء ومن غناه انه فتح لنبيه ﷺ ما احتاج اليه في دينه ودنياه فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (٢) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويؤتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً (٣) وبصرك الله نصراً عزيزاً (٤) هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً (٥) ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وبكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً

خمس آيات

﴿ اللفظة ﴾

الفتح ضد الاغلاق وهو الاصل ثم استعمل في مواضع فمنها الحكم والقضاء ويسمى الحاكم فاتحاً والفتاحة الحكومة ومنها النصر والاستفتاح الاستنصار ومنها فتح البلدان ومنها العلم وقوله وعندته مفاتيح الغيب من ذلك

﴿ المعنى ﴾

(إنا فتحنا لك فتحنا مينا) أي قضينا لك قضاء ظاهراً عن قتادة وقيل معناه يسرنا لك يسراً بيناً عن مقاتل وقيل معناه اعلناك علماً ظاهراً فيما انزلناه عليك من القرآن واخبرناك به من الدين وقيل معناه ارشدناك الى الاسلام وفتحنا لك امر الدين عن الزجاج ثم اختلف في هذا الفتح على وجوه **﴿ احدها ﴾** ان المراد به فتح مكة وعدها الله ذلك عام الحديدية عند انكفائه منها عن انس وقتادة وجماعة من المفسرين قال قتادة نزلت هذه الآية عند مرجع النبي ﷺ من الحديدية بشر في ذلك الوقت بفتح مكة وتقديره إنا فتحنا لك مكة أي قضينا لك بالنصر على اهلها وعن جابر قال ما كنا نعلم فتح مكة الا يوم الحديدية **﴿ وقانيها ﴾** ان المراد بالفتح هنا صلح الحديدية وكان فتحها بغير قتال قال الفراء الفتح قد يكون صلحاً ومعنى الفتح في اللفظة فتح المنطق والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً متعذراً حتى فتحه الله وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديدية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسلموا كلهم فتمسكوا بالاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير فكثرت بهم سواد الاسلام وقال الشعبي يبيع بالحديبية وذاك بيعة الرضون واطعم نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بظهور اهل الكتاب وهم الروم على المجوس إذ كان فيه مصداق قول الله تعالى انهم سيفلبون وبلغ المهدي محله والحديبية بشر روي انه نفذ ما رواها فظهر فيها من اعلام النبوة ما اشتهرت

به الروايات قال البراء بن عازب تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة
الرضوان يوم الحديبية كنامع النبي ﷺ اربع عشرة مائة والحديبية بشر فنزحناها فما ترك منها قطرة فبلغ ذلك الى
النبي ﷺ فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا لوانا من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها وتر كهاثم انها اصدرتنا
نحن وركابنا وفي حديث سلمة بن الاكوع لما دعا واما بزق فيها فجاشت فسقينا واسقينا وعن محمد بن اسحاق بن يسار
عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ان رسول الله ﷺ خرج لزيارة البيت لا يريد حرا فاذا كره الحديث
الى ان قال رسول الله ﷺ انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بال وادي ماء فاخرج رسول الله ﷺ من كنانته سهما فاعطاه
رجلا من اصحابه فقال انزل في همض هذه القلب فاغرز في جوفه ففعل فجاش بالماء الرواء حتى ضرب الناس بعطن
وعن عروة وذكر خروج النبي ﷺ قال وخرجت قريش من مكة فسبقوه الى بلدح والى الماء فقلوا عليه فلما
رأى رسول الله ﷺ انه قد سبق نزل على الحديبية وذلك في حر شديد وليس فيها الا بشر واحدة فاشفق القوم
من الظلم والقوم كثير فنزل فيها رجال يتحونها ودعا رسول الله ﷺ بداء من ماء فتوضأ ومضمض فاه ثم وج
فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهما من كنانته واقاه في البئر فدعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يعترفون
بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها وروى سالم بن ابي الجعد قال قلت لجابر كم كتتم يوم الشجرة قال كنا الفا
وخمسة وذاكر عطشا اصابهم قال فأتى رسول الله ﷺ باء في تور فوضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين
اصابعه كأنه العين قال فشربنا وسعنا وكفانا قال قلت كم كتتم قال لو كنا مائة الف كفانا كنا الفا وخمسة
﴿ ثالثها ﴾ أن المراد بالفتح هنا فتح خيبر عن مجاهد والوفي وروى عن مجسم بن حارثة الانصاري كان احد
القراء قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذ الناس بهزون الابعار فقال بعض الناس
لبعض ما بال الناس قالوا أوحى الى رسول الله ﷺ فخرجنا نوجف فوجدنا النبي ﷺ واقفا على راحته
عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس اليه قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا السورة فقال عمر افتح هو يا رسول الله قال نعم
والذي نفسي بيده انه فتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل فيها احد إلا من شهدها ﴿ ورابعها ﴾
ان الفتح الظفر على الاعداء كاهم بالحجج والمعجزات الظاهرة واعلا كلمة الاسلام (ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنوبك وما تأخر) قد قيل فيه اقوال كلها غير موافق لما يذهب اليه اصحابنا أن الأنبياء معصومون من الذنوب
كها صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها ﴿ فنها ﴾ انهم قالوا معناه ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر
عنها ﴿ ومنها ﴾ قولهم ما تقدم الفتح وما تأخر عنه ﴿ ومنها ﴾ قولهم ما وقع وما لم يقع على الورد بأنه
يغفر له إذا وقع ﴿ ومنها ﴾ قولهم ما تقدم من ذنب أبوبك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب
امتك بد موتك . الكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبينا ﷺ ومن عمل ذلك على الصغائر التي تقع بحجة
مندهم فالذي يبطل قواهم ان الصغائر إذا سقط عقابها وقعت مكفرة فكيف يجوز أن يمين الله سبحانه على نبيه
ﷺ بأن يغفرها له وإنما يصح الامتنان والتفضل منه سبحانه بما يكون له المؤاخذة به لا بما لو عاقب به لكان
ظالما مندهم فوضح فساد قواهم ولاصحابنا فيه وجهان من التأويل ﴿ احدهما ﴾ ان المراد ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر بشفاعتك وأراد بذكر التقدم والتأخر ما تقدم زمانه وما تأخر كما يقول القائل
لغيره صفحت عن السائف والآنف من ذنوبك وحسنت اضافة ذنوب امته اليه للاتصال والسبب بينه وبين امته
ويؤيد هذا الجواب ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال سأله رجل عن هذه الآية فقال والله ما كان له
ذنب ولكن الله سبحانه ضمن له ان يغفر ذنوب شيعة علي (ع) ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر وروى عمر بن يزيد
قال قلت لأبي عبد الله (ع) من قول الله سبحانه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنوبك وما تأخر قال ما كان له ذنب
ولا هم بذنب ولكن الله حمل ذنوب شيعة ثم غفرها له ﴿ والثاني ﴾ ما ذكره المرتضى قدس الله روحه أن

الذنب مصدر والمصدر يجوز اضافته إلى الفاعل والمفعول معاً فيكون هنا مضافاً إلى المفعول والمراد ما تقدم من ذنبهم اليك في منعم اياك من مكة وصددهم اباك عن المسجد الحرام ويكون معنى المغفرة على هذا التأويل الازالة والنسخ لاحكام اعدائه بن المشركين عليه اي يزيل الله تعالى ذلك عنك ويستتر عليك تلك الرخصة بما يفتح لك من مكة فتدخلها فيما بعد ولذلك جعله جزاء على جهاده وغرضاً في الفتح ووجهها له قال ولو انه أراد مغفرة ذنوبه لم يكن لقوله انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله معنى معقول لأن المغفرة للذنب لا تعلق لها بالفتح فلا يكون غرضاً فيه وأما قوله ما تقدم وما تأخر فلا يمنع أن يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك وقيل ايضاً في ذلك وجوه اخر ﴿ منها ﴾ ان معناه لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك ﴿ ومنها ﴾ أن المراد بالذنب هناك ترك المندوب وحسن ذلك لأن من المعلوم انه ممن لا يخالف الاوامر الراجحة فجاز ان يسمى ذنباً منه ما لو وقع من غيره لم يسم ذنباً لعل قدره ورفعة شأنه ﴿ ومنها ﴾ ان القول خرج مخرج التعظيم وحسن الخطاب كما قيل في قوله عفا الله عنك وهذا ضعيف لأن العادة جرت في مثل هذا ان يكون على لفظ الدما وقوله اوتيم نعمته عليك) معناه اوتيم نعمته عليك في الدنيا باظهارك على عدوك واعلاء امرك ونصرة دينك وبقاؤك شرعك وبالآخرة برفع ملكك فان معنى اتمام النعمة فعل ما يقتضيها وتبقيتها على صاحبها والزيادة فيها وقيل يتم نعمته عليك بفتح خير ومكة والطائف (ويهديك صراطاً مستقيماً) اي ويثبتك على صراط يوهي بالسلك الى الجنة (وينصرك الله نصراً عزيزاً) النصر العزيز هو ما يتمتع به من كل جبار عنيد وعات مريد وقد فعل ذلك بنيه ^{عليه السلام} اذ صبر دونه اعز الاذبان وسلطانه اعظم السلطان (هو الذي ازل السكينة في قلوب المؤمنين) وهي ان يفعل الله بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده من البصيرة بالحق ما سكن اليه قلوبهم وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الادلة الدالة عليه فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة واما غيرهم فتضطرب قلوبهم لاول عارض من شبهة ترد عليهم اذ لا يجدون برد اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم وقيل هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ويشتروا في القتال وقيل هي ما اسكن قلوبهم من التعظيم لله ولرسوله (ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم) اي بقينا الى يقينهم بما يرون من الفتح وعلو كلمة الاسلام على وفق ما وعدوا وقيل ليزدادوا تصديقاً بشرائع الاسلام وهو انهم كلما امروا بشيء من الشرائع والفرائض كالصلاة والصيام والصدقات صدقوا به وذلك بالسكينة التي انزلها الله في قلوبهم عن ابن عباس والمعنى ليزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم (والله جنود السموات والارض) يعني الملائكة والجن والانس والشياطين عن ابن عباس والمعنى انه لو شاء لاغانكم بهم وفيه بيان انه لو شاء لاهلك المشركين لكنه عالم بهم وبما يخرج من اصلاهم فامهلهم لعلمه وحكمته ولم يأمر بالقتال عن عجز واحتياج لكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب (وكان الله عليهما حكيماً) فكل افعاله حكمة وصواب (ليدخل المؤمنين والمؤمنات) تقديراً انا فتحنا لك ليغفر لك الله انا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات (جنات) ولذلك لم يدخل واو العطف في ليدخل اعلاماً بالتفصيل (تجري من تحتها الانهار) اي من تحت اشجارها الانهار (خالدن فيها) اي دائمين موبدين لا يزول عنهم نعيمها (ويكفر عنهم سيئاتهم) اي عقاب معاصيهم التي فعلوها في دار الدنيا (وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً) اي ظفراً بعظم الله به قدره

قوله تعالى (٦) وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٧) وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٩) لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزُوا وَتُؤَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا

(١٠) إِنْ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بَدَّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَبَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَةٌ لَهُ أَجْرًا عَظِيمًا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قد بينا اختلافهم في السورة في سورة التوبة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وليؤمنوا بالله وما بعده بالياء وقرأ الباقر بالتاء وقرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء والباقر بالتون وفي الكواذق قراءة الجحدري وتمزوه بفتح التاء وضم الزاي عتقنا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة الياء انه لا يقال لتؤمنوا بالله ورسوله وهو الرسول فإذا لم يسهل ذلك كانت القراءة بالياء ليؤمنوا ومن قرأ بالتاء فعلى قوله قل لهم انا ارسلناك اليهم شاهداً لتؤمنوا وحجة الياء في فسيؤتيه قوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً على تقديم ذكر الغيبة وزعموا ان في حرف عبد الله فسوف يؤتيه الله والنون على الانصراف من الافراد الى لفظ الكثرة وقال ابن جني من قرأ تمزوه فالمعنى تمتعوه وتمتعوا دينه ونيبه فهو كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دينه فهو على حذف المضاف واما تمزوه بالتشديد فتمتعوا منه بالسيف عن الكلبي وعزرت فلانا فضمت امره ومنه عزرة اسم رجل ومنه عندي التعزيز للضرب دون الحدود وذلك انه لم يبلغ به ذل الحد الكامل فكأنه محاسنة فيه قال ابو حاتم وقرأ بعضهم تمزوه اي تجعلوه عزيزاً

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم الوعد للمؤمنين عقبه سبحانه بالوعيد للكافرين فقال (ويعذب) لله المنافقين والمنافقات) وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الشرك فالنفاق اسرار الكفر واظهار الايمان اخذ من نفاق البريوع وهو ان يجعل لسره باين يظهر احدهما ويخفي الآخر فإذا اتى من الظاهر خرج من الآخر (والشركين والمشركات) وهم الذين يعبدون مع الله غيره (الظانين بالله ظن السوء) اي يتوهمون ان الله ينصرهم على رسوله وذلك سوء اي فيجح والسوء المصدر والسوء الاسم وقيل هو ظنهم ان النبي ﷺ لا يعود الى موضع ولادته ابدًا وقيل هو ظنهم ان لن يبعث الله احداً مثله وغلظتم ظن السوء (عليهم دائرة السوء) اي يقع عليهم العذاب والهلاك والدائرة هي الراجعة بخير او شر وقال حميد بن ثور « ودائرات الدهر ان تدورا » وقيل ان من قرأ بالضم فالمراد دائرة العذاب ومن قرأ بالفتح فالمراد ما جعله للمؤمنين من قتلهم وغتيمه اموالهم (وغيظ الله عليهم ولعنهم) اي ابدعهم من رحمته (واعدهم جهنم) يجعلهم فيها (وساءت مصيراً) اي مالا ومرجما (ولله جنود السموات والارض) وإنما كرر لأن الاول متصل بذكر المؤمنين اي فله الجنود التي يقدر ان يعينكم بها والثاني متصل بذكر الكافرين اي فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها (وكان الله عزيزاً) في قهره وانتقامه (حكيماً) في فعله وقضائه ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (انا ارسلناك) يا محمد (شاهداً) على امتك بما عملوه من طاعة ومعصية وقبول وردا وشاهداً عليهم بتبليغ الرسالة (ومبشراً) بالجنة لمن اطاع (ونذيراً) من النار لمن عصى ثم بين سبحانه الغرض بالارسال فقال (لتؤمنوا بالله) من قرأ ليؤمنوا بالياء فالمعنى ليؤمن هو لا الكفار بالله (ورسوله وتمزوه) اي تنصروه بالسيف واللسان والماء تعود الى النبي ﷺ (وتوقروه) اي تعظموه وتبجلوه (وتسبحوه بكرة واصيلاً) اي وتصلوا بالعبادة والعشي وقيل معناه وتمزوه عمالاً يلبق به وكثير من القراء اختاروا الوقف على وتوقروه لاختلاف الضمير فيه وفيما بعده وقيل وتمزوه اي وتنصروا الله وتوقروه اي وتمظموه وتطيعوه كقوله لا ترجون الله وقارا وعلى هذا فتسكون الكنايات منقطة وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر ان الله سبحانه يريد من الكفار الكفر لأنه صرح هنا انه يريد من جميع المكلفين الايمان والطاعة (ان الذين يبايعونك) المراد بالبيعة

هنا بيعة الحديبية وهي بيعة الرضون بايعوا رسول الله ﷺ على الموت (إنما بايعون الله) يعني أن المبايعة معك تكون مبايعة مع الله لأن طاعتك طاعة الله وإنما سميت بيعة لأنها عقدت على بيع أنفسهم بالجنة لزومهم في الحرب النصرة (يد الله فوق أيديهم) أي عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه ﷺ فكأنهم بايعوه من غير واسطة عن السدي وقيل معناه قوة الله في نصرة نبيه ﷺ فوق نصرته إياه أي ثبوت نصرة الله لك لا بنصرتهم وإن بايعوك عن ابن كيسان وقيل نعمة الله عليهم بنبيه ﷺ فوق أيديهم بالطاعة والمبايعة عن الكلبي وقيل يد الله بالثواب وما وعدم على بيعتهم من الجزاء فوق أيديهم بالصدق والوفاء عن ابن عباس (فمن نكث) أي تقض ما عقد من البيعة (فلإنما ينكث على نفسه) أي يرجع ضرر ذلك التقض عليه وليس له الجنة ولا كرامة عن ابن عباس (ومن أوفى) أي ثبت على الوفاء (بما عاهد عليه الله) من البيعة (فسيوته اجرا عظيما) أي ثوابا جزيلًا

قوله تعالى (١١) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرُوا لَنَا يَقُولُونَ بِآيَاتِنَا مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْئًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٣) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٤) وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥) سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِنَأْخُذُهَا ذُرُوعًا وَنَنبِغِكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا خمس آيات

﴿ التوراة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ضرا بضم الضاد يبدلوا كالم الله بغير الف والباقون ضرا بالفتح كلام الله بالالف

﴿ الحجية ﴾

قال أبو علي الضر خلاف النفع وفي التنزيل ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعًا والضر سوء الحال وفي التنزيل فكشفنا ما به من ضر هذا الأبي في هذا الحرف عندي ويجوز أن يكونا لتبين في معنى كالنفع والفقر والضعف والضعف ومن قرأ كلام الله فوجهه أنه قيل فيهم لن تخرجوا معي أبدا فخص الكلام بما كان مفيدا وحديثا فقال كلام الله ومن قرأ كلام الله قال الكلم قد يقع على ما يقع عليه الكلام وعلى غيره وإن كان الكلام بما ذكرنا اخص إلا ترى أنه قال وتمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل فإنما هو والله اعلم ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض وما يتصل به

﴿ اللغة ﴾

المخائف هو المتروك في المكان خلف الخارجين من البلد وهو مشتق من الخلف وضده المقدم والاعراب

الجماعة من عرب البادية وغرب الحاضرة ليسوا باعراب فرقوا بينها وان كان اللسان واحداً والبور الفاسد
المالك وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع يقال رجل بور ورجال بور قال

بارسول الملك إن لساني راتق ما فقت إذ أنا بور

وقال حسان

لا ينفع الطول من توك القلوب وقد يهدي الآله سبيل المعثر البور

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن تخلف عن نبيه ﷺ قال (سيقول لك المخلفون من الاعراب) اي الذين
تخلفوا عن صحبتك في جهتك وعمرتك وذلك انه لما اراد السير إلى مكة عام الحديبية معتمرا وكان في
ذي القعدة من سنة من الهجرة استنفر من حول المدينة الى الخروج معه وهم غفار واسلم ومزينة وجبينة
واشجع والدتل حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او بصد واحرم بالعمرة وساق معه المهدي ليعلم الناس انه
لا يريد حربا فتناقل عنه كثير من الاعراب فقالوا انذهب معه إلى قوم قد جاؤه فقتلوا اصحابه فتخلفوا
عنه واعتلوا بالشغل فقال سبحانه انهم يقولون لك إذا انصرفت اليهم فعاتبتهم على التخلف عنك (شغلنا
اموالنا واهلونا) عن الخروج معك (فاستغفر لنا) في قومونا عنك فكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بألسنتهم
ما ليس في قلوبهم) كذبهم في اعتذارهم بما اخبر عن ضآئيرهم واسرارهم اي لا يباليون استغفر لهم
النبي ﷺ ام لا (قل) يا محمد (فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعاً) اي فمن
يمنعكم من عذاب الله إن أراد بكم سوءاً ونفعاً اي غنيمة عن ابن عباس وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن
النبي ﷺ يدفع عنهم الضر أو يجعل لهم النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فأخبرهم سبحانه انه ان
اراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه عنهم (بل كان الله بما تعملون خبيراً) اي علما بما كنتم تعملون
في تخلفكم (بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى اهلهم ابداً) اي ظننتم انهم لا يرجعون إلى
من خلفوا بالمدينة من الأهل والأولاد لأن العدو يستأصلهم ويصطليهم (وزين ذلك في قلوبكم) اي زين
الشیطان ذلك الظن في قلوبكم وسوله لكم (وظننتم ظن السوء) في هلاك النبي ﷺ والمؤمنين وكل
هذا من الغيب الذي لا يطلع عليه احد إلا الله فصار معجزا للنبي ﷺ (وكنتم قوما بوراً) اي هلكي
لا تصلحون لخبر عن مجاهد وقبل قوما فاسدين عن قتادة (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا أعدنا
للكافرين سعيراً) اي نارا تسعروهم وتحرقهم (والله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء) ذنوبه (ويعذب
من يشاء) (إذا استحق العقاب) وكان الله غفورا رحیماً (ظاهر المعنى ثم قال (سيقول لك المخلفون) يعني
هو لا) (إذا انطلقتم) اي المؤمنون (إلى معانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر (ذرونا تتبعكم) اي اتركونا
نحى معكم وذلك انهم لما انصرفوا من عام الحديبية بالصلح وعدهم الله سبحانه فتح خيبر وخص بقنائمها من
شهد الحديبية فلما انطلقوا اليها قال هو لا . المخلفون ذرونا تتبعكم فقال سبحانه (يريدون أن يدلوا كلام الله)
اي مواعيد الله لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة أرادوا تفسير ذلك بأن يشاركونهم فيها عن ابن عباس
وقبل يريد امر الله لنبيه ان لا يسير معه منهم احد عن مقاتل (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) اي
قال الله بالحديبية قبل خيبر وقبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية لا يشركهم فيها غيرهم هذا

قول ابن عباس ومجاهد وابن اسحاق وغيرهم من المفسرين وقال الجبائي أراد بقوله يريدون ان يدلوها كلام الله قوله سبحانه قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وهذا غلط فاحش لأن هذه السورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية في سنة ست من الهجرة وتلك الآية نزلت في الذين تخلفوا عن تبوك وكانت غزوة تبوك بعد فتح مكة وبعد غزوة حنين والطائف ورجوع النبي ﷺ منها إلى المدينة ومقامه ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم نهباً في رجب للخروج إلى تبوك وكان منصرفه من تبوك في بقية رمضان من سنة تسع من الهجرة ولم يخرج ﷺ بعد ذلك لقتال ولا غزو إلى أن قبضه الله تعالى فكيف تكون هذه الآية مرادة بقوله كلام الله وقد نزلت بعده بأربع سنين لولا ان العصية ترين على القلوب ثم قال (فسيقولون بل تحمدوننا) اي فسيقول المخلفون عن الحديبية لكم إذا قلتم هذا لم يأمركم الله تعالى به بل انتم تحمدوننا ان نشاركم في الغنيمه فقال سبحانه ليس الأمر على ما قالوه (بل كانوا لا يفقهون) الحق وما تدعونهم اليه (إلا قليلا) اي إلا فقها قليلا او شيئاً قليلا وقبل معناه إلا القليل منهم وهم المماندون

قوله تعالى (١٦) قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ آوَلِي بِأَسِي شَدِيدٍ تَقَاتِلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ يُطِيعُوا بِوَدْعِكُمْ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بَدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّأْ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٩) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٢٠) وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون والباقون بالياء وهما في المعنى سواء

📖 المعنى 📖

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد (المخلفين) الذين تخلفوا عنك في الخروج إلى الحديبية (من الأعراب سددعون) فيما بعد (إلى قوم آولي بأس شديد) وهم هوازن وحنين عن سعيد بن جبير وعكرمة وقيل هم هوازن وثيف عن قتادة وقيل هم ثيف عن الضحاك وقيل هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب عن الزهري وقيل هم أهل فارس عن ابن عباس وقيل هم الروم عن الحسن وكعب وقيل هم أهل صفين اصحاب معاوية والصحيح أن المراد بالداعي في قوله سددعون هو النبي ﷺ لأنه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة وقتال اقوام ذوي نجدة وشدة مثل أهل حنين والطائف وموتة إلى تبوك

وغيرها فلا معنى لجل ذلك على ما بعد وفاته (تقاتلونهم أو يسلمون) معناه ان احد الأمرين لا بد ان يقع لا عمالة وتقديره أو هم يسلمون اي يقرون بالإسلام ويقبلونه وقبل يتقادون لكم وفي حرف ابي او يسلموا وتقديره إلى أن يسلموا وفي النصب دلالة على ان ترك القتال من اجل الاسلام إذا وقع (فإن تطبوا) اي فإن تجيبوا إلى قتالهم (بوتنكم الله اجرا حسنا) اي جزاءا صالحا (وإن تولوا) عن القتال وتقدموا عنه (كما توليتم من قبل) عن الخروج إلى الحديبية (بعذبكم عذابا أليما) في الآخرة (ليس على الأعمى حرج) اي ضيق في ترك الخروج مع المؤمنين في الجهاد والأعمى الذي لا يبصر بجراحة العين (ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) في ترك الجهاد ايضا قال مقاتل عذر الله اهل الزمانة والآفات الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية (ومن بطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) معناه في الامر بالقتال (ومن يتول) عن امر الله وامر رسوله فيقتد عن القتال (يعذبه عذابا أليما) لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) يعني بيعة الحديبية وتسمى بيعة الرضوان لهذه الآية ورضاء الله سبحانه عنهم هو ارادته تعظيمهم واثابهم وهذا اخبار منه سبحانه انه رضي عن المؤمنين اذ بايعوا النبي ﷺ في الحديبية تحت الشجرة المعروفة وهي شجرة السمرة (فعلم ما في قلوبهم) من صدق النية في القتال والكرامة له لأنه بايعهم على القتال عن مقاتل وقيل ما في قلوبهم من اليقين والصبر والوفاء (فأنزل السكينة عليهم) وهي اللطف القوي لقلوبهم والطأينة (وأناهم فتحا قريبا) يعني فتح خيبر عن قتادة وأكثر المفسرين وقيل فتح مكة عن الجبائي (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني غنائم خيبر فإنها كانت مشهورة بكثرة الاموال والعقار وقيل يعني غنائم هوازن بعد فتح مكة عن الجبائي (وكان الله عزيزا) اي غالبا على امره (حكيمًا) في افعاله ولذلك امر بالصلاح وحكم للمسلمين بالغنمة ولاهل الخيبر بالهزيمة ثم ذكر سبحانه سائر الغنائم التي يأخذونها فيما يأتي من الزمان فقال (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) مع النبي ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة (فجعل لكم هذه) يعني غنمة خيبر (وكف ايدي الناس عنكم) وذلك ان النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من اسد وغطفان ان يغيروا دلي اموال المسلمين وعباهم بالمدينة فكف الله ايديهم عنهم بإلقاء الرعب في قلوبهم وقيل ان مالك بن عوف وعيينة بن حصين مع بني اسد وغطفان جاؤا لنصرة اليهود من خيبر فخذف الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا (ولتكون) الغنمة التي جعلها لهم (آية للمؤمنين) على صدقتك حيث وعدهم أن يصيبوها فوق وقع المخبر على وفق الخبر (ويهديكم صراطا مستقيما) اي ويزيدكم هدى بالتصديق بمحمد ﷺ وما جاء به مما ترون من عدة الله في القرآن بالفتح والغنمة

﴿ قصة فتح الحديبية ﴾

قال ابن عباس ان رسول الله ﷺ خرج يريد مكة فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته وزجرها فلم تنزجر وبركت الناقة فقال اصحابه خلأت الناقة فقال ﷺ ما هذا لها عادة ولكن حبسها حابس الغيل ودعا عمر بن الخطاب ليرسله إلى اهل مكة ليأذنوا له بأن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه فقال يا رسول الله مالي بها حميم واني اخاف قريشا لشدة عداوتي اياها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فقال صدقت فدعا رسول الله ﷺ عثمان فأرسله إلى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب

وإنا جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمة فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فقام رسول الله ﷺ إلى الشجرة فاستند اليها وبايع الناس على ان يقاتلوا المشركين ولا يفروا قال عبد الله بن معقل كنت قائما على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم ويدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس فلم يبايعهم على الموت وإنا بآبائهم على ان لا يفروا وروى الزهري وعروة بن الزبير والمصور بن مخزومة قالوا خرج رسول الله ﷺ من الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه حتى إذا كانوا ببذي الحليفة قلد رسول الله ﷺ الهدى وأشعره واحرم بالعمرة وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عينه الخزاعي فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي قد جمعوا لك الاحابيش وجمعوا جموعا وهم قاتلونك او مقاتلونك وصادوك عن البيت فقال ﷺ روحوا فراخوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد بالنمير في خيل لقريش طليعة فنخذوا ذات اليمين وسار ﷺ حتى إذا كان بالثنية بركت راحلته فقال ﷺ ما خلأت القصواء ولكن حبسها حابس الغبل ثم قال والله لا يسألوني خطبة يعظمون فيها حرمت الله إلا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت به قال فمدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء انما يبرضه الناس تبرضا فشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجملوه في الماء فوالله ما زال يمشي لهم بالري حتى صدروا عنه فبيناهم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لومي وعامر بن لومي ومعهم العوذ المطايل وهم مقاتلونك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجئ لقتال احد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فإن شاءوا ما دونهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وان شاءوا ان يدخلوا فيها دخل في الناس فعلوا والا فقد جمعوا وان ابوا فوالذي نفسي بيده لا قاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله تعالى امره فقال بديل سأبلغنهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وانه يقول كذا وكذا فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال انه قد عرض عليكم خطبة رشد فاقبلوها ودعوني أنه قالوا ائنه فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ نحو ما من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد أرايت ان استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله اني لأرى وجوها وارى اشابا من الناس خلقاء ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر امصص بظفر اللات ونحن نفر عنه وندهه فقال من ذا قال ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي ﷺ وكلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبه قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المنفر فكلمها هو عروة بيده إلى حية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن حية رسول الله ﷺ قبل ان لا ترجع اليك فقال من هذا قال المغيرة بن شعبه قال اي غدر ولست اسمى في غدرتك قال وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ أما الإسلام فقد قبلنا واما المال فإنه مال غدر لا حاجة لنا فيه ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي ﷺ إذا امرهم

رسول الله ﷺ ابتدروا امره واذا توضع اثاروا يقتلون على وضوئه واذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يجدون اليه النظر تعظيما له قال فرجع عروة الى اصحابه وقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد اذا امرهم ابتدروا امره واذا توضع اثاروا يقتلون على وضوئه فاذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يجدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشدا فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني انا فاقبلوا انا فلما اشرف عليهم قال رسول الله ﷺ لاصحابه هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله القوم بلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني انا فقالوا انا فلما اشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فيينا هو بكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو فقال ﷺ قد سهل عليكم امركم فقال اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب فقال رسول الله اكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم فقال المسلمون والله لا نكتب الا باسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ اني لرسول الله وان كذبتموني ثم قال لعلي (ع) امع رسول الله فقال يا رسول الله ان يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة فأخذه رسول الله فمحاها ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى انه من قدم مكة من اصحاب محمد حاجا أو معتمرا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه وماله وان بيننا عيبة مكفولة وانه لا اسلأل ولا اغلال وانه من احب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتوالت خراعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتوالت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم فقال رسول الله ﷺ على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فقال سهيل والله ما نتحدث العرب انا اخذنا ضفطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك اولا رددته البنا ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فقال رسول الله ﷺ من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فلو علم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجا فقال سهيل وعلى انك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة فاذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثا ولا تدخلها بالاسلح الا السيوف في القراب و اسلح الراكب وعلى ان هذا الهدى حيث ما جستانه محله لا تقدمه علينا فقال نحن نسوق وانتم تردون فييناهم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما افاضيك عليه ان ترده فقال النبي ﷺ انا لم نقض بالكتاب بعد قال والله اذا لا صالحك على شي ابدأ فقال النبي ﷺ فأجره لي فقال ما انا بجزيره

لك قال بلى فاقبل قال ماانا بفاعل قال مكرز بلى قد اجرناه قال ابو جندل بن سهيل معاشر المسلمين أأرد
إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذاباً شديداً فقال عمر بن الخطاب والله
ما شككت مذ اسلمت الا يومئذ فأنت النبي ﷺ فقلت أأنت نبي الله فقال بلى قلت أأنت على الحق
وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم تعط الدنيا في ديننا إذا قال إني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري
قلت اولست كنت تحدثنا إنا سنأتي البيت ونطوف حقا قال بلى فاخبرتك ان تأتيه العام قلت لا قال فأنت
تأتيه وتطوف به فتحرس رسول الله ﷺ بدنة فدعا بجالقه فحلق شعره ثم جاءه نسوة موئنات فأنزل الله
تعالى إياها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الآية قال محمد بن اسحاق بن يسار وحدثني بريدة
بن سفيان عن محمد بن كعب ان كاتب رسول الله ﷺ في هذا الصلح كان علي بن ابي طالب (ع) فقال
له رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صلح عليه محمد بن عبد الله ﷺ سهل بن عمرو فجعل علي (ع)
يتلأ ويأبى ان يكتب إلا محمداً رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ فإن لك مثلها تعطها وانت مضطهد
فكتب ما قالوا ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في
طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فزلا بأكلان
من تمر لهم قال ابو بصير لأحد الرجلين واني لأرى سيفك هذا جيداً جداً فاستله وقال اجلس انه جيد
وجربت به ثم جربت فقال ابو بصير واني انظر اليه فامكنه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى بلغ المدينة
فدخل المسجد يمدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه لقد رأيته هذا ذعراً فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال
قتل والله صاحبي واني لمقتول قال فجاءه ابو بصير فقال يا رسول الله قد اوفى الله ذمتك ورددتني اليهم ثم
انجاني الله منهم فقال النبي ﷺ ويل أمه مسعرحرب لو كان له احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم
فخرج حتى أتى سيف البحر وانفلت منهم ابو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير فلا يخرج من قريش رجل
قد اسلم الا الحق بابي بصير حتى اجتمعت عليه عصابة قال فوالله لا يسمعون بعير لقريش قد خرجت إلى الشام
الا اعتراضوا لها فقتلواهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم
فمن اتاه منهم فهو آمن فارسل ﷺ اليهم فأتوه

[قصة فتح خيبر]

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ثم خرج منها غادياً إلى خيبر ذكر
ابن اسحاق باسناده عن ابي مروان الاسلمي عن ابيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر
حتى اذا كنا قريباً منها واشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات
السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقلن ورب الشياطين وما اضللن انا نسألك خير هذه القرية
وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله وعن سلمة بن
الاكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع ألا تسمعنا
من ههنا نك وكان عامر رجلاً شاعراً فجعل يقول

لاهم لولا انت ما حجينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداؤك ما اقتنينا

وأنزلن سكينه علينا

وبالصباح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السابق قالوا عامر قال يرجه الله قال عمر وهو على جمل وجيب
بارسول الله لولا امتعتنا بذلك ان رسول الله ﷺ ما استغفر لرجل قط يخصه الا استشهد قالوا فلما
جد الحرب وتصاف القوم خرج يهودي وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذ الحروب اقبلت تلهب

فيرز اليه عامر وهو يقول

قد علمت خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوق سيف اليهودي في ترس عامر وكان سيف عامر فيه قصر فتناول به ساق اليهودي ليضربه
فرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركة عامر فمات منه قال سلمة فاذا نفر من اصحاب رسول الله ﷺ يقولون
بطل عمل عامر قتل نفسه قال فأتيت النبي ﷺ وانا بكى فقلت قالوا ان عامرا بطل عمله فقال من قال
ذلك قلت نفر من اصحابك فقال كذب أو لك بل أوتي من الأجر مرتين قال فحاصرناهم حتى اصابنا
مخمة شديدة ثم ان الله فتحها علينا وذلك ان النبي ﷺ اعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه
من الناس فلحقوا اهل خيبر فأنكشفت عامر واصحابه فرجعوا الى رسول الله ﷺ فيجبهه اصحابه ويجيبهم
وكان رسول الله ﷺ اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس قال حين افاق من وجهه ما فعل الناس بخيبر
فأخبر فقال لا عطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويجبه الله ورسوله كرازا غير فرار لا يرجع حتى
يفتح الله على يديه وروى البخاري ومسلم عن قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب عن عبد الرحمن الاسكندراني
عن ابي حازم قال اخبرني سعد بن سهل ان رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لا عطين هذه الراية غدا رجلا
يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويجبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون بجملتهم ايهم يعطاهم اصبغ
الناس غدوا على رسول الله ﷺ كاهم يرجون ان يعطاهم فقال ابن علي بن ابي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي
عينه قال فارسلوا اليه فأني به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية
فقال علي (ع) يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام
واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر
النعم قال سلمة فيروز مرحب وهو يقول قد علمت خيبر اني مرحب الايات فيروز له علي (ع) وهو يقول

انا الذي سمتني امي حيدرة كليث غابات كره المنظرة اوفيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب مرجا ففلق رأسه فقتله وكان التتح على يده اوردته مسلم في الصحيح وروى ابو عبد الله الحافظ
باسناده عن رافع مولى رسول الله ﷺ قال خرجنا مع علي (ع) حين بعث رسول الله ﷺ فلما دنا من
الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باب الحصن فترس
به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده فلقد رأيتني في نفر مع سبعة
انا منهم نجهد على ان تغلب ذلك الباب فما استطنا ان نغلبه وبأسناده عن ليث بن ابي سليم عن ابي جعفر

محمد بن علي (ع) قال حدثني جابر بن عبد الله أن عليا (ع) حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فاقنحوها وانه حرك بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا قال وروي من وجه آخر عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكانت جهدهم أن اعادوا الباب وبأسناده عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان علي (ع) يلبس في الحر والشتاء القباء المحشو الثخين وما يبالي بالحر فأتاني اصحابي فقالوا إنا رأينا من امير المؤمنين (ع) شيئا فهل رأيت فقلت وما هو قالوا رأيناه يخرج علينا في الحر الشديد في القباء المحشو الثخين وما يبالي بالحر ويخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وما يبالي بالبرد فهل سمعت في ذلك شيئا فقلت لا فقالوا فسل لنا أباك عن ذلك فإنه يسرعه فسألته فقال ما سمعت في ذلك شيئا فدخل علي (ع) فبسم معه ثم سأله عن ذلك فقال أو ما شهدت خيبر قلت بلى قال فما رأيت رسول الله ﷺ حين دعا ابا بكر فمقد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقى القوم ثم بعثه إلى القوم فالتقى القوم فقاتلهم ثم رجع وقد هزم فقال رسول الله ﷺ لا تعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه كرازا غير فرار فدعاني فأعطاني الراية ثم قال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت بعد ذلك حرا ولا بردا وهذا كله منقول من كتاب دلائل النبوة للإمام ابي بكر البيهقي ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون حصنا حصنا ويموز الأموال حتى انتهوا إلى حصن الوطيح والسلام وكان آخر حصون خيبر افتتح وحاصره رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة قال ابن اسحاق ولما افتتح القموص حصن ابن ابي الحقيق أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي ابن اخطب وبأخرى معها فر بها بلال وهو الذي جاء بها على قتلى من قتلى يهود فلما رأته التي معها صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال اغربوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيرت خلفه والقي عليها رداؤه ففر المسلمون انه قد اصطفها لنفسه وقال بلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالها وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فحرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا انك تمنين ملك الحجاز محمدا واعطم وجهها لطمه اخضرت عينها منها فأتى بها رسول الله ﷺ وبها اثر منها فسألها رسول الله ﷺ ما هو فاخبرته وارسل ابن ابي الحقيق إلى رسول الله ﷺ انزل فأكلت قال نعم فقتل وصالح رسول الله ﷺ على حرقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذرايتهم ويخجلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كانت لهم من مال وأرض على الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البرز إلا ثوبا على ظهر انسان وقال رسول الله ﷺ فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كنتم موافقي شيئا فصالحوه على ذلك فلما سمع بهم اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه ان يسيرهم ويحرقن دماءهم ويخجلون بينه وبين الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محبصة بن مسعود أحد بني حارثة فلما نزل اهل خيبر على ذلك سألو رسول الله ﷺ ان يعاملهم الاموال على النصف وقالوا نحن اعلم بها منكم واعمرها فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف على أن اذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم وصالحه اهل فدك على مثل ذلك فكانت اموال خيبر فيا بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ

لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ولما اطمأن رسول الله ﷺ اهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم وهي ابنة اخي مرحب شاة مصلية وقد سألت أي عضو من الشاة احب إلى رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضفة وانتهش منها ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظما فانتهش منه فقال رسول الله ﷺ ارفعوا ايديكم فإن كنت هذه الشاة تجبرني انها مسمومة ثم دعاها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلنت من قومي ما لم يخف عليك قلت ان كان نبيا فسبحر وان كان ملكا استرحت منه فنجاوز عنها رسول الله ﷺ ومات بشر بن البراء من اكلته التي اكل قال ودخلت ام بشر بن البراء على رسول الله ﷺ تعوده في مرضه الذي توفي فيه فقال ﷺ يا ام بشر ما زالت اكلة خبيث التي اكلت بخبير مع ابنك تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وكان المسلمون يرون ان رسول الله ﷺ مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة

قوله تعالى (٢١) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٢) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٣) سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٤) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٥) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِّبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بِغَيْرِ عِلْمٍ يُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو بما يعملون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي وجه قول ابي عمرو وكان الله بما عمل الكفار من كفرهم وصدكم عن المسجد الحرام ومنكم من دخوله بصيرا فيجازي عليه ووجه التاء ان الخطاب قد جرى للقبيلتين في قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم فالخطاب لتقدم هذا الخطاب

اللغة

التبديل رفع احد الشيتين وجعل الآخر مكانه فيما حكم ان يستمر على ما هو به ولو رفع الله حكما إلى خلافه لم يكن تبديلا لحكمه لأنه لا يرفع شيئا إلا في الوقت الذي تقتضي الحكمة رفعه فيه والمعكوف المنوع من الذهاب في جهة بالإقامة في مكانه ومنه الاعتكاف وهو الإقامة في المسجد للعبادة وعكف على هذا الامر

يعكف عكوفاً إذا قام عليه والمعزة الأمر القبيح المكروه يقال عر فلان فلانا إذا شانه وألحق به عيأ وبه سمي الجرب عرا والقدرة عرة

﴿ الاعراب ﴾

سنة الله منصوب على المصدر والمعنى سن الله خذلانهم سنة وموضع ان تطوهم رفع بدل من رجال والمعنى لولا ان تطأوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات ثم قال لو تزلوا لذنبا الآية والتقدير وطء رجال ونساء اي قتالهم وهو بدل الاشتغال مثل نفعني عبد الله علمه واعجبني الجارية حسنها ويجوز أن يكون موضع ان تطوهم نصباً على البدل من الهاء والميم في تملوهم والتقدير ولولا رجال ونساء لم تعلموا أن تطوهم اي لم تعلموا وطأهم وهو بدل الاشتغال ايضاً وقوله لم تعلموهم ان تطوهم في موضع رفع صفة لرجال ونساء وجواب لولا يعني عنه جواب لو في قوله لو تزلوا لذنبا الذين كفروا وقوله والهدي معكوكا عطف على الكاف والميم في وصدوكم اي وصدوكم صدوا الهدي ومعكوكا حال وقوله ان يبلغ محله تقديره كراهة أن يبلغ فحذف المضاف وقيل معكوكا من ان يبلغ فحذف من

(النزول)

سبب نزول قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية ان المشركين بعثوا اربعين رجلاً عام الحديبية ليصيبوا من المسلمين فأتى بهم إلى النبي ﷺ اسرعت فخطى سبيلهم عن ابن عباس وقيل انهم كانوا ثمانين رجلاً من اهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم عن انس وقيل كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة وبين يديه علي صلوات الله عليه يكتب كتاب الصلح فخرج ثلاثون شاباً عليهم السلاح فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا فأخذناهم فخطى سبيلهم فنزلت هذه الآية عن عبد الله بن المغفل

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم به النبي ﷺ والمؤمنين فتوحاً اخر فقال (واخرى لن تقدروا عليها) معناه ووعدكم الله مغانم اخرى لن تقدروا عليها بعد فتكون اخرى في محل النصب وقيل معناه وقرية اخرى لم تقدروا عليها قد اعدّها الله لكم وهي مكة عن قتادة وقيل هي ما فتح الله على المسلمين بعد ذلك إلى اليوم عن مجاهد وقيل ان المراد بها فارس والروم عن ابن عباس والحسن والجبائي قال كما ان النبي ﷺ بشرهم كنوز كسرة وقيصر وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنهم بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالإسلام (قد احاط الله بها) أي قدر الله عليها واحاط علمها فجعلهم بمنزلة قوم قد ادبر حولهم فاقدر احد منهم ان يفت قال الفراء احاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم فكانه قال حفظها عليكم ومنها من غيركم حتى تفتحوها وتأخذوها (وكان الله علي كل شيء) من فتح القرى وغير ذلك (قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا) من قريش يوم الحديبية يا معشر المؤمنين (لولوا الادبار) منزهين بنصرة الله اياكم وخذلان الله اياهم عن قتادة والجبائي وقيل الذين كفروا من اسد وخطفان الذين أرادوا نهب ذراري المسلمين (ثم لا يجدون ولها ولا نصيراً) بوالهيم وينصرهم ويدافع عنهم وهذا من علم الغيب وفي الآية دلالة على انه يعلم ما لم يكن ان لو كان كيف يكون وفي ذلك اشارة إلى ان المعلوم معلوم

(سنت الله التي قد خلت من قبل) اي هذه سنتي في اهل طاعني واهل معصيتي انصر اوليائي واخذل اعدائي عن ابن عباس وقيل معناه هذه طريقة الله وعادته السالفة ان كل قوم اذا قاتلوا انبياءهم انهزموا وقتلوا (ولن تجد لسنة الله) في نصره رساله (تبديلا) اي تغييرا (وهو الذي كف ايديهم عنكم) بالرعب (وايديكم عنهم) بالنهي (ببطان مكة) يعني الحديبية (من بعد ان اظفركم عليهم) ذكر الله منته على المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتلا وحتى انفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح (وكان الله بما تعملون بصيرا) مر تفسيره ثم ذكر سبحانه سبب منعه رسول الله ﷺ ذلك العام دخول مكة فقال (هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد الحرام) ان تطوفوا وتحلوا من عمرتكم يعني قريشا (والمهدي معكوافا أن يبلغ محله) اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ معه وكانت سبعين بدنة حتى بلغ ذي الحليفة فقلد البدن التي ساقها وأشعرها واحرم بالعمرة حتى نزل بالحديبية ومنعه المشركون وكان الصلح فلما تم الصلح نحرروا البدن فذلك قوله معكوافا اي عبوسا عن ان يبلغ محله اي منحره وهو حيث يحل نحره يعني مكة لأن هدي العمرة لا يذبح إلا بمكة كما ان هدي الحج لا يذبح إلا بمكة (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين الذين كانوا بمكة بين الكفار من اهل الايمان (لم تعلموهم) باعبانهم لاختلاطهم بغيرهم (ان تطوهم) بالقتل وتوقعوا بهم (فنصيبكم منهم معة) اي اثم وجناية عن ابن زيد وقيل فيلحقكم بذلك عيب بعيبكم الشر كون بانهم قتلوا اهل دينهم وقيل هو غرم الدية والكفارة في قتل الخطأ عن ابن عباس وذلك انهم لو كبسوا مكة وفيها قوم مؤمنون لم يميزوا من الكفار لم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين فلزمهم الكفارة وتلحقهم السبلة بقتل من على دينهم فهدى المعة التي صان الله المؤمنين عنها وجواب لولا محذوف وتقديره لولا المؤمنون الذين لم تعلموهم لو طأتم رقاب المشركين بنصرنا اياكم قوله (بغير علم) موضعه التقديم لأن التقديم لولا ان تطوهم بغير علم وقوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) اللام متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام تقديره فحال بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني من اسلم من الكفار بعد الصلح وقيل ليدخل الله في رحمته أو تلك بسلامتهم من القتل ويدخل هؤلاء في رحمته بسلامتهم من الطمن والعيب (لو تزيلوا) أي لو تميز المؤمنون من الكافرين (لعذبنا الذين كفروا منهم) اي من اهل مكة (عذابا اليما) بالسيف والقتل بأيديكم ولكن الله تعالى يدفع المؤمنين عن الكفار فلحمة اختلاطهم بهم لم يذهبهم

قوله تعالى (٢٦) **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** (٢٧) **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** (٢٨) **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** (٢٩) **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكُوعًا**

سُجِّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِيهِ وَجُوهُهُمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لَيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير عن ابن فليح وابن ذكوان شطاه بفتح الطاء والباقون بسكونها وقرأ ابن عامر فأزره بقصر الهمزة والباقون فأزره بالمد وفي الشواذ قراءة الحسن اشداء على الكفار رحما بينهم بالنصب فيها وقراءة عيسى الهمداني شطاه بالمد والهمزة وشطاه ايضا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يشبه أن يكون شطاً لغة في شطء فيكون كالشمع والشمع والنهر والنهر ومن خفف الهمزة في شطاه حذفها والقي حر كتبها على الطاء وقال شطاه قال ابو زيد اشطأت الشجرة بفصونها إذا اخرجت غصونها ابو عبيدة اخرج شطاه فراخه واشطأ الزرع فهو مشطى اي مفرخ وآزره على فاعله معناه ساواه اي صار مثل الأم فاعله الشطء أي آزر الشطء الزرع فصار في طوله قال امرؤ القيس

بمحنية قد آزر الضال نبتها مضم جوش غانمين وخيب

اي ساوى نبتة الضال فصار في قامته لأنه لا يرعى ويجوز أن يكون فاعل آزر الزرع أي آزر الزرع الشطء ومن الناس من يفسر آزره اعانه وقواه فعلى هذا يكون آزر الزرع الشطء قال ابو الحسن آزره افضل وهو الاشبه ليكون قول ابن عامر آزره فعله فيكون فيه لفتان فعل وأفعل لأنها كثيرا ما يتماقبان على الكلمة ومن قرأ اشداء بالنصب فهو نصب على الحال من معه اي هم معه على هذا الحال

﴿ اللفظة ﴾

الحمية الأنفة والإنكار يقال فلان ذو حمية منكرة إذا كان ذا غضب وانفة والكفار الزراع هنا لأن الزارع يغطي البذر وكل شيء قد غطيته فقد كفرته ومنه يقال للبل كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء قال « ألفت ذكاء بينهما في كافر » وقال لبيد « في ليلة كفر النجوم غامها »

﴿ الإعراب ﴾

محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على محمد واشداء خبر محمد وما عطف عليه وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والذين معه مبتدأ وما بعده خبره يبتغون فضلا من الله إن شئت كان في موضع الحال وإن شئت كان خبراً بعد خبر وإن شئت كان هو الخبر فيمن نصب اشداء ويكون تراهم ايضا في موضع النصب مثل اشداء ذلك مثاهم في التوراة ابتداء وخبر والكلام تام ثم ابتداء فقال ومثاهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فلهم مثلان احدهما في التوراة والثاني في الانجيل وقال مجاهد بل قوله اشداء على الكفار مع ما بعده جميعا في التوراة والانجيل وكذلك قوله كزرع اخرج شطاه في التوراة والانجيل فيكون قوله كزرع خبر مبتدأ مضمرا اي هم كزرع اخرج شطاه

* المعنى *

ثم قال سبحانه (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) اذ تعلق بقوله لعذبتنا اي لعذبتنا الذين كفروا واذناك في قناهم حين جعلوا في قلوبهم الانفة التي تحمي الانسان اي حمت قلوبهم بالقبض ثم فر تلك الحمية فقال (حمية الجاهلية) اي عادة آباؤهم في الجاهلية أن لا يدعوا لأحد ولا يتقادوا له وذلك أن كفار مكة قالوا قد قتل محمد واصحابه آباءنا واخواننا ويدخلون علينا في منازلنا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه الحمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم وقيل هي انفهم من الاقرار لمحمد ﷺ بالرسالة والاستفتاح بيسم الله الرحمن الرحيم حيث أراد ان يكتب كتاب الهدى بينهم عن الزهري (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزهم كلمة التقوى) وهي قوله لا إله إلا الله عن ابن عباس وقنادة ومجاهد (وكانوا احق بها واهلها) قيل ان فيه تقدماً وتأخيراً والتقدير كانوا اهلها واحق بها اي كان المؤمنون اهل تلك الكلمة واحق بها من المشركين وقيل معناه كانوا احق بنزول السكينة عليهم واهلها وقيل وكانوا احق بمكة ان يدخلوها واهلها وقد يكون حق احق من غيره ألا ترى أن الحق الذي هو طاعة يستحق بها المدح احق من الحق الذي هو مباح لا يستحق به ذلك (وكان الله بكل شيء علياً) لما ذم الكفار بالحمية ومدح المؤمنين بلزوم الكلمة والسكينة بين علمه بيواطن سرائرهم وما ينطوي عليه عقد ضمائرهم (لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق) قالوا إن الله تعالى ارسل نبيه ﷺ في المنام بالمدينة قبل ان يخرج إلى الحديبية أن المسلمين دخلوا المسجد الحرام فأخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلو مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المناقون ما حلقتنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فانزل الله هذه الآية واخبر انه أرى رسوله ﷺ الصدق في منامه لا الباطل وانهم يدخلونه واقسم على ذلك فقال (لتدخلن المسجد الحرام) يعني العام المقبل (إن شاء الله آمين) قال ابو العباس ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثني الناس فيما لا يعلمون وقيل ان الاستثناء من الدخول وكان بين نزول الآية والدخول مدة سنة وقد مات منهم اناس في السنة فيكون تقديره لتدخلن كلكم ان شاء الله اذ علم الله ان منهم من يموت قبل السنة او يمرض فلا يدخلها فأدخل الاستثناء لأن لا يقع في الخبر خلف عن الجبائي وقيل ان الاستثناء داخل على الخوف والامن فأما الدخول فلا شك فيه وتقديره لتدخلن المسجد الحرام آمين من العدو إن شاء الله فهذه الأقوال الثلاثة للبصريين وقيل إن ان هنا بمعنى إذ أي إذ شاء الله حين ارى رسوله ذلك عن ابي عبدة ومثله قوله وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين قال معناه اذ كنتم وهذا القول لا يرتضيه البصريون (محلقين رؤوسكم ومقصرين) اي محرمين يحلق بعضكم رأسه ويقصر بعض وهو ان يأخذ بعض الشعر وفي هذا دلالة على ان المحرم بالخيار عند التحلل من الاحرام ان شاء حلق وان شاء قصر (لا تتخافون) مشركاً (فعلم) من الصلاح في صلح الحديبية (ما لم تعلموا) وقيل علم في تأخير دخول المسجد الحرام من الخير والصلاح ما لم تعلموه انتم وهو خروج المؤمنين من بينهم والصلح المبارك موقعه (فجعل من دون ذلك) اي من قبل الدخول (فتدوا قريباً) يعني فتح خيبر عن عطا ومقاتل وقيل يعني صلح الحديبية

* عمرة القضاء *

وكذلك جرى الامر في عمرة القضاء في السنة الثالثة للحديبية وهي سنة سبع من الهجرة في ذي القعدة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام فخرج النبي ﷺ ودخل مكة مع اصحابه معتمرين واقاموا بمكة ثلاثة ايام ثم رجعوا إلى المدينة وعن الزهري قال بعث رسول الله ﷺ جعفر بن ابي طالب (ع) بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث العامرية فخطبها عليه فجعلت امرها إلى العباس بن عبد المطلب وكان تحتها اختها ام الفضل بنت الحرث فزوجها العباس رسول الله ﷺ فلما قدم رسول الله ﷺ امر اصحابه فقال اكشفوا عن المناكب واسموا في الطواف ليرى المشركون جلدكم وقوتهم فاستكف اهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ واصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحاً بالسيف يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله	قد انزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله	اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله	ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله	يارب اني مؤمن لقيله

اني رأيت الحق في قبوله

ويشير بيده إلى رسول الله ﷺ وانزل الله في تلك العمرة الشهر الحرام بالشهر الحرام وهو ان رسول الله ﷺ اعتمر في الشهر الحرام الذي صده فيه ثم قال سبحانه (هو الذي ارسل رسوله) يعني محمداً (المهدي) اي بالدليل الواضح والحجة الساطعة وقيل بالقرآن (ودين الحق) اي الاسلام (ليظهره على الدين كله) اي ليظهر دين الاسلام بالحجج والبراهين على جميع الاديان وقيل بالغلبة والقهر والانتشار في البلدان وقيل ان تمام ذلك عند خروج المهدي (ع) فلا يبقى في الارض دين سوى دين الاسلام (وكفى بالله شهيداً) بذلك ثم قال سبحانه (محمد رسول الله) نص سبحانه على اسمه ليزيل كل شبهة. ثم الكلام هنا ثم اني على المؤمنين فقال (والذين معه اشداء على الكفار رحما بينهم) قال الحسن بلغ من تشددكم على الكفار ان كانوا يتحرزون من ثياب المشركين حتى لا تلتزق بشياهم وعن ابدانهم حتى لا تمس ابدانهم وبلغ تراحمهم فيما بينهم ان كان لا يرى مؤمناً مؤمناً الا صافحه وعانقه ومثله قوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تريهم ركعاً سجداً) هذا اخبار عن كثرة صلواتهم ومداومتهم عليها (بتغنون فضلاً من الله ورضواناً) اي يلتبسون بذلك زيادة نعمهم من الله ويطلبون مرضاته (سيأهم في وجوههم من اثر السجود) اي علامتهم يوم القيامة ان تكون مواضع سجودهم اشد بياضاً عن ابن عباس وعطية قال شهر بن حوشب يكون مواضع سجودهم كالقمر ليلة البدر وقبل هو التراب على الجباه لانهم يسجدون على التراب لا على الاثواب عن عكرمة وسعيد بن جبير وابي العالية وقيل هو الصفرة والنحول عن الضحاك قال الحسن إذا رأيتهم حسبته مرضى وما هم بمرضى وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من صلى الخس (ذاك مثلهم في التورية) يعني أن ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به في التوراة ايضا ثم ذكر نعمهم في الانجيل فقال (ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه) أي فراخه عن الضحاك وقيل ليس بينها وقف والمعنى

ذلك مثلهم في التوراة والانجيل جميعا عن مجاهد والمعنى كمثل زرع اخرج شطأه اي فراخه (فأزره) اي شده وأعانه وقواه وقال المبرد يعني أن هذه الافراخ لحقت الامهات حتى ضارت مثلها (فاستغلت) اي غلظ ذلك الزرع (فاستوى على سوقه) أي قام على قصبه واصوله فاستوى الصنار مع الكبار والسوق جمع الساق والمعنى انه تنهى وبلغ الغاية (يعجب الزراع) اي يروع ذلك الزرع الزراع اي الاكرة الذين زرعه قال الواحدي هذا مثل ضربه الله تعالى بمحمد واصحابه فالزرع محمد ﷺ والشطأ اصحابه والمؤمنون حوله وكانوا في ضعف وقلة كما يكون اول الزرع دقيقا ثم غلظ وقوي ولاحق فكذاك المؤمنون قوى بعضهم بعضا حتى استغلظوا واستووا على امرهم (ليقبض بهم الكفار) اي إنما كثروهم الله وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين بتوافرهم وتظاهرهم واتفاقهم على الطاعة ثم قال سبحانه (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي وعد من أقام على الايمان والطاعة (منهم مغفرة) اي ستر على ذنوبهم الماضية (وأجر عظيم) اي ثوابا جزيلًا دائمًا

(سورة الحجرات) مدينة

عن الحسن وقتادة وعكرمة وعن ابن عباس إلا آية قوله يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

﴿ عدد آياتها ﴾

ثماني عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اطاع الله ومن عصاه . الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الحجرات في كل ليلة أو في كل يوم كان من زوار محمد ﷺ

— (تفسيرها) —

لما ختم الله سبحانه سورة الفتح بذكر نبيه ﷺ افتتح هذه السورة ايضا بذكره وما يختص به من الاجلال والاعظام فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يَبَاذُونَكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والذال والباقون لا تقدموا بضم التاء وكسر الهمزة وقرأ أبو جعفر الحجرات بفتح الجيم والباقون بضمها

﴿ العجبة ﴾

قال ابن جني معناه لا تفعلوا ما توثرونه وتتركوا ما أمركم الله ورسوله به وهذا معنى القراءة المشهورة لا تقدموا أي لا تقدموا امرأ على ما أمركم الله به فالمفعول هنا محذوف كما ترى ومن قرأ الحجرات أبدل من الضمة فتحة استئثالا لتوالي الضمتين ومنهم من أسكن فقال الحجرات مثل عضد وعضد وقال أبو عبيدة حجرات جمع حجر فهو جمع الجمع

﴿ اللفظة ﴾

قدم تقدما وأقدم أقداما واستقدم وقدم كل ذلك بمعنى تقدم والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتقاد ومنه الجهار في المنطق وجاهر بالأمر مجاهرة ويقال جهارا ونقيض الجهر الهمس والحروف المشهورة تسعة عشر حرفا يجمعها قولك «اطلقن ضرغام عجز ظبي ذواد» وما عداها من الحروف مهموس يجمعها قولك «حث فسكت شخصه» والنض الحظ من منزلة على وجه التصغير يقال غض فلان من فلان إذا صغر حالة من هو أرفع منه وغض بصره إذا أضعفه عن حدة النظر قال جرير

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(- الأعراب -)

أن تحبط أعمالكم في محل النصب لأنه مفعول له ويجوز أن يكون في محل جر باللام المقدرة أي لأن تحبط أعمالكم وقيل تقديره كراهة أن تحبط أو حذار أن تحبط

(النزول)

نزل قوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم إلى قوله غفور رحيم في وفد تميم وهم عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم منهم الأقرع بن حابس والزبير بن بدر وعمرو بن الأحمق وقيس بن عاصم في وفد عظيم فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات أن أخرج إلينا يا محمد فأدى ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا فقال قد أذنت فقام عطارد بن حاجب وقال الحمد لله الذي جعلنا ملوكا الذي أه الفاضل علينا والذي وهب علينا أموالا عظيما ففعل بها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثر عددا وعدة فمن مثلنا في الناس فمن فآخرا فليعد مثل ما عددنا ولو شئنا لا أكثرنا من الكلام ولكننا نستحي من الأكتار ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس قم فأجبه فقام فقال الحمد لله الذي السذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شي قط إلا من فضله ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبيا واصدقهم حديثا وأفضلهم حسبا فانزل الله عليه كتابا وأتمنه على خلقه فكان خيرة الله على العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمته أكرم الناس أحسابا

وأحسنهم وجوها فكان أول انطلق اجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن فنحن انصار رسول الله ﷺ وردوه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن نكث جاهدناه في الله ابدا وكان قتله علينا يسيرا اقول هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام الزبير بن بدر بنشد واجابه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الاقرع ان هذا الرجل خطيبه اخطب من خطيبنا وشاعره اشعر من شاعرنا واصواتهم اعلى من اصواتنا فلما فرغوا اجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم واسلموا عن ابن اسحاق وقيل إنهم اناس من بني العنبر كان النبي ﷺ اصاب من ذرارهم فأقبلوا في فدائهم فقدموا المدينة ودخلوا المسجد وعجلوا أن يخرج اليهم النبي ﷺ فجمعوا يقولون يا محمد اخرج البنا عن ابي حمزة الثمالي عن عكرمة عن ابن عباس

(المعنى)

(يا ايها الذين آمنوا) روى زرارة عن ابي جعفر (ع) انه قال ما سلت السيوف ولا اقيمت الصفوف في صلاة ولا زحوف ولا جهر بأذان ولا انزل الله يا ايها الذين آمنوا حتى اسلم ابنا قبيلة الأوس والخزرج (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) بين اليدين عبارة عن الإمام لأن ما بين يدي الانسان امامه ومعناه لا تقطعوا امرادون الله ورسوله ولا تعجلوا به قال ابو عبيدة العرب تقول لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب أي لا تعجل بالأمر دونه والنهي وقدم هنا بمعنى تقدم وهو لازم وقيل معناه لا تقدموا اعمال الطاعة قبل الوقت الذي امر الله ورسوله به حتى انه قيل لا يجوز تقديم الزكاة قبل وقتها عن الزجاج وقيل لا تمكنوا احدا يمشي امام رسول الله ﷺ بل كونوا تبعاله وأخروا أقوالكم وافعالكم عن قوله وفعله وقال الحسن نزل في قوم ذبحوا الاضحية قبل صلاة العبد فأمرهم رسول الله ﷺ بالإعادة وقال ابن عباس نهوا أن يتكلموا قبل كلامه أي إذا كنتم جالسين في مجلس رسول الله ﷺ فستل عن مسألة فلا تسبقوه بالجواب حتى يجيب النبي ﷺ أولا وقيل معناه لا تسبقوه بقول ولا فعل حتى يأمركم به عن الكلبي والسدي والأولى حمل الآية على الجميع فإن كل شيء كان خلافا لله ورسوله إذا فعل فهو تقديم بين يدي الله ورسوله وذلك ممنوع (واتقوا الله) أي اجتنبوا معاصيه (إن الله سميع) لأقوالكم (عليم) بأعمالكم فيجازيكم بها (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) لأن فيه احد الشبهين إما نوع استخفاف به فهو الكفر وإما سوء الأدب فهو خلاف التعظيم المأمور به (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي غضوا اصواتكم عند مخاطبتكم اياه وفي مجلسه فإنه ليس مثلكم اذ يجب تعظيمه وتوقيره من كل وجه وقيل معناه لا تقولوا له يا محمد كما يخاطب بعضكم بعضا بل خاطبوه بالتعظيم والتبجيل وقولوا يا رسول الله (أن تعبط اعمالكم) أي كراهة أن تعبط أو لتلا تعبط اعمالكم وقيل إنه في حرف عبد الله فتحبط اعمالكم (وأنتم لا تشعرون) أي وأنتم لا تعلمون انكم احبطتم اعمالكم بجهر صوتكم على صوته وترك تعظيمه قال انس لما نزلت هذه الآية قال ثابت بن قيس أنا الذي كنت ارفع صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ واجهر له بالقول حبط عملي وأنا من اهل النار وكان ثابت رفيع الصوت فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال هو من اهل الجنة وقال اصحابنا ان المعنى في قوله أن تعبط اعمالكم انه ينحبط ثواب ذلك العمل لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي ﷺ وتوقيره لاستحقوا الثواب فلما فعلوه على

خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب وفاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم فلا تعلق لأهل الوعيد بهذه الآية ولأنه تعالى علق الإحباط في هذه الآية بنفس العمل وهم يعاقبونه بالمستحق على العمل وذلك خلاف الظاهر ثم مدح سبحانه من يعظم رسوله ويوقره فقال (إن الذين يفضون اصواتهم عند رسول الله) أي يخفضون اصواتهم في مجلسه اجلالاً (أو تلك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي اخبرها فأخلصها للتقوى عن فتادة ومجاهد اخذ من امتحان الذهب بالنار إذا اذيب حتى يذهب غشه ويبقى خالصه وقيل معناه أنه علم خلوص نياتهم لأن الإنسان يتحن الشيء ليعلم حقيقته وقيل معناه عاملهم معاملة المختبر بما تعبد به من هذه العبادة فخلصوا على الاختبار كما يخلص جيد الذهب بالنار (لهم مغفرة) من الله لذنوبهم (وأجر عظيم) على طاعتهم ثم خاطب النبي ﷺ فقال (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) وهم الجفافة من بني تميم لم يعلموا في أي حجرة هو فكانوا يطوفون على الحجرات وينادونه (أكثرهم لا يعلمون) وصفهم الله سبحانه بالجهل وقلة الفهم والعقل إذ لم يعرفوا مقدار النبي ﷺ ولا ما استحقه من التوقير فهم بمنزلة البهائم (ولو أنهم صبروا حتى تخرج بهم لكان خيراً لهم) من أن ينادوك من وراء الحجرات في دينهم بما يحرزونه من الثواب وفي دنياهم باستعمال حسن الأدب في مخاطبة الأنبياء ليعدوا بذلك في زمرة العقلاء وقيل معناه لا أطلقت اسرام بغير فداء فإن رسول الله ﷺ كان سبي قوماً من بني النضير فجاءوا في فدائهم فاعتق نصفهم وفادى النصف فيقول ولو أنهم صبروا لكانت تمتق كلهم (والله غفور رحيم) لمن تاب منهم قوله تعالى (٦) يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فنصيحوا على ما فعلتم نادمين (٧) وأعلموا أن فيكم رسول الله لو بطئكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٨) فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم (٩) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بفت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (١٠) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

خمس آيات

﴿ القراءه ﴾

قرأ يعقوب فأصلحوا بين أخوتكم بالتاء على الجمع وهو قراءة ابن سيرين والباقر بن أخويكم على التثنية لقوله طائفتان وفي الشواذ قراءة زيد بن ثابت والحسن أخوانكم بالالف والنون على الجمع وقد ذكرنا في سورة النساء اختلافهم في قوله فتبينوا والوجه في القراءتين والمروي عن الباقر (ع) فتثبتوا بالتاء والتاء

﴿ الفته ﴾

العنت المشقة يقال عنت الدابة تعنت عتاً إذا حدث في قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري قال ابن التباري أصل العنت التشديد يقال فلانا بعنت فلانا أي بشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه ثم نقل إلى

معنى الملاك والقسط العدل ونحوه الا قساط والقسوط والقسط بالفتح الجور والعدل عن الحق فأصل الباب العدل فمن عدل إلى الحق فقد اقسط ومن عدل عن الحق فقد قسط

✽ الإعراب ✽

إن فيكم رسول الله خبر أن في الظرف الذي هو فيكم عند النحويين وفيه نظر لأن من حق الخبر أن يكون الخبر مفيداً فلا يقال النار حارة لعدم الفائدة والوجه عندي أن يكون لو مع ما في حيزه خبر أن والمعنى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطبعكم في كثير من الأمر لعنتم ويجوز على الوجه الأول أن يكون المراد التنبيه لهم على مكان رسول الله ﷺ كما يقول القائل للرجل يريد أن ينهه على شيء فلان حاضر والمخاطب يعلم حضوره ولو قال أن رسول الله ﷺ فيكم احتمال أن يكون غير رسول الله فيهم ممن هو بمنزلة فإذا قال إن فيكم رسول الله لا يحتمل ذلك على هذا فقوله لو يطبعكم لو مع ما في حيزه في محل رفع بأنه خبر إن خبر بعد خبر فضلاً من الله مفعول له والتقدير فعل الله ذلك لكم فضلاً منه ونعمة ويجوز أن يكون العامل فيه الراشدون وما فيه من الفعل أي رتد أو فضلاً من الله وقوله بجهالة وبالعدل كلاهما في موضع نصب على الحال والعامل في الأول فتصيبوا وفي الثاني فأصلحوا

✽ النزول ✽

قوله ان جاءكم فاسق نزل في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله ﷺ في صدقات بني المصطلق فخرجوا يثاقونه فرحابه وكانت بينهم عداوة في الجاهلية فظن أنهم هموا بقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال إنهم منعوا صدقاتهم وكان الأمر بخلافه فغضب النبي ﷺ وهم أن يغزوم فنزلت الآية عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل انها نزلت فيس قال للنبي ﷺ إن مارية ام ابراهيم بآتيها ابن عم لها قبلي فدعا رسول الله ﷺ علياً (ع) وقال يا اخي خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاقته فقال يا رسول الله اكون في امرك إذا ارسلتني كالسكة المحاة امضي لما امرتني ام الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال ﷺ بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال علي (ع) فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما عرف اني اريده اتي نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشفر برجله فإذا انه ارجب امسح ما له ما للرجال قليل ولا كثير فرجعت فأخبرت النبي ﷺ فقال الحمد لله الذي يصرف عنا سوء اهل البيت وقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا نزل في الأوس والخزرج وقع بينهما قتال بالسيف والنعال عن سعيد بن جبير وقيل نزل في رهط عبد الله بن ابي بن سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحة من الأوس وسببه ان النبي ﷺ وقف على عبد الله بن ابي فراه حمار رسول الله ﷺ فامسك عبد الله انفه وقال البك عني فقال عبد الله بن رواحة لحمار رسول الله ﷺ اطيب ريحاً منك ومن ابيك فغضب قومه واعان ابن رواحة قومه وكان بينهما ضرب بالحديد والايدي والنعال

✽ المعنى ✽

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق) اي بخبر عظيم الشأن والفاسق الخارج عن طاعة الله إلى معصيته (فتبينوا) صدقه من كذبه ولا تبادروا إلى العمل بخبره ومن قال فتبينوا فمعناه توقفوا فيه وتأمنوا حتى يثبت عندكم حقيقته (ان تصيبوا قوماً بجهالة) اي حذراً من ان تصيبوا قوماً

في انفسهم واموالهم بغير علم بحالهم وما هم عليه من الطاعة والاسلام (فتصبروا على ما فعلتم) من اصابتم
بالخطأ (نادمين) لا يمكنكم تداركه وفي هذا دلالة على ان خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل لأن
المعنى ان جاءكم من لا تأمنون ان يكون خيره كذبا فتوقفوا فيه وهذا التعليل موجود في خبر من يجوز
كونه كاذبا في خبره وقد استدل بعضهم بالآية على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلا من حيث ان
الله سبحانه اوجب التوقف في خبر الفاسق فدل على ان خبر العدل لا يجب التوقف فيه وهذا لا يصح
لأن دليل الخطاب لا يعمل عليه عندنا وعند اكثر المحققين (واعلموا ان فيكم رسول الله) اي فانتقوا الله
ان تكذبوه او تقولوا باطلا عنده فإن الله تعالى يخبره بذلك فنفضحوا وقبل معناه واعلموا بما اخبره الله تعالى
من كذب الوليد أن فيكم رسول الله ﷺ فهذه احدى معجزاته (لو يطيعكم في كثير من الامر لمتهم)
أي لو فعل ما تريدونه في كثير من الامر لو قمتم في عنت وهو الاثم والهلاك فسمى موافقته لما يريدونه
طاعة لهم مجازا ألا ترى أن الطاعة تراعى فيها الرتبة فلا يكون الإنسان مطيعا لمن دونه وإنما يكون مطيعا
لمن فوقه إذا فعل ما امره به ثم خاطب المؤمنين الذين لا يكذبون فقال (ولكن الله حبب اليكم الايمان)
اي جعله احب الاديان اليكم بأن اقام الأدلة على صحته وبما وعد من الثواب عليه (وزينه في قلوبكم)
باللطف الداعية اليه (وكره اليكم الكفر) بما وصف من العقاب عليه بوجوه اللطف الصارفة عنه
(والفسوق) أي الخروج عن الطاعة إلى المعاصي (والمعصيان) اي جميع المعاصي وقيل الفسوق الكذب
عن ابن عباس وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ثم عاد سبحانه إلى الخبر عنهم فقال (أولئك هم
الراشدون) يعني الذين وصفهم بالايمان وزينه في قلوبهم هم المهتدون إلى عاصم الامور وقيل هم الذين
اصابوا الرشدها وتهدوا إلى الجنة (فضلا من الله ونعمة) أي تفضلا مني عليهم ورحمة مني لهم عن ابن عباس
(والله عليم) بالأشياء كلها (حكيم) في جميع افعاله وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل
الجبر من وجوه منها * انه إذا حبب في قلوبهم الايمان وكره الكفر فمن المعلوم انه لا يجب مالا يجبه
ولا يكره مالا يكرهه * ومنها * انه إذا لطف في تحبيب الايمان بالطفاه دل ذلك على ما تقوله في
اللطف ثم قال (وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا) اي فريقان من المؤمنين قاتل احدهما صاحبه فاصلحوا
بينهما) حتى يصطالحوا لا دلالة في هذا على انها إذا اختلفت بقيا على الايمان ويطلق عليهما هذا الاسم ولا
يمنع أن يفسق احدى الطائفتين أو تفسقا جميعا (فإن بفت احدهما على الاخرى) بأن تطلب مالا يجوز
لها وتقاتل الاخرى ظالمة لها متمدية عليها (فقاتلوا التي تبغي) لأنها هي الظالمة المتمدية دون الاخرى (حتى
تفني إلى امر الله) أي حتى ترجع إلى طاعة الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة (فإن قامت) اي رجعت وثابت
واقلمت وأثبتت إلى طاعة الله (فأصلحوا بينهما) اي بينها وبين الطائفة التي هي على الايمان (بالعدل) اي
بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من احدهما على الاخرى جور ولا شطط فيما يتعلق بالاضمانات من
الاروش (واقسطوا) اي اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولوا وفعلا
(إنما المؤمنون اخوة) في الدين يازم نصرة بعضهم بعضا (فأصلحوا بين اخويكم) اي بين كل رجلين تقانلا
وتخاصما ومعنى الاثنين يأتي على الجميع لأن تأويله بين كل اخوين يعني فأنتم اخوة للمتقاتلين فأصلحوا بين
الفريقين أي كفوا الظالم عن المظلوم واعينوا المظلوم (واتقوا الله) في ترك العدل والاصلاح او في منع

الحقوق (لعلمكم ترجمون) أي لكي ترجموا قال الزجاج سعى المؤمن يبيت إذا كانوا متفقين في دينهم أخوة لا تفاقهم في الدين ورجوعهم إلى أصل النسب لأنهم لأم واحدة وهي حواء وروى الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله به عنه كربة من كروب يوم القيامة ومن ستر مسلماً بستره الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما وفي وصية النبي ﷺ لأئمة المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) سر ميلا عدمريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زراخا في الله سر خمسة اميال اجب دعوة الملهوف سر ستة اميال انصر المظلوم وعلبك بالاستغفار

النظم

وجه اتصال قوله إن جاءكم فاسق بنبأ بما قبله انه لما امر بطاعة الله ورسوله وبين عقبيه ان الرسول لا يجوز ان يتبع أهواءهم بل ينبغي أن يعمل بما عنده ووجه اتصال قوله ولكن الله يحب اليكم الإيمان لئلا تقوا في العنت وإنما قلنا ذلك لأن لكن لا بد أن يتقدمه نفي إذا كان ما بعده اثباتا وقوله لو يطعكم لستم معناه انه لم يطعكم فما عتتم

قوله تعالى (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِشَرِّ الْأَسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١٢)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٤) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَآءَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ اربع آيات

القراءة

قرأ أهل البصرة لا يالنتكم بالالف والباقون لا يالنتكم بغير الألف

الحجة

قال أبو زيد الله حقه بالته التا إذا نقصه وقوم يقولون لات يليت لبنا ويقول لت الرجل البنة لبنا إذا عميت عليه الخبر فأخبرته بغير ما يسألك عنه قال روية

وليلة ذات ندى سرريت ولم يالنتني عن سراها لبت وقوم يقولون الاتني عن حقي والاثني عن حاجتي أي صرفني عنها وحجة من قرأ لا يالنتكم قوله تعالى وما

التسامح ومن قرأ بلسانكم جعله من لات يلبت

﴿ اللفة ﴾

الهمز واللمز العيب والغض من الناس فاللمز هو الرمي بالعيب لمن لا يجوز ان يؤذى بذكره وهو المنهي عنه فأما ذكر عيب الفاسق فليس بلمز وقد ورد في الحديث قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذر الناس والنبز القذف باللقب يقال نبزته انبزه والنبية ان تذكر الانسان من ورائه بسوء هو فيه فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان والشعوب الذي يصغر شأن العرب ولا يري لهم فضلا على غيرهم سموا بذلك لأنهم تأولوا وجعلنا كم شعوبا على ان الشعوب من المعجم كالتبائل من العرب وقال أبو عبيدة الشعوب المعجم واصله من الشعب وهو كثرة تفرقهم في النسب ويقال شعبته جمعته وشعبته فرقتة وهو من الاضداد

﴿ النزول ﴾

نزل قوله لا يسخر قوم من قوم في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه قر و كان اذا دخل المسجد نفسحوا له حتى يقعد عند النبي فيسمع ما يقول فدخل المسجد يوما والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول نفسحوا نفسحوا حتى انتهى الى رجل قتل له اصبحت مجلسا فاجلس فجلس خلفه مفضبا فلما انجلت الظلمة قال من هذا قال الرجل انا فلان فقال ثابت ابن فلانة ذكر امه له كان يعبر بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء فنزلت الآية عن ابن عباس وقوله ولا نساء من نساء نزل في نساء النبي ﷺ سخرن من أم سلمة عن انس وذلك انها ربطت حقوبها بسبية وهي ثوب أبيض وسدلت طرفها خلفها فكانت تجر عاتشة لحفصة أنظري ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب فهذا كانت سخريتها وقبل انها عبرتها بالقصر وأشارت بيدها انها قصيرة عن الحسن وقوله ولا يقرب بعضكم بعضا نزل في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما وهو سلمان بعثاه الى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام فبعثه الى أسامة بن زيد وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله فقال ما عندي شي فعاد اليهما قالا بجل أسامة وقالا لسلمان لو بعثناه الى بشر سميحة لغار ما وهائم انطلقا يتجسسان عند أسامة ما امر لهما به رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ مالي أرى خضرة اللحم في افواهكما قالا يا رسول الله ما تناولنا يوما هذا لحما قال ظلتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية وعن ابي قلابة قال ان عمر بن الخطاب حدث ان ابا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو واصحابه فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل فقال ابو محجن يا امير المؤمنين ان هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا قال زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم صدق يا امير المؤمنين قال فخرج عمر وتركه وخرج عمر بن الخطاب ايضا ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسان فتيئت لهما نار فأتيا واستأذنا ففتح الباب فدخلا فإذا رجل وامرأة تغني وعلى يد الرجل قدح فقال عمر من هذه منك قال امرأتي قال وما في هذا القدح قال ماء فقال للمرأة ما الذي تغنين قالت اقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه وارقني الا حبيب الابعه

فوالله لولا خشية الله والتقى لززع من هذا السرير جوانبه

ولكن عقلي والحيا يكفني واكرم بعلي ان تنال مراكبه

ثم قال الرجل ما بهذا امرنا يا امير المؤمنين قال الله تعالى ولا تجسسوا فقال عمر صدقت وانصرف

وقوله يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قبل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله للرجل الذي لم يتفصح له ابن فلانة فقال رواه الترمذي من الذاكر فلانة فقام ثابت فقال انا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر اليهم فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت ابيض واسود واحمر قال فلم تذكر لا فضلهم الا بالتقوى والدين فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية عن ابن عباس وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا حتى ملاحظ الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذي قبض الي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا غيره لغيره وقال ابو سفيان اني لا أقول شيئا أخاف أن يجبره به رب السموات فأتى جبرائيل (ع) رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عما قالوا فاتقروا به ونزلت الآية وجرهم عن التفاخر بالنسب والازدراء بالفقر والتكاثر بالأموال عن مقاتل

المعنى

لما امر سبحانه بصلاح ذات البين ونهى عن التفرق عقب ذلك بالتهي عن اسباب الفرقة من السخرية والازدراء بأهل الفقر والمسكنة ونحو ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) قال الحليل القوم يقم على الرجال دون النساء لقيام بعضهم مع بعض في الامور قال زهير

وما ادري ولست اخال ادري أقوم آل حصن أم نساء

فالمنى لا يسخر رجال من رجال والسخرية الاستهزاء قال مجاهد معناه لا يسخر غني من فقير لفقره وربما يكون الفقير المهين في ظاهره الحال خيرا وأجل منزلة عند الله من الغني الحسن الحال ولو سخر مؤمن من كافر احتقاروا له لم يكن مأثوما وقال ابن زيد هذا نهي عن استهزاء المسلمين بن اعان بفسقه عسى أن يكون المسخور عند الله خيرا من الساخر معتقدا أو اسلم باطنا (ولا نساء من نساء) على المعنى الذي تقدم (عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم) أي لا يطمعن بعضكم على بعض كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم لأن المؤمن كنفس واحدة فكأنه إذا قتل اخاه قتل نفسه عن ابن عباس وقتادة والامر العيب في المشهود والمنز العيب في المغيب وقيل ان اللمز يكون باللسان وبالعين وبالاشارة والهمز لا يكون إلا باللسان وقيل معناه ولا يلمن بعضكم بعضا من الضحاك (ولا تنابزوا باللقاب) جمع اللقب وهو اسم غير الذي سمي به الانسان وقيل هو كل اسم لم يوضع له واذا دعي به يكرهه فلما إذا كان لا يسروء ولا يكرهه فلا بأس فيه مثل الفقيه والقاضي وقيل هو قول الرجل للرجل يا كافر يا فاسق يا منافق عن قتادة وعكرمة وقيل كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد ذلك يا يهودي أو يا نصراني فهوا عن ذلك عن الحسن وقيل هو أن يعمل انسان شيئا من القبيح ثم يتوب منه فيعير بما سلف منه عن ابن عباس وروي ان صفية بنت حبيبي بن اخطب جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ابي ما وراءك فقالت ان عائشة تعيرني وتقول يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية عن ابن عباس (بنس الاسم الفسوق بعد الايمان) اي بنس الاسم ان يقول له يا يهودي يا نصراني وقد آمن عن الحسن وغيره والمعنى بنس الشيء تسميته باسم الفسوق يعني الكفر بعد الايمان وقيل معناه بنس الشيء اكتساب اسم الفسوق باقتياب المسلمين ولزهم وهذا لا يدل على ان اسم الايمان والفسق لا يجتمعان لأن هذا كما يقال بنس الحال الفسوق بعد الشيب والمعنى بنس الحال الفسوق مع الشيب وبنس الاسم الفسوق مع الايمان على ان الظاهر ان المعنى أن الفسوق الذي يتعقب الايمان بنس الاسم وذلك هو الكفر (ومن لم يتب) من التنازب والمعاصي ويرجع إلى طاعة الله تعالى (فأولئك هم الظالمون) نفوسهم بفعل ما يستحقون به العقاب (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قال الزجاج وهو أن يظن بأهل الخير

سوء فاما أهل السوء والفسق فلما أن نظن بهم مثل ما ظهر منهم وقيل هو أن يظن بأخيه المسلم سوءا ولا بأس به ما لم يتكلم به فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم وهو قوله (إن بعض الظن اثم) يعني ما اعلته ما ظن بأخيه عن المقاتلين وقيل انما قال كثيرا من الظن لأن من جملة ما يجب العمل به ولا يجوز مخالفته وإنما يكون إنما اذا فعله صاحبه وله الطريق الى العلم بدلائمه فهذا ظن محرم لا يجوز فعله فاما ما لا سبيل الى دفعه بالعلم بدلائمه فليس باثم ولذلك قال بعض الظن اثم دون جميعه والظن المحمود قد بينه الله تعالى ودل عليه بقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقيل معناه يجب على المؤمن ان يحسن الظن ولا يسيئه في شيء يجد له تأويلا جميلا وإن كان ظاهرا قبيحا (ولا تجسسوا) اي ولا تتبعوا مثرات المؤمنين عن ابن عباس وقناة ومجاهد وقال ابو عبيدة التجسس والتجسس واحد وروي في الشواذ عن ابن عباس ولا تجسسوا بالخاء قال الأخصس وليس يعد احدهما عن الآخر إلا ان التجسس عما يكره ومنه الجاسوس والتجسس بالخاء البحث عما ترفه وقيل ان التجسس بالجيم في الشر والجاسوس صاحب السر والشرا والناموس صاحب السر الخبير وقيل معناه لا تتبعوا عيوب المسلمين لتهمكوا العيوب التي سترها اهلها وقيل معناه ولا تبحثوا عما خفي حتى يظهر عن الاوزاعي وفي الحديث اياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تباؤوا وكونوا عباد الله اخوانا وقوله (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه وفي الحديث اذا ذكرت الرجل بما فيه مما يكرهه الله فقد اغتبتة واذا ذكرت به بما ليس فيه فقد بهته وعن جابر قال قال رسول الله ﷺ اياكم والغيبة فإن الغيبة اشد من الزنا ثم قال ان الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ثم ضرب سبحانه الغيبة مثلا فقال (ايحى احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا) وتأويله ان ذكرك بالسوء من لم يحضرك بمنزلة أن تأكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك عن الزجاج ولما قيل لهم ايحى احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل (فكرهتموه) اي فكما كرهتم ذلك فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا عن مجاهد وقيل فكما كرهتم لحمه ميتا فاكروهوا غيبته حيا عن الحسن فهذا هو تقدير الكلام وقوله (واقفوا الله) معطوف على هذا الفعل المقدر ومثله الم نشرح لك صدرك ووضعنا اي وقد شرحنا ووضعنا ويقال للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس قال

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضا عيانا

وقال آخر

فإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن يهدموا مجددي بنيت لهم مجدا
وقال قتادة كما يمتنع احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا لكرهية الطبع كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته لكرهية العقل والشرع لأن دواعي العقل والشرع أحق بالاتباع من دواعي الطبع فإن داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير وعن ميمون بن شاة وكان يفضل على الحسن لأنه قد لقي من لم يلقه الحسن قال بينا انا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت ولم آكل قال بما اغتيب عندك فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك استمعت فرضيت وكان ميمون بعد ذلك لا يدع أن يغتاب عنده واحد وقال رجل لابن سيرين اني قد اغتبتك فاجملني في حل قال اني اكره أن احل ما حرم الله (ان الله تواب) قابل التوبة (رحيم) بالمؤمنين (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) اي من آدم وحواء والمعنى انكم متساوون

في النسب لأن كلكم يرجع في النسب إلى آدم وحواء زجر الله سبحانه عن التفاخر بالأنساب وروى
 عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال إنما أنتم من رجل وامرأة كجم الصاع ليس لا مد على احد
 فضل الا بالتقوى ثم ذكر سبحانه انه انما فرق انساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال (وجعلناكم
 شعوبا وقبائل) وهي جمع شعب وهو الحي العظيم مثل مضر وربيعة وقبائل هي دون الشعوب كبكر من ربيعة
 وتميم من مضر هذا قول أكثر المفسرين وقيل الشعوب دون القبائل وإنما سميت بذلك لشعبها ونفرتها عن
 الحسن وقيل اراد بالشعوب الموالي والقبائل العرب في رواية عطا عن ابن عباس والى هذا ذهب قوم فقالوا
 الشعوب من العجم والقبائل من العرب والاسباط من بني اسرائيل وروي ذلك عن الصادق (ع) (لتعارفوا)
 اي جعلناكم كذلك لتعارفوا فيعرف بعضكم بعضا بنسبه وابيه وقومه ولولا ذلك لفسدت المعاملات وخربت
 الدنيا ولما امكن نقل حديث (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) اي ان اكثركم ثوابا وارفعكم منزلة عند الله اتقاكم
 لمعاصيه واعملكم بطاعته وروي عن النبي ﷺ انه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أمرتكم فصيتم معاهدت
 اليكم فيه ورفعتم انسابكم فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم ابن المنقون ان اكرمكم عند الله اتقاكم وروي
 أن رجلا سأل عيسى بن مريم اي الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال اي هاتين أفضل الناس
 خلقوا من تراب فأكرمهم اتقاهم ابو بكر البيهقي بالإسناد عن عباة بن ربيع عن ابن عباس قال قال رسول
 الله ﷺ ان الله عز وجل جعل الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قساوذلك قوله واصحاب اليمين واصحاب
 الشمال فأنا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك
 قوله واصحاب المدينة واصحاب المشمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل
 الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فأني اتقى ولد آدم ولا فخر
 واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وذلك قوله عز وجل إنما يريد الله
 ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب (ان الله عليم)
 بأعمالكم (خير) باحوالكم لا يخفى عليه شيء من ذلك (قالت الاعراب آمنا) وهم قوم من بني اسد أتوا
 النبي ﷺ في سنة جدية وأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر إنما كانوا يطلبون الصدقة والمعنى
 انهم قالو صدقا بما جئت به فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون آية معجزة له فقال (قل لم تؤمنوا)
 اي لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن (ولكن قولوا أسلمنا) اي اتقنا واستسلمنا مخافة السبي والقتل عن سعيد بن
 جبير وابن زيد ثم بين سبحانه ان الإيمان محلله القلب دون اللسان فقال (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)
 قال الزجاج الإسلام اظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول وبذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الاظهار
 اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن المسلم حقا فأما من اظهر قبول الشريعة واستسلم
 لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق وقد اخرج هو لا من الإيمان بقوله ولما يدخل الإيمان
 في قلوبكم اي لم تصدقوا بعد بما اسلمتم تعوذا من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر والمسلم
 التام الإسلام مظهر للطاعة وهو مع ذلك مؤمن بها والذي اظهر الإسلام تعوذا من القتل غير مؤمن في
 الحقيقة الا أن حكمه في الظاهر حكم المسلم بن وروي انس عن النبي ﷺ قال الإسلام علانية والإيمان
 في القلب وأشار إلى صدره (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئا) اي لا ينقصكم من ثواب

اعمالكم شيئا عن ابن عباس ومقاتل (ان الله غفور رحيم)

قوله تعالى (١٥) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٦) قُلْ أَنْتُمْ عَلَى اللَّهِ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧) يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا نَعْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير يعملون بالياء والباقون بالتاء

﴿ الحجة ﴾

وجه التاء أن قبله خطابا وهو قوله لا تمنوا ووجه الياء ان قبله غيبة وهو قوله إنما المؤمنون الذين آمنوا

- (الإعراب) -

خبر المبتدأ الذي هو المؤمنون قوله أو أولئك هم الصادقون وقوله الذين آمنوا صفة لهم

(المعنى)

ثم نعت سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا في دينهم بعد الإيمان (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أو أولئك هم الصادقون) في أقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس في قلبه قالوا فلما نزلت الآيات أتوا رسول ﷺ يحلفون انهم مؤمنون صادقون في دعواهم للإيمان فأنزل الله سبحانه (قل أنتعلمون الله بدينكم) أي تخبرون الله بالدين الذي انتم عليه والمعنى انه سبحانه عالم بذلك فلا يحتاج الى اخباركم به وهذا استفهام انكار وتوبيخ أي كيف تعلمون الله بدينكم (والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم) لأن العالم لنفسه يعلم المعلومات كلها بنفسه فلا يحتاج الى علم يعلم به ولا الى من يعلمه كما انه اذا كان قد بما موجودا في الأزل لنفسه استغنى عن موجد اوجده وكانوا يقولون آمنابك من غير قتال وقاتلك بنو فلان فقال سبحانه (يمنون عليك ان أسلموا) أي بأن أسلموا والمعنى انهم يمنون عليك بالإسلام (قل لا تمنوا علي اسلامكم) أي بإسلامكم (بل الله يمين عليكم أن هداكم للإيمان) أي بأن هداكم للإيمان وارشدكم اليه بأن نصب لكم من الأدلة عليه وازاح غلكم ووقفكم له (إن كنتم صادقين) في ادعائكم الإيمان (ان الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) من طاعة ومعصية وإيمان وكفر



(سورة ق مكية)

قال الحسن غير قوله ولقد خلقنا السماوات والأرض الى قوله وقبل الغروب والمعدل عن ابن عباس ولقد خلقنا السماوات والأرض الآية وهي خمس واربعون آية بالإجماع

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته. ابو حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال ومن ادمن في فرائضه ونوافله سورة ق وسع الله في رزقه واعطاه كتابه بيمينه وحاسبه حسابا يسيراً

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله تلك السورة بذكر الإيمان وشرائطه للبيد افتتح هذه الصورة بذكر ما يجب الايمان به من القرآن وأدلة التوحيد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ (٢) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٣) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٤) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَقِيقٌ (٥) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ خمس آيات

ولم يعد ق آية ولا نظيره من نون وصاد لأنه مفرد وكل مفرد فإنه لا يعد بعده من شبه الجملة فأما المركب مما اشبه الجملة ووافق رزوس الآي فإنه يعد مثل طه وحتم وآله وما أشبه ذلك

﴿ اللفظة ﴾

المجيد الكريم العظيم والمكرم والمجد في كلامهم الشرف الواسع يقال مجد الرجل ومجد مجدا إذا عظمه وكرم وأصله من قولهم مجدت الإبل مجودا إذا عظمت بطونها من كثرة أكلها من كلاً الربيع وامجد فلان القوم قرى قال

أئيناه زواراً فأمجدا قرى من البث والدا والدخيل المخامر والمجيب والمجيب هو كل ما لا يعرف علته ولا سببه والمريج المختلط المنبس وأصله ارسال الشيء مع غيره من المرج قال الشاعر

فجالت فالتهمت به حشاها فخر كأنه غصن مريج
أي التبس بكثرة شعبه ومرجت عهودهم وأمرجوها أي خلطوها ولم يفوا بها

﴿ الإعراب ﴾

جواب القسم في ق والقرآن المجيد محذوف يدل عليه إذا متنا وكنا ترابا وتقديره انكم مبعوثون قالوا أنبعث إذا متنا وكنا ترابا ويجوز أن يكون الجواب قد علمنا ما نتقص الأرض منهم وحذفت اللام

لأن ما قبلها عوض منها كما قال والشمس وضحاها إلى قوله قد أفلح من زكاها والمعنى لقد أفلح والعامل في
أذا مننا مضمر والتقدير إذا متنا بمشنا

﴿ المعنى ﴾

(ق) قد مر تفسيره وقيل انه اسم من اسماء الله تعالى عن ابن عباس وقيل هو اسم الجبل المحبط
بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منها عن الضحاك وعكرمة وقيل معناه قضي الأمر أو قضي ما هو
كانن كما قيل في حم حم الأمر (والقرآن المجيد) أي الكريم على الله العظيم في نفسه الكثير الخير والنفع
لتبعثن يوم القيامة وقيل تقديره والقرآن المجيد ان محمداً رسول الله ﷺ بدلالة قوله (بل عجبوا ان جاءهم
منذر منهم) أي ما كذبك قومك لأنك كاذب بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وحسبوا أنه لا يوحى
إلا إلى ملك (قال الكافرون هذا شيء عجيب) أي معجب عجبوا من كون محمد ﷺ رسولا اليهم
فأنكروا رسالته وأنكروا البعث بعد الموت وهو قوله (أذا متنا وكنا تراباً) أنبث وزد أحياء (ذلك) أي
ذلك الرد الذي يقولون (رجع بعيد) أي رد بعيد عن الأوهام واعادة بعيدة عن الكون والمعنى انه لا يكون
ذلك لأنه غير ممكن ثم قال سبحانه (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أي ما تأكل الأرض من لحومهم
ودمائهم وتبليه من عظامهم فلا يتعذر علينا ردهم (وعندنا كتاب حفيظ) أي حافظ لعدتهم وأسمائهم وهو
الوحي المحفوظ لا يشذ عنه شيء وقيل حفيظ أي محفوظ عن البلى والدروس وهو كتاب الحفظة الذين يكتبون
أعمالهم ثم أخبر سبحانه بتكذيبهم فقال (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) والحق القرآن وقيل هو الرسول (فهم
في أمر صريح) أي مختلط فمرة قالوا مجنون وتارة قالوا ساحر وتارة قالوا شاعر فتجبروا في أمرهم لجهلهم
بمجاله ولم يثبتوا على شيء واحد وقالوا للقرآن انه سحر مرة وزجر مرة ومفتري مرة فكان أمرهم ملتبساعليهم
قال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم

قوله تعالى (٦) أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من
فروج (٧) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج
(٨) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٩) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به
جنت وحب الحصيد (١٠) والنخل باسقات لها طلع نضيد (١١) رزقا للعباد وأحيينا به
بلدة ممتا كذلك الخروج
ست آيات

﴿ التمه ﴾

الفروج الشقوق والصدوع وفي الحائط فرجة بضم الفاء فإذا قبل فرجة بفتح الفاء فهو التفتي من المهم قال
ربما تكره النفوس من الام رله فرجة كحل العقال
أي رب شيء تكره النفوس وما هاهنا نكرة موصوفة والفرج موضع المخافة وفي عهد الحجاج اني ولينك
الفرجين يعني خراسان وسجستان والحصيد ما حصد من انواع النبات والباسقات الطوال وبسق النخل
بسوقا والطلع طلح النخلة سمي بذلك لطلوعه والنضيد ما نضد بعضه على بعض

﴿ الاعراب ﴾

كيف يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون مصدرا وما لها من فروج في موضع نصب على الحال تقديره غير مفروجة والارض منصوبة بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر وتقديره ومددنا الارض مددناها . تبصرة مفعول له وكذلك ذكرى وحب الحصيد تقديره وحب النبات الحصيد والحصيد صفة لموصوف محذوف وباسقات نصب على الحال وكذلك الجملة التي هي لها طلع نضيد حال بعد حال ورزقا للعباد مفعول له أي انبتنا هذه الأشياء . لرزق العباد ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا أعني المصدر وتقديره رزقناهم رزقا

﴿ المعنى ﴾

ثم أقام سبحانه الدلالة على كونه قادرا على البعث فقال (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم) أي ألم يتفكروا في بناء السماء مع عظمتها وحسن ترتيبها وانتظامها (كيف بنيناها) بغير علاقة ولا عماد (وزيناها) بالكواكب السيارة والنجوم الثوابت (وما لها من فروج) أي شقوق وفتوق وقيل معناه ليس فيها تفاوت واختلاف عن الكسائي وإنما قال فوقهم بنيناها على أنهم يرونها ويشاهدونها ثم لا يتفكرون فيها (والارض مددناها) أي بسطناها (والقينا فيها رواسي) أي جبالا رواسخ تمسكها عن الميدان (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنغ حسن المنظر عن ابن زيد والبهجة الحسن الذي له روعة عند الروية كالزهرة والأشجار الخضرة والرياض الخضرة وقال الأخفش البهيج الذي من رآه بهج به أي سر به فهو بمعنى المبهوج به (تبصرة وذكري) أي فعلنا ذلك تبصيرا ليصير به أمر الدين وتذكيرا وتذكرا (لكل عبد منيب) راجع إلى الله تعالى (وازلنا من السماء ماء مباركا) أي مطرا وغيثا يعظم النعم به (فأنبتنا به) أي بالماء (جنات) أي بساكن فيها أشجار تشتمل على انواع الفواكه المستلذة (وحب الحصيد) أي حب البر والشعير وكل ما يحصد عن قتادة لأن من شأنه أن يحصد إذا تكامل واستحصد والحب هو الحصيد فهو مثل حق اليقين ومسجد الجامع ونحوهما (والنخل باسقات) أي وأنبتنا به النخل طولبات عاليات (لها طلع نضيد) أي لهذه النخل الموصوفة بالملو طلع نضد بعضه على بعض عن مجاهد وقاتدة والطلع الكفرى وهو أول ما يظهر من ثمر النخل قبل ان ينشق وهو نضيد في اكمامه فإذا اخرج من اكمامه فليس بنضيد (رزقا للعباد) أي أنبتنا هذه الأشياء للرزق وكل رزق فهو من الله تعالى بأن يكون قد فعله أو فعل سببه لأنه مما يريده وقد يرزق الواحد منا غيره كما يقال رزق السلطان جنده (واهينا به) أي بذلك الماء الذي أنزلناه من السماء (بلدة ميتا) أي جدبا وقحطا لا تنبت شيئا فنبتت وعاشت ثم قال (كذلك الخروج) من القبور أي مثل ما أحيينا هذه الارض الميتة بالماء نحى الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم فإن من قدر على احدهما قدر على الآخر وإنما دخلت الشبهة على هؤلاء من حيث أنهم رأوا العادة مستمرة في احياء الموات من الارض بنزول المطر ولم تجر العادة بإحياء الموتى من البشر ولو انعموا الفكر وأمعنوا النظر لعلموا أن من قدر على احد الأمرين قدر على الآخر

قوله تعالى (١٢) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٣) وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٤) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ

وَعَيْدٌ (١٥) أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا نُوسِسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٧) إِذْ يَتَلَقَّى
الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٨) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ
(١٩) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (٢٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ نَسع آيات

﴿ الفرأوة ﴾

الشواذ قراءة ابي بكر عند خروج نفسه وجاءت سكرة الحق بالموت وهي قرأوة سعيد بن جبير وطلحة
ورواها اصحابنا عن ائمة الهدى (ع)

﴿ الحجية ﴾

قال ابن جنى الك في الباء ضربان من التقدير ان شئت علقته بنفس جاءت كقولك جئت يزيد ابي
احضرته وان شئت علقته بمحذوف وجعلتها حالا اي وجاءت سكرة الموت ومعها الموت كقولك خرج بشيابه
اي وثيابه عليه ومثله قوله فخرج على قومه في زبنته اي وزبنته عليه كقول ابي ذؤيب

يعثرن في حد الظبابة كأنما كسيت برود بني يزيد الأدرع
اي يعثرن وهن في حد الظبابة وكقول الآخر

ومستنة كاستنان الخروف وقد قطع الجبل بالمرود

اي قطعه وفيه مروده وكذلك قراءة العامة وجاءت سكرة الموت بالحق ان شئت علقته بالباء بنفس
جاءت وان شئت علقته بمحذوف وجاءت سكرة الموت ومعها الحق

﴿ التنة ﴾

يقال عيت بالامر اذا لم تعرف وجهه وتمذر ذلك عليك واعيت اذا تعبت وكل ذلك من التعب الا
ان احدهما في الطلب والآخر فيما وقع الفراغ عنه والوريد عرق في الخلق وهما ورهيدان في العنق عن يمين
وشمال وكأنه العرق الذي يرد اليه ما ينصب من الرأس وجبل الوريد جبل العائق وهو منفصل من الخلق الى
العائق والرقيب الحافظ والعنيد المعد للزوم الامر

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الامم المكذبة تسلية للنبي ﷺ وتهديدا للكفار فقال (كذبت قبلهم) من
الامم الماضية (قوم نوح) فاغرقهم الله (واصحاب الرس) وهم اصحاب البشر التي رسوا نبيهم فيها بعد ان
قتلوه عن عكرمة وقيل الرس بشر قتل فيها صاحب ياسين عن الضحاك وقيل هم قوم كانوا باليامة على
آبار لهم عن قتادة وقيل هم اصحاب الاخذود وقيل كان سحق النساء في اصحاب الرس وروي ذلك عن
ابي جعفر وابي عبد الله (ع) (وثمود) وهم قوم صالح (وعاد) وهم قوم هود (وفرعون واخوان لوط) ابي
وكذب فرعون موسى وقوم لوط لوطا وساهم اخوانه لكونهم من نسبه (واصحاب الايكة) وهم قوم
شعيب (وقوم تبع) وهو تبع الحميري الذي ذكرناه عند قوله ام خير ام قوم تبع (كل) من هؤلاء المذكورين

(كذب الرسل) المبعوث اليهم وجحدوا نبوتهم (فحق وعيد) اي وجب عليهم عذابي الذي اوعدتهم به فاذا كان مآل الامم الخالية اذا كذبوا الرسل الهلاك والدمار وانكم معاشر العرب قد سلكتم مسالككم في التكذيب والانكار فحالكم كحالهم في التباب والخسار ثم قال سبحانه جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد (افصينا بالخلق الاول) اي افعجزنا حين خلقناهم اولاً ولم يكونوا شيئاً فكيف نعجز عن بعثهم واعادتهم وهذا تقرير لهم لانهم اعترفوا بأن الله هو الخالق ثم انكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شيء عبي به ثم ذكر انهم في شك من البعث بعد الموت فقال (بل هم في لبس من خلق جديد) اي بل هم في ضلال وشك من اعادة الخلق جديداً واللبس منم من ادراك المعنى بما هو كالستر له والجديد القريب الانشاء (ولقد خلقنا الانسان) اراد به الجنس يعني ابن آدم (ونعلم ما توسوس به نفسه) اي ما يحدث به قلبه وما يخفي ويكن في نفسه ولا يظهره لأحد من المخلوقين (ونحن اقرب اليه) بالعلم (من جبل الوريد) وهو عرق يتفرق في البدن يخاطب الانسان في جميع اعضائه وقيل هو عرق الخلق عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو عرق متعلق بالقلب يعني نحن اقرب اليه من قلبه عن الحسن وقيل معناه نحن اعلم به ممن كان منه بمنزلة جبل الوريد في القرب وقيل معناه نحن املك له من جبل وريده مع استيلائه عليه وقربه منه وقيل معناه نحن اقرب اليه بالادراك من جبل الوريد لو كان مدركا ثم ذكر سبحانه انه مع علمه به وكل به مملكين يحفظان عليه عمله الزاما للحجة فقال (اذ يتلقى المتلقيان) فاذا متعلقة بقوله ونحن اقرب اليه اي ونحن اعلم به واملك له حيث يتلقى المتلقيان وهما الملكان بأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المعلى عليه (عن اليمين وعن الشمال قعيد) اراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى باحدهما عن الآخر والمراد بالقعيد هنا الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم وقيل عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات عن الحسن ومجاهد وقيل الحفظ اربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل عن الحسن (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) اي ما يتكلم بكلام فيلفظه اي يرميه من فيه إلا لديه حافظ حاضر معه يعني الملك الموكل به ما صاحب اليمين واما صاحب الشمال يحفظ عمله لا ينسب عنه والهوا في لديه تعود إلى القول او إلى القائل وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ او المسيء فان ندم واستغفر الله منها القاهها والا كتبت واحدة وفي رواية اخرى قال صاحب اليمين امير على صاحب الشمال فاذا عمل حسنة كتبتها له صاحب اليمين بعشر امثالها واذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء وإن لم يستغفر الله كتب له سيئة واحدة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بعبد ملكين يكتبان عليه فاذا مات قال يا رب قد قبضت عبدك فلانا فإلى اين قال سائني مملوءة بما لكتني بعبودتي وارضي مملوءة من خلقي بطبعوني اذهبها إلى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهلاقي فاكتبنا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة (وجاءت سكرة الموت بالحق) اي جاءت غمرة الموت وشده التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق أي امر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر اليه وقيل معناه جاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت قال مقاتل يعني انه حق كائن والمراد أن هذه السكرة قد قربت منكم فاستعدوا لها فهي لقرها كالحاصلة مثل قوله تعالى اني امر الله وروي أن عائشة قالت عند وفاة ابي بكر

لمعرك ما يعني الشراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
قال ابو بكر لا تقولي ذلك ولكنه كما قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويقال لمن جاءته سكرة
الموت (ذلك) اي ذلك الموت (ما كنت منه تجيد) اي تهرب وتميل (ونفخ في الصور) قد مر تفسيره
(ذلك يوم الوعيد) اي ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذي خوف الله به عباده ليستعدوا ويقدموا العمل الصالح له
قوله تعالى (٢١) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢٢) لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ
مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٣) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ
عَتِيدٌ (٢٤) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٥) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٦) الَّذِي
جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٧) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعْتَهُ
وَأَكْبَرْتُمْ كَانِ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٨) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ
(٢٩) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٣٠) يَوْمَ تَقُولُ لِحَبَّامِهِمْ هَلْ
وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ عشر آيات

« القراءة »

قرأ نافع وابو بكر يوم يقول بالياء والباقون بالنون

﴿ الحجة ﴾

الياء على معنى يقول الله تعالى والنون اشبه بقوله قد قدمت اليكم بالوعد وقوله وما انا بظلام للعبيد

﴿ اللفظة ﴾

السوق الحث على السير والحديد الحاد مثل الحفيظ والحافظ والعنيد الجائر عن التصد وهو العنود والمائد
وناقة عنود لا تستقيم في سيرها والعنيد المنجبر منه

﴿ الاعراب ﴾

هذا ما لدي عتيد ما هنا نكرة موصوفة وتقديره هذا شيء ثابت لدي عتيد فالظرف صفة لما وكذلك
عتيد. جهنم لا ينصرف للتعريف والتأنيث واصله من قولهم بئر جهنم إذا كانت بعيدة القعر وقبل هو اعجمي
فلا ينصرف للتعريف والمجعة وقوله القيا في جهنم قبل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ أن العرب تأمر الواحد والقوم
بما يؤمر به الاثنان يقول للرجل الواحد قوما واخرجا ويحكى عن الحجاج انه كان يقول يا حرسى اضربا
عنفه يربداضرب قال الفراء سمعت من العرب من يقول وبلك ارحلاها وانشدني بعضهم

فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع اصوله واجتزأ شيحا

وانشدني ابو ثروان

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنا

قال وتري أن ذلك منهم لاجل ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه اثنان وكذلك الرقة ادنى ما تكون
ثلاثة فجرى كلام الواحد على صاحبيه الا ترى أن الشعراء اكثر شي قبالا يا صاحبي ويا خليلي قال امرؤ القيس

خليلي مرا بي على أم جندب
فإنك ان تنظراني ليلة
لنقضي حاجات الفؤاد المذبذب
من الدهر تنفعني لدى أم جندب
ثم قال

الم تراني كلما جئت طارقا
فرجع إلى الواحد لأن اول الكلام واحد في لفظ الاثنين وانشد ايضا

خليلي قوما في عطالة فانظرا

انارا ترى من نحو ما بين ام برقا
ولم يقل تر يا ﴿﴾ والثاني ﴿﴾ انه وإنما نثني ليدل على التأكيد كأنه قال الق فثني الضمير ليدل على تكرير الفعل وهذا لشدة ارتباط الفاعل بالفعل حتى اذا كرر احدهما فكأن الثاني كرر وهذا قول المازني ومثله عنده قال رب ارجعون وإنما جمع ليدل على التكرير كأن قال ارجعني ارجعني وحمل عليه قول امرئ القيس «فقا نيك من ذكرى حبيب ومنزل» ونحو ذلك أي كأنه قال قف قف ﴿﴾ والثالث ﴿﴾ أن الامر تناول السائق والشهيد فكأنه قال يأبها السائق ويأبها الشهيد القيا ﴿﴾ والرابع ﴿﴾ انه يريد النون الخفيفة فكانت القين فأجرى الوصل مجرمة الوقف فأبدل من النون الفا كما قال الاعشى

وذا النسك المنصوب لا تنسكنه
ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

ويؤيد هذا القول ما روي عن الحسن انه قرأ القيا بالتنوين الذي جعل مع الله لها آخر إن كان مبتدأ فخيره قوله فالقياه ويجوز أن يكون نصبا بضمير تفسيره فالقياه ويجوز أن يكون نصبا بدلا من قوله كل كفار ولا يجوز أن يكون جرا صفة لكفار لأن النكرة لا توصف بالوصول إنما الوصول وصلة إلى وصف المعارف بالجمل

﴿﴾ المعنى ﴿﴾

ثم اخبر سبحانه عن حال الناس بعد البعث فقال (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) اي وتجيئ كل نفس من المكلفين في يوم الوعيد ومعها سائق من الملائكة يسوقها اي يحثها على السير إلى الحساب وشهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها وشاهده منها وكتبه عليها فلا يجد إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلا وقيل السائق من الملائكة والشهيد الجوارح تشهد عليها عن الضحاك (لقد كنت في غفلة) اي يقال له لقد كنت في سهو ونسيان (من هذا) اليوم في الدنيا والغفلة ذهاب المعنى عن النفس (فكشفنا عنك غطاءك) الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعتك وبصرك حتى ظهر لك الامر وانما تظهر الامور في الآخرة بما يخلق الله تعالى من العلوم الضرورية فيهم فيصير بمنزلة كشف الغطاء لما يرى وانما يراد به جميع المكلفين برهم وفاجرهم لأن معارف الجميع ضرورية (فبصرك اليوم حديد) اي فعينك اليوم حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة وقيل معناه فملكت بما كنت فيه من احوال الدنيا نافذ ولا يراد به بصر العين كما يقال فلان بصير بالنحو والفقه وقيل هو خاص في الكافر اي فأنت اليوم عالم بما كنت تنكره في الدنيا عن ابن عباس (وقال قرينه) يعني الملك الشهيد عليه عن الحسن وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» وقيل قرينه الذي قبض له من الشياطين عن مجاهد وقيل قرينه من الانس (هذا ما لدي عتيد) إن كان المراد به الملك الشهيد فمعناه هذا حسابه حاضر لدي في هذا الكتاب اي يقول لربه كنت

وكانتني به فاكتبت من عمله حاضر عندي وان كان المراد به الشيطان أو القرين من الانس فالمعنى هذا العذاب حاضر عندي معد لي بسبب سيئاتي (اللقيا في جهنم كل كفار عنيد) هذا خطاب لخازن النار وقيل خطاب للملكين الموكلين به وهما السائق والشهيد عن الزجاج وقد ذكرنا ما قيل فيه وروى ابو القاسم الحسكاني بالاسناد عن الأعمش انه قال حدثنا ابو المتوكل الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لي ولعلي القيا في النار من ابغضكما وادخلا الجنة من احبكما وذلك قوله القيا في جهنم كل كفار عنيد والعنيد الذاهب عن الحق وسبيل الرشد (مناع للخير) الذي امر الله به من بذل المال في وجوهه (معتد) ظالم متجاوز يتعدى حدود الله (مريب) اي شك في الله وفيما جاء من عند الله وقيل منهم يفعل ما يرتاب بفعله ويظن به غير الجميل مثل الملبم الذي يفعل ما يلام عليه وقيل انها نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو اخيه في الإسلام فمنهم فيكون المراد بالخير الإسلام (الذي جعل مع الله إلهًا آخر) من الاصنام والأوثان (فالقياه في العذاب الشديد) هذا تأكيد للأول فكأنه قال افعل ما امرتك به فإنه مستحق لذلك (وقال قرينه) اي شيطانه الذي اغواه عن ابن عباس ومجاهد وقناة وانما سمي قرينه لأنه يقرن به في العذاب وقيل قرينه من الانس وهم علماء السوء والمتبعون (ربنا ما اظفيتها) اي ما اضلكته وما أوقعتني في الظلمات باسئركم اي لم اجعله طاغيا (ولكن كان في ضلال) من الإيمان (بعيد) اي ولكنه طغى باختياره سوءه ومثل هذا قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي (قال) الله تعالى لهم (لا تختصموا لدي) أي لا يخاصم بعضكم بعضا عندي (وقد قدمت اليكم بالوعيد) في دار التكليف ولم تنزجروا وخالفتم امري (ما يبدل القول لدي) المعنى ان الذي قدمته لكم في دار الدنيا من اني اعاقب من جهدي وكذب رسلي وخالفني في امري لا يبدل بغيره ولا يكون خلافه (وما انا بظلام للعبيد) اي لست بظالم احدا في عقابي لمن استحقه بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي التي استحق بها ذلك وإنما قال بظلام على وجه المبالغة ردا على من اضاف الظلم اليه تعالى وتقدس عن ذلك (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) يتعلق يوم بقوله ما يبدل القول لدي الآية وقيل يتعلق بتقدير اذكر يا محمد ذلك اليوم الذي يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت من كثرة ما التي فيك من العصاة (وتقول) جهنم (هل من مزيد) قال انس طلبت الزيادة وقال مجاهد المعنى معنى الكفاية اي لم يبق مزيد لامتلأتها ويبدل على هذا القول قوله لا ملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل في الوجه الاول إن هذا القول كان منها قبل دخول جميع اهل النار فيها ويجوز ان تكون تطلب الزيادة على ان يزداد في سعتها كما جاء عن النبي ﷺ أنه قبل له يوم فتح مكة الا تنزل دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار لانه كان قد باع دور بني هاشم لما خرجوا إلى المدينة فعلى هذا يكون المعنى وهل بقي زيادة فأما الوجه في كلام جهنم فقيل فيه وجوه أحدها انه خرج مخرج المثل اي ان جهنم من سعتها وعظمتها بمنزلة الناطقة التي اذا قيل لها هل امتلأت تقول لم امتلأ وبقي في سعة كثيرة ومثله قول عنزة

وشكا الي بعبرة وتحمحم

فازور من وقع القنا بلبانه

وقال آخر

مهلا رويدا قد ملأت بطني

امتلا الحوض وقال قطني

﴿وثانها﴾ انه سبحانه يخلق لجهنم آله الكلام فتكلم وهذا غير منكر لأن من انطق الايدي والجوارح والجلود قادر على ان ينطق جهنم ﴿وثالثها﴾ انه خطاب لخزنة جهنم على وجه التقرير لهم هل امتلات جهنم فيقولون بلى لم يبق موضع لمزيد ليعلم الخلق صدق وعده عن الحسن قال ومعناه ما من مزيد اي لا مزيد كقوله هل من خالق غير الله وهو قول واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد

قوله تعالى (٣١) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣٢) هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِكُلِّ أَوْابٍ حَفِيظٍ (٣٣) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٤) أَدْخَلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٥) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٨) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٩) فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٤٠) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الحجاز وحمزة وخلف وادبار بكسر الهجزة والباقون وادبار السجود بالفتح وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابي العالية ويحيى بن يعمر فنقبوا في البلاد بكسر القاف وقراءة السدي والتي السمع وقراءة ابي عبد الرحمن السلمي وطلحة وما مسنا من لغوب بفتح اللام

﴿ الهجعة ﴾

قال ابو علي ادبار مصدر والمصادر تجمل ظرفا على ارادة اضافة اساء الزمان اليها وحذفها كقولك جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم وخلافة فلان تريد في ذلك كله وقت كذا فكذلك يقدر هنا وقت ادبار السجود الا ان المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر ولا يستعمل فهذا ادخل في باب الظروف من قول من فتح فكأنه أمر بالتنسيب بعد الفراغ من الصلاة ومن فتح جملة جمع دبر أو دبر مثل قفل واقفال وطنب واطناب وقد استعمل ذلك ظرفا نحو جئتك في دبر الصلاة وفي ادبار الصلاة قال اوس بن حجر

على دبر الشهر الحرام بأرضنا وما حولها جذب سنون تلمع

وأما من قرأ فنقبوا فقد قال ابن جني انه فعلوا من النقب أي ادخلوا وغوروا في الأرض فإنكم لا تجدون لكم محبصا وقوله او التي السمع معناه أو التي السمع منه وقوله وما مسنا من لغوب فيمكن ان يكون من المصادر التي جاءت على فاعول بفتح الفاء كالوضوء والولوج والزرع والقبول وهي صفات مصادر محذوفة وأي توضأت وضوء أي وضوءا حسنا وكذلك هذا أي وما مسنا من لغوب لغوب أي تعب متعب

﴿ اللفظة ﴾

الإزلاف التقرب إلى الخبر ومنه الزلغة والزلفى وازدلف إليه أي اقترب والمزدلفة منزلة قريبة من الموقف وهو المشعر وجمع ومنه قول الراجز

تاج طواه الأين مما أوجفا طي الليالي زلفا زلفا

سماوة الهلال حتى احقوقفا

والنقيب التفتيح بما يصلح للسلوك وهو من النقب الذي هو الفتح قال امرؤ القيس

لقد نقبت في الآفاق حتى

رضيت من الغنيمة بالإياب

أي طوفت في طرقها وسرت في تقويمها والغروب الإرعيا

✽ الاعراب ✽

غير بعيد صفة مصدر محذوف تقديره ازلافا غير بعيد ويجوز ان يكون منصوبا على الحال من الجنة ولم يقل غير بعيدة لأنه في تقدير النسب أي غير ذات بعد وقوله لكل اواب يجوز أن يكون في موضع رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي هو لكل اواب ولا يجوز ان يكون خبرا بعد خبر تقديره هذا الموعود هذا لكل اواب حفيظ ولا يجوز أن تعلق اللام بتوعدون لأن الأوابين هم الموعودون لا الموعود لهم . من خشي الرحمن يجوز ان يكون في محل جر على البدل من اواب فيتم الكلام عند قوله وجاء بقلب منيب ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره محذوف على تقدير يقال لهم ادخلوها فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله لكل اواب حفيظ ويقتضي ان يكون ادخلوها خطابا للمتقين وتقديره وتزلف الجنة للمتقين ويقال لهم ادخلوها بسلام

✽ المعنى ✽

لما اخبر سبحانه عما اعد له للكافرين والعصاة عقبه بذكر ما اعد للمتقين فقال (وازلفت الجنة للمتقين) أي قربت الجنة وأدنت للذين اتقوا الشرك والمعاصي حتى يروا ما فيها من النعيم والجنة هي البستان التي تجمع كل لذة من الأنهار والأشجار وطيب الثمار ومن الأزواج الكرام والهور الحسان والخدم من الولدان ومن الأنبياء الفاخرة المزينة بالياقوت والزمرد والعقبان نسال الله التوفيق لما يقرب من رضاه (غير بعيد) أي هي قريبة منهم لا يلحقهم ضرر ولا مشقة في الوصول إليها وقبل معناه ليس يعيد مجيء ذلك لأن كل آت قريب ومثله قول الحسن كأنك بالدنيا كأن لم تكن وبالآخرة كأن لم تنزل (هذا ما توعدون) أي هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب على السنة الرسل (لكل اواب) أي تواب رجاء إلى الطاعة عن الضحاك وابن زيد وقبل لكل مسبح عن ابن عباس وعطاء (حفيظ) لما أمر الله به متحفظ من الخروج إلى ما لا يجوز من سيئة تدسه وخطيئة تحط منه وتشينه (من خشي الرحمن بالغيب) أي هو من خاف الله واطاعه وآمن بشوابه وعقابه ولم يره وقبل بالغيب أي في الخلو بحيث لا يراه احد عن الضحاك والسدي (وجاء بقلب منيب) أي ودام على ذلك حتى وافى في الآخرة بقلب مقبل على طاعة الله راجع إلى الله بضائرته (ادخلوها بسلام) أي يقال لهم ادخلوا الجنة بأمان من كل مكروه وسلامة من كل آفة وقبل بسلام من الله وملائكته عليهم (ذلك يوم الخلود) الوقت الذي يبقون فيه في النعيم موبدين لا إلى غيبة (لهم ما يشاؤون فيها) أي لهم في الجنة ما تشبهه انفسهم ويريدونه من انواع النعم (ولدينا مزيد) أي وعندنا زيادة على ما يشاؤون مما لم يحيطوا بها ولم تبلغه أمانتهم وقبل هو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) أي كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذبوا رسالهم (هم اشد منهم بطشا) أي الذين اهلكناهم كانوا اشد قوة من هؤلاء واكثر

عدة وعدة ولم تعذر علينا ذلك فما الذي يؤمن هؤلاء من مثله (فتقبوا في البلاد) اي فتحوا المسالك في البلاد بشدة بطشهم اصله من الثقب وهو الطريق وقيل معناه ساروا في البلاد وطوفوا فيها بقوتهم وسلكوا كل طريق وسافروا في اعمار طويلة (هل من محيص) اي هل من محيد عن الموت ومنجى من الهلاك يعني لم يجدوا في جميع ذلك من الموت والهلاك منجى ومهربا (ان في ذلك) اي فيما اخبرته وقصصته (لذكري) اي ما يعتبر به ويتفكر فيه (لمن كان له قلب) معنى القلب هنا العقل عن ابن عباس من قولهم ابن ذهب قلبك وفلان قلبه معه وانما قال ذلك لأن من لا يبي الذكر لا يعتد بماله من القلب وقيل لمن كان له قلب حي عن قتادة (او التي السمع وهو شهيد) اي استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يستمع وهو شهيد لما يسمع فيفتقه غير غافل عنه ولا ساه عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يقال اتى الى سمعت اي اسمع قال ابن عباس كان المناقون يجلسون عند رسول الله ﷺ ثم يخرجون فيقولون ماذا قال آتفا ليس قلوبهم معهم وقيل هو شهيد على صفة النبي في الكتب السالفة يريد اهل الكتاب عن قتادة (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب) اي نصب وتعب أ كذب الله تعالى بهذا اليهود فانهم قالوا استراح الله يوم السبت فلذلك لا نعمل فيه شيئا (فاصبر على ما يقولون) يا محمد من بهتهم وكذبهم وقولهم انك ساحر او مجنون واحتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج وهذا قيل ان امر الله بالقتال (وسبح بحمد ربك) أي وصل واحد الله تعالى سعى الصلاة تسيحا لأن الصلاة تشتمل على التسبيح والتحميد عن ابن عباس وقاتدة وابن زيد وقيل أراد به التسبيح بالقول تقربا لله تعالى عما لا يليق به (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعني صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر عن قتادة وابن زيد (ومن الليل فسبحه) يعني المغرب والعشاء الآخرة وقيل ومن الليل يعني صلاة الليل ويدخل فيه صلاة المغرب والعشاء عن مجاهد وروى عن ابي عبد الله (ع) انه سئل عن قوله وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فقال تقول حين تصبح وحين تمشي عشر مرات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (وأدبر السجود) فيه أقوال ﴿احدها﴾ ان المراد به الركعتان بعد المغرب وأدبر النجوم الركعتان قبل العجر عن علي بن ابي طالب (ع) والحسن بن علي (ع) والحسن والشعبي وعن ابن عباس مرفوعا إلى النبي ﷺ ﴿وثانيها﴾ انه التسبيح بعد كل صلاة عن ابن عباس ومجاهد ﴿وثالثها﴾ انه التواقل بعد المفروضات عن ابن زيد والجبائي ﴿ورابعها﴾ انه الوتر من آخر الليل روي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

قوله تعالى (٤١) وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤٢) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ (٤٣) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٤) يَوْمَ تَشْأَقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَا سِيرُ (٤٥) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ يَخَافُ وَعِيدِ

خمس آيات

✽ الاعراب ✽

واستمع يوم ينادي المنادي تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي فحذف المضاف وهو مفعول به وليس بالظرف ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي المنادي وكذلك يوم تشق الأرض ويجوز أن يتصب يوم تشق بقوله والينا المصير أي يصيرون الينا في ذلك اليوم

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ والمراد به جميع المكلفين (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب) أي اصغ إلى النداء وتوقعه يعني صيحة القيامة والبث والنشور ينادي بها المنادي وهي النفخة الثانية ويجوز أن يكون المراد واستمع ذكر حالهم يوم ينادي المنادي وقيل انه ينادي مناد من صخرة بيت المقدس ايها العظام البالية والأوصال المنفطمة واللحوم المتمزقة قومي لفصل القضاء وما اعد الله لكم من الجزاء عن قتادة وقيل ان المنادي هو اسرافيل يقول يا معشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل وانما قال من مكان قريب لأنه يسمعه الخلائق كلهم على حد واحد فلا يخفى على احد قريب ولا بعيد فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم (يوم يسمعون الصيحة بالحق) والصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد وهذه الصيحة هي النفخة الثانية وقوله بالحق أي بالبث من الكلبي وقيل يعني انها كاذبة حقا عن مقاتل (ذلك يوم الخروج) من القبور إلى أرض الموقف وقيل هو اسم من اساء القيامة عن ابي عبيدة واستشهد بقول الشاعر

أليس يوم سحى الحرجوا اعظم يوم رجة رجوجا

(انا نحن نحبي ونميت) أخبر سبحانه عن نفسه انه هو الذي يجزي الخلق بعد ان كانوا اجادا امرات ثم يميتهم بعد ان كانوا احياء ثم يحييهم يوم القيامة وهو قوله (والينا المصير يوم تشقق) أي تشقق (الأرض عنهم) تنصدع فيخرجون منها (سراعا) يسرعون إلى الداعي بلا تأخير (ذاك حشر) والحشر الجمع بالسوق من كل جهة (علينا يسير) أي سهل علينا غير شاق حين غير متعذر مع تباعد ديارهم وقبورهم ثم مزى سبحانه نبيه ﷺ فقال (نحن اعلم بما يقولون) أي بما يقوله هؤلاء الكفار في تكذيبك وجحود نبوتك وانكار البعث لا يخفى علينا من امرهم شي (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط قادر على قلوبهم فتجبرهم على الايمان وانما بعثت منذرا داعيا مرغبا وهذا معنى قول ابن عباس وقال تغلب جاءت احرف على فعال بمعنى مفعول مثل دراك بمعنى مسدرك وسراع بمعنى مسرع وسيف سقاط بمعنى مسقط وبكنا بمعنى مبكى قال علي بن عيسى لم يسمع من ذلك الادراك من ادركت وقيل جبار من جبرته على الامر بمعنى أجبرته وهي لغة كثانة وقيل معناه ما أنت عليهم بفظ غليظ لا تحلم منهم فاحتمل أذاهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) انا خص بالذكر من يخاف وعيد الله لأنه الذي يتفهم به



سورة الذاريات (مكية)

﴿ عدد آياتها ﴾

ستون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ من قرأ سورة الذاريات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا وروى داود بن فرقد عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الذاريات في يومه أو ليلته أصلح الله له معيشته وأتاه برزق واسع ونوره له في قبره بسراج يزهو إلى يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله تعالى سورة ق بالوعيد افتتح هذه السورة بتحقيق الوعيد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا (٢) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٣) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٤) فَالْمُتَمَسِّكَاتِ أَمْرًا (٥) إِنَّمَا نُوَعِدُونَ صَادِقٌ (٦) وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعُ (٧) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٨) إِنَّكُمْ لِنَبِيِّ قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٩) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (١٠) قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١٢) يَسْتَلُونَ آيَاتِ يَوْمِ الدِّينِ (١٣) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٤) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ

اربع عشرة آية

﴿ اللفظة ﴾

ذرت الريح التراب تذرؤه ذروا إذا طيرته واذرته تذر به بناء والحبك الطرايق التي تجري على الشيء كالطرائق التي ترى في السماء وفي الصافي من الماء إذا مرت عليه الريح وهو تكسر جاريه ويقال للشعر الجمد حبك والواحد حبك وحببكة والحبك حسن اثر الصنعة في الشيء واستراؤه يقال حبكه يجبكه ويجبكه قال زهير في الحبك

مككل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك

والحرص الكذاب والحرص الظن والحدس وسمي الخرز خرصا منه ويقال كم خرص ارضك بكسر الخاء واصل الحرص القطع من قولهم خرص فلان كلاما واختصره إذا اقتطعته من غير اصل والغمرة من غمره الماء بغمره وغمره الدين إذا غطاه بكثرة الغمر السيد الكثير العطاء لأنه يغمر بغطائه

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج يوم نصب على وجهين ﴿ لدمها ﴾ ان يكون على معنى يقع الجزاء يومهم على النار يقتنون ﴿ والآخر ﴾ ان يكون لفظه لفظ نصب ومعناه معنى رفع لأنه مضاف الى جملة كلام تقول يعجبني يوم أنت قائم ويوم أنت تقوم ان شئت فتحته وان شئت رفعته كما قال الشاعر

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال

وروي غير ان نطقت بالرفع لما اضاف غير الى ان وليست بتمكنة فتح وكذلك لما اضاف يوم الى الجملة فتح وكأقري من خزي يومئذ ففتح يوم وهو في موضع خفض لأنك اضعفته الى غير متمكن وقيل انه لما جرى في كلامهم ظرفا بقي في موضع الرفع على ذلك الاستعمال وجاء مقترحا كما جاء في قوله ومنا دون ذلك وقوله لقد تقطع بينكم

﴿ المعنى ﴾

(والذاريات ذروا) روي ان ابن الكوا سأل أمير المؤمنين عليا (ع) وهو يحطّب على المنبر فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال (فالحاملات وقرأ) قال السحاب قال (فالجاريات يسرا) قال السفن قال (فالقسات اسرا) قال الملائكة وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد فالذاريات الرياح تذر والتراب وهشم الثبت أي تفرقه فالحاملات وقرأ السحاب تحمل تقلا من الماء من بلد الى بلد فتصير موقرة به او الورق بالكسر ثقل الحمل على ظهر أو في بطن والورق ثقل الأذن فالجاريات يسرا السفن تجري ميسرة على الماء جريا سهلا الى حيث سيرت وقيل هي السحاب تجري يسرا الى حيث سيرها الله من البقاع وقيل هي النجوم السبعة السيارة الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد (فالقسات أمرأ) الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما مروا به أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لكثرة ما فيها من المنافع للعباد ولما تضمنه من الدلالة على وحدانية الله تعالى وبدائع صنعه وقيل ان

التقدير فيها القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم الا بالله عز اسمه وقال ابو جعفر وابو عبد الله (ع) انه لا يجوز لأحد أن يقسم الا بالله تعالى والله سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه ثم ذكر القسم عليه فقال (انما توعدون) أي من الثواب والعقاب والجنة والنار (اصدق) أي صدق لا بد من كونه فهو اسم وضع موضع المصدر وقيل معناه ذو صدق كقوله عيشة راضية (وان الدين لواقع) أي ان الجزاء وقيل ان الحساب لكائن يوم القيامة ثم انشأ قسماً آخر فقال (والسماوات الحبيكة) أي ذات الطرائف الحسنة لكننا لا نرى تلك الحبيكة بعدنا عنا عن الحسن والضحاك وقيل ذات الخلق الحسن المستوي عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والربيع وقيل ذات الحسن والزينة عن علي (ع) وروى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضا (ع) قال قلت له اخبرني عن قول الله تعالى والسماوات الحبيكة فقال محبوبكة الى الارض وشبك بين اصابه فقلت كيف تكون محبوبكة الى الارض والله تعالى يقول رفع السماء بغير عبد والسماوات الحبيكة بغير عمد ترونها قلت بلى قال فثم عمد ولكن لا ترى فقلت فكيف ذلك جعلني الله فداك قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه ارض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة وهكذا الى الارض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن وصاحب الامر وهو النبي ﷺ والوصي علي بعده وهو علي وجه الارض وانما يتنزل الامر اليه من فوق من بين السموات والارضين قلت فما تحتنا الا ارض واحدة قال وما تحتنا الا ارض واحدة وانما السمت فوقنا (انكم لفي قول مختلف) هذا جواب القسم أي انكم يا اهل مكة في قول مختلف في قول محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب فبعضكم يقول شاعر وبعضكم يقول مجنون وفي القرآن يقولون انه سحر وكهانة ورجز وما سطره الأولون وقيل معناه منكم مكذب بسمحمد ﷺ ومنكم مصدق به ومنكم شك فيه وفائدته ان دليل الحق ظاهر فاطلبوا الحق بدليله والا هلكتم (يؤفك منه من افك) أي يصرف عن الايمان به من صرف عن الحخير أي المصروف عن الخيرات كلها من صرف عن هذا الدين وقيل معناه يؤفك عن الحق والاصواب من افك فدل ذكر القول المختلف على ذكر الحق فجازت الكناية عنه وقيل معناه يصرف عن هذا القول أي بسببه ومن اجله عن الايمان من صرف فالهاء في عنه تعود الى القول المختلف عن مجاهد فيكون الصارف لهم أنفسهم كما يقال فلان معجب بنفسه واعجب بنفسه وكما يقال اين يذهب بك لمن يذهب في شغله وقيل ان الصارف لهم رؤساء البدع وائمة الضلال لأن العامة تبع لهم (قتل الخراصون) أي لمن الكذابين يعني الذين يكذبون على الله وعلى رسوله وقيل معناه لمن المرتابون عن ابن عباس قال ابن الانباري وانما كان القتل بمعنى الائمة هنا لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك ثم وصف سبحانه هؤلاء الكفار فقال (الذين هم في غمرة) أي في شبهة وغفلة غمرهم الجهل (ساهون) أي لاهون عما يجب عليهم وقيل هم في ضلالتهم يتأدون عن ابن عباس وقيل في عسى مترددون عن قتادة وقيل ان اول مراتب الجهل السهو عن النقلة ثم الغمرة فتكون الغمرة عبارة عن المبالغة في الجهل أي هم في غاية الجهل ساهون عن الحق وعما يراود بهم (يستلون ايان يوم الدين) أي متى وقت الجزاء انكاراً واستهزاء لا على وجه الاستفادة لمعرفته فاجيبوا بما يسوؤهم من الحق الذي لا محالة انه نازل بهم فقيل (يوم هم على النار يفتنون) أي يكون هذا الجزاء في يوم يعذبون فيها ويحرقون بالنار وقال عكرمة ألم تر أن الذهب اذا أدخل النار قيل فتناي فهولاء يفتنون بالاحراق كما يفتن الذهب باحراق الغش الذي فيه ويقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) أي عذابكم وحرى بكم (هذا الذي كنتم به تستمعلون) في الدنيا تكذبوا به واستباعدوا له فقد حصلتم الآن فيه وعرقتم صحته

قوله تعالى (١٥) **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** (١٦) **آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ** (١٧) **كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** (١٨) **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** (١٩) **وَبِفِئَامِهِمْ هُمْ حَقُّ السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** (٢٠) **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ** (٢١) **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** (٢٢) **وَبِفِ السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** (٢٣) **فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ** تسع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حصص مثل ما بالرفع والباقون بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من رفع مثلاً جملة وصفاً لحق وجاز أن يكون مثل وان كان مضافاً إلى معرفة صفة للتكره لأن مثلاً لا يختص بالإضافة لكثرة الأشياء التي يقع التمثل بها بين المتأثرين فلما لم تخصه الإضافة ولم ينزل عنه الإبهام والشباع الذي كان فيه قبل الإضافة بقي على تنكره فقالوا مررت برجل مثلك فلذلك في الآية لم يتعرف بالإضافة إلى انكم تنطقون وان كان قوله انكم تنطقون بمنزلة نطقكم وما في قوله مثل ما انكم تنطقون زائدة وأما من نصب فقال مثل ما انكم فيحصل ثلاثة اضرب ﴿ احدها ﴾ أنملاً اضاف مثل إلى مبني وهو قوله انكم بناء كما بنى يومئذ في نحو قوله من عذاب يومئذ ﴿ على حين عانت المشيب على الصبي ﴾ وقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حماسة في غصون ذات او قال

فغير في موضع رفع بأنه فاعل يمنع وانما بنيت هذه الاسماء المبهمة نحو مثل ويوم وحين وغير إذا اضيفت إلى المبني لأنها تكتسي منه البناء لأن المضاف يكتسي من المضاف اليه ما فيه من التعريف والتكثير والجزاء والاستفهام تقول هذا غلام زيد وصاحب القاضي فيتعرف الاسم بالإضافة إلى المعرفة وتقول غلام من يضرب فيكون استفهاماً وتقول صاحب من يضرب اضرب فيكون جزءاً فمن بنى هذه المبهمة إذا اضافها إلى مبني جعل البناء احد ما يكتسبه من المضاف اليه ولا يجوز على هذا جاءني صاحب الحسنة عشر ولا غلام هذا لأن هذين من الاسماء غير المبهمة والمبهمة في ابهامها وبعدها من الاختصاص كالخروف التي تدل على امور مبهمة فلما اضيفت إلى المبنية جاز ذلك فيها والبناء على الفتح في مثل قول سيويه ﴿ والقول الثاني ﴾ ان تجعل ماسم مثل بمنزلة شيء واحد وبنيته على الفتح وإن كانت ما زائدة وهذا قول أبي عثمان وانشد في ذلك قول الشاعر

وتداعي منخراه بدم مثل ما اثر حماض الجبل

فذهب إلى ان مثل مع ما بمنزلة شيء واحد وبنيني أن يكون اثر صفة لمثل ما لأنه لا يخلو من أن يكون صفة او يكون مثلاً مضافاً إلى الفعل فلا تجوز الإضافة لانا لم نعلم مثلاً اضيف إلى الفعل في موضع فكذلك لا تصيغه في هذا الموضع إلى الفعل فلماذا لم تجز الإضافة كان وصفاً وإذا كان وصفاً وجب أن يعود منه إلى الموصوف ذكر فيعذف كما يحذف الذكر العائد من الصفة إلى الموصوف وقد يجوز أن لا تقدر مثل مع ما كشيء واحد ولكن تجعله مضافاً إلى ما فيكون التقدير مثل شيء اثره حماض الجبل فبني مثل على الفتح لاضافتها إلى ما وهو غير متمكن ولا يكون لأبي عثمان حينئذ في البيت حجة على كون مثل مع ما بمنزلة شيء واحد ويجوز أن يكون ما والفعل بمنزلة المصدر فيكون مثل آثار الحمض فيكون كقوله وما كانوا بآياتنا يحدون وفي قوله يا كانوا يكذبون ﴿ والقول الثالث ﴾ هو أن ينصب على الحال من التكره في النطق وهو قول أبي عمرو الجرمي وذو الحال

الذكر المرفوع في قوله لحق والعامل في الحال هو الحق لأنه من المصادر التي وصف بها ويجوز أن يكون الحال من الفكرة الذي هو حق في قوله انه لحق وإلى هذا ذهب ابو عمرو ولم يعلم انه جعله حالا من الذكر الذي في حق وهذا لا خلاف في جوازه وقد حمل ابو الحسن قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا على الحال وذو الحال كل امر حكيم وهو نكرة فهذه وجوه النصب في مثل ما

✽ الاعراب ✽

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون يجوز ان يكون قليلا خبر كان وفاعله ما يهجعون والتقدير كانوا قليلا هجوعهم ويجوز أن يكون قليلا صفة مصدر محذوف على تقديره كانوا يهجعون هجوعا قليلا فتكون ما زائدة ويهجعون خبر كان . ومن في قوله من الليل يجوز أن يكون بمعنى الباء كما يكون الباء بمعنى من في قوله عينا يشرب بها مباد الله اي منها فيكون التقدير كانوا يهجعون بالليل قليلا وقيل ان قوله ما يهجعون بسترلة هجوعهم وهو بدل من الواو في كانوا وقوله من الليل في موضح الصفة لقليل والتقدير كان هجوعهم قليلا من الليل وقوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي انفسكم ان رفعت آيات بالابتداء . وجملت في الارض خبرا كان الضمير في قوله وفي انفسكم كالضمير في خبر المبتدأ وان قدرت آيات مرتفعة بالظرف كان الضمير في قوله وفي انفسكم كالضمير في الفعل كقولهم قام زيد وقعد والتقدير وفي انفسكم آيات وكذا قوله فيا بعد وفي موسى أي وفي موسى آيات وفي هود آيات وفي ثمود آيات وفي قوم نوح آيات وفي عاد آيات

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه ما اعد له لاهل الجنة فقال (إن المتقين في جنات وعيون) مر تفسيره (آخذين ما آتاهم ربهم) أي ما اطعمهم من الخير والكرامة (إنهم كانوا قبل ذلك) يعني في دار التكليف (محين) يفتنون الطاعات ويحسبون إلى غيرهم بضروب الاحسان ثم ذكر احسانهم في اعمالهم فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) اي كانوا يهجعون قليلا من الليل يصلون اكثر الليل عن الزهري وابراهيم والهجوع النوم بالليل دون النهار وقيل معناه كانوا قل ليقترب بهم إلا صلوا فيها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) والمعنى كان الذي ينامون فيه كله قليلا ويكون الليل اسما للجنس وقال مجاهد لا ينامون كل الليل وقيل أن الوقف على قوله قليلا على معنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتداء فقال من الليل ما يهجعون فيكون ما بمعنى النفي عن الضحك ومقاتل وهذا على نفي النوم عنهم البتة اي كانوا يهجون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن واقول ان ما اذا كان نفي لا يتقدم عليه ما كان في حيزه إلا أن يتعلق قوله من الليل بفعل محذوف ويبدل عليه قوله يهجعون كما تقوله في قوله إني لكاملن الناصحين وكانوا فيه من الزاهدين (وبالاسحار هم يستفترون) قال الحسن مدوا الصلاة إلى الاسحار ثم اخذوا بالاسحار في الاستفثار وقال ابو عبد الله (ع) كانوا يستفترون الله في الوتر سبعين مرة في السحر وقيل ان معناه وبالاسحار هم يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار طلب منهم للمغفرة عن مجاهد ومقاتل والكافي ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال (وفي اموالهم حق للسائل والمحروم) والسائل هو الذي يسأل الناس والمحروم هو المحارف عن ابن عباس ومجاهد وقيل المحروم المتخف الذي لا يسأل عن قتادة والزهري وقيل هو الذي لا سهم له في الغنيمة عن ابراهيم النخعي والأصل ان المحروم هو المنوع الرزق بترك السؤال او ذهاب المال أو خراب الضيمة أو سقوط السهم من الغنيمة لأن الانسان يصير فقيرا بهذه الوجوه ويريد سبحانه بقوله حق ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات وغير ذلك او ما ألزمه انفسهم من مكارم الاخلاق قال الشعبي اعياني أن اعلم ما المحروم وفرق قوم بين الفقير والمحروم بأنه قد يحرمه الناس بترك الاعطاء وقد يحرم نفسه بترك السؤال فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترك السؤال وإنما حرمه الغير وإذا لم يسأل فقد حرم نفسه ولم يحرمه الناس (وفي

الأرض آيات) أي دلالات بينات وجميع نيرات (للموقنين) الذين يتحققون توحيد الله وإنا خص الموقنين لأنهم ينظرون فيها فيحصل لهم العلم بموجبها وآيات الأرض ما فيها من انواع المعالقات من الجبال والبحار والنبات والاشجار كل ذلك دال على كمال قدرته وحكمته

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

(وفي انفسكم) أي وفي انفسكم ايضا آيات دلالات على وحدانيته (أفلا تبصرون) أي أفلا ترون انهم صرفة من حال إلى حال ومنقلة من صفة إلى أخرى إذ كنتم نطفة فصرتم احياء ثم كنتم اطفالا فصرتم شبابا ثم كهولا فهلا دللكم ذلك على ان لها صناعاتها ومديرا دبرها و صرفا صرفها على مقتضى الحكمة وقيل إن المراد بذلك اختلاف الألسنة والصور والالوان والطابع عن ابن عباس في رواية عطا وقيل يريد سبيل الخلا والبول والأكل والشرب من مدخل واحد والمخرج من سبيلين وتم الكلام عند قوله وفي انفسكم ثم عنهم فقال أفلا تبصرون وقيل يعني انه خلقك سميما بصيرا تغضب وترضى وتجوع وتشبع وذلك كله من آيات الله تعالى عن الصادق (ع) وقيل إن المعنى أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه (وفي السماء رزقكم) ينزله الله اليكم بأن يرسل الغيث والمطر عليكم فيخرج به من الأرض انواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به (وما توعدون) من الثواب والعقاب عن عطا. وقيل من الجنة والنار عن مجاهد والضحاك وقيل معناه وفي السماء تقدير رزقكم أي ما قسمه لكم مكتوب في ام الكتاب وجميع ما توعدون في السماء ايضا لأن الملائكة تنزل من السماء تقبض الأرواح ولاستسماخ الاعمال ولاينزال العذاب ويوم القيامة للجزاء والحساب كما قال ويوم تشقى السماء بالقلم وتنزل الملائكة تزيلا ثم قال سبحانه (فوب السماء والأرض انه خلق) أقسم سبحانه بنفسه ان ما ذكر من امر الرزق والآيات حق لا شك فيه عن الزجاج وقيل يعني أن ما قضى في الكتاب كائن عن الكلبي (مثل ما انكم تنطقون) أي مثل نطقكم الذي تنطقون به فكما لا تشكون فيما تنطقون فكذلك لا تشكروا في حصول ما وعدتم به شبه الله تعالى تحقق ما اخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ووجوده فأراد انه خلق كما ان الآدمي ناطق وهذا كما تقول انه خلق كما انك هاهنا وانه خلق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه وتحقق وجرده كالذي تعرفه ضرورة

قوله تعالى (٢٤) هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٥) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (٢٦) فرأغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٧) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٨) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (٢٩) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٣٠) قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (٣١) قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣٢) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٣) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٤) مسومة عند ربك للمسرفين (٣٥) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٦) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٧) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم اربع عشرة آية

اللغة

الروغ الذهاب إلى الشيء في خفية يقال راغ يروغ روفا وروغانا وهو اروغ من ثلب والصرة شدة الصياح وهو من صرير الباب ويقال للجماعة صرة ايضا قال امرؤ القيس

فألقننا بالهاديات ودونه جوارحها في صرة لم تزيل

والصك الضرب باعتاد شديد وهو ان تصتك ركبتا الرجل والعقيم العاقر واصل العقم الشد وجاء في الحديث تعقم اصلاب المشركين فلا يستطيعون السجود اي تشد ودا. عقام إذا اشتد حتى إذا بأس منه ان يبر. ومعاقم الفرس مفاصله يشد بعضها ببعض والعقيم والعقة ثياب معلمة أي شدت بها الأعلام وعقمت المرأة فهي معقومة وعقيم من نساء عقم وعقمت ايضا ورجل عقيم من قوم عقمى قال الشاعر

عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم

والريح العقيم التي لا تنشى السحاب للمطر والمالك عقيم يقطع الولادة لأن الاب يقتل الابن على الملك والحطاب الأمر الجليل ومنه الخطبة لأنها كلام بليغ لعقد امر جليل يستفتح بالتحميد والتمجيد والحطاب اجل من الإبلوغ

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه الوعد والوعيد عقب ذلك بذكر بشارة ابراهيم ومهلك قوم لوط تحويها للكفار أن يتزل بهم مثل ما تزل بأوتاك فقال (هل أتاك) يا محمد وهذا اللفظ يستعمل إذا أخبر الانسان بخبر ماض فيقال هل أتاك خبر كذا وإن علم انه لم يأت (حديث صيف ابراهيم المكرمين) عند الله وذلك انهم كانوا ملائكة كراما ونظيره قوله بل مباد مكرمون وقيل اكرمهم ابراهيم فرقم مجالسهم وخدمهم بنفسه عن مجاهد لأن اضياف الكرام مكرمون وكان ابراهيم اكرم الناس واطهرهم فتوة وساهم ضيفا من غير أن اكلوا من طعامه لأنهم دخلوا مدخل الاضياف واختلف في عددهم فقيل كانوا اثني عشر ملكا من ابن عباس ومقاتل وقيل كان جبرائيل ومعه سبعة املاك عن محمد بن كعب وقيل كانوا ثلاثة جبرائيل وميكائيل وملك آخر (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي حين دخلوا على ابراهيم فقالوا له على وجه التحية سلاما أي اسلم سلاما فقال لهم جوابا عن ذلك سلام وقرئ سلم وهذا مفسر في سورة هود (قوم منكرون) أي قال في نفسه هو لا. قوم لا نعرفهم وذلك انه ظنهم من الانس ولم يعرفهم عن ابن عباس والانكار نفي صحة الأمر ونقيضه الاقرار والاعتراف (فراغ إلى أهله) أي ذهب اليهم خفيا وإنما راغ مخافة ان يمتنعوا من تكلف ما كره كعادة الظرفاء. (فجاء بمعجل سجين) وكان مشويا لقوله في آية اخرى حينئذ قال قتادة و كان عامة مال ابراهيم (ع) البقر فقربه اليهم) ليأكلوا فلم يأكلوا فلما رأهم لا يأكلون عرض عليهم (فقال ألا تأكلون) وفي الكلام حذف كما ترى (فأوجس منهم خيفة) أي فلما امتنعوا من الاكل اوجس منهم خيفة والمعنى خاف منهم وظن انهم يريدون به سوءا (قالوا) أي قالت الملائكة (لا تخف) يا ابراهيم (وبشروه بفلام عليم) ان يكون عالما إذا كبر وبلغ والفلام المبشر به هو اسماعيل عن مجاهد وقيل هو اسحاق لأنه من سارة وهذه القصة لها عن اكثر المفسرين وهذا كله مفسر فيا مضي (فأقبلت امرأته في صرة) أي فلما سمعت البشارة امرأته سارة اقبلت في صرة عن ابن عباس ومجاهد و قتادة وقيل في جماعة عن الصادق «ع» وقيل في رقعة عن سفيان والمعنى اخذت تصيح وتولول كما قال قالت يا ويلتي (فصكت وجهها) أي جمعت اصابعها فضربت جبينها تعجبا عن مقاتل والكلبي وقيل اطمت وجهها عن ابن عباس والصك ضرب الشيء بالشيء العريض (وقالت عجوز عقيم) أي انا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك قال ربك) أي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدن غلاما فلا تشكي فيه (إنه هو الحكيم العليم) بخفايا الامور (قال ابراهيم «ع» لهم (فما خطبكم) أي فما شأنكم ولأني امر جنتم (ايها المرسلون) وكأنه قال قد جنتم لأمر عظيم فما هو (قالوا انا ارسلنا إلى قوم مجرمين) أي عاصين لله كافرين نعمه استحقوا العذاب والملاك واصل الجرم القطع فالمجرم القاطع للواجب بالباطل فهو لا. اجرموا بأن قطعوا الايمان بالكفر (انزل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك) هذا مفسر في سورة هود (للمسرفين) أي للمكثرين من المعاصي المتجاوزين الحد فيها وقيل ارسلت الحجارة

على الغائبين وقلبت القرية بالحاشرين (فأخرجنا من كان فيها) أي في قري قوم لوط (مسن المؤمنين) وذلك قوله فاسر باهلك الآية وذلك أن الله تعالى أمر لوطا بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين لئلا يصيبهم العذاب (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أي غير اهل بيت من المسلمين يعني لوطا وبنيه وصفهم الله بالإيمان والاسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم والإيمان هو التصديق بجميع ما أوجب الله التصديق به والاسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذي أوجبه الله والزمه ووجدان الضالة هو ادراكها بعد طلبها (وتركنا فيها) أي وأبقينا في مدينة قوم لوط (آية) أي علامة (للذين يخافون العذاب الأليم) أي تدلهم على أن الله اهلكهم فيخافون مثل عذابهم والترك في الأصل ضد الفعل ينافي الاخذ في محل القدرة عليه والقدرة عليه قدرة على الأخذ وعلى هذا فالترك غير داخل في افعال الله تعالى فالمعنى هنا أنا ابقينا فيها عبرة ومثله قوله وتركهم في ظلمات وقيل انه الانقلاب لان اقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى

قوله تعالى (٣٨) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطانٍ مبین (٣٩) فتولى برُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٤٠) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤١) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤٢) مَا تَذَرُونَ شَيْءًا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ (٤٣) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ لَمَّا نمتعوا حتى حين (٤٤) فقتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (٤٥) فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٦) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين نسع آيات

القراءة

قرأ الكسائي الصمقة والباقون الصاعقة بالالف وقرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم وقوم نوح بالجر والباقون قوم نوح بالنصب

الحجة

قال ابو علي قال ابو زيد الصاعقة التي تقع من السماء والصامقة التي تصقم الرؤوس وقال الاصمعي الصاعقة والصامقة سواء وانشد الاصمعي

يحكون بالمصقولة القواطع تشقق البرق من الصواعق
وأما الصمقة فليل انها مثل الزجرة وهو الصوت الذي يكون عن الصاعقة قال بعض الرجاز
لاح سحاب فرأينا برقه ثم تدانى فسمعنا صمقه

ومن جر قوم نوح حمله على قوله وفي موسى أي أي وفي قوم نوح وقوله وفي موسى إذ أرسلناه عطف على احد شيتين اما ان يكون على وتر كنا فيها آية وفي موسى أو على قوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي موسى أي وفي ارسال موسى آيات واضحة وفي قوم نوح آية ومن نصب فقال وقوم نوح جاز في نصبه أيضا امران كلاهما حمل على المعنى **احدهما** ان قوله اخذتهم الصاعقة يدل على اهلكناهم فكأنه قال واهلكنا قوم نوح **والآخر** ان قوله فأخذناه وجنوده فنبدناهم في اليم يدل على اغرقناهم فكأنه قال اغرقناهم وأغرقنا قوم نوح

اللمعة

الركن الجانب الذي يسمد عليه يقال ركن بركن وركن بركن أيضا مثل نصر بنصر والملم الذي

اتى بما يلام عليه والملوم الذي وقع به اللوم وفي المثل رب لائم مليم ورب ملوم لا ذنب له والعتو والتجبر والتكبر واحد وجمع الريح ارواح ورياح ومنه راح الرجل إلى منزله أي رجع كالريح والريمم الذي اتقى ربه بانتفاء ملائمة بعضه لبعض وأما ربه برمه وما والشيء مرموم أي مصلح بملائمة بعضه لبعض واصل الريمم السحيق البالي من العظم

المعنى

ثم بين سبحانه ما نزل بالاسم فقال (وفي موسى) أي وفي موسى ايضاً آية (إذ أرسلناه إلى فرعون بسليمان مبین) أي بجملة ظاهرة وهي العصا (فتولى بركته) أي فأعرض فرعون عن قبول الحق بما كان يتقوى به من جنده وقوله كالركن الذي يقوى به البيان والباء بي في قوله بركته للتعديدية ابه جعلهم يتولون (وقال) لموسى (ساحر أو مجنون) أي هو ساحر أو مجنون وفي ذلك دلالة على جهل فرعون لأن الساحر هو اللطيف الحيلة وذلك يتنافى صفة المجنون المختلط العقل فكيف بوصف شخص واحد بهاتين الصفتين (فأخذناه وجنوده فبذناهم في اليم) أي فطرحناهم في البحر كما بلقي الشيء في البر (وهو مليم) أي بما يلام عليه من الكفر والجحود والعتو (وفي عاد) عطف على ما تقدم أي وفي عاد ايضاً آية أي دلالة فيها عظة وعبرة (إذ أرسلنا عليهم) أي حين اطلقنا عليهم (الريح العقيم) وهي التي عقت عن أن تأتي بخير من تنشئ سحاب أو تلقح شجر أو تذرية طعام أو تقع حيوان فهي كالمرأة الممنوعة عن الولادة إذ هي ربيع الاهلاك ثم وصفها فقال (ما تذر من شيء) أنت عليه) أي لم تترك هذه الريح شيئاً تمر عليه (إلا جعلته كالريمم) أي كالشيء الهالك البالي وهو نبات الأرض إذا يبس ودبس وقيل الريمم العظم البالي السحيق (وفي ثمود) ايضاً آية (إذ قيل لهم تمتعوا) وذلك أنهم لما عقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا ثلاثة ايام وهو قوله (تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم) أي فخرجوا عن امر ربهم ترفها عنه واستكباراً (فأخذتهم الساعة) بعد مضي الأيام الثلاثة وهو الموت عن ابن عباس وقيل هو العذاب والساعة كل عذاب مهلك عن مقاتل (وهم يتظنون) اليها جهاراً لا بقدرور على دفعها (فما استطاعوا من قيام) أي من نهوض والمعنى أنهم لم ينهضوا من تلك السرعة (وما كانوا منتصرين) أي ممتنعين من العذاب وقيل معناه ما كانوا طالبين ناصرهم من عذاب الله (وقوم نوح) أي وأهلكنا قوم نوح من (قيل) أي من قبل عاد وثمود (إنهم كانوا قوماً فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله إلى معاصيه وعن الإيمان إلى الكفر فاستحقوا لذلك الإهلاك

قوله تعالى (٤٧) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٨) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٩) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٠) فَفَرِّقُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٢) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ (٥٣) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ (٥٤) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٥) وَذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ الَّذِي نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ قَوْمٌ طَآغُوتٌ (٥٦) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٧) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٨) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٩) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ (٦٠) قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة يحيى والاعمش ذو القوة المثين بالخفض

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى هذا يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون وصفا للقوة وذكرة على معنى الجبل يربد قوى الجبل كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴿ والآخر ﴾ أن يكون المراد الرفع وصفا للرزاق إلا أنه جاء على لفظ القوة لجوارها اياه على قولهم هذا حجر ضب غرب فهذا ضعيف

﴿ اللمة ﴾

الأيدي القوة يقال أد الرجل بأيد ايدا إذا اشتد وقوي والمويد الامر العظيم والابساع الاكثار من اذهاب الشيء في الجهات والماهد هو الموطى للشيء وهو المعبى لما يصلح الاستقرار عليه، يقال مهد مهد ومهدا ومهد تمهيدا مثل وطى توطئة والتواصي أن يوصي القوم بعضهم إلى بعض والوصية التقدمة في الامر بالأشياء المهمة مع التحي عن المخالفة واصل الذنوب الدلو المحتلى ماء يوثت وبذكر

قال لنا ذنوب ولكم ذنوب

فإن آيتم فلنا القلب

وقال علقمة

وفي كل حي قد خبطت بنعمة

فحق لشاس من نذاك ذنوب

﴿ المعنى ﴾

(والسما بيناها بأيد) تقديره وبيننا السما بيناها بقوة عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقنادة أي خلقناها ورفعتها على حسن نظامها (وإنا لموسعون) أي قادرون على خلق ما هو اعظم منها عن ابن عباس وقيل معناه وإنا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر عن الحسن وقيل معناه وإنا لذو سعة خلقنا أي قادرون على رزقهم لا نعجز عنه فالموسع ذو الوسع والسعة أي التقي والجدة (والأرض فرشناها) أي وفرشنا الأرض فرشناها أي بسطناها (فنم الماهدون) نحن إذ فعلنا ذلك للمنافع ومصالح العباد لا لجر نفع ولا لدفع ضرر (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أي وخلقنا من كل شيء صنفين مثل الليل والنهار والأرض والسما والشمس والقمر والجن والانس والبر والبحر والنور والظلمة عن الحسن ومجاهد وقيل الزوجين الذكر والانثى عن ابن زيد (لعلكم تذكرون) أي لكي تعلموا أن خالق الأزواج واحد فرد لا يشبهه شيء (ففروا إلى الله) أي فاهربوا من عقاب الله إلى رحمته وثوابه بإخلاص العبادة له وقيل ففروا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما أمركم به وقيل معناه حجوا عن الصادق «ع» (اني لكم منه) أي من الله (نذير) مخوف من عقابه (مبين) لكم ما ارسلت به (ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) أي لا تعبدوا معه معبودا آخر من الاصنام والأوثان (اني لكم منه نذير مبين) والوجه في تكريره أن الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول إذ تقديره اني لكم منه نذير في الامتناع من جعل إله آخر معه وتقدير الأول اني لكم منه نذير في ترك الفرار اليه بطاعته فهو كقولك انذرك أن تكفر بالله انذرك أن تتعرض لسخط الله والنذير المخبر بما يحذر منه وهو يقتضي المبالغة والمنذر صفة جاربة على الفعل والمبين الذي يأتي ببيان الحق من الباطل ثم قال (كذلك) أي الأمر كذلك وهو انه (ما اتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) أي لم يأت الذين من قبلهم بمشي كفار مكة من الامم رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أو مجنون أو مجنون به جنون فهو مغفل على عقله بما لا يتوجه للادراك به ثم قال سبحانه (اتواصوا به) أي أوصي أولهم آخروهم بالكذب والاستبهاج للتوبيخ (بل هم قوم طاغون) معناه لم يتواصوا بذلك لكنهم طاغون

طفوا في معصية الله وحملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيب أنبيائي ثم قول النبي ﷺ
 (قول عنهم) أي فأعرض عنهم يا محمد فقد بلغت وأندرت وهو قوله (فأنت بلوم) أي في كفرهم وجمودهم
 بل اللائمة والذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوم اليه قال المفسر لما نزلت هذه الآية حزن رسول
 الله ﷺ والمؤمنون وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حل حتى نزلت الآية الثانية وروي
 بالإسناد عن مجاهد قال خرج علي بن ابي طالب (ع) مفتاً مشتتاً في قبصه فقال لما نزلت قول عنهم
 فأنت بلوم لم يبق أحد منا إلا أيقن بالهلكة حين قيل للنبي ﷺ قول عنهم فلما نزل (وذ كرفلون
 الذكرى تنفع المؤمنين) طابت نفوسنا ومعناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم عن
 الكلبي (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أي لم أخلق الجن والانس إلا لعبادتي والمعنى لعبادتهم
 اياي عن الربيع فإذا عبدوني استحقوا الثواب وقيل إلا لآمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة عن مجاهد
 واللام لام الفرض والمراد ان الفرض في خلقهم تعريضهم للثواب وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات فصار
 كأنه سبحانه خلقهم للعبادة ثم انه إذا لم يعبده قوم لم يطل الفرض ويكون كمن هياطام القوم ودعاهم لياكوه
 فحضروا ولم يأكله بعضهم فإنه لا ينسب إلى السفة ويصح غرضه فإن الأشكل موقوف على اختيار الغير وكذلك
 المسألة فإن الله إذا أراح عطل المكلفين من القدرة والآلة والالطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتى من
 قبل نفسه لا من قبله سبحانه وقيل معناه إلا ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً عن ابن عباس (ما أريد منهم من
 رزق وما أريد أن يطعمون) هذانفي الإيهام عن خلقهم لعبادته ان يكون ذلك لفائدة نفع يعود عليه تعالى
 فيبين انه لفائدة النفع على الخلق دونه تعالى لاستحالة النفع عليه لأنه غني لنفسه فلا يحتاج إلى غيره وكل الخلق
 يحتاج اليه وقيل معناه ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم وما أريد ان يطعموا أحداً
 من خلقي وإنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال احد فقد أطعمه (ان
 الله هو الرزاق) لعباده والمخلوق كلهم فلا يحتاج إلى معين (ذو القوة) أي ذو القدرة (المتين) أي القوي
 الذي يستحيل عليه العجز والضعف إذ هو القادر لنفسه يقال متن متانة فهو متين إذا قوي (فإن للذين ظلموا)
 أنفسهم بالكفر والمعاصي (ذنوباً مثل ذنوب اصحابهم) أي نصيباً من العذاب مثل نصيب اصحابهم الذين
 هلكوا نحو قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) بل نزال العذاب عليهم فإنهم لا يفوتون (فويل للذين
 كفروا من يومهم الذي يوعدون) هذا يدل على انه اخروا إلى يوم القيامة والويل كلمة تقولها العرب لكل
 من وقع في الهلكة

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله والساء بنيناها بأيد بما قبله هو انه في قوم نوح آية وفي الساء ايضاً آية فهو متصل به في المعنى



سورة الطور (مكية)

* عدد آياتها *

تسع واربعون آية كوفي شامي وثمان بصري وسبع حجازي

* اختلافها *

آيتان والطور عراقي شامي دعا كوفي شامي

* فضلها *

ابي بن كعب عن النبي ﷺ انه قال ومن قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب وروى محمد ابن هشام عن ابي جعفر «ع» قال من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والآخرة

* تفسيرها *

لما ختم الله سورة الذاريات بالوعيد افتتح هذه السورة بوقوع الوعيد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) وَالطُّورِ (٢) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٣) فِي رَقٍ مَنشُورٍ (٤) وَاللَّيْلِ الْمَعْمُورِ (٥) وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ (٦) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٨) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٩) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (١٠) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١١) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا (١٢) أَلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٣) يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٤) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (١٥) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٦) أَصَلَوْهَا فَأَصْبَرُوا أَوْ لَا نَصِيرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

ست عشرة آية

* اللفظة *

قال المبرد يقال لكل جبل طور فإذا دخلت الألف واللام للمعرفة فهو لشيء بعينه والرق جلد يكتب فيه واصله من اللمعان يقال ترقرق الشيء إذا لمع والرقراق ترقرق السراب والمسجور المملوء يقال سجرت النور أي ملأها نارا وعين سجرا ممتلئة فيها حمرة كأنها احمرت بما هو حولها كالسجار للنور قال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلاهما

والمور تردد الشيء بالذهاب والمجي كما يتردد الدخان ثم يضمحل ما يبور موراً فهو ماير وروى بيت الأعمش

كان مشيتها من بيت جارقتها مور السحابة لاريث ولا عجل

وقيل مر السحابة والغوض الدخول في الماء بالقدم وشبه به الدخول في القول والدع الدفع يقال دعه

يدعه دعاوصكه بصكه صكا مثله

❁ الإعراب ❁

والطور الواو للقسم وما بعده عطف عليه والعامل في قوله يوم تمور السماء موراً قوله واقع اي يقع في ذلك اليوم ويمحوز ان يكون يوم هاهنا على تقدير اذا ويكون العامل فيه جوابه وهو الفاء وما بعده من قوله فويل يومئذ للمكذبين كما جاء ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون وقوله ويوم يدعون بدل من قوله يوم تمور السماء وان شئت كان التقدير فيه يوم يدعون إلى نار جهنم دعا يقال لهم هذه النار التي كتتم بها تكذبون فيعمل فيه يقال . أفسح هذا مبتدأ وخبر أم أنتم أي بل أنتم لا تبصرون

❁ المعنى ❁

(والطور) أقسم الله سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى (ع) بالأرض المقدسة عن الجبائي وجماعة من المفسرين وقيل هو الجبل أقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه عن مجاهد والكليبي (وكتاب مسطور) أي مكتوب وهو الكتاب الذي كتبه الله للملائكة في السماء يقروون فيه ما كان وما يكون وقيل هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وهو الرق المنشور وقيل هو صحائف الأعمال التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة فمنهم آخذ كتابه ببينه وآخذ بشاله وهذا كقوله ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً عن الفراء وقيل هو التوراة كتبها الله لموسى فخص الطور بالذكر لبركتها وكثرة منافعها في الدنيا وذكر الكتاب لعظم موقعها من الدين عن الكليبي وقيل انه القرآن يكتبه المؤمنون (في رق منشور) أي وينشرونه لقراءته والرق ما يكتب فيه وقيل الرق هو الورق عن أبي عبيدة وقيل انا ذكر الرق لأنه من أحسن ما يكتب فيه وإذا كتبت الحكمة فيما هو علي هذه الصفة كان أبهى والمنشور المبسوط (والبيت المعمور) وهو بيت في السماء الرابعة يجال الكعبة نمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة عن ابن عباس ومجاهد وروي أيضاً عن أمير المؤمنين (ع) قال ويدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون إليه أبداً وروي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال البيت المعمور في السماء الدنيا وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل كل يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكاً بومرود ان بوتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيفعلون ثم لا يعودون إليه أبداً وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ البيت الذي في السماء الدنيا يقال له الضراح وهو بفناء البيت الحرام لو سقط سقط عليه يدخله كل يوم الف ملك لا يعودون إليه أبداً وقيل البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام معمور بالحج والعمرة عن الحسن وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض (والسقف المرفوع) هو السماء عن علي (ع) ومجاهد وقنادة وابن زيد قالوا هي كالسقف للأرض رفها الله (والبحر المسجور) أي المملوء عن قنادة وقيل هو الموقد المحمي بمنزلة التنور عن مجاهد والضحاك والاختفش وابن زيد ثم قيل انه تسمى البحار يوم القيامة فتجمل نيراناً ثم تعجر بعضها في بعض ثم تفجر إلى النار وروى به الحديث (ان عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم أقسم الله بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم القدرة على ان تعذيب المشركين حق واقع لا محالة (ماله من دافع) يدفع عنهم ذلك العذاب ثم بين سبحانه انه متى يقع فقال (يوم تمور السماء موراً) أي تدور دورانا وتضطرب وتموج وتنحرك وتستدبر كل هذه من عبارات

المفسرين (وتسير الجبال سيراً) أي تسير الجبال ونزول من أما كنها حتى تسوي الأرض (فويل يومئذ للكافرين) دخلت الغاء لأن في الكلام معنى المجازاة والتقدير إذا كان هذا فويل لمن يكذب الله ورسوله (الذين هم في خوض) أي في حديث باطل يخوضون وهو الحديث الذي كان يخوض فيه الكفار من انكار البعث وتكذيب النبي ﷺ (يلعبون) يلعبون بذكره (يوم يدعون) أي يدفعون (إلى نار جهنم دعا) أي دفعا بمنف وجفوة قل مقاتل هو ان تفل ايديهم إلى اعناقهم وتجمع نواصبهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعا على وجوههم حتى إذا دنوا قال لهم خزنتها (هذه النار التي كُتبت بها تكذبون) في الدنيا ثم يخوفهم لما عابنوا بما كانوا يكذبون به وهو قوله (افسح هذا) الذي ترون انتم (ام انتم لا تبصرون) وذلك انهم كانوا ينسبون محمداً ﷺ إلى السحر وإلى انه يغطي على الابصار بالسحر فلما شاهدوا ما وعدوا به من العذاب وبخوا بهذا ثم يقال لهم (اصلوها) اي قاسوا شدتها (فاصبروا) على العذاب (او لا تصبروا) عليه (سواء عليكم) الصبر والجزع (إنما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا من المعاصي بكفركم وتكذيبكم الرسول

قوله تعالى (١٧) **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ** (١٨) **فَنُكَبِينَ بِمَا أَنَّهُمْ رَبَّهُمْ وَقَاهُمْ رَبَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** (١٩) **كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** (٢٠) **مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ** (٢٠) **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ** (٢٢) **وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهَيِّهِمْ وَلَحْمٍ مِثْلَ بَشْتَهْوَى (٢٣) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعَوْ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ (٢٤) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُهُمْ مَكْنُونٌ (٢٥) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٦) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٧) فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السُّمُومِ (٢٨) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** اثنتا عشرة آية

﴿ القراءات ﴾

قرأ ابو عمرو واتبناهم بالنون والالف وقطع الهمة ذرياتهم بالالف وكسر التاء الحقايم بهم ذرياتهم كذلك وقرأ اهل المدينة واتبعتهم بالتاء ووصل الهمة ذريتهم بالرفع والحقايم بهم ذرياتهم على الجمع وقرأ ابن كثير واهل الكوفة واتبعتهم ذريتهم الحقايم بهم ذريتهم كذلك وقرأ ابن عامر وبعقوب وسهل اتبعتم ذرياتهم جمع الحقايم بهم ذرياتهم ايضا وقرأ ابن كثير وما التناهم بكسر اللام والباقون التناهم بفتح اللام وقرأ اهل المدينة والكسائي أنه هو البر الرحيم بالفتح والباقون انه بالكسر وفي الشواذ قراءة عبد الله وابراهيم وزوجناهم بعين عين وقراءة الاعرج وما التناهم على افعالهم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الذرية تقع على الصغير والكبير فالأول نحو قوله ذرية طيبة والثاني نحو قوله ومن ذريته داود وسليمان لأن حملت الذرية في الآية على الصغار كان قوله بإيمان في موضع نصب على الحال من

المفعولين اي ائمتهم بايمان من الآباء ذريتهم الحقنا الذرية بهم في احكام الاسلام فجعلناهم في حكمهم في انهم يرثون ويورثون ويدفنون في مقابر المسلمين وحكمهم حكم الآباء في احكامهم إلا فيما كان موضوعا عن الصغير لصغره وان جملة الذرية للكفار كان قوله بايمان حالا من الفاعلين الذين هم ذريتهم اي الحقنا بهم ذريتهم في احكام الدنيا والثواب في الآخرة وما التناهم من عملهم أي من جزاء عملهم من شيء كما قال فلا نظلم نفس شيئا وكما قل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضا ومن قرأ ذريتهم فأفرد فلأن الذرية تقع على الكثرة فاستغنى بذلك عن جمعه وكذا القول في بهم ذريتهم في انه افرد ذريتهم والحق التاء في ائمتهم لتأنيث الاسم ومن جمعه فلأن المجموع قد يجمع نحو اقوام وطرقا وفي الحديث انكن صواحب يوسف ومن قرأ التناهم بكسر اللام فيشبه أن يكون فلنائة كما قالوا تقم ينقم ونقم ينقم ومن قرأ ندعوه انه بالفتح فالمعنى لأنه هو البر الرحيم ومن كسر قطع الكلام عما قبله واستأنف قال ابن جني المرأة العيساء البيضاء ومثله جل عيس وناقاة عيساء قال كأنها البكرة العيساء ويقال أنه يألته التا وآلته يولته ايلانا ولانه يلبته ليتا وولته يلته ولنا اي نقصه قال الخطيب

ابنك لذيك بني سعد مغلفة جهد الرسالة لا التا ولا كذبا

المعنى

لما تقدم وعبد الكفار عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال (إن المتقين) الذين يمتثلون معاصي الله خوفا من عقابه (في جنات) اي في مسانيف تجنيها الاشجار (ونعيم) أي وفي نعيم (فاكفين بما آتاهم ربهم) اي منميين بما اعطاهم ربهم من انواع النعيم وقبل فاكفين معجبين بما آتاهم ربهم عن الزجاج والفراء (ووقبهم) اي وحرف عنهم (ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا) اي يقال لهم كلوا واشربوا (هنيئا بما كنتم تعملون) اكلا وشربا هنيئا مأمون العاقبة من التخرة والسقم ثم ذكر حالهم في الأكل والشرب فقال (متكئين على سرر مصفوفة) والسرر جمع سرير والمصفوفة المصطفة الموصول بعضها ببعض وقيل إن في الكلام حذف تقديره متكئين على غمارق موضوعة على سرر لكنه حذف لأن اللفظ يدل عليه من حيث أن الانكاء جلسة راحة ودعة ولا يكون ذلك إلا على الوسائد والنارق (وزوجناهم بحور عين) فالحور البيض النقيات في حسن وكمال والعين الواسعات الاعين في صفاء وبهاء ومعناه قرنا هو لا المتقين بحور عين على وجه التمتع لهم والتنعيم وعن زيد بن ارقم قال جاء رجل من اهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال يا أبا القاسم تزعم أن اهل الجنة يأكلون ويشربون فقال والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليؤتى قوة مائة رجل على الأكل والشرب والجماع قال فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عرق يفيض مثل ربيع المسك فإذا كان ذلك ضمير بطنه (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقناهم ذريتهم) يعني بالذرية اولادهم الصغار والكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بايمان منهم والصغار يتبعون الآباء بايمان من الآباء فالولد يحكمه بالاسلام تبعاً لوالده واتبع بمعنى تبع ومن قرأ واتبعتهم فهو منقول من تبع ويتعدى إلى المفعولين وقيل الا اتباع الحاق الثاني بالأول في معنى يكون الأول عليه لأنه لو الحاق به من غير أن يكون في معنى هو عليه لم يكن اتباعا وكان إلقا والمعنى أنا نلحق الأول بالآباء في الجنة والدرجة من اجل ايمان الآباء لتقر أعين الآباء باجتاعهم معهم في الجنة كما كانت تقر بهم في الدنيا عن ابن عباس والضحاك

وابن زيد وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنهم البالغون الحقوا بدرجات آبائهم وإن قصرت أعمالهم تكرمه
 لأبائهم فإن قيل كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقوه فالجواب أنهم يلحقون بهم في الجمع لا في
 الثواب والمرتبة وروى زاذان عن علي (ع) قال قال رسول الله ﷺ إن المؤمنين وأولادهم في الجنة
 ثم قرأ هذه الآية وروي عن الصادق قال أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة (وما التناهم من
 عملهم من شيء) أي لم تنقص الآباء من الثواب حين الحفنا بهم ذرياتهم عن ابن عباس ومجاهد وتم الكلام
 ثم ذكر سبحانه أهل النار فقال (كل امرئ بما كسب رهين) أي كل امرئ كافر مرتين في النار بما كسب
 أي عمل من الشرك عن مقاتل والمؤمن من من لا يكون مرتين لقوله كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب
 اليمين فاستثنى المؤمنين وقيل معناه كل إنسان معامل بما يستحقه ويجازى بحسب ما عمله إن عمل طاعة أثيب وإن
 عمل معصية عوقب ولا يؤخذ أحد بذنب غيره ثم ذكر سبحانه ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال (وأمددناهم
 بغاكة) أي أعطيناهم حالا بعد حال فإن الأمداد هو الاتيان بالشيء بعد الشيء والغاكة جنس الثمار
 (ولحم مما يشتهون) أي وأعطيناهم وأمددناهم بلحم من الجنس الذي يشتهونه (يتنازعون فيها كأسا) أي
 يتعاطون كأس الخمر ثم وصف الكأس فقال (لا لغو فيها ولا تأثيم) أي لا يجري بينهم باطل لأن اللغو
 ما يلفى ولا ما فيه أثم كما يجري في الدنيا بين شرب الخمر والتأثيم فعمل من الأثم يقال أثمه إذا جعله ذا أثم
 يعني أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين وقيل معناه لا يتسايون عليها ولا يؤثم بعضهم بعضا عن مجاهد
 (ويطوف عليهم) للخدمة (غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) في الحسن والصباحة والصفاء والبياض والمكنون
 المصون المخزون وقيل أنه ليس على الغلمان مشقة في خدمة أهل الجنة بل لهم في ذلك اللذة والسرور إذ ليست
 تلك الدار دار محنة وذكر عن الحسن أنه قال قيل يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدم فقال والذي
 نفسي بيده إن فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وأقبل بعضهم على
 بعض يتسائلون) أي يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا عن ابن عباس وهو قوله
 (قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) أي خائفين في دار الدنيا من العذاب (فمن الله علينا ووقينا عذاب
 السموم) أي عذاب جهنم والسموم من أسماء جهنم عن الحسن وقيل إن المعنى يسأل بعضهم بعضا عما فعلوه
 في الدنيا فاستحقوا به المصير إلى الثواب والكون في الجنان فيقولون إنا كنا في دار التكليف مشفقين أي خائفين
 رقبتي القلب فإن الأشفاق رقة القلب مما يكون من الخوف على الشيء والشفقة تقبض الغلظة وأصله الضعف من قولهم
 ثوب شفق أي ضعيف النسج ومنه الشفق للحمرة عند غروب الشمس لأنها حمرة ضميقة وقوله في أهلنا مشفقين
 يريد فيمن يختص به ممن هو أولى بنا والأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو أولى به والسموم الحر الذي
 يدخل في مسام البدن يتألم به وأصله من السم الذي هو مخرج النفس فكل خرق سم أو من السم الذي
 يقتل قال الزجاج يريد عذاب سموم جهنم وهو ما يوجد من لفحها وحرها (إنا كنا من قبل) أي في الدنيا
 (ندعوه) أي ندعو الله تعالى ونوحده ونعبده (أنه هو البر) أي اللطيف وأصله اللطف مع عظم الشأن ومنه
 البرة للطفها مع عظم النفع بها وقيل البر الصادق فيما وعده (الرحيم) بعباده

قوله تعالى (٢٩) فَذَكَرَ فَمَا أَنْتَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٣٠) أَمْ يَقُولُونَ
 شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّنَا أَلَمْ نَنْبَأْ بِكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٣١) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ (٣٢) أَمْ

تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٣) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا بُؤْمِنُونَ
 (٣٤) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٥) أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ
 الْخَالِقُونَ (٣٦) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٧) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
 رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ (٣٨) أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ بَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ
 مُبِينٍ (٣٩) أَمْ لَهُ الْآبَتْ وَرَبُّكُمْ الْآبُونَ (٤٠) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَفْرَمٍ مَثْقَلُونَ
 اثنتا عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير المسيطرون بالسين و في الفاشية بصيطر بالصاد وقرأ ابن عامر كليهما بالسين وقرأ أبو شام
 الراء فيها حمزة إلا العجلي فإنه قرأ بالصاد فيها وقرأ الباقر بالصاد فيها

﴿ الحجة ﴾

قال أبو صيدة المسيطرون الأرباب يقال تسيطرت علي اتخذتني خولا والاصل السين وكل سين بعده
 طاء يجوز أن تقلب صاداً تقول صطر واطر وقد مر بيانه في سورة الفاتحة

﴿ اللفظة ﴾

الكاهن الذي يذكر انه يخبر عن الحق على طريق العزائم والكهانة صنعة الكاهن والمنون المنية وريبها
 الحوادث التي تريب عند مجيئها قال

تربص بهاريب المنون لعلها سيهلك عنها بعلمها أو مسيجنح

والتربص الانتظار بالشيء من انقلاب حال له إلى خلافها والاحلام جمع الحلم وهو الإهمال الذي
 يدعو اليه العقل والحكمة والمسيطر الملزم غيره أمراً من الأمور قهراً مأخوذ من السطر والنتقل المحمول عليه
 ما يشق حمله

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (فذكر) يا محمد أي ففظ هو لاء المكلفين ولا تترك دعوتهم وان
 اساءوا قولهم فيك (فما أنت بنعمت ربك) أي بإنعام ربك عليك بالنبوة وهذا قسم (بكاهن) وهو الذي
 يوم انه يعلم التيب بطريق خدمة الجن (ولا مجنون) وهو الموقوف بما يغطي على عقله وقد علم الكفار انه
 ليس بكاهن ولا مجنون لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء
 إلى التكذيب على اعدائهم (ام يقولون) أي بل يقولون (هو شاعر تربص به ريب المنون) أي تنتظر به
 حدثان الموت وحوادث الدهر فهلك كما هلك من تقدم من الشعراء والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى
 المنية وام هذه المقطعة بمعنى الترتك والتحول كقول علقمة

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ تأتلك اليوم مصروم
 فكانه قال حبلها مصروم لأن بعده قوله

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الاحبة يوم البين مشكوم
ثم قال سبحانه (قل) لهم يا محمد (تربصوا فإني معكم من المتربصين) أي انكم ان تربصتم في حوادث
الدهر فإني منتظر مثل ذلك بكم وتربص الكفار بالنبي ﷺ والمؤمنين قبيح وتربص النبي ﷺ
والمؤمنين بالكفار وتوقعهم هلاكهم حسن وقوله فتربصوا وان كان بصيغة الأمر فالمراد به التهديد (أم تأمرهم
أحلامهم بهذا) أي بل تأمرهم عقولهم بما يقولونه لك وتربصونه بك قال المفسرون كانت عطاء قريش
توصف بالأحلام والمعقول فأزرى الله سبحانه بعقولهم حيث لم تشر لهم معرفة الحق من الباطل ثم اخبر
سبحانه عن طغيانهم فقال (أم هم قوم طاغون) وقرأ مجاهد بل هم قوم طاغون وبل في المعنى قريبة من ام
هنا إلا ان ما بعد بل متيقن وما بعد ام مشكوك فيه والمعنى ان عقولهم لم تأمرهم بهذا ولم تدعهم اليه بل
حلهم الطغيان على تكذيبك (أم يقولون تقوله) أي اختل القرآن وتكذبه من تلقاء نفسه والتقول تكلف
القول ولا يقال ذلك إلا في الكذب (بل لا يؤمنون) أي ليس الأمر كما زعموا بل ثبت انه من عند الله
ولكنهم لا يصدقون بذلك عنادا وحسدا واستكبارا ثم الزمهم سبحانه الحججة وتحسدهم قتل (فليأتوا بحديث
مثله) أي مثل القرآن وما يقاربه في نظمه وفصاحته وحسن بيانه وبراعته (ان كانوا صادقين) في انه تقوله
محمد ﷺ فإذا لم يقدروا على الأتيان بمثله فليعلموا ان محمدا ﷺ لم يتقوله من تلقاء نفسه بل هو من
عند الله تعالى ثم احتج عليهم بابتداء الخلق فقال (أم خلقوا من غير شيء) أي أم خلقوا لغير شيء أي أخلقوا باطلا
لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ونحو هذا عن الزجاج وقيل معناه أم خلقوا عبثا وثر كوا سدى عن ابن
كيسان وهذا في المعنى مثل الأول وقيل معناه أخلقوا من غير خالق ومدبر دبرهم (أم هم الخالقون) أنفسهم
فلا يجب عليهم لله امر عن ابن عباس (أم خلقوا السموات والارض) واختراعهما فلذلك لا يقرون بالله وبأنه
خالقهم (بل لا يوقنون) بأن لهم إلها يستحق العبادة وحده وانك نبي من جهة الله (أم عندهم خزائن ربك)
أي بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا عن مقاتل وعكرمة وقيل أراد خزائن المطر والرزق
عن الكلبي وابن عباس وقيل خزائنه مقدوراته فلا يأتيهم إلا ما يحبون عن الجبائي (أم هم المسيطرون) أي
الأرباب المسلطون على الناس فليس عليهم مسيطر ولا لهم ملزم ومقوم وقيل معناه أم هم المالكون الناس
القاهرون لهم عن الجبائي (أم لهم سلم) أي مرتقى ومصعد إلى السماء (يستمعون فيه) الوحي من السماء فقد
وثقوا بما هم عليه وردوا ما سواه (فليأت مستمعهم بسطان مبین) أي بحجة ظاهرة واضحة ان ادعى ذلك
والتقدير يستمعون عليه فهو كقوله ولأصلبكم في جذوع النخل وانما قبل لهم ذلك لأن كل من بدعي مالا يعلم
ببداية العقول فله اقامة البينة والحجة (أم له البينات ولكم البنون) وهذا تسفيه لأحلامهم إذ أضافوا إلى
الله سبحانه ما أنفوا منه وهذا غاية في جهالهم إذ جوزوا عليه سبحانه الولد ثم ادعوا انه اختار الأدون على
الأعلى (أم تستأجروا اجرا) أي ثوابا على اداء الرسالة وعلى ما جئتم به من الدين والشريعة (فهم من مغرم
مثقلون) أنقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم فمنهم ذلك عن الإيمان بك

قوله تعالى (٤١) أم عندهم الغيب فهم يكتبون (٤٢) أم يريدون كيدا فالذين
كفروا هم المكيدون (٤٣) أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون (٤٤) وإن

يَرَوْنَ كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٥) فَذَرْنَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٦) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٧) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٨) وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ

نسع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء والباقرن بفتحها وقرأ زيد من يعقوب وإدبار النجوم بفتح الألف والباقرن بكسرهما

﴿ الحجة ﴾

يقال صعق الرجل يصعق ومن قرأ يصعقون بضم الياء فإنه على نقل الفعل بالهمزة صعقهم واصعقهم غيرهم وحكى أبو الحسن صعق فعلى هذا يجوز أن يكون يصعقون منه ومن قرأ وإدبار النجوم فإنه يكون كقولهم اعقاب النجوم قال

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح في اعقاب نجم مغرب

﴿ اللمة ﴾

الكيد هو المكرو وقيل هو فعل ما يوجب الفيظ في خفية والكسف جمع كسفة فهو مثل سدره وسدر والكسفة القطعة من التيم بقدر ما يكسف ضره الشمس والمركوم هو الموضوع بعضه على بعض

(المعنى)

ثم قال سبحانه (أم عندهم النيب فهم يكتبون) أي عندهم النيب حتى علموا أن محمدا ﷺ يوت قبلهم وهذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون عن قتادة وقيل عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ويخبرون به الناس عن ابن عباس وقيل هو جواب لقولهم ان كان أمر الآخرة حقا كما تدعون فلنا الجنة ومثله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى عن الحسن والنيب الذي لا يعلمه إلا الله هو ما لا يعلمه العاقل ضرورة ولا عليه دلالة فإنه عالم به لأنه يعلمه نفسه والعالم بنفسه يعلم جميع المعلومات فلا يخفى عليه شيء منها (أم يريدون كيدا) أي مكرا بك وتدبير سرور في بابك سرا على ما دبروه في دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) أي هم المجربون بكيدهم فإن ضرر ذلك يعود عليهم ويحيت بهم مكربهم كما جرى الله سبحانه أهل دار الندوة بكيدهم أن قتلهم بيدد (أم لهم إله غير الله) يرزقهم ويحفظهم وينصرهم يعني ان الذين اتخذوهم آلهة لانفهمهم ولا تدفع منهم ثم نزه سبحانه نفسه فقال (سبحانه الله عما يشركون) به من الآلهة ثم ذكر سبحانه منادهم وقوة قلوبهم فقال (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) يعني ان عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لن ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب وهو قوله (يقرأوا سحابا مركوما) بعضه على بعض وكل هذه الامور المذكورة بعد ام في هذه السورة الزامات لعدة الأوثان على مخالفة القرآن ثم قال سبحانه يخاطب النبي ﷺ (فذرهم) يا محمد أي اتركهم (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أي يهلكون بوقوع الصاعقة عليهم وقيل الصعقة النفخة الاولى التي يهلك عندها جميع الخلائق ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا) أي لا تنفعهم حيلتهم ولا تدفع عنهم شيئا (ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) يعني

كفار مكة (عذابا دون ذلك) اي دون عذاب الآخرة يعني القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل يريد عذاب القبر عن ابن عباس ايضا والبراء بن عازب وقيل هو الخوف في الدنيا والقحط سبع سنين عن مجاهد وقيل هو مصائب الدنيا عن ابن زيد وقيل هو عام جميع ذلك (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ما هو نازل بهم (واصبر) يا محمد (لحكم ربك) الذي حكم به والزمك التسليم له الى ان يقع عليهم العذاب الذي حكمنا عليهم وقيل واصبر على اذاهم حتى يرد امر الله عليك بتخليصك (فإذك باعيننا) اي برأى منا ندرتك ولا يخفى علينا شي من أمرك ونحفظك لئلا يصابوا الى شي من أمرك ونحفظك لئلا يصلوا الى شي من مكروهك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من نومك عن ابي الاحوص وقيل حين قوم الى الصلاة المفروضة فقل سبحانك اللهم وبحمدك عن الضحاك وقيل معناه وصل بأمر ربك حين تقوم من مقامك عن ابن زيد وقيل الركعتان قبل صلاة الفجر عن ابن عباس والحسن وقيل حين تقوم من نوم القائلة وهي صلاة الظهر عن زيد بن اسلم وقيل حين تقوم من المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك لا إله الا انت اغفر لي وتب علي عمن عطا وسعيد بن جبير وقد روي مرفوعا انه كفارة المجلس وقيل معناه اذكر الله بلسانك حين تقوم الى الصلاة الى ان تدخل في الصلاة عن الكلبي فهذه سبعة اقوال (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة الليل وروى زرارة وحمزان ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) في هذه الآية قالوا ان رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل ثلاث مرات فينظر في آفاق السماء ويقرأ الحس من آل عمران التي آخرها انك لا تحلف الميعاد ثم يفتتح صلاة الليل الحبر بتمامه وقيل معناه صل المغرب والعشاء الآخرة عمن مقاتل وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح وقيل يعني صلاة الفجر المفروضة عن الضحاك وقيل إن المعنى لا تغفل عن ذكر ربك صباحا ومساء ونزوه في جميع احوالك ليلا نهارا فإنه لا ينفل عنك وعن حفظك وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه قد ضمن حفظه وكلامه حتى يبلغ رسالته

(سورة النجم مكة)

المعدل عن ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت بالمدينة الذين يجتنبون كبائر الأنثم والفواحش الآية ومن الحسن قال هي مدنية

(عدد آياتها) -

اثنتان وستون آية كوفي وآية في الباقيين

✽ اختلافها ✽

ثلاث آيات من الحق شيئا كوفي عمن تولى شامي الحياة الدنيا غير شامي

✽ فضائها ✽

ابن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة النجم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد مسن صدق محمد ﷺ ومن حمد به يزيد بن خليفة عن ابي عبد الله (ع) قال من كان يدمن قراءة والنجم في كل يوم او في كل ليلة عاش محمودا بين الناس وكان مفقودا وكان محبيا بين الناس

﴿ تفسيرها ﴾

افتتح الله سبحانه هذه السورة بذكر النبي ﷺ كما ختم بذكر سورة الطور حتى اتصلت بها اتصال النظير بالنظر فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (٢) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٣) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٤) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٥) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٦) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٧) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٨) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٩) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (١٠) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ

عشر آيات

« القراءة »

امال حمزة والكسائي وخلف اواخر آيات هذه السورة كلها وجميع اشباهها وقرأ أهل المدينة وابو عمرو بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وكذلك كل سورة آياتها على الياء مثل سورة طه و الشمس وضحاها والليل إذا يغشى والضحى وأشباهها وكل ما كان على وزن فعلى أو فعلى أو فعلى في جميع القرآن فلون أبا عمرو يقرأوها بين الفتح والكسر أيضا في رواية شجاع وأكثر الروايات عن يزيد والباقرن يفتحون ويفخمون وابن كثير وعاصم أشد تفخما في ذلك كله

﴿ الحجة ﴾

اما ترك الامالة والتنظيم للألف فهو قول كثير من الناس والامالة أيضا قول كثير منهم فمن ترك كان مصيبا ومن أخذ بها كان مصيبا

﴿ اللفظة ﴾

الهوى والترزول والسقوط نظائر هوى بهوى هوى أو هوى أو هوى كما قال الهذلي

وإذا رميت به الفجاج رأيت هوى مخارمها هوى الاجدل

ومنه سميت الهاربة لأنها تهوي بأهلها من أعلاها إلى أسفلها والغي الحية ومنه النواية والرحي القاء المعنى إلى النفس في خفية إلا انه صار كالم فيا يلقيه الملك إلى النبي من البشر عن الله تعالى ومنه قوله وأوحى ربك إلى النحل أي أمها مراردها والقوة القدرة وأصل الشدة وأصل المرة شدة الفتل ثم تجري المرة على القدرة فالمرة والقوة والشدة نظائر والأفق ناحية السماء وجمه آفاق وقد سمي نولحي الأرض آفاقا على التشبيه قال الشاعر في المعنى الأول

أخذنا بأفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

وقال امرؤ القيس في المعنى الثاني

لقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

والتبدي الامتداد إلى جهة السفلى يقال دلاء صاحبه فتدلى والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن مقدار الشيء

﴿ الإعراب ﴾

وهو بالأفق الأعلى مبتدأ وخبر في موضع الحال وقال الفراء هو معطوف على الضمير في استوى أي استوى جبرائيل والنبي ﷺ بالأفق الأعلى والتقدير استوي هو وهو قال وحسن ذلك لتلا يتكرر هو وأنشد

ألم تر أن النجم يصلب عوده ولا يستوي والحروع المتقصف

قال الزجاج وهذا لا يجوز إلا في الشعر لأنهم يستقبحون استويت وزيد وإنما المعنى فاستوي جبرائيل وهوى بالأنف الأعلى على صورته الحقيقية لأنه كان يتشبه للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل فأحب رسول الله ﷺ أن يراه على صورته الحقيقية فاستوي في أفق المشرق فعلاً الأفق

المعنى

(والنجم إذا هوى) قيل في معناه أقوال ﴿أحدها﴾ أن الله أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوماً متفرقة على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة عن الضحاك ومجاهد والكلبي فسعى القرآن مجاً لتفرقه في النزول والعرب تسمي التفريق تنجياً والمفرق منجماً ﴿وثانيها﴾ أنه أراد بالنجم الثريا أقسم بها إذا سقطت وغابت مع الفجر عن ابن عباس ومجاهد والعرب يطلق اسم النجم على الثريا خاصة قال أبو ذؤيب

فوردن والعيوق مقعد راني^١ الضرباً فوق النجم لا يتطلع

قال ابن دريد والثريا سبعة نجوم ستة ظاهرة وواحد خفي يتحن الناس به أبصارهم ﴿وثالثها﴾ أن المراد به جماعة النجوم إذا هوت أي سقطت وغابت وخفيت عن الحس وأراد به الجنس كما قال الراعي

وبات يعد النجم في مستحيرة^٢ سريع بأيدي الأكلين جمودها

ثم قيل أشار بأقول النجم إلى طلوعه لأن ما يأفل يطلع فاستدل بأفوله وطلوعه على وحدانية الله تعالى وحركات النجم توصف بالهري عن الجبائي وقيل إن هويه سقرطه يوم القيامة فيكون كقولهِ وإذا الكواكب انتشرت عن الحسن ﴿ورابعها﴾ أنه يعني به الرجوم من النجوم وهوما يرمى به الشياطين عند استراق السمع من ابن عباس وروت العامة عن جعفر الصادق (ع) أنه قال محمد رسول الله ﷺ نزل من السماء السابعة ليلة المعراج ولما نزلت السورة أخبر بذلك متبة بن أبي لب فجاء إلى النبي ﷺ وطلق ابنته وتفل في وجهه وقال كفرت بالنجم ورب النجم فدعا ﷺ عليه وقال اللهم ساطع عليه كلبان كلابك فخرج عتبة إلى الشام فنزل في بعض الطريق والقي الله عليه الرعب فقال لأصحابه انيموني بينكم ليلا ففعلوا فجاء أسد فافترسه من بين الناس وفي ذلك يقول حسان

سائل بني الأصفر ان جنتهم	ما كان أبناء بني واسع
لا وسع الله له قبره	بل ضيق الله على القاطع
رمى رسول الله من بينهم	دون قریش رمية القاذع
واستوجب الدعوة منه بما	بين الناظر والسامع
فسلط الله به كلبه	يمشي الهوينا مشية الخادع
والنقم الرأس يافوخه	والنحر منه قرة الجماع
من يرجع العام إلى أهله	فما أكل السبع بالراجع
قد كان هذا لكم عبرة	للسيد المتبوع والتابع

(ما ضل صاحبكم وما غوى) يعني النبي أي ما عدل عن الحق وما فارق الهدى إلى الضلال وما غوى فيما يؤذيه اليكم ومعنى غوى ضل وإنما أعاده تأكيداً وقيل معناه ما خاب عن إصابة الرشد وقيل ما خاب سعيه بل

ينال ثواب الله وكرامته (وما ينطق عن الهوى) أي وليس ينطق بالهوى وهكذا كما يقال رميت بالقوس وعن القوس وقيل معناه ولا يتكلم بالقرآن وما يؤذيه اليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع (ان هو إلا وحي يوحى) أي ما القرآن وما ينطق به من الأحكام إلا وحي من الله يوحى إليه أي يأتيه به جبرائيل وهو قوله (علمه شديد القوى) يعني جبرائيل «ع» أي القوي في نفسه وخلقه عن ابن عباس والربيع وقتادة والقوي جمع القوة (ذميرة) أي ذو قوة وشدة في خلقه عن الكلبي قال ومن قوته انه اقتلم قري قوم لوط من الماء الأسود فرفها إلى السماء. ثم قلبها ومن شدته صيحه لقوم ثمود حتى هلكوا وتيل معناه ذو صحة وخلق حسن عن ابن عباس وقتادة وقيل شديد القوى في ذات الله ذو مرة أي صحة في الجسم سليم من الآفات والعيوب وقيل ذو مرة أي ذو مرور في الهواء. ذاهبا جاثيا ونازلا وصاعدا عن الجاثي (فاستوى) جبرائيل على صورته التي خلق عليها بعد انحساره إلى محمد صلى الله عليه وسلم (وهو) كناية عن جبرائيل «ع» أيضا (بالأفق الأعلى) يعني افق المشرق والمراد بالأعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب في صعيد الارض لا في الهواء قالوا ان جبرائيل كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يوبه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء لما في الأرض ففي الأفق الأعلى وذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان مجرا فطلع له جبرائيل «ع» من المشرق فسد الأفق إلى المغرب فغر النبي صلى الله عليه وسلم مغطيا عليه فنزل جبرائيل «ع» في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وهو قوله (ثم دنا فتدلى) وتقديره ثم تدلى أي قرب بعد بعده وعلوه في الأفق الأعلى فدنا من محمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن وقتادة ثم دنا جبرائيل «ع» بعد استرائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج معنى دنا وتدلى واحدا لأن معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب كما تقول قد دنا مني فلان وقرب ولو قلت قرب مني ودنا جاز وقيل ان المعنى استوى جبرائيل «ع» أي ارتفع وعلا إلى السماء بعد ان علم محمدا صلى الله عليه وسلم من سعيد بن المسيب وقيل استوى أي اعتدل واقفا في الهواء بعد ان كان يقر بسرعة ليراه النبي صلى الله عليه وسلم عن الجاثي وقيل معناه استوى جبرائيل «ع» ومحمد صلى الله عليه وسلم بالأفق الأعلى يعني السماء الدنيا ليلة المعراج عن القراء (فكان قاب قوسين) أي كان ما بين جبرائيل ورسول الله قاب قوسين والقوس ما يرمى به من مجاهد وعكرمة ومطا عن ابن عباس وخصت بالذكر على عادتهم يقال قاب قوس وقب قوس وقيد قوس وقاد قوس وهو اختيار الزجاج وقيل معناه وكان قدر ذراعين عن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وشقيق بن سلمة وروي مرفوعا عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال قدر ذراعين أو ادنى من ذراعين فعلى هذا يكون معنى القوس ما يقاس به الشيء والذراع يقاس به قال ابن السكيت قاس الشيء يقوسه قوسا لمة في قاسه يقسه إذا قدره وقوله (أو أدنى) قال الزجاج ان الابدان قد خرطبوا على انهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحدد المعنى فكان على ما تقدرونه انتم قدر قوسين أو أقل من ذلك وهو كقولهم او يزيدون وقد مر القول فيه وقال عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبرائيل «ع» وله ستائة جناح اوردته البخاري ومسلم في الصحيح (فأوحى إلى عبده ما أوحى) أي فأوحى الله على لسان جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى وما يحتمل ان تكون مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي وقيل معناه فأوحى جبرائيل «ع» إلى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله تعالى إليه عن الحسن والربيع وابن زيد وهو رواية مطا عن ابن عباس قال سعيد ابن جبير أوحى إليه ألم يجدك يتيا فأوى إلى قوله ورفنا لك ذكرك وقيل أوحى إليه ان الجنة معرفة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الأمم حتى تدخلها امتك وقيل أوحى الله إليه سرا بسر وفي ذلك يقول القائل

بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجه انس يقابله نور تحير في بحر من التيه

قوله تعالى (١١) مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١٢) أَفْتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا بَرَىٰ (١٣) وَلَقَدْ
رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (٤) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٥) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٦) إِذْ يَغْشَىٰ
السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٧) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٨) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ
(١٩) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (٢٠) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخْرَىٰ
عشر آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابو جعفر وهشام ما كذب بتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب افتسرونه
بغير الف والباقون افتارونه وقرأ ابن كثير والشموني عن الاعمش وابي بكر ومائة بالمد والهمزة والباقون ومناة
بغير همزة ولا مدوروي عن علي (ع) وابي هريرة وابي الدرداء وزر بن حبيش جنة المأوى بالها. وعن ابن عباس
ومجاهد واللات بتشديد التاء.

❖ الحجة ❖

من قرأ كذب بتشديد الذال فمعناه ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بعينه تلك الليلة بل صدقه وحقه
ومن قرأ بالتخفيف فمعناه ما كذب فؤاده فيما رأى وقال ابو علي كذب فعل يتمدى إلى مفعول بدلالة قوله

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً

ومعنى كذبتك عينك ارتك ما لا حقيقة له فعلى هذا يكون المعنى لم يكذب فؤاده ما ادركه بصره اي
كانت روئيته صحيحة غير كاذبة وادراكا على الحقيقة ويشبه ان يكون الذي شدد اذاد هذا المعنى واكد افطارونه
على ما يرى اي اترومون ازالته من حقيقة ما ادركه وعلمه بجادلتكم او اتجحدونه ما قد علمه ولم يعترض عليه
فيه شك فان معنى قوله افتارونه اتجادلونه جدالا تريدون به دفعه عما علمه وشاهده من الآيات الكبرى ومن
قرأ افتسرونه فمعناه افتجحدونه ومناة صنم من حجارة واللات والعزى كانتا من حجارة ايضا ولعل منائة بالمد لانه
ومن قرأ جنة المأوى يعني فعله يريدجن عليه فأجنته الله والمأوى هو القامل والمعنى ستره وقال الاخفش ادركه وعن
ابن عباس قال كان رجل بسوق عكاظ يلبث السويق والسمن عند صخرة فلو ذاباع السويق والسمن صب على الصخرة
ثم يلبث فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لذلك الرجل

❖ المعنى ❖

ثم بين سبحانه ما رآه النبي ﷺ ليلة الأسرى وحقق روئيته فقال (ما كذب الفؤاد ما رأى) اي لم يكذب
فؤاد محمد ﷺ ما رآه بعينه فقوله ما رأى مصدر في موضع نصب لأنه مفعول كذب والمعنى انه ما اوهمه
الفؤاد انه رأى ولم ير بل صدقه الفؤاد روئيته قال المبرد معنى الآية انه رأى شيئا فصدق فيه قال ابن عباس
رأى محمد ﷺ ربه بفؤاده وروي ذلك عن محمد بن الحنفية عن ابيه علي (ع) وهذا يكون بمعنى العلم اي
علمه علما يقينا بما رآه من الآيات الباهرات كقول ابراهيم (ع) ولكن ليطمئن قلبي وان كان عالما قبل ذلك وقيل
أن الذي رآه هو جبرائيل على صورته التي خلقه الله عليها عن ابن مسعود وعائشة وقتادة وقيل ان الذي رآه هو
ما رآه من ملكوت الله تعالى واجناس مقدوراته عن الحسن قال وعرج بروح محمد ﷺ الى السماء وجسه
في الارض وقال الأكترون وهو الظاهر من مذهب اصحابنا والمشهور في اخبارهم ان الله تعالى صد بجسده الى
السماء حيا سليما حتى رأى ما رأى من ملكوت السموات بعينه ولم يكن ذلك في المنام وهذا المعنى ذكرناه في
سورة بني اسرائيل والفرق بين الروئية في اليقظة وبين الروئية في المنام ان روئية الشيء في اليقظة هو ادراكه

بالبصر على الحقيقة ورويت في المنام تصوره بالقلب على توهم الادراك بحاسة البصر من غير أن يكون كذلك
وعن ابي العالية قال سئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ليلة الميراج قال رأيت نهرا ورأيت وراة النهر
حجابا ورأيت وراة الحجاب فورا لم أر غير ذلك وروي عن ابي ذر وابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ سئل
عن قوله ما كذب القواد ما رأى قال رأيت نورا وروي ذلك عن مجاهد وعكرمة وذكر الشعبي عن عبد الله بن
الحارث عن ابن عباس انه قال إن محمدا ﷺ رأى ربه قال الشعبي واخبرني مسروق قال سألت عائشة عن
ذلك فقالت انك تقول قولنا انه يقف شمري منه قال مسروق قلت رويدا يا أم المؤمنين وقرأت عليها والنجم
اذا هوى حتى انتهيت الى قوله قاب قوسين او ادنى فقالت رويدا انى يذهب بك إن رأى جبرائيل في صورته
من حدثك ان محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب والله تعالى يقول لا تدركه الابصار وهى يدرك الابصار ومن
حدثك ان محمدا ﷺ يعلم الحس من الغيب فقد كذب والله تعالى يقول ان الله عنده علم الساعة الى آخره
ومن حدثك أن محمدا ﷺ كتّم شيئا من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول بلغ ما انزل اليك من ربك
واقعد بين الله سبحانه ما رآه النبي ﷺ بيانا شافيا فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى (افتخارونه) اي
افتخادونه (على ما يرى) وذلك انهم جادلوه حين اسرى به فقالوا له صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن غيرنا
في طريق الشام وغير ذلك مما جادلوه به ومن قرأ افتخارونه فالمعنى افتخادونه يقال مرّيت الرجل حقه اذا
جددته وقيل معناه افتدفعونه عما يرى وعلى في موضع عن عن المبرد والمعنيان متقاربان لأن كل مجادل جاهد
(ولقد رآه نزلة اخرى) اي رأى جبرائيل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه رآه
مرتين في صورته على ما ذكره (مند سدرة المنتهى) اي رآه محمد ﷺ وهو عند سدرة المنتهى وهي
شجرة عن بين العرش فوق السماء السابعة انتهى اليها علم كل ملك عن الكلبي ومقاتل وقيل اليها ينتهي ما يرجع
الى السماء وما يهبط من فوقها من امر الله عن ابن مسعود والضحاك وقيل اليها تنتهي ارواح الشهداء وقيل اليها
ينتهي ما يهبط به من فوقها ويقبض منها واليها ينتهي ما يرجع من الأرواح ويقبض منها والمنتهى موضع الانتهاء
وهذه الشجرة حيث انتهى اليه الملائكة فاضيفت اليه وقيل هي شجرة طربى عن مقاتل والسدرة هي شجرة
النيرة (عندها جنة المأوى) اي عند سدرة المنتهى جنة المقام وهي جنة الخلد وهي في السماء السابعة وقيل في
السماء السادسة وقيل هي الجنة التي كان آوى اليها آدم وتصير اليها ارواح الشهداء عن الجبائي وقتادة وقيل
هي التي يصير اليها اهل الجنة عن الحسن وقيل هي التي ياوي اليها جبرائيل والملائكة عن عطاء عن ابن عباس
(إذ يغشى السدرة ما يغشى) قيل يغشاها الملائكة امثال الغراب حين يقمن على الشجر عن الحسن ومقاتل وروي
أن النبي ﷺ قال رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى وقيل يغشاها من النور والبهاء
والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن وقيل يغشاها فراش من ذهب عن ابن عباس
ومجاهد وكأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى انه رأى جبرائيل (ع) على ما صورته في الحال
التي يغشى فيها السدرة من امر الله ومن العجائب المنبهة على كمال قدرة الله تعالى ما يغشاها وإنما ابهم الأمر
فيما يغشى لتعظيم ذلك وتفخيمه كما قال (فأوحى الى عبده ما أوحى) وقوله ما يغشى ابلغ لفظ في هذا
المعنى (ما زاغ البصر وما طمى) اي ما زاغ بصر محمد ﷺ ولم يبدل بيننا ولا شمالا وما طمى اي ماجاوز
القصد ولا الحد الذي حد له وهذا وصف ادبه صلوات الله عليه وآله في ذلك المقام إذ لم يلفت جانبا ولم يبدل
بصره ولم يمدد امامه الى حيث ينتهي (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وهي الآيات العظام التي رآها تلك
الليلة مثل سدرة المنتهى وصورة جبرائيل (ع) ورويته وله ستائة جناح قد سد الأفق بأجنحته عن مقاتل وابن
زيد والجبائي ومن للتبعيض اي رأى بعض آيات ربه وقيل انه رأى رفرفا اخضر من رفارف الجنة قد سد الأفق

عن ابن مسعود وقيل انه قد رأى ربه بقلبه عن ابن عباس فعلى هذا فيمكن أن يكون المراد انه رأى من الآيات ما ازداد به يقينا الى يقينه والكبرى تأنيث الأكبر وهو الذي يصغر مقدار غيره عنده في معنى صفته ولما قص الله سبحانه هذه الأقاصيص عقبها سبحانه بأن خاطب المشركين فقال (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) اي اخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله وتعبدون معها الملائكة وتزعمون ان الملائكة بنات الله وقيل معناه افرايتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله لأنه كان منهم من يقول إنما نجد هؤلاء لأنهم بنات الله عن الجبائي وقيل انهم زعموا أن الملائكة بنات الله وصوروا اصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقوا لها اسما من اسما الله فقالوا اللات من الله والعزى من العزيز وكان الكسائي يختار الوقف على اللات بالثاء لا اتباع المصحف لأنها كتبت بالثاء. والعزى تأنيث الأعز وهي بمعنى العزيزة وقيل ان اللات صنم كانت تقيف تعبده والعزى صنم ايضا عن الحسن وقتادة وقيل انها كانت شجرة سمرة عظيمة لتطفان يعبدونها فبعث اليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها وقال

يا عز كفرانك لا سبحانهك اني رأيت الله قد اهانك

عن مجاهد وقال قتادة كانت مناة صنما بقديد بين مكة والمدينة وقال الضحاك والكسبي كانت لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة وقيل ان اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها والثالثة نعت لمناة والاخرى نعت لها ايضا ومعنى الآية اخبروني عن هذه الاصنام هل ضرت او نفعت او فعلت ما يوجب ان تعدل بالله فعذف ادلالة الكلام عليه

قوله تعالى (٢١) ألكم الذكر وله الأنثى (٢٢) تلك إذا قسمة ضيزى (٢٣) إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٤) أم للإنسان ما تمنى (٢٥) فليله الآخرة والأولى (٢٦) وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٧) إن الذين لا يؤمنون بالآخرة لیسمون الملائكة تسمية الأنثى (٢٨) وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا (٢٩) فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا (٣٠) ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير غير ابن فليح ضنزي بالهمز والباقون بغير همز

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قوله تلك اذا قسمة ضيزى اي ما نسبتموه الى الله سبحانه من اتخاذ البنات قسمة جائزة وقولهم قسمة ضيزى ومشية حيكي حمله النحويون على انه في الأصل فعل بالضم وان كان اللفظ على فعلى كما ان البيوت والعصى في الأصل فعول وان كانت الفاء مكسورة وإنما حملوها على انها فعلى لأنهم لم يجدوا شيئا

من الصفات على فعلي كما وجدوا الفعل والفعل وقال ابو عبيدة ضربته حقه وضربه اضوزه اي نقضته ومنعته
فن جعل الدين منه واوا فالقياس ان يقول سوزى وقد حكى ذلك فأما من جعله ياء من قولك ضربته فكان
القياس ايضا ان يقول سوزى ولا يحتفل بانقلاب الياء إلى الواو لأن ذلك انما ذكره في بيض وعين جمع
بيضاء وعيناء لقربه من الطرف وقد بعد من الطرف هاهنا بحرف التأنيث وليست هذه العلامة في تقدير
الانفصال كالتاء فكان القياس ان لا يحفل بانقلابها إلى الواو

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه منكرا على كفار قريش قولهم الملائكة بنات الله والأصنام كذلك (الكم الذكور وله
الأنثى) اي كيف يكون ذلك كذلك وانتم لو خيرتم لا اخترتم الذكر على الأنثى فكيف اضعتم اليه تعالى
ما لا ترضونه لأنفسكم (تلك إذا قسمة ضيزى) اي جائزة غير معتدلة بمعنى ان القسمة التي قسمت من
نسبة الاناث إلى الله تعالى واثاركم بالبنين قسمة غير عادلة (ان هي إلا اسما سميتوها انتم وآباؤكم) اي
ليس تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهة وانها بنات الله إلا أسامي لا معاني تحتها لأنه لا ضرر عندها ولا نفع
فهي تسميات القيت على جادات (ما أنزل الله بها من سلطان) أي لم ينزل الله كتابا لكم فيه حجة بما تقولونه
عن مقاتل ثم رجع إلى الاخبار عنهم بعد المخاطبة فقال (إن يتبعون إلا الظن) الذي ليس بعلم (وماتهوى
الأنفس) أي وما تميل اليه نفوسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان والرشاد بالكتاب والرسول
عجب سبحانه من حالهم حيث لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان ثم انكر عليهم تمنعهم شفاعة الاوثان
فقال لهم (أم للانسان) اي للكافر (ما تمنى) من شفاعة الاصنام (فله الآخرة والأولى) فلا يملك فيها
أحد شيئا إلا بأذنه وقيل معناه بل للانسان ما تمنى من غير جزاء لا ليس الأمر كذلك لأن الله الآخرة
والأولى يعطي منها من يشاء ويمنع من يشاء وقيل معناه ليس للانسان ما تمنى من نعيم الدنيا والآخرة بل
يفعله الله تعالى بحسب المصلحة ويعطي الآخرة للمؤمنين دون الكافرين عن الجاني وهذا هو الوجه الأوجه
لأنه أعم فيدخل تحته الجميع ثم أكد ذلك بقوله (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا)
جمع الكناية لأن المراد بقوله (وكم من ملك الكثرة) (إلا من بعد أن يأذن الله) لهم في الشفاعة (لمن يشاء
ويرضى) لهم ان يشفعوا فيه أي من أهل الايمان والتوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن
رضي الله عنه كما قال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ثم ذم سبحانه مقالهم فقال (ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة) أي لا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب (ليهمون الملائكة تسمية الأنثى) حين زعموا انهم
بنات الله (وما لهم به) أي بذلك التسمية (من علم) أي ما يستيقنون انهم اناث وليسوا علمين (ان يتبعون
إلا الظن) الذي يجوز أن يخطئ ويصيب في قولهم ذلك (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) الحق
هنا معناه العلم أي الظن لا يغني عن العلم شيئا ولا يقوم مقام العلم ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (فأعرض)
يا محمد (عن من تولى عن ذكرنا) ولم يقر بنوحيدنا (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) فقال إلى الدنيا ومنافعها أي
لا تقابلهم على افعالهم واحتمالهم ولا تدع مع هذا وعظهم ودعاهم إلى الحق (ذلك مبلغهم من العلم) اي
الاعراض عن التدبر في أمور الآخرة وصرف الهمة إلى التمتع باللذات العاجلة منتهى علمهم وهو مبلغ خسيس
لا يرضى به لنفسه عاقل لأنه من طباع البهائم ان يأكل في الحال ولا يتنظر العواقب وفي الدعاء اللهم

لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا (ان ربك) يا محمد (هو أعلم امك ومن جبه الخلق) (بن خل عن سبيله) اي بن جار وعدل عن سبيل الحق الذي هو سبيله (وهو أعلم بن اهتدى) اليها فيجازي كلا منهم على حسب أعمالهم

قوله تعالى (٣١) وَفِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣٢) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّعَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٣) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٤) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْذَى (٣٥) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهوَ يَرَى (٣٦) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٧) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٨) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٩) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٤٠) وَأَنْ سَعْبَهُ سَوْفَ بِرُؤْيَى (٤١) ثُمَّ يُجْزَى الْجَزَاءَ الْأَوْفَى
احدى عشرة آية

﴿ اللغنة ﴾

قال الفراء اللغنة ان يفعل الانسان الشيء في الحين ولا يكون له عادة ومنه المام الخيال والالمام الزيادة التي لا تمتد وكذلك الالمام قال امية

ان تغفر اللهم تغفر جا واي عبد لك لا الما

وقد روي ان النبي ﷺ كان ينشدها ويقولها اي لم يلم بمصيبة وقال أعشى باهلة

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها من الشواء ويروي شربه الغمر

اجنة جمع جنين قال روثبة « اجنة في مستكنات الخلق » وقال عمرو بن كلثوم

ولا شحطاء لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا

اي دفيناً في قبره واكدى أي قطع المطاء كما تقطع البئر الماء واشتقاقه من كدية الركبة وهي صلابة

تمنع الماء إذا بلغ الحافر اليها ينس من الماء فيقال اكدى إذا باغ الكدية ويقال كديت أصابعه إذا كلت فلم

تعمل شيئاً وكديت أظفاره إذا غلظت وكديت الثبت إذا قل ريعه والاصل واحد فيها

﴿ الاعراب ﴾

إلا اللهم منصوبة على الاستثناء من الاثم والفواحش لأن اللهم دونها الا انه منها . إذ أنشأكم العامل

في إذ قوله اعلم بكم في بطون أمهاتكم يجوز ان يتعلق بنفس اجنة وتقديره إذ انتم مستترون في بطون أمهاتكم

ويجوز ان يتعلق بمحذوف فيكون صفة لا اجنة وقوله الا تزر وازرة وزر أخرسى تقديره انه لا تزر وهو

في موضع جر بدلا من قوله ما في صحف موسى وما اسم موصول

﴿ النزول ﴾

نزلت الآيات السبع أفرايت الذي تولى في عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق ماله فقال اخوه من

الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي نرح ما هذا الذي تصنع بوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وإني أطلب بما اصنع رضى الله وارجو عفوهُ فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلتها وأنا اتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه واشهد عليه وامسك عن الصدقة فنزلت أفرايت الذي تولى اي يوم احد حين ترك المركز واعطى قليلا ثم قطع نفقته إلى قوله وان سببه سوف يرى ضاد عثمان إلى ما كان عليه عن ابن عباس والسدي والكلبى وجماعة من المفسرين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فغيره بعض المشركين وقالوا تركت دين الأشياخ وضللهم وزعمت انهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان هو اعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن له فنزلت أفرايت الذي تولى عن الايمان واعطى صاحبه الضامن قليلا واكدى اي بخل بالباقي عن مجاهد وابن زيد وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه دعا كان يوافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور عن السدي وقيل نزلت في رجل قال لأهله جهزوني حتى انطلق إلى هذا الرجل يريد النبي ﷺ فتجهز وخرج فلقبه رجل من الكفار فقال له اين تريد فقال محمد العلي اصبب من خبره قال له الرجل اعطني جهازك واحمل عنك اثمك عن عطاء بن يسار وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله اعطى قليلا واكدى اي لم يؤمن به عن محمد بن كعب القرظي

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته وسعة ملكه فقال (والله ما في السموات وما في الأرض) وهذا اعتراض بين الآية الاولى وبين قوله (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا) واللام في ليجزي تتعلق بمعنى الآية الاولى لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلا منهم بما يستحقه وذلك لام العاقبة وذلك ان علمه بالفرعيقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك ولذلك اخبر به في قوله (والله ما في السموات وما في الأرض ليجزي في الآخرة الذين أساءوا اي اشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزي الذين احسنوا) اي وحدوا ربهم (بالحسن) اي بالجنة وقيل ان اللام في ليجزي تتعلق بما في قوله (والله ما في السموات وما في الأرض لأن المعنى في ذلك انه خلقهم ليعبدوا فمنهم المحسن ومنهم المسيء وانما كلفهم ليجزي كلا منهم بعلمه وعمله فتكون اللام للعرض ثم وصف سبحانه الذين احسنوا فقال (الذين يمينون كباثر الاثم) اي عظام الذنوب (والفواحش) جمع فاحشة وهي اقبح الذنوب وافحشها وقد بينا اختلاف الناس في الكاثر في سورة النساء وقد قيل ان الكبيرة كل ذنب ختم بالنار والفاحشة كل ذنب فيه الحد ومن قرأ كبير الاثم فلائمه يضاف إلى واحد في اللفظ وإن كان يراد به الكثرة (الا الهم) اختلف في معناه وقيل هو صفار الذنوب كالنظر والقبلة وما كان دون الزنا عن ابن مسعود وابي هريرة والشعبي وقيل هو ما الما به في الجاهلية من الاثم فهو مغفوع عنه في الإسلام عن زيد بن ثابت وعلى هذا فيكون الاستثناء منقطعا وقيل هو ان يلم بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود عن الحسن والسدي وهو اختيار الزجاج لأنه قال الهم هو ان يكون الانسان قد ألم بالمعصية ولم يتم على ذلك وبدل على ذلك قوله (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب ومعناه ان رحمة نسي جميع الذنوب لا تضيق عنه وتم الكلام هنا ثم

قال (هو اعلم بكم) يعني قبل ان خلقكم (إذ أنشأكم من الأرض) اي انشأ اباكم آدم من اديم الأرض وقال البلخي يجوز ان يكون المراد به جميع الخلق اي خلقكم من الأرض عند تناول الأغذية المخصوصة التي خلقها من الأرض واجرى العادة بخلق الاشياء عند ضرب من تركيبها وكأنه سبحانه انشأهم منها (وإذ انتم اجنة في بطون امهاتكم) اي في وقت كونكم اجنة في الأرحام اي علم من كل نفس ما هي صائفة وإلى ما هي صائفة عن الحسن وقيل معناه انه سبحانه علم ضعفكم وميل طباعكم إلى اللذات وعلم حين كنتم في الأرحام ما تفعلون وإذا خرجتم وإذا علم ذلك منكم قبل وجوده فكيف لا يعلم ما حصل منكم (فلا تزكوا انفسكم) اي لا تعظموها ولا تمدحوها بما ليس لها فاني اعلم بها وقيل معناه لا تزكوها بما فيها من الخير ليكون اقرب إلى النسك والخشوع وابعدها من الرياء (هو اعلم بمن اتقى) اي اتقى الشرك والكبائر وقيل هو اعلم بمن بر واطاع واخلص العمل (أفرايت الذي تولى) اي ادير عن الحق (واعطى قليلاً وكفى) اي امسك عن العظيمة وقطع عن الفراء وقيل منع منعاً شديداً عن المبرد (اعنده علم الغيب) اي ما غاب عنه من امر العذاب (فهو يرى) اي يعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه (ام لم ينأ بما في صحف موسى) اي بل لم يخبر ولم يحدث بما في اسفار التوراة (وابراهيم) اي وفي صحف ابراهيم (الذي وفى) اي قسم واكمل ما امر به وقيل بلغ قومه وادى ما امر به اليهم وقيل اكل ما اوجب الله عليه من كل ما امر وامتنع به ثم بين ما في صحفها فقال (الا تزر وازرة وزر اخرى) اي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها (وان ليس للانسان إلا ما سعى) عطف على قوله الا تزر وهذا ايضا ما في صحف ابراهيم وموسى اي ليس له من الجزاء الا جزاء ما عمله دون ما عمله غيره ومتى دعا غيره إلى الايمان فأجابته اليه فهو محمود على ذلك على طريق التبع وكأنه من اجل عمله صار له الحمد على هذا ولو لم يعمل شيئاً لما استحق جزاء لا ثواباً ولا عقاباً عن ابن عباس في رواية الوالبي قال ان هذا منسوخ الحكم في شرعنا لأنه سبحانه يقول الحقنا بهم ذرياتهم رفع درجة الذرية وان لم يستحقوها بأعمالهم ونحو هذا قال عكرمة ان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلهم ما سعى غيرهم نيابة عنهم ومن قال انه غير منسوخ الحكم قال الآية تدل على منع النيابة في الطاعات إلا ما قام عليه الدليل كاللحج وهو ان امرأة قالت يا رسول الله ان ابي لم يحج قال فحجني عنه (وان سعى سوف يرى) يعني ان ما يفعله الانسان ويسعى فيه لا بد ان يرى فيما بعد بمعنى انه يجازى عليه وبين ذلك بقوله (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) اي يجازى على الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم والماء في يجزاه عائدة إلى السعي والمعنى انه يرى العبد سعيه يوم القيامة ثم يجزاه سعيه اوفى الجزاء

قوله تعالى (٤٢) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَى (٤٤) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا (٤٥) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٦) مِنْ نَفْثَةٍ إِذَا تُنْفِثَتَا (٤٧) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ (٥٠) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥١) وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ (٥٢) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٣) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٤) فَفَشَّهَا مَا غَشَّىٰ (٥٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ

تَمَارَى (٥٦) هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى (٥٧) أَرَفَتِ الْأَزْفَةَ (٥٨) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٩) أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْبُجُونَ (٦٠) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦١) وَأَنْتُمْ
 سَامِدُونَ (٦٢) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا
 إحدى وعشرون آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والبصرة غير سهل عادلولى مدغمة غير منونة ولا مهموزة إلا في رواية قالون عن نافع
 فإنه روي عنه عادلولى مهموزة ساكنة وقرأ الباقون عادة الأولى منونة مهموزة غير مدغمة وقرأ عاصم وهمة
 ويعقوب وثمود فما ابقى بغير تنوين والباقيون وثمود بالتنوين

﴿ الهجعة ﴾

قال ابو علي قال ابو عثمان أساء عندي ابو عمرو في قراءته لأنه أدغم النون في لام المعرفة واللام انما
 تحركت بحركة الهمزة وليست بحركة لازمة والدليل على ذلك انك تقول الحمر فإذا طرحت جر كة الهمزة
 على اللام لم يحذف الف الوصل لأنها ليست بحركة لازمة قال ابو عثمان ولكن كان ابو الحسن روى عن
 بعض العرب انه كان يقول هذا الحمر قد جاء فيحذف الف الوصل لحركة اللام وقال ابو علي القول في عادة
 الأولى ان من حقق الهمزة في الأولى سكن لام المعرفة وإذا سكنت لام المعرفة والتنوين من قولك عادة
 المنصوب ساكنة التقى ساكنان النون في عادة ولام المعرفة فحركت التنوين بالكسر لالتقاء الساكنين وهذا
 وجه قول من لم يدغم وقياس قول من قال أحد الله فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ان يحذف هنا ايضا
 كما حذفه في أحد الله وكما حذفه في قوله ولا ذا كرا لله الا ان ذا لا يدخل في القراءة وان كان قياسا وجاء
 في الشعر كثيرا وجاء في بعض القراءة ويجوز في قول من خفف الهمزة من الأولى على قول من قال الحمر
 فلم يحذف الهمزة التي للوصل ان يحرك التنوين فيقول عادن الولى كما يقول في ذلك إذا حقق الهمزة لأن
 اللام على هذا في تقدير السكون فكما تكسر التنوين لالتقاء الساكنين كذا تكسره في هذا القول لأن التنوين
 في تقدير الالتقاء مع الساكن ومن حرك لام المعرفة وحذف همزة الوصل فقياسه ان يسكن النون من عادن
 فيقول عادن لولى لأن اللام ليس في تقدير السكون كما كان في الوجه الأول كذلك ألا ترى انه حذف
 همزة الوصل فإذا كان كذلك ترك النون على سكونها كما تركه في نحو عاد ذاهب فأما قول ابو عمرو
 عاد لولى فإنه لما خفف الهمزة التي هي منقلبة عن الفاء لاجتماع الواوين أولا التي حركتها على اللام الساكنة
 وقبل اللام نون ساكنة فأدغمها في اللام كما يدغمها في الراء في نحو من راشد وذلك بعد أن يقبلها لاما أو
 راء فإذا ادغمها فيها صار عادلولى وخرج عن الاساءة التي نسبها اليه ابو عثمان من وجهين ﴿ احدهما ﴾
 ان يكون تخفيف الهمزة من قوله الأولى على قول من قال الحمر كأنه يقول في التخفيف الهمزة قبل الادغام
 لولى فخرجت اللام من حكم السكون بدلالة حذف همزة الوصل معه فحسن الادغام فيه ﴿ والوجه الآخر ﴾
 ان يكون ادغم على قول من قال الولى الحمر فلم يحذف الهمزة التي للوصل مع التاء الحركية على لام المعرفة
 لأنه في تقدير السكون فلا يمنع ان يدغم فيه كما لا يمنع ان يدغم في نحو ردوفروعض وان كانت لاماتهن
 سواكن وتحررهما للادغام كما تحركت السواكن التي ذكرتها للادغام واما ما روي عن نافع من انه همز فقال

عاد لولى فانه كما روي عن ابن كثير من قوله على سؤفه فوجهه ان الضمة لقر بها من الواو وانه لم يمحجز بينها شيء صارت كأنها عليها فهمزها كأنهمز الواوات إذا كانت مضبومة نحو ادوور والغوور وهذه لفة قد رويت وحكيت وان لم تكن بتلك الفاشية.

﴿ اللفة ﴾

المنى التقدير يقال منى بمنى فهو مان قال الشاعر « حتى تبين ما يميناك الماني » ومنه المنية لأنها المقدرة والنشأة الصنعة المخترعة خلاف المشيئة واقنى من القنية وهي أصل المال وما يقننى والاقنناء جعل الشيء للنفس على الدوام ومنه القناعة لأنها ما تقننى والشمرى النجم الذي خلف الجوزاء وهو احد كوكبي ذراع الاسد وقسم المرزم وكانوا يبدونها في الجاهلية والموتنفكة المنقبة وهي التي صار اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها اثنتفك بهم تأنفك اثنتفا كما ومنه الافك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهته وأهوى اى انزل بها في الهواء ومنه أهوى بيده لياخذ كذا وهوى بهوى نزل في الهوى فأما إذا نزل في سلم او درج فلا يقال أهوى ولا هوى وأزفت الآزفة أي دنت الدانية قال النابغة

ازف الترحل غير ان ركابنا
وقال كعب بن زهير

بان الشباب وأمسى الشيب قد ازفا
والسمود اللهو والسامد اللاهي يقال سمد بسمد قال

رمى الحدان نسوة آل حرب
فرد شعورهن السود بيضا
بمقدار سمدن له سمودا
ورد وجوههن البيض سودا

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وان إلى ربك المنتهى) يعني وان إلى ثواب ربك وعقابه آخر الأمر والمنتهى والآخر واحد وهو المصير إلى حيث ينقطع العمل عنده (وانه هو اضحك وابكى) أي فعل سبب الضحك والبكاء من السرور والحزن كما يقال اضحكني فلان وابكاني عن عطاء والجباثي وقبل اضحك أهل الجنة في الجنة وابكى أهل النار في النار عن مجاهد والضحك والبكاء من فعل الإنسان قال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعجبون وتضحكون فنسب الضحك اليهم وقال الحسن ان الله سبحانه هو الخالق للضحك والبكاء والضحك تفتح أسرار الوجه عن سرور وعجب في القلب فإذا هجم على الإنسان منه ما لا يمكنه دفعه فهو من فعل الله والبكاء جريان الدمع على الخد عن غم في القلب وربما كان عن فرح يازجه تذكر حزن فكانه عن رقة في القلب وقبل معنى الآية اضحك الاشجار بالأنوار وابكى السحاب بالمطار وقبل اضحك المطيع بالرحمة وابكى العاصي بالسخطه (وانه هو أمات وأحيا) أي خلق الموت فأمات به الأحياء لا يقدر على ذلك غيره لأنه لو قدر على الموت لقدرة على الحياة فإن القادر على الشيء قادر على ضده ولا يقدر احد على الحياة إلا الله تعالى وخلق الحياة التي يمينا بها الحيوان فأمات الخلق في الدنيا واحياهم في المعقبى للجزاء (وانه خلق الزوجين) أي الصنفين (الذكر والانثى) من كل حيوان (من نطفة إذا تمنى) أي إذا خرجت منها وتنصب في الرحم والنطفة ماء الرجل والمرأة التي يخلق منها الولد

عن عطا. والصحاح والجبائي، قبل تسمى اي تقدر وهو اصله فالمعنى تلقى على تقدر في رحم الانثى (وان
 عليه النشأة الاخرى) اي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة يعني عليه ان يبعث الناس احياء للجزاء فان قبل ان
 لفظ على كلمة ايجاب فكيف يجب على الله سبحانه ذلك فالجواب انه سبحانه إذا كاف الخلق فقد ضمن
 الثواب فإذا فعل فيهم الآلام فقد ضمن العوض فإذا لم يعوض في الدنيا وخلق بين المظلوم والظالم فلا بد من
 دار أخرى يقع فيها الجزاء والانصاف والانتصاف وقد وعد سبحانه بذلك فيجب الوفاء به (وانه هو اغنى
 واقنى) اي اغنى الناس بالأموال واعطاء القنبة وأصول المال وما يدخرونه بعد الكفاية عن ابي صالح وقيل
 اقنى أي اخدم عن الحسن ومجاهد وقتادة وقيل اغنى مؤل واقنى ارضى بما اعطى عن ابن عباس وقيل اغنى
 بالقناعة واقنى بالرضا عن سفيان وقيل اغنى بالكفاية واقنى بالزيادة وقيل اغنى من شاء واقنى اي اقر وحرّم
 من شاء عن ابن زيد (وانه هو رب السمى) اي خالق السمى ومختوعها ومالكها اي فلا تتخذوا المربوب
 المملوك إلهاً وقيل ان خزاعة كانت تعبدها وأول من عبدها أبو كبشة أحد اجداد النبي ﷺ من قبل
 أمهاته وكان المشركون يسمونه ﷺ ابن ابي كبشة لمخالفته إياهم في الدين كما خالف أبو كبشة غيره في
 عبادة السمى (وانه اهلك عاد الاولي) وهو عاد بن ارم وهم قوم هود أهلكم الله بريح صرصر عاتية وكان
 لهم عقب فكانوا عاداً الاخرى قال ابن اسحاق اهلكوا يعني بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل (وثمود) أي
 واهلك ثمود (فما ابقى) ولا يجوز أن يكون منصوباً بأبى لأن ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا يقال زيدياً
 ما ضربت لأنها تجري مجرى الاستفهام في ان لها صدر الكلام وانما فتحت ان في هذه المواضع كلها لأن
 جميعها في صحف ابراهيم وموسى فكانه قال أم لم ينبا بما في صحف موسى و ابراهيم الذي وفي بأنه لا تزر
 وازرة وزر أخرى وبأنه كذا وكذا (وقوم نوح من قبل) أي وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد و ثمود
 (انهم كانوا هم أظلم وأظنى) من غيرهم أطول دعوة نوح وعتوه على الله في الكفر والتكذيب (والموتفةكة)
 يعني قرى قوم لوط المخسوفة (اهوى) أي اسقط اهواها جبرائيل بعد ان رخصها واتبعهم الله بالحجارة وذلك
 قوله (فغشيها ما غشى) أي البسها من العذاب ما البس يعني الحجارة المسومة التي رموا بها من السماء عن
 قتادة وابن زيد وقيل انه تفخيم لشأن العذاب الذي نالها من جهة ابهامه في قوله ما غشى فكانه قال قد حل
 بهم من العذاب والتنكيل ما يبيل عن البيان والنفصيل (فبأي آلاء ربك تتبارى) اي بأي نعم ربك تترتاب
 وتشك ايها الإنسان فيما أولاك أو فيما كفاك عن قتادة وقيل لما عد الله سبحانه ما فعله مما يدل على وحدانيته
 قال فبأي نعم ربك التي تدل على وحدانيته تشكك وانما ذكره بالنعم بعد تعديد النعم لأن النعم التي عدت
 هي نعم علينا لما لنا فيها من اللطف في الانزجار عن القبيح إذ نالهم تلك النعم بكفرانهم النعم (هذا نذير
 من النذر الاولي) أشار إلى رسول الله ﷺ عن قتادة والنذر الاولي الرسل قبله وقيل هو اشارة إلى
 القرآن والنذر الاولي صحف ابراهيم وموسى عن ابي مالك وقيل معناه هذه الأخبار التي اخبر بها عن
 اهلاك الأمم الاولي نذير لكم عن الجبائي (ازفت الآزفة) اي دنت القيامة واقتربت الساعة وانما سميت
 القيامة ازفة اي دانية لأن كل ما هو آت قريب (ليس لها من دون الله كاشفة) اي إذا غشيت الخلق شدائدها
 واهوالها لم يكشف عنهم احد ولم يردها عن عطا. والضحاك وقتادة وتأنيث كاشفة على تقدير نفس كاشفة
 أو جماعة كاشفة ويجوز ان يكون مصدرًا كالمافية والماقبة والواقية والخائنة فيكون المعنى ليس لها من دون

الله كشف اي لا يكشف عنها غيره ولا يظهرها سواء كقوله لا يجليها لوقتها إلا هو (افمن هذا الحديث) يعني بالحديث ما قدم من الاخبار عن الصادق «ع» وقيل معناه افمن هذا القرآن ونزوله من عند الله على محمد ﷺ وكونه معجزا (تعجبون) ايها المشركون (وتضحكون) استهزاء (ولا تكون) انزجارا لما فيه من الوعيد (وانتم سامدون) اي غافلون لاهون معرضون عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الغناء كانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه عن عكرمة (فاسجدوا لله واعبدوا) أمرهم سبحانه بالسجود له والعبادة خالصا مخلصا وفي الآية دلالة على ان السجود هاهنا واجب على ما ذهب اليه اصحابنا لأن ظاهر الامر يقتضي الوجوب

سورة القمر (مكية)

وهي خمس وخمسون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة اقتربت الساعة في كل غيب بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قرأها كل ليلة كان أفضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق وروى يزيد بن خليفة عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة اقتربت الساعة اخرجته الله من قبره على ناقة من نوق الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر ازوف الازفة وافتتح هذه السورة بمثله فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ (٢) وَإِنْ بَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ (٣) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ (٤) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٥) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ (٦) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ (٧) خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٨) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (١٠) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ

عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وكل امر مستقر بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير ونافع يوم يدع الداع بغير ياء ومهطعين إلى الداع بياء في الوصل وروي عن ورش يوم يدع الداعي بياء في الوصل وقرأهما أبو جعفر وأبو عمرو باثبات الياء في الوصل والباقون بغير ياء في وصل ولا وقف وقد تقدم القول في هذا النحو وقرأ ابن كثير إلى شيء نكر بالتخفيف والباقون نكر بضم تين وقرأ أهل العراق غير عاصم خاشعا ابصارهم والباقون

خشاها وفي الشواذ قراءة حذيفة وقد انشق القمر وقراءة مجاهد والجدري وابي قلابة الى شي نكر

✽ الحجة ✽

من قرأ مستقراً بالجر جملة صفة لأمر ومن قرأ بالرفع جعله خبراً لكل أمر وأما قراءة نكر فإنه على
مفعول وهو أحد الحروف التي جاءت صفة على هذه الرنة ومثله ناقة أجد ومشية وسجح صفة قال

دعوا التحاجز وامشوا مشية سجحا ان الرجال ذوو غضب وتذكير

ومن قرأ نكر خففه مثل رسل وكتب والضمة في تقدير الثبات ومن قرأ خاشعا ابصارهم فإنه كما لم
يالحق علامة التأنيث لم يجمع وحسن أن لا يوثق لأن التأنيث ليس بحقيقي ومن قال خشا قد أثبت ما يدل
على الجمع وهو على لفظ الافراد ودل لفظ الجمع على لفظ ما يدل عليه التأنيث الذي ثبت في نحو قوله
في الآية الأخرى خاشعة ابصارهم وخشمت الاصوات للرحمن قال الزجاج والك في اساء الفاعلين اذا
تقدمت على الجماعة التوحيد نحو قوله خاشعا ابصارهم ولك التوحيد والتأنيث نحو خاشعة ابصارهم ولك
الجمع نحو خشا ابصارهم تقول مررت بشباب حسن اوجههم وحسان وجوههم وحسنة اوجههم قال

وشباب حسن اوجههم من اباد بن نزار بن معد

قال ابن جنى قراءة حذيفة وقد انشق القمر بجري مجرى الموافقة على اسقاط العذر ورفع التشكك
اي قد كان انشقاق القمر متوقفاً دلالة على قرب الساعة فإذا كان قد انشق وانشقاقه من اشراطها وقد توكد
الأمر في قرب وقوعها وذلك ان قد إنما هو جواب وقوع أمر كان متوقفاً

✽ اللغة ✽

في اقتربت زيادة مبالغة على قرب كما ان في اقتدر زيادة مبالغة على قدر لأن اصل افعل اعداد المعنى
بالمبالغة نحو اشتوى اذا اتخذ شوا بالمبالغة في اعداده والاهواء جمع الهوا وهو رفة القلب بميل الطباع كرقهوا
الجو يقال هوي هوى هوى فهو هوى اذا مال طبعه الى الشيء والمزدرج المنعطف مفتعل من الزجر لأن التاء ابدلت
ذالا ليوافق الزاي بالجهر ويقال انكرت الشيء فهو منكر ونكرته فهو منكور وقد جمع الأعراب بين اللتين فقال

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلما

والنكر والمنكر الشيء الذي تأباه النفس ولا تقبله من جهة نفور الطبع عنه واصله من الانكار الذي هو
قبض الإقرار والاجداث القبور جمع جدث والجذف بالغاء لغة فيه والاهطاع الاسراع في المشي

✽ الأعراب ✽

فما تنذر يجوز أن يكون ما للجدد فيكون حرفاً ويجوز ان يكون استفهاماً فيكون اسماً والتقدير
في الأول فلا تغني النذر وفي الثاني فأي شيء تغني النذر قال الزجاج قوله فتول عنهم يوم يدع الداع الى
شيء نكر وقف التمام فتول عنهم ويوم منصوب بقوله يخرجون من الاجداث وأما حذف الواو من يدعو في
الكتاب فلائها تحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين فأجريت في الكتاب على ما يلفظ بها وأما الداعي فإثبات
الياء فيه اجود ويجوز حذفها لأن الكسرة تدل عايتها وقوله خشا ابصارهم منصوب على الحال من الواو في
يخرجون وفيه تقديم وتأخير تقديره يخرجون خشا ابصارهم من الاجداث وان شئت كان حالاً من الضمير
المجرور في قوله فتول عنهم ومهملين أيضاً منصوب على الحال واني مغلوب تقديره دعا ربه بآني مغلوب

وقرأ عيسى بن عمر إني بالكسر على ارادة القول اي فدعا ربه قال اني مغلوب ومثله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا التقدير قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا

✽ المعنى ✽

✽ (اقتربت الساعة) اي قربت الساعة التي تموت فيها الخلائق وتكون القيامة والمراد فاستعدوا لها قبل هجومها (وانشق القمر) قال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله ﷺ فقالوا ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ﷺ ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ﷺ ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وقال ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لرسول الله ﷺ اشهدوا اشهدوا وروي ايضا عن ابن مسعود انه قال والذي نفسي بيده لقد رأيت حراء بين فلقى القمر وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقال ناس سحرنا محمد فقال رجل ان كان سحر كم فلم يسحر الناس كاهم وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وجبير بن مطعم وعبد الله بن عمر وعليه جماعة المفسرين الا ما روي عن عثمان بن عطاء عن ابيه انه قال معناه وسينشق القمر وروي ذلك عن الحسن وانكره ايضا البلخي وهذا لا يصح لأن المسلمين اجمعوا على ذلك فلا يمتد بخلاف من خالف فيه ولأن اشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافه ومن طعن في ذلك بأنه لو وقع انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ لما كان يخفى على احد من أهل الاقطار فقول باطل لأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجب عن اكثرهم بنبيهم وما يجري مجراه ولأنه قد وقع ذلك ليلا فيجوز أن يكون الناس كانوا نياما فلم يعلموا بذلك على ان الناس ليس كاهم يتأملون ما يحدث في السماء وفي الجو من آية وعلامة فيكون مثل انقضاض الكواكب وغيره ما بغفل الناس عنه وإنما ذكر سبحانه اقتراب الساعة مع انشقاق القمر لأن انشقاقه من علامة نبوة نبينا ﷺ ونبوته وزمانه من اشراط اقتراب الساعة (وان يروا آية يعرضوا) هذا اخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش وانهم اذا رأوا آية معجزة عرضوا عن تأملها والاعتقاد لصحتها عنادا وحسدا (او يقولوا سحر مستمر) أي قوي شديد يعلو كل سحر عن الضحاك وافي العالية وقيادة وهو من امرار الحيل وهو شدة قتله واستمر الشيء اذا قوي واستحكم وقيل معناه سحر ذاهب مضمحل لا يبقى عن مجاهد وهو من المرور وقال المفسرون لما انشق القمر قال مشركو قريش سحرنا محمد فقال الله سبحانه وان يروا آية يعرضوا عن التصديق والايمان بها قال الزجاج وفي هذا دلالة على ان ذلك قد كان ووقع واقول ولأنه تعالى قديين انه يكون آية على وجه الأعجاز وإنما يحتاج الى الآيات المعجزة في الدنيا ليستدل الناس بها على صحة النبوة ويعرف صدق الصادق لا في حال انقطاع التكليف والوقت الذي يكون الناس فيه ملجئين الى المعرفة ولأنه سبحانه قال ويقولوا سحر مستمر وفي وقت الاجزاء لا يقولون المعجز انه سحر (وكذبوا) اي بالآية التي شاهدوها (واتبعوا اهلواهم) في التكذيب وما زين لهم الشيطان من الباطل الذي هم عليه (وكل امر مستقر) فالخير يستقر بأهل الخير والشر يستقر بأهل الشر عن قيادة والمعنى ان كل امر خير وشر مستقر ثابت حتى يجازى به صاحبه اما في الجنة او في النار وقيل

معناه لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فتظهر وما كان منه في الآخرة فستعرف عن الكلبي (ولقد جاءهم) اي ولقد جاء هؤلاء الكفار (من الانبياء) يعني الاخبار العظيمة في القرآن بكفر من تقدم من الأمم واهلاً كنا اباهم (ما فيه مردجر) اي متعظ وهو بمعنى المصدر اي وازدجر عن الكفر وتكذيب الرسل (حكمة بالغة) يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية والنهاية (فما تنن النذر) اي اي شي تنفع النذر مع تكذيب هؤلاء واعراضهم وهو جمع النذير وقيل معناه فلا تعني النذر شيئاً اي ان الانبياء الذين بعثوا اليهم لا يغنون عنهم شيئاً من عذاب الله الذي استحقوه بكفرهم لأنهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم عن الجبائي وقيل النذر هي الزواجر المخوفة وآيات الوعيد ثم امره سبحانه بالاعراض عنهم فقال (قول عنهم) اي اعرض عنهم ولا تقابلهم على سفهم وهاهنا وقف تام (يوم يدع الداع الى شي نكر) اي منكر غير معتاد ولا معروف بل امر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما واختلاف في الداعي فقيل هو اسرافيل يدعو الناس الى الحشر قائما على صخرة بيت المقدس عن مقاتل وقيل بل الداعي يدعوهم الى النار ويوم ظرف ليخرجون اي في هذا اليوم يخرجون من الاجداث ويجوز ان يكون التقدير في هذا اليوم يقول الكافرون وقوله (خشاً ابصارهم) يعني خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب وإنما وصف الابصار بالخشوع لأن ذلة الذليل او عزة العزيز تتبين في نظره وتظهر في عينه (يخرجون من الاجداث) اي من القبور (كأنهم جراد منتشر) والمعنى انهم يخرجون فرعين يدخل بعضهم في بعض ويختلط بعضهم ببعض لاجهة لأحد منهم فيقصدها كما ان الجراد لاجهة لها فتكون ابدا متفرقة في كل جهة قال الحسن الجراد يتلبد حتى اذا طلعت عليها الشمس انتشرت فالمعنى انهم يكونون ساكنين في قبورهم فإذا دعوا خرجوا وانتشروا وقيل انما شبههم بالجراد لكثرتهم وفي هذه الآية دلالة على ان البعث انما يكون لهذه البنية لأنها الكائنة في الأجداث خلافا لمن زعم ان البعث يكون للارواح (مهطعين الى الداع) أي مقبلين الى الصوت الداعي عن قتادة وقيل مسرعين الى اجابة الداعي عن ابي عبيدة وقيل ناظرين قبل الداعي قائلين هذا يوم عسر عن القراء وابي علي الجبائي وهو قوله (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي صعب شديد وقد قيل ايضا في قوله فتول عنهم يوم يدع الداع الى شي نكر أقوال اخر **﴿أحدها﴾** ان المعنى فأعرض عنهم إذا تعرضوا لشفاعتك يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فلا تشفع لهم ذلك اليوم كما لم يقبلوا منك اليوم **﴿وثانيها﴾** ان معناه فتول عنهم فانهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فحذف الفاء من جواب الأمر **﴿وثالثها﴾** ان معناه فتول عنهم فانهم يوم يدعو الداعي صفتهم كذا وكذا وهي ما بينه الى قوله يوم عسر **﴿ورابعها﴾** فتول عنهم واذا ذكر يوم يدع الداع الى آخره عن الحسن (كذبت قبلهم) اي قبل كفار مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا كما كذبت يا محمد هؤلاء الكفار وجحدوا نبوتك (وقالوا مجنون) اي هو مجنون قد غطى على عقله (وازدجر) اي زجر بالشتم والرمي بالتبصيح عن ابن زيد وقيل معناه زجر بالوعيد وتوعد بالقتل فهو مثل قوله لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (فدعاره ابي مغلوب فانتصر) اي فقال يا رب قد غلبني هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجة فانتصر اي فانتقم لي منهم بالاهلاك والدمار نصرة لدينك ونيك وفي هذا دلالة على وجوب الانقطاع الى الله تعالى عند سماع الكلام التبصيح من أهل الباطل

قوله تعالى (١١) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنَمَّرٍ (١٢) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى
 الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ (١٣) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسُرٍ (١٤) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً
 لِمَنْ كَانَ كُفِرًا (١٥) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّيرٍ (١٦) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
 وَنُذُرٍ (١٧) وَلَقَدْ بَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَهَلْ مِنْ مُدَكِّيرٍ (١٨) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ
 عَذَابِي وَنُذُرٍ (١٩) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (٢٠) تَنْزِعُ
 النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢١) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ احدى عشرة آية

❖ القراءة ❖

قرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد والباقون بالتخفيف

❖ الحجة ❖

وجه التخفيف ان فعلنا بالتخفيف يدل على القليل والكثير روجه التثني انه يخص الكثير ويقويه قوله مفتحة
 لهم الابواب

❖ اللفظة ❖

الهمر صب الدمع والماء بشدة والانهمار الانصباب قل امرؤ القيس

راح تمر به الصبا ثم انتحى فيه شوبوب جنوب منهمر

والتفجير تشقيق الأرض عن الماء والعيون جمع عين الماء وهو ما يفور من الأرض مستديرا كاستدارة
 عين الحيوان فالعين مشتركة بين عين الحيوان وعين الماء وعين الذهب وعين السحاب وعين الركنة والدر
 المسامير التي تشد بها السفينة واحدها دسار وديسر وديسرت السفينة ادسرها دسرا اذا شدتها وقيل ان أصل
 الباب الدفع يقال دسره بالرمح اذا دفعه بشدة والدر مصدر السفينة لانه يدسر به الماء اي يدفع ومنه الحديث
 في العنبر هو شي دسره البحر ومدكر اصله مذتكرو فقلت التاء دالا لتواخي الذال بالجهر ثم ادغمت الدال
 فيها والندراسم من الانذار يقوم مقام المصدر يقال انذره نذرا بمعنى انذار ومثله انزله نزالا بمعنى انزالا ويجوز
 ان يكون جمع نذير والصرصر الريح الشديدة الهبوب حتى يسمع صوتها وهو مضاعف صر يقال صر وصرصر
 و كب وكبكب ونه ونهته والمستمر الجاري على طريقة واحدة واعجاز النخل سافله والنخل يذكر ويؤث
 والمنعر المتقلع عن اصله لأن قعر الشيء قراره وتقره في كلامه تقرأ اذا تعمق

❖ الاعراب ❖

عيونا نصب على التمييز او الحال والأصل فوجرنا عيون الأرض والمعنى وفجرنا جميع الأرض عيوننا
 ويجوز أن يكون تقديره بعيون فحذف الجار ويجوز ان يكون التقدير وفجرنا من الأرض عيوننا وقوله على
 امر في موضع نصب على الحال وقوله بأعيننا في موضع نصب بأنه ظرف مكان جزاء منصوب بأنه مفعول
 له ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال والمعنى فعلنا ذلك مجازين جزاء وآية منصوبة على الحال من
 الهاء في تر كناها

* المعنى *

ثم بين سبحانه اجابته لدعاء نوح (ع) فقال (فتحنا ابواب السماء) هاهنا حذف معناه فاستجبنا لنوح دعاءه ففتحنا ابواب السماء اي اجرنا الماء من السماء كجربانه اذا فتح عنه باب كان مانعا له وذلك من صنع الله الذي لا يقدر عليه سواه وجاز ذلك على طريق البلاغة (بما منهجر) اي منصب انصبابا شديدا لا ينقطع (وفجرنا الارض عيوننا) اي شققنا الارض بالماء عيونا حتى جرى الماء على وجه الارض (فالتقى الماء) يعني فالتقى الماءان ماء السماء وماء الارض وإنما لم يثن لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير (على امر قد قدر) فيه هلاك القوم اي على امر قد قدره الله تعالى وهو هلاكهم وقيل على امر قدره الله تعالى وعرف مقداره فلا زيادة فيه ولا نقصان وقيل معناه انه كان قدر ماء السماء مثل ما قدر ماء الارض عن مقاتل وقيل معناه على امر قدر عليهم في اللوح المحفوظ (وحملناه على ذات الواح) اي وحملنا نوحا على سفينة ذات الواح مركبة بعضها الى بعض والواحها خشباتها التي منها جمعت (ودسر) اي مسامير شدت بها السفينة عن ابن عباس وقناة وابن زيد وقيل هو صدر السفينة يدسر بها الماء عن الحسن وجماعة وقيل هي اضلاع السفينة عن مجاهد وقيل الدسر طرفاها واصلاها والألواح جانبها عن الضحاك (تجري) السفينة في الماء (بأعيننا) اي بحفظنا وحراستنا وبمرأى منا ومنه قولهم عين الله عليك وقيل معناه بأعين اوليائنا ومن وكلناهم بها من الملائكة وقيل معناه تجري بأعين الماء التي اتبعناها (جزاء لمن كان كافر) اي فعلنا به وبهم ما فعلنا من انجائه واغراقهم ثوبا لمن كان قد كفر به وجحد امره وهو نوح (ع) والتقدير لمن جحد نبوته وانكر حقه وكفر بالله فيه (ولقد تر كناها) اي تر كنا هذه الفعلة التي فعلناها (آية) علامة يعتبر بها وقيل معناه تر كنا السفينة باقية ونجاة من فيها واهلاك الباقيين دلالة باهرة على وحدانية الله تعالى وعبرة لمن اتعظ بها وكانت السفينة باقية حتى رآها اوائل هذه الامة عن قناة وقيل في كونها آية انها كانت تجري بين ماء السماء وماء الأرض وقد كان غطاها على ما أمر الله تعالى (فهل من مدكر) اي منذر يعلم ان ذلك حق فيعتبر به ويخاف وقيل معناه فهل من طالب علم فيمان عليه عن قناة (فكيف كان عذابي ونذر) هذا استفهام عن تلك الحالة ومعناه التعظيم لذلك العذاب اي كيف رأيت انتقامي منهم وانذاري اياهم وقال الحسن النذر جمع نذير وإنما كرر سبحانه هذا القول في هذه السورة لأنه سبحانه لما ذكر انواع الانذار والعذاب عقد التذكير بشي شي منه على التفصيل (ولقد يسرنا القرآن للذكر) اي سهلناه للحفظ والقراءة حتى يقرأ كله ظاهرا وليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله ظاهرا الا القرآن عن سعيد بن جبير والتيسير لشي هو تسهيله بما ليس فيه كثير مشقة على النفس فمن سهل له طريق العلم فهو حقيق بأخذ الحظ الجزيل منه لأن التسهيل اكبر داع اليه وتسهيل القرآن للذكر هو خفة ذلك عن النفس بحسن البيان وظهور البرهان في الحكم السنية والمعاني الصحيحة الموثوق بها لمجيئها من قبل الله تعالى وانما صار الذكر من اجل ما يدعى اليه ويبحث عليه لأنه طريق العلم لأن العاهي عن الشي او عن دليله لا يجوز أن يعلمه في حال سهوه فإذا تذكر الدلائل عليه والطرق المؤدية اليه تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له (فهل من مدكر) اي متعظمعتبر به ناظر فيه ثم قال سبحانه (كذبت عاد) اي بالرسول الذي بعثه الله اليهم وهو هود (ع) فاستحقوا الهلاك فأهلكهم (فكيف كان عذابي) لهم (ونذر) اي وانذاري اياهم ثم بين كيفية اهلاكهم فقال (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) اي شديدة الهبوب عن ابن زيد

وقيل باردة عن ابن عباس وقناة من الصر وهو البرد (في يوم نحس) اي في يوم شرم (مستمر) اي دائم الشوم
استمر عليهم بنحوه سبع ليال وثمانية ايام حتى أتت عليهم ومستم من صفة اليوم اي يوم مستمر ضرره
عام هلاكه وقيل هو نعت للنحس اي استمر بهم العذاب والنحس في الدنيا حتى اتصل بالعقبى قال الزجاج وقيل
انه كان في يوم الاربعاء في آخر الشهر لا تدور رواه العياشي بالإسناد عن ابي جعفر (ع) (تنزع الناس) اي تقلم
هذه الريح الناس ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فيصيرون (كأنهم اعجاز نخل منقعر) اي اسفل
نخل منقلع لأن رؤوسهم سقطت عن ابدانهم عن مجاهد وقيل معناه تنزع الناس من حفر حفروها لبيتوا بها عن
الريح وقيل معناه تنزع ارواح الناس عن الحسن (فكيف كان عذابي ونذر) وهو تعظيم للعذاب النازل بهم
وتخويف لكفار مكة

قوله تعالى (٢٢) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدِّ كَرٍ (٢٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِالنَّذْرِ (٢٤) فَقَالُوا ابْشِرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٍ (٢٥) أَأَلْفِيَا لَذِكْرٍ
عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ (٢٦) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ (٢٧) إِنَّا
مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَنْزَلْنَاهُمْ وَأَصْطَبِرُ (٢٨) وَنَذِئُهُمْ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ
شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٩) فَنادوا أصحابهم فتعاطى فمقر (٣٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ
(٣١) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ عشر آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابن عامر وحزمة ستعلمون بالباء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابي السهك ابشر منا بالرفع واحدا تتبعه
بالنصب وقراءة ابي قلابة الكذاب الأشر بالتحديد وقراءة مجاهد الأشر بضم الشين خفيفة وقراءة الحسن
كهشيم المحنظر بفتح الفاء.

❖ الحجة ❖

قال ابو علي وجه اليا. ان قبله غيبة وهو قوله فقالوا ابشرنا سيعلمون ووجه التاء على انه قيل لهم ستعلمون
وقال ابن جنبي قوله ابشر عندي مرفوع بفعل يدل عليه قوله .الني الذكر عليه فكانه قال ايبت بشر منا فاما
انتصاب واحدا فلان شئت جعلته حالا من الضير في قوله منا اي يبتا بشر كائن منا وانتصب لهذه الحال الظرف
كقولك زيد في الدار جالسا وان شئت جعلته حالا من الضير في قوله نتبعه اي نتبعه واحدا اي منفردا لانصر له
وقوله الأشر بتشديد الراء هو الاصل المرفوض لأن اصل قولهم هذا خير منه وشر منه هذا اخير منه وهذا
اشر منه فكثير استعمال هاتين الكلمتين فحذفت الهمزة منهما واما الأشر فلأنه ما جاء على فعل وفعل من
الصفات كحذر وحذر ويقظ ويقظ ووظف ووظف وعجز وعجز واما المحنظر فإنه مصدر اي كهشيم الاحتظار
كقولك تأجر البناء وخشب النجارة ويجوز ان يكون المحنظر الشجر اي كهشيم الشجر المتخذة منه الحظيرة اي
كما تنهات من الشجر المجعل حظيرة والهشيم ما تهشم منه وانتشر

❖ اللمة ❖

السمر جمع سمير وهو النار المسمرة والسمر الجنون يقال ناقرة مسمرة اذا كانت كأن بها جنونا وسمر فلان
جنونا واصله التهاب الشئ والتعاطي التناول والمحنظر الذي يعمل الحظيرة على بستانه او غنمه وهو المنع من الفعل

* الاعراب *

ابشرا منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره وتقديره اتباع بشرا منا وقوله منا صفة اي ابشرا كأننا منا
وواحد صفة بعد صفة والبشر يقع على الواحد والجمع وقوله من بيننا في محل نصب على الظرف وفئة منصوب
بانه مفعول له ويجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال اي فأتين لهم

* المعنى *

ثم اقسام سبحانه فقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قد فسره وقيل انه سبحانه إنما اعد
ذكر التيسير لينبي انه يسره على كل حال وكل وجه من وجوه التيسير فمن الوجوه التي يسر الله تعالى بها القرآن
هو ان ابان عن الحكم الذي يعمل عليه والمواظ الذي يرتدع بها والمعاني التي تحتاج الى التنبه عليها والطبع
التي يميز بها بين الحق والباطل عن علي بن عيسى (كذبت ثور بالندى) اي بالانذار الذي جاءهم به صالح ومن قال ان النذر
جمع نذير قال معناه انهم كذبوا الرسل بتكذيبهم صالحا لأن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الجميع
لأنهم متفقون في الدماء الى التوحيد وان اختلفوا في الشرائع (فقالوا ابشرا منا واحدا تنبيهه) اي اتبع آدميا مثلنا
وهو واحد انا اذا لمي ضلال) اي نحن ان فعلنا ذلك في خطأ وذهاب عن الحق (وسر) اي وفي عنا . وشدة عذاب
فيما يلزمنا من طاعته عن قتادة وقيل في جنون عن ابن عباس في رواية عطاء . والفائدة في الآية بيان شهتهم الركيكة
التي حملوا انفسهم على تكذيب الانبياء من اجلها وهي ان الانبياء ينبغي ان يكونوا جماعة وذبح عليهم ان
الواحد من الخلق يصلح لتحمل اعباء الرسالة وان لم يصلح له غيره من جهة معرفته بربه وسلامه ظاهره وباطنه
وقيامه بما كلف من الرسالة (ألقى الذكر عليه من بيننا) هذا استفهام انكار ووجد اي كيف القي
الوحي عليه وخص بالنبوة من بيننا وهو واحد منا (بل هو كذاب) فيما يقول (أشر) اي بطر متكبر يريد
ان يتعظم علينا بالنبوة ثم قال سبحانه (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) وهذا وعيد لهم اي سيعلمون
يوم القيامة اذا نزل بهم العذاب هو الكذاب ام هم في تكذيبه وهو الأشر البطر ام هم فذكر مثل لفظهم
مبالغة في توبيخهم وتهديدهم وإنما قال غدا على وجه التقريب على عادة الناس في ذكرهم الغد والمراد به
المعاقبة قالوا ان مع اليوم غدا (انا مرسلوا الناقة فتنة لهم) اي نحن بأمرنا الناقة بانثائها على ما طلبوها معجزة
لصالح وقطعا لعذرهم وامتحانا واختبارا لهم وها هنا حذف وهو انهم تمتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من
صخرة ناقة حمراء عشر . تضع ثم ترد ما هم فتشربه ثم تعود عليهم بثله لنا فقال سبحانه انا بأمرها كما سألوها
فتنة لهم عن ابن عباس (فارتقبهم) اي انتظر امر الله فيهم وقيل فارتقبهم اي انتظر ما يصنعون (واصطبر)
على ما يصيبك من الأذى حتى يأتي أمر الله فيهم (ونبتهم) اي اخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) يوم للناقة ويوم
لهم (كل شرب محتضر) اي كل نصيب من الماء يحضره اهله لا يحضر آخر معه ففي يوم الناقة تحضره الناقة وفي يومهم
يحضرونهم وحضر واحتضر بمعنى واحد وانما قال قسمة بينهم تغليبا لمن يعقل والمعنى يوم لهم ويوم لها وقيل
انهم كانوا يحضرون الماء اذا غابت الناقة ويشربونه واذا حضرت حضروا اللبن وتركو الماء لها عن مجاهد (فنادوا
صاحبهم) اي دبروا في أمر الناقة بالقتل فدعوا ولحدا من اشرارهم وهو قدار بن سالف عاقرا الناقة (فتعاطى
فمقر) اي تناول الناقة بالمقر فمقرها وقيل انه كمن لها في اصل صخرة فرماها بهم فانتظم به عضلة ساقها ثم
شد عليها السيف فكشف عرقوبها وكان يقال لها احمر ثمود واحمر ثمود قال الزجاج والعرب تفلط فتجمله احمر
عاد فتضرب به المثل في الشؤم قال زهير

وتنتج لكم غلمان اشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفتطم

(فكيف كان عذابي ونذر) اي فانظر كيف اهلكتهم وكيف كان عذابي لهم وانذارى اياهم (انا ارسلنا اليهم

صبيحة واحدة) يريد صبيحة جبرائيل (ع) من عطا. وقيل الصبيحة العذاب (فكانوا كهشيم المحتظر) اي فصاروا كهشيم. وهو عظام الشجر المنقطع بالكسر والرض الذي يجمعه صاحب الحظيرة الذي يتخذ لغمه حظيرة تمنعها من برد الريح والمعنى انهم بادوا وهلكوا فصاروا كيبس الشجر المقتت اذا تحطم من ابن عباس وقيل معناه صاروا كالتراب الذي يتناثر من الحائط فتصيبه الرياح فيحظر مستديرا عن سعيد بن جبير

قوله تعالى (٣٢) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٣٣) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ إِنا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٥) نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٦) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذِينَ (٣٧) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ (٣٨) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِيرٌ (٣٩) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ (٤٠) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٤١) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤٢) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ

عشر آيات الإعراب

سحر اذا كان نكرة يراد به سحر من الاسحار يقال رأيت زيدا سحرا من الاسحار فلماذا اردت سحر يومك قلت آتيته بسحر وآتيته سحر وقوله نعمة مفعول له وقوله بكرة ظرف زمان فلماذا كان معرفة بأن تريد بكرة يومك تقول آتيته بكرة وغدوة لم تصرفها فبكرة هنا نكرة

المعنى

ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قال قتادة اي فهل من طالب علم يتعلم (كذبت قوم لوط بالذير) اي بالانذار وقيل بالرسول على ما فسره (انارسلنا عليهم حاصبا) اي رجمنا حصيتهم اي رميتهم بالحجارة والحصبا. قال ابن عباس يريد ما حصوا به من السماء من الحجارة في الريح قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن مشهور

ثم استثنى آل لوط فقال (إلا آل لوط نجيناهم) اي خلصناهم (بسحر) من ذلك العذاب الذي اصاب قومه (نعمة من عندنا) اي انما فيكون مفعول له ويجوز ان يكون مصدرا او تقديره انعمنا عليهم بذلك نعمة (كذلك) اي كما انعمنا عليهم (نجزي من شكر) قال مقاتل يريد من وحد الله تعالى لم يعذب مع المشركين (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) اي اخذنا اياهم بالعذاب (فتماروا بالانذار) اي تدافعوا بالانذار على وجه الجدال بالباطل وقيل معناه فشكروا ولم يصدقوه وقالوا كيف يهلكنا وهو واحد منا وهو تفاعلا من المرية (ولقد راودوه عن ضيفه) اي طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيفه (فطمسنا اعينهم) اي محروناها والمعنى عميت ابصارهم عن الحسن وفتادة وقيل معناه ازلنا تخطيط وجوههم حتى صارت مسووحة لا يرى اثر عين وذلك ان جبرائيل (ع) صفق اعينهم بجناحه صفقة فاذهبها والقصة مذكرة فيما مضى وتم الكلام ثم قال (فذوقوا عذابي ونذر) اي فقلنا قوم لوط لما ارسلنا عليهم العذاب ذوقوا عذابي ونذري (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) اي اتاهم صباحا عذاب نازل بهم حتى هلكوا جميعا (فذوقوا عذابي ونذر) ووجه التكرار ان الأول عند الطمس والثاني عند الائتفاك فكلا تجدد العذاب بتجدد التعريم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر معناه (ولقد جاء آل فرعون النذراي متابعي فرعون بالقرابة والدين (النذر) اي الانذار وقيل هو جمع نذير يعني الآيات التي

انذهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) اي وهي الآيات التسع التي جاءهم بها موسى وقيل بجميع الآيات لأن التكذيب البعض تكذيب الكل (فأخذناهم) بالعذاب (اخذ عزيز) اي قادر لا يستنح عليه شيء فيها يريد (مقتدر) على ما يشاء

قوله تعالى (٤٣) أَ كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٤)
 أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرٌ (٤٥) سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَهُوْلُونَ الذُّبُرِ (٤٦) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
 وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٧) إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسَعُرٍ (٤٨) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ
 عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٩) إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلْقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٥٠) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ
 كَلِمَةً بِالْبَصَرِ (٥١) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِيرٍ (٥٢) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
 فِي الزُّبُرِ (٥٣) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (٥٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٥)
 فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ اربع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب عن رويس سهزم الجمع والباقون سهزم الجمع وفي الشواذ قراءة أبي السباك انا كل شيء بالرفع وقراءة زهير والقرقي والأعمش ونهر بضمين

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني الرفع في قوله انا كل شيء خلقناه أقوى من النصب وان كانت الجماعة على النصب وذلك انه من مواضع الابتداء فهو كقولك زيد ضربته فهو مذهب صاحب الكتاب لأنها جملة وقعت في الأصل خبرا عن المبتدأ في قولك نحن كل شيء خلقناه بقدر فهو كقولك زيد هند ضربها ثم دخلت ان فنصب الاسم وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه واختيار محمد بن يزيد النصب لأن تقديره انا فعلنا كذا قال والفعل منتظر بعد انا فلما دل عليه ما قبله حسن اضماره قال ابن جني وهذا ليس بشيء لأن الأصل في خبر المبتدأ أن يكون اسما لا فعلا جزاء منفردا فما معنى توقع الفعل هنا وخبر إن واخواتها كأخبار المبتدأ وقوله نهر جمع نهر فيكون كأسد وأسد ووثن ووثن ويجوز أن يكون جمع نهر كسقف وسقف ورهن ورهن

﴿ المعنى ﴾

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (اكفاركم خير) وأشد وأقوى (من أولئكم) الذين ذكرناهم وقد اهلكناهم وهذا استفهام انكار أي لستم أفضل من قوم نوح وعاد وثمود لا في القوة ولا في الثروة ولا في كثرة العدد والعدد والمراد بالخبر ما يتعلق بأسباب الدنيا لا أسباب الدين والمعنى انه إذا هلك أولئك الكفار فما الذي يؤمنكم أن ينزل بكم ما نزل بهم (أم لكم براءة في الزبر) أي ألكم براءة من العذاب في الكتب السالفة انه لن يصيبكم ما اصاب الأمم الخالية (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي أم يقول هؤلاء الكفار نحن جميع أمرنا نتصر من أعدائنا عن الكافي والمعنى انهم يقولون نحن يد واحدة على من خالفنا نتصر ممن عادانا فبدلون بقوتهم واجتماعهم ووجد متصر لفظ الجميع فإنه واحد في اللفظ وان كان اسما للجماعة كالرهن

والجيش أي كما أنهم ليسوا بخير من أولئك ولا لهم براءة فكذلك لا جمع لحم يمنع عنهم عذاب الله وينصرهم وإن قالوا نحن مجتمعون متناصرون فلا ترام ولا تقصد ولا يطعم احد في غلبتنا ثم قال سبحانه (سبهزم الجمع) أي جمع كفار مكة (ويولون الدبر) أي ينهزمون فيولونكم أدبارهم في الهزيمة ثم أخير سبحانه نبيه ﷺ أنه سيظهره عليهم ويهزمهم فكانت هذه الهزيمة يوم بدر فكان موافقة الخبر للخبر من معجزاته ثم قال سبحانه (بل الساعة موعدهم) أي ان موعد الجميع للعذاب يوم القيامة (والساعة أدهى وأمر) فالأدهى الأعظم في الدهاء والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس وهو من الدهاية أي البلية التي ليس في ازالتها حيلة والمعنى ان ما يجري عليهم من القتل والأسر يوم بدر وغيره لا يخلصهم من عقاب الآخرة بل عذاب الآخرة أعظم في الضرر وأقطع وأمر أي أشد مرارة من القتل والأسر في الدنيا وقيل الأمر الأشد في استمرار البلاء لأن أصل المر التفرؤ ثم بين سبحانه حال القيامة فقال (إن المجرمين في ضلال وسمر) أي في ذهاب عن الحق وسمر أي ضلالتهم وعذاب (يوم يسحبون) أي يجرون (في النار على وجوههم) يعني ان هذا العذاب يكون لهم في يوم يجرم الملائكة فيه على وجوههم في النار ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) يعني اصابها ايام بعذابها وحرها وهو كقولهم وجدت مس الحى وسقر جهنم وقيل هي باب من أبوابها وأصل السقر التلويح يقال سقرته الشمس وصقرته إذا لوحته وإنما لم ينصرف للتعريف والتأنيث (انا كل شي خلقناه بقدر) أي خلقنا كل شي بقدره مقدرا بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافا ولا تخيينا فخلقنا العذاب ايضا على قدر الاستحقاق وكذلك كل شي في الدنيا والآخرة خلقناه مقدرا بمقدار معلوم عن الجبائي وقيل معناه خلقنا كل شي على قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام واليد للبسط والرجل للمشي والعين للنظر والاذن للسمع والمعدة للطعام ولو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الفرض عن الحسن وقيل معناه جعلنا لكل شي شكلا يواقيه ويصلح له كالمرأة للرجل والأنتان للحمار وثياب الرجال للرجال وثياب النساء للنساء عن ابن عباس وقيل خلقنا كل شي بقدر مقداره وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أي وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كظرف البصر عن ابن عباس والكلمي ومعنى اللوح النظر بالعجلة وهو خلف البصر والمعنى إذا أردنا قيام الساعة أعدنا الخلق وجميع المخلوقات في قدر لمح البصر في السرعة وقيل معناه وما أمرنا إذا أردنا أن نكون شيئا إلا مرة واحدة لم نحتاج فيه إلى ثانية وإنما نقول له كن فيكون كلمح البصر في سرعته من غير ابطاء ولا تأخير عن الجبائي (ولقد اهلكنا أشياءكم) أي اشياهم ونظائرهم في الكفر من الأمم الماضية عن الحسن وسأهد اشياهم لما وافقوهم في الكفر وتكذيب الأنبياء (فهل من مدكر) أي فهل من متذكر لما يوجب هذا الوعظ من الانزعاج في مثل ما سلف من اعمال الكفار لتلايق به ما وقع بهم من الاهلاك (وكل شي فعلوه في الزبر) أي في الكتب التي كتبها الحافظة وهذه اشارة إلى أنهم غير مفعول عنهم عن الجبائي وقيل معناه ان جميع ذلك مكتوب عليهم في الكتاب المحفوظ لأنه من اعظم العبرة في علم ما يكون قبل ان يكون على التفصيل (وكل صغير وكبير مستطر) أي وما قدموه من اعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقناة والضحاك وقيل معناه كل صغير وكبير من الأرزاق والآجال والموت والحياة ونحوها مكتوب في اللوح المحفوظ (ان المتقين في جنات ونهر) أي

أنهار يعني أنهار الجنة من الماء والخمر والعسل وضع نهر في موضع أنهار لأنه اسم جنس يقع على الكثير والقليل والاولى ان يكون انما وحد لوفاق الفواصل والنهر هو المجرى الواسع من مجاري الماء (في مقعد صدق) أي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل وصفه بالصدق لكونه رقيقا مرضيا وقيل لدوام النعيم به وقيل لأن الله صدق وعد أولياته فيه (عند ملك مقتدر) أي عند الله سبحانه فهو المالك القادر الذي لا يعجزه شيء وليس المراد قرب المكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد أنهم في كنفه وجواره وكفايته حيث تنالهم غواشي رحمته وفضله

سورة الرحمن (مكية)

وقيل مكية غير آية نزلت بالمدينة يسأله من في السموات والأرض عن عطاء وقتادة وعكرمة واحده
الروایتين عن ابن عباس وقيل مدنية عن الحسن وهمام عن قتادة وابي حاتم

❖ عدد آياتها ❖

ثمان وسبعون آية كوفي شامي سبع حجازي ست بصري

❖ اختلافها ❖

خمس آيات الرحمن كوفي شامي خلق الإنسان الاول غير المدني وضعها للأنام غير المكِّي المجرمون غير
البصري شواظ من نار حجازي

❖ فضلها ❖

ابن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما أنعم الله عليه وروي عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﷺ قال لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لا تدعوا قراءة الرحمن والقيام بها فإنها لا تفر في قلوب المنافقين وتأتي ربها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ربح حتى تقف من الله موقفا لا يكون احد أقرب إلى الله سبحانه منها فيقول لها من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك فتقول يا رب فلان وفلان وفلان فتبيض وجوههم فيقول لهم اشفعوا فيمن أحببتم فبشغفون حتى لا يبقى لهم غاية ولا احد يشغفون له فيقول لهم ادخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم . حماد بن عثمان قال قال الصادق (ع) يجب ان يقرأ الرجل سورة الرحمن يوم الجمعة فكلمها قرأ فأبى آلاء ربك تكذبان قال لا بشيء من آلائك يا رب اكذب وعنه (ع) قال من قرأ سورة الرحمن ليلا يقول عند كل فبأبي آلاء ربك تكذبان لا بشيء من آلائك يا رب اكذب وكل الله به ملكا ان قرأها في أول الليل يحفظه حتى يصبح وان قرأها حين يصبح وكل الله به ملكا يحفظه حتى يمسي

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة القمير باسمه وافتتح هذه السورة ايضا باسمه فقال
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الرَّحْمَنُ (٢) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٤) عَلَّمَهُ
 الْبَيَانَ (٥) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٦) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٧) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ
 الْمِيزَانَ (٨) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٩) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (١٠)
 وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١١) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١٢) وَالْحَبُّ ذُو
 الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ
 ثلاث عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بالنصب فيها جميعا وقرأ حمزة والكسائي وخلف والحب ذو
 العصف بالرفع والريحان بالجر والباقون بالرفع في الجميع وفي الشواذ قراءة ابي السائب والساها رفعها بالرفع
 وقرأ بلال بن ابي بردة ولا تخسروا بفتح التاء والسين وبكسر السين أيضا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو عبيدة العصف الذي يعصف فيؤكل من الزرع وهي العصيفة قال علقمة بن عبدة
 تسقى مذائب قدمالت عصيفتها حدودها من اتي الماء مطموم
 والريحان الحب الذي يؤكل يقال سبحانك وريحانك أي ورزقك قال النمر بن قنبل
 سلام الآله وريحانه ورحمته وسماها درر

وقيل العصف والعصيفة ورق الزرع وعن قتادة العصف الثبن ومن قرأ والحب ذا العصف حمله على
 وخلق الحب وخلق الريحان وهو الرزق ويقوي ذلك قوله فأخرجنا به أزواجنا من نبات شتى ومن رفع
 الريحان فالتقدير فيها فاكهة والريحان والحب ذو العصف ومن جر فالتقدير فالحب ذو العصف وذو الريحان
 أي من الحب الرزق فإن قلت فإن العصف والعصيفة رزق أيضا فكأنه قال ذو الرزق وذو الرزق قيل
 هذا لا يمنع لأن العصيفة رزق غير الرزق الذي أوقع الريحان عليه وكأن الريحان اريد به الحب إذا
 خلس من لغائفه فأوقع عليه الرزق لمعوم المنفعة به وانه رزق للناس وغيرهم ويبعد ان يكون الريحان المشموم
 في هذا الموضع انما هو قوت الناس والأنعام كما قال فأخرجنا به أزواجنا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم
 وقوله والساها رفعها قال ابن جني الرفع هنا اظهر من قراءة الجماعة وذلك انه صرفه إلى الابتداء لأنه عطفه
 على الجملة المركبة في المبتدأ والخبر وهي قوله والنجم والشجر يسجدان فأما قراءة العامة بالنصب فإنها معطوفة
 على يسجدان وحدها وهي جملة من فعل وفاعل والمطف يقتضي التماثل في تركيب الجمل فيصير تقديره يسجدان
 ورفيع السها فلما اضممر رفع فسر به بقوله رفعها كقولك قام زيد وعمرا ضربته أي وضربت عمرًا تعطف جملة
 من فعل وفاعل على أخرى مثلها وأما قوله تخسروا بفتح التاء فإنه على حذف حرف الجر أي لا تخسروا في
 الميزان فلما حذف حرف الجر أفضى إليه الفعل فنصبه كقولهم واقعدوا لهم كل مرصد أي في كل مرصد أو على

كل مرصداً ما تخمروا بفتح التاء وكسر السين فعل خسرت الميزان وإنما المشهور اخسرته تقول خسرت الميزان
واخسرته ويشبه ان يكون خسرته لغة في اخسرته نحو اجبرت الرجل وجبرته واهلكته وهلكته

✽ اللغة ✽

الرحمن هو الذي وسعت رحمته كل شيء فلذلك لا يوصف به إلا الله تعالى وأما راحم ورحيم فيجوز
ان يوصف بها العباد والبيان هو الأدلة الموصلة إلى العلم وقبل البيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به
من غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس ومعنى قادر من معنى عاجز ومعنى عام من معنى خاص والحسابان
مصدر حسبته احسبه حساباً وحسابانا نحو السكران والكفران وقيل هو جمع حساب كشهاب وشهبان والنجم
من النبات ما لم يقم على ساق نحو العشب والبقل والشجر ما قام على ساق واصله الطلوع يقال نجم القرن
والنبات إذا ظلما وبه سمي نجم السماء لطلوعه والاكمام جمع كم وهو وعاء ثمرة النخل تكم في وعائه إذا
اشتمل عليه والآلاء النعم واحداها إلى على وزن معي وألى على وزن قفا عن ابي عبيدة

➤ الاعراب ➤

الرحمن آية مع انه ليس بجملة لأنه في تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصلة فهو خبر مبتدأ محذوف نحو
قوله سورة أنزلناها أي هذه سورة. ألا تظنوا تقديره لأن لا تظنوا فهو في محل نصب بأنه مفعول له ولفظه
نفي ومعناه نهي ولذلك عطف عليه بقوله واقبموا الوزن وقوله فيها فأكتم مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال

🕌 المعنى 🕌

(الرحمن) افنتح سبحانه هذه السورة بهذا الاسم ليعلم العباد ان جميع ما وصفه بمد من افعاله الحسنی
إنما صدرت من الرحمة التي تشتمل جميع خلقه وكأنه جواب لقولهم وما الرحمن في قوله وإذا قيل لهم
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وقد روي انه لما نزل قوله قل ادعوا الله ادعوا الرحمن قالوا ما نعرف الرحمن
إلا صاحب الیامة فقيل لهم الرحمن (علم القرآن) أي علم محمداً ﷺ القرآن وعلمه البيان محمد ﷺ
أمنه عن الكلبي وقيل هو جواب لأهل مكة حين قالوا إنما يعلمه بشر فيمن سبحانه ان الذي علمه القرآن
هو الرحمن والتعليم هو تبیین ما به بصير من لم يعلم عالماً والاعلام ایجاد ما به بصير عالماً ذكر سبحانه النعمة
فما علم من الحكمة بالقرآن الذي احتاج اليه الناس في دينهم ليوادوا ما يجب عليهم ويستوجبوا الثواب بطاعة
ربهم قال الزجاج معنى علم القرآن بسره لأن تذكر (خلق الإنسان) أي اخرجه من العدم إلى الوجود
والمراد بالإنسان هنا آدم (ع) عن ابن عباس وقناة (علمه البيان) أي اسماء كل شيء واللغات كلها قال
الصادق (ع) البيان الاسم الاعظم الذي به علم كل شيء وقيل الإنسان اسم الجنس وقيل معناه الناس
جميعاً. علمه البيان أي النطق والكتابة والخط والفهم والافهام حتى يعرف ما يقول وما يقال له عن الحسن
وابي العالية وابن زيد والسدي وهذا هو اظهر الأعم وقيل البيان هو الكلام الذي يبين به عن مراده وبه
يتميز من سائر الحيوانات عن الجبائي وقيل خلق الإنسان يعني محمداً ﷺ علمه البيان يعني ما كان
وما يكون عن ابن كيسان (الشمس والقمر بحسبان) أي بجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها وهما بدلان
على عدد الشهور والسنين والاقوات عن ابن عباس وقناة فأضمر بجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه وتحقيق
معناه انها بجريان على وتيرة واحدة وحساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت فالشمس تقطع بروج الفلك

في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وشي* والقمر في ثمانية وعشرين يوماً فيجريان ابداً على هذا الوجه وانها خصها بالذكر لما فيها من المنافع الكثيرة للناس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونضج الثمار إلى غير ذلك فذكرهما لبيان النعمة بهما على الخلق (والنجم والشجر يسجدان) يعني بالنجم نبت الأرض الذي ليس له ساق وبالشجر ما كان له ساق يبقى في الشتاء عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وقيل اراد بالنجم نجم السماء وهو موحد والمراد به جميع النجوم والشجر يسجدان لله بكرة وعشياً كما قال في موضع آخر والشجر والدواب عن مجاهد وقتادة وقال اهل التحقيق ان المعنى في سجودهما هو ما فيها من الآيات الدالة على حدودها وعلى ان لها صنماً انشأها وما فيها من الصنعة والقدرة التي توجب السجود وقيل سجودهما سجود ظلها كقوله يتقيون ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون عن الضحاك وسعيد بن جبير والمعنى فيه ان كل جسده ظل فهو يقتضي الخضوع بما فيه من دليل الحدوث واثبات المحدث المدبر وقيل معنى سجودهما انه سبحانه بصرفها على ما يريد من غير امتناع فجعل ذلك خضوعاً ومعنى السجود الخضوع كما في قوله « ترى الا كم فيها سجداً للحوافر » عن الجبائي (والساء رهما) أي ورفع الساء رهماً فوق الأرض دل سبحانه بذلك على كمال قدرته (ووضع الميزان) يعني آلة الوزن لتوصل إلى الانصاف والانتصاف عن الحسن وقتادة قال قتادة هو الميزان المهبود ذو اللسانين وقيل المراد بالميزان العدل والمعنى انه امر بالعدل عن الزجاج وبندل عليه قوله (لا تظفوا في الميزان) أي لا تتجاوزوا فيه العدل والحق إلى البخس والباطل وتقديره فملت ذلك لئلا تظفوا ويحتمل ايضاً ان يكون لا تظفوا نياً منفرداً وتكون ان مفسرة بمعنى اي وقيل ان المراد بالميزان القرآن الذي هو أصل الدين فكأنه تعالى بين أدلة العقل وأدلة السمع وانما اعد سبحانه ذكر الميزان من غير اضمحار ليكون الثاني قائماً بنفسه في النهي عنه إذا قيل لهم لا تظفوا في الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) أي أقيموا لسان الميزان بالعدل إذا أردتم الأخذ والاعطاء (ولا تخسروا الميزان) اي لا تنقصوه بالبخس والجور بل سووه بالانصاف والعدل قال سفيان بن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب (والأرض وضعت للانام) لما ذكر الساء ذكر الأرض في مقابلتها أي وبسط الأرض ووطأها للناس وقيل الانام كل شيء فيه روح عن ابن عباس وقيل الانام الجن والانس عن الحسن وقيل جميع الخلق من كل ذي روح عن مجاهد وعبر عن الأرض بالوضع لما عبر عن الساء بالرفع وفي ذلك بيان النعمة على الخلق وبيان وحدانية الله تعالى كما في رفع الساء (فيها فاكهة) أي في الأرض ما يتفككه به من الوان الثمار المأخوذة من الاشجار (والنخل ذات الاكام) اي الأوعية والغلف وثمر النخل يكون في غلف ما لم ينشق وقيل الاكام ليف النخل الذي تكم فيه عن الحسن وقيل معناه ذات الطلع لأنه الذي يتغطى بالاكام عن ابن زيد (والحب) يريد جميع الحبوب مما يجرث في الأرض من الحنطة والشعير وغيرهما (ذو العصف) اي ذو الورق فإذا يبس وديس صار تبناً عن مجاهد والجبائي وقيل العصف التبن لأن الريح تمصفه أي تطيره عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل هو بقل الزرع وهو أول ما ينبت منه عن السدي والفراء (والريحان) يعني الرزق في قول الاكثرين وقال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم وقال الضحاك والريحان الحب المأكول والعصف الورق الذي لا يؤكل فهو رزق الدواب والريحان رزق الناس فذكر سبحانه قوت الناس والانتعام ثم خاطب الانس والجن بقوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي فبأي نعم ربكما من هذه

الأشياء المذكورة تكذبان لأنها كلها منعم عليكم بها والمعنى انه لا يمكن جحد شيء من هذه النعم فأما الوجه لتكرار هذه الآية في هذه السورة فإنها هو التقرير بالنعم المدودة والتأكيد في التذكير بها كلها فكما ذكر سبحانه نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره أما أحسنت اليك حين أطلقت لك المالا أما أحسنت اليك حين ملكتك عقارا أما أحسنت اليك حين بنت لك دارا فيحسن فيه التكرار لا اختلاف ما يقرره به ومثله كثير في كلام العرب وأشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً

على ان ليس عدلا من كليب	إذا طرد اليتيم عن الجزور
على ان ليس عدلا من كليب	إذا ما ضيم جيران المجير
على ان ليس عدلا من كليب	إذا رجف العضاء من الدبور
على ان ليس عدلا من كليب	إذا خرجت مخبأة الخدور
على ان ليس عدلا من كليب	إذا ما اعلنت نجومى الصدور

وقالت ليلي الاخيلية ترثي توبة بن الحمير

لنعم الفتى يا توب كنت ولم تكن	لتسبق يوماً كنت فيد تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت إذا التقت	صدور العوالي واستئثال الاسافل
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف	أناك لكي تحمي ونعم المجمال
ونعم الفتى يا توب جارا وصاحباً	ونعم الفتى يا توب حين تناضل
لعمري لأنت المرء ابكي لفقده	ولولام فيه ناقص الرأي جاهل
لعمري لأنت المرء ابكي لفقده	إذا كثرت بالملجمين التلاتل
أبي لك ذم الناس يا توب كلما	ذكرت امور محكمات كوامل
أبي لك ذم الناس يا توب كلما	ذكرت سماح حين تأوي الارامل
فلا يمدنك الله يا توب إنما	كذلك المنايا عاجلات وأجل
ولا يمدنك الله يا توب إنما	لقيت حمام الموت والموت عاجل

فخرجت في هذه الآيات من تكرار إلى تكرار لا اختلاف المعاني التي عددها وقال الحارث بن عباد

قرباً مربوط النعامه مني لقصحت حرب وائل عن حبال

وكرر هذه اللفظة قرباً مربوط النعامه مني في آيات كثيرة وفي امثال هذا كثرة وهذا هو الجواب بعينه عن التكرار لقوله وبل يومئذ للمكذبين في المرسلات

قوله تعالى (١٤) خلق الإنسان من صلصال كالفخار (١٥) وخلق الجن من مارج من نار (١٦) فيآي آلاء ربكم أنكذبان (١٧) رب المشرقين ورب المغربين (١٨) فيآي آلاء ربكم أنكذبان (١٩) مرج البحرين يلتقيان (٢٠) بينهما برزخ لا يغيان

(٢١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٢) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٤) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٦) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٧) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٩) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٣٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سبع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة والبصرة يخرج منها بضم الباء وفتح الراء والباقون يخرج بفتح اليا وضم الراء وقرأ حمزة ويحيى عن ابي بكر المنشآت بكسر الشين والباقون بفتح الشين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ يخرج كان قوله بينا لأن ذلك إنما يخرج ولا يخرج بنفسه ومن قرأ يخرج جعل الفعل للؤلؤ والمرجان وهو اتساع لأنه إذا اخرج ذلك قد خرج وقال يخرج منها لؤلؤ ولم يقل من احدهما على حذف المضاف كما قال علي رجل من القرينين عظيم على ذلك وقال ابو الحسن زعم قوم انه يخرج من العذاب ايضا والمرجان صغار اللؤلؤ واحدها مرجانة قال ذو الرمة

كأن عرى المرجان منها تعلقت على ام خشف من ظباء المشافر
والمنشآت المجرذات الرفوعات فمن فتح الشين فلأنها أنشئت واجريت ولم تفعل ذلك انفسها ومن قرأ المنشآت نسب الفعل اليها على الاتساع كما يقال مات زيد ومرض عمرو ونحو ذلك مما يضاف الفعل اليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة لغيره وكان المعنى المنشآت السير فحذف المفعول للعلم به وإضافة السير اليها اتساع ايضا لأن سيرها إنما يكون في الحقيقة بهبوب الريح او دفع الصواري

﴿ اللفظة ﴾

الصلصال الطين اليابس الذي يسمع منه صلصلة والفخار الطين الذي يطبخ بالنار حتى صار خزفا والمارج المضطرب المتحرك وقيل المختلط يقال مرج الأمر اختلط ومرجت عمود القوم واماناتهم قال الشاعر
مرج الدين فأعددت له مشرق الحارك محبوك الكند
ومرج الدابة في المرعى إذا خلاها لترعى والبرزخ الحاجز بين الشيبين والجواري السفن لأنها تجري في الماء واحدها جارية ومنه الجارية المرأة الشابة لأنها يجري فيها ماء الشباب والأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
وقال جرير « إذا قطمن علما بدا علما » والفناء انتفاء الأجسام والصحيح انه معنى يضاد الجواهر باق فلا يتغير إلا بضدا او ما يجري مجرى الضد وضده الفناء

* المعنى *

ثم قال سبحانه عاطفا على ما تقدم من الأدلة على وحدانيته والإبانة عن نعمه على خلقه فقال (خلق الإنسان) يعني به آدم وقيل جميع البشر لأن أصلهم آدم (ع) (من صلصال) أي طين يابس وقيل حمأ متين ويحتمل الوجهين جميعا لأنه كان حمأ مسنونا ثم صار يابسا (كالغبار) أي كالأجر والخزف (وخلق الجن) أي أبا الجن قال الحسن هو إبليس أبو الجن وهو مخلوق من لهب النار كما أن آدم «ع» مخلوق من طين (من مارج من نار) أي من نار مختلط أحمر واسود وأبيض عن مجاهد وقيل المارج الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه (فأبي آلاء ربكنا تكذبان) فبأي نعمة تكذبان أي أبا أن خلقكنا من نفس واحدة وتقلنا من التراب والنار إلى الصورة التي أنتم عليها تكذبان (رب المشرقين ورب المغربين) يعني مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل المراد بالمشرقين مشرق الشمس والقمر والمغربين مغرب الشمس والقمر بين سبحانه قدرته على تصرف الشمس والقمر ومن قدر على ذلك قدر على كل شيء (فأبي آلاء ربكنا تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) ذكر سبحانه عظيم قدرته حيث خلق البحرين العذب والمالح يلتقيان ثم لا يختلط أحدهما بالآخر وهو قوله بينهما برزخ أي حاجز من قدرة الله فلا يبغي الملح على العذب فيفسده ولا العذب على المالح فيفسده ويختلط به ومعنى مرج أرسل عن ابن عباس وقيل المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض فإن في السماء بحرا يسكه الله بقدرته ينزل منه المطر يلتقيان في كل سنة وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول وبحر الأرض من الصعود عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وقيل أنها بحر فارس وبحر الروم عن الحسن وقتادة فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذلك والبرزخ بينهما الجزائر وقيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما لا يبغيان أي لا يطلبان أن لا يختلطا (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صفاره عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وقيل المرجان خرز أحمر كالقضباني يخرج من البحر وهو البسذ عن عطاء الخراساني وأبي مالك وبه قال ابن مسعود لأنه قال حجر وإنما قال منها وإنما يخرج من الملح دون العذب لأن الله سبحانه ذكرهما وجمعهما وهما بحر واحد فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منها عن الزجاج قال الكلبي وهو مثل قوله وجعل القمر فيهن نورا وإنما هو في واحدة منهن وقوله يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم والرسل من الأنس دون الجن وقيل يخرج منهما أي من ماء السماء ومن ماء البحر فإن القطر إذا جاء من السماء تفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ عن ابن عباس ولذلك حمل البحرين على بحر السماء وبحر الأرض وقيل إن العذب والمالح يلتقيان فيكون العذب كالقحاح للملح ولا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه الملح والعذب وذلك معروف عند الغواصين وقد روي عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري إن البحرين علي وفاطمة عليهما السلام بينهما برزخ محمد صلى الله عليه وسلم يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام ولا غروا أن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما فإن البحرا إذا يسمى بحرا لسعته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لغرس ركبته وأجره فأحمدته وجدته بحرا أي كثير المعاني الحميدة (وله الجوار) أي السفن الجارية في الماء تجري بأمر الله (المنشآت في البحر) أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت وقيل هي المبتدآت للسبر مرفعة

القلاع قال مجاهد ما رفع له القلاع فهو منسأ وما لم ترفع قلاعه فليس بمنشأ والقلاع جمع قلع وهو شرع السفينة (كالاعلام) أي كالجبال قال مقاتل شبه السفن في البحر بالجبال في البر وقيل المنشآت بكسر الشين وهي أن ينشأ الموج بصدرها حيث تجري فيكون الأمواج كالاعلام من الله سبحانه على عباده بأن علمهم اتخاذ السفن ليركبوها وإن جعل الماء على صفة تجري السفن عليه لأجلها (كل من عليها فان) أي كل من على الأرض من حيوان فهو هالك يفتنون ويخرجون من الوجود إلى العدم كني عن الأرض وإن لم يجر لها ذكر كقول أهل المدينة ما بين لاجبها أي لاجبتي المدينة وإنما جاز ذلك لكونه معلوما (ويبقى وجه ربك) أي ويبقى ربك الظاهر بأدلته ظهور الإنسان بوجهه (ذو الجلال) أي العظمة والكبرياء واستحقاق الحمد والمدح بإحسانه الذي هو في أعلى مراتب الإحسان وانعامه الذي هو أصل كل انعام (والاولى كرام) يكرم أنبياءه وأوليائه بالطفاه وأفضاله مع عظمتهم وجلاله وقيل معناه انه أهل أن يعظم وينزه عما لا يليق بصفاته كما يقول الإنسان لغيره أنا اكرمك عن كذا واجلك عنه كقوله أهل التقوى أي أهل ان يتقى وتقول العرب هذا وجه الرأي وهذا وجه التدبير بمعنى انه الرأي والتدبير قال الاعشى

وأول الحكم على وجهه ليس قضائي بالهوى الجائر

أي قرر الحكم كما هو وقيل ان المراد بالوجه ما يتقرب به إلى الله تعالى وانشد

استغفر الله ذنبا لست بحصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

ومتى قيل وای نعمه في الفناء فالجواب ان النعمة فيه التسوية بين الخلق فيه وايضا فإنه وصلة إلى الثواب وتنبه على ان الدنيا لا تدوم وايضا فإنه لطف للمكلف لأنه لو عجل الثواب لصار ملجأ إلى العمل ولم يستحق الثواب ففصل بين الثواب والعمل ليفعل الطاعة لحسنها فيستحق الثواب (يسئله من في السموات والأرض) أي لا يستغني عنه أهل السموات والأرض فيسألونه حوائجهم عن فتادة وقيل يسأله أهل الأرض والرزق والمغفرة وتسال الملائكة لهم ايضا الرزق والمغفرة عن مقاتل (كل يوم هو في شأن) اختلف في معناه فقيل إن شأنه سبحانه إحياء قوم وإماتة آخرين وعافية قوم ومرض آخرين وغير ذلك من الإهلاك والإنباء والحرمات والإعطاء والأموال الأخر التي لا تحصى وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يفرج ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عباس انه قال إن ما خلق الله تعالى لوحا من درة يضاء دواته بقوة حمراء قلعه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويزيل ويفعل ما يشاء. فذلك قوله كل يوم هو في شأن وقال مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وقيل ان الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختيار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب عن سفيان بن عيينة وقيل شأنه جل ذكره ان يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء إلى الارحام وعسكرا من الارحام إلى الدنيا وعسكرا من الدنيا إلى القبر ثم يرتحلون جميعا إلى الله تعالى وقيل شأنه إيصال المنافع إليك ودفع المضار عنك فلا تفعل عن طاعة من لا يفعل عن برك عن أبي سليمان الداراني

قوله تعالى (٣١) سَنَفْرَعُ لَكُمْ آيَةَ الثَّقَلَانِ (٣٢) فَيَا آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٣) يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٤) فَيَا آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٥) يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٦) فَيَا آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٧) فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٨) فَيَا آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٩) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٤٠) فَيَا آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤١) يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤٢) فَيَا آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٣) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٤) بَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ (٤٥) فَيَا آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
خمس عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم سيفرع بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن كثير شواط بكسر الشين والباقون بضمها وقرأ ابن كثير واهل البصرة غير يعقوب ونحاس بالجر والباقون بالرفع وبنى الشواذ قراءة قتادة والاعمش سنفرع بفتح النون والراء وقراءة الاعرج سيفرع بفتح الياء والراء ورواية ابي حاتم عن الاعمش سيفرع وقراءة عيسى الثقفي سنفرع بكسر النون وفتح الراء وروي عن ابي عبد الله «ع» هذه جهنم التي كنتا بها تكذبان اصلهاها فلا تموتان فيها ولا تحيان

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي وجه الياء في سيفرع ان النية قد تقدم في قوله وله الجوار وقوله هو في شان ويقال فرغ يفرغ وفرغ يفرغ وليس الفراغ هنا فراغا عن شغل ولكن تأويله التصدي كما قال جرير

الآن فقد فرغت إلى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا

وقرأ ابن عامر آية الثقلان بضم الهاء وقد مضى الوجه فيه والشواظ والشواظ فيه لنتان . ابو عبدة هو

الاهب لا دخان فيه قال روية

إن لهم من حربنا ايقاظا ونار حرب تسمر الشواظا والنحاس الدخان قال الجعدي

تضي كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

قال ابو علي اذا كان الشواظ الاله لا دخان فيه ضعفت قراءة من قرأ ونحاس بالجر ولا يكون على تفسير ابي عبدة إلا الرفع في نحاس على تقدير يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس أي يرسل هذا مرة وهذا اخرى وقد يجوز من وجه آخر على ان تقديره يرسل عليكما شواظ من نار وشي من نحاس فتحذف الموصوف او تقيم الصفة مقامه كقوله ومن آياته يريكم البرق ومن الذين هادوا يجرفون الكلم وان من اهل الكتاب

الايوئمنن به ومن اهل المدينة مردوا على النفاق فحذف الموصوف في ذلك كله فكذلك في الآية فإن قلت هذا فاعل والفاعل لا يحذف فقد جاء

فما راعنا إلا يسير بشرطة وعهدي به قينا يفش بكبير
على ان هذا الحذف قد جاء في المبتدأ في الآي التي تلونا او بعضها وقد قالوا تسمع بالمبيدي لا أن
تراه فإذا حذف الموصوف بقي بعده من نحاس الذي هو صفة لشيء محذوف وحذف من لأن ذكره قد
تقدم في قوله من نار فحسن لذلك حذفها كما حسن حذف الجار من قولهم على من تنزل انزل وكما انشده ابو
زيد من قول الشاعر

واصبح من اسماء قيس كقابض على الماء لا يدري بما هو قابض
اي بما هو قابض عليه فحذف لدلالة الكلام المتقدم عليه وكما حذف الجار عند الخليل في قوله «ان لم
يجد يوما على من يتكلم» يريد عنده من يتكلم عليه فحذف الجار لأنه جرى ذكره قبل فيكون انجرار نحاس
على هذا بمن المضمر لا بالاشراك في من التي جرت في قوله من نار فإذا انجر بمن لم يكن للشواظ الذي هو
اللهب قسط من الدخان

﴿ الفة ﴾

الثقلان اصله من الثقل وكل شيء له وزن وقدر فهو ثقل ومنه قيل لبهض النعامة ثقل قال
فتذكري انقل رتيذا بعد ما القت ذكاه يمينها في كافر
وانما سميت الانس والجن ثقلين لعظم خطرهما وجلالة شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من الحيوانات
ولثقل وزنها بالثقل والتميز ومنه قول النبي ﷺ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ساهما ثقلين
لعظم خطرهما وجلالة قدرهما وقيل ان الجن والانس سميا ثقلين لثقلهما على الأرض أحياء وامواتا ومنه
قوله واخرجت الأرض أثقالها أي اخرجت ما فيها من الموتى والعرب تجعل السيد الشجاع ثقلا على الأرض
قالت الخنساء

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها
والمعنى انه لما مات حل عنها ثقل بموته لسوء دمه ومجده وقيل ان المعنى زينت موتها به من التحلية
والأقطار جمع القطر وهو الناحية يقال طعنه فقطره إذا القاه على احد قطريه وهما جانباه والسياء مشتق من
السوم وهو رفع الثمن عن مقداره والعلامة ترفع باظهارها لتقع المعرفة بها والناصية شعر مقدم الرأس واصله
الاتصال من قول الشاعر «في تناصيها بلاد في» أي تتصل بها فالناصية متصلة بالرأس والاقدام جمع قدم
وهو العضو الذي يقدم صاحبه للوطء به على الأرض والآتي الذي يبلغ نهاية حره اني يأتي انيا

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الفناء والإعادة عقب ذلك بذكر الوعيد والتهديد فقال (سنفرغ لكم ايه الثقلان) اي
سنقصد لحسابكم ايها الجن والانس عن الزجاج قال والفراغ في اللغة على ضربين ﴿ احدهما ﴾ القصد لشيء
يقال سأفرغ لفلان اي سأجمله قصدي ﴿ والآخر ﴾ الفراغ من شغل والله عز وجل لا يشغله شأن عن
شأن وقيل معناه سنعمل عمل من يفرغ للعمل فيجوده من غير تضجيع فيه وقيل سنفرغ لكم من الوعيد

بتقضي أيامكم المتوعد فيها فشبّه ذلك بمن فرغ من شيء واخذ في آخر والشغل والفراغ من صفات الاجسام التي تحملها الأعراض وتشغلها عن الاضداد في تلك الحال ولذلك وجب ان يكون في صفة التدبير تعالى مجازا ويدل على ان الثقلين المراد بهما الجن والانس قوله (يا مشر الجن والانس إن استطعتم ان تنفذوا) اي تخرجوا هاربين من الموت يقال نفذ الشيء من الشيء إذا خلس منه كالسهم ينفذ من الرمية (من اقطار السموات والأرض) اي جوانبها ونواحيها والمعنى حيث ما كنتم ادر كلكم الموت (فانفذوا) اي فاخرجوا فلن تستطيعوا ان تهربوا منه (لا تنفذون إلا بسلطان) اي حيث توجهتم فتم ملكي ولا تخرجون من سلطاني فأنا آخذكم بالموت عن عطاء ومعنى السلطان القوة التي سلط بها على الامم ثم الملك والقدرة والحجة كلها سلطان وقيل لا تنفذون إلا بسلطان اي لا تخرجون إلا بقدرة من الله وقوة يعطيكوها بأن يخلق لكم مكانا آخر سوى السموات والارض ويميل لكم قوة تخرجون بها اليه فينبى سبحانه بذلك انهم في جسده وانه مقتدر عليهم لا يقوتونه وجعل ذلك دلالة على نوريته وقدرته وزجر لهم عن معصيته ومخالفته وقيل لن المعنى في الآية ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا فإنه لا يمكنكم ذلك لا تنفذون إلا بسلطان اي لا تعلمونه إلا بحجة وبيان عن ابن عباس وقيل لا تنفذون إلا بسلطان معناه حيث ما شاهدتم حجة الله وسلطانه النبي يدل على توحيدته عن الزجاج (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي بأي نعمة تكذبان أباخاره عن تعبيركم لاحتالوا له بعمل الطاعة واجتناب المعصية او باخاره عنكم انكم لا تنفذون إلا بحجة تستمدون ذلك اليوم (يرسل عليكم شواظ من نار) وهو الاله الاخضر المتقطع من النار (ونحاس) وهو الصغر المذاب للمذاب عن مجاهد وابن عباس وسفيان وقتادة وقيل النحاس الدخان عن ابن عباس في رواية أخرى وسجد ابن جبير وقيل النحاس المهل عن ابن مسعود والضحاك والمعنى لا تنفذون ولو جاز ان تنفذوا وقدرتم عليه لا يرسل عليكم العذاب من النار المحرقة وقيل معناه انه يقال لهم ذلك يوم القيامة (يرسل عليكم) اي يرسل على من اشرك منكم وقد جاء في الخبر يحاط على الخلق بالملائكة بلسان من نار ثم ينادون يا مشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من إلى قوله يرسل عليكم شواظ من نار وروى مسعدة بن صدقة عن كليب قال كنا عند ابي عبد الله (ع) فأنشأ يحدثنا فقال إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد وذلك انه يوحى إلى السماء الدنيا ان اهبطي بمن فيك فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والانس والملائكة ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سموات فيصير الجن والانس في سبع سرادقات من الملائكة ثم ينادي مناد يا مشر الجن والانس ان استطعتم الآية فينظرون فإذا قد احاط بهم سبعة اطواق من الملائكة وقوله (فلا تتصران) اي فلا تقدران على دفع ذلك عنكما وعن غيركما وعلى هذا فيكون فائدة الآية ان عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الاقطار وفي ذلك اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي ياخاره اياكم عن هذه الحالة لتتحرزوا عنها أم بغيره من النعم فإن وجه النعمة في ارسال الشواظ من النار والنحاس على الثقلين هو ما في ذلك لهم من الزجر في دار التكليف عن مواقة التبيح وذلك نعمة جزيلة (فإذا انشقت السماء) يعني يوم القيامة إذا تصدعت السماء وانفك بعضها من بعض (فكانت وردة) أي فصارت حمراء كالون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب إلى الحمرة او الصفرة فيكون في الشتاء احمر

وفي الربيع اصغرو في اشتداد البرد اغبر سبحان خالتهما والمصرف لما كيف يشاء والوردة واحدة الورد فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بذلك وقيل اراد به وردة النبات وهي حمراء وقد تختلف ألوانها ولكن الاغلب في ألوانها الحمرة فصير السماء كالوردة في الاحمرار ثم تجري (كالدهان) وهو جمع الدهن عند انقضاء الأمر وتناهي المدة قال الحسن هي كالدهان التي يصب بعضها على بعض بألوان مختلفة قال الفراء شبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه وهو قول مجاهد والضحاك وقتادة وقيل الدهان الاديم الاحمر وجمعه ادهنة عن الكلبي وقيل هو عكر الزيت يتلون ألوانا عن عطاء بن ابي رباح (فأبي آلاء ربكما تكذبان) وجه النعمة في انشقاق السماء حتى وقع التعرير بها هو ما في الاخبار به من الزجر والتخويف في دار الدنيا (فيومئذ) يعني يوم القيامة (لا يسأل عن ذنبه انيس ولا جان) اي لا يسأل المجرم عن جرمه في ذلك الموطن لما يلحقه من الذهول الذي تحار له العقول وان وقعت المسألة في غير ذلك الوقت بدلالة قوله وقفوه انهم مسؤلون وتقدير الآية فيومئذ لا يسأل انيس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه وقيل معناه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انيس ولا جان سؤال استفهام ليعرف ذلك بالمسألة من جهته لأن الله تعالى قد احصى الأعمال وحفظها على العباد ولما يسألون سؤال توبيخ وتوبيخ للمحاسبة وقيل ان أهل الجنة حسان الوجوه وأهل النار سود الوجوه فلا يسألون من اي الخزيين هم ولكن يسألون عن اعمالهم سؤال توبيخ وروي عن الرضا «ع» انه قال فيومئذ لا يسأل منكم عن ذنبه انيس ولا جان والمعنى ان من اعتقد الحق ثم أذنب ولم ينسب في الدنيا عذب عليه في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه (يعرف المجرمون بسيماهم) أي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون عن الحسن وقتادة وقيل بإمارات الخزي (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) فتأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم واقدامهم بالنقل ثم يسحبون في النار ويقذفون فيها عن الحسن وقتادة وقيل تأخذهم الزبانية بنواصيهم وبقدامهم فتسوقهم إلى النار والله اعلم (هذه جهنم) أي ويقال لهم هذه جهنم (التي يكذب بها المجرمون) الكافرون في الدنيا قد اظهروه الله تعالى حتى زالت الشكوك فادخلوها ويمكن انه لما اخبر الله سبحانه انهم يؤخذون بالنواصي والاقدام قال النبي ﷺ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون من قومك فسيردونها فليهن عليك أمرهم (يطوفون بينها وبين حميم آن) أي يطوفون مرة بين الجحيم ومرة بين الحميم فالجحيم النار والحميم الشراب عن قتادة وقيل معناه انهم يمدنون بالنار مرة ويجرعون من الحميم يصب عليهم ليس لهم من العذاب ابدا فرج عن ابن عباس والآن الذي انتهت حرارته وقبل الآن الحاضر (فأبي آلاء ربكما تكذبان) الوجه في ذلك ان التذكير بفعل العقاب والإنذار به من اكبر النعم لأن في ذلك زجرا عما يستحق به العذاب وحثا وبعثا على فعل ما يستحق به الثواب

قوله تعالى (٤٦) وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٤٧) فَيَأْتِي آلَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٨) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٩) فَيَأْتِي آلَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٠) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥١) فَيَأْتِي آلَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٢) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٣) فَيَأْتِي آلَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٤) مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّانِيهَا مِن إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ

(٥٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٦) فَبَيْنَ قَاصِرَاتِ الطُّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنَسَ قَبْلَهُنَّ
وَلَا جَانُ (٥٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٨) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ
(٥٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٠) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ
(٦١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
ست عشرة آية

« القراءة »

قرأ الكسائي وحده لم يطمئن بكسر الميم في احدها وضما في الاخرى والباقون بكسر الميم في الحرفين معا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يطمث ويطمث لثتان وقال ابو عبيدة لم يطمئن اي لم يسهن يقال اطمث هذا البعير جبل قط
اي ما سه قال روثبة « كاليض لم يطمث بهن طامث »

﴿ اللفظة ﴾

الافنان جمع فنن وهو الفصن النض الورق ومنه قولهم هذا فن آخر اي نوع آخر ويجوز أن يكون جمع فن
والانكاء الاستناد للتكرمة والامتناع والتكأة تطرح للانسان في مجالس الملوك للايكرام والايجلال وهو مسن
وكأت السقاء اذا شدته ومنه قولهم العين وكأ السنه والفرش جمع فراش وهو الموطأ المههد للنوم عليه والبطائن
جمع بطانة وهو باطن الظهارة والجنى الثمرة التي قد ادركت على الشجرة وهو صلح أن يجنى ومنه قول عمرو بن عدي

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده الى فيه

وتمثل به علي (ع) واصل الطمث الدم يقال طمشت المرأة اذا حاضت وطمشت اذا دميت بالانقضاض وبعير لم
يطمث إذا لم يسه جبل ولا رحل قال الفرزدق

دفعن إلي لم يطمئن قبلي وهن اصبح من بيض النعام

﴿ الاعراب ﴾

متكئين حال من المجرورة باللام اي لهم جنتان في هذه الحالة وما بين قوله جنتان الى قوله متكئين صفات
لجنتين بطائنها من استبرق ابتداء وخبر في موضع الجر وصف لفرش وقوله وجنى الجنتين دان اعراض وقوله
فيهن قاصرات الطرف صفة اخرى لفرش وقوله كأنهن الياقوت والمرجان حال لقاصرات الطرف اي مشابهات
للياقوت والمرجان وقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان امر اضرب بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ولهم من
دونهما جنتان

﴿ المعنى ﴾

ثم عقب سبحانه الوعيد بالوعيد فقال (وان خاف مقام ربه) اي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية
والشهوة قال مجاهد وهو الذي يهيم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدها وقيل هذا لمن راقب الله تعالى في السر والعلانية
جملة فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عرض له من خير عمله وافضى به الى الله تعالى لا يطلع
عليه احد قال الصادق (ع) من علم ان الله يراه ويسمع مايقول من خير وشرف فيجزئه ذلك عن القبيح من الاعمال
فله (جنتان) اي جنة عدن وجنة النعيم عن مقاتل وقيل بستانان من بساتين الجنة احدها داخل القصر والاخرى
خارج القصر كما يشتهي الانسان في الدنيا وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل ازواجه وخدمه عن الجاني
وقيل جنة من ذهب وجنة من فضة ثم وصف الجنتين فقال (ذواتا افنان) اي ذواتا الروان من النعيم عن ابن

عباس وقيل ذواتا ألوان من القواكه عن الضحاك وقيل ذواتا اغصان عن الأخفش والجبائي ومجاهد اي ذواتا أشجار لأن الاغصان لا تكون إلا من الشجر فدل بكثرة اغصانها على كثرة اشجارها وبكثرة اشجارها على تمام حالها وكثرة ثمارها لأن البستان إنما يكمل بكثرة الاشجار والأشجار لا تحسن الا بكثرة الاغصان (فيها عينان تجريان) اي في الجنة عينان من الماء تجريان بين اشجارهما وقيل عينان احدهما السليل والاخرى التسليم عن الحسن وقيل احدهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين عن عطية العوفي (فيها من كل فاكهة زوجان) اي في كلتا الجنة من كل ثمرة نوعان وضربان متشاكلان كشاكل الذكر والانثى فذلك ساهما زوجين وذلك كالرطب واليابس من العنب والزبيب والرطب واليابس من التين وكذلك سائر الانواع لا يقصر بابها عن رطبها في الفضل والطيب وقيل معناه فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان معروف وضرب من شكله غريب لم يعرفه في الدنيا (متكئين) حال فمن ذكروا في قوله ولمن خاف مقام ربه اي قاعدتين كالمركب (على فرش بطائنها من استبرق) اي من دباج غليظ ذكر البطانة ولم يذكر الظهارة لأن البطانة تدل على ان لها ظهارة والبطانة دون الظهارة فتدل على ان الظهارة فوق الاستبرق وقيل ان الظواهر من سندس وهو الدباج الرقيق والبطانة من استبرق وقيل الاستبرق الحرير الصيني وهو بين الغليظ والدقيق وروي عن ابن مسعود انه قال هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين (وجنى الجنة دان) الجنى الثمر المجتني اي تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا عن ابن عباس وقيل ثمار الجنة دانية الى افواه اربابها فيتناولونها متكئين فاذا اضطجعوا نزلت بازا. افواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شك عن مجاهد (فيهن) اي في الفرش التي ذكرها ويجوز ان يريد في الجنان لأنها معلومة وان لم تذكر (قاصرات الطرف) قصرن طرفهن على ازواجهن لم يردن غيرهم عن قتادة وقال ابو ذر انها تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجتك وجعلك زوجي والطرف جفن العين لأنه طرف لما ينطبق عليها تارة ويفتح تارة (لم يطههن) اي لم يقتضهن والافتضاض النكاح بالتدسية والمعنى لم يطههن ولم يقههن (انس قباهم ولا جان) فهن ابكار لأنهن خلقن في الجنة فعلى هذا القول هو لا. من حور الجنة وقيل هن من نساء الدنيا لم يسهن منذ انشئن خلقن عن الشامي والكلبي اي لم يجامعهن في هذا العلق الذي انشئن فيه انس ولا جان قال الزجاج وفي هذه الآية دليل على ان الجنى يغشى كما يغشى الانسى وقال ضمرة بن حبيب وفيها دليل على ان للجن ثوبا وازواجا من الحور فالتنسيات للانس والجنيات للجن قال البلخي المعنى ان ما يهب الله لمؤمني الانس من الحور لم يطههن انس وما يهب الله لمؤمني الجن من الحور لم يطههن جان (كانهن الياقوت والمرجان) اي هن على صفا. الياقوت في بياض المرجان عن الحسن وقتادة وقال الحسن المرجان اشد اللؤلؤ بياضا وهو صفاه وفي الحديث ان المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة من حرير عن ابن مسعود كما يرى السلك من وراء الياقوت (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) أي ليس جزاء من احسن في الدنيا إلا ان يحسن اليه في الآخرة وقيل هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة عن ابن عباس وجاءت الرواية عن انس ابن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال هل تدرون ما يقول ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فآمن ربكم يقول هل جزاء من انعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة وقيل معناه هل جزاء من احسن اليكم بهذه النعم إلا ان تحسنوا في شكره وعبادته وروى العياشي باسناده عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن علي بن سالم قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول آية في كتاب الله مسجلة قلت ما هي قال قول الله تعالى هل جزاء الاحسان إلا الاحسان جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر ومن ضمن اليه معروف فعليه ان يكافى به وليس المكافاة ان تصنع كما صنع حتى ير بي فآمن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء.

قوله تعالى (٦٢) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٤)
 مُدْهَامَتَانِ (٦٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٦) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٧) فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٨) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ (٧٠) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ (٧١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٢) جُورٌ
 مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٤) لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ
 قُلُوبُهُمْ وَلَا جَانٌ (٧٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٦) مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ
 وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٨) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ سبع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ذو الجلال بالرفع والباقون بالجور في الشواذ قراءة النبي ﷺ والجهدي ومالك بن دينار
 وابن محيصن والحسن وزهير القرقي على رفارف خضر وعبقري حسان وقراءة الاعرج خضر بضمتين
 قال ابو علي من قرأ ذي الجلال فجره له صفة لربك وزعموا أن ابن مسعود قرأ ويبقى وجه ربك ذي الجلال
 والاکرام بايلاء في كتابها وقال الاصمعي لا يقال الجلال إلا في الله تعالى فهذا يقوي الجر إلا أن الجلال قد جاء في
 غير الله قال

فلا ذا جلال هيبة لجلاله ولا ذا ضياع هن يتركن للفقير

ومن رفع اجراه على الاسم قال ابن جني روى قطرب عباقرى بكسر القاف غير مصروف ورويناه عن ابني
 حاتم عباقرى بفتح القاف غير مصروف ايضا قال ابو حاتم ولا يشبه إلا أن يكون عباقرى بفتح القاف على ما تكلم
 به العرب قال ولو قالوا عباقرى بكسر القاف وصرفوا اكان اشبه بكلام العرب كالنسب إلى مديان مدياني والرفارف
 رياض الجنة عن سعيد بن جبير وعبقرى موضع قال امرؤ القيس

كان صليل المروجين تشده صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

وقال زهير

يخيل عليها جنة عبقرية جديرون يومان ينالوا ويستعلوا

واما ترك صرف عباقرى فشاذا في القياس ولا يستنكر شذوذه في القياس مع استمراره في الاستعمال كما
 جاء عن الجماعة استحوذ عليهم الشيطان فهو شاذ في القياس مطرد في الاستعمال وليس لنا أن نتلقى قراءة
 رسول الله ﷺ إلا بقبولها واما خضر بضم الضاد قليل وهو من مواضع الشعر كما قال طرفة «وراد أوشقر»

﴿ اللفظة ﴾

الدهمة السواد وادها م الزرع اذا علاه السواد ر يا ومنه الدهاء وتصغيره الدهيا للدهية سميت بذلك
 لظلامها والدهاء القدر والنضج بالخاء المعجمة أكثر من النضج بالخاء غير المعجمة لأن النضج الرئس وبالخاء
 كالبرز والنضخة الفوارة التي ترمي بالماء صعدا والمان مشتق من رم يوم رمالاً من شأنه أن يرم الفؤاد

يجلانه له والخيرات جمع خيرة والرجل خير والرجال خيار واخيار قال

ولقد طعنت مجامع الربلات وربلات هند خيرة الملكات
وقال الزجاج أصل خيرات خيرات فخفف واخيام جمع خيمة وهي بيت من الثياب على الأعمدة
والأوتادما يتخذ للاصهار والررف رباح الجنة من قولهم رفا النبات يرف اي صار غصنا نضراً وقيل الررف
المجالس وقيل الوساند وقيل ان كل ثوب عريض عند العرب فهو ررف قال ابن مقبل
وانا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من اصناف ريط وررف
والعقري عناق الزرابي والطنافس المخملة المشومة وهو اسم الجنس واحده عقرية قال ابو عبيدة
كل شيء من البسط عقري وكل ما بولغ في وصفه بالجودة نسب الى عقبر وهو بلد كان يوشى فيه
البسط وغيرها

المعنى

ثم قال سبحانه (ومن دونهما جنتان) أي ومن دون الجنتين التين ذكرناهما لمن خاف مقام ربه جنتان
أخرى دون الجنتين الأوليين فإنهما أقرب الى قصره ومجالسه في قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من
جنة الى جنة على ما هو معروف من طبع البشر من شهوة مثل ذلك ومعنى دون هنا مكان قريب من الشيء
بالإضافة الى غيره مما ليس له مثل قربه وهو ظرف مكان وإنما كان التنقل من جنة الى جنة أخرى أنفع لأنه أبعد
من المال الذي طبع عليه البشر وقيل ان المعنى انهما دون الجنتين الأوليين في الفضل فقد روي عن النبي
ﷺ انه قال جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وروى العياشي بالإسناد
عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له جعلت فداك اخبرني عن الرجل المؤمن تكون له امرأة مؤمنة
يدخلان الجنة يتزوج احدهما الآخر فقال يا ابا محمد ان الله حكم عدل اذا كان هو افضل منها خيره فإن
اختارها كانت من ازواجه وان كانت هي خير منه خيره فإن اختارته كانت زوجا لها قال ابو عبد
الله (ع) لا تقولن الجنة واحدة ان الله يقول ومن دونهما جنتان ولا تقولن درجة واحدة ان الله يقول درجات
بعضها فوق بعض إنما تفاضل القوم بالأعمال قال وقلت له ان المؤمنين يدخلان الجنة فيكون احدهما ارفع
مكانا من الآخر فيشتهي أن يلتقي صاحبه قال من كان فوقة فله أن يهبط ومن كان تحته لم يكن له أن يصعد
لأنه لا يبلغ ذلك المكان ولكنهم اذا احبوا ذلك واشتهوه التقوا على الاسرة وعن العلاء بن سبيبة عن
ابي عبد الله (ع) قال قلت له ان الناس يتعجبون منا اذا قلنا يخرج قوم من جهنم فيدخلون الجنة فيقولون لنا
فيكونون مع اولياء الله في الجنة فقال يا علاء ان الله يقول ومن دونهما جنتان لا والله لا يكونون مع اولياء
الله قلت كانوا كافرين قال (ع) لا والله لو كانوا كافرين ما دخلوا الجنة قلت كانوا مؤمنين قال لا والله
لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن بين ذلك وتأويل هذا لو صح الخبر انهم لم يكونوا
من أفاضل المؤمنين واخيارهم ثم وصف الجنتين فقال (مدهامتان) اي من خضرتهما قد
اسودتا من الري وكل نبت اخضر فتمام خضرته ان يضرب الى السواد وهو على أتم ما يكون من الحسن
وهذا على قول من قال ان الجنات الأربع لمن خاف مقامه به وهو قول ابن عباس وقيل الأوليان السابقين
والاخرى للتابعين عن الحسن (فيهما عينان نضاختان) اي فوارتان بالاء ينبع من أصلهما ثم يجريان عن

الحسن قال ابن عباس بنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور وقيل بنضخان بأنواع الخبثات (فيهما فاكهة) يعني ألوان الفاكهة (ونخل ورماني) وحكى الزجاج عن يونس النحوي وهو من قدماء النحويين أن النخل والرماني من افضل الفواكه وإنما فصلا بالواو لفضلهما قال الأزهري ما علمت ان احدا من العرب قال في النخل والكرم ونارها انها ليست من الفاكهة وإنما قال ذلك من قال لقلة علمه بكلام العرب وتأويل القرآن العربي المبين والعرب تذكر الاشياء جملة ثم تخصص شيئا منها بالتسمية تنبيها على فضل فيه كما قال سبحانه من كان عدوا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبرائيل وميكائيل (فيهن) يعني في الجنات الأربع (خبثات حسان) اي نساء خبثات الأخلاق حسان الوجوه روته أم سلمة عن النبي ﷺ وقيل خبثات فاضلات في الصلاح والجمال عن الحسن حسان في المناظر والألوان وقيل انهن نساء الدنيا ترد عليهم في الجنة وهن اجل من الحور العين وقيل خبثات مختارات عن جرير بن عبد الله وقيل ليس بذربات ولا زفريات ولا بخرات ولا متطلعات ولا متسوفات ولا متساطات ولا طاحات ولا طوافات في الطرق ولا يفرن ولا يؤذبن وقال عقبه بن عبدالغفار نساء أهل الجنة يأخذ بعضهم بأيدي بعض ويتغنين باصوات لم يسمع الخلائق مثلها نحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظمن ونحن خبثات حسان حبيبات الأزواج كرام وقالت عائشة الحور العين اذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فلبنهن والله (حور) اي يبيض حسان البياض عن ابن عباس ومجاهد ومنه الدقيق الحواري لشدة بياضه والعين الحور اذا كانت شديدة بياض البياض شديدة سواد السواد وبذلك يتم حسن العين (مقصورات في الخيام) اي محبوسات في الجبال مستورات في القباب عن ابن عباس وابي العالية والحسن والمعنى انهن مصونات مخدرات لا يتنذرن وقيل مقصورات اي قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلا منهم عن مجاهد والربيع وقيل إن لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلا عن ابن مسعود وروى عن النبي ﷺ انه قال الخيمة درة واحدة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها اهلا (؟) المؤمن لا يراه الآخرون وعن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع عن وهب وعن انس عن النبي ﷺ قال مررت ليلة أسري بي بنهر حافظه قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء جوار من الحور العين استأذن ربهن عزوجل أن يسلمن عليك فأذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس ازواج رجال كرام ثم قرأ ﷺ حور مقصورات في الخيام (لم يطمئنن انس قبلهم ولا جان) مر معناه والوجه في التكرير الإيابة عن ابن صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف (متكئين على رفوف خضر) اي على فرش مرتفعة عن الجبائي وقيل الرفوف رياض الجنة والواحدة رفرة عن سعيد بن جبير وقيل هي المجالس عن ابن عباس وقبادة والضحاك وقيل هي المرافق يعني الوسائد عن الحسن (وعبقرى حسان) اي وزراي حسان عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقبادة وهي الطنافس وقيل العبقرى الدياتج عن مجاهد وقيل هي البسط عن الحسن قال القتيبي كل ثوب موشى فهو عبقرى وهو جمع ولذلك قال حسان ثم ختم السورة بما ينبغي أن يجعل به ويعظم فقال (تبارك اسم ربك) اي تماظم وتعالى اسم ربك لأنه استحق أن يوصف بما لا يوصف به غيره من كونه قديما وإلها وقادرا لنفسه وعالما لنفسه

وحيا لنفسه وغير ذلك (ذي الجلال) اي ذي العظمة والكبرياء (والا كرام) يكرم اهل دينه وولايته عن الحسن وقيل معناه عظمة البركة في اسم ربك فاطلبوا البركة في كل شي بذكر اسمه وقيل ان اسم صلة لعنى تبارك ربك قال لييد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن ييك حولا كاملا فقد اعتذر
وقبل ان المعنى ان اسمه منزّه عن كل سوء له الاسماء الحسنى وقد صح عن النبي ﷺ انه قال انطقوا
بها ذا الجلال والا كرام اي داوموا عليه

سورة الواقعة (مكية)

وقال ابن عباس وقناة الآية منها نزلت بالمدينة وهي وتجعلون رزقكم انكم تكذون وقيل لا قوله
ثلة من الأولين وقوله افبهذا الحديث اتم مدهنون نزلت في سفره الى المدينة

✽ عدد آيها ✽

تسع وتسعون حجازي شامي سبع بصري ست كوفي

✽ اختلافها ✽

اربع عشرة آية فأصحاب البينة واصحاب المشمة واصحاب الشمال ثلثون غير الكوفي والمدني الأخير
انشأها من انشاء غير البصري في سبب موحيم غير المكي وكانوا يقولون مكي وباريق مكي والمدني الأخير موضوعة
حجازي كوفي وحوار عين كوفي والمدني الأول تأنيبا عراقى شامي والمدني الأخير والآخريين غير شامي
والمدني الأخير لمجموعون شامي والمدني الأخير فروح وريحان شامي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الواقعة كتب له من النافلين وعن مسروق
قال من اراد ان يعلم بناء الأولين وبناء أهل الجنة وبناء أهل النار وبناء الدنيا وبناء الآخرة فليقرأ سورة
الواقعة وروى أن عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود يعود في مرضه الذي مات فيه فقال له ما تشكي
قال ذنوبي قال ما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب امرضني قال افلا تأمر بمطابك
قال منعني وانا محتاج اليه وتعطينيه وانا مسغن عنه قال يكون لبنانك قال لا حاجة لهن فيه فقد امرتهن
أن يقرأن سورة الواقعة فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة
ابدا وروى البيهقي بالاسناد عن زيد الشحام عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الواقعة قبل أن ينام لقي
الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وعن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ في كل ليلة جمعة الواقعة احبه
الله وحببه الى الناس اجمعين ولم ير في الدنيا بوسا ابدا ولا فقرا ولا آفة من آفات الدنيا وكان من رفقاء
امير المؤمنين تمام الخبير

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة الرحمن بصفة الجنة وافتتح هذه السورة ايضا بصفة القيامة والجنة فانصلت احدهما بالآخرى اتصال النظير للنظير فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (٢) لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٣) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٤) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٥) وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٩) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٠) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١١) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٣) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٤) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٥) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٦) مُتَّكِيْنَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ
ست عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الحسن والتعفي وابي حيوه خافضة رافعة بالنصب

﴿ الحجة ﴾

هذا منصوب على الحال قال ابن جني وقوله ليس لوقعتها كاذبة حال اخرى قبلها أي اذا وقعت الواقعة صادقة الوقعة خافضة رافعة فهذه ثلاثة احوال ومثله مررت بزيد جالسا متكئا ضاحكا وان شئت أن تأتي باضماف ذلك جاز وحسن كما ان لك أن تأتي للمبتدأ من الأخبار بما شئت فتقول زيد عالم جميل فارس كوفي براز ونحو ذلك ألا ترى ان الحال زيادة في الخبر وضرب منه

﴿ اللفظة ﴾

الكاذبة مصدر مثل العافية والماقبة والرج التحريك باضطراب واهتزاز ومنه قولهم ارتج السهم عند خروجه من القوس والبس الفت كما يس السويق أي ملت قال الشاعر : « لا تخبزوا خبزاً وبتاً بساً » والبسيس السويق أو الدقيق يتخذ زادا وبست ايضا سبقت عن الزجاج قال الشاعر « وانبس حيات الكشيب الأهيل » والهباء غبار كالشعاع في الرقة وكثيرا ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة والانتبات افتراق الاجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة والازواج الاصناف التي بعضها مع بعض كما يقال للخفين زوجان والثلاثة الجماعة واصله القطعة من قولهم نل عرشه اذا قطع ملكه بهدم سريره والثلة القطعة من الناس والموضونة المنسوجة المتداخلة كصفة الدرع المضاعفة قال الأعشى

ومن نسج داود موضونة تساق الى الحي عيرا فميرا

منه وضين الناقة وهو البطان من السيور اذا نسج بعضه على بعض مضاعفا

﴿ الاعراب ﴾

اذا وقعت الواقعة ظرف من معنى ليس لأن التقدير لا يكون لوقعتها كاذبة وليس نفي الحال فلا يكون

اذا ظرفا منه ويجوز ان يكون العامل في اذا محذوفا لدلالة الموضع عليه كأنه قال اذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون وخسر الكافرون وقال ابو علي تقديره فهي خافضة رافعة فاضمر المبتدأ مع الفاء وجعلها جواب اذا اي خفضت قوما ورفعت قوما اذ ذاك فخافضة رافعة خبر المبتدأ المحذوف وقوله اذا رجعت الأرض رجا بدل من قوله اذا وقعت الواقعة ويجوز أن يكون ظرفا من يقع اي يقع في ذلك الوقت ويجوز أن يكون خبرا عن اذا الاولى ونظيره اذا تزورني اذا ازور زيدا اي وقت زيارتك اباي وقت زيارتي زيدا قال ابن جني ويجوز أن يفارق اذا الظرفية كقول لبيد

حتى اذا القت يدا في كافر واجن عورات الشغور ظلامها

وقوله سبحانه حتى اذا كنتم في الفلك فاذا مجرورة عند ابي الحسن بحيثي وذلك يخرجها من الظرفية واقول فعل هذا لا يكون قوله اذا ظرفا في الموضعين بل كل واحد منهما في موضع الرفع لكونهما مبتدأ وخبرا بخلاف ما ظنه بعض المجرودين من محققي زماننا في النحو فإنه قال قال عثمان يعني ابن جني العامل في اذا وقعت قوله اذا رجعت وهذا خطأ فاحش فاصحاب الميمنة رفع بالابتداء والتقدير فاصحاب الميمنة ما هم أي أي شيء هم واصحاب المشيمة اي أي شيء هم وهذه اللفظة مجرأة مجرى التعجب ومتكئين ومتقابلين نصب على الحال .

﴿ المعنى ﴾

(اذا وقعت الواقعة) اي اذا قامت القيامة عن ابن عباس والواقعة اسم القيامة كالأزفة وغيرها والمعنى اذا حدثت الحادثة وهي الصيحة عند النفخة الأخيرة لقيام الساعة وقبل سميت بها لكثرة ما يقع فيها مسن الشدة او لشدة وقعها وتقديره اذ كروا اذا وقعت الواقعة وهذا حث على الاستعداد لها (ليس لوقعتها كاذبة) اي ليس لمجيئها وظهورها كذب ومعناه انها تقع صدقا وحقا فليس فيها ولا في الاخبار عنها ووقوعها كذب وقيل معناه ليس لوقوعها قضية كاذبة اي ثبت وقوعها بالسمع والعقل (خافضة رافعة) اي تخفض ناسا وترفع آخرين عن ابن عباس وقيل تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة عن الحسن والجبائي والمعنى الجامع للقولين انها تخفض رجلا كانوا في الدنيا مرتفعين وتجعلهم اذلة بإدخالهم النار وترفع رجلا كانوا في الدنيا اذلة وتجعلهم اعزقبا بإدخالهم الجنة (اذا رجعت الأرض رجا) اي حركت حركة شديدة وقيل زلزلة زلزالا شديدا عن ابن عباس وقتادة ومجاهد اي رجفت بإمارة من على ظهرها من الأحياء وقيل معناه رجعت بما فيها كما يرج الفربال بما فيه فيكون المراد ترج باخراج من في بطنها من الموتى (وبست الجبال بسا) اي فنتت فنا عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل معناه كسرت كسرا عن السدي عن سعيد بن المسيب وقيل قلعت من اصلها عن الحسن وقيل سيرت عن وجه الأرض تسييرا عن الكلبي وقيل بسطت بسطا كالرمل والتراب عن ابن عطية وقيل جعلت كشيئا مهلا بعد ان كانت شامخة طويلة عن ابن كيسان (فكانت هباء منبثا) اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذ دخل من الكوة ثم وصف سبحانه احوال الناس بأن قال (وكنتم ازواجا ثلاثة) اي اصنافا ثلاثة ثم فسرها فقال (فاصحاب الميمنة) يعني اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بأيانهم عن الضحاك والجبائي وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقيل هم اصحاب اليمين والبركة على انفسهم والثواب من الله سبحانه بما سموا من الطاعة وهم التابعون بإحسان

عن الحسن والربيع ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيما لشأنهم فقال (ما اصحاب المينة) اي
أي شيء هم كما يقال هم ما هم (واصحاب المشمة) وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم وقيل هم الذين
يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل هم المشائم على انفسهم بما عملوا من المعصية ثم عجب سبحانه رسوله
من حالهم تفخيما لشأنهم في العذاب فقال (ما اصحاب المشمة) ثم بين سبحانه الصنف الثالث فقال (والسابقون
السابقون) اي والسابقون الى اتباع الانبياء الذين صاروا ائمة الهدى فهم السابقون الى جزيل الثواب عند الله
عن الجبائي وقيل معناه السابقون الى طاعة الله وهم السابقون الى رحمة والسابق الى الخير إنما كان أفضل
لأنه يقتدى به في الخير وسبق الى اعلى المراتب قبل من يجيء بعده فهذا يميز بين التائبين فلي هذا يكون
السابقون الثاني خبر عن الأول ويجوز أن يكون الثاني تأكيداً للأول والخبر (أو لك المقربون) اي والسابقون
الى الطاعات يقربون الى رحمة الله في اعلى المراتب والى جزيل ثواب الله في اعظم الكرامة ثم اخبر تعالى ابن
معهده فقال (في جنات النعيم) ثلاثاً يتوهم متوهم ان التقريب يخرجهم الى دار اخرى فأعلم سبحانه انهم مقربون
من كرامة الله في الجنة لأن الجنة درجات ومنازل بعضها ارفع من بعض وقد قيل في السابقين انهم السابقون
الى الايمان عن مقاتل وعكرمة وقيل السابقون الى الهجرة عن ابن عباس وقيل الى الصلوات الخمس عن علي (ع)
وقيل الى الجهاد عن الضحاك وقيل الى التوبة واعمال البر عن سعيد بن جبير وقيل الى كل ما دعا الله اليه
عن ابن كيسان وهذا اولي لأنه يعم الجميع وكان عروة بن الزبير يقول تقدموا تقدموا وعن ابي جعفر (ع)
قال السابقون اربعة ابن آدم المقتول وسابق في امة موسى (ع) وهو مؤمن آل فرعون وسابق في امة
عيسى (ع) وهو حبيب التجار والسابق في امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم علي ابن ابي طالب (ع) (ثلثة من الأولين) اي
هم ثلثة يعني جماعة كثيرة العدد من الأولين من الأمم الماضية (وقليل من الآخرين) من امة محمد
لأن من سبق الى اجابة نينا صلى الله عليه وآله وسلم قليل بالاضافة الى من سبق الى اجابة النبيين قبله عن جماعة من
المفسرين وقيل معناه جماعة من اوائل هذه الأمة وقليل من اواخرهم ممن قرب حالهم من حال اولئك قال
مقاتل يعني سابقي الأمم وقليل من الآخرين من هذه الأمة (على سرر موضونة) اي منسوجة كما يوضن
حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر (متكئين
عليها) اي مستندين جالسين جلوس الملوك (متقابلين) اي متحاذين كل واحد منهم بازاو الآخر وذلك
اعظم في باب السرور والمعنى أن بعضهم ينظر الى وجه بعض لا ينظر في قفاه لحن معاشرتهم
وتهذيب اخلاقهم .

قوله تعالى (١٧) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٨) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ
مِّنْ مَّعِينٍ (١٩) لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ (٢٠) وَقَافِيَةً مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢١) وَلَحْمٍ
طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) وَحُورٌ عِينٌ (٢٣) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الّٰهِيّ الْمَكْنُونِ (٢٤) جَزَاءً لِّمَن كَانَ
يَعْمَلُونَ (٢٥) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا (٢٦) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحمزة والكسائي وحور عين بالجور والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن ابي اسحاق

ولا ينزفون بفتح الياء وكسر الزاي وقراءة ابي بن كعب وابن مسعود وحوورا عينا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي وجه الرفع في وحوور عين انه لما قال يطوف عليهم ولدان مخلدون دل الكلام وما ذكر بعد على أن لهم فيها كذا وكذا ولهم فيها حور عين وكذلك من نصب حمل على المعنى لأن الكلام دل على يمنحون ويملكون وهذا مذهب سيويه ويجوز أن يحمل الرفع على قوله على سرر موضونة التقدير وعلى سرر موضونة حور عين أو وحوور عين على سرر موضونة لأن الوصف قد جرى عليهم فاختصص فجاز أن يرفع بالابتداء ولم يكن كالنكرة اذا لم يوصف نحو فيها عين وقوله على سرر موضونة خبر لقوله تعالى ثلثة من الأولين وقابل من الآخرين فكذلك يجوز أن يكون خبرا عنهم ويجوز في ارتفاع وحوور عين أن يكون عطفا على الضمير في متكئين ولم يؤكده لكون طول الكلام بدلا من التأكيد ويجوز أيضا أن يعطفه على الضمير في متقابلين ولم يؤكده لطول الكلام أيضا وقد جاء ما اشر كنا ولا أبوانا فهذا اجدر وقال الزجاج الرفع أحسن الوجهين لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بهذه الاشياء انه قد ثبت لهم ذلك فكانه قال ولهم حور عين ومثله مما حمل على هذا المعنى قال الشاعر

بادت وغير أبهن مع البلى

إلا رواكده جرهن هبا

ثم قال بعده

ومشجج أما سواء قذاله

فبدا وغير ساوة المعزاه

لأنه لما قال إلهارواكده كان المعنى بها رواكده فحمل ومشجج على المعنى وقال غيره تقديره وهناك حور عين قال ابو علي وجه الجر ان يكون يحمله على قوله أو تلك المقربون في جنات النعيم التقدير أو تلك المقربون في جنات النعيم وفي حور عين اي وفي مقاربة حور عين او معاشرة حور عين فحذف المضاف فإن قلت فلم لا تحمله على الجار في قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بكذا وبحور عين فهذا يمكن أن يقال إلا ان ابا الحسن قال في ذا بعض الوحشة قال ابن جنبي نزل البشر ينزفون فاذا استقى ماؤها وانزفت الشيء اذا لفتته قال الشاعر

لعمرى لئن انزفتم او صحوتم

لبس الندامى كنتم آل اجرا

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه (يطوف عليهم ولدان) اي وصفاء وغلان للخدمة (مخلدون) اي باقون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون عن مجاهد وقيل مقرطون والخلد القرط يقال خلد جارته اذا حلاها بالقرطة عن سعيد بن جبير والفراء واختلف في هذه الولدان قيل انهم اولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابروا عليها ولا سيئات فيعاقبوا فأنزلوا هذه المنزة عن علي (ع) والحسن وقد روي عن النبي ﷺ انه سئل عن اطفال المشركين فقال هم خدم أهل الجنة وقيل بل هم من خدم الجنة على صورة الولدان خلقوا للخدمة أهل الجنة (بأكواب) وهي القداح الواسعة الرووس لا خراطيم لها عن قتادة (وأباريق) وهي التي لها خراطيم وعري وهو الذي برق من صفاء لونه (وكأس من معين) اي ويطوفون ايضا عليهم بكأس من خمر معين اي ظاهر المعيون جار (لا يصدعون عنها) اي لا يأخذهم من شربها صداع وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون)

اي لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر عن مجاهد وقناة والضحاك ومن قرأ ينزفون حمله على انه لا تنفي خمرهم (وفاكهة ما يتخيرون) اي ويطوفون عليهم بفاكهة مما يختارونه ويشتهونه يقال تخيرت الشيء اخذت خيره (ولحم طير مما يشتهون) أي وبلحم طير مما يتمنون فإن أهل الجنة إذا اشتهوا لحم الطير خلق الله سبحانه لهم الطير نضيبا حتى لا يحتاج إلى ذبح الطير وابلامه قال ابن عباس ينظر على قلبه الطير فيصير مثلا بين يديه على ما اشتهى (وحوار عين) قد مر بيانه (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي الدر المصون المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي قال عمر بن ابي ربيعة

وهي زهراء مثل لؤلؤة النواصص ميزت من جوهر مكنون

(جزاء بما كانوا يعملون) أي نفعل ذلك لجزاء اعمالهم وطاعاتهم التي عملوها في دار التكليف الدنيا (لا يسمعون فيها) اي في الجنة (لغوا) أي ما لا فائدة فيه من الكلام لأن كل ما يتكلمون به فيه فائدة (ولا تأثبا) اي لا يقول بعضهم لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه اثم عن ابن عباس وقيل معناه لا يتخالفون على شرب الخمر كما يتخالفون في الدنيا ولا يأثمون بشرها كما يأثمون في الدنيا (إلا قبيلا سلاما) أي لا يسمعون إلا قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلاما سلاما والمعنى أنهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب وكريم الأخلاق الذين يوجبان التواد ونصب سلاما على تقدير سلمك الله سلاما بدوام النعمة وكال النبطة ويجوز ان يعمل سلام في سلاما لأنه يدل على عامله كما يدل قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا على العامل في نبات فإن المعنى أنبتكم نباتا ويجوز ان يكون سلاما نعتا لقوله قبيلا ويجوز ان يكون مفعول قبل فالوجه الثلاثة تحتلها الآية

قوله تعالى (٢٧) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٨) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٩) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٣٠) وَظَلِيٍّ مَّمْدُودٍ (٣١) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣٢) وَقَافِيَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٣) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٤) وَقَرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٥) إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً (٣٦) فَجَعَلْنَاهُمْ أَبْكَارًا (٣٧) عُرْبًا أُنْرَابًا (٣٨) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٩) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (٤٠) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ

اربع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ اسماعيل وحمزة وحماد ويحيى عن ابي بكر وخلف عربا ساكنة الراء والياقون عربا بضمين

﴿ الحجة ﴾

العروب الحسنة التبعيل قال لبيد

وفي الحدوج عروب غير فاحشة
ديا الروادف يفشى دونها البصر
والفعل يجمع على فعل وفعل فمن التثنية قوله « فاصبري انك من قوم صبر » والتخفيف في ذلك شائع مطرد

﴿ اللفظة ﴾

السدر شجر النبق وأصل الخضد عطف العود اللين فمن هاهنا للخضود الذي لا شوك له لأن

الغالب ان الرطب اللين لا شوك له والطلع قال ابو عبيدة هو كل شجر عظيم كثير الشوك قال بعض الحداء
بشرها دلبها وقالوا
غدا ترين الطلع والجبالا

وقال الزجاج الطلع شجر ام غيلان فقد يكون على احسن حال والمنضود من نضدت المتاع إذ اجعلت
بعضه على بعض والبكر التي لم يفترصها الرجل فهي على خلقها الأولى من حال الإنشاء ومنه البكرة لأول
النهار والباكرة لأول الفاكة والبكر الفتي من الابل وجمعه بكار وبكارة وجاء القوم على بكرتهم وبكرة
أبيهم عن الازهري والانراب جمع ترب وهو اللدة الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا وهو مأخوذ من لب
الصبي بالتراب أي هم كالصبيان الذين هم على سن واحد قال ابن ابي ربيعة .

ابرزوها مثل المهاة نهادي بين عشر كواعب أنراب

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) هو
مثل قوله ما أصحاب الميمنة وقد مر معناه (في سدر منضود) أي في نبق منضود أي منزوع الشوك قد
خضد شوكه أي قطع عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل هو الذي خضد بكثرة حمله وذهاب شوكه
وقيل هو الموقر حملا عن الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان وقال الضحاك نظر المسلمون إلى وج وهو واد
مخصب بالطائف فأعجبهم سدره وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية (وطلع منضود) قال ابن
عباس وغيره هو شجر الموز وقيل ليس بالموز ولكنه شجر له ظل بارد رطب عن الحسن وقيل هو شجر
يكون باليمن وبالبحجاز من أحسن الشجر منظرا وإنما ذكر هاتين الشجرتين لأن العرب كانوا يعرفون ذلك
فإن عامة اشجارهم ام غيلان ذات انوار ورائحة طيبة وروت العامة عن علي (ع) انه قرأ عنده رجل وطلع
منضود فقال ما شأن الطلع انما هو وطلع كقوله ونخل طلعهما هضيب فقبل له ألا تغيره فقال إن القرآن لا يهاج
اليوم ولا يمرك رواء عنه ابنه الحسن وقيس بن سعد ورواه اصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال قلت لأبي
عبد الله (ع) وطلع منضود قال لا وطلع منضود والمنضود الذي نضد بعضه على بعض نضد بالحمل من
أوله إلى آخره فابست له سوق بارزة فمن عروقه إلى افئاته ثم كاه (وظل ممدود) أي دائم لا تنسخه
الشمس فهو باق لا يزول والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع ممدود قال لبيد

غلب البقاء وكان غير مغلب دهر طويل دائم ممدود

وقد ورد في الخبر ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها اقرؤا ان شتم وظل
ممدود وروي ايضا ان اوقات الجنة كنفودات الصيف لا يكون فيه حر ولا برد (وما مسكوب) أي
مصبوب يجري الليل والنهار ولا ينقطع عنهم فهو مسكوب بسكب الله إياه في مجاريه وقيل مسكوب
مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج وقيل مسكوب يجري دائما في غير اخدود عن سفیان وجاعة وقيل مسكوب
ليشرب على ما يرى من حسنه وصفاته لا يحتاجون إلى تعب في استقائه (وفاكة كثيرة) أي وثمار مختلفة
كثيرة غير قليلة والوجه في تكرير ذكر الفاكة البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت أولا بأنها متخيرة وذكر
هنا بأنها كثيرة ثم وصفت بقوله (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أي لا تنقطع كما تنقطع فواكه الدنيا في الشتاء
وفي اوقات مخصوصة ولا تمتنع بعبء تناول او شوك بوذي اليد كما يكون ذلك في الدنيا وقيل انها غير

مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان لا يتوصل اليها إلا بالثمن (وفرض مرفوعة) اي بسط عالية كما يقال بناء مرفوع وقيل مرفوع بعضها فوق بعض عن الحسن والفراء وقيل معناه نساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن و كالمهن عن الجبائي قال ولذلك عقبه بقوله انا انشأناهن انشاءً ويقال لامرأة الرجل فراشه ومنه قول النبي ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر (انا انشأناهن انشاءً) أي خلقناهن خلقاً جديداً قال ابن عباس يعني نساء الا دميات والمعجز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهزم في الدنيا خلقاً آخر وقيل معناه انشأنا الحور العين كما هن عليه على هيئاتهن لم يتقلن من حال إلي حال كما يكون في الدنيا (فجمعناهن ابكاراً) اي عذارى عن الضحاك وقيل لا يأتين أزواجهن إلا وجدوهن ابكاراً (عرباً) اي متحننات على أزواجهن متحبيات اليهم وقيل عاشقات لأزواجهن عن ابن عباس وقيل العروب اللعوب مسم زوجها أنسا به كأنس العرب بكلام العربي (اتربا) اي متشابهات مستويات في السن عن ابن عباس وقناة ومجاهد وقيل امثال أزواجهن في السن (لأصحاب اليمين) اي هذا الذي ذكرناه لأصحاب اليمين جزاءً وثواباً على طاعتهم (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أي جماعة من الأمة الماضية التي كانت قبل هذه الامة وجماعة من مؤمني هذه الامة قال الحسن سابقو الأمم الماضية أكثر من سابقي هذه الامة وتابعو الأمم الماضية مثل تابعي هذه الامة يعني ان اصحاب اليمين منهم مثل اصحاب اليمين منا وانما نكر سبحانه الثلة ليدل على انه ليس لجميع الأولين والآخرين وانما هو لجماعة منهم كما يقال رجل من جملة الرجال وهذا الذي ذكرناه قول مقاتل وعطاء وجماعة من المفسرين وذهب جماعة منهم ان الثلثين جميعاً من هذه الامة وهو قول مجاهد والضحاك واختيار الزجاج وروي ذلك مرفوعاً عن سميد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال جميع الثلثين من امتي ومما يؤيد القول الأول وبعضه من طريق الرواية ما رواه ثقة الأخبار بالاستناد عن ابن مسعود قال تحدثنا عند رسول الله ﷺ ليلة حتى أكثرنا الحديث ثم رجنا إلى اهلتنا فلما أصبحنا غدونا إلى رسول الله ﷺ فقال عرضت علي الانبياء الليلة بأتباعها من اممها فكان النبي تاجي* معه الثلة من امته والنبي معه المصابة من امته والنبي معه النفر من امته والنبي معه الرجل من امته والنبي ما معه من امته احد حتى إذا أتى اخي موسى في كسكة من بني اسرائيل فلما رأيتهم اعجبوني فقلت اي رب من هو هؤلاء قال هذا اخوك موسى بن عمران ومن معه من بني اسرائيل قلت رب فأين امتي قال انظر عن يمينك فإذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال قلت من هؤلاء قبيل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت وقال انظر عن يسارك فإذا الاق قد انسدت بوجوه الرجال قلت رب من هؤلاء قبل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت قبيل ان مع هؤلاء سبعين الفا من امتك يدخلون الجنة لا حساب عليهم قال فأنشأ عكاشة بن محصن من بني اسد من خزيمه فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم انشأ رجل آخر فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة فقال نبي الله فداكم ابي وامي ان استظمت ان تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الاق واني قد رأيت ثم ناساً كثيراً يتهاوشون كثيراً قلت هؤلاء السبعون الفا فانفق رأينا على انهم ناس ولدوا في الإسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فاتمى حديثهم إلى رسول الله ﷺ فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسرفون ولا يتكبرون

ولا يطغيرون وعلى ربهم يتوكلون ثم قال اني لا ارجو ان يكون من تعني ربع اهل الجنة قال فكبرنا ثم قال اني لا ارجو ان يكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لا ارجو ان يكونوا شطر اهل الجنة ثم تلا رسول الله ﷺ ثلثة من الاولين وثلثة من الآخريين

قوله تعالى (٤١) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤٢) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٣) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٤) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٥) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٦) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٧) وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٨) أَوْ آبَاءُنَا الْأَوْلُونَ (٤٩) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٥٠) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥١) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥٢) لَا كَيْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ (٥٣) فَمَأْتُونَهَا الْبُطُونَ (٥٤) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٥) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٥٦) هَذَا نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ
ست عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر؛ إذا متنا بجهرتين أننا لمبعوثون بجهرتين أيضا ولم يجمع بين استهماين إلا في هذا الموضع من القرآن وقد ذكرنا مذهب غيره من القراء فيما تقدم ومذهبه أيضا في أمثاله وقرأ أهل المدينة وعاصم وحزرة شرب الهيم بضم الشين والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي إن الحق الف الاستفهام في قوله أننا أو لم تلحق كان إذا متعلقا بشي دل عليه قوله أنا لمبعوثون ألا ترى أن إذا ظرف من الزمان فلا بد له من فعل أو معنى فعل يتعلق به ولا يجوز أن يتعلق بقوله متنا لأنه مضاف إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف وإذا لم يميز جملة على هذا الفعل ولا على ما بعدان من جهت لم يعمل ما بعدان فيما قبلها كما لا يعمل ما بعد لا فيما قبلها فكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله علمت أنه يتعلق بشي دل عليه قوله أننا لمبعوثون وذلك نخشأ أو نبعث ونحوهما ما يدل عليه هذا الكلام وأما الشرب فهو نحو الأكل والضرب والشرب كالشغل والنكر وأما الشرب فالمشروب كالطحن ونحوه وقد يكون الشرب جمع شارب مثل راكب وراكب وناجز وتجر وراجل ورجل

﴿ اللفظة ﴾

السموم الرنيع الحارة التي تدخل في مسام البدن ومسام البدن خروقه ومنه أخذ السم الذي يدخل في المسام واليحموم الأسود الشديد السواد باحتراق النار وهو يقول من اللحم وهو الشحم الأسود باحتراق النار يقال حممت الزجل إذا سخمت وجهه بالفحم والمترف الممتنع من اداء الواجبات طلبا للترفوهي الرفاهية والنعمة والحنث تقض العهد الملو كدبا الحلف والهيم الابل الطائش التي لا تروى من الماء لدا بصيبتها الواحد هيم والأثنى هيماء

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه أصحاب الشمال فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) وهم الذين يؤخذ بهم ذات

الشال إلى جهنم والذين يأخذون كتبهم بشاهم أو الذين يلزمهم حال الشوم والنكد (في سموم وحميم) أي في ربيع حارة تدخل مساهم وخروقهم وفي ماء مغلي حار انتهت حرارته (وظل من يحموم) أي دخان أسود شديد السواد عن ابن عباس وأبي مالك ومجاهد وقناة وقيل اليموم جبل في جهنم يستغيث أهل النار إلى ظله ثم نعت ذلك الظل فقال (لا بارد ولا كريم) أي لا بارد المنزل ولا كريم المنظر عن قناة وقيل لا بارد يستراح إليه لأنه دخان جهنم ولا كريم فيشتهى مثله وقيل ولا كريم أي ولا منفعة فيه بوجه من الوجوه والعرب إذا أرادت نفي صفة الحمد عن شيء نعت عنه الكرم وقال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نعت عنه وصفا تنوي به الذم تقول ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسمة ولا كريمة ثم ذكر سبحانه أعمالهم التي أوجبت لهم هذا فقال (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) أي كانوا في الدنيا متمتعين عن ابن عباس وذلك ان عذاب المترف أشد الما وبين سبحانه ان الترف ألهم عن التزنجار وشغلهم عن الاعتبار وكانوا يتركون الواجبات طلبا لراحة ابدانهم (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أي الذنب العظيم عن مجاهد وقناة والإصرار ان يقيم عليه فلا يقلع عنه ولا يتوب منه وقيل الحنث العظيم الشرك أي لا يتوبون عنه عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل كانوا يخلفون لا يعث الله من يموت وان الاصنام ابتدأ الله عن الشعبي والأصم (وكانوا يقولون إذا متنا وكننا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون) أي ينكرون البعث والنشور والثواب والعقاب فيقولون مستبعدين لذلك منكروين له إذا خرجنا مسن كوتنا احياء وصرنا ترابا أنبعث (أو آباؤنا الأولون) أي أو يعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا ويحشرون ان هذا بعيد ومن قرأوا آباؤنا بفتح الواو فإنها واو العطف دخل عليها الف الاستفهام (قل) يا محمد لهم (ان الأولين والآخرين) أي الذين تقدموكم من آباتكم وغير آباتكم والذين يتأخرون عن زمانكم (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) يجمعهم الله ويمسحهم إلى وقت يوم معلوم عنده وهو يوم القيامة (ثم انكم ايها الضالون) الذين ضلتم عن طريق الحق وجزتم عن الهدى (المكذوبون) بتوحيد الله واخلاص العبادة له ونبوة نبيه (لا تكون من شجر من زقوم فمالتون منها البطون) مفسر في سورة الصافات (فشاربون عليه من الحميم) الشجر يوثث ويذكر فلذلك قال منها ثم قال عليه وكذلك الثمر يوثث ويذكر (فشاربون شرب الهيم) أي كسرب الهيم وهي الأبل التي أصابها الهيام وهو شدة العطش فلا تزال تشرب الماء حتى تموت عن ابن عباس وعكرمة وقناة وقيل هي الأرض الرملية التي لا تروى بالماء عن الضحاك وابن عيينة) هذا نزلهم يوم الدين) النزل الامر الذي ينزل عليه صاحبه والمعنى هذا طعامهم وشراهم يوم الجزاء في جهنم

قوله تعالى (٥٧) نحن خلقناكم فلو لا تصدقون (٥٨) أفرايتم ما تمنون (٥٩)
 أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (٦٠) نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسوقين (٦١)
 على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون (٦٢) ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا
 تذكرونا (٦٣) أفرايتم ما نحرون (٦٤) أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (٦٥)
 لو نشاء لجمعناهم خطأ ما فضلتم تفكهمون (٦٦) إنا لمغرمون (٦٧) بل نحن محرمون (٦٨)

جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون (٧١) أفرأيتم النار التي تورون (٧٢) أأنتم أنشأتم شجرتها أم
نحن المنشئون (٧٣) نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين (٧٤) فسبح باسم ربك
العظيم نماني عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير نحن قدرنا بالتخفيف والباقون قدرنا بالتشديد وقرأ أبو بكر أنا لمفروم بهمزتين
والباقون بهمزة واحدة

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي قدرنا في معنى قدرنا وبدل عليه قوله
ومفرقة عنس قدرت لساقتها فخرت كما تتابع الريح بالقفل
والمعنى قدرت ضربي لساقتها فضربتها فخرت ومثله في المعنى
فإن تمتد بالمحل من ذي ضروعها على الضيف يجرح في عراقبها نصلي

﴿ اللفظة ﴾

أمنى يمى ومنى بمعنى ومنه قراءة أبي السالك تمنون بفتح التاء والأصل من المنى وهو التقدير
قال الشاعر

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم حتى تلاقى ما يمى لك المانى
ومنه المنية لأنها مقدرة تأتي على مقدار والحطام الهشيم الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء وأصل
الحطام الكسر والحطم السواقى بنصف يحطم بعضها على بعض قال « قد لفظها الليل بسواق حطم » والتفكك
أصله تناول ضروب الفواكه للأكل والفكاهة المزاح ومنه حديث زيد كان من أفكك الناس مع اهله
ورجل فكك طيب النفس والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض وأصل الباب اللزوم والقرام العذاب اللازم
قال الأعمش

إن يعاقب يكن غراماً وإن يه ط جزيلاً فإنه لا يبالي
والنار مأخوذة من النور قال الحارث

فتنورت نارها من بعيد بخزازى هيهات منك الصلاة
والإبراء اظهار النار بالقدح يقال اورى يورى ووربت بك زنادي اي اضاء بك امري ويقال قدح
فأورى إذا ظهر النار فإذا لم يور قيل قدح فأكبي والمقوي النازل بالقواء من الأرض ليس بها احدواقوت
الدار خلت من اهله قال النابغة

أقوى وأقفر من نعم وغيرها هوج الرياح بها بي الترب موار
وقال عنترة

حييت من طلل تقادم عهده أقوى واقفر بعد أم الهيثم

المعنى

ثم احتج سبحانه عليهم في البعث بقوله (نحن خلقناكم) اي نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك عن مقاتل (فلولا تصدقون) اي فهلا تصدقون ولم لا تصدقون بالبعث لأن من قدر على الإنشاء والابتداء قدر على الإعادة ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ما ذكره فقال (أفأرأيتم ما تمنون) اي ما تقدفون وتصبون في إرحام النساء من النطف فيصير ولدا (انتم تخلقونه) اي انتم تخلقون ما تمنون بشرا (ام نحن الخالقون) فإذا لم تقدروا انتم وامثالكم على ذلك فاعلموا ان الله سبحانه الخالق لذلك واذا ثبت انه قادر على خلق الولد من النطفة وجب ان يكون قادرا على اعادته بعد موته لأنه ليس بأبعد منه ثم بين سبحانه انه كما ابدأ الخلق فإنه يميتهم فقال (نحن قدرنا بينكم الموت) التقدير ترتيب الأمر على مقدار اي نحن اجرينا الموت بين العباد على مقدار كما تقتضيه الحكمة فمنهم من يموت صبيا ومنهم من يموت شابا ومنهم من يموت كهلا وشيخا وهرما عن مقاتل وقيل معناه قدرناه بأن سويتنا فيه بين المطيع والعاصي وبين أهل السماء والأرض عن الضحاك (وما نحن بمسبوقين) قيل انه من تمام ما قبله اي لا يسبقنا احد منكم على ما قدرناه من الموت حتى يزيد في مقدار حياته وقيل انه ابتداء كلام يتصل به ما بعده والمعنى وما نحن بمغلوبين (على ان نبدل أمثالكم) اي تأتي بخلق مثلكم بدلا منكم وتقديره ببدلكم بأمثالكم فحذف المفعول الأول والجار من المفعول الثاني قال الزجاج معناه ان أردنا ان نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الصور أي ان اردنا أن نجعل منكم القرود والغنازير لم يسبق ولا يفوتنا وتقديره كما لم نعجز عن تغيير أحوالكم بعد خلقكم لا نعجز عن أحوالكم بعد موتكم وقبل النشأة الثانية أي ننشئكم فيما لا تعلمون من الهيئة المختلفة فإن المؤمن يخلق على احسن هيئة وأجل صورة والكافر على اقبح صورة وقيل انا قال ذلك لأنهم علموا حال النشأة الأولى كيف كانت في بطون الأمهات وليست الثانية كذلك لأنها تكون في وقت لا يعلمه العباد (ولقد علمتم النشأة الأولى أي المرة الأولى) من الإنشاء وهو ابتداء الخلق حين خلقتم من نطفة وعلقة ومضغة (فلولا تذكرون) اي فهلا تعثرون وتستدلون بالقدرة عليها على الثانية (أفأرأيتم ما تمحرون) اي ما تعملون في الأرض وتلقون فيها من البذر (انتم تزرعونوه أم نحن الزارعون) أي انتم تبتونه وتجعلونه زراعا ام نحن المنتبون فإن من قدر على انبات الزرع من الحبة الصغيرة وان يجعلها حبوبا كثيرة قدر على اعادة الخلق إلى ما كانوا عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقول احدكم زرع ولبقل حرث (لو نشأ لجهنماء) اي جعلنا ذلك الزرع (حطاما) أي هشيلا لا يتفع به في مطعم ولا غداء وقيل تبنا لا قمح فيه عن عطاء (فظلمت نفوسكم) اي تتمجبون مما نزل بكم في زرعكم عن عطاء والكلي ومقاتل وقيل معناه تندمون وتتأسفون على ما أنفقتم فيه عن عكرمة وقناة والحسن واصله من التفكك بالحديث وهو التلهي به فكأنه قال فظلمت نفوسكم تتروحن إلى التندم كما يتروح الفكك إلى الحديث بما يزيل الهم وقيل معناه يتلاومون عن عكرمة اي يلوم بعضهم بعضا على التفريط في طاعة الله (انالمرمون) اي تقولون انالمرمون والمعنى انا قد ذهب مالنا كله ونفقتنا وضاع وقتنا ولم نحصل على شيء وقيل معناه انا لمعديون محدودون عن الحظ عن مجاهد وفي رواية اخرى عنه انا لمولع بنا وفي رواية اخرى انا للمقون في الشر وقيل محارفون عن قناة ومن قرأ ان على الاستفهام جملة على انهم يقومون فيقولون منكربن لذلك

ومن قرأ انا على الخبير حمله على انهم مخبرون بذلك عن انفسهم ثم يستدر كون فيقولون (بل نحن محرومون) اي مبخوسو الحفظ محار فون ممنوعون من الرزق والخير ثم قال سبحانه منها على دلالة اخرى (أفرايتم الماء الذي تشربون) انتم انزلتموه من المزن) اي من السحاب (أم نحن المنزلون) نعمة منا عليكم ورحمة بكم ثم قال (لو نشاء جعلناه اجاجا) اي مرا شديد المرارة وقيل هو الذي اشذت ملوحته (فلولا تشكرون) اي فهلا تشكرون على هذه النعمة السنية التي لا يقدر عليها احد غير الله ثم نبه سبحانه على دلالة اخرى فقال (أفرايتم النار التي تورون) اي تستخرجونها وتقذحونها بزنادكم من الشجر (انتم انشئتم شجرتها) التي تقذح النار منها اي انتم انبتموها وابتدأتموها (أم نحن المنشئون) لها فلا يمكن احد ان يقول انه انشأ تلك الشجرة غير الله تعالى والعرب تقذح بالزند والزندة وهو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار وفي المثل «في كل شجر نار واستجد المرخ والمغار» (نحن جعلناها تذكرة) أي نحن جعلنا هذه النار تذكرة للنار الأخرى الكبرى فاذا رآها الرائي ذكر جهنم واستعاذ بالله منها عن عكرمة ومجاهد وقناة وقيل معناه تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها فيعلم ان من قدر عليها وعلى اخراجها من الشجر الرطب قدر على النشأة الثانية (ومتاعا للمقوين) اي وجعلناها بلفة ومنفعة للمسافرين عن ابن عباس والضحاك وقناة يعني الذين نزلوا الارض التي وهو القفر وقيل للمستتمين بها من الناس اجمعين المسافرين والحاضرين عن عكرمة ومجاهد والمعنى ان جميعهم يستضيئون بها من الظلمة ويصطلون من البرد ويتفعمون بها في الطبخ والخبز وعلى هذا فيكون المقوي من الاضداد فيكون المقوي الذي صار ذا قوة من المال والنعمة والمقوي ايضا الذاهب ماله النازل بالفواء من الأرض فالمعنى ومتاعا للاغنياء والفقراء ولما ذكر سبحانه ما يدل على توحده وانعامه على عبده قال (فسبح باسم ربك العظيم) اي فبرئ الله تعالى مما يقولونه في وصفه وزهه عمالا يليق بصفاته وقيل معناه قل سبحان ربي العظيم فقد صح عن النبي ﷺ انه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم

قوله تعالى (٧٥) فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٦) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٧) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٨) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٩) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٨٠) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨١) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ (٨٢) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ نُكْذِبُونَ (٨٣) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٤) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٥) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٦) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٧) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

ثلاث عشرة آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم بموقع النجوم بغير الف والباقون بمواقع النجوم على الجمع وروى بعضهم عن عاصم انكم تكذبون بالتحفيف والقراءة المشهورة بالشديد وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفى فلا قسم بغير الف وقراءة علي (ع) وابن عباس ورويت عن النبي ﷺ وتجملون شكركم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو عبيدة فلا أقسم بمواقع النجوم اي فاقسم ومواقعها مساقطها حيث تسيب وقال غيره انه مواقع القرآن حين نزل على النبي ﷺ فنجوما فأما الجمع في ذلك وان كان مصدرا فلاختلاف ذلك فإن المصادر وسائر اسماء الأجناس اذا اختلفت جاز جمعها ومن قرأ بموقع فافرد فلأنه اسم جنس ومن قرأ تكذيبون فالمعنى تجعلون رزقكم الذي رزقكموه الله فيها قال وأنزلنا من السماء ماء مباركا الى قوله رزقا بالعباد وقال وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم انكم تكذبون في أن تنسبوا هذا الرزق الى غير الله تعالى فتقولون مطرنا بنوء كذا فهذا وجه التخفيف ومن قرأ تكذبون فالمعنى انكم تكذبون بالقرآن لأن الله تعالى هو الذي رزقكم ذلك على ما جاء في قوله تعالى رزقا للعباد فنسبونه انتم الى غيره فهذا تكذيبكم بما جاء به التنزيل واما ما روي من قوله وتعملون شكر كم فالمعنى تجعلون مكان الشكر الذي يجب عليكم التكذيب وقد يكون المعنى وتعملون شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف وقال ابن جني هو على وتعملون يدل شكر كم ومثله قول المعجاج .

رئته حتى اذا تمعدا كات جزائي بالعصا أن اجلدا

اي كان بدل جزائي الجلد بالعصا وأما قوله فلا أقسم فالتقدير لأننا أقسم وهو فعل الحال يدل على ذلك ان جميع ما في القرآن ما في الأقسام وانما هو حاضر الحال لا وعد الأقسام كقوله والتين والزيتون والشمس وضحاها ولذلك حملت لا على الزيادة في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم ونحوه نعم ولو اريد به الفعل المستقبل لزم من المتأتون قبل لا أقسم

﴿ اللغة ﴾

القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله في قسم الصواب دون الخطأ والمظيم هو الذي يقصر مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه وهو ضربان عظيم الشخص وجليل الشأن والكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القرآن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بأدبته المودبة الى الحق كان كريما على حقيقة معنى الكريم لا على التشبيه بطريق المجاز والكريم في صفات الله تعالى من الصفات النفسية التي يجوز أن يقال فيها لم يزل كريما لأن حقيقة تقتضي ذلك من جهة أن الكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القادر على الكرم الذي لا يمنعه مانع من شأنه أن يعطي الخير الكثير صح أن يقال انه لم يزل كريما والمدن الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر كالدهن في سهولة ذلك والاسراع فيه يقال ادبهن يدهن وداهن يدهن مثل نافع والدين هو الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزي والدين الميل الذي يستحق به الجزاء

﴿ الاعراب ﴾

فلولا اذا بلغت الحلقوم اللامل في اذا محذوف يدل عليه الفعل الواقع بعد لولا وهو ترجعونها في فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها وجواب الشرط ايضا هو مدلول قوله فلولا ترجعونها ولولا هذه لتحضيض معنى هلا ولا يقع بعدها الا الفعل ويكون التقدير فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم فلولا ان كنتم تكرر لولا ثانيا لطول الكلام

* المعنى *

ثم كد سبحانه ما تقدم ذكره بقوله (فلا أقسم بمواقع النجوم) ولا زائدة والمعنى فأقسم عن سميد بن جبير
ويجوز أن يكون لا ردا لما يقوله الكفار في القرآن من انه سحر وشعر و كهانة ثم استأنف القسم فقال أقسم
وقيل ان لا تزداد في القسم فيقال لا والله لا افعل وقال امرؤ القيس

لا وايبك وابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر

والمعنى وايبك وقيل ان المعنى لا أقسم على هذه الاشياء فإن امرها اظهر وأكد من أن يحتاج فيه
إلى اليبس عن ابي مسلم واختلف في معنى مواقع النجوم وقيل هي مطالع النجوم ومساقطها عن مجاهد
وقتادة وقيل انكدارها وهو انتشارها يوم القيامة عن الحسن وقيل هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا
مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا فيكون المعنى فلا أقسم بها وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام
ان مواقع النجوم رجومها للشياطين وكان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه فلا أقسم بها وقيل معناه
أقسم بنزول القرآن فإنه نزل متفرقا قطعا نجوما عن ابن عباس (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) قال الزجاج
والفراء وهذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والضمير في أنه يعود إلى القسم ودل عليه قوله
أقسم والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون ففصل بين الصفة والموصوف بالجملة ثم ذكر
انقسم به فقال (إنه لقرآن كريم) معناه إن الذي تلوناه عليك لقرآن كريم أي عام المنافع كثير الخير
ينال الأجر العظيم بتلاوته والعمل بما فيه وقيل كريم عند الله تعالى اكرمه الله تعالى واعزه لأنه كلامه عن
مقاتل وقيل كريم لأنه كلام رب العزة ولأنه محفوظ عن التغير والتبدل ولأنه معجز ولأنه يشتمل على
الأحكام والمواعظ وكل جليل خطير وعزيز فهو كريم (في كتاب مكنون) أي مستور من خلقه عند
الله وهو اللوح المحفوظ اثبت الله فيه القرآن عن ابن عباس وقيل هو المصحف الذي في أيدينا عن مجاهد
(لا يسه إلا المطهرون) معناه في القول الاول لا يسه إلا الملائكة الذين وصفوا بالطهارة من الذنوب
وفي القول الثاني إلا المطهرون من الشرك عن ابن عباس وقيل المطهرون من الاحداث والجنابات وقالوا
لا يجوز للجنب والحائض والمحدث مس المصحف عن محمد بن علي الباقر (ع) وطاووس وعطاء وسالم وهو
مذهب مالك والشافعي فيكون خيرا بمعنى النهي وعندنا ان الضمير يعود إلى القرآن فلا يجوز تغير الطاهر
مس كتابة القرآن (تنزيل من رب العالمين) أي هذا القرآن منزل من عند الله تعالى الذي خلق العباد وديرهم
على ما اراد على نبيه ﷺ ثم خاطب سبحانه اهل مكة فقال (أفبهذا الحديث) الذي حدثناكم به واخبرناكم
فيه عن حوادث الامور وهو القرآن (انتم مدهنون) أي مكذبون عن ابن عباس وقيل مدهنون مالمثون
للكفار على الكفر به عن مجاهد وقيل مناقون على التصديق به أي تقولون آمنا به وتدهنون فيها بينكم
وبين المشركين إذا خلوتهم فقلتم إنا معكم قال مؤرج هو الذي يلين جانبه ليخفي كفره واصله من
الدهن (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) أي وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم انكم
تكذبون به وقيل وتجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال اصاب الناس عطش في بعض
اسفاره فدعا ﷺ فسقوا فسمع رجلا يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية وقيل معناه وتجعلون حظكم
من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به عن الحسن (فلولا إذا بلغت الحلقوم) أي فهلا إذا بلغت النفس الحلقوم

عند الموت (وانتم) يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) اي ترون تلك الحال وقد صار إلى ان تخرج نفسه وقيل معناه تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً (ونحن اقرب اليه منكم) بالعلم والقدرة (ولكن لا تبصرون) ذلك ولا تعلمونه وقيل معناه ورسنا الذين يقبضون روحه اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون رسلنا القابضين روحه (فلو لا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين) يعني فهلا ترجعونها اي فهلا ترجعون نفس من يمز عليكم اذا بلغت الحلقوم وتردونها إلى موضعها ان كنتم غير مجزيين بثواب وعقاب وغير محاسبين وقيل غير مدينين معناه غير مملوكين وقيل غير مبعوثين عن الحسن والمراد ان الأمر ان كان كما يقولونه من انه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يحاسب ويجازي فهلا رددتم الارواح والنفوس من حلوقكم إلى ابدانكم ان كنتم صادقين في قولكم فاذا لم تدرؤا على ذلك فاعلموا انه من تقدير مقدر حكيم وتديير مدبر عليم

قوله تعالى (٨٨) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٩) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٩٠) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٢) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذَّبِينَ (٩٣) فَتَنْزِيلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٤) وَنَصْلَةٌ جَهِيمٍ (٩٥) إِنْ هَذَا إِلَّا حَقُّ الْيَقِينِ (٩٦) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ نسع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب فروح بضم الراء وهو قراءة النبي ﷺ وابن عباس وابي جعفر الباقر وقيادة والحسن والضحاك وجماعة والباقر فروح بفتح الراء

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنبي هو راجع الى معنى الروح فكأنه قال فتمسك روح وممسكها هو الروح وكما تقول هذا الهوا هو الحياة وهذا الساع هو العيش وهو الروح

﴿ الاعراب ﴾

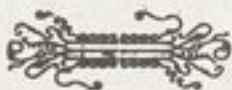
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين قال علي بن عيسى دخلت كاف الخطاب كما تدخل في ناهيك به شرفاً وحسبك به كرماً اي لا تطلب زيادة على جلاله حاله فكذلك سلام لك منهم اي لا تطلب زيادة على سلامهم جلاله وعظم منزلة قال ابن جنبي في الكلام تقديم وتأخير والتقدير معاً يكن من شيء فسلام لك من اصحاب اليمين ان كان من اصحاب اليمين ولا ينبغي أن يكون موضع ان كان الا هذا الموضع لأنه لو كان موضعه بعد الفاء يلها لكان قوله فسلام لك جواباً له في اللفظ لا في المعنى ولو كان جواباً له في اللفظ لوجب ادخال الفاء عليه لأنه لا يجوز في سعة الكلام ان كان من اصحاب اليمين سلام له فلما وجد الفاء فيه ثبت انه ليس بجواب لقوله ان كان في اللفظ واذ ثبت انه ليس بجواب له في اللفظ ثبت ان موقع ان كان بعده لا قبله قال فان قيل إنما بدل الفاء التي تكون جواباً لقوله ان كان لأجل الفاء التي تدخل جواباً لأنها لا يدخل حرف معنى على مثله قبل إنما تدخل الفاء التي لا ما عليه لأنه ليس بجواب لقوله ان كان فلو كان جواباً له لما دخلت عليه هذه الفاء في قوله فأما ان كان من اصحاب اليمين

فسلام لك على أن فاء اما قد يكون موقمه بعد الفاء لا يليها وأما لها موضعان من الكلام ﴿أحدهما﴾ أن يكون لتفصيل الجمل نحو قولك جاءني القوم فأما زيد فأكرمه وأما عمرو فأهتته ومنه ما في الآية ﴿والثاني﴾ أن تكون مركبة من أن وما ويكون ما عوضا من كان وذلك قولك اما انت منطلقا انطلقت معك والمعنى إن كنت منطلقا انطلقت فموضع ان نصب لأنه مفعول له وانشد سيبويه

أبا خراشة اما انت ذا نفر
فإن قومي لم تأكلهم الضبيع
اي من اجل ان كنت والضبيع السنة الشديدة

﴿المعنى﴾

ثم ذكر سبحانه صفات الخلق عند الموت فقال (فأما إن كان من المقربين) اي فإن كان ذلك المحتضر الذي بلغت روحه الخلقوم من المقربين عند الله وهم السابقون الذين ذكروا في اول سورة (فروح) اي فله روح وهو الراحة والاستراحة عن ابن عباس ومجاهد يعني من تكاليف الدنيا ومشاقها وقبل الروح الهوا الذي تستلذه النفس ويزيل عنها الهمة (وريحان) يعني الرزق في الجنة وقبل هو الريحان المشوم من ريحان الجنة يوتى به عند الموت فيشمه عن الحسن وابي العالية وفتادة وقبل الروح رحمة والريحان كل نباهة وشرف وقبل الروح النجاة من النار والريحان الدخول في دار القرار وقبل روح في القبر وريحان في الجنة وقبل روح في القبر وريحان في القيامة (وجنة نعيم) يدخلونها (واما إن كان من اصحاب اليمين) اي ان كان المتوفي من اصحاب اليمين (فسلام لك من اصحاب اليمين) أي فترى فيهم ما تحب لهم من السلامة من المكارة والخوف وقبل معناه فسلام لك ايها الإنسان الذي هو من اصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليك ملائكة الله عن فتادة قال الفراء فسلام لك إنك من اصحاب اليمين فحذف انك وقبل معناه فسلام لك منهم في الجنة لأنهم يكونون معك ويكون لك بمعنى عليك «سؤال» يقال لم يترك باليمين « والجواب » إن العمل ميسر بها لأن الشمال معسر العمل بهامن نحو الكتابة والأعمال الدقيقة (واما إن كان من المكذبين) بالبعث والرسول وآيات الله (الضالين) عن الهدى الناهبين عن الصواب والحق (فنزل من حميم) اي فنزلهم الذي اعد لهم من الطعام والشراب من حميم جهنم (وتصلية جحيم) اي ادخال نار عظيمة كما قال ويصلى سعيرا في قراءة من شدد (إن هذا لهُو حق اليقين) اضاف الحق إلى اليقين وهما واحد للتأكيد اي هذا الذي اخبرتك به من منازل هؤلاء الاصناف الثلاثة هو الحق الذي لا شك فيه واليقين الذي لا شبهة معه وقبل تقديره حق الامر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) اي نزه الله سبحانه عن السوء والشرك وعظمه بحسن الثناء عليه وقبل معناه نزه اسمه عما لا يليق به فلا تضاف اليه صفة نقص او عملا قبيحا وقبل معناه قولوا سبحان ربي العظيم والعظيم في صفة الله تعالى معناه ان كل شيء سواه يقصر عنه فإنه القادر العالم الغني الذي لا يساويه شيء ولا ينفى عليه شيء جلت آلاؤه وتقدس اسمائه



سورة الحديد (مدنية)

﴿ عدد آياتها ﴾

تسع وعشرون آية عراقية وثمان في الباقيين

﴿ اختلافها ﴾

آتان من قبله العذاب كوفي والانجيل بصري

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله العرايض ابن سارية قال إن النبي ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آية أفضل من ألف آية وروى عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن ابي جعفر «ع» قال من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام وان مات كان في جوار رسول الله ﷺ الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة فريضة ادمنها لم يهذه الله حتى يموت ابدا ولا يرس في نفسه ولا في اهله سوء ابدا ولا خصاصة في بدنه

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة الواقعة بالتسبيح افتتح هذه السورة بالتسبيح وبقه بالدلائل الموجبة للتسبيح فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٤) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٥) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٦) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ست آيات

﴿ المعنى ﴾

(سبح لله) أي نزهه واثني عليه بما هو أهله وبرأه من كل سوء (ما في السموات والأرض) قال مقاتل يعني كل شيء من ذي الروح وغيره وكل خلق فيها ولكن لا تفقهون تسبيحهم وتحقيقه ان العلاء يسبحونه قولاً واعتقاداً ولفظاً ومعنى وما ليس بما قل من سائر الحيوانات والمعادات فتسبيحه ما فيه من الادلة الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جنيع خلقه وما فيه من الحجج على انه لا يشبه خلقه وان خلقه لا يشبهه فغير سبحانه عن ذلك بالتسبيح ويموزان تكون ما ما هنا بمعنى من كما حكى ابو زيد عن اهل المعجاز انهم

كانوا إذا سمعوا الرعد قال سبحانه ما سبحت له فيكون واقفا على العقلاء من الملائكة والجن والانس (وهو العزيز الحكيم) أي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء المحكم لأنفاله العليم بوجوده الصواب في التدبير (له ملك السموات والأرض) أي له التصرف في جميع ما في السموات والأرض من الموجودات بما يشاء من التصرف وليس لأحد منه وذلك هو الملك الأعظم فإن كل ما يملكه من عداة فإنه سبحانه هو الذي ملكه إياه وله من منة منه (يحيي ويميت) أي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا وقيل يحيي الاموات بأن يجعل النطفة وهي جاد حيوانا ويميت الاحياء إذا بلغوا آجالهم التي قدرها لهم (وهو على كل شيء قدير) يقدر على المدمومات بإيجادها وانشائها وعلى الموجودات بتغييرها وافنائها وعلى افعال العباد ومقدوراتهم بالأقدار عليها وسلبهم القدرة عليها (هو الأول) أي أول الموجودات وتحقيقه انه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الاوقات لأنه قديم وما عداه محدث والتقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الاوقات (والآخر) بعد فناء كل شيء لأنه يفني الأجسام كلها وما فيها من الاعراض ويبقى وحده ففي هذا دلالة على فناء الأجسام وقيل الأول قبل كل شيء بلا ابتداء والآخر بعد كل شيء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل والباقي لا يزال (والظاهر) وهو الغالب العالي على كل شيء فكل شيء دونه (والباطن) العالم بكل شيء فلا احد اعلم منه عن ابن عباس وقيل الظاهر بالأدلة والشواهد والباطن الخبير العالم بكل شيء وقيل معنى الظاهر والباطن انه العالم بما ظهر والعالم بما بطن وقيل الظاهر بأدته والباطن من احساس خلقه وقيل الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل الأول بيره إذ هداك والآخر بعفوه إذ قبل توبتك والظاهر بإحسانه وتوفيقه إذا اطعته والباطن بستره إذا عصيته عن السدي وقيل الأول بانطلاق والآخر بالرزق والظاهر بالاحياء والباطن بالإماتة عن ابن عمر وقيل هو الذي أول الأول وآخر الآخر واطهر الظاهر وأبطن الباطن عن الضحاك وقيل الأول بالازلية والآخر بالابدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية عن ابي بكر الوراق وقيل إن الواووات مقعمة والمعنى هو الاول الآخر الظاهر الباطن لأن من كان منا أولا لا يكون آخره ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا عن عبد العزيز ابن يحيى وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم عن يمان وقال البلخي هو كقول القائل فلان أول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه أي عليه يدور الامر وبه يتم (وهو بكل شيء) يصح أن يكون معلوما (عليم) لأنه عالم لذاته (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام) لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شيء بعد شيء من جهة ولما في الاخبار به من المصلحة للمكلفين ولولا ذلك لكان يخلقهما في لحظة واحدة لأنه القادر لذاته (ثم استوى على العرش) المعروف في السماء وقيل استوى على الملك فمن قال بالاول قال استواؤه عليه كونه قادرا على خلقه وافنائه وتصريفه قال البيهقي

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران

وبشر هنا هو بشر بن مروان ولاء اخوه عبد الملك العراق وقيل معناه ثم عمد وقصد إلى خلق العرش وقد مر بيانه (يعلم ما يبلج في الأرض وما يخرج منها) أي يعلم ما يدخل في الأرض ويستتر فيها ويعلم ما يخرج من الأرض من سائر انواع النبات والحيوان والجماد لا يخفى عليه شيء منها (وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) أي ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغير ذلك من انواع

ما ينزل منها ويعلم ما يعرج في السماء من الملائكة وما يرفع اليها من اعمال الخلق (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم الذي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وأحوالكم (والله بما تعملون) من خير وشر (بصير) أي عليم (له ملك السماوات والأرض) يتصرف فيهما كيف يشاء (وإلى الله ترجع الامور) يوم القيامة يعني أن جميع من ملكه شيئاً في الدنيا يزول ملكه عنه ويفرد سبحانه بالملك كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق (بولج الليل في النهار وبولج النهار في الليل) أي يدخل ما نقص من الليل في النهار وما نقص من النهار في الليل أي حسب ما دبره فيه من مصالح عباده عن عكرمة وإبراهيم (وهو عليم بذات الصدور) أي هو عالم بأسرار خلقه وما يخفونه من الضائر والاعتقادات والارادات والكراهات والعزائم في قلوبهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذا تحذير من المعاصي

قوله تعالى (٧) آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٨) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ أُولَئِكَ أَكْبَرُ مِنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو وحده وقد اخذ بضم الهمزة ميثاقكم بالرفع والباقون اخذ بفتح الهمزة ميثاقكم بالنصب وقرأ ابن عامر وكل وعد الله الحسنى بالرفع والباقون كلا بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من قرأ وقد أخذناه قد تقدم وما لكم تؤمنون بالله والضمير يعود إلى اسم الله تعالى وحجة من قرأ وقد أخذناه على هذا المعنى وانه قد عرف اخذ الميثاق وأن الله قد اخذ حجة النصب في كلا وعد الله الحسنى بين لأنه بمنزلة زيداً وعدت خيراً وحجة ابن عامر أن الفعل إذا تقدم عليه مفعوله لم يقو عمله فيه قوته إذا تأخر ألا ترى أنهم قالوا في الشعر زيداً ضربت ولو تأخر المفعول فوقع بعد الفاعل لم يجز ذلك فيه وما جاء من ذلك في الشعر قوله

قد أصبحت أم الخيار تدعي علي ذنباً كله لم أصنع

فرووه بالرفع لتقدمه على الفعل وإن لم يكن شيء يمنع من تساطع الفعل عليه فكذلك قوله وكل وعد الله الحسنى يكون على إرادة الهاء وحذفها كما يحذف من الصفات والصلوات

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المكلفين فقال (آمنوا بالله) معاشر العقلاء أي صدقوا الله وأقروا بوحدانيته وإخلاص
العباد له (ورسوله) أي وصدقوا رسوله واعترفوا بنبوته (وأنفقوا) في طاعة الله والوجوه التي أمركم
بالإنفاق فيها (مما جعلكم مستخلفين فيه) أي من المال الذي استخلفكم الله فيه بوراثكم إياه عن
قبلكم عن الحسن ونبه سبحانه بهذا على أن ما في أيدينا بصير لغيرنا كما صار لنا من قبلنا وحثنا على استيفاء
الحظ منه قبل أن يصير لغيرنا ثم بين سبحانه ما يكافئهم على ذلك إذا فعلوه فقال (فالذين آمنوا منكم) بالله
ورسوله (وأنفقوا في سبيله لهم أجر كبير) أي جزاء وثواب عظيم دائم لا يشوبه كدر ولا تنقيص ثم
وبينهم سبحانه فقال (وما لكم لا تؤمنون بالله) أي وأي شيء يمنعكم من الإيمان بالله مع وضوح الدلائل
على وحدانيته (والرسول يدعوكم) إلى ما تركب الله في عقولكم من معرفة الصانع وصفاته (لتؤمنوا بربكم
وقد أخذ ميثاقكم) بما أودع الله قلوبكم من دلالات العقل الموصلة إلى الإيمان به فإن الميثاق وهو الأمر
للمؤمن الذي يجب العمل به (إن كنتم مؤمنين) أي إن كنتم مصدقين بحقي فالآن فقد ظهرت
إعلامه ووضحت براهينه والمعنى أي عذر لكم في ترك الإيمان وقد ازاحت العلة وارتفعت الشبهة ولزمتكم
الحجج العقلية والسمعية فالعقلية ما في فطرة العقول والسمعية دعوة الرسول الموقدة بالأدلة الموقدة إلى المدلول والذي
يبين هذا قوله (هو الذي ينزل على عبده) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) أي حججا منيرة وبراهين واضحة
(ليخرجكم الله) بالقرآن والأدلة وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة وقيل ليخرجكم المنزل والأول أوجه (من
الظلمات إلى النور) أي من الكفر إلى الإيمان بالتوفيق والهداية والألطف والأدلة (وإن الله بكم لرؤوف
رحيم) حين بعث الرسول ونصب الأدلة والرحمة والهداية والهداية والألطف والأدلة (وإن الله بكم لرؤوف
على المصروع والرحمة النعمة على المحتاج وفي هذا دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر فإنه بين أن الفرض
في انزال القرآن الإيمان به ثم حثهم سبحانه على الإنفاق فقال (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله) أي أي
شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب إلى الله تعالى (والله ميراث السموات والأرض) يعني يغني الخلق
ويبقى هو والمعنى فيه أن الدنيا وأموالها ترجع إلى الله فلا يبقى لأحد فيها ملك ولا أمر كما يرجع الميراث
إلى مستحقيه فاستوفوا حظكم من أموالكم قبل أن تخرج من أيديكم ثم بين سبحانه فضل من سبق بالإنفاق
في سبيل الله فقال (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا
من بعد وقاتلوا) بين سبحانه أن الإنفاق قبل فتح مكة إذا انضم إليه الجهاد أكثر ثوابا عند الله من
النفقة والجهاد بعد ذلك وذلك أن القتال قبل الفتح كان أشد والحاجة إلى النفقة وإلى الجهاد كان أكثر
وأمر وفي الكلام حذف تقديره لا يستوي هؤلاء مع الذين أنفقوا بعد الفتح فحذف لدلالة الكلام عليه
وقال الشعبي أراد فتح الحديدية ثم سوى سبحانه بين الجمع في الوعد بالخير والثواب في الجنة فقال (وكلا
وعد الله الحسن) أي الجنة والثواب فيها وإن تفاضلا في مقادير ذلك (والله بما تعملون خبير) أي لا يخفى
عليه شيء من إنفاقكم وجهادكم فيجازيكم بحسب نياتكم وبصائركم وإخلاصكم في سرائركم

قوله تعالى (١١) مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ

(١٢) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَسَعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) يَوْمَ يَقُولُ
 الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا
 نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٤)
 يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَضْتُمْ
 الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٥) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

القراءة في فيضاعفه والاختلاف فيه قد مضى ذكره في سورة البقرة وقرأ حمزة انظرونا بقطع الهمزة
 وفتحها وكسر الطاء والباقون انظرونا بهمزة الوصل وضم الطاء وقرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب لا تؤخذ
 منكم بالياء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة سهل بن شعيب وبإيمانهم بكسر الهمزة وقراءة ساك بن حرب
 وغرركم بالله الغرور بضم الغين

﴿ اللمحة ﴾

قال ابو علي النظر هو قلب العين إلى اللمحة التي فيها المرئي والمراد رؤيته وما يدل على ذلك قوله
 فبأبي هل يجزي بكائي بمثله مرارا وأنفاسي اليك الزوافر
 واني متى اشرف على الجانب الذي به انت من بين الجوانب ناظر
 فلو كان النظر الروية لم يطلب عليه الجزاء لأن المحب لا يستثيب من النظر إلى محبوبه شيئاً بل يريد
 ذلك ويتمناه ويدل على ذلك قول الآخر

ونظرة ذي شجن وامق إذا ما الركائب جاوزن ميلا

وأما قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فالمعنى انه سبحانه لا ينيلهم رحمة وقد تقول نظر إلى فلان
 إذا كان بينك شيئاً ويقول القائل انظر إلى نظر الله اليك يريد أنلني خيراً أتالك الله ونظرت فعل يستعمل
 وما تصرف منه على ضروب ﴿ احدها ﴾ أن تريد به نظرت إلى الشيء فتحذف الجار وتوصل الفعل ومن
 ذلك ما انشده ابو الحسن

ظاهرات الجبال والحسن ينظرت كما ينظر الاراك الفياض

والمعنى ينظرن إلى الاراك فتحذف الجار والآخر أن تريد به تأملت وتدبرت وهو فعل غير متمد فمن
 ذلك قولهم اذهب فانظر زيذا أبو من هو فهذا يراد به التأمل ومن ذلك قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال
 وانظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وقد يتعدى هذا بالجار كقوله أفلا ينظرون إلى الاوبل كيف خلقت
 فهذا خص على التأمل وقد يتعدى هذا بني نحو قوله أفلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض
 فأما قول امرئ القيس

فلما بدا حوران والآل دونه نظرت فلم تنظر بعينك منظرا
 فيجوز ان يكون نظرت لم فتر بعينك منظراً إلى الآل وقد جوز ان يعنى بالنظر الروية على الاتساع
 لأن تغليب البصر نحو المبصر تنبئه الروية وقد يجري على الشيء لفظ ما يشبهه ويقترن به كقولهم للمراة
 راوية والقناة غدرة وقد يكون نظرت فلم تنظر مثل تكلمت ولم تكلم اي لم تأت بكلام على حسب ما يراد
 فكذلك نظرت فلم تنظر بعينك منظرا كما تريد او لم تر منظراً ما يروق وضرب آخر من نظرت هو ان تريد به انتظرت
 من ذلك قوله غير ناظرين اياه ومثله قول الفرزدق

نظرت كما انتظرت الله حتى كفاك الماحلين لك المحالا
 يريد انتظرت كما انتظرت وقد يكون انتظرت في معنى انتظرت تطالب بقواك انظرتي التنفيس الذي
 يطالب بالانتظار فمن ذلك قوله

اباهند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقين
 ومن ذلك قوله فانظرتني إلى يوم يعشون إنما هو طالب الامهال والتسويق فالمطلوب بقوله وانظرنا نخبرك
 اليقين تنفيس وفي قوله فانظرتني إلى يوم يعشون تسويق وتأخير وكذلك ما جاء في الحديث من انظار المعسر
 وكذلك قوله انظرونا نقبس من نور كم اي نفسونا نقبس وانتظروا علينا وليس تسرع من تسرع الى تحطئة
 من قال انظرونا بشي ولا ينبغي يقال فيالطف انه خطأ وقوله فالنوم لا تؤخذ منكم فدية حسن الناء لتأنيث
 الفاعل ويحسن اليا للفصل الواقع بين الفعل والفاعل ولأن التأنيث غير حقيقي واما قوله بأيمانهم فقد قال
 ابن جني هو معطوف على قوله بين ايديهم ويكون الظرف الذي هو بين ايديهم معناه الحال فيتملق بمحدوف
 اي بسمى كأننا بين ايديهم وإذا كان كذلك جاز ان يعطف عليه الباء وما جرب به اي كأننا بأيمانهم
 كقوله ذلك بما قدمت يداك وقوله الفرور معناه الاغترار وهو مقدر على حذف المضاف اي وغر كم بالله
 سلامة الاغترار اي سلامتكم مع اغتراركم وقال الزجاج الفرور كل ما غر من متاع الدنيا

اللغة

القرض ما تعطيه غيرك ليقضيكه واصله التقطع فهو قطعته عن مالكه باذنه على ضمان رد مثله والعرب
 تقول لي عندك قرض صدق وقرض سوء إذا فعل به خيراً أو شراً قال الشاعر
 ويقضي سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت ايديهم وأزلت
 المضاعفة الزيادة على المقدار مثله أو امثاله والاقتناس اخذ النار ويقال قبسته ناراً واقتبسته علماً والتربص
 الترقب والانتظار

الاعراب

من ذا قال الفراء ذا صلة لمن قال ورأيها في مصحف عبد الله منذ الذي والنون موصولة بالذال
 والذي قبل إن المعنى من هذا الذي ومن في موضع رفع بالابتداء والذي خبره على القول الأول وعلى
 القول الثاني يكون ذا مبتدأ والذي خبره والحملة خبر من كذا ذكره ابن فصال وأقول إن الصحيح ان
 يكون ذا مبتدأ والذي قرض الله صفته ومن خبر المبتدأ قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام . يوم
 ترى المؤمنين يتعلق بقوله ولهم اجر كريم ويوم يقول المنافقون يتعلق بقوله وذلك هو الفوز العظيم ويجوز

أن يكون التقدير واذا ذكر يوم يقول ويجوز أن يكون بدلا من يوم ترى له باب في موضع جر صفة لسور باطنه فيه الرحمة صفة لباب

✽ المعنى ✽

ثم حث سبحانه على الانفاق فقال (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) اي طيبة به نفسه عن مقاتل وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة (فيضاعفه له) أي يضاعف له الجزاء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة وقال اهل التحقيق القرض الحسن أن يجمع عشرة أوصاف أن يكون من الحلال لأن النبي ﷺ قال إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب وان يكون من اكرم ما يملكه دون أن يقصد الردي بالانفاق لقوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وان يتصدق وهو يجب المال وبرجو الحياة لقوله لما سئل عن الصدقة افضل الصدقة ان تعطيه وانت صحيح صحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت النفس التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وان يضعه في الاخل الأ حوج الاولى بأخذه ولذلك خص الله اقواما بأخذ الصدقات وهم اهل السهان وان يكتمه ما امكن لقوله وان تخفوها وتوتوها القراء فهو خير لكم وان لا يتبعه المن والأذى لقوله لا تطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وأن يقصد به وجه الله ولا يراني بذلك لأن الرباء مذموم وأن يستحقر ما يعطي وان كثير لأن متاع الدنيا قليل وأن يكون من احب ماله اليه لقوله لن تناووا البر حتى تنفقوا ما تحبون فهذه الأوصاف العشرة إذا استكملها الصدقة كان ذلك قرضا حسنا (وله اجر كريم) أي جزاء خالص لا يشوبه صفة نقص فالكريم الذي من شأنه ان يعطي الخبير الكثير فلما كان ذلك الاجر يعطي النفع العظيم وصف بالكريم والأجر الكريم هو الجنة (يوم ترى) يا محمد (المؤمنين والمؤمنات) يعنى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم (على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم إلى الجنة ويريد بالنور الضياء الذي يرونه ويمرون فيه عن قتادة وقيل نورهم هديهم عن الضحاك وقال قتادة ان المؤمن يضيء له نور كما بين عدن إلى صنم ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود ويوتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل وادفاهم نورا نوره على ابهامه بطفأ مرة ويقدر اخرى وقال الضحاك وأبائهم يعنى كتبهم التي اعطوها ونورهم بين ايديهم وتقول لهم الملائكة (بشاركم اليوم جنات) اي الذي تبشرون به اليوم جنات (تجري من تحتها الأنهار خالدن فيها) أي مؤبدين دائمين لا تغفون (ذلك هو الفوز العظيم) اي الفوز المطلوب ثم ذكر حال المنافقين في ذلك اليوم فقال (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) ظاهرا وباطنا (انظرونا نقبس من نوركم) قال الكلبي يستضيئ المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون قالوا انظرونا نقبس من نوركم اي نستضيئ بنوركم ونبصر الطريق فتخلص من هذه الظلمات وقيل إنهم إذا خرجوا من قبورهم اختلطوا فسمى المنافقون في نور المؤمنين فإذا ميزوا بقوا في الظلمة فيستغيثون ويقولون هذا القول (قيل) أي فيقال للمنافقين (ارجعوا وراكم) أي ارجعوا إلى المحشر حيث اعطينا النور (فالتمسوا نورا) فيرجعون فلا يجدون نورا عن ابن عباس وذلك انه قال تعالى الشمس الجميع ظلمة شديدة ثم يقسم النور ويعطي المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق وقيل معنى قوله ارجعوا وراكم ارجعوا إلى الدنيا إن امكنكم فاطلبوا النور منها فإننا حملنا النور منها بالإيمان والطاعات وعند ذلك يقول المؤمنون ربنا اقم لنا نورا (فضرِب

بينهم بسور) أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين سور والباء مزيدة لأن المعنى حيل بينهم وبينهم بسور وهو حائط بين الجنة والنار عن قتادة وقيل هو سور على الحقيقة (له باب) أي لذلك السور باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله) أي من قبل ذلك الظاهر (العذاب) وهو النار وقبل باطنه أي باطن ذلك السور فيه الرحمة أي الجنة التي فيها المؤمنون وظاهره أي وخارج السور من قبله يأتيهم العذاب يعني أن المؤمنين يسبقونهم ويدخلون الجنة والمنافقون يعملون في النار والعذاب وبينهم السور الذي ذكره الله (ينادونهم) أي ينادي المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) في الدنيا نصوم ونصلي كما تصومون وتصلون ونعمل كما تعملون (قالوا بلى) أي يقول المؤمنون لم بلى كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي استعملتموها في الكفر والنفاق وكلها فتنة وقيل معناه تعرضتم للفتنة بالكفر والرجوع عن الإسلام وقبل معناه اهلكتم أنفسكم بالنفاق (وتربصتم) بمحمد ﷺ الموت وقتله يوشك أن يموت فنستريح منه عن مقاتل وقيل تربصتم بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) أي شككتم في الدين (وغرتم الأمانى) التي تمنيتموها بأن تعود الدائرة على المؤمنين (حتى جاء أمر الله) أي الموت وقبل القاوم في النار عن قتادة وقبل جاء أمر الله في نصرة دينه ونبيه وغلبته إياكم (وغرتم بالله الغرور) يعني الشيطان غرتم بحلم الله وإمهاله وقبل الغرور الدنيا (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أي المنافقون أي بدل بأن تغدوا أنفسكم من العذاب (ولا من الذي كفروا) أي ولا من سائر الكفار الذين اظهروا الكفر (مأويكم النار) أي مقركم وموضعكم الذين تأوون اليه النار (هي موليك) أي هي أولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى أنها هي التي تلي عليكم لأنها قد ملكت أمركم فهي أولى بكم من كل شيء (ويش المصير) أي يش المأوى والمرجع الذي تصبرون اليه

قوله تعالى (١٦) ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٧) إعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٨) إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم (١٩) والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (٢٠) أعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيب أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور

خمس آيات

﴿ القراءه ﴾

قرأ نافع وحفص وما نزل من الحق خفيفة الزاي والباقون نزل بالتشديد وقرأ رويس ولا تكونوا بالتاء.

والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابو بكر إن المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من خفف ما نزل ففي نزل ذكر مرفوع بأنه الفاعل يعود إلى الموصول ويقوي التخفيف قوله وبالحق انزلناه وبالحق نزل ومن شدد ففاعل الفعل الضمير العائد إلى اسم الله تعالى والعائد إلى الموصول الضمير المحذوف ومن الصلة ومن قرأ ولا تكونوا فإنه على الخطاب والنهي ومن قرأ ولا يكونوا بالياء فإنه عطف على تخشع وهو منصوب ويجوز أن يكون مجزوماً على النهي للغائب ومن خفف المصدقين والمصدقات فإن معناه ان المؤمنين والمؤمنات وأما قوله وأقرضوا الله قرضاً حسناً فهو في المعنى كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأن اقراض الله من الأعمال الصالحة وحجة من خفف انه اعم من المصدقين ألا ترى أن المصدقين مقصور على الصدقة والمصدقين بعم التصديق والصدقة فهو اذهب في باب المدح ومن حجة من ثقل انهم زعموا أن في قراءة ابي ان التصديق والمنصقات ومن حجته ان قوله واقرضوا الله قرضاً حسناً اعتراض بين الظهور والمخبر عنه والاعتراض بمنزلة الصفة فهو للصدقة اشد ملائمة منه للتصديق وليس التخفيف كذلك ومن حجة من خفف أن يقول لا نحمل قوله واقرضوا الله على الاعتراض ولكننا نعطفه على المعنى ألا ترى ان قوله إن المصدقين والمصدقات معناه إن الذين صدقوا فكأنه في المعنى ان المصدقين واقرضوا فحمل واقرضوا الله على المعنى لما كان من معنى المصدقين الذين صدقوا فكأنه قال إن الذين صدقوا واقرضوا

✽ اللغة ✽

يقال انى بأني انى إذا حان والخشوع لين القلب للحق والانقياد له ومثله الخضوع والحق ما دعا اليه العقل وهو الذي من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك والحق مطلوب كل عاقل في نظره وان اخطأ طريقه والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق والامد الوقت الممتد وهو المدة واحد والهيج جفاف النبت

✽ النزول ✽

قيل إن قوله ألم بأن للذين آمنوا الآية نزلت في المناقب بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عما في التوراة فإن فيها العجائب فنزلت الر تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله لمن الغافلين فخيرهم أن هذا القرآن احسن القصص وانفع لهم من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزلت آية الله نزل احسن الحديث كتاباً فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان فنزلت هذه الآية عن الكلبي ومقاتل وقيل نزلت بالمؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين اسلمنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا اربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً وقيل إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن بهذه الآية عن ابن عباس وقيل كانت الصحابة بمكة مجتهدين فلما هاجروا اصابوا الريف والنعمة فتغيروا عما كانوا عليه فقتت قلوبهم والواجب أن يزدادوا الايمان واليقين والاخلاص في طول صحبة الكتاب عن محمد بن كعب

✽ المعنى ✽

ثم دعاهم سبحانه إلى الطاعة بقوله (ألم بأن للذين آمنوا) اي أما حان للمؤمنين (أن تخشع قلوبهم)

اي تحرق وتلين قلوبهم (لذكر الله) اي لما يذكركم الله به من مواعظه (وما نزل من الحق) يعني القرآن ومن شدد فالمراد وما نزله الله من الحق (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (من قبل فطال عليهم الامد) اي طال الزمان بينهم وبين انبيائهم وقيل طال عليهم الامد للجزء اي لم يماجلوا بالجزء فاغثروا بذلك (فقت قلوبهم) اي فضلت قلوبهم وزال خشوعها ومرنوا على المعاصي واعتادوها وقيل طالت اعمارهم وسامت اعمالهم فقت قلوبهم وينبغي ان يكون هذا متوجها إلى جماعة مخصوصة لم يوجد منهم الخشوع التام فحثوا على الرقة والخشوع فأما من وصفهم الله تعالى بالخشوع والرقة والرحمة فطيفة من المؤمنين فوق هؤلاء عن الزجاج ومن كلام عيسى (ع) لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ففسد قلوبكم فان القلب القاسي بعيد من الله ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم ارباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد والناس رجلان مبتلي ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية (وكثير منهم فاسقون) اي خارجون عن طاعة الله تعالى إلى مصيبه اي فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ثم قال (اعلموا ان الله يجزي الأرض بعد موتها) اي يجزيها بالنبات بعد اليبس والجدوبة اي فكذلك يجزي الكافر بالهدى إلى الإيمان بعد موته بالضلال والكفر بأن يطف له ما يؤمن عنده وقيل معناه ان الله يلدن القلوب بعد قسوتها بالالطاف والتوفيقات (قد بينا لكم الآيات) اي الحجج الواضحات والدلائل الباهرات (لعلكم تعقلون) فترجمون الى طاعتنا وتعملون بما امرناكم به (ان المصدقين والمصدقات) قد مضى الوجه في اختلاف القراءتين ومناهما (واقرضوا الله قرضا حسنا) اي وانفقوا في وجوه الخير (يضاعف لهم) ذلك القرض الحسن اي يجازون امثال ذلك (ولهم اجر كريم) مرمرناه (والذين آمنوا بالله ورسله) اي صدقوا بتوحيد الله وأقروا بنبوته رسله (اولئك هم الصديقون) قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق شهيد وقرأ هذه الآية والصديق الكثير الصدق المبالغ فيه وهو اسم مدح وتعظيم (والشهداء عند ربهم) اي وأولئك الشهداء عند ربهم والتقدير أولئك الصديقون عند ربهم والشهداء عند ربهم ثم قال (لهم اجرهم ونورهم) اي لهم ثواب طاعاتهم ونور إيمانهم الذين يهتدون به إلى طريق الجنة وهذا قول عبد الله بن مسعود ورواه البراء بن عازب عن النبي ﷺ وروى العياشي بالاسناد عن المنهال القصاب قال قلت لابي عبد الله (ع) ادع الله أن يوزقني الشهادة فقال إن المؤمن شهيد وقرأ هذه الآية وعن الحرث بن المغيرة قال كنا عند ابي جعفر (ع) فقال العارف منكم هذا الامر المنتظر له المعتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمد (ع) بسيفه ثم قال بل والله كمن جاهد مع رسول الله ﷺ بسيفه ثم قال الثالث بل والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ في فسطاطه وفيكم آية من كتاب الله قلت وأي آية جعلت فداك قال قول الله (عز وجل) والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ثم قال صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم وقيل إن الشهداء منفصل ما قبله مستأنف والمراد بالشهداء الانبياء (ع) الذين يشهدون للامم وعليهم وهو قول ابن عباس ومسروق ومقاتل بن حيان واختاره القراء والزجاج وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل بن سليمان وابن جرير (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم) يبقون فيها دائمين ثم زهد سبحانه المؤمنين في الدنيا والركون إلى لذاتها فقال (اعلموا انما الحياة الدنيا) يعني أن الحياة في هذه الدار الدنيا (لعب ولهو) أي بمنزلة اللهو واللعب اذ لا بقاء لذلك ولا دوام ويزول من وشيك كما يزول اللهو واللعب قال مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما ألهى عن الآخرة (وزينة) تزينون بها في الدنيا وقيل أراد بذلك انها تتحلى في عين اهلها ثم تتلاشى

(وتفاخر بينكم) أي يفاخر الرجل بها قرينه وجاره عن ابن عباس (وتكاثر في الأموال والأولاد) قال يجمع ما لا يحل له تكاثره به ويتطاول على أولياء الله بآله وولده وخدمه والمعنى أنه يقني عمره في هذه الأشياء ثم بين سبحانه لهذه الحياة شبهة فقال (كمثل غيث) أي مطر (أعجب الكفار نباته) أي أعجب الزراع ما ينبت من ذلك الغيث قال الزجاج ويجوز أن يكون المراد الكفار بالله لأن الكافر أشد إعجاباً بالدنيا من غيره (ثم بهيج) أي يبس (قتريه مصفراً) وهو إذا قارب اليبس (ثم يكون حطاماً) يتحطم ويتكسر بمديسه وشرح هذا المثل قد تقدم في سورة يونس (وفي الآخرة عذاب شديد) لاعداء الله عن مقاتل (ومغفرة من الله ورضوان) لأولياته وأهل طاعته (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) لمن اغتر بها ولم يعدل لآخرته قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منه وقيل معناه والعمل للحياة الدنيا متاع الغرور وأنه كهذه الأشياء التي مثل بها في الزوال والفتان.

قوله تعالى (٢١) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٢) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٣) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٤) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٥) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو بما أتاكم مقصراً والباقون بالمد وقرأ أهل المدينة والشام فإن الله النبي الحميد لانهم وجدوا في مصاحفهم كذلك والباقون فإن الله هو النبي بلوثبات هو وكذلك هو في مصاحفهم

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة من قصر أتاكم أنه معادل به فاتكم فكما أن الفعل للفات في قوله فاتكم فكذلك للآتي في قوله بما أتاكم قال الشاعر

ولا فرح بخير إن أتاه ولا جزع من الحدثنان لآع

حجة من مدأن الخير الذي يأتيهم هو من عند الله وهو المعطي لذلك وفاعل أتاكم هو الضمير العائد إلى اسم الله والهاء محذوفة من الصلة تقديراً بما أتاكم وقوله إن الله هو النبي الحميد يتبني أن يكون هو فضلاً ولا يكون مبتدأ لأن الفصل حذفه أسهل ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الأعراب وقد يحذف فلا يجزئ بالمعنى

﴿ اللغة ﴾

أعدت مشتقة من العدد والاعداد وضع الشيء لما يكون في المستقبل على ما يقتضيه من عدد الأعداد الذي له الفضل والأفضال والتفضل واحد وهو النفع الذي كان للقادر أن ينعمه بغيره وله أن لا يفعله والأسى الحزن والتأسي تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله

✽ الاعراب ✽

في كتاب يتعلق بمحذوف تقديره الا هي كائنة في كتاب فهو في محل الرفع بانه خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يتعلق بفعل محذوف تقديره الا قد كتبت في كتاب فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال اي الا مكتوبة . لكيلا تأسروا أنفسكم بمنصب بنفس كي واللام هي اللام الجارة . الذين يبخلون في موضع جر على البدل من مختال فخور فعلى هذا لا يجوز الوقف على فخرو ويجوز أن يكون محله رفعاً على الابتداء . ويكون خبره محذوفاً كما حذف جواب لو من قوله ولو ان قرأنا سيرت به الجبال ويكون التقدير الذين يبخلون فإنهم يستحقون العذاب ويجوز ان يكون محله رفعاً او نصباً على الذم

✽ المعنى ✽

ثم رغب سبحانه في المسابقة لطلب الجنة فقال (سابقوا) اي بادروا العوارض القاطمة عن الاعمال الصالحة وسارعوا الى ما يوجب الفوز في الآخرة (الى مغفرة من ربكم) قال الكلبي الى التوبة وقيل الى الصف الاول وقيل الى النبي ﷺ (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أي وسابقوا الى استحقاق ثواب جنة هذه صفتها وذكر في ذكر العرض دون الطول وجوه **﴿ احدى ﴾** أن عظم العرض يدل على عظم الطول **﴿ والآخرة ﴾** أن الطول قد يكون بلا عرض ولا يكون عرض بلا طول **﴿ وثالثها ﴾** أن المراد به أن العرض مثل السموات والأرض وطولها لا يعلمه الا الله تعالى قال الحسن ان الله يعني الجنة ثم يعيدها على ما وصفه فلذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والأرض وقال غيره ان الله قال عرضها كعرض السماء والأرض والجنة المخلوقة في السماء السابعة فلا تنافي (أعدت للذين آمنوا) اي اذخرت وهيئت للمؤمنين (بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) معناه انه يجزي الدائم الباقي على القليل القاني ولو اقتصر في الجزاء على قدر ما يستحق بالأعمال كان عدلا منه لكنه تفضل بالزيادة وقيل معناه ان احدا لا ينال خيرا في الدنيا والآخرة الا بفضل الله فانه سبحانه لو لم يدعنا الى الطاعة ولم يبين لنا الطريق ولم يوفقنا للعمل الصالح لما اعتدنا اليه وذلك كله من فضل الله وايضا فانه سبحانه تفضل بالأسباب التي يفعل بها الطاعة من التمسكين والاطواف وكمال العقل وعرض المكافئ لثواب فالتكليف ايضا تفضل وهو السبب الموصل الى الثواب وقال ابو القاسم البلخي والبغداديون من اهل العدل ان الله سبحانه وتعالى لو اقتصر لعباده في طاعتهم على مجرد احساناته السالفة اليهم لكان عدلا فهذا جعل سبحانه الثواب والجنة فضلا وفي هذه الآية اعظم رجا . لأهل الايمان لأنه ذكر ان الجنة معادة للمؤمنين ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر والله ذو الفضل العظيم (أي ذو الافعال العليم والاحسان الجسيم الى عباده ثم قال) ما اصاب من مصيبة في الارض (مثل قحط المطر وقلة الثبات ونقص الثمرات) ولا في أنفسكم (من الامراض والشكل بالاولاد) (إلا في كتاب) يعني الا وهو مثبت مذکور في اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أي من قبل أن نخلق الانفس . المعنى انه تعالى اثبتهما في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الانفس ليستدل ملائكته به على انه عالم لذاته يعلم الاشياء بمخافتها (إن ذلك على الله يسير) اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله يسير سهل غير عسير ثم بين سبحانه فعل لذلك فقال (لكيلا تأسروا على ما فاتكم) أي فعلنا ذلك لتلا نخزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي بما اعطاكم الله منها والذي يوجب فني الأنسى والفرح من هذا أن الانسان إذا علم أن ما فات منها ضمن الله تعالى عليه العوض في الآخرة فلا ينبغي أن يحزن لذلك وإذا علم أن ما ناله منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فيه فلا ينبغي أن يفرح به وايضا فإذا علم أن شيئا منها لا يبقى فلا ينبغي أن يهتم له بل يجب أن يهتم لأمر الآخرة التي تدوم ولا تبعد وفي هذه الآية اشارة إلى اربعة اشياء **﴿ الأول ﴾** حسن الخلق لأن من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يجسد ولا يعادي ولا يشاح فلن هذه

من اسباب سوء الخلق وهي من نتائج حب الدنيا ﴿ وثانيها ﴾ استحقاق الدنيا واهلها اذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن لعدمها ﴿ وثالثها ﴾ تعظيم الآخرة لا ينال فيها من الثواب الدائم الغاص من الشوائب ﴿ ورابعها ﴾ الاختيار بالله دون اسباب الدنيا ويروي أن علي بن الحسين (ع) جاءه رجل فقال له ما الزهد فقال الزهد عشرة اجزاء فأعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع وأعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضا وإن الزهد كله في آية من كتاب الله لكيلا تأسروا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقيل أبرز جهر ما لك شيئا الحكيم لا تأسف على ما فات ولا تفرح بما هو آت فقال ان الفات لا يتلافى بالمبرة والآت لا يستدام بالحبرة وعن عبد الله بن مسعود قال لئن جمره الحسرة احترقت ما احترقت وابقت ما ابقت أحب إلي من أن أقول شيئا كان ليتعلم يكن أو لشيء لم يكن ليتعلم كان (والله لا يجب كل مختال فخور) أي متكبر بما ارتقى فخور على الناس بالدنيا (الذين يبخلون) بمنع الواجبات (ويأمرون الناس بالبخل) وفي الحديث ان النبي ﷺ سأل عن سيد بني عرف فقالوا جد بن قيس على انه يزن بالبخل فقال ﷺ واي ذاه أدري من البخل سيدكم البراء بن معرور ومعنى يزن يتهم ويعرف (ومن يتول) أي يعرض ما دعاه الله اليه (فإن الله هو الغني) عنه ومن طاعته وصدقته (الحميد) في جميع انعمائه ثم اقسام سبحانه فقال (لقد أرسلنا رسلك بالبينات) أي بالدلائل والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) المكتوب الذي يتضمن الأحكام وما يحتاج اليه الخلق من الحلال والحرام كالثورة والانجيل والقرآن (والميزان) أي وأنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذي يوزن به عن ابن زيد والجاثي ومقاتل بن سليمان وقيل معناه أنزلنا صفة الميزان (ليقوم الناس) في معاملاتهم (بالقسط) أي بالعدل والمراد وأمرنا بالعدل كقوله الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان عن قنادة ومقاتل ابن حيان (وأنزلنا الحديد) روي عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال ان الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح وقال أهل المعاني معنى أنزلنا الحديد أنشأناه وأحدثناه كقوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وإلى هذا ذهب مقاتل فقال معناه بأمرنا كان الحديد وقال قطرب معنى أنزلنا هنا هيأنا وخلقنا من الزئبر وهو ما يهيا للضيف أي انعمنا بالحديد وهيأناه لكم وقبل انزل مع آدم من الحديد العلاء وهي السندان والكلبتان والمطرقة عن ابن عباس (فيه بأس شديد) أي يتمتع ويحارب به عن الزجاج والمعنى انه يتخذ منه آتانا آلة للدفع وآلة للضرب كما قال مجاهد فيه جنة وسلاح (ومنافع للناس) يعني ما يتفقون به في معاشهم مثل السكنى والفأس والابرة وغيرها مما يتخذ من الحديد من الآلات وقوله (وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب) معطوف على قوله ليقوم الناس بالقسط أي ليعاملوا بالعدل وليعلم الله نصرة من ينصره موجودة وجهاد من جاهد مع رسوله موجودا وقوله بالغيب أي بالعلم الواقع بالاستدلال والنظر من غير مشاهدة بالبصر (ان الله قوي) على الانتقام من أعدائه (عزيز) أي منيع من أن يعترض عليه في أرضه وسماواته

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ما اصاب من مصيبة الآية بما قبلها انه سبحانه لما بين الثواب على الطاعات عقبه بيان الاعراض على مقاساة المصائب والملمات فقال لا يذهب علينا عوض من اصابته مصيبة ما فإن كانت من فعلنا فعوضه بالأضعاف من جزائنا وإن كان من فعل عبادنا فباستيفائنا ذلك منهم ثم أكد ذلك بقوله لكيلا تأسوا الآية لأن المصيبة لو كانت بتغير عوض في العاقبة لازداد الأسى والحزن فإن الحزن كل الحزن في

الطمران الذي ليس له جبران ثم عقب ذلك بقوله لقد أرسلنا رسلا بالبينات الآية فبين انه سبحانه لطف لعباده بما يدعو إلى الخشوع والخضوع وترك الخيلاء.

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ رَعَاهَا فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ قَدَرْنَا لَهَا أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٨) لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

اربع آيات

اللغة

التغية جعل الشيء في اثر شيء على الاستمرار فيه ولهذا قبل لمقاطع الشعر قواف إذ كانت تتبع البيت على اثره مستمرة في غيره على منهاجه والرهانية أصلها من الرهبة وهي الخوف إلا انها عبادة مختصة بالنصارى لقول النبي ﷺ لا رهانية في الإسلام والابتداع ابتداء أمر لم يحدث فيه على مثال ومنه البدعة إذ هي إحداث أمر على خلاف السنة والكفل الحظ ومنه الكفل الذي يتكفل به الراكب وهو كساء أو نحوه يجوبها على الأبل إذا أراد أن يرقد فيه فيحفظه من السقوط ففيه حظ من التحرز من الوقوع

الاعراب

ورهبانية منصوب بفعل مضمر بفسره قوله ابتدعوا التقدير وابتدعوا رهانية ابتدعوا وقوله ما كتبناها عليهم في محل النصب لأنه صفة لرهانية. ابتغاء رضوان الله نصب لأنه بدل من هافي كتبناها والتقدير كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله أي اتباع أوامره ولم نكتب عليهم الرهبانية ولا في ثلاث يعلم زائدة وان في ان لا يقدر من مخففة من الثقيلة واسمه محذوف وتقديره انهم لا يقدرون ولا هنا بدل على الاضمار في ان مع تخفيف ان

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الأنبياء بقصة إبراهيم (ع) ونوح (ع) فقال سبحانه (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم) وإنما خصها بالذكر لفضلها ولأنها أبوا الأنبياء (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) يعني ان الأنبياء كلهم من نسلها وذريتهما وعليهم انزل الكتاب ثم اخبر عن حال ذريتهما فقال (فمنهم مهتد) إلى طريق الحق (و كثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله إلى معصيته (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أي ثم اتبعنا بالارسال على آثار من ذكرناهم من الأنبياء برسل آخرين إلى قوم آخرين وأنفدناهم رسولا بعد رسول (وقفينا بعيسى بن مريم) بعدهم فأرسلناه رسولا (وآتينا الانجيل) أي واعطينا عيسى بن مريم

الانجيل (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) في دينه يعني الحواريين واتباعهم اتبعوا عيسى (رافة) وهي أشد الرقة (ورحمة) وإنما أضاف الرافة والرحمة إلى نفسه لأنه سبحانه جعل في قلوبهم الرافة والرحمة بالأمر به والترغيب فيه ووعد الثواب عليه وقيل لأنه خلق في قلوبهم الرافة والرحمة وإنما مدحهم على ذلك وإن كان من فعله لأنهم تعرضوا لها (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) وهي الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة إما في كنيسته أو انفراد عن الجماعة أو غير ذلك من الأمور التي يظهر فيها نكس صاحبها المعنى ابتدعوها رهبانية لم نكتبها عليهم وقيل إن الرهبانية التي ابتدعوها هي رفض النساء واتخاذ الصوامع عن قيادة قال وتقديره ورهبانية ما كتبناها عليهم (إلا) أنهم اتبعوها (ابتغاء رضوان الله) فارعوها حق رعايتها (وقيل إن الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال في خبر مرفوع عن النبي ﷺ فمارعاهم الذين بعدهم حق رعايتها وذلك لتكذيبهم بمحمد ﷺ عن ابن عباس وقيل إن الرهبانية هي الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة ما كتبناها أي ما فرضناها عليهم وقال الزجاج إن تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به فهذا وجه قال وفيها وجه آخر جاء في التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا اسرابا وصوامع وابتدعوا ذلك فلما الزموا أنفسهم ذلك التطوع ودخلوا عليه لزمهم تمامه كما إن الانسان إذا جعل على نفسه صوما لم يفرض عليه لزمه أن يتمه قال وقوله فارعوها حق رعايتها على ضربين * أحدهما * أن يكونوا قصروا فيما الزموا أنفسهم * والآخر * وهو الاجود أن يكونوا حيث بعث النبي ﷺ فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة الله فارعوا تلك الرهبانية حق رعايتها ودليل ذلك قوله (فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) يعني الذين آمنوا بالنبي ﷺ وكثير منهم فاستقون) أي كفرون انتهى كلام الزجاج وبعض هذا ما جاءت به الرواية عن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله ﷺ على حمار فقال يا ابن أم عبد هل تدري من أين أحدثت بنو اسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم فقال ظهرت عليهم الجبابة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله فغضب اهل الايمان فقاتلهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتمالوا وتفترق في الأرض إلى أن بعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى (ع) يعنون محمدا ﷺ ففترقوا في غيران الجبال وحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلى آخرها ثم قال يا ابن أم عبد تدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن ابن مسعود قال دخلت على النبي ﷺ فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها اثنتان وهلك سائرهن فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى (ع) فقتلوا وفرقة لم تكن لهم طاقة لموازة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله تعالى ودين عيسى (ع) فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله لهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبي ﷺ من آمن بي وصدقني واتبعتني فقد راعها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون ثم قال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا) أي اعترفوا بتوحيد الله وصدقوا بموسى وعيسى «ع» (اتقوا الله وآمنوا برسوله) بمحمد ﷺ عن ابن عباس وقيل معناه يا أيها الذين آمنوا ظاهرا آمنوا باطنا (يؤمنكم كفلين) أي يؤمنكم نصيبين (من رحمته) نصيباً لايمانكم بمن تقدم من الانبياء

ونصيبا لايمانكم محمد ﷺ عن ابن عباس (ويجمل لكم نورا تمشون به) اي هدى تهتدون به عن مجاهد وقيل النور القرآن وفيه الأدلة على كل حق والبيان لكل خير وبه يستحق الضياء الذي يمشي به يوم القيامة عن ابن عباس (ويغفر لكم) أي ويستر عليكم ذنوبكم (والله غفور رحيم) قال سعيد بن جبير بعث رسول الله ﷺ جمعرا في سبعين راكبا إلى النجاشي بدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به فلما كان عند انصرافه قل ناس من آمن به من اهل مملكته وهم اربعون رجلا إذ نذ لنا فنأتي هذا النبي فنسلم به فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله ﷺ وقالوا يانبي الله إن لنا اموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن اذنت لنا انصرفنا فنجثنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فأنصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله فيهم الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون إلى قوله وما رزقناهم ينفقون فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين فلما سمع اهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله أو لك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا فخرروا على المسلمين فقالوا يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابناكم وكتابنا فله اجران ومن آمن منا بكتابنا فله اجر كأجوركم فما فضلكم علينا فنزل قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله الآية فجعل لهم اجرين وزادهم النور والمغفرة ثم قال لتلا يعلم اهل الكتاب وقال الكلابي كان هؤلاء اربعة وعشرين رجلا قدموا من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكة لم يكونوا يهودا ولا نصارى وكانوا على دين الانبياء فأسلموا فقال لهم ابو جهل بشس القوم انتم والوفد لقومكم فردوا عليه وما لنا لا نؤمن بالله الآية فجعل الله لهم ولومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه اجرين اثنين فجعلوا يفخرون على اصحاب رسول الله ﷺ ويقولون نحن افضل منكم لنا اجران ولكم اجر واحد فنزل لتلا يعلم اهل الكتاب إلى آخر السورة وروي عن رسول الله ﷺ انه قال من كانت له امة فعلها فأحسن تعليمها وأديها فأحسن تأديتها واعتقها وتزوجها فله اجران وايماء رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه (ع) وآمن بمحمد ﷺ فله اجران وايماء مملوك ادعى حق الله وحق مواله فله اجران أورده البخاري ومسلم في الصحيح (لتلا يعلم) أي لأن يعلم ولا مزبدة (اهل الكتاب) يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وحسدوا المؤمنين منهم (ألا يقدرون على شيء من فضل الله) وان هذه هي المخففة من الثبيلة والقدر انهم لا يقدرون ومعناه جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا اجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) فأتى المؤمنين منهم اجرين (والله ذو الفضل العظيم) يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين وقيل إن المراد بفضل الله هنا النبوة أي لا يقدرون على نبوة الانبياء ولا على صرفها عن شاء الله ان يخصه بها فيصرفونها عن محمد ﷺ إلى من يجونه بل هي بيد الله يعطيها من يشاء ممن هو اهلها ويعلم انه يصلح لها وقيل إنما تدخل لا صلة في كل كلام دخل في أواخره أو اوائله جحدوا وان لم يكن مصرا حيا به نحو قوله ما منعك أن لا تسجد إذ امرتك وما بشركم انها إذا جاءت لا يؤمنون وحرام على قرية اهلكتها انهم لا يرجعون عن الفراء وقيل ان لا هنا في حكم الثبات والمعنى لأن لا يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون أن يؤمنوا لأن من لا يعلم انه لا يقدر يعلم انه يقدر فعلى هذا يكون المراد لكي يعلموا انهم يقدرون على أن يؤمنوا فيحوزوا الفضل والثواب وقيل إن معناه لتلا يعلم اليهود والنصارى ان النبي ﷺ والمؤمنين لا يقدرون على ذلك فقد علموا أنهم

لا يقدرُونَ عليه أي إن أمتم كما أمركم الله آتاكم الله من فضله فعمل أهل الكتاب خلافه وعلى هذا فالضمير في يقدرُونَ ليس لأهل وقال أبو سعيد السيرا في معناه أن الله يفعل بكم هذه الأشياء لئلا يعلم أي لينبذ أهل الكتاب وانهم لا يعلمون أن ما يؤتيكم الله من فضله لا يقدرُونَ على تغييره وإزالته عنكم ففي هذه الوجوه لا يحتاج إلى زيادة لا

سورة المجادلة (مدنية)

﴿ عدد آياتها ﴾

احدى وعشرون آية مكي والمدني الأخير وآيات في الباقيين

﴿ اختلافها ﴾

آية في الأذلين غير المكي والمدني الأخير

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء من عباده افتتح هذه السورة بذكر بيان فضله في إجابة الدعوة كما اجاب دعاء تلك المرأة فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِعُ تَحَاوَرَ كَمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِعُ بِصِيرُ (٢) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ (٣) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ مِنْكُمْ فُوِعْظُونَ بِهِ وَالَّذِينَ يُمَاتُكُمْ خَيْرٌ (٤) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كِتَبُوا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وقرأ أهل البصرة وابن كثير يظاهرون بتشديد الظاء والماء وفتح الياء وقرأ الباقون يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وروي عن بعضهم ما هن امهاتهم برفع التاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي ظاهر من امرأته وظهر مثل ضاعف وضعف وتدخل التاء على كل واحد منهما فيصير تظاهر وتظهر ويدخل حرف المضارعة فيصير يتظاهر ويتظهر ثم تدغم الطاء في الظاء لمقاربتها لها فتصير يظاهر ويظهر بفتح الياء التي هي حرف المضارعة لأنها للمطاوعة كما نفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج ووجه الرفع في قوله ما هن امهاتهم انه لغة بني تميم قال سيوبه وهو اقيس الوجهين وذلك ان النفي كالاتهام فكما لا يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب ينفي أن لا يغير النفي عما كان عليه في الواجب ووجه النصب انه لغة اهل الحجاز والأخذ بلقنهم في القرآن اولى وعليها جاء ما هذا بشرا

﴿ اللغة ﴾

الاشتكا اظهار ما بالإنسان من مكروه والشكاية اظهار ما يصنعه به غيره من المكروه والتحاورة التراجع وهي المحاوراة يقال حاوره محاوراة أي راجمه الكلام وتحاورا قال عنتره

لو كان يدري ما المحاوراة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مكلمي
والمحاداة المخالفة واصله من الحد وهو المنع ومنه الحد الحاجز بين الشيتين قال النابغة
إلا سليمان إذ قال المليك له
قم في البرية فاحدها عن الفند
الكبت مصدر كبت الله العدو أي أذله وأخزاه

﴿ النزول ﴾

نزلت الآيات في امرأة من الانصار ثم من الخزرج واسمها خولة بنت خويلد عن ابن عباس وقيل خولة بنت ثعلبة عن قتادة ومقاتل وزوجها اوس بن الصامت وذلك انها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فلما انصرفت أرادها فأبى عليه فغضب عليها وكان امرأ فيه سرعة ولم يقل لها انت علي كظها رمي ثم ندم علي ما قال وكان الظهار من طلاق اهل الجاهلية فقال لها ما اظنك إلا وقد حرمت علي فقالت لا تقل ذلك وانت رسول الله ﷺ فأسأله فقال اني اجد اني اسئحني منه ان أسأله عن هذا قالت فدعني أسأله فقال سلبه فأنت النبي ﷺ وعائشة تفسل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجي اوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غانية ذات مال واهل حتى إذا اكل مالي وأفنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني قد ندم فهل من شيء يجمعني واباه فتعشني به فقال ﷺ ما اراك إلا حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي وأحب الناس الي فقال ﷺ ما اراك إلا حرمت عليه ولم اوامر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وقالت اشكو إلى الله فأقتي وحاجتي وشدة حالي اللهم فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار في الاسلام فقامت عائشة تفسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في امري جعلني الله فسدك يا نبي الله فقالت عائشة أقصر به حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ وكان ﷺ إذا نزل

عليه الوحي اخذ مثل السبات فلما قضى الوحي قال ادعي زوجك فلا عليه رسول الله ﷺ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها إلى تمام الآيات قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الاصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت اسمع بعض كلامها ويخفي علي بعضه إذ انزل الله قد سمع فلما تلا عليه هذه الآيات قال له هل تستطيع أن تعق رقبة قل إذا يذهب مالي كله والرقبة غالية واني قابل المال فقال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين فقال والله يا رسول الله اني اذا لم أكل ثلاث مرات كل بصري وخشيت ان تعشى عيني قال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا والله الا ان تعيني على ذلك يا رسول الله فقال اني معيك بخمسة عشر صاعا وانا داع لك بالبركة فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا فدعا له البركة فاجتمع لها امرها

المعنى

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) أي تراجعك في أمر زوجها عن أبي العالية (وتشتكي الى الله أي وتظهر شكواها وما بها من المكروه فتقول اللهم انك تعلم حالي فارحني فإن لي صبية صفارا إن ضمنتم اليه ضاعوا وان ضمنتم الي جاءوا) والله يسمع تحاور كما اي تخاطبك كما ومراجعتكما الكلام (إن الله سميع بصير) اي يسمع المسموعات ويرى المرئيات والسميع البصير من هو على حالة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدنا وذلك يرجع الى كونه حيا لا آفة به ثم قال سبحانه يذم الظهار (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) اي يقولون لمن اتين كظهور امهاتنا (ما هن امهاتهم) أي ما اللواتي تجملونهن من الزوجات كالأمهات بامهات اي ليس بامهاتهم (إن امهاتهم الا اللاتي ولدنهم) اي ما امهاتهم الا الوالدات (وانهم) يعني المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) لا يعرف في الشرع (وزورا) اي كذبا لأن المظاهر اذا جعل ظهر امرأته كظهور امه وليست كذلك كان كاذبا (وان الله لعفو غفور) عفا عنهم وغفر لهم وامرهم بالكفارة ثم بين سبحانه حكم الظهار فقال (والذين يظاهرون من نسائهم) يعني الذين يقولون القول الذي حكيناه (ثم يعودون لما قالوا) اختلف المفسرون والفقهاء في معنى العود هنا فقيل إنه الغرم على وطئها عن قتادة وهو مذهب مالك وابي حنيفة وقبل العود هو أن يسكها بالعقد ولا يتبع الظهار بطلاق وذلك انه اذا ظاهر منها فقد قصد التحريم فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتداء ولا كفارة واذا سكت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلق فيه فذلك الندم منه على ما ابتداء وهو عود الى ما كان عليه فحينئذ تجب الكفارة وهو مذهب الشافعي واستدل على ذلك بما روي عن ابن عباس انه فسر العود في الآية بالندم فقال يندمون ويرجعون الى الإلفة وقال الفراء يعودون لما قالوا وزلى ما قالوا وفيما قالوا معناه يرجعون عما قالوا يقال عاد لما فعل اي تقض ما فعل ويجوز ان يقال عاد لما فعل يريد فعله مرة اخرى وقبل ان العود هو أن يكرر لفظ الظهار عن أبي العالية وهو مذهب أهل الظاهر واحتجوا بأن ظاهر لفظ العود يدل على تكرير القول قال ابو علي الفارسي ليس في هذا ظاهر كما ادعوا لأن العود قد يكون الى شيء لم يكن عليه قبل وقد سميت الآخرة معادا ولم يكن فيها احد ثم صار اليها وقال الاخفش تقدير الآية والذين يظاهرون من نسائهم فتحريروا رقبة لما قالوا ثم يعودون الى نسائهم أي فعلهم تحرير رقبة لما نطقوا به من ذكر التحريم والتقديم والتأخير كثير في التنزيل واما ما ذهب اليه أئمة الهدى من آل محمد ﷺ فهو ان المراد بالعود ارادة

الوطء ونقض القول الذي قاله فإن الوطاء لا يجوز له إلا بعد الكفارة ولا يبطل حكم قوله الأول إلا بعد الكفارة (فتحري رقية) أي فليترك رقية (من قبل أن يتأساً) أي من قبل أن يجامعها فيتأساً والتحرير هو أن يجعل الرقية المملوكة حرة بالعتق بأن يقول المالك لمن يملكه أنت حر (ذلكم توعدون به) أي ذلكم التغليب في الكفارة توعدون به أي أن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار قاله الزجاج (وأهل ما تعملون خبير) أي عليم بأعمالكم فلا تدعوا ما وعظكم به من الكفارة قبل الوطاء فيما قبكم عليه (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتأساً) أي فمن لم يجد الرقية فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل الجماع والتتابع عند أكثر الفقهاء أن يوالي بين إيام الشهرين الهلالين أو بصوم ستين يوماً وقال أصحابنا أنه إذا صام شهراً ومن الثاني شيئاً ولو يوماً واحداً ثم افطر لتبصر عذر فقد أخطأ إلا أنه يبيني عليه ولا يلزمه الاستئناف وإن افطر قبل ذلك استأنف ومتى بدأ بالصوم وصام بعض ذلك ثم وجد الرقية لا يلزمه الرجوع إليها وإن رجع كان أفضل وقال قوم أنه يلزمه الرجوع إلى العتق وقوله (فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً) أي فمن لم يطعم الصوم لعله أو كبر فإطعام ستين مسكيناً فعليه إطعام ستين فقيراً الكل مسكين نصف صاع عند أصحابنا فإن لم يقدر فمد (ذلك) أي افترض ذلك الذي وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) أي لتصدقوا بما أتى به الرسول وتصدقوا بأن الله أمر به (وتلك حدود الله) يعني ما وصفه من الكفارات في الظهار أي هي شرائع الله وأحكامه (وللكافرين عذاب أليم) أي وللجاحدين المتعدين حدود الله عذاب مؤلم في الآخرة (إن الذين يحادون الله ورسوله) أي يخالفون أمر الله ويحادون رسوله (كذبوا) أي اذلوا واخزوا (كما كذب الذين من قبلهم) أي كما اخزى الذين من قبلهم من أهل الشرك (وقد أنزلنا آيات بينات) أي حججاً واضحات من القرآن وما فيه من الأدلة والبيان (وللكافرين الجاحدين لما أنزلناه) عذاب مهين (يخزيهم) ويخزيهم فأما الكلام في مسائل الظهار وفروعها فموضعه كتب الفقه

قوله تعالى (٦) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصِيهِ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللِّئَامِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيرُ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللِّئَامِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْتَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (١٠) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر وحده ما تكون بالتاء والباقون بالياء وقرأ يعقوب وسهل ولا أكثر بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة ورويس عن يعقوب ينتجون والباقون يتناجون وقرأ رويس أيضا فلا تنتجوا

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنبي التذكير في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة هو الوجه لما هناك من الشبايع وعموم الجنسية كقولك ما جاءني من امرأة وما حضرتي من جارية وأما تكون بالتاء فلاعتزام لفظ التأنيث حتى كأنه قال ما تكون نجوى ثلاثة وقوله ولا أكثر بالرفع معطوف على عمل الكلام قبل دخول من فإن قوله من نجوى في محل رفع بأنه فاعل يكون ومن زائدة والقراءة الظاهرة أكثر بالفتح في موضع الجر وقوله ينتجون يفتعلون من النجوى والنجوى مصدر كالعدوى والعدوى ومثل ذلك في انه على فعلى التقوى إلا أن الواو فيها مبدلة وليست بلام ولما كانت مصدرا وقع للجمع على لفظ الواحد في قوله تعالى إذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اي هم ذوو نجوى وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة قال ابو علي ثلاثة يحتمل جرهما من ﴿ احدهما ﴾ أن يكون مجرورا بإضافة نجوى اليه كأنه ما يكون من اسرار ثلاثة إلا هو رابعهم أي لا يخفى عليه ذلك كما قل ألم تعلموا أن الله يعلم سرهم ونجويهم ويحوز أن يكون ثلاثة جوا على الصفة على قياس قوله تعالى واذ هم نجوى فيكون المعنى ما يكون من متناجين ثلاثة واما النجى فصفة تقع على الكثرة كالصديق والرفيق والحميم ومثله الغري وفي التنزيل خلصوا نجيا وأما قول حمزة ينتجون وقول سائرهم يتناجون فإن يفتعلون ويتفعلون قد يجريان مجرى واحد ومن ثم قالوا ازدوجوا واعتوروا فصححوا الواو وإن كانت على صورة يجب فيها الانتلال لما كان بمعنى تعاوروا وتزاوجوا كما صح عور وحول لما كان بمعنى افعال وبشهادة لقراءة حمزة قول النبي ﷺ في علي صلوات الرحمن عليه لما قال له بعض اصحابه أنتاجيه دوننا قال ما انا أنتجيت بل الله أنتجاه

﴿ اللفظة ﴾

النجوى هي اسرار ما يرفع كل واحد إلى آخر واصاله من النجوة الارتفاع من الأرض والنجاة الارتفاع في السير والنجاة الارتفاع من البلا

﴿ الاعراب ﴾

هو رابعهم مبتدأ وخبر في محل جر بأنه صفة ثلاثة وتقول فلان رابع اربعة إذا كان واحد اربعة ورابع ثلاثة إذا جعل ثلاثة اربعة بكونه معهم ويحوز على هذا أن يقال رابع ثلاثة ولا يجوز رابع اربعة لأنه ليس فيه معنى الفعل - حسبهم جهنم مبتدأ وخبر ويصلونها في موضع نصب على الحال

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس نزل قوله الم تر إلى الذين نهوا عن النجوى الآية في اليهود والمنافقين انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا وقد بلغهم عن اقرابنا واخواننا الذين خرجوا في سرايا قتل أو مصيبة او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا

دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فنزلت الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه وقت ذلك العذاب فقال (يوم يمشهم الله جميعاً) أي يحشرهم إلى أرض المحشر ويبدم أحياء (فينبئهم بما عملوا) أي يخبرهم ويعلمهم بما عملوه من المعاصي في دار الدنيا (احصيه الله) عليهم واثبت في كتاب أعمالهم (ونسوه والله على كل شيء شهيد) معناه أنه يعلم الأشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شيء منها ومنه قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو أي علم الله ثم بين سبحانه أنه يعلم ما يكون في العالم فقال (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) يعني جميع المعلومات والخطاب للنبي والمراد جميع المكلفين وهو استفهام معناه التقرير أي ألم تعلم وقيل ألم تر إلى الدلالات المرئية من صنعته الدالة على أنه عالم بجميع المعلومات (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) بالعلم يعني أن نجواهم معلومة عنده كما تكون معلومة عند الرابع الذي هو معهم وقيل السرار ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين ثلاثة وقال بعضهم النجوى كل حديث كان سرا أو غلابة وهو اسم للشيء الذي يتناجى به (ولا خمسة إلا هو سادسهم) أي ولا يتناجى خمسة إلا وهو عالم بسرهم كما دس معهم (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم أينما كانوا) المعنى أنه عالم بأحوالهم وجميع متصرفاتهم فرادى وعند الاجتماع لا يخفى عليه شيء منها فكأنما هو معهم ومشاهد لهم وعلى هذا يقال إن الله مع الإنسان حيثما كان لأنه إذا كان عالماً به لا يخفى عليه شيء من أمره حسن هذا الاطلاق لما فيه من البيان فأما أن يكون معهم على طريق المجاورة فذلك محال لأنه من صفات الأجسام وقد دلت الأدلة على أنه ليس بصفات الأجسام (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة) أي يخبرهم بأعمالهم (إن الله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه خافية (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) ألم تعلم حال الذين نهوا عن المناجاة وأسرار الكلام بينهم دون المسلمين بما يقيم المسلمين ويحزنهم وهم اليهود والمنافقون (ثم يعودون لما نهوا عنه) يعني إلى ما نهوا عنه أي يرجعون إلى المناجاة بعد النهي (ويتناجون بالآيتم والعدوان) في مخالفة الرسول وهو قوله (ومعصية الرسول) وذلك أنه نهاهم عن النجوى فعصوه ويجوز أن يكون الآيتم والعدوان ذلك السر الذي يجري بينهم لأنه شيء يسوء المسلمين ويوصي بعضهم بعضاً بترك أمر الرسول والمعصية له (وإذا جاؤك حبوك بما لم يحبك به الله) وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونهم أنهم يقولون السلام عليك وكان النبي ﷺ يرد على من قال ذلك فيقول عليك وقال الحسن كان اليهودي يقول السام عليك أي انكم ستسامون دينكم هذا وتقولونه فندعونه ومن قال السام الموت وهو سام الحياة بذهاها (ويقولون في أنفسهم) أي يقول بعضهم لبعض وقيل معناه أنهم لو تكلموا لقالوا هذا الكلام وإن لم يكن منهم قول (لولا بعذبنا الله بما نقول) أي يقولون لو كان هذا نبياً كما يزعم فهلا بعذبنا الله ولا يستجيب له فينا قوله وعليكم يعني السام وهو الموت فقال سبحانه (حسبهم) أي كافيهم (جهنم يصلونها) يوم القيامة ويحترقون فيها (فبئس المصير) فبئس المرجع والمآل جهنم لما فيها من أنواع العذاب والنكال ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالآيتم والعدوان ومعصية الرسول) أي لا تفعلوا كفعل المنافقين واليهود (وتناجوا بالبر والتقوى) أي بأفضل الخير والطاعة والخوف من عذاب الله واتقاء معاصي الله (واتقوا الله الذي إليه

أي إلى جزائه (تحشرون) يوم القيامة (إنما النجوى من الشيطان) يعني نجوى المنافقين والكفار بما يسوء المؤمنين ويغتهم من وساوس الشيطان وبدعائه واغوائه يفعل ذلك النجوى (ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً) أي نجواهم لا يضرهم شيئاً وقبل إن الشيطان لا يضرهم شيئاً (إلا بإذن الله) يعني يعلم الله وقيل بأمر الله لأن سببه بأمره وهو الجهاد خروجهم إليه وقيل بأمر الله لأنه يلحقهم الآلام والأمراض عقيب ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم دون غيره وقيل إن الآية المراد بها إحلام المنام التي يراها الإنسان في نومه فيحزنه وورد في الخبر عن عبد الله بن مسعود قال قال النبي ﷺ إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجأ اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وعن ابن عمر قال لا يتناجأ اثنان دون الثالث

قوله تعالى (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا بَرِّفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٣) أَلَسْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَيْكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَوْلُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٥) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ عاصم وجده في المجالس على الجمع والباقون في المجلس على التوحيد وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم غير يحيى مختلف عنه قبل انشروا فانشروا بالضم والباقون بالكسر

الحجة

قال أبو علي في المجلس زعموا أنه مجلس رسول الله ﷺ وإذا كان كذلك فالوجه الأفراد ويجوز أن يجمع على هذا على أن يجعل لكل جالس مجلساً أي موضع جلوس ويكون المجلس على إرادة العموم مثل قولهم كثر الدينار والدرهم فيشمل على هذا جميع المجالس ومثله قوله إن الإنسان لغي خسر وقوله انشروا أي قوموا وانشروا المرتفع من الأرض قال

ترى الشعلب الحولي فيها كأنه
إذا ما علا نشز أحصان مجلل
ومنه نشوز المرأة على زوجها وينشز وينشز مثل يعكف ويعكف ويعرش ويعرش

اللفظة

التفسيح الانساع في المكان والتفسيح والتوسع واحد وفسح له في المجلس يفسح فسحا ومكان فسيح وفي صفة النبي ﷺ كان فسيح ما بين المنكبين أي بعيد ما بينهما لسعة صلبه والإشفاق الخوف ورقة القلب والنشوز الارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه

﴿ النزول ﴾

قال قتادة كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ فإذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقال مقاتلان كان رسول الله ﷺ في الصفقة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاؤا أناس من أهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس فقاموا حبال النبي ﷺ فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي ﷺ ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم يتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير أهل بدر قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المناقون للمسلمين ألتستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم واحبوا القرب من نبيهم فأقامهم واجلس من أبطأ عنهم مقامهم فنزلت الآية (وأما) قوله يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا الآية فإيها نزلت في الاغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثر من مناجاته فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فنزلت آية الرخصة عن مقاتل بن حيان وقال أمير المؤمنين صلوات الرحمن عليه إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول الآية كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلمنا أردت أن أناجي رسول الله ﷺ الله قدمت درهما فاستختمها الآية الأخرى أشفتكم أن تقدموا بين يدي نجوبكم صدقات الآية فقال صلوات الله عليه بي خفت الله عن هذه الأمة ولم ينزل في أحد قبلي ولم ينزل في أحد بعدي وقال ابن عمر وكان لعلي بن أبي طالب (ع) ثلاث لو كانت لي واحدة منهن لكانت أحب إلي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطائه الراية يوم خيبر وآية النجوم وقال مجاهد وقتادة لما نهوا عن مناجاته صلوات الرحمن عليه حتى يتصدقوا لم يناجها إلا علي ابن أبي طالب عليه أفضل الصلوات قدم دينارا فتصدق بها ثم نزلت الرخصة

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه النهي عن التجوى لما فيه من إيذاء المؤمنين عقبه بالأمر بالتفسيح لما في تركه من إيذائهم أيضا فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) أي اتسعوا فيه وهو مجلس النبي ﷺ عن قتادة ومجاهد وقيل المراد به مجالس الذكر كلها (فانفسحوا يفسح الله لكم) أي فتوسعوا يوسع الله لكم مجالسكم في الجنة (وإذا قيل انشزوا) أي ارتفعوا وقوموا ووسعوا على إخوانكم (فانشزوا) أي فافعلوا ذلك وقيل معناه وإذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير فانشزوا ولا تقصروا عن مجاهد وقيل معناه وإذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس وتوسعوا للداخل فأفعلوا فإن رسول الله ﷺ لا يقرب ولا يرفع إلا بلوذن الله وأمره وقيل معناه وإذا نودي للصلاة فانهضوا فإن رجلا كانوا يتشاقون عن الصلاة عن عكرمة والضحاك وقيل وردت في قوم كانوا يطيلون المكث عند رسول الله ﷺ فيكون كل واحد منهم يجب أن يكون آخر خارج فأمرهم الله أن ينشزوا أي يقوموا وإذا قيل لهم انشزوا (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) قال ابن عباس يرفع الله الذين أتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا

العلم درجات وقبل معناه لكي يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله ﷺ درجة والذين أتوا العلم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنة وقبل درجات في مجلس رسول الله ﷺ فأمر الله سبحانه ان يقرب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم ليعين فضل العلماء على غيرهم وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء وجلالة قدرهم وقد ورد ايضا في الحديث انه قال ﷺ فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة وفضل النبي على العالم درجة وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وفضل العالم على سائر الناس كفضلي على ادنهم رواه جابر بن عبد الله وقال علي (ع) من جاءه تهنئته وهو يطلب العلم فيبينه وبين الأنبياء درجة (والله بما تعملون خبير) اي عليم ثم خاطب سبحانه المؤمنين مرة اخرى وقال (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجوتكم صدقة) اي إذا سارتم الرسول فقدموا قبل ان تساروه صدقة وأراد بذلك تعظيم النبي ﷺ وأن يكون ذلك سببا لأن يتصدقوا فيؤجروا عنه وتخفيفا عنه ﷺ قال المفسرون فلما نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضمن كثير من الناس فكفوا عن المسألة فلم يناجيه احد إلا علي بن ابي طالب على ما مضى ذكره قال مجاهد وما كان إلا ساعة وقال مقاتل بن حيان كان ذلك لبالي عشرين ثم نسخت بما بعدها وكانت الصدقة مفوضة اليهم غير مقدرة (ذلك) أي ذلك التصدق بين يدي مناجاة النبي ﷺ (خير لكم) لأن فيه اداء واجب وتحصيل ثواب (واظهر) اي وادعى لكم إلى مجانية المعاصي وتركها وازكى لكم تطهرون بذلك بمناجاته كما تقدم الطهارة على الصلاة (فإن لم تجدوا) ما تصدقون به (فإن الله غفور) يستر عليكم ترك ذلك (رحيم) يرحمكم وينعم عليكم ثم قال سبحانه ناسخا لهذا الحكم (أشفتكم ان تقدموا بين يدي نجوتكم صدقات) يعني أخفتكم الغافة يا أهل الميسرة وبخلتم بالصدقة بين يدي نجواكم وهذا توبيخ لهم على ترك الصدقة اشفاقا من العيلة (فإن لم تفعلوا وناب الله عليكم) تقصيركم فيه (فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله) فيما امركم به ونهاكم عنه (ورسوله) أي وأطيعوا رسوله ايضا (والله خير بما تعملون) أي عالم بأعمالكم من طاعة ومعصية وحسن وقبيح فيجازيكم بها ثم قال سبحانه (ألَمْ تَرَ) يا محمد (إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) والمراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود ويفشون اليهم اسرار المؤمنين ويجمعون معهم على ذكر مساة النبي ﷺ والمؤمنين عن قتادة وابن زيد (ما هم منكم ولا منهم) يعني انهم ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب) اي ويحلفون انهم لم ينافقوا (وهم يعلمون) انهم منافقون (اعد الله لهم عذابا شديدا) أي في الآخرة (انهم ساء ما كانوا يعملون) اي بش العمل عملهم وهو النفاق وموالاته اعداء الله

قوله تعالى (١٦) اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين (١٧)
 لن نغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
 (١٨) يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا
 إنهم هم الكاذبون (١٩) استحوذ عليهم الشيطان فأنسيهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان
 ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (٢٠) إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك

في الأذلين (٢١) كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز (٢٢) لا تجد قومًا
 يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم
 أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه
 ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك
 حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون سبع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ محمد بن حبيب الشموني عن الأعمش عن أبي بكر وعشيرتهم على الجمع والباقون أو عشيرتهم على
 التوحيد وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا إيمانهم بكسر الهمزة ورواية بعضهم عن عاصم كتب بضم الكاف
 في قلوبهم الإيمان بالرفع

✽ الحجة ✽

من قرأ إيمانهم حذف المضاف أي اتخذوا إيمانهم جنة ومن قرأ كتب في قلوبهم الإيمان فهو على
 حذف المضاف أيضا أي كتب في قلوبهم علامة الإيمان ومن اسند الفعل إلى الفاعل فلتقدم ذكر الاسم على
 ذلك ويبدل عليه قوله وايدهم بروح منه

✽ اللفظة ✽

الجنة السترة التي تقي البلية وأصله الستر ومنه المجن الترس والاستحواد إذا سنبلا على الشيء بالانقطاع
 له وأصله من حاذه يحوزه حوزا مثل حازه يحوزه حوزا

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه تمام الخبر عن المنافقين فقال (اتخذوا إيمانهم) التي يحلفون بها (جنة) أي سترة وترسا
 يدفعون بها عن نفوسهم والنهمة والظنة إذا ظهرت منهم الريسة (فصدوا) نفوسهم وغيرهم (عن سبيل الله)
 الذي هو الحق والهدى (فلم عذاب معين) بينهم وهدم ويخزيهم (لن تنفي عنهم أموالهم) التي جمعها
 (ولا أولادهم) الذين خلفهم (من الله شيئا أو تلك أصحاب النار هم فيها خالدون) ظاهر المعنى (يوم
 يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أي يقسمون لله (كما يحلفون لكم) في دار الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين في الدنيا
 في اعتقادهم وظنهم لأنهم كانوا يستقدون أن ما هم عليه هو الحق (ويحسبون أنهم على شيء) أي ويحسبوا
 المنافقون في الدنيا أنهم مهتدون لأن في الآخرة نزول الشكوك وقال الحسن في القيامة مواطن فمواطن يعرفون فيه
 قبح الكذب ضرورة فيتركونه ومواطن يكونون فيه كالدهوش فيتكلمون بكلام الصبيان الكذب وغير
 الكذب ويحسبون أنهم على شيء في ذلك الموضع الذي يحلفون فيه بالكذب (إلا أنهم هم الكاذبون) في
 إيمانهم وأقوالهم في الدنيا وقيل معناه أو تلك هم الخائبون كما يقال كذب ظنه أي خاب أمره (استحوذ
 عليهم الشيطان) أي استولى عليهم وغلب عليهم لشدة اتباعهم إياه (فانسيهم ذكر الله) حتى لا يخافون الله
 ولا يذكرونه (أولئك حزب الشيطان) أي جنوده (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) يخسرون
 الجنة ويحصل لهم بدلها النار (إن الذين يعادون الله ورسوله) أي يخالفونه في حدوده ويشاقونه وهم المنافقون

(أو لك في الأذلين) فلا احد اذل منهم في الدنيا ولا في الآخرة قال عطاء يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة (كتب الله لأغلبن انا ورسلي) اي كتب الله في اللوح المحفوظ وما كتبه فلا بد من أن يكون أجرى قوله كتب الله مجرى القسم فأجابته ببواب القسم قال الحسن ما أمر الله نبيا قط بحرب إلا غلب أما في الحال أو فيها بعد وقال قتادة كتب الله كتابا فأما ضاء لأغلبن انا ورسلي ويجوز أن يكون المعنى قضى الله ووعدا لأغلبن انا ورسلي بالحجج والبراهين وإن جاز أن يغلب بعضهم في الحرب (إن الله قوي عزيز) اي غالب قاهر لمن نازع أوليائه ويروى ان المسلمين قالوا لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى ليفتحن الله علينا الروم وفارس فقال المنافقون أنظنون أن فارسا والروم كعض القرى التي غلبتم عليها فانزل الله هذه الآية ثم قال سبحانه (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) اي يوالون من خالف الله ورسوله والمعنى لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان والمراد به الموالاة في الدين (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) أي وإن قرابتهم منهم فلأنهم لا يوالونهم إذا خالفهم في الدين وقيل إن الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمجيء رسول الله اليهم وكان صلى الله عليه وسلم اخفى ذلك فلما عوتب على ذلك قال اهل مكة احببت أن يموتوا بيد رسول الله منكم ويقتلوا في حاطب بن أبي بلتعة في عبد الله بن أبي وابنه عبيد الله بن عبد الله وكانت هذا الابن عند النبي صلى الله عليه وسلم فشرب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابق فضلة من شراك استعها ابي لعل الله يطهر قلبه فأعطاء فأقى بها آباءه فقال ما هذا فقال بقية شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت بها لتشرها لعل الله يطهر قلبك فقال هلا جئتني ببول امك فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنذن لي في قتله فقال بل ترفق به عن السدي ثم قال سبحانه (أو لك كتب في قلوبهم الإيمان) أي ثبت في قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من اللطاف فصار كالمكتوب عن الحسن وقيل كتب في قلوبهم علامة الإيمان ومعنى ذلك انها سمة لمن يشاهدهم من الملائكة على انهم مؤمنون كما أن قوله في الكفار وطبع الله على قلوبهم علامة يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه عن ابي علي القاسمي (وأبدهم بروح منه) أسبى قواهم بنور الإيمان وبدل عليه قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان عن الزجاج وقيل معناه وقواهم بنور الحجج والبراهين حتى اعتدوا للحق وعملوا به وقيل قواهم بالقرآن الذي هو حياة القلوب من الجهل عن الربيع وقيل ايدهم بغير ائيل في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم) بإخلاص الطاعة والعبادة منهم (ورضوا عنه) بثواب الجنة وقيل رضوا عنه بقضائه عليهم في الدنيا فلم يكروهه (أو لك حزب الله) اي جند الله وانصار دينه ودعاة خلقه (ألا إن حزب الله هم المفلحون) ألا كلمة تنبيه ان جنود الله وأوليائه هم المفلحون التاجون الظافرون بالبغية

سورة الحشر مدينة

عدد آياتها

وهي أربع وعشرون آية بالإجماع

فضلها

ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قرأ سورة الحشر لم يبق الجنة ولا نار ولا عرش ولا كرمي ولا حجاب ولا السموات السبع ولا الارضون السبع والهوام والرياح والطير والشجر والدواب والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له وإن مات من يومه أو ليته مات شهيدا وعن ابي سعيد المكارمي عن ابي

عبد الله (ع) قال من قرأ إذا أمسى الرحمن والحشر وكل الله بداره ملكا شاهرا سيفه حتى يصبح

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة المجادلة بذكر حزب الشيطان وحزب الله افتتح هذه السورة بقهره حزب الشيطان وماناهم بالجلاء من الخزي والهوان ونصرة حزبه من اهل الإيمان فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٣) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٤) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أَرْسُلِهَا فَمَا ضَرَبَ اللَّهُ وَلِيخْزِي الْفَاسِقِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو بخربون بالتشديد والباقون بخربون ساكنة الحاء وخفيفة الراء وفي البواض قراءة طلحة بن مصرف يشاق الله بقافين على الاظهار كالتي في الاقال

﴿ الحجة ﴾

يقال خرب الموضع واخرته وخربته فان الاعشى « واخرت من أرض قوم دياره » وحكي عن أبي عمرو أن الاخراب أن يترك الموضع خرابا والتخريب الهدم

﴿ اللغة ﴾

الحشر جمع الناس من كل ناحية ومنه الحاشر الذي يجمع الناس إلى ديوان الخراج الجلاء الانتقال عن الديار والأوطان بالبلاء يقال جلا القوم عن منازلهم جلا وأجلايتهم اجلا والبيئة النخلة واصله من اللون قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمعها لسان قال امرؤ القيس

ومسافة كسحوق اللبان اضرم فيها الغوي السمر

وقال ذو الرمة

طراق الخوافي واقع فوق لينة بذى ليلة في ريشه يتفرق

فكان اللينة نوع من النخل أي ضرب منه وقيل هو من اللين اللين ثمرها

﴿ الاعراب ﴾

مانعتهم حصونهم ارتفع حصونهم بقوله مانعتهم لأن اسم الفاعل جرى خبرا لأن فيرفع ما بعده

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت السورة في اجلاء بني النضير من اليهود فممنهم من خرج إلى خيبر ومنهم من خرج إلى الشام

عن مجاهد وقتادة وذلك أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا وطهر على المشركين قالوا والله انه للنبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا غزاة احد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا الهدى فركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبًا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشا وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم دخل ابو سفيان في اربعين و كعب في اربعين من اليهود المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار والكعبة ثم رجع كعب بن الاشرف واصحابه إلى المدينة ونزل حبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وابوسفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلم الانصاري وكان اخاه من الرضاعة قال محمد بن اسحق خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم النبي ﷺ يستعينهم في الدية قالوا نعم يا ابا القاسم نعينك على ما احببت ثم خلا بعضهم ببعض فقال انكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه ورسول الله ﷺ إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت باقى عليه صخرة ورسول الله ﷺ في نفر من اصحابه فأتاه الخبر من السماء بما اراد القوم فقام وقال لاصحابه لا تبرحوا فخرج راجعا إلى المدينة ولما استبطأوا النبي ﷺ قاموا في طلبه فلحقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقل رأيت داخلا المدينة فاقبل اصحاب النبي ﷺ حتى انتهوا إليه فاخبرهم الخبر بما ارادت اليهود من الغدر وامر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الاشرف فخرج معه سلكان بن سلامة وثلاثة من بني الحرث وخرج النبي ﷺ على اثرهم وجلس في موضع ينتظر وجرتهم فذهب محمد بن مسلمة مع القوم إلى قرب قصره واجلس قومه عند جدار وناداه يا كعب فانتبه وقال من انت قال انا محمد بن مسلمة اخوك جئتك استقرض منك دراهم فإن محمداً يسألنا الصدقة وليس معنا الدراهم فقال لا اقرضك الا بالرهن قال معي رهن انزل فخذة وكان له امرأة بنى بها تلك الليلة عروسا فقالت لا ادعك تنزل لأنني ارى حمرة الدم في ذلك الصوت فلم يلتفت إليها فخرج فعاتبه محمد بن مسلمة وهما يتحادثان حتى تباعدتا من القصر إلى الصحراء ثم اخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلا ورجع القوم سالمين إلى رسول الله ﷺ فلما اسفر الصبح اخبر رسول الله ﷺ اصحابه بقتل كعب ففرحوا وامر رسول الله ﷺ بحرقهم والسير اليهم فصار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوا يا محمد قد كنت نهي عن الفحشاء فإياك تقطع النخل وتحرقها فانزل الله ما قطعتم من لينة اوتركتوها قائمة على اصولها الآية وهي البويرة في قول حسان

وهان على سراة بني لوي حريق بالبويرة مستطير

والبويرة تصغير بويرة وهي إرة النار أي حفرتها وقال ابن عباس كان النبي ﷺ حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما اراد منهم فصالحهم على أن يمتن لهم دماهم وان يخرجهم من ارضهم واوطانهم وان يسيرهم إلى اذرع بالشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعبير وسقا فخرجوا إلى اذرع بالشام واربعا الأهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حبي بن اخطب فإنيهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة وكان ابن

عباس يسمي هذه السورة سورة بني النضير وعن محمد بن مسلمة ان رسول الله ﷺ بعثه الى بني النضير وامره ان يوجههم في الجلاء ثلاث ليال وعن محمد بن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي ﷺ من احد وكان فتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينها ستان وكان الزهري يذهب الى ان اجلاء بني النضير كان قبل احد على رأس ستة اشهر من وقعة بدر

﴿ المعنى ﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) مضي تفسيره (هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني يهود بني النضير من ديارهم بأن سلب الله المؤمنين عليهم وامر نبيه ﷺ باخراجهم من منازلهم وحصونهم واطنائهم (لاول الحشر) اختلف في معناه فقيل كان جلاؤهم ذلك اول حشر اليهود الى الشام ثم يحشر الناس يوم القيامة الى ارض الشام أيضا وذلك الحشر الثاني عن ابن عباس والزهري والجبائي قال ابن عباس قال لهم النبي ﷺ اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر وقبل معناه لاول الجلاء عن البخاري لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الذمة من جزيرة العرب ثم اجلى اخوانهم من اليهود لتلايهم في بلاد العرب دينان وقيل انما قال لاول الحشر لأن الله فتح على نبيه ﷺ في اول ما قاتلهم عن يمان بن رباب (ما ظننتم ان يخرجوا) أي لم تظنوا ايها المؤمنون انهم يخرجون من ديارهم لشدة قوتهم وشوكتهم (وظنوا انهم ما نعتهم حصونهم من الله) أي فظن بنو النضير ان حصونهم لو قاتلهم تمنعهم من سلطان الله وانزال العذاب بهم على يد رسول الله ﷺ حيث حصنوها وهياؤها آلات الحرب فيها (فاتيم الله) أي لانهم امر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) أي لم يتوهوا ان يأتيهم لما قدروا في انفسهم من المنفعة جعل الله سبحانه امتناعهم من رسوله امتناعا منه (وقذف في قلوبهم الرعب) والتي سبحانه في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين) أي يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا لانهم خربوا ما استحسبوا منها حتى لا يكون للمسلمين ويخربها المؤمنون من خارج ليصلوا اليهم عن الحسن وقيل ان معنى تخريبها بأيدي المؤمنين انهم عرضوها لذلك عن الزجاج وقيل انهم كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم بنقض المواعدة وبأيدي المؤمنين بالمقاتلة (فاعتبروا يا اولي الابصار) أي فانتظروا يا اولي العقول والبصائر وتدبروا وانظروا فيما نزلهم ومعنى الاعتبار النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها والمراد استدلوها بذلك على صدق الرسول اذ كان وعد المؤمنين ان الله سبحانه سيورثهم ديارهم واموالهم بغير قتال فجاء المخبر على ما اخبر فكان آية دالة على نبوته ولا دليل في الآية على صحة القياس في الشريعة لأن الاعتبار ليس من القياس في شيء لما ذكرناه ولأنه لا سبيل لأهل القياس الى العلم بالترجيح ولا يعلم كل من الفريقين علة الاصل للآخر فإن علة الربا عند أحدهما الكيل أو الوزن والجنس وعند الآخر الطعم والجنس وفي الدرهم والدنانير لأنها جنس الاثمان وقال آخرون اشياء آخر وليس هذا باعتبار إذ لا سبيل الى المعرفة به (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) أي حكم عليهم انهم يجلبون عن ديارهم وينقلون عن ديارهم وينقلون عن اوطانهم (لعذبهم في الدنيا) بعذاب الاستئصال او القتل والسبي كما فعل بيني قريظة لأنه تعالى علم ان كلا الأمرين في المصلحة سواء وقد سبق حكمه بالجلاء (ولهم في الآخرة) مع الجلاء عن الاوطان (عذاب النار) لأن احدا منهم لم يؤمن وقيل ان ذلك مشروط بالاصرار وترك التوبة (ذلك)

الذي فعلنا بهم (بأنهم شاقوا الله) اي خالفوا الله ورسوله ثم توعد من حذا حذوهم وسلك سبيلهم في مشاققة الله ورسوله فقال (ومن يشاق الله) أي يخالفه (فان الله شديد العقاب) يعاقبهم على مشاققتهم اشد العقاب (ما قطعتم من لينة) اي نخلة كريمة من انواع النخيل عن مجاهد وابن زيد وقيل كل نخلة سوى العجوة عن ابن عباس وقتادة (او تركتموها قائمة على اصولها) فلم تقطعوها ولم تقلموها (فبأذن الله) اي بأمره كل ذلك سائغ لكم علم الله سبحانه ذلك واذن فيه ليدل به اعداءه (وليخزي الفاسقين) من اليهود ويهينهم به لانه اذا رأوا عدوهم يتحكم في اموالهم كان ذلك خزيا لهم

قوله تعالى (٦) وَمَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧) مَا آفَأَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٨) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٩) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ ضَرَّةً وَمَنْ بُوقَ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ خمس آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابو جعفر كيلا تكون بالتاء دولة بالرفع والباقون يكون بالياء دولة بالنصب

❖ الحجة ❖

قال ابن جني منهم من لا يفصل بين الدولة والدولة ومنهم من يفصل بينها فقال الدولة بالفتح للملك والدولة بالنصب في الملك وتكون هنا هي التامة أي كيلا يقع دولة وتحدث دولة وبين الاغنياء إن شئت كانت صفة لدولة وان شئت كانت متعلقة بنفس دولة أي تداولوا بين الاغنياء وان شئت علقها بنفس تكون أي لا يحدث بين الاغنياء منكم وان شئت جعلتها كان الناقصة وجعلت بين خبر أعينها أو لا أول اوجه ومعناه كيلا تقع دولة فيه او عليه يعني على المقام من عند الله

❖ اللغة ❖

الفيء رد ما كان للمشر كين على المسلمين بتملك الله اباهم ذلك على ما شرط فيه يقال فاء يعني فيأ اذا رجع وأفأته انا عليه أي رددته عليه والايحاف الإيضاع وهو تسيير الخيل او الركاب من وجف يجف

وجيفا وهو تحرك باضطراب فالايحاف الازعاج للسير والركاب الابل والخصاصة الاملاق والحاجة واصله
الاختصاص وهو الانفراد بالامر فكأنه انفراد الانسان عما يحتاج اليه وقيل اصله الفرجة يقال للقرى بدامن
خصاص النيم اي فرجته ومنه الخصاص اليد من القصب لما فيه من الفرج والشح والبخل واحد وقيل ان الشح
يحل مع حرص

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس نزل قوله ما افا. الله على رسوله من اهل القرى الآية في اموال كفار اهل القرى وهم قريظة
وبني النضير وهما بالمدينة وفدك وهي من المدينة على ثلاثة اميال وخيبر وقرى عربية وينبع جعلها الله لرسوله
يحكم فيها ما اراد وأخبر انها كلها له فقال اناس فهلا قسمها فنزلت الآية وقيل ان الآية الاولى بيان اموال بني
النضير خاصة لقوله وما افا. الله على رسوله منهم الآية والثانية بيان الاموال التي اصبحت بغير قتال وقيل انها
واحد والاية الثانية بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية الاولى وقال انس بن مالك اهدي لبعض الصحابة
رأس مشوي وكان مجودا فوجه به الى جاره فداوانه تسعة انفس ثم عاد الى الاول فنزل ويوترون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم بني النضير للانصار ان
شتمت قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الفريضة وان شتمت كانت لكم دياركم
واموالكم ولم يقسم لكم شي من الفريضة فقال الانصار بل قسم لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم بالفريضة
ولانشاركم فيها فنزلت ويوترون على انفسهم الآية وقيل نزلت في سبعة عطشوا في يوم احد فجيء بما
يكفي لاحدهم فقال واحد منهم ناول فلانا حتى طيف على سبعتهم وماتوا ولم يشرب احد منهم فأنى الله
سبحانه عليهم وقيل نزلت في رجل جاء الى رسول الله ﷺ فقال اطعني فإني جئت فمضت الى اهل فلم
يكن عندهم شي فقال من يضيفه هذه الليلة فأضافه رجل من الانصار واتي به منزله ولم يكن عنده إلا
قوت صبية له فأتوا بذلك اليه وأطفأوا السراج وقامت المرأة إلى الصبية فطلتتهم حتى ناموا وجلا بمضغان
ألستها لضيف رسول الله ﷺ فظن الضيف انهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما اصبحا
غدوا الى رسول الله ﷺ فنظر اليهما وتبسم وتلا عليهما هذه الآية وأما الذي رويناه بإسناد صحيح
عن ابي هريرة أن الذي اضافه ونوثر الصبية وأطفأ السراج علي (ع) وفاطمة (ع)

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال اموال بني النضير فقال (وما افا. الله على رسوله منهم) اي من اليهود الذين
أجلاهم وإن كان الحكم ساريا في جميع الكفار الذين حكمهم حكمهم (فما أوجفتم عليه من خيل
ولاركاب) والايحاف دون التقريب وقيل الايحاف في الخيل والايضاع في الابل وقيل هما مستعملان
فيهما جميعا أي فما أوجفتم عليه خيلا ولا ابلا والمعنى لم تسيروا اليها على خيل ولا ابل وإنما كانت ناحية من
المدينة مشيتم اليها مشيا وقوله عليه اي على ما افا. الله والركاب الابل التي تحمل القوم واحدها راحلة (ولكن
الله يسلط رسله على من يشاء) اي يمكنهم من عدوهم من غير قتال بأن يقذف الرعب في قلوبهم جعل
الله اموال بني النضير لرسوله خالصة يفعل بها ما يشاء فغصها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الانصار
منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة (والله على كل

شيءٍ قد ير (ثم ذكر سبحانه حكم الفيه فقال (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) اي من اموال كفار اهل القرى (فله) يأمركم فيه بما احب (والرسول) بتملك الله اياه (ولذي القربى) يعني اهل بيت رسول الله وقرباته وهم بنو هاشم (واليتامى والمساكين وابن السبيل) منهم لأن التقدير ولذي قرباه ويتامى اهل بيته ومساكينهم وابن السبيل منهم وروى المنهال بن عمرو عن علي بن الحسين (ع) قال قلت قوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال هم قربانا ومساكيننا وابناء سيبتنا وقال جميع الفقهاء هم يتامى الناس عامة وكذلك المساكين وابناء السبيل وقد روي ايضا ذلك عنهم (ع) وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) انه قال كان ابي يقول لنا سهم رسول الله ﷺ وسهم ذي القربى ونحن شركاء الناس فيما بقي والظاهر يقتضي أن ذلك لهم سواء كانوا اغنيا أو فقرا وهو مذهب الشافعي وقيل إن مال الفيه للفقراء من قرابة رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب وروى عن الصادق (ع) انه قال نحن قوم فرض الله طاعتنا ولنا الانفال ولنا صفو المال يعني ما كان يصطفى لرسول الله ﷺ من فراه الدواب وحسان الجوارى والدره الثمينه والشيء الذي لا نظير له ثم بين سبحانه انه لم فعل ذلك فقال (كبله يكون دولة بين الاغنيا منكم) والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة أي لئلا يكون الفيه متداولاً بين الروساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية وهذا خطاب للمؤمنين دون الرسول وأهل بيته (ع) قال الكلبي نزلت في رؤساء المسلمين قالوا له يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وانشده

لك المربع منها والصفايا وحكك والنشيطه والفضول

فنزلت الآية فقالت الصحابة سمعا وطاعة لأمر الله وأمر رسوله ثم قال سبحانه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أي ما اعطاكم الرسول من الفيه فخذوه وارضوا به وما امركم به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فإنه لا يأمر ولا ينهى إلا عن أمر الله وهذا عام في كل ما امر به النبي ﷺ ونهى عنه وان نزل في آية الفيه وروى زيد الشحام عن ابي عبد الله (ع) قال ما اعطى الله نبيا من الانبياء شيئا إلا وقد اعطى محمدا ﷺ قال لسليمان فامنن أو امسك بغير حساب وقال لرسول الله ﷺ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (فاتقوا الله) في ترك المعاصي وفعل الواجبات (إن الله شديد العقاب) لمن عصاه وترك أوامره وفي هذه الآية اشارة إلى تدبير الامة إلى النبي ﷺ وإلى الأئمة القائمين مقامه ولهذا قسم رسول الله ﷺ اموال خيبر ومن عليهم في رقابهم واجل بني النضير وبني قينقاع واعطاهم شيئا من المال وقتل رجال بني قريظة وسبي ذرارهم ونساءهم وقسم اموالهم على المهاجرين ومن على اهل مكة ثم قال سبحانه (للفقراء والمهاجرين) الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ومن دار الحرب إلى دار الإسلام (الذين اخرجوا من ديارهم واوراقتهم) التي كانت لهم (يبتغون) أي يطلبون (فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله) أي وينصرون دين الله (ورسوله أو تلك هم الصادقون) في الحقيقة عند الله العظيم والمنزلة عنده قال الزجاج بين سبحانه من المساكين الذين لهم الحق فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واوراقتهم ثم ثنى سبحانه بوصف الانتصار ومدحهم حتى طابت انفسهم عن الفيه فقال (والذين تبوءوا الدار) يعني المدينة وهي دار الهجرة تبوأها الانتصار قبل المهاجرين وتقدير

الآية والذين تبوأوا الدار من قبلهم (والإيمان) لأن الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وعطف الإيمان على الدار في الظاهر لا في المعنى لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ والتقدير وآثروا الإيمان وقيل (من قبلهم) أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقيل معناه قبل إيمان المهاجرين والمراد به اصحاب ليلة العقبة وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على حرب الأبيض والأحمر يجوبون من هاجر اليهم لأنهم أحسنوا إلى المهاجرين واسكنوهم دورهم وواشروهم في أموالهم (ولا يجدون في صدورهم حاجة ما آوتوا) أي لا يجدون في قلوبهم حسداً وحرارة وغیظاً ما أعطى المهاجرون دونهم من مال بني النضير (ويؤثرون على أنفسهم) أي ويؤثرون المهاجرين ويقدمونهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم (ولو كان بهم خصاصة) أي فقر وحاجة بين سبحانه أن يثارهم لم يكن عن غنى عن المال ولكن كان عن حاجة فيكون ذلك اعظم لأجرهم وثوابهم عند الله ويرى أن انس بن مالك كان يحلف بالله تعالى ما في الانصار بخيل ويقرأ هذه الآية (ومن يوق شح نفسه) أي ومن يدفع عنه ويمنع عنه بخل نفسه (فاولئك هم المفلحون) أي المنجحون الفاتحون بثواب الله ونعيم جنته وقيل من لم يأخذ شيئاً نهاء الله عنه ولم يمنع شيئاً امره الله بأدائه فقد وقى شح نفسه عن ابن زيد وقيل شح النفس هو اخذ الحرام ومنع الزكاة عن سعيد بن جبیر وفي الحديث لا يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل مسلم ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم وقيل في موضع قوله والذين تبوأوا الدار قولان أحدهما أنه رفع على الابتداء وخبره يجوبون من هاجر اليهم إلى آخره لأن النبي ﷺ لم يقسم لهم شيئاً من الفيء إلا لرجلين أو ثلاثة على اختلاف الرواية فيه والآخر أنه في موضع جر عطفاً على الفقراء والمهاجرين وعلى هذا فيكون قوله يجوبون من هاجر اليهم وما بعده في موضع نصب على الحال ثم ثلث سبحانه بوصف التابعين فقال (والذين جاءوا من بعدهم) يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل هم كل من أسلم بعد انقطاع الهجرة وبعد إيمان الانصار عن الاصم وأبي مسلم والظاهر أن المراد والذين خلفوهم ويمجوز أن يكون المراد من بعدهم في الفضل وقد يعبر بالقبل والبعد عن الفضل كقول النبي ﷺ نحن الآخرون السابقون أي الآخرون في الزمان السابقون في الفضل (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) أي يدعون ويستغفرون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان (ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) أي حقدًا أو غشًا وعداوة سألوا الله سبحانه أن يزيل ذلك بلفظه وهاهنا احتراز لطيف وهو أنهم أحسنوا الدعاء للمؤمنين ولم يرسلوا القول إرسالاً والمعنى اعصمنا ربنا من إرادة سوء بالمؤمنين ولا شك أن من ابغض مؤمناً وأراد به سوءاً لأجل إيمانه فهو كافر وإذا كان لغیر ذلك فهو فاسق (ربنا إنك رؤوف رحيم) أي متعطف على العباد منعم عليهم

قوله تعالى (١١) ألم تر إلى الذين ناقوا بقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكذبيون (١٢) لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصرهم لهولن الأذبر ثم لا ينصرون (١٣) لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون (١٤) لا يقبلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من

وَرَأَى جُدْرًا بِأَسْمُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدًا تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ
(١٥) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (خمس آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير وابو عمرو من وراء جدار على التوحيد والباقون من وراء جدار على الجمع وفي الشواذ
قراءة ابي رجاء و ابي حبة جدر بسكون الدال

❖ الحجة ❖

قال ابو علي المعنى في الجمع انهم لا يصحرون معكم للقتال ولا يبرزون لكم ولا يقاتلونكم حتى
يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن او سور فاذا كان كذلك فالمعنى على الجمع اذ ليس المعنى انهم
يقاتلونهم من وراء جدار واحد ولكن من وراء جدار كما لا يقاتلونكم الا في قرى محصنة فكما ان القرى
جماعة كذلك الجدر ينبغي ان تكون جمعا فكأن المراد في الافراد الجمع لانه يعلم انهم لا يقاتلونهم من
وراء جدار واحد قال ابن جني ويجوز ان يكون جدار تكسير جدار فتكون الف جدار في الواحد كألف
كتاب وفي الجمع كألف ضرام و كرام ومثله ناقة هجان ونوق هجان ودرع دلاص وادرع دلاص قال
ومثله قوله سبحانه واجعلنا للمتقين اماما يكون اماما جمع امام على ما شرحناه

❖ الاعراب ❖

لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله أي من رهبتهم من الله فحذف كمثل الذين من قبلهم أي
مثلهم كمثل الذين من قبلهم فحذف المبتدأ وكذلك قوله كمثل الشيطان

❖ المعنى ❖

لما وصف سبحانه المهاجرين الذين هاجروا الديار والاطوان ثم مدح الانصار الذين تبوءوا الدار والايمان
ثم ذكر التابعين باحسان وما يستحقونه من النعيم في الجنان عقب ذلك بذكر المناققين وما اسروه من الكفر
والمصيان فقال الم تر يا محمد (الى الذين ناقوا) فابطنوا الكفر واظهروا الايمان (يقولون لاخوانهم) في الكفر
(الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني يهود بني النضير (لئن اخرجتم) من دياركم وبلادكم لنخرجن
معكم) مساعدين لكم (ولانطبع فيكم) اي في قتالكم ومخاصمتكم (احدا أبدا) يعنون محمدا ﷺ واصحابه
ووعدهم النصر بقولهم (وان قوتلتم لننصرنكم) اي لندفعن عنكم ثم كذبهم الله في ذلك بقوله (والله يشهد
انهم لكاذبون) فيأ يقولونه من الخروج معهم والدفاع عنهم ثم اخبر سبحانه انهم يخلفونهم ما وعدوه من
النصر والخروج بقوله (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم) اي ولئن
قدر وجود نصرهم لان ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده (ليولن الادبار) اي ينهزمون ويسلمونهم وقيل
مناه ولئن نصرهم من يفي منهم لولوا الادبار فلي هذا لانتافي بين قوله لا ينصرونهم وقوله ولئن نصروهم
فقد اخبر الله تعالى في هذه الآية عمالا يكون منهم ان لو كان كيف كان يكون (ثم لا ينصرون) اي ولو كان
لهم هذه القوة وفعلوا لم ينتفعوا او لئنك بنصرتهم نزلت الآية قبل اخراج بني النضير واخرجوا بعد ذلك وقوتلوا
فلم يخرج معهم مناقق ولم ينصروهم كما اخبر الله تعالى بذلك وقيل اراد بقوله لاخوانهم بني النضير وبني قريظة
فاخرج بنو النضير ولم يخرجوا معهم وقوتل بنو قريظة فلم ينصروهم ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (لأنتم

اشد رهبة) اي خوفا (في صدورهم) اي في قلوب هؤلاء المناقبين (من الله) المعنى ان خوفهم منكم اشد من خوفهم من الله لانهم يشاهدونكم ويعرفونكم ولا يعرفون الله وهو قوله (ذلك بانهم قوم لا يفقهون) الحق ولا يعلمون عظمة الله وشدة عقابه (لا يقاثلونكم) معاشر المؤمنين (جميعا الا في قرى محصنة) أي بمتنعة حصينة المعنى انهم لا يبرزون لحربكم ولما يقاثلونكم متحصنين بالقرى (او من وراء جدر) أي يرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجر (بأسهم بينهم شديد) أي عداوة بعضهم لبعض شديدة يعني انهم ليسوا بتفتحي القلوب وقيل معناه قوتهم فيما بينهم شديدة فاذا لا قوكم جبنوا ويفزعون منكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب (تحبهم جميعا) أي مجتمعين في الظاهر (وقلوبهم شتى) أي مختلفة متفرقة خذلهم الله باختلاف كلمتهم وقيل إنه عنى بذلك قلوب المناقبين واهل الكتاب عن مجاهد (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) ما فيه الرشده مما فيه الغي وإنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لاختلف دواعيهم واهوائهم وداعي الحق واحد وهو العقل الذي يدعو إلى طاعة الله والاحسان في الفعل (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أي مثلهم في اغترارهم بدهم وقوتهم ويقول المناقبين كمثل الذين من قبلهم يعني المشركين الذين قتلوا بيد ذلك قبل غزاة بني النضير ستة اشهر عن الزهري وغيره وقيل إن الذين من قبلهم قريبا هم بني قينقاع عن ابن عباس وذلك انهم نقضوا العهد مرجع رسول الله ﷺ من بدر فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا وقال عبدالله بن أبي لا تخرجوا فإني آتي النبي ﷺ فاكلمه فيكم او ادخل معكم الحصن فكان هؤلاء ايضا في ارسال عبدالله بن أبي اليهم ثم ترك نصرتهم كأولئك (ذاقوا وبال أمرهم) أي عقوبة كفرهم (ولهم عذاب اليم) في الآخرة

قوله تعالى (١٦) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ أُكْفِرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٧) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظَرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٩) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢٠) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ خمس آيات

اللغة

اصل غد غدو الا أنه لم يأت في القرآن الا محذوف الواو وجاء في الشعر محذوف الواو والباياتها

وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقم

وقال آخر

لا تفلوها وادلوها دلوا ان مع اليوم اخاها غدوا

المعنى

ثم ضرب سبحانه لليهود والمناقبين مثلا فقال (كمثل الشيطان) اي مثل المناقبين في غرورهم لبني النضير

وخذلانهم إياهم كمثل الشيطان (إذ قال للإنسان اكفر) وهو عابد بني إسرائيل عن ابن عباس قال انه كان في بني إسرائيل عابداً اسمه برصيصا عبد الله زماناً من الدهر حتى كان يوتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرون على يده وانه أتى بامرأة في شرف قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزبن له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي احد اخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب وانه دفنها في مكان كذا ثم اتى بقية اخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقي اخاه فيقول والله لقد اتاني آت فذكر لي شيئاً يكبر علي ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال انا الذي التيتك في هذا فهل انت مطيعي فيما اقول لك اخلصك مما انت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة فقال كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة فقال اكنفي منك بالإيماء فأومى له بالسجود فكفر بالله وقتل الرجل فهو قوله كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر (فلا كفر قال إني بري منك) ضرب الله هذه القصة لبني النضير حين اغتروا بالمناقض ثم تبرأوا منهم عند الشدة واسلموهم وقيل أراد كمثل الشيطان يوم بدر إذ دعا إلى حرب رسول الله ﷺ فلما رأى الملائكة رجوع القهقري وقال في اخاف الله وقيل أراد بالشيطان والانسان اسم الجنس لا المهود فإن الشيطان ابدا يدعو الانسان إلى الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة عن مجاهد وإنما يقول الشيطان (إني أخاف الله رب العالمين) يوم القيامة ثم ذكر سبحانه أنها صارا إلى النار بقوله (فكان عاقبتهما أنها في النار خالدتين فيها) يعني عاقبة الفريقين الداعي والمدعو من الشيطان ومن اغواء من المنافقين واليهود انها معذبان في النار (وذلك جزاء الظالمين) أي وذلك جزاؤهم ثم رجع إلى موعظة المؤمنين فقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لند) يعني ليوم القيامة والمعنى لينظر كل امرئ ما الذي قدمه لنفسه أعمالاً صالحاً ينجيه أم سيئاً يوبقه ويرديه فإنه وارد عليه قال قتادة إن ربكم قرب الساعة حتى جعلها كنف وأمركم بالتدبير والتفكير فيما قدمتم (واتقوا الله إن الله إن الله خبير بما تعملون) وإنما كثر الأمر بالتقوى لأن الأولى للتوبة عما مضى من الذنوب والثانية لاققاء المعاصي في المستقبل وقيل إن الثانية تأكيد للأولى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أي تركوا أداء حق الله (فأنسيهم أنفسهم) بأن حرمهم حظوظهم من الخير والثواب وقيل نسوا الله بترك ذكره بالشكر والتعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضاً كما قال فسلموا على انفسكم أي ليسلم بعضهم على بعض عن الجبائي ويريد به بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع عن ابن عباس (أو لئلا هم الفاسقون) الذين خرجوا من طاعة الله إلى معصيته (لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة) أي لا يتساويان لأن هؤلاء يستحقون النار وأولئك يستحقون الجنة (اصحاب الجنة هم الفائزون) بثواب الله الظافرون بطلبتهم

قوله تعالى (٢١) لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرآبته خاشعاً متصدراً عما من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم ينفكرون (٢٢) هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٣) هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون (٢٤) هو الله

الخالق الباري المصور له الأسماء الحسنى بسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم
 أربع آيات

﴿ فضلها ﴾

عن انس بن مالك عن النبي ﷺ قال من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
 وعن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان
 الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات
 في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قاله حين يمسي كان بتلك المنزلة وعن ابي هريرة قال سألت حبيبي رسول
 الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال عليك بأخس سورة الحشر وأكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد علي وعن
 ابي امامة عن النبي ﷺ قال من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار قبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد
 أوجبت له الجنة وعن انس عن النبي ﷺ قال من قرأ لو أنزلنا هذا القرآن إلى آخرها مات من ليلته
 مات شهيدا

﴿ اللغمة ﴾

التصدع التفرق بعد التلاوم ومثله التفطر يقال صدعه يصدعه صدعا ومنه الصداع في الرأس والقدوس المعظم
 بتظهر صفاته من ان تدخلها صفة نقص قال ابن جنبي ذكر سيوبه في الصفة السبوح والقدوس بالضم
 والفتح وإنما باب الفعول الاسم كشبوط وسمور وتنور وسفود والمهين اصله مشين على مفيعل من الأمانة
 قلبت الهجزة هاء فخم اللفظ بها لتفخيم المعنى

﴿ المعنى ﴾

ثم عظم سبحانه حال القرآن فقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعا متصدعا من خشية الله)
 تقديره لو كان الجبل ما ينزل عليه القرآن ويشعر به مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه تلخخ لمنزله وتصدع
 من خشية الله تعظيما لشأنه فالإنسان احق بهذا الوعقل الأحكام التي فيه وقيل معناه لو كان الكلام يبلاغته
 يصدع الجبل لكان هذا القرآن يصدعه وقيل إن المراد به ما يقتضيه الظاهر بدلالة قوله وإن منها لما يهبط من
 خشية الله وهذا وصف للكافر بالقسوة حيث لم يأن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشع ويدل
 على أن هذا تمثيل قوله (وتلك الامثال نضرها للناس لعلهم يتفكرون) أي ليتفكروا ويعتبروا ثم اخبر سبحانه
 برؤيته وعظمته فقال (هو الله الذي لا إله إلا هو) أي هو المستحق للعبادة الذي لا تحقق العبادة إلا له
 (عالم الغيب والشهادة) أي عالم بما يشاهده العباد وعالم بما يغيب عنهم علمه وقيل عالم الغيب معناه عالم بما لا يقع
 عليه الحس من المعدوم والموجود الذي لا يدرك ما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها والشهادة
 أي عالم بما يصح عليه الإدراك بالحواس وقيل معناه عالم السر والعلانية عن الحسن وفي هذا وصفه سبحانه
 بأنه عالم بجميع المعلومات لأنها لا تعدو هذين القسمين وعن ابي جعفر (ع) قال الغيب ما لم يكن والشهادة
 ما كان (هو الرحمن) أي المنعم على جميع خلقه (الرحيم) بالمؤمنين ثم أعاد سبحانه قوله (هو الله الذي
 لا إله إلا هو الملك) يعني السيد المالك لجميع الأشياء الذي له التصرف فيها على وجه ليس لأحد منعه
 منه وقيل هو الواسع القدرة (القدوس) أي الطاهر من كل عيب ونقص وآفة المنزه عن القبايح وقيل هو

المطهر عن الشرك والولد لا يوصف بصفات الأجسام ولا بالتجزئة والانقسام وقيل هو المبارك الذي نزل
البركات من عنده عن الحسن (السلام) أي الذي سلم عباده من ظلمه وقيل هو المسلم من كل عيب وتقص
وآفة وقيل هو الذي من عنده ترجى السلامة عن الجبائي وهو اسم من السلامة وأصله مصدر فهو مثل
الجلال والجلالة (المؤمن) الذي آمن خلقه من ظلمه لم إذ قال لا يظلم مثقال ذرة عن ابن عباس
وقيل الذي آمن بنفسه قبل إيمان خلقه به عن الحسن وأشار إلى قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية والمعنى
أنه بين خلقه توحيداً وإلهيته بما أقام لهم من الدلائل وقيل معناه المصدق لما وعد المحقق له كالمؤمن الذي
يصدق قوله فعله وقيل هو الذي آمن أولياً وعذابه وقيل هو الداعي إلى الإيمان الأمر به الموجب لاهله
اسمه عن أبي مسلم (المهين) أي الأمين حتى لا يضيع لأحد عنده حق عن ابن عباس والضحاك
والجبائي وقيل هو الشاهد عن مجاهد وقتادة كأنه شهيد على إيمان من آمن به وقيل هو المؤمن في المعنى
لأن أصله المؤمن إلا أنه أشد مبالغة في الصفة وقيل هو الرقيب على الشيء يقال هيمن بهمن فهو مهين
إذا كان رقيباً على الشيء (العزيز) أي القادر الذي لا يصح عليه التهور وقيل هو المنيع الذي لا يرام ولا يمنع
عليه مرام (الجبار) وهو العظيم الشأن في الملك والسلطان ولا يستحق أن يوصف به على هذا الإطلاق
إلا الله تعالى فإن وصف به العباد فإنما يوضع اللفظ في غير موضعه ويكون ذماً وقيل هو الذي يدل له من
دونه ولا تناله يد وقيل هو الذي يقهر الناس ويجهزهم على ما أراد عن السدي ومقاتل وهو اختيار الزجاج
فيكون من جهده على كذا إذا أكرهه وقيل هو الذي يجبر الفقير من قومه جبر الكسبر إذا أصلحه عن
وأصل بن عطاء (المتكبر) أي المستحق لصفات التعظيم وقيل هو الذي يكبر عن كل سوء عن قتادة وقيل
هو المتعالي عن صفات المحدثين المتعظم عما لا يليق به (سبحان الله عما يشركون) أي تنزهها عما يشرك
به المشركون من الأصنام وغيرها (هو الله الخالق) للأجسام والأعراض المخصوصة وقيل المقدر للأشياء
بحكمته المحدث للأشياء على إرادته (الباري) المنشئ للخلق الفاعل للأجسام والأعراض (المصور) الذي
صور الأجسام على اختلافها مثل الحيوان والجماد (له الأسماء الحسنى) نحو الله الرحمن الرحيم القادر العالم الخي
وقد مر بيانه في سورة الأعراف (يسبح له ما في السموات والأرض) أي ينزهه جميع الأشياء فالحي
يصفه بالتنزيه والجماد يدل على تنزيهه (وهو العزيز الحكيم) وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال
رسول الله ﷺ اسم الله الأعظم في ست آيات في آخر سورة الحشر

سورة المتحنة

وقيل سورة الامتحان وقيل سورة المودة مدنية وهي ثلاث عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة المتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعا
يوم القيامة. أبو حمزة الثمالي عن علي بن الحسين (ع) قال من قرأ سورة المتحنة في فرائضه ونوافله امتحن
الله قلبه الإيمان ونور له بصره ولا يصيبه فقر أبداً ولا جنون في ولده ولا في بدنه

﴿ تفسيرها ﴾

وجه اتصالها بما قبلها انه لما ذكر سبحانه في سورة الحشر الكفار والمنافقين افتتح هذه السورة بذكر تحريم موالاتهم وإيجاب معاداتهم فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِقُونَ إِلَهُم بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢) إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ نَكَفَرُوا (٣) لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْضِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٥) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ عَنَّا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو بفصل بينكم بضم الياء وفتح الصاد على التخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم بفصل بضم الياء وكسر الصاد مشددا وقرأ عاصم ويعقوب وسهل بفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرأ ابن عامر بفصل بضم الياء وفتح الصاد مشددا وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمرو وأنا برآء منكم على مثال فعال

﴿ اللمحة ﴾

قال أبو علي ذهب أبو الحسن في هذا النحو ان الظرف اقيم مقام الفاعل وترك على الفتح الذي كان يجري عليه في الكلام لجره في اكثر الكلام منصوبا وكذلك تقول في قوله وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك وكذلك يجبي قياس قوله لقد تقطع بينكم فاللفظ على قوله مفتوح والموضع رفع كما كان اللفظ في قوله وكفى بالله وما جاءني من رجل مجرورا والموضع رفع والقول في قراءة ابن عامر يفصل مثل القول في يفصل وقول عاصم يفصل حسن والضمير يرجع إلى اسم الله تعالى ودل عليه قوله وأنا أعلم بما أخفيتم وما علمتم وكذلك قول من قرأ يفصل ويرى في تكسيره اربعة أوجه برآء كالشريف والشرفاء وهو قراءة الجماعة وبرآء نحو ظريف وظراف واربيا كصديق واصدقاء وبرآء كقوم ودرباب وعليه بيت الحارث بن حلزة « فإننا من قتله لبرآء » قال الفراء أراد برآء فحذف الهمزة التي هي لام تخفيفا وأخذ هذا الموضع من أبي الحسن في قوله ان اشياء اصله اشياء وهذا المذهب يوجب ترك صرف برآء لأنها همزة التانيث

* الاعراب *

ذهب الزجاج الى ان التقدير ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقبل ان الكلام قد تم عند قوله اولياء ثم قال تلقون اليهم على تقدير أن تلقون فحذف الهمزة كقوله وتلك نعمة تمنها علي وتقديره أو تلك نعمة وقبل ان قوله تلقون اليهم بالمودة في موضع نصب على الحال من الضمير في لا تتخذوا والباء مزيدة والتقدير تلقون اليهم المودة كما قال الشاعر

فلما رجعت بالشرب هزلها العصا شحيح له عند الأزام نعيم

أي رجعت الشرب ويجوز ان يكون مفعول تلقون محذوفا والباء تعلق به أي تلقون اليهم ما تريدون بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا جملة في موضع نصب على الحال من العدو أو من الهاء والميم في قوله تلقون اليهم وإياكم منصوب بالمعطف على الرسول ان كنتم خرجتم جواب الشرط محذوف ولدلالة ما تقدمه من الكلام عليه أي كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وجهاد مفعول له أي للجهاد ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال وابتقاء مرضاتي معطوف عليه على الوجهين والتقدير للحال خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين مرضاتي وحده يجوز ان يكون مصدرا محذوف الزوائد والتقدير توحدهونه توحيدا او توحدهونه ايحادا فيكون مصدرا وضع موضع الحال ويجوز ان يكون مصدر فعل ثلاثي تقديره يجد وحده والتقدير حتى تؤمنوا بالله واحدا . إلا قول ابراهيم منصوب على الاستثناء والمستثنى منه الضمير المسنن فبإتعلق به اللام في قوله قد كانت لكم أسوة حسنة والتقدير ثبت لكم في ابراهيم الا في قوله لا تستغفرون لك

* النزول *

نزلت في حاطب بن ابي بلتمة وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هشام اتت رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة بعد بدر بستين فقال لها رسول الله ﷺ امسلة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهب موالي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتعملوني قال فأين انت من شبان مكة وكانت مغنية نائمة قالت ما طاب مني بعد وقعة بدر فحث رسول الله ﷺ عليها بنبي عبد المطلب فكسوها وحملوها واعطوها نفقة وكان رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فأتاها حاطب بن ابي بلتمة وكتب معها كتابا الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير عن ابن عباس وعشرة دراهم عن مقاتل بن حيان وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن ابي بلتمة الى اهل مكة ان رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما فعل بعث رسول الله ﷺ عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابامرئد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظمينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها فخرجوا حتى ادر كوها في ذلك المكان الذي ذكره رسول الله ﷺ فقالوا لها ابن الكتاب فحلفت بالله مامها من كتاب فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال نبي (ع) والله ما كذبنا ولا كذبنا وسلفه وقال لها اخرجي الكتاب والا والله لا ضربن عنقك فلما رأت الجدة اخرجته من ذواتها قد اخبأته في شعرها فرجعوا بالكتاب الى رسول الله ﷺ فارسل الى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال

يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمن عشيرته وكت عربرا فهم اي غريبا وكان اهل بيبي ظهر انهم فخشيت على اهل فآردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يفتني عنهم شيئا فصدقه رسول الله ﷺ وعذره فقام عمر بن الخطاب وقال دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ وما يدريك يا عمر لعل الله اطعم على اهل بدر فنفر لهم فقال لم اعملوا ماشتمتم فقد غفرت لكم وروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن عبد الله بن ابي رافع قال سمعت عليا (ع) يقول بعثنا رسول الله ﷺ انا والمقداد والزبير وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظنبتة معها كتاب فخرجنا وذكر نحوه

✽ المعنى ✽

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) خاطب سبحانه المؤمنين ونهاهم ان يتخذوا الكافرين أولياء يوالونهم ويستنصرونهم وينصرونهم (تلقون الهم بالمودة) اي تلقون الهم بالمودة وتبدلون لهم النصيحة يقال القيت اليك بسري وقيل معناه تلقون الهم اخبار رسول الله ﷺ بالمودة التي بينكم وبينهم عن الزناج (وقد كفروا بما جائكم من الحق) وهو القرآن والاسلام (يخرجون الرسول واياكم) من مكة (ان تؤمنوا بالله ربكم) اي لأن تؤمنوا وكرهه ان تؤمنوا فكانه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم الذي خلقكم (ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) والمعنى ان كان غرضكم في خروجكم وهجرتمكم الجهاد وطلب رضاي فأوفوا خروجكم حقه من معاداتهم ولا تلقوا الهم بالمودة ولا تتخذوهم أولياء (تسرون الهم بالمودة) اي تعلمونهم في السر أن بينكم وبينهم مودة وقيل الباء للتعليل اي تعلمونهم باحوال الرسول في السر بالمودة التي بينكم وبينهم فل من يظن انه يخفي علي ما يفعله (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلمتم) لا يخفي علي شيء من ذلك فاطلع رسولي عليه (ومن يفعله منكم) اي ومن اسر الهم بالمودة والقي الهم اخبار رسولي منكم باجماعة المؤمنين بعد هذا البيان (فقد ضل سوا السبيل) اي عدل عن طريق الحق وجار عن سبيل الرشدي في هذه الآية دلالة على ان الكبيرة لا تخرج عن الايمان لأن احد المسلمين لا يقول ان حاطبا قد خرج من الايمان بما فعله من الكبيرة الموبقة (ان يشفوكم) يعني ان هو لا الكفار ان يصادفوك مقهورين ويظفروا بكم (يكونوا لكم اعداء ويسطوا اليكم ايديهم والستهم بالسوء) اي يمدوا اليكم ايديهم بالضرب والقتل ويسطوا اليكم الستهم بالشتم والمعنى انهم يعادونكم ولا ينفعكم ما تلقون الهم ولا يتركون غاية في الحاق السوء بكم باليد واللسان (وودوا) مع ذلك (لو تكفرون) بالله كما كفروا وترجعون عن دينكم (لن تنفعكم ارحامكم) اي ذوو ارحامكم والمعنى قربانكم (ولا اولادكم) اي لا يحملنكم قربانكم ولا اولادكم التي بمكة على خيانة النبي ﷺ والمؤمنين فلن ينفعكم اولئك الذين عصيتهم الله لاجلهم (يوم القيمة يفصل) الله (بينكم) فيدخل اهل الايمان والطاعة الجنة واهل الكفر والمعصية النار ويميز بعضهم من بعض ذلك اليوم فلا يرى القريب المؤمن في الجنة قريبه الكافر في النار وقيل معناه يقضي بينكم من فصل القضاء (والله بما تعملون بصير) اي عليم باعمالكم علم الله سبحانه بما عمله حاطب من مكاتبة اهل مكة حتى اخبرني به ﷺ بذلك ثم ضرب سبحانه لهم ابراهيم مثلا في ترك موالاته الكفار فقال (قد كانت لكم اسوة حسنة) اي اقتداء حسن (في ابراهيم) خليل الله (والذين معه) ممن آمن به واتبعه وقيل الذين معه الانبياء عن ابن زيد

(اذ قالوا لقومهم) الكفار (انابرء و منكم) فلا نوالكم (ومما تصدون من دون الله) اسيء وبراء من الاصنام التي تعبدونها ويموز ان يكون ما مصدرية فيكون المعنى ومن عبادتكم الاصنام (كفرنا بكم) اي يقولون لهم جعلنا دينكم وانكرنا معبودكم (وبدائنا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا) فلا يكون بيننا موالاة في الدين (حتى تؤمنوا بالله وحده) اي تصدقوا بوحدانية الله واخلاص التوحيد والعبادة له قال الفراء يقول الله تعالى افلا تأتسي باحاطب ابراهيم وقومه فثبرا من اهلك كما تبروا منهم اي من قومهم الكفار (الاقول ابراهيم لا ييه لاستقرن لك) اي اقتدوا بابراهيم في كل اموره الا في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنه عليه السلام انما استقر لا ييه عن موعده وعدها ياه بالايان فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قال الحسن وانما تبين له ذلك عند موت ابيه ولولم يستن ذلك لظن انه يجوز الاستغفار للكفار مطلقا من غير موعده بالايان منهم فنهوا ان يقتدوا به في هذا خاصة عن مجاهد وقتادة وابن زيد وقيل كان آزر ينافق ابراهيم ويريه انه مسلم وبعده اظهار الاسلام فيستغفر له عن الحسن والجبائي ثم قال (وما املك لك من الله من شيء) اذا اراد عقابك ولا يمكنني دفع ذلك عنك (ربنا عليك توكلنا) اسيء وكانوا يقولون ذلك (واليك انبنا) اي الى طاعتك رجعنا (واليك المصير) اسيء الى حكمك المرجع وهذه حكاية لقول ابراهيم وقومه ويمتثل ان يكون تعليما لعباده ان يقولوا ذلك فيفوضوا امورهم اليه ويرجعون اليه بالتوبة (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) معناه لانعدبنا بايديهم ولا يبلاء من عندك فيقولوا لو كانت هولا على حتى لما اصابهم هذا البلاء عن مجاهد وقيل معناه ولا تساطهم علينا فيقتنونا عن دينك وقيل معناه الطف لنا حتى نصبر على اذام ولا تبهم فتنة لهم وقيل معناه اعصمنا من موالاة الكفار فانا اذا واليناهم ظنوا انا صوبناهم وقيل معناه لا نخذلنا اذا حاربناهم فلو خذلنا لقالوا لو كان هولا على الحق لما خذلوا (واغفر لنا ربنا) ذنوبنا (انك انت العزيز) الذي لا يقالب (والحكيم) الذي لا يفعل الا الحكمه والصواب وفي هذا تعليم للمسلمين ان يدعوا بهذا الدعاء

قوله تعالى (٦) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٧) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ
مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨) لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
وظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اربع آيات

✽ النزول ✽

نزل قوله لا يتهاكم الله الآية في خزاعة وبني مدلج وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يبعثوا عليه احد اعن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم اعاد سبحانه في ذكر الاسوة فقال (لقد كان لكم فيهم) اي في ابراهيم ومن آمن معهم (أسوة حسنة) اسيء قدوة حسنة وانما اعاد ذكر الاسوة لان الثاني منعقد بنبر ما انعقد به الأول فإن الثاني فيه بيان أن الاسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب والأول فيه بيان أن الاسوة في المعادة للكفار وقوله (لمن كان يرجوا

الله واليوم الآخر) بدل من قوله لكم وهو بدل البعض من الكل مثل قوله والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا وفيه بيان ان هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة وهو قوله واليوم الآخر وقيل يرجو ثواب الله وما يعطيه من ذلك في اليوم الآخر (ومن يتول) أي ومن يمرض عن هذا الاقتداء بإبراهيم والانبيا والمؤمنين والذين معه فقد أخطأ حظ نفسه وذهب عما يمود نفعه عليه فحذفه لدلالة الكلام عليه وهو قوله (فإن الله هو الغني الحميد) أي الغني عن ذلك المحمود في جميع أعماله فلا يضره توليه ولكنه ضر نفسه (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من كفار مكة (مودة) بالإسلام قال مقاتل لما أمر الله سبحانه المؤمنين بعداوة الكفار عادوا اقرباءهم فنزلت هذه الآية والمعنى أن موالاة الكفار لا ترفع والله سبحانه قادر على أن يوفقهم للإيمان وتحصل المودة بينكم وبينهم فكونوا على رجاء وطمع من الله أن يفعل ذلك وقد فعل ذلك حين أسلموا عام الفتح فحصلت المودة بينهم وبين المسلمين (والله قدير) على نقل القلوب من العداوة إلى المودة وعلى كل شيء بصح أن يكون مقدورا له (والله غفور) لذنوب عباده (رحيم) بهم إذا تابوا وأسلموا (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلواكم في الدين ولم يجزواكم من دياركم) أي ليس ينهاكم الله عن مخالطة أهل المهد الذين عاهدوكم على ترك القتال وبرهم ومعاملتهم بالعدل وهو قوله (إن تبروهم وتقسطوا إليهم) أي وتعادلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالمهد عن الزجاج وقيل ان المسلمين استأمروا النبي ﷺ في أن يبروا اقرباءهم من المشركين وذلك قبل أن يهزموا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية وهي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن ابن عباس والحسن و قتادة وقيل انه عني بالذين لم يقاتلواكم من آمن من أهل مكة ولم يهاجر عن قتادة وقيل هي عامة في كل من كان بهذه الصفة عن ابن الزبير والذي عليه الإجماع أن ير الرجل من يشاء من أهل الحرب قرابة كان أو غير قرابة ليس بمحرم وإنما اختلاف في إعطائهم مال الزكاة والفقرة والكفارات فلم يجوزه أصحابنا وفيه خلاف من الفقهاء وقوله أن تبروهم في موضع جر بدل من الذين وهو بدل الاشتغال وتقديره لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلواكم (إن الله يحب المقسطين) أي العادلين وقيل يجب الذين يجعلون لقراباتهم قسطا مما في يدهم من المعلومات ثم قال (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلواكم في الدين) من أهل مكة وغيرهم (واخرجوكم من دياركم) أي منازلكم وأملاككم (وظاهروا على إخراجكم) أي عاونوا على ذلك وعاضدوهم وأوموا بالاتباع عاونوا رؤسائهم على الباطل (ان تولوهم) أي ينهاكم الله عن ان تولوهم وتوادوهم وتحبوهم والمعنى أن مكاتبكم بينهم باظهار سر المؤمنين موالاة لهم (ومن يتولهم) منكم أي يوالهم وينصرهم (فأولئك هم الظالمون) يستحقون بذلك العذاب الأليم

قوله تعالى (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْتَحِنُوهُنَّ
 اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنْ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ
 وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَأَتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
 أَجُورَهُنَّ وَلَا نُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْتَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ
 حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمٍ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ
 إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا قَبَّيْتُمْ فَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ
 بِهِ مُؤْمِنُونَ آيَات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل البصرة ولا تمسكوا بالتشديد والباقون ولا تمسكوا بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الأعرج فعقبتم بالتشديد وقراءة النخعي والزهري ويحيى بن يعمر بخلاف فعقبتم خفيفة القاف من غير الف وقراءة مسروق فعقبتم بكسر القاف من غير ألف والقراءة المشهورة فعاقبتم وقرأ مجاهد فاعقبتم

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ لا تمسكوا قوله فإمسك بمروف ولا تمسكوهن ضرارا وامسك عليك زوجك وحجة من قال ولا تمسكوا قوله والذين يمسون بالكتاب يقال امسكت بالشيء وامسكت به وتمسكت به قال ابن جنى رويانا عن قطرب قال فعاقبتم اصبتم عقبى منهن يقال عاقب الرجل شيئا إذا اخذ شيئا وانشد لطرفة « فعقبتم بذنوب غير مر » جمع مره فسروه على اعطيتم وعدتم وقال في قوله ولم يعقب لم يرجع وحكي عن الأعمش انه قال عقبتم غنتمم وقد يجوز أن يكون عقبتم بوزن غنتمم وبمناء جميعا وروي أيضا بيت طرفة فعقبتم بكسر القاف وحكى ابو عوانة عن المغيرة قال قرأت على ابراهيم فعاقبتم فأخذها على فعقبتم خفيفة ومعنى أعقبتم صنعتهم بهم مثل ما صنعوا بكم

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس صالح رسول الله ﷺ بالحديبية مشركي مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم ومن أتى أهل مكة من اصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم ولم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجات سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقال مقاتل هو صيف بن الراهب في طلبها وكان كافرا فقال يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر الى دار الإسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا التماس دنيا وما خرجت إلا حبا لله ولرسوله فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل منا وما خرجت إلا لرغبة في الإسلام فحلقت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يرد لها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحن ويعطي ازواجهن مهورهن قال الزهري ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قوربة بنت ابي امية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة والأخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرجول الخزاعية ام عبد الله بن عمر فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروي بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق بينهما الإسلام حين نهي القرآن عن التمسك بعصم الكوافر وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة عند قومها كافرة ثم تزوجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن امية وكانت ممن فرث الى رسول الله ﷺ من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالدًا واميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرت منه وهو يومئذ كافر الى رسول الله

بقرآنه صلى الله عليه وسلم فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله وامراة ابي العاص بن الربيع فاسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة واقام ابو العاص مشركا بمكة ثم اتى المدينة فأمتته زينب ثم أسلم فردها عليه رسول الله وقال الجبائي لم يدخل في شرط صلح الحديبية إلا رد الرجال دون النساء ولم يجز للنساء ذكر وان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة فجاء اخوها الى المدينة فسألا رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها عليهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء فلم يردها عليهما قال الجبائي وإنما لم يجز هذا الشرط في النساء لأن المرأة إذا اسلمت لم تحل لزوجها الكافر فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينها

﴿ المعنى ﴾

لما قطع سبحانه الموالاة بين المسلمين والكافرين بين حكم النساء المهاجرات وازواجهن فقال (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحنوهن) بالايمان اي استوصوهن الايمان وسماهن مؤمنات قبل أن يؤمنن لأنهن اعتقدن الايمان (الله أعلم بایمانهن) اي كنتم تعلمون بالامتحان ظاهرا بيمانهن والله يعلم حقيقة إيمانهن في الباطن ثم اختلفوا في الامتحان على وجوه * احدها * أن الامتحان ان يشهدن أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله عن ابن عباس * وثانيها * ما روي عن ابن عباس ايضا في رواية أخرى أن امتحنهن ان يحلفن ما خرجن الا للدين والرغبة في الإسلام ولحب الله ورسوله ولم يخرجن لبغض زوج ولا لانتهاس ديننا وروى ذلك عن قتادة (وثالثها) ان امتحنهن بما في الآية التي بعدوه وان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنيبن الآية عن عائشة ثم قال سبحانه (فإن علمتموهن مؤمنات) يعني في الظاهر (فلا ترجعوهن الى الكفار) اي لا تردوهن اليهم (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) وهذا يدل على وقوع الفرقة بينها بخروجها مسلمة وان لم يطلق المشرك (وآتوهن ما انفقوا) اي وآتوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهم من المهر عن ابن عباس ومجاهد وقاتدة قال الزهري لولا الهدنة لم يرد الى المشركين الصداق كما كان يفضل قبل (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتوهن اجورهن) اي ولا جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحوهن المهاجرات إذا اعطيتوهن مهورهن التي يستحل بها فزوجهن لأنهن بالإسلام قد بن من ازواجهن (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) اي لا تمسكوا بنكاح الكوافرات وأصل العصمة المنع وسمي النكاح عصمة لأن المتكوفة تكون في حبال الزوج وعصمته وفي هذا دلالة على انه لا يجوز المقدر على الكافرة سواء كانت حربية أو ذمية وعلى كل حال لأنه علم في الكوافر وليس لأحد أن يخص الآية بعبادة الوثن لنزولها بسببهن لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بالسبب (واسئلوا ما انفقتن) اي إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة فاسألوهن ما انفقتن من المهر إذا منعوها ولم يذفوها اليكم كما يسألونكم مهور نسايتهم إذا هاجرن اليكم وهو قوله (وليسألوا ما انفقوا ذلكن) يعني ماذا كر الله في هذه الآية (حكم الله بيمينكم وبينكم والله عليهم) بجميع الأشياء (حكيم) فيما يفعل ويأمر به قال الحسن كان في صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر والكافرة تحت المسلم فساخته هذه الآية قال الزهري ولما نزلت هذه الآية آمن المؤمنون بحكم الله وادوا ما امروا به من نفقات المشركين على نسايتهم وابتى المشركون ان يقرؤا بحكم الله فيما أمرهم به من اداء نفقات المسلمين فنزل (وإن فاتكم شيء من ازواجكم) أي احد من ازواجكم (الى الكفار) فاحقن بهم مرتدات (فماقتن) معناه فترؤنهم وأصبتم من الكفار عقبي

وهي النسيئة فظفرتم وكانت العاقبة لكم وقيل معناه فخلقتهم من بعدهم وصار الأمر إليكم عن موزج وقيل ان عقب وعاقب مثل صغر وصاغر بمعنى عن الفراء وقيل عاقبتهم بمصير ازواج الكفار اليكم إما من جهة سبي او مجيئهن مؤمنات عن علي بن عيسى (فأتوا الذين ذهب ازواجهم) اي نساؤهم من المؤمنات (مثل ما انفقوا) من المهور عليهن من رأس النسيئة وكذلك من ذهب زوجته الى من بينكم وبينه عهد فنكث في إعطاء المهر فالذي ذهب زوجته يعطى المهر من النسيئة ولا ينقص شيئا من حقه بل يعطى كعلا عن ابن عباس والجبائي وقيل معناه إن فانكم أحد من ازواجكم الى الكفار الذين بينكم وبينهم عهد فنكثتم فأعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق اليها من النسيئة ثم نسخ هذا الحكم في براءة فنبذ الى كل ذي عهد عهده عن قتادة وقال علي بن عيسى معناه فأعطوا الذين ذهب ازواجهم مثل ما انفقوا من المهور كما دلهم أن يردوا عليكم مثل ما اتقنته لمن ذهب من ازواجكم (واتقوا الله الذي اتسه به مؤمنون) اي اجتنبوا معاصي الله الذي انتم تصدقون به ولا تجاوزوا امره وقال الزهري فكان جميع من لحق المشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة أخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدت بنت عبد العزى بن فضالة وزوجها عمرو ابن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وكاثوم بنت جرجول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسايتهم من النسيئة

قوله تعالى (١٢) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِئْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ آهَان

➤ الاعراب ➤

من اصحاب القبور اي من بعث اصحاب القبور فحذف المضاف ويموز أن يكون من تبييننا للكفار والتقدير كما يبئس الكفار الذين هم من اصحاب القبور من الآخرة

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه بيعة النساء وكان ذلك يوم فتح مكة لما فرغ النبي ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا جاءت النساء يبايعهن فنزلت هذه الآية فشرط الله تعالى في مبايعتهم أن يأخذ عليهن هذه الشروط وهو قوله (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) على هذه الشرائط وهي (أن لا يشركن بالله شيئا) من الأصنام والأوثان (ولا يسرقن) لا من ازواجهن ولا من غيرهم (ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن) على وجه من الوجوه لا بالوآد ولا بالإسقاط (ولا يأتين بهتان بفتريته) اي بكذب يكذبه في مولود يوجد (بين ايديهن وارجلهن) اي لا يلحقن بازواجهن غير اولادهم عن ابن عباس وقيل الفراء كانت المرأة

تلقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى بين ايديهن وارجلهن وذلك ان الولد اذا وضعت الأم سقط بين يديها ورجليها وليس المعنى على نهين من أن يأتين بولد من الزنا فينسبته إلى الأزواج لأن الشرط بنهي الزنا قد تقدم وقيل البهتان الذين نهين عنه قذف المحصنات والكذب على الناس وإضافة الأولاد إلى الأزواج على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان (ولا يعصينك في معروف) وهو جميع ما يأمرهن به لأنه لا يأمر الا بالمعروف والمعروف تقيض المنكر وهو كل ما دل العقل والسمع على وجوبه ونذبه وسمي معروفاً لأن العقل يعترف به من جهة عظم حسنه ووجوبه وقيل عنى بالمعروف النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجنب وخمش الوجه والدعاء بالويل عن المقاتلين والكليبي والأصل ان المعروف كل يروتقوى وأمر وافق طاعة الله تعالى (فبائعن) على ذلك (واستغفر لهن الله) اي اطلب من الله أن يغفر لهن ذنوبهن ويسترها عليهن (إن الله غفور) أي صفوح عنهن (رحيم) منعم عليهن وروي أن النبي ﷺ يبائعن وكان علي الصفا وكان عمر أسفل منه وهند بنت عتبة متقبلة متنكرة مع النساء خوفاً أن يعرفها رسول الله ﷺ فقال ابايعن علي أن لا نشركن بالله شيئاً فقالت هند انك لتأخذ علينا امرأة ما رأيناك اخذته على الرجال وذلك أنه بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط قال ﷺ ولا تسرقن فقالت هند إن ابا سفيان رجل ممسك واني اصبت من ماله هتات فلادري أيحل لي أم لا فقال ابو سفيان ما اصبت من مالي فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فأعف عا سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ﷺ ولا تزني فقالت هند او تزني الحرة فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينه وبينها في الجاهلية فقال ﷺ ولا تقتلن اولاد كن فقالت هند ربنا هم صغارا وقتلتموهم كبارا واتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتله علي بن ابي طالب (ع) يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم النبي ﷺ ولما قال ولا تأتين بيهتان فقالت هند والله ان البهتان قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ولما قال ولا يعصينك في معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا أن نعصيك في شيء وروي الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يبائع النساء بالكلام بهذه الآية أن لا يشركن بالله شيئاً وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا امرأة يملكها رواه البخاري في الصحيح وروي انه ﷺ كان اذا بايع النساء دعا بقدر ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن فيه وقيل انه كان يبائهن من وراء الثوب عن الشعبي والوجه في بيعة النساء مع انهن لسن من اهل النضرة بالمحاربة هو أخذ العهد عليهن بما يصلح من شأنهن في الدين والآنفس والأزواج وكان ذلك في صدر الإسلام ولثلاثا ينفقن بهن فتى لما وضع من الأحكام فبائعن النبي ﷺ حسبا لذلك ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) اي لا تتولوا اليهود وذلك أن جماعة من قراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتواصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك عن المقاتلين وقيل اراد جميع الكفار اي لا تتخذوا كافرا من الكفار اولياء ثم وصف الكفار فقال (قد يشؤا من الآخرة) اي من ثواب الآخرة (كما يش الكفار من اصحاب القبور) يعني أن اليهود بتكذيبهم محمداً ﷺ وهم يعرفون صدقه وانه رسول قد يشؤا من أن يكون لهم في الآخرة حظ وخير كما يش الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم في الآخرة حظ لأنهم قد ايقنوا بعذاب الله عن مجاهد وسعيد بن جبیر

وقيل كما يشك كفار العرب من أن يحيا أهل القبور أبدا عن الحسن وقيل كما يشك الكفار من أن ينالهم خير من أصحاب القبور وقيل يردد بالكفار هاهنا الذين يدفنون الموتى أي يشك هؤلاء الذين غضب الله عليهم من الآخرة كما يشك الذين دفنوا الموتى منهم

﴿ النظم ﴾

ختم الله سبحانه السورة بالأمر بقطع الموالاة من الكفار كما افتتحها به



سورة الصف

وتسمى سورة الحوارين وسورة عيسى (ع) مدنية وهي اربع عشرة آية بلا خلاف

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة عيسى (ع) كان عيسى مصليا مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيعه . أبو بصير عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الصف وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله صفه الله مع ملائكته وانبيائه المرسلين

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه السورة بقطع موالاة الكفار افتتح هذه السورة بإيجاب ذلك ظاهرا وباطنا ثم بالأمر بالجهاد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٤) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ (٥) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ خمس آيات

﴿ اللفظة ﴾

المقت البنفس والرص احكام البناء يقال رصصت البناء أي احكمته واصله من الرصاص أي جعلته كأنه بني بالرصاص لتلازمه وشدة اتصاله

﴿ الاعراب ﴾

لم حذف الألف من ما لشدة الاتصال مع ضعف حرف الاعتلال آخر الكلام لأنه حرف تعبير في موضع تعبير مقنا نصب على التمييز وأن قولوا في موضع رفع بأنه فاعل كبر والتقدير كبر هذا القول مقنا

عند الله وقيل ان الفاعل مضمرة فيه والتقدير كبير المقت مقنا عند الله نحو نعم رجالزيد والمخصوص بالذم أن تقولوا صفا مصدر في موضع الحال اي مصطفين

﴿ التزول ﴾

نزل قوله لم تقولون ما لا تفعلون في المناقبين عن الحسن وقيل نزل في قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدو لم نفر ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا وانفلوا يوم احد حتى شج وجه رسول الله ﷺ وكسرت ربايته عن مقاتل والكلبي وقيل نزلت في قوم قالوا جاهدنا وابلينا وفلنا ولم يفعلوا وهم كذبة عن قتادة وقيل لما اخبر الله سبحانه رسوله بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعد قتالا لنفرغن فيه وسعنا ثم فروا يوم احد فميرهم الله تعالى بذلك عن محمد بن كعب وقيل كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون وددنا لو أن الله دلنا على أحب الاعمال اليه فنعمل به فأخبرهم الله أن افضل الأعمال إيمان لا شك فيه والجهاد فكره ذلك ناس وشق عليهم وثباطا وامنه فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل كان رجل يوم بدر قد أذى المسلمين قتله صهيب في القتال فقال رجل يا رسول الله قتلت فلانا ففرح بذلك رسول الله ﷺ فقال عمرو عبد الرحمن لصهيب اخبر النبي ﷺ انك قتلته وان فلانا يتحلله فقال صهيب انما قتلته لله ولرسوله فقال عمرو عبد الرحمن يا رسول الله إنما قتله صهيب فقال كذلك يا ابا يحيى قال نعم يا رسول الله فنزلت الآية والآية الاخرى عن سعيد بن المسيب

﴿ المعنى ﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) مر تفسيره وإيما عيد هاهنا لأنه استفتاح سورة بتعظيم الله من جهة ما سبح له بالآية التي فيها كما يستفتح بيسم الله الرحمن الرحيم وإذا دخل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قيل إن الخطاب للمناقبين وهو تقريب لهم بأنهم يظهرون الايمان ولا يبطنونه وقيل ان الخطاب للمؤمنين وتعبير لهم ان يقولوا شيئا ولا يفعلونه قال الجبائي هذا على ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يقول سأفعل ومن عزمه ان لا يفعله فهذا قبيح مذموم ﴿ والاخر ﴾ ان يقول سأفعل ومن عزمه ان يفعله والمعلوم انه لا يفعله فهذا قبيح لأنه لا يدري أيفعله أم لا وينبغي في مثل هذا ان يقرن بلفظة ان شاء الله (كبر مقنا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) أي كبر هذا القول وعظم مقنا عند الله وهو ان تقولوا ما لا تفعلونه وقيل معناه كبر ان تقولوا ما لا تفعلونه وتمدوا من انفسكم ما لا تفون به مقنا عند الله (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) اي يصفون انفسهم عند القتال صفا وقيل يقاتلون في سبيله مصطفين (كأنهم بنيان مرصوص) كأنه بني بالمرصاص لتلاوته وشدة اتصاله وقيل كأنه حائط ممدود رص على البناء في احكامه واتصاله واستقامته اعلم الله سبحانه انه يجب من ثبت في القتال ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ومعنى محبة الله اياهم انه يريد ثوابهم ومنافعهم ثم ذكر سبحانه حديث موسى في صدق نيته وثبات عزيمته على الصبر في اذى قومه تسلية للنبي ﷺ في تكذيبهم اياه فقال (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم) هذا انكار عليهم ابتداء بعد ما علموا انه رسول الله والرسول يعظم ويجل ولا يؤذيه وكان قومه آذوه بأنواع من الأذى وهو قولهم اجعل لنا إلهما واذهب انت وربك فقاتلا وما روي في قصة قارون انه

دس اليه امرأة وزعم انه زنى بها ورموه بقتل هرون وقيل ان ذلك حين رموه بالادرة وقد ذكرنا ذلك عند قوله ولا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) اي فلما مالوا عن الحق والاستقامة خلاهم وسوء اختيارهم ومنعهم اللطاف التي يهدي بها قلوب المؤمنين كقوله ومن يؤمن بالله يهدقه الله عن ابي مسلم وقيل ازاغ الله قلوبهم عما يحبون إلى ما يكرهون ولا يجوز ان يكون المراد ازاغ الله قلوبهم عن الايمان لأن الله تعالى لا يجوز ان يزيع احدا عن الايمان وايضا فإنه يخرج الكلام عن الفائدة لأنهم إذا زاغوا عن الايمان فقد حصلوا كفارا فلا معنى لقوله ازاغهم الله عن الايمان (والله لا يهدي القوم الفاسقين) اي لا يهديهم الله إلى الثواب والكرامة والجنة التي وعدا المؤمنين وقيل لا يفعل بهم اللطاف التي يفعلها بالمؤمنين بل يخليهم واختيارهم عن ابي مسلم

قوله تعالى (٦) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٩) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ اربع آيات

✽ القراءة ✽

فتح اهل البصرة والحجاز وابو بكر الباء من قوله من بعدي اسمه احمد ولم يفتحه الباقون وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير ابي بكر متم نوره مضافا والباقيون متم نوره بالنصب والتنوين

✽ الحجة ✽

الإضافة ينوي بها الانفصال كما في قوله انا مرسلو الناقة وذاتقة الموت والنصب في متم نوره على انه في حال الفعل وفيما يأتي

✽ الاعراب ✽

قوله اسمه احمد في موضع جر لكونه وصفا للرسول كما أن قوله يأتي في موضع جر ايضا وتقديره اسمه قول احمد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكذلك قوله يجذونه مكتوبا عندهم في التوراة اي يجذون ذكره مكتوبا ألا ترى ان الشخص لا يكتب كما ان احمد عبارة عن الشخص والاسم قول والقول لا يكون الشخص وخبر المبتدأ يكون المبتدأ في المعنى ومفعول قوله يريدون محذوف وتقديره يريدون ذم الإسلام او يريدون هذا القول ليطفئوا نور الله اي لا يطفئوا نور الله والله متم نوره في موضع نصب على الحال

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه بقصة عيسى (ع) على قصة موسى فقال (وإذ قال عيسى بن مريم) أي واذا ذكرنا ذلك قال عيسى بن مريم لقومه الذين بعث إليهم (يا بني اسرائيل اني رسول الله لكم مصدقا لما بين يدي من التوراة) المنزلة على موسى (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يعني نبينا محمدا) كما قال الشاعر

صلى الإله ومن يحف بعرضه والطيبون على المبارك احمد

ولهذا الاسم معنيان * أحدهما * ان يجعل احمد مبالغة من الفاعل أي هو أكثر حمدا لله من غيره * والآخر * أن يجعل مبالغة من المفعول أي يحمد بما فيه من الأخلاق والمحاسن أكثر مما يحمد غيره وصحت الرواية عن الزهري عن محمد بن جبير بن المطعم عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ ان لي اسما أنا أحمد وأنا محمد وأنا الماحي الذي يحو الله في الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي أورده البخاري في الصحيح وقد تضمنت الآية ان عيسى بشر قومه بمحمد ﷺ وبنبوته وأخبرهم برسالته وفي هذه البشارة معجزة لعيسى «ع» عند ظهور محمد ﷺ وامر لا منه أن يؤمنوا به عند مجيئه (فلما جاءهم) احمد (بالبينات) أي بالدلالات الظاهرة والمعجزات الباهرة (قالوا هذا سحر مبين) أي ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أي من أشد ظلما ممن اختلق الكذب على الله وقال لمعجزاته سحر وللرسول انه ساحر كذاب (وهو يدعى إلى الإسلام) الذي فيه نجاته وقيل يدعى إلى الاستسلام لأمره والانتقاد لطاعته (والله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بفعل الكفر والمعاصي قال ابن جريج هم الكفار والمنافقون ويدل عليه قوله بعد (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أي يريدون اذهاب نور الايمان والإسلام بفاسد الكلام الجاري مجرمة تراكم الظلام فمشهم فيه كمثل من حاول اطفاء نور الشمس بفيه (والله من نوره) أي مظهر كلمته وموئيد نبيه ومعلن دينه وشريعته ومبلغ ذلك غايته (ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله) محمداً ﷺ (بالهدى) من التوحيد واخلاص العبادة له (ودين الحق) وهو دين الإسلام وما تعبد به الخلق (ليظهره على الدين كله) بالحجة والتأييد والنصرة (ولو كره المشركون) وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ لأنه سبحانه قد أظهر دينه على جميع الأديان بالاستعلاء والقهر واعلاء الشأن كما وعده ذلك في حال الضعف وقلة الاعوان و اراد بالدين جنس الأديان فلذلك ادخل الألف واللام وروى العياشي بالاسناد عن عمران بن ميثم عن عصابة انه سمع امير المؤمنين (ع) يقول هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أظهر بعد ذلك قالوا نعم قال كلا فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا وينادي فيها بشهادة ان لا إله إلا الله بكرة وعشيا

قوله تعالى (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنَجِّيْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١١) تَوُفُّونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٢) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَأُخْرَىٰ نُحِبُّهَا نَصَرْنَا مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ (١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ

أَلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَاٰمَنَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عباس تنجيكم بالتشديد والباقون تنجيكم بالتخفيف وقرأ أهل الحجاز وابو عمرو انصارا بالتنوين لله
بغير الف والباقون انصار الله بلا ضافة إلى الله

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ تنجيكم بالتشديد قوله ونهينا الذين آمنوا وحجة التخفيف فأنيها الله من النار

﴿ الفنة ﴾

التجارة طلب الربح في شراء المتاع واستمير هنا لطلب الربح في اعمال الطاعة والجهاد مقاومة العدو

﴿ الاعراب ﴾

انما جاز تؤمنون بالله مع انه محمول على تجارة وخبر عنها ولا يصح ان يقال للتجارة تؤمنون وإنما يقال وان
تؤمنوا بالله لأنه جاء على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره وإنما انعقاده
بالتجارة في المعنى لا في اللفظ وفي ذلك توطئة لما بينى على المعنى في الابدحاز والعرب تقول هل لك في خير تقوم إلى
فلان فتعوده وان تقوم اليه وقوله يغفر لكم ذنوبكم في كونه مجزوماً وجهاً ﴿ احدهما ﴾ انه جواب هل أدلكم
وهو قول القراء وانكره أصحابنا البصريون وقالوا ان الدلالة على التجارة لا توجب المغفرة ﴿ والاخر ﴾ انه
محمول على المعنى لأن قوله تؤمنون بالله معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيله وهو أمر جاء على لفظ الخبر ويدل
على ذلك قراءة عبد الله بن مسعود آمنوا بالله وجاهدوا ولا يمنع ان يأتي الأمر بلفظ الخبر كما أتى الخبر بلفظ الأمر
في قوله فليمدد له الرحمن مدأ المعنى فمد له الرحمن مدأ لأن التقديم تعالى لا بأمر تسمه ومثل ذلك اسمع بهم
وابصر لفظه أمر ومعناه خير ويجوز أن يكون قوله تؤمنون صرفواً يسقط ان والموصول والصلة في موضع جر
على البدل من تجارة وتقديره هل أدلكم على تجارة إيمان بالله وقوله وأخرى في موضع جرباً لها صفة لموصوف
محذوف مجرور بالمطف على تجارة تقديره وعلى تجارة أخرى محبوبة وقال الزجاج تقديره ولكم تجارة أخرى
فعل هذا يكون أخرى صفة موصوف محذوف صرفوع بالابداء وتحويلها صفة بعد صفة ونصر خبر مبتدأ محذوف
تقديره هي نصر من الله . من أنصاري إلى الله إلى حاجتنا بمعنى مع أي مع الله

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الرسول عليه سبحانه بذكر الدعاء إلى قبول قوله ونصرته والعمل بشريعته فقال (يا أيها
الذين آمنوا) وهو خطاب للمؤمنين على العموم وقيل هو خطاب لمن تقدم ذكرهم في أول السورة (هل أدلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) صورته صورة العرض والمراد به الأمر على سبيل التلطف في الاستدعاء
إلى الإخلاص في الطاعة والمعنى هل ترغبون في تجارة منجية من العذاب الأليم وهو الإيمان بالله ورسوله والجهاد
في سبيل الله بالمال والنفوس وذلك قوله (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم) وإنما
انزل هذا لما قالوا لو نعلم أي الأعمال أفضل واحب إلى الله لعملائه فجعل الله سبحانه ذلك العمل بمنزلة التجارة
لأنهم يربحون فيها رضى الله والثبوز بالثواب والنجاة من العقاب (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) اي ما وصفته
وذكرته لكم اقمع لكم وخير عاقبة لو علمتم ذلك واعترفتم بصحته وقيل ان معناه ان التجارة التي دلتكم عليها
خير لكم من التجارة التي أنتم مشتغلون بها لأنها تؤدي إلى ربح لا يزول ولا يبسد وهذه تؤدي إلى ربح يزول

ويبيد ان كنتم تعلمون مزار الأثياء ومناقبها بشر لكم ذنوبكم اي فإنكم ان عملتم بذلك (بشر لكم ذنوبكم وبدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة) اي مواضع تسكنونها مستطابة (في جنات عدن) أي إقامة لا تبغون عنها حولا (ذلك الفوز العظيم) لا ما يعده الناس فوزا من طول البقاء وولاية الدنيا وسأل الحسن عمران بن الحصين وابا هريرة عن تفسير قوله ومساكن طيبة في جنات عدن فقالا على الخير سقطت سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال قصر من لؤلؤه في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من باقوتة حمران في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش امرأة من الخمر العيين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة قال ويعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله ثم قال سبحانه (واخرى تحبونها) اي وتجارة أخرى او خصلة أخرى تحبونها عاجلا مع ثواب الأجل وهذا من الله تعالى زيادة ترغيب اذ علم سبحانه أن فيهم من يحاول عاجل النصر إما رغبة في الدنيا وإما تأييدا للدين فوعدهم ذلك بأن قال (نصر من الله وفتح قريب) اي تلك الخصلة او تلك التجارة نصر من الله لكم على أعدائكم وفتح قريب لبلاذهم يعني النصر على قريش وفتح مكة عن الكلي وقيل يريد فتح فارس والروم وسائر فروع الإسلام على العموم عن عطاء وقريب معناه قريب كونه وقيل قريب منكم بقرب الرجوع إلى اوطانكم (وبشر المؤمنين) اي بشرهم بهذين الثوابين عاجلا وآجلا على الجهاد وهو النصر في الدنيا والجنة في العقبى ثم حض سبحانه المؤمنين على نصرته دينة فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله) اي انصار دينه واعوان نبيه وإنما اضاف الى نفسه كما يقال للكعبة بيت الله وقيل لحمزة بن عبد المطلب اسد الله المتقى دموها على ما اتهم عليه من النصره (كما قال عيسى بن مريم) اي مثل قول عيسى بن مريم للحواريين وهم خاصة الانبياء وسعوا بذلك لأنهم اخلصوا من كل عيب عن الزجاج وقيل سعوا بذلك لبياض ثيابهم وقيل لأنهم كانوا قصارين (من انصاري إلى الله) والمعنى قل يا محمد اني ادعوك الى هذا الأمر كما دعا عيسى قومه فقال من انصاري مع الله بنصرني مع نصرته الله اباي وقيل الى الله اي فيما يقرب الى الله كما يقال اللهم منك واليك (قال الحواريون نحن انصار الله) أي انصار دين الله وأوليائه الله وقيل انهم إنما سعوا نصارى لقولهم نحن انصار الله (فأمنت طائفة من بني اسرائيل) اي صدقت بيسى (وكفرت طائفة اخرى) به قال ابن عباس يعني في زمن عيسى (ع) وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فسارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرقه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرغمه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت التفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين وذلك قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) اي عالين غالبين وقيل معناه أصبحت حجة من آمن بيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ بأن عيسى كرامة الله وروحه عن ابراهيم وقيل بل ايدوا في زمانهم على من كفر بيسى من مجاهد وقيل معناه فأمنت طائفة من بني اسرائيل بمحمد ﷺ وكفرت طائفة به فأصبحوا قاهرين لعدوهم بالحجة والقهر والغلبة وبالله التوفيق

تم الجزء التاسع من التفسير

- الجزء العاشر -

سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الجمعة اعطي عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين . منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال من الواجب على كل مؤمن إذا كانت لنا شعبة أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة وسبح اسم ربك وفي صلاة الظهر بالجمعة والمنافقين فإذا فعل فكأنما يعمل عمل رسول الله ﷺ وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة الصف بالترغيب في عبادته والدعاء اليها وذكر تأييد المؤمنين بالنصر والظهور على الاعداء افتتح هذه السورة ببيان قدرته على ذلك وعلى جميع الاشياء فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يُسَبِّحُ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣) وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٥) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ خمس آيات

﴿ اللفظة ﴾

الاسفار الكتب واحدا سفر وإنما سمي بذلك لأنه يكشف عن المعنى بإظهاره يقال سفر الرجل عامته إذا كشفها وسفرت المرأة عن وجهها فهي سافرة ومنه والصبح إذا سافر

﴿ الاعراب ﴾

وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن هذه مخففة من إن ولهذا لزمها اللام الفارقة في خبر كان لئلا يلبس بأن النافية وآخرين مجرورة لأنه صفة محذوف معطوف على الاميين أي وفي قوم آخرين ويحمل أن يكون منصوباً بالمطف على هم في علمهم . يحمل اسفار في موضع النصب على الحال . بئس مثل القوم المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله مثلهم فيكون الذين في موضع جر ويجوز أن يكون التقدير بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعلى هذا يكون الذين في موضع رفع وهو المخصوص بالذم

﴿ المعنى ﴾

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) أي ينزهه سبحانه كل شيء ويشهد له بالوحدانية والربوبية بما ركب فيها من بدائع الحكمة وعجائب الصنعة الدالة على انه قادر عالم حي قديم سميع بصير حكيم لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء وإنما قال مرة سبح ومرة يسبح إشارة إلى دوام تنزيهه في الماضي والمستقبل (الملك) أي القادر على تصريف الاشياء (القدوس) أي المستحق للتعظيم الطاهر عن كل نقص (العزیز) القادر الذي لا يمتنع عليه شيء (الحكيم) العالم الذي يضع الاشياء موضعها (هو الذي يمش في الاميين) يعني العرب وكانت امة امية لا تكتب ولا تقرأ ولم يمش اليهم نبي عن مجاهد وقنادة وقبل يعني اهل مكة لأن مكة تسمى ام القرى (رسولا منهم) يعني محمداً ﷺ نسبة نسبه وهو من جنسهم كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ووجه النعمة في انه جعل النبوة في امي موافقة لما تقدمت البشارة به في كتب الانبياء السالفة ولأنه ابعد من توهم الاستعانة على ما اتى به من الحكمة بالحكم التي تلاها والكتب التي قرأها واقترب إلى العلم بأن ما يخبرهم به من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية على وفق ما في كتبهم ليس ذلك الا بالوحي (يتلوا عليهم آياته) اي يقرأ عليهم القرآن المشتمل على الحلال والحرام والحجج والاحكام (ويزكهم) أي يطهرهم من الكفر والذنوب ويدعوهم إلى ما يصيرون به ازكياً (ويعلمهم الكتاب والحكمة) الكتاب القرآن والحكمة الشرائع وقيل إن الحكمة تعم الكتاب والسنة وكل ما اراده الله تعالى فإن الحكمة هي العلم الذي يعمل عليه فيما ينبغي أو يجتنب من امور الدين والدنيا (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) معناه وما كانوا من قبل بعث اليهم إلا في عدول عن الحق وذهاب عن الدين بين ظاهر (وآخرين منهم) أي يعلم آخرين من المؤمنين (لما يلحقوا بهم) وهم كل من بعد الصحابة إلى يوم القيامة فإن الله سبحانه بعث النبي اليهم وشريعته تلزمهم وإن لم يلحقوا بزمان الصحابة عن مجاهد وابن زيد وقيل هم الاجم ومن لا يتكلم بلغة العرب فإن النبي ﷺ مبعوث إلى من شاهده وإلى كل من بعدهم من العرب والعجم عن ابن عمر وسعيد بن جبیر وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وروي أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية قبل له من هؤلاء فوضع يده على كتف سلمان وقال لو كان الايمان في الثريا لثانته رجال من هؤلاء وعلى هذا فإنما قال منهم لأنهم إذا اسلموا صاروا منهم فإن المسلمين كلهم يد واحدة على من سواهم وامة واحدة وإن اختلف اجناسهم كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ومن لم يؤمن بالنبي ﷺ فإنه ليسوا بمن عناهم الله تعالى بقوله وآخرين منهم وإن كان مبعوثاً اليهم بالدعوة لقوله سبحانه ويذكهم ويعلمهم ومن لم يؤمن فليس بمن زكاه وعلمه القرآن والسنة وقيل إن قوله لما يلحقوا بهم يعني في الفضل والسابقة فإن التابعين لا يدركون شأن السابقين من الصحابة وخيار المؤمنين (وهو العزيز) الذي لا يقالب (الحكيم) في جميع افعاله (ذلك فضل الله) يعني النيرة التي خس الله بها رسوله عن مقاتل (بوتيه) أي يعطيه (من يشاء) بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثة وتحمل اعباء الرسالة (والله ذو الفضل العظيم) ذو المن العظيم على خلقه بعث محمد ﷺ وروى محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إن للأغنياء ما يتصدقون وليس لنا ما نتصدق ولهم ما يحجون وليس لنا ما نحج ولهم ما يعتقون وليس لنا ما نعتق فقال ﷺ من كبر الله مرة كان افضل من عتق

رقبة ومن سبح الله مائة مرة كان أفضل من مائة فرس في سبيل الله يسرجها ويلجمها ومن هال الله مائة مرة كان أفضل الناس عملا في ذلك اليوم إلا من زاد فبلغ ذلك الاغنياء فقالوه فرجع الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله قد بلغ الاغنياء ما قلت فصنعوه فقال ﷺ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم ضرب سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلا فقال (مثل الذين حملوا التوراة) أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) حق حملها من اداء حتمها والعمل بموجبها لأنهم حفظوها ودونوها كتبهم ثم لم يعملوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) لأن الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يحس بما فيها فمثل من يحفظ الكتاب ولا يعمل بموجبه كمثل من لا يعلم ما فيما يحمله قال ابن عباس فسواء حمل على ظهره أو جرده إذا لم يعمل به وعلى هذا فمن تلا القرآن ولم يفهم معناه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج إليه كان هذا المثل لاحقا به وان حفظه وهو طالب لمعناه فليس من اهل هذا المثل وانشد أبو سعيد الضرير في ذلك

زوامل للاسفار لا علم عندهم يجيدها إلا كعلم الأباغر

لعمرك ما يدري المطي إذا غدا باسفاره أرواح ما في الغرائر

(بش مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) معناه بش القوم قوم هذا مثله لأنه سبحانه ذم مثلهم والمراد به ذمهم واليهود كذبوا بالقرآن والتوراة حين لم يؤمنوا بحمد ﷺ (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يفعل بهم من الالطاف التي يفعلها بالمؤمنين الذين بها يهتدون وقبل لا يشيهم ولا يهديهم إلى الجنة وعن محمد بن مهران قال يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم وتلا هذه

قوله تعالى (٦) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧) وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٨) قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٠) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١١) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ست آيات

﴿ اللّٰه ﴾

الزعم قول عن ظن أو علم ولذلك صار من باب الظن والعلم وعمل ذلك العمل قال
فلن تزعميني كنت اجمل فيكم فإني شربت الحلم بعدك بالجل

والاولياء جمع ولي وهو الحقيق بالنصرة التي بولبها عند الحاجة والله ولي المؤمنين لأنه يوليهم النصره عند حاجتهم والمؤمن ولي الله لهذه العلة ويجوز أن يكون لأنه يولي المطيع له نصره عند حاجته والذمني هو

قول القائل لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان فهو يتعاقف بالماضي والمستقبل وهو من جنس الكلام عن الجبائي والقاضي وقال ابو هاشم هو معنى في النفس يوافق هذا القول والجمعة والجمعة لثتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء وفيها لفة ثالثة جمعة بفتح الميم كصلحة وهمة وإنما سمي جمعة لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لأنه يجتمع فيه الجماعات وقيل إن أول من ساءها جمعة كعب بن لؤمي وهو أول من قال أما بعد وكانت يقال للجمعة العروبة عن ابي سلمة وقيل إن أول من ساءها جمعة الانصار قال ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة وقيل قبل أن تنزل الجمعة قالت الانصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام ولانصارى يوم ايضا مثل ذلك فلنجدل يوما يجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونشكره وكما قالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للانصارى فاجلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم اسعد بن زرارة شاة فتفدوا وتعشوا من شاة واحدة وذلك لقتلهم فانزل الله تعالى في ذلك إذا نودي للصلاة الآتية فهذه أول جمعة جمعت في الإسلام فأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه قبل انه قدم رسول الله ﷺ مهاجرا حتى نزل قبا على عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادلم قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجد وكانت هذه الجمعة أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الإسلام فخطب في هذه الجمعة وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قبل فقال الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واؤمن به ولا أكفره واعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصها فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما اوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكر في عاجل أمره وذخره فيما بعد الموت حين يفتر المرء إلى ما قدم وما كان مسن سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبذل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله تقى مقتنه وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعاداه واجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم ومما كرم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه

ويبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا قوة الا بالله العلي العظيم فلماذا صارت الخطبة شرطا في انعقاد الجمعة

✽ النزول ✽

قال جابر بن عبد الله اقبلت عبر ونحن نصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة فانفض الناس اليها فابقي غير اثني عشر رجلا انا فيهم فنزلت الآية واذا رآوا تجارة او هوا وقال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبى ﷺ يخطب يوم الجمعة فلما رآوه قاموا اليه بالبيع خشبة أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبى ﷺ الا رهط فنزلت الآية فقال والذي نفسي بيده لو تابعتكم حتى لا يبقى احد منكم لسال بكم الوادي نارا وقال مقاتلان بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم اخذ بني الخزرج ثم اخذ بني زيد بن مناة من الشام بتجارة وكان اذ اقدم لم يبق بالمدينة عاتق الا الله وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق او بر او غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدمه فيخرج اليه الناس ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال ﷺ لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء وانزل الله هذه الآية وقبل لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط عن الكلبي عن ابن عباس وقيل الا احد عشر رجلا عن ابن كيسان وقيل انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل يوم مرة لعبر تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة عن قتادة ومقاتل

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر اليهود في انكارهم ما في التوراة امر سبحانه نبيه ﷺ أن يخاطبهم بما يفهمهم فقال (قل) يا محمد (يا ايها الذين هادوا) اي سموا يهودا (ان زعمتم انكم اولياء الله) أي ان كنتم تظنون على زعمكم انكم انصار الله وان الله ينصركم (من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) انكم ابناؤ الله واحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه ثم اخبر سبحانه عن حالهم في كذبهم واضطرابهم في دعواهم وانهم غير واثقين بذلك فقال (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) من الكفر والمعاصي (والله عليهم بالظالمين) أي عالم بأفعالهم واحوالهم وقد تقدم تفسير الآيتين في سورة البقرة وفيه معجزة للرسول لأنه اخبر انهم لا يتمنون الموت ابدا لما يعرفون من صدق النبى ﷺ وكذبهم فكان الأمر كما قال وروى انه ﷺ قال لو تمنوا لما تواعن آخرهم (قل) يا محمد (ان الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكتكم) أي انكم وان فررتم من الموت وكرهتموه فإنه لا بد ينزل بكم ويلقاكم ويدرككم ولا ينفعكم الهرب منه وإنما قال فإنه ملائكتكم بالفاء سواء فروا منه ولم يفروا منه فإنه ملائكتهم مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه لأنه إذا كان الفرار بمنزلة السبب في ملاقاته فلا معنى لتعرض للفرار لأنه لا يبعد منه وإلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) في قوله كل امرئ لاق ما يفر منه والاجل مساق النفس والحرب منه موافاته وقال زهير

ومن هاب اسباب المنايا ينلته ولو نال اسباب السياء يسلم

ولا شك انها تناله هابها أو لم يهبها ولكنه إذا كانت هيئته بمنزلة السبب للمنية فالهيبية لا معنى لها وقبل
إن التقدير قل إن الموت هو الذي تفرون منه فجعل الذي في موضع الخبر لا صفة للموت ويكون فإنه مستأنفا
(ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) أي ترجعون إلى الله الذي يعلم سركم وعلائنكم يوم القيامة (فينبشكم
بما كنتم تعملون) في دار الدنيا ويميزكم بحسبها ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا
إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) أي إذا اذن لصلاة الجمعة وذلك إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة
وذلك لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداء سواء قال السائب بن زيد كان لرسول الله ﷺ
مؤذن واحد بلال فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام للصلاة ثم كان أبو بكر
وعمر كذلك حتى إذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد آذانا فأمر بالتأذين الأول على سطح
دار له بالسوق يقال له الزوراء وكان يؤذن له عليها فإذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذنه فإذا نزل أقام
للصلاة فلم يعب ذلك عليه (فاسمعوا إلى ذكر الله) أي فامضوا إلى الصلاة مسرعين غير متهاقلين عن قتادة
وابن زيد والضحاك وقال الزجاج معناه فامضوا إلى السعي السذي هو الإسراع وقرأ عبد الله بن مسعود
فامضوا إلى ذكر الله وروي ذلك عن علي بن أبي طالب (ع) وعمر بن الخطاب وأبي بن كعب وابن عباس
وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وقال ابن مسعود لو علمت الإسراع لأسرت حتى يقع
ردائي عن كتفي وقال الحسن ما هو السعي على الأقدام وقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار
ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقبل المراد بذكر الله الخطبة التي تتضمن ذكر الله والمواظب (وذروا البيع)
أي دعوا المبايعة قال الحسن كل بيع نفوت فيه الصلاة يوم الجمعة فإنه بيع حرام لا يجوز وهذا هو السذي
يقضيه ظاهر الآية لأن النهي يدل على فساد المنهي عنه (ذلكم) يعني ما أمرتكم به من حضور الجمعة واستماع
الذكر وإداء الفريضة وترك البيع (خير لكم) وانفع لكم عاقبة (إن كنتم تعلمون) منافع الأمور ومضارها
ومصالح أنفسكم ومفاسدها وقبل معناه اعملوا ذلك عن الجبائي وفي هذبة الآية دلالة على وجوب الجمعة
وفي تحريم جميع التصرفات عند سماع اذان الجمعة لأن البيع إما يخص بالنهي عنه لكونه من اعم التصرفات
في اسباب المعاش وفيها دلالة على أن الخطاب للاحرار لأن العبد لا يملك البيع وعلى اختصاص الجمعة
بمكان ولذلك أوجب السعي إليه وفرض الجمعة لازم لجميع المكلفين إلا اصحاب الاعذار من السفر أو
المرض أو العمى أو العرج أو أن يكون امرأة أو شيخا هما لا حراك به أو عبدا أو يكون على رأس أكثر من
فرسخين من الجامع وعند حصول هذه الشرائط لا يجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه
السلطان للصلاة والعدد يتكامل عند أهل البيت (ع) بسبعة وقبل ينمقد بثلاثة سوى الإمام عن أبي حنيفة
والثوري وقبل إنما ينمقد بأربعين رجلا احراارا بالنين مقبين عن الشافعي وقبل ينمقد بالثنين سوى الإمام
عن أبي يوسف وقبل ينمقد بواحد كسائر الجماعات عن الحسن وداود والاختلاف بين الفقهاء في مسائل
الجمعة كثير موضعه كتب الفقه (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) يعني إذا صليت الجمعة
وفرغتم منها فتفرقوا في الأرض (وابتغوا من فضل الله) أي واطلبوا الرزق في البيع والشراء وهذا اباحة
وليس بأمر وإيجاب وروي عن انس عن النبي ﷺ قال سبي قوله فإذا قضيت الصلاة فانتشروا الآية
ليس بطلب دنيا ولكن عبادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله وقبل المراد بقوله وابتغوا من فضل

الله طلب العلم عن الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت وروى عمرو بن زيد عن ابي عبد الله قال اني لأركب في الحاجة التي كفاها الله ما اركب فيها إلا التماس أن يراني الله اضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عز اسمه فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله أرأيت لو أن رجلا دخل بيتا وطنين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي كان يكون هذا اما انه احد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء الثلاثة قال رجل تكون عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له لأن عصمتها في يده لو شاء أن ينجي سبيلها نجلي سبيلها والرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنه ترك ما امر به والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى يأكله ثم يدعو فلا يستجاب له (واذكروا الله كثيرا) أي اذكروه على احسانه واشكروه على نعمه وعلى ما وفقكم من طاعته واداء فرضه وقيل إن المراد بالذكر هنا الفكر كما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقبل معناه اذكروا الله في تجاركم واسواقكم ما روي عن النبي ﷺ انه قال من ذكر الله في السوق مخلصا عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له الف حسنة ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تحط على قلب بشر (لعلكم تفلحون) أي لتفعلوا وتفوزوا بثواب النعيم علق سبحانه الفلاح بالقيام بما تقدم ذكره من اعمال الجمعة وغيرها وصح الحديث عن ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ من اغتسل يوم الجمعة فاحسن غسله ولبس صالح ثيابه ومس من طيب بيته او دهنه ثم لم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام بعدها أورده البخاري في الصحيح وروى سلمان التميمي عن النبي ﷺ قال إن الله عز وجل في كل يوم جمعة ستائة الف عتيق من النار كاهم قد استوجب النار ثم اخبر سبحانه عن جماعة قابلوا أكرم الكرم بالألم اللوم فقال (واذا رأوا تجارة أو لهوا) أي عابثوا ذلك وقبل معناه إذا علموا يبيعا وشراء أو لهوا وهو الطبل عن مجاهد وقبل المزامير عن جابر (انفضوا اليها) أي تفرقوا عنك خارجين اليها وقبل مالوا اليها والضمير للتجارة وإنما خصت برد الضمير اليها لأنها كانت اهم اليهم وهم بها أسر من الطبل لأن الطبل إنما دل على التجارة عن الفراء وقبل عاد الضمير إلى احدهما اكتفاء به وكأنه على حذف والمعنى وإذا رأوا تجارة انفضوا اليها وإذا رأوا لهوا انفضوا اليه فحذف اليه لأن اليها يدل عليه وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال انصرفوا اليها (وتركوك قائما) تخطب على المنبر قال جابر بن سمرة ما رأيت رسول الله ﷺ يخطب إلا وهو قائم فمن حدثك انه خطب وهو جالس فكذبه وسئل عبد الله بن مسعود أكان النبي ﷺ يخطب قائما فقال أما تقرأ وتركوك قائما وقبل أراد قائما في الصلاة ثم قال تعالى (قل) يا محمد لهم (ما عند الله) من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصلاة والنبات مع النبي ﷺ اخبر) واحمد عاقبة وانفع (من الله ومن التجارة والله خير الرازقين) برزقكم وان لم تتركوا الخطبة والجمعة



سورة المنافقين

مدينة بالاجاع وهي احدى عشرة آية

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة المنافقين برأ من النفاق

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الجمعة بما هو من علامات النفاق من ترك النبي ﷺ قائما في الصلاة أو في الخطبة والاشتغال باللهو وطلب الارتفاق افتتح هذه السورة بذكر المنافقين ايضا فقال
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (٢) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٤) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَالَتْ لَهُمْ اللَّهُ أَنِّي بُؤْسٌ كُونَ (٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو وغير عباس والكسائي خشب سا كنة الشين والباقون خشب بضمها وقرأ نافع وروح عن يعقوب وسهل لووا بتخفيف الواو والباقون لووا بشدبدها وهو اختيار ابي صيدة وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا ايمانهم بالكسر

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ خشب جعله مثل بدنة وبدن ومثله اسد واسد ووثن ووثن في قوله إن يدعون من دونه الا انا قال سيبويه هي قراءة والتثقيب ان نقل قد جاء في نظيره قالوا اسد كما قالوا في جمع ثمر ثمر قال الشاعر « يقدم اقداما عليكم كالاسد » قال ابو الحسن التحريك في خشب لغة اهل الحجاز وحجة من قرأ لووا بالتخفيف قوله ليا بالستهم فالي مصدر لوى مثل طوى والتثقيب لأن الفعل للجاعة فهو كقوله مفتحة لهم الأبواب وقد جاء تلوية الخائن رب المذخور وانشده ابو زيد وقوله ايمانهم بالكسر هو على حذف المضاف اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة قد مر امثال ذلك

﴿ اللغة ﴾

الجنة السرة المتخذة لدفع الأذية كالسلاح المتخذ لدفع الجراح والجنة البستان الذي يمينه الشجر والجنة الجنون الذي يستر العقل والفقہ العلم بالشيء فتمت الحديث اقفه وكل علم فقه إلا انه اختص

به علم الشريعة وكل من علمها يقال انه فقيه وافقهتك الشيء بينت لك وقته الرجل بالضم صار فقيها قال ابن
 دريد الجسم كل شخص مدرك وكل عظيم الجسم جسيم وجمام والاجسام العظيمة الجسم قال الشاعر
 واجسم من عاد جسوم رجالهم وأكثر إن عدوا عديدا من الرمل
 واختلف المتكلمون في حد الجسم فقال المحققون منهم هو الطويل العريض العميق ولذلك متى ازداد ذهابه
 في هذه الجهات الثلاث قيل اجسم وجسيم وقيل هو المؤلف وقيل هو القائم بالنفس ومعناه انه لا يحتاج الى عمل
 والصحيح القول الاول والاجسام ما تألف من الجواهر وهي اجزاء لا تنجزه ائتلفت بمان يقال لها المؤلفات
 فاذا رقت عنها بقيت اجزاء لا تنجزه واختلف في اقل اجزاء الاجسام والصحيح انه ما تألف من ثمانية اجزاء
 وقيل من ستة اجزاء عن ابي الهذيل وقيل من اربعة اجزاء عن البلخي

✽ الاعراب ✽

سواء ما كانوا يعملون تقديره سواء العمل عملهم فقوله ما كانوا يعملون موصول وصلته في موضع رفع بأنه
 مبتدأ او خبر مبتدأ محذوف هو المخصوص بالذم انى يوفكون انى في موضع نصب على الحال بمعنى كيف
 والتقدير اجاهدين يوفكون ويميز ان يكون في محل النصب على المصدر والتقدير اي افك يوفكون وقيل
 معناه من ابن يوفكون اي بصرفون عن الحق بالباطل عن الزجاج فلي هذا يكون منصوبا على الظرف
 ويصدون في موضع نصب على الحال

✽ المعنى ✽

خاطب الله سبحانه نبيه فقال (اذا جاءك) يا محمد (المنافقون) وهم الذين يظهرون الايمان ويطنون
 الكفر واشتقاقه من النفق والنافاق كما قال الشاعر

للمؤمنين أمور غير مخزية وللمنافق سر دونه نفي

(قالوا شهدناك لرسول الله) اي اخبروا بأنهم يعتقدون انك رسول الله (والله يعلم) يا محمد انك لرسوله على
 الحقيقة وكفى بالله شهيدا (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) في قولهم انهم يعتقدون انك رسول الله فكان
 اكدابهم في اعتقادهم وانهم يشهدون ذلك بقلوبهم ولم يكذبوا فيما يرجع الى الستهم لأنهم شهدوا بذلك وهم
 صادقون فيه وفي هذا دلالة على ان حقيقة الايمان انما هو بالقلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب
 (اتخذوا ايمانهم جنة) اي ستره يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا ولا يسبوا ولا تؤخذ اموالهم (فصدوا
 عن سبيل الله) اي فأعرضوا بذلك عن دين الاسلام وقيل معناه منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق بأن
 دعواهم الى الكفر في الباطن وهذا من خواص المنافقين يصدون العوام عن الدين كما تفعل المبتدعة (انهم
 سواء ما كانوا يعملون) اي يشس الذي يعملونه من اظهار الايمان مع ابطان الكفر والصد عن السبيل
 (ذلك بأنهم آمنوا) بالستهم عند الاقرار بلا آله الا الله محمد رسول الله (ثم كفروا) بقلوبهم لما
 كذبوا بهذا عن قيادة وقيل معناه آمنوا ظاهرا عند النبي والمسلمين ثم كفروا اذا خلوا بالمشركين
 وانما قال ثم كفروا لأنهم جددوا الكفر بعد اظهار الايمان (فطبع على قلوبهم) اي ختم عليها بسمه تميزها
 الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة وقيل لما القوا الكفر والعناد ولم يصفوا الى الحق ولا فكروا في المعاد
 خلام الله واختيارهم وخذلهم فصار ذلك طبعا على قلوبهم وهو الفهم الى ما اعتادوه من الكفر عن ابي مسلم

(فهم لا يفقهون) أي لا يعلمون الحق من حيث أنهم لا يتفكرون حتى يميزوا بين الحق والباطل (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) بحسن منظرهم وتمام خلقتهم وجمال بزتهم (وإن يقولوا نسمع لقولهم) أي وإذا قالوا شيئاً أصغيت إلى كلامهم لحسن منطقتهم وفصاحة لسانهم وبلاغة يانهم (كأنهم خشب مسندة) أي كأنهم أشباح بلا أرواح شبههم الله في خلوصهم من العقول والأفهام بالخشب المسندة إلى شيء لا أرواح فيها وقيل أنه شبههم بخشب نخرة متأكلة لا خير فيها ويحسب من رآها أنها صحبحة سليمة من حيث أن ظاهرها يروق وباطنها لا يفيد فكذلك المنافق ظاهره معجب رائع وباطنه عن الخبز زائغ (يحسبون كل صيحة عليهم) وصفهم الله تعالى بالخور والهلع أي يظنون كل صيحة يسمعونها كأنه عليهم والمعنى يحسبون أنها مهلكتهم وأنهم هم المقصودون بها جينا ووجلا وذلك مثل أن بنادي مناد في السكر أو يصيح أحد بصاحبه أو انفلتت دابة أو انشدت خالة وقيل معناه إذا سمعوا صيحة ظنوا أنها آية منزلة في شأنهم وفي الكشف عن حالتهم لما عرفوا من العش والخيانة في صدورهم ولذلك قيل المريب خائف ثم أخبر سبحانه بعداوتهم فقال (هم العدو) لك والمؤمنين في الحقيقة (فاحذرهم) أن تأمنهم على شرك وتوقهم (قاتلهم الله) أي أخزاهم ولعنهم وقيل أنه دعاء عليهم بالهلاك لأن من قاتله الله فهو مقتول ومن غلبه فهو مغلوب (أي يوفكون) أي أنى يصرفون عن الحق مع كثرة الدلالات وهذا توبيخ وتقريع وليس باستفهام عن أبي مسلم وقيل معناه كيف يكذبون من الإفك (وإذا قيل لهم تعالوا) أي هلموا (يستغفروا لكم رسول الله لوأروؤوسهم) أي أكثروا تحريكها بالهزة لها استهزاء بدعائهم إلى ذلك وقيل أمالوها اعراضاً عن الحق وكراهة لذكر النبي ﷺ وذلك لكفرهم واستكبارهم (ورأيتهم) يا محمد (يصدون) عن سبيل الله الحق (وهم مستكبرون) أي متكبرون مظهرون أنه لا حاجة لهم إلى الاستغفار

قوله تعالى (٦) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٧) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كُتُبَ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (ست آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو وكون بالنصب والباقون واكن بالجزم وقرأ حماد ويحيى بما يعملون بالياء والباقون بالتاء.

﴿ الحجة ﴾

من قرأ واكن عطفه على موضع قوله فأصدق لأنه في موضع فعل مجزوم الا ترى أنك إذا قلت

اخرني اصدق كانت جزماً بأنه جواب الجزاء وقد اغنى السؤال عن ذكر الشرط والتقدير اخرجني فإنيك
 إن توخرني اصدق فلما كان الفعل المنتصب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم بأنه جواب الشرط حمل قوله
 واكن عليه ومثل ذلك قوله ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم لما كان فلا هادي له في موضع فعل
 مجزوم حمل ويذرهم عليه ومثل ذلك قول الشاعر

فسأبلوني بليتكم لعلني
 اصلحككم واستدرج ثويلاً
 حمل واستدرج على موضع الفاء المحذوفة وما بعدها من لعلني وكذلك قوله

أيا سلكت فأنيك كاشح وعلى انتقاصك في الحياة وازدد
 حمل وازدد على موضع الفاء وما بعدها واما قول ابي عمرو وأكون فأنا حملة على اللفظ دون الموضع
 وكان الحمل على اللفظ اولى لظهوره في اللفظ وقربه وزعموا أن في حرف ابي فأصدق وأكون ومن قرأ
 بما يعملون بالياء فعلى قوله ولن يؤخر الله نفساً لأن النفس وان كان واحداً في اللفظ فالمراد به الكثرة
 ومن قرأ بالتاء كان خطاباً شاملاً

اللغة

الانفصاض التفرق وفض الكتاب اذا فرقه ونشره وسميت الفضة فضة لتفرقها في اثمان الاشياء
 المشتراة وكل شيء يشغلك عن شيء قد الهالك عنه قال

المهي بنى جشم عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
 وقال امرؤ القيس

فمشك حبلي قد طرقت ومرضع فلهيتها عن ذي ثنائم محول

النزول

نزلت الآيات في عبد الله بن ابي المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله ﷺ بلغه ان بني المصطلق
 يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابي ضرار ابو جويرية زوج النبي ﷺ فلما سمع بهم رسول الله
 ﷺ خرج اليهم حتى لقبهم على ماء من مياهم يقال له المر يسبع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف
 الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله ﷺ ابناهم ونساءهم واموالهم
 فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجبر له من بني غفار يقال له جهجاه
 ابن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسان الجهنبي من بني عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنبي
 يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فأعان الغفاري رجلاً من المهاجرين يقال له جمال وكان
 فقيراً فقال عبد الله بن ابي لجمال إنك لهناك فقال وما يعني ان افعل ذلك واشتد لسان جمال على عبد الله
 فقال عبد الله والذي يحلف به لا أزرنك وبهمك غير هذا وغضب ابن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد
 ابن ارقم حديث السن فقال ابن ابي قد نأفرونا و كآفرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل
 سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل يعني بالأعرز نفسه وبالأذل
 رسول الله ﷺ ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم احلتموهم بلادكم وقاسمتموهم
 اموالكم اما والله لو امسكتهم عن جمال وذويه فضل الطعام لم ير كبوراً قبلكم ولا وشكوا ان يتحولوا من بلادكم

ويلحقوا بمشائرم ومواليهم فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد ﷺ في
 عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب
 فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله ﷺ وذلك بعد فراغه من النزول فأخبره الخبر فأمر رسول الله
 بالرحيل وارسل الى عبد الله فأتاه فقال ما هذا الذي بلغني عنك فقال عبد الله والذي انزل عليك
 الكتاب ما قلت شيئا من ذلك قط وان زيدا لكاذب وقال من حضر من الانصار يا رسول الله شيخنا
 وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الانصار عسى ان يكون هذا الغلام وهم في حديثه فعذره رسول الله
 ﷺ وفشت الملامة من الانصار لزيد ولما استقل رسول الله ﷺ فسار لقيه اسيد من الخضير فجاءه
 بنحية النبوة ثم قال يا رسول الله لقد رحلت في ساعة منكروما كنت تروح فيها فقال له رسول الله ﷺ او ما
 بلفك ما قال صاحبكم زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الأعرض منها الاذل فقال اسيد فأتت والله يا رسول الله
 تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء بك وان قومه
 لينظمو له الخرز ليتوجوه وانه لبري انك قد استلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من امر ابيه
 فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل ابي فان كنت لا بد فاعلا فمري به
 فانما احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخرز ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به غيبي
 فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله ابن ابي ان يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمناً بكافر فأدخل
 النار فقال بل ترفق به وتحسن صحبتها بقي معنا قالوا وسار رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى امسى
 ولبثتهم حتى اصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض
 وقوموا نياما لما فصل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن ابي ثم راح بالناس حتى نزل
 على ماء بالحجاز فوق البقيع يقال له بقعاء فهاجت ربح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله
 ﷺ وذلك ليلا فقال مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة قبل من هو قال رفاعة فقال رجل من
 المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل فأخبره بقول
 المنافق وبمكان الناقة واخبر رسول الله ﷺ بذلك اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن
 الله تعالى اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب فاذا هي كما قال فجاءوا بها وآمن ذلك المنافق
 فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت احد بني قينقاع وكان من عظام اليهود وقد مات ذلك
 اليوم قال زيد بن ارقم فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فنزلت
 سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن ابي ثم اخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد فرفسه عن
 الرحل ثم قال يا غلام صدق فوك ووعت اذناك ووعى قلبك وقد انزل الله فيما قلت قرآنا وكان عبد الله بن ابي
 يقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي حتى اناخ على مجامع طرق المدينة
 فقال مالك وبلك قال والله لا تدخلها الا بأذن رسول الله ولتعلمن اليوم من الأعر ومن الاذل نشكا
 عبد الله ابنه الى رسول الله ﷺ فأرسل اليه أن خل عنه يدخل فقال اما اذا جاء امر رسول الله ﷺ
 فنعم فدخل فلم يلبث إلا اياما قلائل حتى اشتكى ومات فلما نزلت هذه الآيات وبان كذب عبد الله قبل
 له نزل فيك أي شهاد فاذهب الى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتوني أن أو من

فقد آمنت وأمرتوني أن اعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن اسجد لمحمد فنزل وإذا قبل لهم تعالوا إلى قوله ولكن المناقين لا يعلمون

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه أن استغفاره لا ينفعهم فقال (سوا) عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أي يتساوى الاستغفار لهم وعدم الاستغفار (لن يغفر الله لهم) لأنهم يبطنون الكفر وإن اظهروا الإيمان (إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي القوم الخارجين عن الدين والإيمان إلى طريق الجنة قال الحسن أخبره سبحانه أنهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم وقد كان النبي ﷺ يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبة وأب يكون الباطن مثل الظاهر فبين الله تعالى أن ذلك لا ينفعهم مع إبطانهم الكفر والنفاق ثم قال سبحانه (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله) من المؤمنين المحتاجين (حتى ينفضوا) أي يتفرقوا عنه وإنما قالوا هم من عند محمد ﷺ ولكن الله سبحانه ساء رسول الله ﷺ تشريفاً له وتمظيلاً لقدرة (وفيه خزائن السموات والأرض) وما بينهما من الأرزاق والأموال والأغلاق فلو شاء لا غناهم ولكنه تعالى يفعل ما هو الأصح لهم ويمتحنهم بالفقر ويشبههم بالصبر ليصبروا فيؤجروا وينالوا الثواب وكريم المآب (ولكن المناقين لا يفقهون) ذلك على الحقيقة لجهلهم بوجود الحكمة وقيل لا يفقهون أب امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (يقولون لا إله إلا الله) رجعت إلى المدينة) من غزوة بني المصطلق (ليخرجن الأعز) يعنون نفوسهم (منها الأذل) يعنون رسول الله ﷺ والمؤمنين فرد الله سبحانه عليهم بأن قال (وفيه العزة) لرسوله (بإعلاء الله كلمته وإظهاره دينه على الأديان) وللمؤمنين) بنصرته إياهم في الدنيا وادخالهم الجنة في العقبى وقيل وفي العزة بالربوبية ولرسوله بالنبوة وللمؤمنين بالعبودية أخبر سبحانه بذلك ثم حققه بأن أعز رسوله والمؤمنين وفتح عليهم مشارق الأرض ومغاربها وقيل عز الله خمسة عز الملك والبقاء وعز العظمة والكبرياء وعز البذل والعطاء وعز الرفعة والعلاء وعز الجلال والبهاء وعز الرسول خمسة عز السبق والابتداء وعز الآذان والنداء وعز قدم الصدق على الأنبياء وعز الاختيار والاصطفاء وعز الظهور على الإعداء وعز المؤمنين خمسة عز التأخير بيانه نحن الآخرون السابقون وعز التيسير بيانه ولقد يسرنا القرآن لذكر بريد الله بكم اليسر وعز التبشير بيانه وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً وعز التوقير بيانه وأنتم الاعلون وعز التكثير بيانه أنهم أكثر الأمم (ولكن المناقين لا يعلمون) فيظنون أن العزة لهم وذلك لجهلهم بصفات الله تعالى وما يستحقه أولياؤه ووجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله والله العزة جميعاً إن عز الرسول والمؤمنين من جهته عز اسمه وإنما يحصل به وبطاعته فله العز بأجمعه ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أي عن الصلوات الخمس المفروضة وقيل ذكر الله جميع طاعاته عن أبي مسلم وقيل ذكره شكره على نعمائه والصبر على بلائه والرضا بقضائه وهو إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يفعل المؤمن عن ذكر الله في بؤس كان أو نعمة فإن إحسانه في الحالات لا ينقطع (ومن يفعل ذلك) أي من يشغله ماله وولده عن ذكر الله (فأولئك هم الخاسرون) خسروا ثواب الله ورحمته (وانفقوا ما رزقناكم) في سبيل البر فيدخل فيه الزكوات وسائر الحقوق الواجبة (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) أي أسباب الموت (فيقول رب

لولا اخرتني إلى اجل قريب (اي هلا اخرتني وذلك إذا عاين علامات الآخرة فيسأل الرجعة إلى الدنيا ليتدارك الفائت قالوا وليس في الاجر عن التفريط في حقوق الله آية اعظم من هذه وقوله إلى اجل قريب اي مثل ما أجلت لي في دار الدنيا (فأصدق) اي فأصدق وازكي مالي وانفقه في سبيل الله (واكن من الصالحين) اي من الذين يعملون الأعمال الصالحة وقيل من الصالحين اي من المؤمنين والآية في المناقبتين عن مقاتل وقيل من المطيعين لله والآية في المؤمنين عن ابن عباس قال ما من احد يموت وكان له مال فلم يؤد زكاته واطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت قالوا يا ابن عباس اتق الله فإنما نرعى هذا الكافر يسأل الرجعة فقال أنا اقرأ عليكم قرآنا ثم قرأ هذه الآية إلى قوله من الصالحين قال الصلاح هنا الحج وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها) يعني الاجل المطلق الذي حكم بأن الحى يموت عنده والاجل المقيد هو الاجل المحكوم بأن العبد يموت عنده إن لم يقتطع دونه أو لم يزد عليه أو لم ينقص منه على ما يعلمه الله من المصلحة (والله خبير بما تعملون) أي علم بأعمالكم يجازيكم بها

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية الأخيرة بما قبلها أن معناه انه سبحانه لو علم أنكم تتوبون لجل في أجلكم تأخيرا إلى وقت آخر ولكنه علم انكم لا تتوبون



سورة التغابن مدنية

وقال ابن عباس مكية غير ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة يا أيها الذين آمنوا إن من ازواجكم الى آخر السورة

﴿ عدد آياتها ﴾

ثماني عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة . ابن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة التغابن في فريضة كانت شفيعة له يوم القيامة وشاهد عدل عند من يميز شهادتها ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله تعالى تلك السورة بذكر الامر بالطاعة والنهي عن المعصية افتتح هذه السورة ببيان حال المطيع والماصي فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٤) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ
وَأَلَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَدَقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ
وَلَهُمْ عَذَابُ الْيَمِّ خَمْسَ آيَاتٍ

✽ المعنى ✽

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) تسبيح المكلفين بالقول وتسبيح الجادات بالدلالة (له الملك) منفردا دون غيره والاف واللام لاستغراق الجنس والمعنى انه المالك لجميع ذلك والمتصرف فيه كيف يشاء (وله الحمد) على جميع ذلك لأن خلق ذلك اجمع - الغرض فيه الاحسان إلى خلقه والنعم لهم به فاستحق بذلك الحمد والشكر (وهو على كل شيء قدير) يوجد المدوم ويفني الموجود ويغير الاحوال كما يشاء (هو الذي خلقكم) اي انشأكم وأوجدكم عن عدم كما أراد والحطاب للمكلفين عن الجبائي وقيل بل هو عام وقد تم الكلام هنا ثم ابتداء فقال (فمنكم كافر) لم يقر بأن الله خالق كالدهرية (ومنكم مؤمن) مقر بأن الله خلقه عن الزواج وقيل معناه فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمناقضين ومنكم مؤمن في السر كافر في العلانية كعمار وذويه من الضحاك وقيل فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يريد في شأن الانواء من عطاء بن ابي رباح والمراد بالآية ظاهر فلا معنى للاسترواح إلى مثل هذه التأويلات والمعنى أن المكلفين جنسان منهم كافر فيدخل فيه انواع الكفر ومنهم مؤمن ولا يجوز حمله على انه سبحانه خلقهم مؤمنين وكافرين لأنه لم يقل كذلك بل اضاف الكفر والإيمان اليهم وإلى فعلهم ولدلالة القول على أن ذلك يقع على حسب قصودهم واقوالهم ولذلك يصح الأمر والنهي والثواب والعقاب وبمئة الأنبياء على انه سبحانه لو جاز أن يخلق الكفر والقبايح لجاز أن يعث رسولا يدهو إلى الكفر والضلال ويؤيده بالمعجزات تعالى عن ذلك وتقدس هذا وقد قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقال النبي ﷺ كلُّ مولود يولد على الفطرة فقام الحبر وقال ﷺ حكاية عن الله سبحانه خلقت مبادي كلهم حنفاً ونحو ذلك من الأخبار كثير (والله بما تعملون بصير) أي خلق الكافر وهو عالم بما يكون منه من الكفر وخلق المؤمن وهو عالم بما يكون منه من الإيمان فيجازيها على حسب اعمالها (خلق السموات والارض بالحق) أي بالعدل وباحكام الصنعة وصحة التقدير وقيل معناه للحق وهو انه خلق العقلاء تعريضا اياهم للثواب العظيم وخلق ما عداهم تبعاً لهم لما في خلقها لهم من اللطف (وصوركم) يعني البشر كلهم (فأحسن صوركم) من حيث الحكمة وقبول العقل لا قبول الطبع لأن في جمالتهم من ليس على هذه الصفة وقيل فأحسن صوركم من حيث قبول الطبع لأن ذلك هو المفهوم من حسن الصور فهو كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وان كان في جملتهم من هو مشوه الخلق لأن ذلك عارض لا يعتد به في هذا الرصف فانه سبحانه خلق الانسان على احسن صور الحيوان كله والصورة عبارة عن بنية مخصوصة (واليه المصير) أي اليه المرجع والمآل يوم القيامة (يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما يسره بعضكم إلى بعض وما يخفيه في صدره عن غيره والفرق بين الاسرار والاختفاء أن الاختفاء أهم لأنه قد يخفي شخصه ويخفي المعنى في نفسه والاسرار يكون في المعنى دون الشخص (والله عليم بذات الصدور) أي بأسرار الصدور وبواطنها ثم اخبر سبحانه أن القرون الماضية جوزوا باعمالهم فقال (ألم يأتكم نباؤ الذين كفروا من قبل) أي من قبل هؤلاء الكفار (فذاقوا وبال امرهم) اي وخيم عاقبة كفرهم وتقل امرهم بما نالهم من العذاب بالاهلاك والاستئصال (ولهم عذاب اليم) أي مؤلم يوم القيامة قوله تعالى (٦) ذَلِكَ بَأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا

وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفْتَىٰ اللَّهُ وَأَلَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٧) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ (٨) فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ (٩) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدِيَ ذَلِكَ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ (١٠) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ خمس آيات

﴿ القراءه ﴾

قرأ رويس عن يعقوب يوم نجمكم بالنون والباقرن بالياء. وقرأ اهل المدينة وابن عامر نكفرا عنه وندخله بالنون فيها والباقرن بالياء.

﴿ الحجة ﴾

حجة الياء. أن الاسم الظاهر قد تقدم ووجه النون انه كقوله سبحانه الذي اسرى بعده ثم جاء وآتيناموسى الكتاب

﴿ الاعراب ﴾

ذلك بأنه الها. ضمير الأمر والشأن. ابشر مبتدأ وإنما جاز أن يكون مبتدأ مع كونه نكرة لأن الاستفهام سوغ ذلك كما أن النفي ايضا كذلك لكونها غير موجبة يقال أرجل في الدار أم امرأة ولا رجل في الدار ولا امرأة وقيل انه فاعل فعل مضمرة يفسره قوله يهدوننا كأنه قال ابهدينا بشر يهدوننا وإنما اضمر لأن الاستفهام بالفعل أولى وقوله أن لن يبعثوا تقديره انهم لن يبعثوا فسدت الجملة عن المفعولين با جرى فيها من ذكر الحديث والمحدث عنه ولما كان لن في لن يبعثوا دليل الاستقبال تعينت أن قبلها لأن تكون مخففة من الثقيلة لأن لن يبعثها من ان تكون ناصبة للفعل. يوم نجمكم ظرف لتبعث

﴿ المعنى ﴾

لما قرر سبحانه خلقه بأنهم آتيمهم اخبار من مضى من الكفار واهلاكهم عقبه بيان سبب إهلاكهم فقال (ذلك) أي ذلك العذاب الذي نالهم في الدنيا والذي ينالهم في الآخرة (بأنه كانت تأتيمهم) أي بسبب انه كانت تجيئهم (رسالهم) من عند الله (بالبينات) أي بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فقالوا) لهم (ابشر يهدوننا) لفظه واحد والمراد به الجمع على طريق الجنس بدلالة قوله يهدوننا والمعنى أخلق مثلنا يهدوننا إلى الحق ويدعوننا إلى غير دين آباءنا استصنارنا منهم للبشر أن يكونوا رسلا من الله إلى امثالهم واستكبارا وانفة من اتباعهم (فكفروا) بالله وجحدوا رسله (وتولوا) أي اعرضوا عن القبول منهم والتفكر في آياتهم (واستغنى الله) بسلطانه عن طاعة عباده وإنما كلفهم لتفهم لا حاجة منه إلى عبادتهم وقيل معناه واستغنى الله بما اظهره لهم من البرهان ووضحه من البيان عن زيادة تدعو إلى الرشد وتهدى إلى الايمان (والله غني حميد) أي غني عن اعمالكم مستحمد اليكم بما ينعم به عليكم وقيل حميد أي محمود في جميع افعاله لانها كلها احسان ثم حكى سبحانه ما يقوله الكفار فقال (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) قال ابن عمر زعم زاملة الكذب وقال شريح زعم كنية الكذب بين الله سبحانه بعض ما لأجله اختاروا الكفر على الايمان وهو انهم كانوا لا يقرون بالبعث والنشور فأمر النبي ^{صلى الله عليه وسلم} بأن يكذبهم فقال (قل) يا محمد (بلى وربي) أي وحق ربي على وجه القسم (لتبعثن) أي لتحشرن أكد تكذيبهم بقوله بلى وباليعين ثم أكد اليقين باللام والنون (ثم لتنبؤن بما عملتم)

أي لتخبرن وتحاسبن بأعمالكم وتجازون عليها (وذلك) البعث والحساب مع الجمع والجزاء (على الله يسير) أي سهل هين لا يلحقه مشقة ولا معاناة فيه (فآمنوا) معاشر العقلاء (بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) وهو القرآن سناه نوراً لما فيه من الأدلة والحجج الموصلة إلى الحق فثبته بالنور الذي يهتدى به إلى الطريق (والله بما تعملون خبير) أي عليم (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وهو يوم القيامة أي ذلك البعث والجزاء يكون في يوم يجمع فيه خلق الأولين والآخرين (ذلك يوم التغابن) وهو تفاعل من الغبن وهو أخذ شر وترك خير أو أخذ خير وترك شر فقلوب من ترك حظه من الدنيا وأخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شر له وأخذ ما هو خير له فكان غابناً والكافر ترك حظه من الآخرة وأخذ حظه من الدنيا فترك الخير وأخذ الشر فكان مغبوناً فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون وقيل يوم التغابن غبن أهل الجنة أهل النار عن فتادة ومجاهد وقد روي عن النبي ﷺ في تفسير هذا قوله ما من عبد موثمن يدخل الجنة إلا أرى مقدمه من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقدمه من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته) أي معاصيه (ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدن فيها أبداً) أي موثمين فيها ولا يفنى ما هم فيه من النعيم أبداً (ذلك الفوز العظيم) أي النجاح الذي ليس وراءه شيء من العظمة (والذين كفروا) بالله (وكذبوا بآياتنا) أي بحججنا ودلائلنا (أولئك أصحاب النار خالدن فيها وبئس المصير) أي المآل والمرجع

قوله تعالى (١١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٣) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَنَصَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٦) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٧) إِنْ تَقَرَّضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا فَبُضِعْفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ثماني آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة طلحة بن مصرف نهد قلبه بالنون وقراءة السلمي نهد قلبه بصم الياء والباء على ما لم يسم فاعله وقراءة عكرمة وعمرو بن دينار يهدأ قلبه مهموزاً وقراءة مالك بن دينار يهدأ بالالف

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يهدأ مهموزاً فمعناه يطمئن قلبه كما قال سبحانه وقلبه مطمئن بالإيمان ومن قرأ بالالف فإنه لين الهمز تخفيفاً

* النزول *

نزل قوله من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم في قوم أرادوا الهجرة فبسطهم نساوتهم وأولادهم عنها
عن ابن عباس ومجاهد

* المعنى *

ثم قال سبحانه (ما أصاب من مصيبة) أي ليس تصيبكم مصيبة (إلا بإذن الله) والمصيبة المخرجة التي
تلحق صاحبها كالرمية التي تصيبه وإنما عم ذلك سبحانه وإن كان في المصائب ما هو ظلم وهو سبحانه
لا يأذن بالظلم لأنه ليس منها إلا ما أذن الله في وقوعه أو التمكن منه وذلك اذن للملك الموكل به كأنه
قيل لا يمنع من وقوع هذه المصيبة وقد يكون ذلك بفعل التمكن من الله فكأنه بأذنه بأن يكون وقيل
معناه إلا بخفية الله بينكم وبين من يريد فعلها عن البلخي وقيل انه خاص فيما يفعله الله تعالى أو بأمر به وقيل
معناه يعلم الله أي لا يصيبكم مصيبة إلا والله عالم بها (ومن يؤمن بالله) أي يصدق به وبرض بقضائه
(يهد قلبه) أي يهد الله قلبه حتى يعلم ان ما أصابه فعلم الله فيصبر عليه ولا يخرج لينال الثواب والأجر وقيل
معناه ومن يؤمن بتوحيد الله ويصبر لأمر الله يعني عند نزول المصيبة يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول إنا لله
وأنا إليه راجعون عن ابن عباس . وقيل **لقد ألقى الله** يهد قلبه فلأن ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر عن
مجاهد وقال بعضهم في معناه من يؤمن بالله عند النعمة فيعلم انها فضل من الله يهد قلبه للشكر ومن يؤمن
بالله عند البلاء فيعلم انه عدل من الله يهد قلبه للصبر ومن يؤمن بالله عند نزول القضاء يهد قلبه للاستسلام
والرضا (والله بكل شيء عليم) فيجازي كل امرئ بما عمله (واطيعوا الله) في جميع ما امركم به (وأطيعوا
الرسول) في جميع ما اتاكم به ودعاكم اليه وفيما امركم به ونهاكم عنه (فلأن توليتهم) أي فإن عرضتم عن
القبول منه (فأنا على رسولنا البلاغ المبين) أي ليس عليه إلا تبليغ الرسالة وقد فعل والمراد ليس عليه
قهركم على الرد إلى الحق وإنما عليه البلاغ الظاهر البين فحذف للإيجاز والاختصار (الله لا إله إلا هو) ولا نحق
العبادة إلا له (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) والتوكل تفويض الامور اليه والرضا بتقديره والثقة بتدبيره وقد
أمر الله عباده بذلك فينبغي لهم أن يستشعروا ذلك في سائر احوالهم (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) يعني أن بعضهم بهذه الصفة ولذلك اتى بلفظة من وهي للتبويض يقول ان
من هؤلاء من هو عدو لكم في الدين فاحذروهم أن تطيعوهم وقيل انه سبحانه إنما قال ذلك لأن من
الأزواج من يتمنى موت الزوج ومن الأولاد من يتمنى موت الوالد ليرث ماله وما من عدو اعدى ممن
يتمنى موت غيره ليأخذ ماله وكذلك يكون من يملك على مصيبة الله لمنفعة نفسه ولا عدو اشد عداوة
من يختار ضررك لمنفعته قال عطاء يعني قوما أرادوا الغزو فمنهم هؤلاء . وقال مجاهد يريد قوما أرادوا طاعة
الله فمنعوه (وان تعفوا) أي تتركوا عقابهم (وتصفحوا وتغفروا) اي تتجاوزوا عنهم وتستروا ما سبق
منهم إن عادوا إلى الحالة الجميلة وذلك أن الرجل من هؤلاء إذا جرو رأى الناس قد سبقوه بالهجرة وفتقوا
في الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذبيبت يطوره عن الهجرة وأن يلحقوا به في دار الهجرة لم ينفق
عليهم فأمر سبحانه بالمغو والصفح (فإن الله غفور رحيم) ينفر لكم ذنوبكم وبرحمتك وقيل هو عام أي إن
تغفوا وتصفحوا عن ظلكم فإن الله ينفر بذلك كثيرا من ذنوبكم عن الجبائي (إنما أموالكم وأولادكم

فتنة (أي محنة وابتلاء وشدة للتكليف عليكم وشغل عن أمر الآخرة فإن الإنسان بسبب المال والولد يقع في الجرائم عن ابن مسعود قال لا يقول أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن . وروى عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ يخطب فجاه الحسن والحسين «ع» وعليهما قصبان أحمران يمشان ويمشان فنزل رسول الله ﷺ إليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال صدق الله عز وجل إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشان ويمشان فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعهما ثم أخذ في خطبته (والله عنده اجر عظيم) أي ثواب جزيل وهو الجنة يعني فلا نعصوه بسبب الأموال والأولاد ولا تؤثرهم على ما عند الله من الأجر والذخر (فاتقوا الله ما استطعتم) أي ما اقلقتكم والانتفاء الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو إليه الهوى ولا تنافي بين هذا وبين قوله اتقوا الله حتى تقاتوه لأن كل واحد منهما الزام لترك جميع المعاصي فمن فعل ذلك فقد اتقى عقاب الله لأن من لم يفعل قبيحا ولا أخل بواجب فلا عقاب عليه إلا أن في أحد الكلامين تبييناً أن التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطبق وكل أمر أمر الله به فلا بد أن يكون مشروطاً بالاستطاعة وقال قتادة قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله حتى تقاتوه وكأنه يذهب إلى أن فيه رخصة لحال التقية وما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة وإن كانت القدرة حاصلة معه وقال غيره ليس هذا بناسخ وإنما هو مبين لا إمكان العمل بهما جميعاً وهو الصحيح (واسمعوا) من الرسول ما يتلو عليكم وما يعظكم به وبأمركم وينهاكم (واطيعوا) الله والرسول (وانفقوا) من أموالكم في حق الله (خيراً لأنفسكم) مثله فآمنوا خيراً لكم وانتهوا خيراً لكم وقد مضى ذكر ذلك وقال الزجاج معناه قدموا خيراً لأنفسكم من أموالكم (ومن يوق شح نفسه) حتى يعطي حق الله من ماله (فأولئك هم المفلحون) أي المنجحون الفائزون بثواب الله وقال الصادق (ع) من أدى الزكاة فقد وقى شح نفسه (إن ترضوا الله ترضوا الله قرضاً حسناً) قد مضى معناه واطلاق اسم القرض هنا تلطف في الاستدعاء إلى الإنفاق (يضاعفه لكم) أي يعطي بدله أضعاف ذلك من واحد إلى سبعمائة إلى مالا يتناهى فإن ثواب الصدقة يدوم (وينفر لكم ذنوبكم) والله شكور (أي مثيب مجاز على الشكر) (حلیم) لا يماجل العباد بالمعقوبة وهذا غاية الكرم (عالم الغيب والشهادة) أي السر والملائية وقيل المدوم والموجود وقيل غير المحسوس والمحسوس (العزيز) القادر (الحكيم) العالم وقيل المحكم لأفعاله

سورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القصص قال ابن مسعود في حديث المدة من شاء باهله ان سورة النساء القصصى
 نزلت بعد قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وإنما أراد قوله وأولات الأحمال اجعلن أن يضمن
 حملهن فإذا كانت حاملة فعدتها وضع الحمل وهي مدنية بالإجماع
 * عدد آياتها *
 إحدى عشرة آية بصري وأثنى عشرة آية في الباقي

* اختلافها *

ثلاث آيات يجعل له مخرجاً كوفي مكِّي والمدني الأخير واليوم الآخر شامي يا أولي الأبواب
المدني الأول

* فضلها *

ابن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله ﷺ أبو بصير
عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الطلاق والتحريم في فريضة أعاده الله تعالى من أن يكون يوم
القيامة ممن يخاف أو يحزن وعوفي من النار وادخله الله الجنة بتلاوته إياها ومحافظة عليهما لأنها للنبي ﷺ

* تفسيرها *

لما ختم الله سورة التغابن بذكر النساء والتحذير منهن افتتح هذه السورة بذكرهن وذكر أحكامهن
وأحكام فرائضهن فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ
وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا إِنْ بَيَّنَّ
بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ
يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (٢) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٣) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٤) وَالَّذِي
يُتْسِنُ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ نِسَاءٍ كَمَنْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّذِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِكَ
الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٥) ذَلِكَ
أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا

خمس آيات

* القراءة *

قرأ حفص عن عاصم بالغ بغير تنوين امره بالجر على الإضافة والباقون بالغ بالتنوين امره بالنصب وفي الشواذ
قراءة داود بن أبي هند إن الله بالغ بالتنوين امره بالرفع وروي عن ابن عباس وأبي بن كعب وجابر بن
عبد الله وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد فطلقوهن في قبل عدتهن

* الحجة *

قال أبو علي قوله بالغ امره سبباً بغيره فيما يريد فيكم فهذا هو الأصل وهو حكاية حال ومن أضاف حذف التنوين
استخفافاً والمعنى معنى ثبات التنوين مثل عارض مطرنا وأما قوله في قبل عدتهن فإنه تفسير للقراءة المشهورة

فطلقوهن لعدتهن أي عند عدتهن ومثله قوله لا يجلبها لوقتها أي عند وقتها ومن قرأ بالغ امره فالعنى امره بالغ ما يريد الله به وقد بلغ امر الله ما اراده فالمفعول على ما رأيت محذوف

✽ الاعراب ✽

واللاتي لم يحضن مبتدأ خبره محذوف لدلالة الكلام عليه فإذا جاز حذف الجملة بأسرها جاز حذف بعضها وقد جاء أيضا في الصفة وإن قل نحو قوله واوتيت من كل شيء تقديره من كل شيء توتناه

✽ المعنى ✽

نادى سبحانه نبيه فقال (يا أيها النبي) ثم خاطب امته فقال (إذا طلقتم النساء) لأنه السيد المقدم فإذا نودي وخوطف خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب عن الحسن وغيره وقيل ان تقديره يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء عن الجبائي فعلى هذا يكون النبي ﷺ خارجا عن الحكم وعلى القول الأول حكمه حكم امته في امر الطلاق وعلى هذا انمقد الأوجاع والمعنى إذا اردتم طلاق النساء مثل قوله سبحانه إذا قمتم إلى الصلاة وقوله فإذا قرأت القرآن (فطلقوهن لعدتهن) أي لزمان عدتهن وذلك أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي فهذا هو الطلاق للعدة لأنها تعد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فالعنى فطلقوهن لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن ولا تطلقوهن لحيضهن الذي لا يعتد به من قرهن فلى هذا يكون العدة الطهر على ما ذهب إليه اصحابنا وهو مذهب الشافعي وقيل ان المعنى قبل عدتهن أي في طهر لم يجامعها فيه والعدة الحيض كما يقال توضأت للصلاة ولبست السلاح للحرب وهو مذهب أبي حنيفة واصحابه وقيل ان اللام للسبب فكأنه قال فطلقوهن ليعتدوا ولا شبهة ان هذا الحكم للمدخل بها لأن المطلقة قبل المسيس لا عدة عليها وقد ورد به التنزيل في سورة الاحزاب وهو قوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وظاهر الآية يقتضي انه إذا طلقها في الحيض او في طهر قد جامعها فيه فلا يقع الطلاق لأن الأمر يقتضي الإيجاب وبه قال سعيد بن المسيب وذهب إليه الشيعة الإمامية وقال باقي الفقهاء يقع الطلاق وان كان بدعة وخلاف المأمور به وكذلك ان جمع بين التطبيقات الثلاث فإنها بدعة عند أبي حنيفة واصحابه وان كانت واقعة وعند المحققين من اصحابنا يقع واحدة عند حصول شرائط صحة الطلاق والطلاق في الشرع عبارة عن تخلي المرأة بجمل عقدة من عقد النكاح وذلك أن يقول أنت طالق يخاطبها أو يقول هذه طالق ويشير إليها أو يقول فلانة بنت فلان طالق ولا يقع الطلاق عندنا إلا بهذا اللفظ لا بشي من كنايات الطلاق سواء اراد بها الطلاق او لم يرد بها وفي تفصيل ذلك اختلافات بين الفقهاء ليس هاهنا موضعه وقد يحصل الفراق بغير الطلاق كالارتداد واللعان والخلع عند كثير من اصحابنا وان لم يسم ذلك طلاقا ويحصل أيضا بالفسخ للنكاح باشياء مخصوصة وبالرد بالغيب وإن لم يكن ذلك طلاقا وروى البخاري ومسلم عن قتبية عن النبي ﷺ أن يراجعها ثم يسكها حتى تطهر وتحيض عنده حيضة اخرى ثم يمهلهما حتى تطهر من حيضها فإذا اراد أن يطلقها فليطهها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء وروى البخاري عن سليمان بن حرب وروى مسلم عن عبد الرحمن بن بشر عن نهر وكلاهما عن شعبه عن

انس بن سهر بن (١) قال سمعت ابن عمر يقول طلق ابن عمر امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلقها إن شاء وجاءت الرواية عن علي بن ابي طالب (ع) عن النبي ﷺ انه قال تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق هتزاز من العرش وعن ثوبان رفعه الى النبي ﷺ فقال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وعن ابي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال لا تطلقوا النساء إلا من ربه فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات وعن انس عن النبي ﷺ انه قال ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق هذه الأحاديث الأربعة منقولة عن تفسير الثعلبي ثم قال سبحانه (واحصو العدة) اي عدوا الاقراء التي تمتد بها وقيل معناه عدوا اوقات الطلاق لتطلقوا العدة وإنما أمر الله سبحانه بإحصاء العدة لأن لها فيها حقا وهي النفقة والسكنى والزواج فيها حقا وهي المراجعة ومنعها عن الأزواج لحقه وثبوت نسب الولد فأمره تعالى بإحصائها ليعلم وقت المراجعة ووقت فوت المراجعة وتحريمها عليه ورفع النفقة والسكنى ولكيلا تطول العدة لاستحقاق زيادة النفقة او تقصرها لطلب الزوج والعدة هي قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدة المربنية في الشريعة وهي على ضربين فحرام يكون بالاقراء لمن تحيض فحرام يكون بالأشهر للصغيرة التي لم تبلغ المحيض ومثلها تحيض وهي التي بلغت تسع سنين وإذا كانت سنها اقل من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا وقال بعضهم عدتها بالشهور وبه قال الفقهاء وكذلك الكبيرة الآيسة من المحيض ومثلها تحيض عدتها بالشهور وحده اصحابنا بأن يكون سنها اقل من خمسين سنة ومن ستين سنة للقرشيات فإن كان سنها اكثر من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا والمتوفى عنها زوجها عدتها بالشهور ايضا والضرب الثالث من العدة يكون بوضع الحمل في الجميع الا في المتوفى عنها زوجها فإن عدتها عند اصحابنا ابدى الاجلين وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء ثم ان عدة الطلاق للحرة ثلاثة قروا وثلاثة اشهر وللأمة قروا وان اشهر ونصف ووضع الحمل لا يختلف ثم قال سبحانه (واتقوا الله ربيكم) ولا تعصوه فيما امركم به (ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) هن ايضا يعني في زمان العدة لا يجوز للزوج أن يخرج المطلقة الممتدة من مسكنه الذي كان يسكنها فيه قبل الطلاق وعلى المرأة ايضا ان لا تخرج في عدتها إلا للضرورة ظاهرة فإن خرجت أثمت (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) اي ظاهرة ومن قرأ بفنح البيا فالمراد بفاحشة مظاهرة اظهرتها واختلاف في الفاحشة فقبل إنها الزنا فتخرج لإقامة الحد عليها عن الحسن ومجاهد والشعبي وابن زيد وقيل هي البذاء على اهلها فيجزل لهم اخراجها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر واي عبد الله (ع) وروى علي بن اسباط عن ابي الحسن الرضا قال الفاحشة أن تؤذي اهل زوجها وتسبهم وقيل هي النشوز فإن طلقها على نشوز فلها أن تتحول من بيت زوجها عن قتادة وقيل هي خروجها قبل انقضاء العدة عن ابن عمر وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال ان كل معصية لله تعالى ظاهرة فهي فاحشة (وتلك حدود الله) يعني ما ذكره سبحانه من احكام الطلاق وشروطه (ومن يتعد حدود الله) بأن يطلق على غير ما امر الله تعالى به (فقد ظلم نفسه) أي أثم فيما بينه وبين الله عز وجل وخارج عن الطاعة الى المعصية وفعل ما يستحق به العقاب (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) اي بغير رأي الزوج في محبة الطلاق وبوقوع في قلبه المحبة لرجعتها فيما بين الطلقة الواحدة والثانية وفيما بين الثانية والثالثة قال الضحاك والسدي وابن زيد لعل الله يحدث الرجعة في العدة وقال الزجاج وإذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى

له لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وفي هذه الآية دلالة على ان الواجب في التطليق أن يوقع متفرقا ولا يجوز الجمع بين الثلاث لأن الله تعالى أكد قوله فطلقوهن لمدتهن بقوله واحصوا العدة ثم زاد في التأكيده بقوله واتقوا الله ربكم فيما حده الله لكم فلا تمتدوه ثم قرر سبحانه حق الزوج في المراجعة بقوله لا تخرجوهن من بيوتهن فإن الزوجة إذا لم ترم بيتها تمكن الزوج من مراجعتها ثم دل بقوله وتلك حدود الله على ان من تعدى حدود الله تعالى في الطلاق بطل حكمه وصار قوله لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا تأكيدا لحدود الله في الطلاق واعلاما بأن حق الرجعة لا ينقطع بجمع الطلاق فكأنه قال كونوا على رجاء الفائدة بالرجعة فقد يحدث الله الرغبة بعد الطلاق فإن قالوا قد أمر الله سبحانه في الآية بطلاق العدة فكيف تقدمون انتم طلاق السنة على طلاق العدة فالجواب ان طلاق السنة أيضا طلاق العدة الا ان اصحابنا رضي الله عنهم قد اصطاحوا على أن يسموا الطلاق الذي لا يزداد عليه بعد المراجعة طلاق السنة والطلاق الذي يزداد عليه بشرط المراجعة طلاق العدة ومما يعضد ما ذكرته ما اشتهر من الأخبار في كتبهم ورواياتهم ونقل عن متقدميهم مثل زرارة بن اعين وبكير بن اعين ومحمد بن مسلم وغيرهم فمن ذلك ما رواه يونس عن بكير بن اعين عن ابي جعفر (ع) قال الطلاق أن يطلق الرجل المرأة على طهر من غير جماع ويشهد رجلين عدلين على تطليقه ثم هو احق برجعتهما ما لم تمض ثلاثة قروء فهذا الطلاق الذي أمر الله به في القرآن وامر به رسول الله ﷺ في سنة وكل طلاق لتير مدة فليس بطلاق وعن جرير قال سألت ابا عبد الله (ع) عن طلاق السنة فقال على طهر من غير جماع بشاهدي عدل ولا يجوز الطلاق إلا بشاهدين والعدة وهو قوله فطلقوهن لمدتهن واحصوا العدة الآية وروى الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن زرارة عن ابي جعفر (ع) أنه قال كل طلاق لا يكون على السنة او طلاق على العدة فليس بشي قال زرارة قلت لأبي جعفر فسر لي طلاق السنة وطلاق العدة فقال اما طلاق السنة فهو إن الرجل إذا أراد أن يطلق امرأته فليتظرها حتى تطمث وتطهر فإذا خرجت من طمئها طلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين على ذلك ثم يدعها حتى تمضي اقراؤها وقد بانت منه وكان خاطبا من الخطاب إن شاءت تزوجته وإن شاءت لم تزوجه وعليه نفقتها والسكنى ما دامت في العدة وهما يتوارثان حتى تنقضي العدة واما طلاق العدة فإذا أراد الرجل أن يطلق امرأته طلاق العدة فليتظرها حتى تمضي وتخرج من حيضها ثم يطلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين ويراجعها من يومه ذلك إن أحب او بعد ذلك بأيام قبل أن تحيض ويشهد على رجعتها وبواقعا وتكون معه حتى تحيض فإذا حاضت وخرجت من حيضها طلقها تطليقة اخرى من غير جماع ويشهد على ذلك أيضا متى شاء قبل أن تحيض ويشهد على رجعتها وبواقعا وتكون معه حتى تحيض الحبضة الثالثة فإذا خرجت من حيضها طلقها الثالثة بغير جماع ويشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بانت منه ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره والروايات في هذا كثيرة عن ائمة الهدى (ع) فعلى هذا فإنه يتركها في طلاق السنة حتى تمتد ثلاثة قروء فإذا مضى ثلاثة قروء فإنها تبين منه بواحدة وإذا تزوجها بعد ذلك بمر جديد كانت عنده على تطليقتين باقيتين فإن طلقها اخرى طلاق السنة وتركها حتى تمضي اقراؤها فلا يراجعها فقد بانت منه بائنتين فإن تزوجها بعد ذلك وطلقها لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره ولو شاء أن يراجعها بعد الطلقة الأولى والثانية لكان ذلك اليه فقد تبين أن هذا الطلاق هو طلاق العدة أيضا الا أن الفرق بينهما ما ذكرناه (فإذا بلغن

اجلهن) معناه فإذا قاربن أجلهن الذي هو الخروج من العدة (فأمسكوهن بمروءة) أي راجعوهن بما يجب
لهن من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة (أو فارقوهن بمروءة) بأن تتركوهن حتى يخرجن من
العدة فتبين منكم ولا يجوز أن يكون المراد بقوله فإذا بلغن أجلهن إذا انقضت أجلهن لأن الزوج لا يملك
الرجعة بعد انقضاء العدة بل هي تلك نفسها وتبين منه بواحدة ولها أن تزوج من شامت من الرجال (واشهدوا
ذوي عدل منكم) قال المفسرون امرؤا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة شاهدي عدل حتى لا يتجدد
المرأة المراجعة بعد انقضاء العدة ولا الرجل الطلاق وقيل معناه واشهدوا على الطلاق صيانة لدينكم وهو
المروي عن أنسنا (ع) وهذا اللفظ بالظاهر لأننا إذا حملناه على الطلاق كان أمرا يقتضي الوجوب وهو من
شرائط صحة الطلاق ومن قال إن ذلك راجع إلى المراجعة حملته على الندب (واقبوا الشهادة لله) هذا خطاب
للشهود أي اقبوها لوجه الله واقصدوا بأدائها التقرب إلى الله لا الطلب لرضا المشهود له والأشفاق من
المشهود عليه (ذلكم) الأمر بالحلف يا معشر المكلفين (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي
يؤمن به المؤمنون لينزجروا به عن الباطل وخص المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا به بالطاعة الواجبة فيها وعظ
بأن يرغب فيها باستحقاق الثواب وفي تركها العقاب والندوبة فيها وعظ باستحقاق المدح والثواب على فعلها
والمعاصي فيها وعظ بالزجر عنها والتخويف من فعلها باستحقاق العقاب والترغيب في تركها بما يستحق على
الإحلال بها من الثواب (ومن يتق الله) في أمره به ونهاه عنه (يجعل له مخرجا) من كل كرب في الدنيا
والآخرة عن ابن عباس وروى عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال قرأ رسول الله ﷺ ومن يتق
الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وعنه قال من أكثر
الاستغفار جعل الله له من كل فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقيل معناه ومن يطلق السنة يجعل الله
له مخرجا في الرجعة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) عن عكرمة والشعبي والضحاك وقيل أنها نزلت في
عوف بن مالك الأشجعي أسر العدو ابنه فاتى النبي ﷺ فذكر له ذلك وشكا إليه الغافة فقال له اتق
الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل
عنه العدو فأصاب إبلا وجاء بها إلى أبيه فذلك قوله ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى عن الصادق (ع)
أنه قال ويرزقه من حيث لا يحتسب أي يبارك له فيما أتاه وعن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ قال
إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم ومن يتق الله الآفة فما زال يقولها ويعيها (ومن يتوكل على الله
فهو حسبه) أي ومن يغوض أمره إلى الله ووثق بحسن تدبيره وتقديره فهو كافيه بكفيه أمر دنياه وبمطيه
ثواب الجنة ويجعله بحيث لا يحتاج إلى غيره وفي الحديث من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله
(إن الله بالغ أمره) أي يبلغ ما أراد من قضاياه وتدبيره على ما أراد ولا يقدر أحد على منعه عما يريد
وقيل معناه أنه منفذ أمره فيمن يتوكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه (فنجعل الله لكل شي قدرا) أي قدر الله
لكل شي مقدارا وأجلا لا زيادة فيها ولا نقصان وقيل بين لكل شي مقدارا بحسب المصلحة في الإباحة
والإيجاب والترغيب والترهيب كما بين في الطلاق والعدة وغيرها وقيل جعل الله لكل شي من الشدة
والرخاء وقتا وغاية ومتهى ينتهي إليه ثم بين سبحانه اختلاف أحكام العدة باختلاف أحوال النساء فقال
(واللاتي يشنن من المحيض من نساكن) فلا يحضن (إن ارتبتم) فلا تدرن لكبر ارتفع حبضن أم لمارض

ثلاثة اشهر) وهن اللواتي امثالهن يحضن لأنهن لو كن في سن من لا تحيض لم يكن للارتباب معنى وهذا هو المروي عن ائمتنا (ع) وقيل معناه إن شككتم فلم تدرؤا أدمهن دم حبض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر عن مجاهد والزهري وابن زهد وقيل معناه إن ارتبتم في حكمهن فلم تدرؤا ما الحكم فهن (واللآئي لم يحضن) تقدروه واللآئي لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر وحذف لدلالة الكلام الأول عليه وهن اللواتي لم يلغن المحيض ومثلهن تحيض على ما مريانه (واولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال ابن عباس هي في المطلقات خاصة وهو المروي عن ائمتنا (ع) فأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فعدتها ابد الأجلين فإذا مضت بها اربعة اشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل وقال ابن مسعود وابي بن كعب وقنادة واكثر الفقهاء انه عام في المطلقات والمتوفى عنها زوجها فعدتهن وضع الحمل فإن كانت المرأة حاملا بأثنين ووضعت واحدا لم تحل للزوج حتى تضع جميع الحمل لقوله ان يضعن حملهن وروى اصحابنا انها اذا وضعت واحدا انقطعت عصمتها من الزوج ولا يجوز لها أن تعقد على نفسها لغيره حتى تضع الآخر فأما اذا كانت قد توفى عنها زوجها فوضعت قبل الأشهر الأربعة والعشر وجب عليها أن تستوفي اربعة اشهر وعشرا (ومن يتق الله) في جميع ما امره بطاعته فيه (يحمل له من امره يسرا) اي يسهل عليه امور الدنيا والآخرة إما بفرج عاجل او عوض آجل وقيل يسهل عليه فراق اهله ويزيل الهموم عن قلبه (ذلك) يعني ما ذكره سبحانه من الاحكام في الطلاق والرجعة والعدة (أمر الله انزله اليكم ومن يتق الله) بطاعته (يكفر عنه سيئاته) من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة قال الربيع إن الله قد قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اجابه ولباه وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه إن ترضوا الله ترضوا حسنا بضاعفه لكم ومن يتصدق بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب الآيات (ويعظم له اجرا) في الآخرة وهو ثواب الجنة

قوله تعالى (٦) اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أول حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعنكم فآمنوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسنرضع له أخرى (٧) لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتتها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٨) وكآين من قرينه عنت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعدبنا عذابا نكرا (٩) فذاقت وبال أمرها وكان عقبة أمرها خسرا (١٠) أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا خمس آيات

القراءة

قرأ روح عن يعقوب مختلفا عنه من وجدكم بكسر الواو والقراءة بضم الواو وقرأ ابن كثير وكآين

بالمذ والمهمز والباقون وكأين بالهمز والتشديد

﴿ الحجة ﴾

يقال وجدت في المال جدة ووجدنا ووجدنا ووجدنا بنعاقب الحركات الثلاث على الواو ووجدت الضالة وجدانا ووجدت من الحزن وجدنا ومن الغضب موجدة ووجدانا وكأين اصله اي دخلت عليها الكاف الجارة كما دخلت على ذا في كذا فموضع كأين رفع بالابتداء كما ان كذا كذلك ولا موضع للكاف كما ان الكاف في كذا كذلك قال ابو علي مثل هذا في انه دخل على المبتدأ حرف الجر فصار مع المجرور في موضع رفع قولهم بحسبك أن تفعل كذا يريدون بحسبك فعل كذا فالجار مع المجرور في موضع رفع وانشد ابو زيد

بحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غني مضر
واكثر العرب تستعملها مع من وكذلك ما جاء في التنزيل وما جاء منه في الشعر قوله
وكأئن بالاباطح من صديق يراني إن اصبحت هو المصابا
وقول الآخر

وكأئن اليكم قاد من رأس فتية جنودا وامثال الجبال كتابه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال المطلقة في النفقة والسكنى فقال (اسكنوهن) اي في بيوتكم (من حيث سكنتم) من المساكن (من وجدكم) اي من ملككم وما تقدرون عليه عن السدي وابي مسلم وقيل هو من الوجدان اي مما تجدونه من المساكن عن الحسن والجبائي وقيل من سعتكم وطاعتكم من الوجد السدي هو المقدرة قال الفراء يعول على ما يجد فإن كان موسعا وسع عليها في السكن والنفقة وان كان فقيرا فلي قدر ذلك وييب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية بلا خلاف فأما المبتوتة فبها خلاف فذهب اهل المراق الى أن لها السكنى والنفقة معا وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وذهب الشافعي الى أن لها السكنى بلا نفقة وذهب الحسن وابو ثور الى انه لا سكنى لها ولا نفقة وهو المروي عن ائمة الهدى (ع) وذهب اليه اصحابنا وبدل عليه ما رواه الشعبي قال دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسألناها عن قضاء رسول الله ﷺ فقالت طلقني زوجي البتة فخاصمته الى رسول الله ﷺ في السكنى والنفقة فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة وامرني ان اعتد في بيت ابن ام مكتوم وروى الزهري عن عبد الله أن فاطمة بنت قيس كانت تحت ابي عمرو ابن حفص بن المنيرة المخزومي وانه خرج مع علي بن ابي طالب (ع) الى اليمن حين أمره رسول الله ﷺ على اليمن فأرسل الى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليق كانت بقيت لها من طلاقها فأمر عياش بن ابي ربيعة والحارث بن هشام أن ينفقا عليها فقالا والله مالك من نفقة قانت النبي ﷺ فذكرت له قولها فلم يجعل لها نفقة إلا ان تكون حاملا فاستأذنته في الانتقال فأذن لها فقالت أني انتقل يا رسول الله ﷺ قال عند ابن ام مكتوم وكان اعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فأنكحها النبي ﷺ اسامة بن زيد قال فأرسل اليها مروان بن الحكم قبيصة بن ذؤيب فسألها عن هذا الحديث ثم قال مروان لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة وسأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان يني وبينكم القرآن قال الله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن الى قوله لعل الله يحدت

بعد ذلك امر اقات هذا لمن كانت له مراجعة واي أمر يحدث بعد الثلاث ثم قال سبحانه (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) أي لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير في السكنى والنفقة والكسوة طالبين بالإضرار التضيق عليهن ليخرجن وقيل المعنى اعطوهن من المسكن ما يكفين جلو سهن ومبيتين وطهارتهن ولا تضايقوهن حتى يتعذر عليهن السكنى عن ابي مسلم وإن كن أولات حمل اي كن حوامل (فانفقوا عليهن حتى يضمن حملهن) لأن عدتهن إنما تنقضي بوضع حملهن امر الله سبحانه بالإففاق على المطلقة الحامل سواء كانت رجعية او مبتوتة (فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن) اي فإن أرضعن الولد لأجلكم بعد البينونة فأعطوهن اجر الرضاع يعني اجرة المثل (وأتمروا بينكم بمروف) هذا خطاب للرجل والمرأة والاثمار قبول الأمر وملاقاةه بالتقبل . امر الله تعالى المرضعة والمرضع له بالتلقي لأمره عز وجل ولأمر صاحبه إذا كان حسنا وقيل معناه وليأمر بعضكم بعضا بالجميل في ارضاع الولد اي بتراضي الوالد والوالدة بعد وقوع الفرقة في الأجرة على الأب وارضاع الولد بحيث لا يضر جمال الوالد ولا بنفس الولد ولا يزداد على الأجر المتعارف ولا يتقص الولد عن الرضاع المتباد قال الكسائي اصله المشاور ومنه يأتمرون بك اي يتشاورون والاقوى عندي أن يكون المعنى دبروا بالمعروف بينكم في أمر الولد ومراعاة امه حتى لا يفوت الولد شفقتها وغير ذلك وبدل عليه قول امرى القيس

أحار بن عمرو كأنني خجير ويمعدو على المرء ما يأتمر

يعني ما يدبره في نفسه لأن الرجل ربما دبر امراً ليس يرشد فيعدو عليه ويهلكه (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) والمعنى فإن اختلفتم في الرضاع وفي الأجر فسترضع له امرأة اخرى اجنبية اي فليسترضع الوالد غير والدة الصبي ثم قال سبحانه (لينفق ذو سعة من سعته) امر سبحانه اهل التوسعة ان يوسعوا على نسايتهم المرضعات اولادهن على قدر سعتهن (ومن قدر عليه) اي ضيق عليه (رزقه فلينفق ما آتاه الله) والمعنى ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك وعلى حسب امكانه وطاقته (لا يكاف الله نفسا الا ما آتاه) اي الا بقدر ما اعطاه من الطاقه في هذا دلالة على انه سبحانه لا يكاف احدا ما لا يقدر عليه وما لا يطيقه (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اي بعد ضيق سعة وبعد فقر غنى وبعد صعوبة الأمر سهولة وفي هذا تسلية للصحابة فإن الغالب على اكثرهم في ذلك الوقت الفقر ثم فتح الله تعالى عليهم البلاد فيما بعد (وكان من قربة عنت عن امر ربه ورسله) اي وكم من اهل قرية عنتوا على الله وعلى انبيائه يعني جاوزوا الحد في العصيان والمخالفة (فحاسبناها حسابا شديدا) بالمناقشة والاستقصاء باستيفاء الحق وايقانه قال مقاتل حاسبها الله تعالى بعملها في الدنيا فجازاها بالمذاب وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) فجعل المجازاة بالمذاب محاسبة وهو عذاب الاستئصال وقيل هو عذاب النار فإن اللفظ ماض بمعنى المستقبل والنكر المنكر العظيم الذي لم ير مثله وقيل ان في الآية تقديما وتأخيرا تقديمه فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيوف وسائر المصائب والبلايا وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا وقيل الحساب الشديد هو الذي ليس فيه عفو (فذاقت وبال امرها) اي مثل عاقبة كفرها (وكان عاقبة امرها خسرا) اي خسراتنا في الدنيا والآخرة وهو قوله (اعد الله لهم عذابا شديدا) يعني عذاب النار وهذا يدل على ان المراد بالمذاب الاول عذاب الدنيا ثم قال (فاتقوا الله يا اولي الأبواب) اي يا اصحاب العقول ولا تفعلوا مثل ما فعل اولئك فينزل بكم مثل ما نزل بهم ثم وصف اولي الأبواب

بقوله (الذين آمنوا) وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المتفعون بذلك دون الكفار ثم ابتداء سبحانه فقال (قد انزل الله اليكم ذكرا) يعني القرآن وقيل يعني الرسول عن الحسن وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

﴿ النظم ﴾

الوجه في اتصال قوله وكأين من قرية عنت عن امر ربه الآية بما قبله انه سبحانه بين ان الخوف في مقابلة الرجاء وسبيل العاقل أن يحترز من المخوف ويقدم الاحتراز عن الخوف على الرجاء والذي يقوي جانب الخوف انه اهلك الأمم الماضية بسبب عصيانها وتمردها عن امر ربه

قوله تعالى (١١) رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١٢) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا آياتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والشام ندخله بالنون والباقون بالياء لتقدم الاسم على لفظ النية والنون معناها معنى الياء

﴿ الاعراب ﴾

رسولا يتصعب على ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ أن يكون بدلا من ذكر آية بدل الكل من الكل فعلى هذا يجوز أن يكون الرسول جبرائيل (ع) ويجوز أن يكون محمدا ﷺ الثاني ﴿ أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره ارسل رسولا وبدل على اضماره قوله قد انزل الله اليكم ذكرا فعلى هذا يكون الرسول معناه محمدا ﷺ والثالث ﴿ أن يكون مفعول قوله ذكرا ويكون تقديره انزل الله اليكم أن ذكر رسولا ويكون الرسول يحتمل الوجهين

﴿ المعنى ﴾

(رسولا) إذا كان المراد به الوجه الأول وهو أن يكون بدلا من ذكر آية والمراد به النبي ﷺ او جبرائيل (ع) فيجوز أن يكون المراد بالذکر الشرف اي ذكرا رسولا (يتلوا عليكم آيات الله مبینات) اي واضحات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات) اي من ظلمات الكفر (الى النور) اي نور الايمان وقيل من ظلمات الجهل الى نور العلم وإنما شبه الايمان بالنور لأنه يؤدي الى نور القبر والقيامة والجنة وشبه الكفر بالظلمة لأنه يؤدي الى ظلمة القبر وظلمة جهنم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها ابدا قد احسن الله له رزقا) اي يعطيه احسن ما يعطي احدا وذلك مبالغة في وصف نعيم الجنة (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) اي وخلق من الارض مثلهن في العدد لا في الكيفية لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض وليس في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع مثل السموات إلا هذه الآية ولا خلاف في السموات انها سماوات فوق سماوات واما الارضون

قال قوم انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض كالسموات لأنها لو كانت مصمتة لكانت ارضا واحدة، وفي كل ارض خلق خلقهم الله كما شاء وروى ابو صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين ليس بعضها فوق بعض بفرق بينهم البحار ويظل جميعهن السماء والله سبحانه اعلم بصحة ما استأثر بعلمه واشتبه على خلقه وقد روى العناشي بإسناده عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن (ع) قال بسط كفه ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا عليها قبة والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة حتى ذكر الرابعة والخامسة والسادسة فقال والأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله سبع سموات ومن الأرض مثلهن (يتنزل الأمر بينهن) وإنما صاحب الأمر النبي ﷺ وهو على وجه الأرض وإنما يتنزل الأمر من فوق بين السماوات والأرضين فعلى هذا يكون المعنى تنزل الملائكة بأوامره إلى الأنبياء وقبل معناه يتنزل الأمر بين السماوات والأرضين من الله سبحانه بحياة بعض وموت بعض وسلامة حي وهلاك آخر وغنى انسان وفقر آخر وتصريف الأمور على الحكمة (تعلموا ان الله على كل شيء قدير) بالتدبير في خلق السماوات والأرض والاستدلال بذلك على ان صانعهما قادر لذاته عالم لذاته وذلك قوله (وان الله قد احاط بكل شيء علما) ومعناه ان معلوماته متميزة له بمنزلة ما قد احاط به فلم يفته شيء منها وكذلك قوله ولا يحيطون به علما معناه انه ليس بمنزلة ما يحضره العلم بمكانه فيكون كأنه قد احاط به



سورة التحريم

مدنية اثنا عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك اعطاه الله توبة نصوحاً

﴿ تفسيرها ﴾

لما تقدم في تلك السورة احكام النساء في الطلاق وغيره افتتح سبحانه هذه السورة باحكامها ايضا فقال
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ بِنْتَيْ
مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ
مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣) وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا
نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ
هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٤) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٥) عَسَىٰ رَبُّهُ

إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُدِلَّهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَاتِنَاتٍ قَائِمَاتٍ عَابِدَاتٍ
سَائِحَاتٍ ثِيْبَاتٍ وَأَبْكَارًا خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي وحده عرف بالتخفيف والباقون عرف بالتشديد واختار التخفيف ابو بكر بن عياش وهو
من الحروف العشر التي قال اني ادخلتها في قراءة عاصم من قراءة علي بن ابي طالب (ع) حتى استخلصت
قراءته يعني قراءة علي (ع) وهي قراءة الحسن وابي عبد الرحمن السلمي وكان ابو عبد الرحمن إذا قرأ انسان
بالتشديد حصبه وقرأ اهل الكوفة تظاهروا عليه خفيفة الفطاء والباقون تظاهروا بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي التخفيف في عرف انه جازي عليه لا يكون إلا كذلك ولا يجوز أن يكون بمعنى العلم
لأن النبي ﷺ إذا اظهره الله على ما كان اسره اليه علم ذلك ولم يميز أن يعلم من ذلك بعضه مع
اظهار الله اياه عليه ولكن يعلم جميعه وهذا كما تقول لمن يسي أو يحسن انا اعرف لأهل الإساءة اي لا يخفى
علي ذلك ولا مقابلته مما يكون وفقا له فالمعنى جازي علي بعض ذلك واعرض عن بعض ومثله وما تفعلوا
من خير يعلمه الله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره أي يرى جزاءه وقوله يرى من رؤية العين وكانت مما
جازي عليه تطليقه حفصة تطليقة واحدة واما عرف بالتشديد فمعناه عرف ببعضه واعرض عن بعض فلم يعرفه
اياه على وجه التكرم والإغضاء واما تظاهر فالأصل فيه وان تظاهروا بتائين فخفف في القراءة الأولى
بالحذف وفي القراءة الآخرة بالإدغام

﴿ اللفظ ﴾

الحرام القبيح الممنوع منه بالنهي وتقيضه الحلال وهو الحسن المطلق بالإذن فيه والتحريم تبين
أن الشيء حرام لا يجوز والتحريم ايجاب المنع والابتغاء الطلب ومنه البني طلب الاستعلاء بغير الحق
والتحلة والتحليل بمعنى وهما مصدران لقولهم حللت له كذا وتحلة اليمين فصل ما يسقط التبعة فيه واليمين واحد
الأيمان وهو الحلف وكأنه مأخوذ من القوة لأنه يقوي كلامه بالحلف وقيل انه مأخوذ من الجارحة لأن
عادتهم كانت عند الحلف ضرب الأيدي على الأيدي والإسرار القاء المعنى الى نفس المحدث على وجه
الإخفاء عن غيره والتظاهر التعاون والظهير المبين واصله من الظهر والسائح الجاري والعرب تصف بذلك
الماء الجاري الدائم الجارية ثم تصف به الرجل الذي يضرب في الأرض ويقطع البلاد فتقول سائح وسياح
والثيب الراجعة من عند الزوج بعد الاقتضاض من ثاب بثوب إذا رجع والبكر هي التي على اول حالها
قبل الاقتضاض

﴿ الإعراب ﴾

قيل في جمع القلوب في قوله صفت قلوبكم اجوه ﴿ احدها ﴾ أن التثنية جمع في المعنى فوضع الجمع
موضع التثنية كما قال وكنا لحكمهم شاهدين وإنما هو داود وسليمان ﴿ والثاني ﴾ أن أكثر ما في الانسان
اثنان اثنان نحو البدين والرجلين والعينين وإذا جمع اثنان الى اثنين صار جمعا فيقال ايديها واعينها ثم

حمل ما كان في الانسان واحدا على ذلك لا لا يختلف حكم لفظ اعضاء الانسان * والثالث * ان المضاف اليه مثنى فكهوا أن يجمعوا بين تشبيهاين فصرفوا الأول منهما الى لفظ الجمع لأن لفظ الجمع أخف لأنه أشبه بالواحد فإنه يعرب بأعراب الواحد ويستأنف كما يستأنف الواحد وليست التثنية كذلك لأنها لا تكون إلا على حد واحد ولا يختلف ومن العرب من يشي فيقول قلباها قال الراجز فجمع بين اللغتين «ظهرهما مثل ظهور الترسين» وقال الفرزدق

بما في فؤادينا من البث والهوى فيبر . منهاض الفؤاد المشغف

ومن العرب من يفرد ويروي أن بعضهم قرأ فبدت لهما سواتهما والوجه في الأفراد أن الإضافة الى التثنية تعني عن تشبيه المضاف وفي جبريل أربع لغات جبريل على وزن قنديل وجبرئيل على وزن عندليب وجبرئيل على وزن جهمرش وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وهو خارج عن اوزان العرب لأنه ليس في العربية مثل قنديل وقد قرئ بذلك كله وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه في سورة البقرة ومن العرب من يقول يقول جبرال بتشديد اللام ومنهم من يبديل من اللام نونا وقوله هو مولاه يجوز في هو وجهان * أحدهما * أن يكون فصلا دخل ليفصل بين التمت والخبر والكوفيون يسمونه عمادا * والثاني * أن يكون مبتدأ ومولاه الخبر والجملة خبران ومن جعل مولاه بمعنى السيد والمخالق كان الوقف على قوله مولاه وجبريل مبتدأ وصالح المؤمنين عطف عليه والملائكة عطف ايضا وظهير خبره وجاز ذلك لأن فعلا يقع على الواحد والجمع كفعول قال سبحانه خلصوا نجيا فظهير كنجي وقال فإنهم عدو لي ومن جعل مولاه بمعنى ولي وناصر جاز أن يكون الوقف على قوله وجبريل وعلى صالح المؤمنين ويتدى والملائكة بعد ذلك ظهير فيكون ظهير عائدا الى الملائكة

* النزول *

اختلف أقوال المفسرين في سبب نزول الآيات فقبل ان رسول الله ﷺ كان اذا صلى الغداة بدخل على ازواجه امرأة امرأة وكان قد اهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل فكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ حبسته وسقته منها وان عائشة انكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية حبسيتها عندها اذا دخل رسول ﷺ على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا تصنع فاخبرتها الخبر وشأن العسل فقارت عائشة وارسلت الى صواحبا فآخبرتهن وقالت إذا دخل عليك رسول الله ﷺ فقلن انا نجد منك ريح المغابير وهو صمغ العرطف كريحه الرائحة وكان رسول الله ﷺ يكره ويشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة لأنه يأتيه الملك قال فدخل رسول الله ﷺ على سودة قالت فما اردت أن أقول ذلك لرسول الله ﷺ ثم اني فرقت من عائشة فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التي اجدها منك اكلت المغابير فقال لا ولكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل على امرأة امرأة وهن يقلن له ذلك فدخل على عائشة فأخذت بأنفها فقال لها ما شأنك قالت اجد ريح المغابير اكلتها يا رسول الله قال لا بل سقتني حفصة عسلا فقالت جرشت إذا نحلها العرطف فقال والله لا اطعمه ابدا فحرمه على نفسه وقبل ان التي كانت تسقي رسول الله ﷺ العسل ام سلمة عن عطاء بن ابي مسلم وقيل بل كانت زينب بنت جحش قالت عائشة ان رسول ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت انا وحفصة أينما دخل عليها النبي ﷺ فلنقل اني اجد منك ريح المغابير اكلت مغابير فدخل على احدها فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت

جحش وإن أعود إليه فنزلت الآيات وقيل إن رسول الله ﷺ قسم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله إن لي إلى أبي حاجة فأذن لي أن أزوره فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية وكان قد أهداها له المقوقس فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فأنت حفصة فوجدت الباب مفلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقا فقالت حفصة إنا أذنت لي من أجل هذا ادخلت امتك يتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي أما ما رأيت لي حرمة وحقا فقال رسول الله ﷺ اليس هي جاريتي قد أحل الله ذلك لي أسكتني فهو حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تجبري بهذا امرأة منهن وهو عندك أمانة فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أشرك أن رسول الله ﷺ قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأته وكانت متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواجه فنزلت يا أيها النبي لم تحرم فطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوما وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير عن قتادة والشعبي ومسروق وقيل إن النبي ﷺ خلا في يوم لعائشة مع جاريته أم إبراهيم مارية القبطية فوقفت حفصة على ذلك فقال لها رسول الله ﷺ لا تعلني عائشة ذلك وحرم مارية على نفسه فأعلمت حفصة عائشة الخبر واستكتمتها أياما فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك وهو قوله واذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا يعني حفصة عن الزجاج قال ولما حرم مارية القبطية أخبر حفصة أنه يملك من بعده أبو بكر ثم عرفها بعض ما أفشت من الخبر وأعرض عن بعض أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي وقريب من ذلك ما رواه العياشي بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي جعفر (ع) إلا أنه زاد في ذلك أن كل واحدة منها حدثت أباها بذلك فعاتبهما رسول الله ﷺ في أمر مارية وما أفشتا عليه من ذلك وأعرض عن أن يعاتبهما في الأمر الآخر

المعنى

(يا أيها النبي) ناداه سبحانه بهذا النداء تشريفا له وتعلينا لعباده كيف يخاطبونه في أثناء محاوراتهم ويذكرونه في خلال كلامهم (لم تحرم ما أحل الله لك) من الملاذ (تبتني مرضات أزواجك) أي تطلب به رضا نسائك وهن أحق بطلب مرضاتك منك وليس في هذا دلالة على وقوع ذنب منه صغير أو كبير لأن تحريم الرجل بعض نسائه أو بعض الملاذ لسبب أو لغير سبب ليس بقبيح ولا داخلا في جملة الذنوب ولا يمتنع أن يكون خرج هذا القول مخرج التوجع له ﷺ إذا بالغ في ارضاء أزواجه وتحمل في ذلك المشقة ولو أن إنسانا أرضى بعض نسائه بتطبيق بعضهم لجاز أن يقال له لم فعلت ذلك وتحملت فيه المشقة وإن كان لم يفعل قبيحا ولو قلنا أنه عوتب على ذلك لأن ترك التحريم كان أفضل من فعله لم يمتنع لأنه يحسن أن يقال لتارك النفل لم لم تفعله ولم عدلت عنه ولأن تطيب قلوب النساء مما لا تنكره العقول وقد حكي أن عبد الله بن رواحة وكان من النقباء كانت له جارية فاتهمته زوجته ليلة فقال قولاً بالتعريض فقالت إن كنت لم تقربها فقرأ القرآن قال فأنشدت

شهدت فلم أكذب بأن محمدا	رسول الذي فوق السموات من عل
وإن أبا يحيى ويحيى كلاهما	له عمل في دينه متقبل
وإن التي بالجزع من بطن نخلة	ومن داتها فل عن الخير معزل

قالت زدني فأنشدت

وفينا رسول الله يتلو كتابه
أتى بالهدى بعد العمى فنفوسنا
بييت يجافي جنبه عن فراشه
قالت زدني فأنشدت

شهدت بأن وعد الله حق
وأن محمدا يدعو بحق
وأن النار مشوي الكافرينا
وأن الله مولى المؤمنيننا

قالت أما إذ قرأت القرآن فقد صدقتك فأخبرت به رسول الله ﷺ فقال بعد أن تبسم خير كم خيركم
لنساته واختلف العلماء فيمن قال لامرأته أنت علي حرام قال مالك هو ثلاث تطبيقات وقال أبو حنيفة
إن نوى به الظهار فهو ظهار وإن نوى الإيلاء فهو إيلاء وإن نوى الطلاق فهو طلاق بائن وإن نوى
ثلاثا كان ثلاثا وإن نوى اثنتين فواحدة بائنة وإن لم يكن له نية فهو يمين قال الشافعي إن نوى الطلاق
كان ملاقا والظهار كان ظهارة وإن لم يكن له نية فهو يمين وروي عن ابن مسعود وابن عباس وعطاء أنه
يمين وقال أصحابنا انه لا يلزم به شيء ووجوده كعدمه وهو قول مسروق وإنما أوجب الله فيه الكفارة
لأن النبي ﷺ كان حلف أن لا يقرب جارته ولا يشرب الشراب المذكور فأوجب الله عليه أن يكفر
عن يمينه ويعود إلى استباحة ما كان حرمه وبين أن التحريم لا يحصل إلا بأمر الله ونهيه ولا بصير الشيء
حراما بتحريم من يحرمه على نفسه إلا إذا حلف على تركه (والله غفور) لمباده (رحيم) بهم إذا رجعوا
إلى ما هو الأولى والاليق بالتقوى يرجع لهم إلى التولي (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي قد قدر
الله تعالى لكم ما تحلون به أيمانكم إذا فلتتموها وشرع لكم الحنث فيها لأن البين ينحل بالحنث فسمي ذلك
تحلة وقيل معناه قد بين الله لكم كفارة أيمانكم في سورة المائدة عن مقاتل قال امر الله نبيه أن يكفر
يمينه ويراجع وليدته فاعتق رقبة وعاد إلى مارية وقيل معناه فرض الله عليكم كفارة أيمانكم كما قال وإن
أسأتم فلها أي فعلها فسمى الكفارة تحلة لأنها تجب عند انحلال البين وفي هذا دلالة على انه قد حلف
ولم يقتصر على قوله هي علي حرام لأن هذا القول ليس بيمين (والله) هو (موليك) أي وليكم يحفظكم
وينصركم وهو أولى بكم وأولى بأن تبتغوا رضاه (وهو العليم) بمصالحكم (الحكيم) في أوامره ونواهيكم لكم
وقيل هو العليم بما قالت حفصة لعائشة الحكيم في تدبيره (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) وهي حفصة
(حديثا) أي كلاما امرها بإخفائه فالإسراء نقبض الإعلان (فلما نبأت) أي أخبرت غيرها بما خبرها (به)
فأنشدت سره (وأظهره الله عليه) أي وأطلع الله نبيه ﷺ على ما جرى من افشاء سره (عرف بعضه
وأعرض عن بعض) أي عرف النبي ﷺ حفصة بعض ما ذكرت وأخبرها ببعض ما ذكرت وأعرض
عن بعض ما ذكرت وعن بعض ما جرته من الأمر فلم يخبرها وكان ﷺ قد علم جميع ذلك لأن
الإعراض إنما يكون بعد المعرفة لكنه أخذ بمكارم الأخلاق والتعاطل من خلق الكرام قال الحسن ما استقصى
كريم قط وأما عرف بالتخفيف فمعناه غضب عليها وجازاها بأن طلقها تطليقة ثم راجعها بأمر الله وقيل جازاها
بأن هم بطلاقها (فلما نبأها به) أي فلما أخبر رسول الله ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه (قالت) حفصة

(من أنبأك هذا) أي من أخبرك بهذا (قال) رسول الله ﷺ (نبأني العليم) بجميع الأمور (الخبير) بسرائر الصدور ثم خاطب سبحانه عائشة وحفصة فقال (إن تتوبا إلى الله) من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء والنظائر عليه فقد حق عليكمما التوبة ووجب عليكمما الرجوع إلى الحق (فقد صفت) أي مالت (قلوبكما) إلى الإثم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ضاقت قلوبكما عن سبيل الاستقامة وعدلت عن الثواب إلى ما يوجب الإثم وقيل تقديره إن تتوبا إلى الله يقبل توبكما وقيل إنه شرط في معنى الأمر أي توبا إلى الله فقد صفت قلوبكما (وان تظاهرا عليه) أي وان تعاونا على النبي ﷺ بالإيذاء عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ قال عائشة وحفصة أوردته البخاري في الصحيح (فإن الله هو مولاه) الذي يتولى حفظه وحياضه ونصرته (وجبريل) أيضا معين له وناصر يحفظه (وصالح المؤمنين) يعني خيار المؤمنين عن الضحاك وقيل يعني الأنبياء عن قتادة وقال الزجاج صالح هنا ينوب عن الجميع كما تقول يفعل هذا الخير من الناس تريد كل خير قال أبو مسلم هو صالحو المؤمنين على الجمع وسقطت الواو في المصحف لوقوفها في اللفظ ووردت الرواية من طريق الخاص والعام أن المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين علي (ع) وهو قول مجاهد وفي كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن سدير الصيرفي عن أبي جعفر (ع) قال لقد عرف رسول الله ﷺ عليا (ع) أصحابه مرتين أما مرة فحيث قال من كنت مولاه فعلي مولاه وأما الثانية فحيث نزلت هذه الآية فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الآية أخذ رسول الله ﷺ بيد علي (ع) فقال أيها الناس هذا صالح المؤمنين وقتلت أسماء بنت عميس سمعت أن النبي ﷺ يقول وصالح المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) (والملائكة بعد ذلك) أي بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين عن مقاتل (ظهير) أي اعوان للنبي ﷺ وهذا من الواحد الذي يؤدي معنى الجمع كقوله وحسن أو تلك رفيقا (عسى ربه) أي واجب من الله ربه (إن ظلكن) بأمعشر أزواج النبي (ان يبدله أزواجا خيرا منكن أي أصلح له منكن ثم نمت تلك الأزواج الآتي كان يبدله بهن لو طلق نساءه فقال (مسلمات) أي مستلمات لما أمر الله به (مؤمنات) أي مصدقات لله ورسوله مستحقات للثواب والتعظيم وقيل مصدقات في أفعالهن وأقوالهن (قائلات) أي مطيعات لله تعالى ولأزواجهن وقيل خاضعات متذلات لأمر الله تعالى وقيل ساكنات عن الغنا والفضول عن قتادة (ثابتات) عن الذنوب وقيل راجعات إلى أمر الرسول تاركات لمحاب أنفسهن وقيل ناديات على تقصير وقع منهن (عابدات) لله تعالى بما تعبدن به من الفرائض والسنن على الإخلاص وقيل متذلات للرسول بالطاعة (سائعات) أي ماضيات في طاعة الله تعالى وقيل صائعات عن ابن عباس وقاتدة والضحاك وقيل مهاجرات عن ابن زيد وإيه زيد بن أسلم والجبائي وإنما قيل للصائم سائح لأنه يستمر في الإمساك عن الطعام كما يستمر السائح في الأرض (ثبات) وهن الراجعات من عند الأزواج بعد اغتاضهن (وابكارا) أي عذارى لم يكن لهن أزواج

قوله تعالى (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

(٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمِ لَنَا نُورٌ وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
(١٠) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١١)
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ
وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٢) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ
الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ
القانتين سبع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حماد ويحيى عن ابي بكر نصوحا بضم النون والباقون بفتح النون وقرأ اهل البصرة وحفص وكتبه
بضم الكاف والنا على الجمع والباقون وكتباه على الواحد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يشبه أن يكون النصوح بالضم مصدرا وذلك ان ذرمة قال « اجك جبا خالطته نصيحة »
فالنصاحة على فعالة وما كان على فعال من المصادر فقد يكون منه الفعول نحو الذهاب والذهوب ويكون
قد وصف بالمصدر نحو عدل ورضا قال ابو الحسن نصحته في معنى صدقته وتوبة نصوح اي صادقة والفتح
كلام العرب ولا اعرف الضم وحجة من قال وكتبه انه في موضع جمع الا ترى انها قد صدقت بجميع
كتب الله تعالى ومن قال وكتبه اراد الكثرة والشياخ وقد يجبي ذلك في الاسماء المضافة كما يجبي في
الاسماء المفردة كما قالوا ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها

﴿ الاعراب ﴾

والذين آمنوا معه مبتدأ نورهم مبتدأ ثاني ويسمى بين ايديهم في موضع الخبر والجملة خبر المبتدأ الأول
وقوله امرأة فرعون تقديره مثل امرأة فرعون فحذف المضاف وهو بدل من قوله مثلا

﴿ المعنى ﴾

لما أدب سبحانه نساء النبي ﷺ امر عقيبه المؤمنين بتأديب نسايتهم فقال مخاطبا لهم (يا ايها الذين
آمنوا قوا) اي احفظوا واحرسوا وامنوا (انفسكم واهليكم نارا) والمعنى قوا انفسكم واهليكم النار بالصبر

على طاعة الله وعن معصيته وعن اتباع الشهوات وقوا اهلکم النار بدعائهم الى الطاعة وتعليمهم الفرائض
ونهيهم عن القبائح وحثهم على افعال الخير وقال مقاتل بن حيان وهو أن يؤدب الرجل المسلم نفسه واهله
ويعلمهم الخير وينهاهم عن الشر فذلك حق على المسلم أن يفعل بنفسه واهله وعبيده ولعائنه في تأديبهم وتعليمهم
ثم وصف سبحانه النار التي حذرهم منها فقال (وقودها الناس والحجارة) اي حطب تلك النار الناس وحجارة
الكبريت وهي تزيد في قوة النار وقد مر تفسيره (عليها ملائكة غلاظ شداد) اي غلاظ القلوب لا يرحمون
اهل النار اقرباء. يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم (لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون) وفي
هذا دلالة على ان الملائكة الموكلين بالنار معصومون عن القبائح لا يخالفون الله في اوامره ونواهيه وقال
الجبائي إنما عنى انهم لا يعصونه ويفعلون ما يأمرهم به في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف
وإنما هي دار جزاء وإنما امرهم الله تعالى بتعذيب اهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم ولذاتهم
في تعذيب اهل النار كما جعل سرور المؤمنين ولذاتهم في الجنة ثم حكى سبحانه ما يقال للكفار يوم
القيامة فقال (يا ايها الذين كفروا لا تتذروا اليوم) وذلك انهم اذا عذبوا يأخذون في الاعتذار فلا يلتفت
الى معاذيرهم ويقال لهم لا تتذروا اليوم فهذا جزاء فعلكم وذلك قوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون)
ثم عاد سبحانه الى خطاب المؤمنين في دار التكليف فقال (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله) من
معاصيه وارجعوا الى طاعته (توبة نصوحا) اي خالصة لوجه الله وروى عكرمة عن ابن عباس قال
قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يتوب التائب ثم لا يرجع في ذنب كما
لا يعود اللبن الى الضرع وقال ابن مسعود التوبة النصوح هي التي تكفر كل سيئة وهو في القرآن
ثم تلا هذه الآية وقيل ان التوبة النصوح هي التي ينصح الانسان فيها نفسه باخلاص الندم مع العزم على
أن لا يعود الى مثله في القبح وقيل هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه عن
الحسن وقيل هي الصادقة الناصحة عن قتادة وقيل هي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب وبمسك بالبدن
عن الكلبي وقيل هي التوبة المقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاث خوف أن لا تقبل ورجاء أن
تقبل وادمان الطاعة عن سعيد بن جبير وقيل هي أن يكون الذنب نصب عينيه ولا يزال كأنه ينظر اليه وقيل
هي من النصح وهو الخياطة لأن العصبان يخرق الدين والتوبة ترقمه وقيل لأنها جمعت بينه وبين اولياء
الله كما جمع الخياط الثوب والصق بعضه ببعض وقيل لأنها احكمت طاعته واوثقتها كما احكم الخياط الثوب
واوثقه (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) اي يحطها عنكم
ويدخلكم الجنة وعسى من الله واجب ثم قال (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) اي لا يعذبهم
الله بدخول النار ولا يذلمهم بذلك بل يعزهم بإدخالهم الجنة وقيل لا يخزي الله النبي اي لا يشوره فيما يريد
من الشفاعة بل يشفعه في ذلك (نورهم يسمي بين ايديهم وبأيمنهم) مفسر في سورة الحديد وقال ابو عبد
الله (ع) يسمي أئمة المؤمنين يوم القيامة بين ايديهم وبأيمنهم حتى ينزلوهم منازلهم في الجنة (يقولون ربنا)
وهو في موضع نصب على الحال تقديره قائلين ربنا (اتم لنا نورنا) وقيل ان قوله والذين آمنوا معه مبتدأ
ونورهم يسمي خبره ويقولون اتم لنا نورنا خبر آخر من الذين آمنوا وحال منهم وفيه وجه آخر ذكرناه في
الاعراب وقيل اتم لنا نورنا معناه وقفنا للطاعة التي هي سبب النور (واغفر لنا) اي استر علينا معاصينا

ولا تهلكنا بها (إنك على كل شيء قدير) من اطفاء نور المنافقين واثبات نور المؤمنين ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (يا ايها النبي جاهد الكفار) بالقتال والحرب (والمنافقين) بالقول الرادع عن القبيح لا بالحرب إلا أن فيه بذل المجهود فذلك ساء جهادا وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين وقال ان رسول الله ﷺ لم يقابل منافقا قط وإنما كان يتألفهم (واغلظ عليهم) أي اشدد عليهم من غير محاباة وقبل اشدد عليهم في اقامة الحد عليهم قال الحسن أكثر من يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فأمر الله تعالى أن يغلظ عليهم في اقامة الحد (وما أوههم) أي مأل الكفار والمنافقين (جهنم وبئس المصير) أي المآل والمستقر ثم ضرب الله المثل لأزواج النبي حثا لهم على الطاعة وبيانا لهم ان مصاحبة الرسول مع مخالفته لا تنفعهم فقال (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا) أي نبيين من انبيائنا (صالحين فخانناهما) قال ابن عباس كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس انه مجنون وإذا آمن بنوح احد اخبرت الجبايرة من قوم نوح به وكانت امرأة لوط تدل على اضيافه فكان ذلك خيانتها وما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها في الدين وقال السدي كانت خيانتها انها كانتا كافرتين وقيل كانتا منافقتين وقال الضحاك خيانتها التسمية اذا اوحى الله اليهما افشائه الى المشركين (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أي ولم يغن نوح ووط مع نبوتها عن امرأتها من عذاب الله شيئا (وقيل) أي ويقال لهما يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) وقيل ان اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط واهلة وقال مقاتل والنفث والاهلة (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) وهي آسية بنت مزاحم قبل انها لما طابت المعجز من عصي موسى وغلبته السحرة اسلمت فلما ظهر لفرعون ايمانها نهاها فأبت فاوتديدها ورجلها باربعة اوتاد والقاهها في الشمس ثم أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة فلما قرب أجلها (قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فرفعها الله تعالى الى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب عن الحسن وابن كيسان وقيل انها ابصرت بيتا في الجنة من درة وانزع الله روحها فالقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح فلم تجد ألما من عذاب فرعون وقيل انها كانت تعذب بالشمس واذا انصرفوا عنها اغلظها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنة عن سلمان (ونجني من فرعون وعمله) أي دينه وقيل وجماعة عن ابن عباس (ونجني من القوم الظالمين) من اهل مصر قالوا قطع الله بهذه الآية طمع من ركب المعصية رجاء أن يقطعه صلاح غيره واخبر ان معصية النير لا تضر من كان مطيعا قال مقاتل يقول الله سبحانه لما نشق وحفصة لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم وهو قوله (ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجا) أي منعت فرجا من دنس المعصية وعفت عن الحرام وقيل معناه منعت فرجا من الازواج لم تبغ زوجا ولا غيره (فنفخنا فيه من روحنا) أي فنفخ جبرائيل بأمرنا في جيبها من روحنا عن قتادة وقال الفراء كل شق فهو فرج واحصنت فرجا منعت جيب درعها من جبرائيل وقيل نفخ جبرائيل في فرجا وخلق الله منه المسيح وهو الظاهر ولذلك ذكره وقال في سورة الانبياء فيها وعاد الضمير الى التي احصنت فرجا وقيل معناه خلقنا المسيح في بطنها ونفخنا فيه الروح حتى صار حيا فالضمير في فيه يعود الى المسيح (وصدقت بكلمات ربه) أي بما تكلم الله تعالى واوحاه الى انبيائه وملائكته وقيل صدقت بوعده الله ووعيده وأمره ونهيه (وكتبه) أي وصدقت بكتب الله المنزلة على انبيائه مثل التوراة والانجيل ومن وحد فالمراد به الانجيل (وكانت من

القائتين) اي المطيعين لله سبحانه والدائمين على طاعته ويجوز ان يكون من القنوت في الصلاة ويجوز ان يريد بالقائتين رهطها وعشيرتها الذين كانت مريم منهم وكانوا اهل بيت صلاح وطاعة ولم يقل من القائنات لتغليب المذكور على الموتى وجاءت الرواية عن معاذ بن جبل قال دخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي تجود بنفسها فقال اكره ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله في الكره خيرا كثيرا فلماذا قدمت على ضرائك فاقرأيهن مني السلام قالت يا رسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة او كريمة اخت موسى شك الراوي فقالت بالرفاء والبنين وعن ابي موسى عن النبي ﷺ قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ



سورة الملك

وتسمى سورة المنجية لأنها تنجي صاحبها من عذاب القبر وقد ورد به الخبر وتسمى الواقعة لما روي عن النبي ﷺ انها الواقعة من عذاب القبر وهي مكية

✽ عدد آياتها ✽

احدى وثلاثون آية مكية والمدني الأخير وثلاثون آية في الباقيين

✽ اختلافها ✽

آية واحدة قد جاءنا نذير مكي والمدني الأخير

✽ فضلها ✽

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة تبارك فكان ما احيا ليلة القدر وعن ابن عباس قال قال رسول ﷺ وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن وعن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وادخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن ابن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره يوتى من قبل رجليه فيقال له ليس لكم عليه سبيل لأنه قد كانت يقوم بسورة الملك ثم يوتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ سورة الملك ثم قال هي الممانعة من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب وروى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر (ع) قال سورة الملك هي الممانعة تمنع من عذاب القبر وهي مكتوبة في التوراة سورة الملك ومن قرأها في ليلة فقد أكثر وأطاب ولم يكتب من الغافلين واني لأر كع بها بعد العشاء الآخرة وانا جالس وان الذي كان يقرأها

في حياته في يومه وليلته إذا دخل عليه في قبره ناكر ونكير من قبل رجليه قالت رجلاه لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل قد كان هذا العبد يقوم علي فيقرأ سورة الملك في كل يوم وليلة فإذا أتياه من قبل جوفه قال لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل كان هذا العبد وقد وعى سورة الملك وإذا أتياه من قبل لسانه قال لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل قد كان هذا العبد يقرأ في كل يوم وليلة سورة الملك ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة تبارك الذي بيده الملك في المكتوبة قبل أن ينام لم يزل في امان الله حتى يصبح وفي امانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة ان شاء الله

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بأن الوصلة لا تنفع الا بالطاعة وأصل الطاعة المعرفة والتصديق بالكلمات الالهية افتتح هذه السورة بدلائل المعرفة وآيات الربوبية فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(٢) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٣)
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٤) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ
(٥) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ
خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي من نفوت بتشديد الواو من غير الف وهي قراءة الأعمش والباقون تفأوت بالالف

✽ الحجة ✽

قال ابو الحسن تفأوت اجود لأنهم يقولون تفأوت الأمر ولا يكادون يقولون نفوت الأمر قال وهي اظن لغة قال سيبويه قد يكون فاعل وفعل بمعنى نحو ضاعف وضعف وتفاعل مطاوع فاعل كما أن تفعل مطاوع فعل فاعل هذا القياس يكون تفاعل وتفاعل بمعنى وتفاوت وتنفوت بمعنى

✽ التفة ✽

تبارك اصله من البرك وهو ثبوت الطائر على الماء والبركة ثبوت الخبير بنمائه وقوله طباقا مصدر طوبقت طباقا فهي مطبق بعضها على بعض عن الزجاج وقبل هو جمع طبق مثل جمل وجمال والتفاوت الاختلاف والاضطراب والفتور الشقوق والصدوع من الفطر وهو الشق الخاسي الذليل الصاغر وقيل هو البعيد مما يريد منه وقيل للكلب اخسا والحسير من الاوبل المعبي الذي لا فضل فيه للسير قال

بهاجيف الحسرى فأما عظامها فبييض واما جلدها فصليب
والسعير النار المسعرة واعتدنا اصله اعددنا اي هيأنا فأبدلت الدال تاء

* الاعراب *

الذي خلق بدل من الذي بيده الملك ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف فعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ما قبله وعلى الوجه الأول لا يجوز وقوله أيكم احسن عملا تعليق لأن التقدير ليلوكم فيعلم أيكم احسن عملا وارتفع أي بالابتداء وإنما لم يعمل فيه ما قبله لأنه على اصل الاستفهام وطبقا نصب على الحال إذا اردنا في سموات معنى الالف واللام وان جعلناها نكرة كانت طبقا صفتها وقوله كرتين منصوب على المصدر أي رجتين

* المعنى *

اخبر سبحانه عن عظمته وعلو شأنه وكمال قدرته فقال (تبارك) أي تعالى وجل عما لا يجوز عليه في ذاته وافعاله عن أبي مسلم وقيل معناه تعالى بأنه الثابت الذي لم يزل ولا يزال وقيل معناه تعاضم بالحق من ثبوت الاشياء به اذ لولاه لبطل كل شيء لأنه لا يصح سواه شيء الا وهو مقدوره او مقدور مقدوره الذي هو القدرة وقيل معناه تعالى من جميع البركات منه الا ان هذا المعنى مضمرة في الصفة غير مصرح به وإنما المصرح به بأنه تعالى باستحقاق التعظيم (الذي بيده الملك) والملك هو اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير ومعناه الذي هو المالك وله الملك يؤتبه من يشاء ويتصرف فيه كما يشاء وإنما ذكر البداية كيدا ولأن أكثر التصرفات والبطايا باليد (وهو على كل شيء قدير) من انعام وانتقام وقيل انه معناه قادر على كل شيء يصح أن يكون مقدورا له وهو اخص من قولنا وهو بكل شيء عليم لأنه لا شيء إلا ويجب أن يعلمه اذ لا شيء الا ويصح أن يكون معلوما في نفسه ولا يوصف سبحانه بكونه قادرا على ما لا يصح أن يكون مقدورا في نفسه مثل ما تفضى وقته مما لا يبقى ثم وصف سبحانه نفسه فقال (الذي خلق الموت والحياة) أي خلق الموت لتعبد بالصبر عليه والحياة لتعبد بالشكر عليها وقيل خلق الموت للاعتبار والحياة للتزود وقيل انما قدم ذكر الموت على الحياة لأنه الى القهر اقرب كما قدم النبات على البنين في قوله يهب لمن يشاء انانا الآية وقيل إنما قدمه لأنه اقدم فان الأشياء في الابتداء كانت في حكم الأموات كالنطفة والتراب ثم اعترضت الحياة (ليلوكم أيكم احسن عملا) أي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كل عامل بقدر عمله وقيل ليلوكم أيكم أكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا واحسن صبورا على موته وموت غيره وأيكم أكثر امتثالا للأوامر واجتنابا عن النواهي في حال حياته قال ابو قتادة سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى أيكم احسن عملا معني به فقال يقول أيكم احسن عقلا ثم قال اتمكم عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا وعن ابن عمر عن النبي ﷺ انه تلا قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك الى قوله أيكم احسن عملا ثم قال أيكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وعن الحسن أيكم ازهد في الدنيا واترك لها (وهو العزيز) في انتقامه ممن عصاه (الغفور) لمن تاب اليه او لمن اراد التفضل عليه باسقاط عقابه والتكليف انما يصح بالترغيب والترهيب لأن معناه تحمل المشقة في الأمر والنهي ثم عاد سبحانه الى وصف نفسه فقال (الذي خلق سبع سموات) أي أنشأهن واخترهن (طباقا) واحدة فوق الاخرى وقيل اراد بالمطابقة المشابهة أي يشبه بعضها بعضا في الاوتان والاحكام والاتساق والانتظام (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي اختلاف وتناقض من طريق الحكمة

بل ترى افعاله كلها سواء في الحكمة وإن كانت متفاوتة في الصور والهيئات يعني في خلق الأشياء على العموم وفي هذا دلالة على ان الكفر والمعاصي لا يكون من خلق الله تعالى لكثرة التفاوت في ذلك وقيل معناه ما ترى يا ابن آدم في خلق السموات من عيب واعوجاج بل هي مستقيمة مستوية كلها مع عظمها (فارجع البصر) اي فرد البصر وأدره في خلق الله واستقص في النظر مرة بعد اخرى والتقدير انظر ثم ارجع النظر في السماء (هل ترى من فطور) اي شقوق وفروق عن سفیان وقيل من وهن وخلل عن ابن عباس وقتادة (ثم ارجع البصر كرتين) اي ثم كرر النظر مرتين لأن من نظر في الشيء كرهة بعد اخرى بان له ما لم يكن باننا وقيل معناه ادم النظر والتقدير ارجع البصر مرة بعد اخرى ولا يريد حقيقة الثنية لقوله وهو حسير ولا بصير حسيرا بمرتين ونظيره قولهم لييك وسعديك اي البابا بعد الباب واسعادا بعد اسعاد يعني كما دعوتني فأنا ذواجابة بعداجابة وذو ثبات بمكاني بعد ثبات من قولهم لب بالمكان وأب إذا ثبت واقام وهو نصب على المصدر اي اجيبك اجابة بعد اجابة (ينقلب اليك البصر خاسئا) اي يرجع اليك بصرك بعيدا عن نبل المراد ذليلا صاغرا عن ابن عباس كأنه ذل كذلك مسن طاب شيئا فلم يجده وابعده عنه (وهو حسير) اي كال معي عن قتادة والتحقيق أن بصر هذا الناظر بعد الاعياء يرجع اليه بعيدا عن طلبته خائبا في بغيته ثم أقسم سبحانه فقال (ولقد زينا السماء الدنيا) لأن هذه اللام هي التي يتلقى بها القسم أي حسنا السماء الدنيا يعني التي هي ادنى إلى الأرض وهي التي يراها الناس (بصايبح) واحدها مصباح يعني الكواكب ساها المصاييح لأضائها وهي السرج) وجعلناها رجوما للشياطين (الذين يسترقون السمع وقيل ينفصل من الكواكب شهب تكون رجوما للشياطين فاما الكواكب انفسها فليست تزول إلى أن يريد الله تعالى افناءها عن الجبائي) واعتدنا لهم عذاب السعير) يعني أنا جعلنا مع الكواكب رجوما للشياطين هيأنا لهم وادخرنا لأجلهم عذاب النار المسعرة المشعلة وفي هذا دلالة على أن الشياطين مكلفة

قوله تعالى (٦) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ (٧) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٨) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَّ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٩) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (١٠) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر والكسائي فسحقا بضمين والباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

سُحِقٌ وسُحِقٌ مثل عُنُقٍ وعُنُقٍ وطَنِبٌ وطَنِبٌ ونحو ذلك وكلاهما حسن

﴿ اللفظة ﴾

الشهيق صوت تقطيع النفس كالنزع واذا اشتد لهيب النار سمع منها ذلك الصوت كأنها تطلب الوقود

قال روية حشر في الجوف سحبلأوشهق حتى يقال ناهق وما نهق
وقيل إن الشبهق في الصدر والزفير في الحلق والفور ارتفاع الشيء بالنفثان يقال فارت القدر تفور ومنه الفوارة
لا ارتفاعها بالماء ارتفاع النفيان ومنه فار الدم من الجرح وفار الماء من الأرض والسحق البعد يقال اسحقهم الله
اسحاقا وسحقا أي الزمهم الله سحقا عن الخبير فجاه المصدر على غير لفظه كما قال والله انبتكم من الأرض نباتا
وتقديره فأسحقهم اسحاقا واما سحقته سحقا فمعناه باعدته بالتفريق عن حال اجتماعه حتى صار كالغبار

✽ المعنى ✽

لما تقدم وعيد الشياطين الذين دعوا إلى الكفر والضلال اتبعه سبحانه بذكر الكفار الضلال فقال
(وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) أي بئس المال والمرجع وإنما وصف يشس وهو من صفات
الذم والمعاقب حسن لما في ذلك من الضر الذي يجب على كل عاقل ان يتقيه بقاية الجهد ولا يجوز قباسا على
ذلك أن يوصف به فاعل العقاب لأنه لا يقال بئس الرجل إلا على وجه الذم ووجه الحكمة في فعل العقاب
ما فيه من الزجر المتقدم للمكاف ولا يمكن أن يكون مزجورا إلا به ولولاه لكانت مغرى بالتبجح (إذا
القوا فيها سمعوا لها شهيقا) أي اذا طرح الكفار في النار سمعوا للنار صوتا فظيما مثل صوت القدر عند فورانها
وغليانها فيعظم بسامع ذلك عذابهم لما يرد على قلوبهم من هولها (وهي تفور) أي تغلي بهم كغلي المرجل
(تكاد تميز) أي تنقطع وتتفرق (من الغبظ) أي شدة الغضب سمى سبحانه شدة التهاب النار غيظا على
الكفار لأن المتناظ هو المنقطع ما يجد من الألم الباعث على الإيقاع بتغييره فحال جهنم كحال
المنغيظ (كلما التي فيها) أي كلما طرح في النار (فوج) من الكفار (سألمم خزنتها ألم يأتكم نذير) أي تقول
لهم الملائكة الموكلون بالنار على وجه التوبيخ لهم في صيغة الاستفهام ألم يحشمكم مخوف من جهة الله سبحانه
يخوفكم عذاب هذه النار (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) أي فيقولون في جوابهم
بلى قد جاءنا مخوف فلم نصدقه وكذبناه ولم نقبل منه بل قلنا له ما نزل الله شيئا مما تدعونا إليه وتحذرننا منه
فتقول لهم الملائكة (إن أنتم إلا في ضلال كبير) أي لستم اليوم إلا في عذاب عظيم وقبل معناه قلنا
لرسل ما أنتم إلا في ضلال أي ذهب عن الصواب كبير في قولكم انزل الله علينا كتابا (وقالوا لو كنا
نسمع أو نعقل) من النذر ما جاؤونا به ودعونا إليه وعللنا بذلك (ما كنا في اصحاب السعير) وقال الزجاج
لو كنا نسمع سمع من يعي ويفكر ونعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من اهل النار وفي الحديث عن ابن
عمر أن النبي ﷺ قال إن الرجل ليكون من اهل الجهاد ومن اهل الصلاة والصيام ومعنى بأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله وعن انس بن مالك قال انني قوم على رجل
عند رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ كيف عقل الرجل قالوا يا رسول الله تخبرك عن اجتهاده
في العبادة واصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال إن الاحق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع
العباد غدا في الدرجات وبنالون الرغبي من ربه على قدر عقولهم ثم قال سبحانه (فاعترفوا بذنوبهم) في ذلك
الوقت الذي لا ينفعهم فيه الاقرار والاعتراف والاقرار مشتق من قر الشيء يقر قرارا إذا ثبت والاعتراف
مأخوذ من المعرفة والذنب مصدر لا ينثى ولا يجمع ومتى جمع فلاختلاف جنسه (فسحقا لأصحاب السعير)
هذا دعاء عليهم أي أسحقهم الله وابعدهم من النجاة سحقا واذا قيل ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم

من الفضيحة به فالجواب انهم قد علموا حصولهم على الفضيحة اعترفوا أم لم يعترفوا فليس يدعوهم الى احد الامرين ولا مثل ما يدعوهم الى الآخر في انه لا فرج فيه فاستوى الامر ان عليهم الاعتراف وترك الاعتراف والجزع وترك الجزع

قوله تعالى (١٢) إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٣) وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٤) أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٥) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٦) أَأَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٧) أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٨) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٩) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (٢٠) أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢١) أَمَنْ هَذَا الَّذِي بَرَزْتُكُمْ أَنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عْتَوٍ وَنُفُورٍ عشر آيات

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير النشور وامتمم وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب بهمزة واحدة ممدودة وهو تحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية بأن تجعل بين بين وقرأ الباقون أمتمم بهمزتين

❖ الهمزة ❖

أما الأول فهو تخفيف الهمزة الاولى بأن جعلت واوا وهذا في المنفصل نظير قولهم في المتصل التودة وجون في جمع جوتة فأما الهمزة التي هي فاء من قولهم أمتمم بعد تخفيف الاولى بقلبها واوا فإنه يجوز فيه التحقيق والتخفيف فإن حقق كان لفظه النشور وامتمم وان خفف كان القياس ان تجعل بين بين اعني بين الألف والهمزة لتحركها بالفتحة ومن قال «لا هناك المرتع» وقلبها الفاء كان القياس ان يقول هنا النشور وامتمم بقلبها الفاء محضة وسيبويه يميز هذا القلب في الشعر وغير حال السعة وكان قياس قول ابي عمرو على ما حكاه عنه سيبويه من أنه إذا اجتمع همزتان خفف الاولى منها دون الثانية ان يقلب الأولى منها هنا واوا كما فعله ابن كثير فأما الثانية فإن شاء حققها وإن شاء خففها وتخفيفها ان تجعل بين الهمزة والألف ولعل أبا عمرو ترك هذا القول في هذا الموضع فأخذ فيه بالوجه الآخر وهو تخفيف الثانية منها إذ التقنا دون الاولى

❖ اللفظة ❖

اللطيف من الله الرأفة والرحمة والرفق واللطيف الرفيق بعباده يقال لطف به يلفظ لطفًا إذا رفق به والذلول من المراكب مالا صعوبة فيه ومناكب الارض ظهورها ومنكب كل شيء اعلاه واصاله الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء والنشور الحياة بعد الموت يقال نشر الميت ينشر نشورًا إذا عاش ونشره الله احياء

قال الأعشى حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للبيت الناشر
 واصله من النثر ضد الطي والحاصب الحجارة التي ترمى بها كالحصاة وحصبه بالحصاة يحصبه حصبا إذا
 رماله بها ويقال للذي يرمى به حاصب اي ذو حصب

✽ الاعراب ✽

بالغيب في موضع نصب على الحال الا يعلم من خلق فيه وجوه ✽ احدها ✽ ان يكون من خلق في
 موضع رفع بأنه فاعل يعلم والتقدير الا يعلم من خلق الخلق ضائر صدورهم ✽ الثاني ✽ ان يكون من خلق
 في موضع نصب بأنه مفعول به وتقديره الا يعلم الله من خلقه ✽ الثالث ✽ ان يكون من استفهاما في
 موضع نصب بأنه مفعول خلق وفاعل خلق الضمير المستكن فيه العائد إلى الله تعالى والاول أصح الوجوه وقوله
 ان يخسف بكم الارض في موضع نصب بأنه بدل من في قوله من في السماء وهو بدل الاشتغال فإذا هي تمور
 إذا ظرف المفاجأة وهو معمول قوله وهي تمور جملة في موضع نصب على الحال من يخسف بكم الارض وذو الحال
 الارض وان يرسل بدل ايضا مثل قوله ان يخسف وقوله كيف نذير مبتدأ وخبر والخبر مقدم والجملة متعلقة
 بقوله فستعلمون والتقدير فستعلمون محذور انذاري ام لا وقوله فكيف كان نكبر كيف هنا خبر كان وقوله
 ويقبضن معطوف على صافات وإنما عطف الفعل على الاسم ومن الاصل المقرر ان الفعل لا يعطف إلا على
 الفعل كما ان الاسم لا يعطف الا على الاسم لانه وان كان فعلا فهو في موضع الحال فتقديره تقدير اسد
 فاعل وصافات جال فجاز ان يعطف عليه فكأنه قال صافات وقابضات وقد جاء مثل هذا في الشعر قال

بات يغشيها بمعضب باثر يعدل في اسواقها وجائر

أمن هذا الذي هو جند لكم من هنا استفهام في موضع رفع بالابتداء دخل عليه ام المتقطعة وهذا مبتدأ
 ثان والذي خبره وقد وصل بالمبتدأ والخبر وهو قوله هو جند لكم وينصر كم صفة الجند

✽ المعنى ✽

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بالوعد فقال (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) اي يخافون عذاب ربهم
 بانقاء معاصيه وفضل طاعاته على وجه الاستمرار بذلك لأن الخشية متى كانت بالغيب على ما ذكرنا كانت
 بعيدة من الرياء خالصة لوجه الله وخشية الله بالغيب تنفع بأن يستحق عليها الثواب وخشية في الظاهر بترك المعاصي
 لا يستحق بها الثواب فإذا الخشية بالغيب افضل لاعماله وقيل بالغيب معناه انهم يخشونه ولم يروه فيؤمنون
 به خوفا من عذابه وقيل يخافونه حيث لا يراهم مخلوق لأن اكثر ما ترتكب المعاصي انما ترتكب في حال
 الخلوة فهم يتركون المعصية لئلا يجعلوا الله سبحانه اهون الناظرين اليهم ولأن من تركها في هذه الحال
 تركها في حال العلانية ايضا (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اي عظيم في الآخرة لافناء له ثم قال
 سبحانه مهدد المعصاة (واسروا قولكم أو اجهروا به انه عليهم بذات الصدور) يعني انه عالم باخلاص المخلص ونفاق
 المنافق فإن شئتم فأظهروا القول وإن شئتم فأبطنوه فإنه عليهم بضائر القلوب ومن علم إضمار القلب علم اسرار القول قال
 ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره به جبرئيل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم لكيلا يسمع
 آل محمد فنزلت الآية (ألا يعلم من خلق) قيل في معناه وجوه ✽ احدها ✽ الا يعلم ما في الصدور
 من خلق الصدور ✽ وثانها ✽ الا يعلم سر العبد من خلقه اي من خلق العبد فعلى الوجهين يكون من خلق

بمعنى الخالق * وثالثها * ان يكون من خلق بمعنى المخلوق والمعنى الا يعلم الله مخلوقه (وهو اللطيف)
اي العالم بما لطف ودق وقيل اللطيف بعباده من حيث يدبرهم بالطف التدبير واللطيف التدبير من يدبر تدبيراً
نافذاً لا يجفون شي . يدبره به وقيل اللطيف من كان فعله في اللطف بحيث لا يبتدي اليه غيره وهو فيل
بمعنى فاعل كالتقدير والعليم وقيل هو بمعنى الملتطف كالبديع بمعنى المبدع وقيل اللطيف الذي يكلف اليسير
ويعطي الكثير (الخبير) العالم بالعباد واعمالهم ثم عدد سبحانه انواع نعمه ممتازة على عباده بذلك فقال (هو
الذي جعل لكم الارض ذلولاً) اي سهلاً ساكنة مسخرة تملأونها فيها ما تشتهون وقيل ذلولاً لم يجعلها بحيث
يمنع المشي فيها بالحزونة والغلظ وقيل ذلولاً موطأة للتصرف فيها والمسير عليها ويمكنكم زراعتها (فامشوا في
مناكبها) اي في طرقها وفجاجها عن مجاهد وقيل في جبالها لان منكب كل شي اطلاقه عن ابن عباس
وقتادة ثم ان كان هذا امر ترغيب فالمراد فامشوا في طاعة الله وان كان للإباحة فقد اباح المشي فيها لطلب
المنافع في التجارات (واكلوا من رزقه) اي اكلوا ما انبت الله في الارض والجبال من الزروع والاشجار حلالاً
(واليه النشور) أي وإلى حكمه المرجع في القيامة وقيل معناه واليه الاحياء للمحاسبة فهو مالك النشور
والقادر عليه عن الجبائي ثم هدد سبحانه الكفار زاجرا لهم عن ارتكاب معصيته والجهود لربوبيته فقال (اأنتم
من في السماء) اي أنتم عذاب من في السماء سلطانه وامره ونهيه وتديبره لا بد ان يكون هذا معناه لاستحالة
ان يكون الله جل جلاله في مكان او في جهة وقيل يعني بقوله من في السماء الملك الموكل بمذاب العصاة (ان
يخسف بكم الارض) يعني ان يشق الارض فيغيثكم فيها اذا عصيتموه (فاذا هي تمور) اي تضطرب
وتتحرك والمعنى ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب فوقهم وهم يخسفون فيها حتى
تلقهم إلى أسفل والمور التردد في الذهاب والمجيء مثل الموج (ام أمتم من في السماء ان يرسل عليكم
حاصباً) اي ريحاً ذات حجر كما ارسل على قوم لوط حجارة من السماء وقيل حاصباً يحصب عليكم الحجارة
(فتعلمون) حيثئذ (كيف نذير) اي كيف انذاري اذا عابتم العذاب (ولقد كذب الذين من
قبلهم) رسلي وجحدوا وحدانيتي (فكيف كان نكير) أي عقربي وتغيير ما بهم من النعم وقيل كيف
رأيتم انكاري عليهم باهلاكهم واستئصالهم ثم به سبحانه على قدرته على الخسف وارسال الحجارة فقال
(اولم يروا الى الطير فوقهم صافات) تصف اجنحتها في الهواء فوق رؤسهم (ويقبضن) اجنحتهن بعد البسط
وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط اي يضربن بأرجلهن ويسطن اجنحتهن تارة ويقبضن
اخرى فالجول الطائر كالما لسابع وقيل معناه ان من الطير ما يضرب بجناحه فيصف ومنه ما يسكنه فيدف ومنه
الصفيف والديف (ما يسكنن الا الرحمن) بوطئة الهواء لمن ولولا ذلك لسقطن وفي ذلك اعظم دلالة
واوضح برهان وحجة بأن من سخر الهواء هذا التخير على كل شي تقدير والصف وضع الأشياء المتوالي على
خط مستقيم والقبض جمع الأشياء عن حال البسط والامساك الزوم المانع من السقوط عن علي بن عيسى
(انه بكل شي بصير) أي يجسيم الأشياء عليهم (ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن)
هذا استفهام انكار اي لا جند لكم ينصركم مني ويمنعكم من عذابي ان اردت عذابكم عن ابن عباس ولفظ
الجند موحد ولذلك قال هذا الذي وكنه سبحانه يقول للكفار بأي قوة تصونني الكم جند يدفع عنكم
عذابي بين بذلك أن الاصنام لا يقدر على نصرتهم (إن الكافرون الا في غرور) أي ما الكافرون الا في

غرور من الشيطان يغرم بأن العذاب لا ينزل بهم وقيل معناه ما هم الا في أمر لا حقيقة له من عبادة الاوثان يتوهمون ان ذلك ينفعهم والامر بخلافه (ام من هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه) أي الذي يرزقكم ان امسك الله الذي هو رزقكم اسباب رزقه عنكم وهو المطرها هنا (بل لجوا في عتو ونفور) أي ليسوا يبشرون فينظرون بل تآدوا واستمروا في اللجاج وجاوزوا الحد في تآديهم ونفورهم عن الحق وتباعدهم عن الايمان لما كان للمشركين صوارف كثيرة عن عبادة الاوثان وهم كانوا يتحتمون بذلك على العصيان فقد لجوا في عتوهم قال الفراء قوله من هذا الذي يرزقكم الآية تعريف حجة الزمها الله العباد ففرقوا فأقروا بها ولم يردوا لها جواباً فقال سبحانه بل لجوا في عتو ونفور

قوله تعالى (٢٢) أفمن يبشئ مكباً على وجهه أهدى أمن يبشئ سوياً على صراط مستقيم (٢٣) قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون (٢٤) قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون (٢٥) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٢٦) قل إنما أعلم عند الله وإنما أنا نذير مبين (٢٧) فلما رأوه زلزلة سببت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون (٢٨) قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمتنا فمن ينجي الكافرين من عذاب أليم (٢٩) قل هو الرحمن آمننا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين (٣٠) قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأينكم بماء معين

نسع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب تدعون ساكنة الدال خفيفة وهو قراءة الحسن والضحاك وقاتادة والباقون تدعون بالتشديد وقرأ الكسائي فيعلمون بالياء والباقون بالنا.

﴿ الحجة ﴾

اما قوله تدعون فالمعنى هذا الذي كنتم به تدعون الله كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع واما تدعون بالتشديد فمعناه تتدعون بوقوعه قال ابن جني يعني كان الدعوة بوقوعه فاشية بينكم كقوله تعالى في معنى العموم ولا تنازوا بالالقب اي لا يفس هذا فيكم وليس معنى تدعون هنا من ادعاء الحقوق وانما بمعنى تتدعون من الدعاء لا من الدعوى كما في قول الشاعر «فا برحت خبل ثوب وتدعي» يعني تدعى بينهما يا لفلان

﴿ اللفظة ﴾

يقال كبتته فأكب وهو نادر مثل قشمت الريح السحاب فاقشمت ونزفت البثر فانزفت أي ذهب ماؤها ونسلت ريش الطائر فأنسل والزلقة القرية وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع ومنه المزدلفة لقربه من مكة وقد تجمع الزلقة زلفاً قال المعجاج

ناج طواه الأين ما وجفا طي الليالي زلفاً زلفاً

وساءه الامر بسوءه سوا أي غمه وحرته ومنه اساء يسي اذا فعل ما يوذي الى النعم وماء غور أي

غائر وصف بالمصدر مبالغة كما يقال هو لاء زور فلان وضيغه والمعين قبل انه مفعول ماخوذ من العين فعل
هذا يكون مثل مبيع من البيع وقيل انه من الامعان في الجري فعل هذا يكون على وزن فاعل فكأنه قيل
معنى في الاسراع والظهور

✽ الاعراب ✽

قليلاصفة مصدر محذوف أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة فستعلمون من هو في ضلال مبين يحتمل ان
يكون من استفهاما فيكون اسما موصولا قال ابو علي دخلت الفاء في قوله فمن يجير وقوله فمن يأتيكم لأن
أرأيتم بمعنى اتبهوا أي اتبهوا فمن يجير واتبهوا فمن يأتيكم كما تقول قم فزيد قائم قال ولا يكون الفاء
جواب الشرط وإنما يكون جواب الشرط مدلول أرأيتم قال وان شئت كان الفاء زائدة مثلها في قوله فلا
تحسبنهم ويكون الاستفهام سادا مسددا مفعولي أرأيتم كقولهم ارايت زيدا ما فعل وهذا من دقائقه

✽ المعنى ✽

ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر والمؤمن قال (افمن يشي مكباً على وجهه) أي منكسرا راسه الى الأرض
فهو لا يبصر الطريق ولا من يستقبله ينظر ايامه ولا يمينه ولا شماله وهو الكافر المقلد لا يدري أمحق هو
أم مبطل هذا (اهدى ام من يشي سويا) أي مستويا قائما يبصر الطريق وجميع جهاته كلها فيضع قدمه حيث
لا يستر وهو المؤمن الذي سلك طريق الحق وعرفه واستقام عليه وامكنه دفع المضار عن نفسه وجلب
المنافع اليها (على صراط مستقيم) أي على طريق واضح قبه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقيل ان هذا
في الآخرة يحشر الله الكافر مكباً على وجهه يوم القيامة كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عن فتادة
(قل) يا محمد هو لاء الكفار (هو الذي أنشأكم) بأن اخرجكم من الدم الى الوجود (وجعل لكم السمع)
تسمعون به السموعات (والابصار) تبصرون بها المبصرات (والافئدة) يعني القلوب تعقلون بها وتتدبرون
فأعطاكم آلات التفكير والتمييز والوصول الى العلم (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون قليلا وقيل معناه قليلا
شكركم فتكون ما مصدرية (قل) لهم يا محمد (هو) الله تعالى (الذي ذرأكم) أي خلقكم (في الارض واليه
تحشرون) منها أي تبعثون اليه يوم القيامة فيجازيكم على اعمالكم ثم حكى سبحانه ما كان يقوله الكفار مستبطين
عذاب الله مستهزئين بذلك فقال (ويقولون حتى هذا الوعد) من الخسف والحاصب او البعث والجزاء (ان كنتم
صادقين) في ان ذلك يكون (قل) يا محمد (انما العلم عند الله) يعني علم الساعة (وانما انا نذير) أي مخوف
لكم به (مبين) أي مبين لكم ما انزل الله الي من الوعد والوعيد والأحكام ثم ذكر سبحانه حالهم عند
نزول العذاب ومعابته فقال (فلما رأوه زلقة) أي فلما رأوا العذاب قريبا يعني يوم بدر عن مجاهد وقيل معابنة
عن الحسن وقيل ان اللفظ ماض والمراد به المستقبل والمعنى اذا بعثوا ورأوا القيامة قد قامت ورأوا ما أعد لهم
من العذاب وهذا قول اكثر المفسرين (سيئت وجوه الذين كفروا) أي اسودت وجوههم وعانتها الكتابة
يعني قبحت وجوههم بالسواد وقيل معناه ظهرت على وجوههم آثار الغم والحسرة ونالهم السوء والغزبي (وقيل)
لهؤلاء الكفار اذا شاهدوا العذاب (هذا الذي كنتم به تدعون) قال الفراء تدعون وتدعون واحد مثل
تدخرون وتدخرون والمعنى كنتم به تستعجلون وتدعون الله بتمجيده وهو قولهم إن كان هذا هو الحق
من عندك الآية عن ابن زيد وقيل هو تدعون من الدعوى أي تدعون أن لاجنة ولا نار عن الحسن

وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني بالأسانيد الصحيحة عن الأعمش قال لما رأوا لعلي بن ابي طالب (ع) عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا وعن ابي جعفر (ع) فلما رأوا مكان علي (ع) من النبي ﷺ سيئت وجوه الذين كفروا يعني الذين كذبوا بفضله (قل) لهؤلاء الكفار (أرأيتم ان اهلكني الله ومن معي) بأن يميتنا (او رحمتنا) بتأخير آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) استحقوه بكفرهم وما الذي ينفعهم في دفع العذاب عنهم وقيل ان الكفار كانوا يمتنون موت النبي ﷺ وموت اصحابه فقيل له قل لهم ان اهلكني الله ومن معي ذلك بأن يميتني ويميت اصحابي فمن الذي ينفعكم ويؤمنكم من العذاب فإنه واقع بكم لا محالة وقيل معناه أرأيتم ان عذبني الله ومن معي او رحمتنا اي غفرلنا فمن يجيركم اي نحن مع ايماننا بالخوف والرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب ولا رجاء لكم كما للمؤمنين عن ابن عباس وابن كيسان ثم قال (قل) لهؤلاء الكفار على وجه التوبيخ لهم (هو الرحمن) اي ان الذي ادعوكم اليه هو الرحمن الذي عمت نعمته جميع الخلائق (أما به وعليه توكلنا) اي عليه اعتمادنا وجميع امورنا اليه فوضنا (فستعلمون) معاشر الكفار يوم القيامة (من هو في ضلال مبين) اليوم اغن ام أنتم ومن قرأ بالياء فمعناه فسيعلم الكفار ذلك (قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا) اي غائرا ناضبا في الآبار والعيون (فمن يأتيكم بماه معين) اي ظاهر للعيون عن ابي مسلم والجباثي وقبل بقاء جار عن ابن عباس وقتادة اراد سبحانه انه المنعم بالارزاق فاشكروه واعبدوه ولا تشركوا به شيئا وذكروا مقاتل انه اراد بقوله ماؤكم بئر زمزم وبئر معيون وهي بئر عادية قديمة وكان ماؤهم من هاتين البئرين والمعين الذي تناله الدلاء وتراه العيون



سورة القلم

وتسمى ايضا سورة ن وهي مكية عن الحسن وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة من اولها الى قوله سنسبهم على الخطيئة مكي وما بعده الى قوله لو كانوا يعلمون مدني وما بعده الى قوله يكتبون مكي وما بعده مدني وهي اثنتان وخمسون آية بالاجماع

فضلاها

ابي بن كعب قل قال النبي ﷺ ومن قرأ سورة ن والقلم اعطاه ثواب الذين حسن اخلاقهم علي ابن مبيون عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة ن والقلم في فريضة أو نافلة آمنه الله أن يصيبه في حياته فقر ابدا واعاذه اذا مات من ضمة القبر ان شاء الله

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الملك بذكر تكذيب الكفار ووعيدهم وافتتح هذه الصورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (٢) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٣) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٤) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٥) فَسَتُبْصِرُ

وَيُبْصِرُونَ (٦) بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُ (٧) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ (٨) فَلَا تُطِيعِ الْمُكْذِبِينَ (٩) وَذَوَا أَلْوَانٍ يَدْعُونَ (١٠) وَلَا تُطِيعِ كُلَّ حَلَّافٍ
مُهَيَّبٍ (١١) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَسِيمٍ (١٢) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٣) عُنْتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ
زَيْمٍ (١٤) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٥) إِذَا تَنَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
(١٦) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ست عشرة آية

❖ القراءة ❖

مضى ذكر اختلاف القراء في إظهار النون وإخفائها من نون في سورة ياس فلا وجه لاعادته وقرأ أبو
جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل ان كان بهمزة واحدة بمدودة على الاستفهام وقرأ أبو بكر عن عاصم
وحمزة أن كان بهمزتين وقرأ الباقر ان كان بفتح الهزة من غير استفهام

❖ الحجة ❖

قال أبو علي ان كان ذامال لا يخلو من أن يكون العامل فيه تنلى من قوله إذا تلى عليه آياتنا أو قال
من قوله قال أساطير الأولين أو شي فالك فلا يجوز أن يعمل واحد منها فيه الا ترى ان تنلى قد أضيفت إذا
اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما قبله لا تقول القتال زيد احين يأتي ولا يجوز أن يعمل فيه قال أيضا لأن قال جواب إذا
وحكم الجواب أن يكون بعدما هو جواب له ولا يتقدم عليه فكما لا يعمل فيه الفعل الأول فكذلك لا يعمل
فيه الثاني فإذا لم يعمل فيه واحد من هذين الفعلين وليس في الكلام غيرها علمت أنه محمول على شيء آخر
ما دل باقي الكلام عليه والذي يدل عليه هذا الكلام من المعنى هو يجحد أو يكفر أو يستكبر عن قبول الحق
ونحو ذلك وإنما جاز أن يعمل فيه المعنى وإن كان متقدما عليه لشبهه بالظرف والظرف قد عمل فيه المعاني
وإن تقدم عليها ويدل على مشابهة الظرف تقدير اللام معه وان من التحويين من يقول أنه في موضع جر كما
أنه لو كانت اللام معه ظاهرة كان كذلك ومن قرأ بهمزة مدودة فإنه يزيد همزة بعدها همزة مخففة

❖ اللغة ❖

السطر الكتابة وهو وضع الحروف على خط مستقيم واستطرا ككتب والمسطر آلة التسطير والمعنون
المقطوع يقال منه السير منه منا إذا قطعه والمنين الضعيف والخلق المروى في الفعل على عادة فانطلق الكرم
الصبر على الحق وتدبير الأمور على مقتضى العقل وفي ذلك الاناة والرفق والحلم والمداراة والمفتون المبتلى بنخبيل الرأي
كالمجنون يقال قن فلان بفلاتة وأصل الفتننة الابتلاء والاختبار والمهين الضعيف الذليل والمهانة الذلة والقلة
والهزاز الوقاع في الناس بما ليس له ان يعيهم به والأصل فيه الدفع بشدة اعتماد ومنه الهزة حرف من
الحروف المعجمة فهي نبرة تخرج من الصدر بشدة اعتماد والنميمة التضريب بين الناس بنقل الكلام الذي يغيظ
بعضهم على بعض والنميمة بمعنى ومنه النمام المشعوم لأنه بمجدة ريمه كالخبر عن نفسه والعتل الجافي
الغليظ وأصله الدفع عتله يتله إذا زعره بنافذة وجفاء والزنيم الدعي الملتصق بالقوم وليس منهم وأصله الزنمة
وهي الهذبة المتدلية تحت حلق الجددي ويقال للئيس له زنمان قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه بغسي الأم ذو حسب لئيم

وقال حساب

وأنت زعيم نيط في آل هاشم
كبا نيط خلف الراكب القدح الفرد
ويقال وسه يسه وسما وسمة وانخرطوم مائتاً من الأنف وهو الذي يقع به الشم ومنه قيل خرطوم
القبيل وخرطمه إذا قطع أنفه

* الاعراب *

بأيكم المفتون فيه وجوه * أحدها * ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما يقال ليس له معقول وماله معقول قال الراعي

حتى إذا لم يتركوا العظامه لحماً ولا لفواده معقولا

* وثانيها * ان يكون المفتون اسم المفعول والباء مزيدة والتقدير أيكم المفتون ويكون مبتدأ وخبراً وتكون
الجملة معلقة بقوله يبصرون * وثالثها * ان الباء بمعنى في والمعنى في أيكم المفتون أي في أي الفريقين في
فرقة الإسلام أو في فرقة الكفر المجنون وهذا قول الفراء وقيل الراجح في زيادة الباء

نحن بني جمدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

أي ونرجو الفرج

* المعنى *

(ن) اختلفوا في معناه فقبل هو اسم من أسماء السورة مثل حم وص وما أشبه ذلك وقد ذكرنا ذلك
مع غيره من الأقوال في مفتتح سورة البقرة وقبل هو الحوت الذي عليه الارضون عن ابن عباس ومجاهد
ومقاتل والسدي وقبل هو حرف من حروف الرحمن في رواية أخرى عن ابن عباس وقيل هو الدواة عن
الحسن وقتادة والضحاك وقيل نون لوح من نور وروي مرفوعاً إلى النبي ﷺ وقيل هو نهر في
الجنة قال الله له كن مداداً فجمد وكان أبيض من اللبن وأحلى من الشهد ثم قال للقلم أكتب فكتب القلم
ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة عن أبي جعفر الباقر (ع) وقيل المراد به الحوت في البحر وهو من آيات
الله إذ خلقها في الماء فإذا فارق الماء مات كما أن حيوان البر إذا خالط الماء مات (والقلم) الذي يكتب
به أقسم الله به لمنافع انطلق فيه إذ هو أحد لسان الإنسان يؤدي عنه ما في جناته ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ
القريب بلسانه وبه تحفظ احكام الدين وبه تستقيم أمور العالمين وقد قبل إن البيان بيانان بيان اللسان وبيان
البيان وبيان اللسان تدرسه الأعوام وبيان الأقلام باق على مر الأيام وقيل إن قوام أمور الدين والدنيا
بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم وقد نظمه بعض الشعراء وأحسن فيما قال

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت حذره الأهم

فالموت والموت شي لا يغالبه ما زال يتبع ما يجري به القلم

كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ان السيوف لها مذ ادهفت خدم

(وما يسطرون) أي وما يكتبه الملائكة ما يوحى إليهم وما يكتبونه من أعمال بني آدم فكان القسم
بالقلم وما يسطر بالقلم وقبل ان ما مصدرية وتقديره والقلم وسطرهم فيكون القسم بالكتابة وعلى القول الأول
يكون القسم بالمكتوب (ما انت بنعمة ربك بمنجوت) هو جواب القسم ومعناه است يا محمد بمنجوت بنعمة
ربك كما تقول ما انت بنعمة ربك بجاهل وجاز تقديم معمولها بعد الباء لأنها زائدة مؤكدة وتقديره اتنى

عنك الجنون بنعمة ربك وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون بحمد الله وقيل معناه بما انعم عليك ربك من كمال العقل والنبوة والحكمة لست بمجنون اي لا يكون مجنوناً من انعمنا عليه بهذه النعم وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كما يقال سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لك وهذا تقرير لنفي الجنون عنه وقالوا ان هذا جواب لقول المشركين يا ايها الذي نزل عليه الذكر انتك لمجنون (وانك) يا محمد (لا تجرا) اي ثوابا من الله على قيامك بالنبوة وتحملك اعباء الرسالة (غير ممنون) اي غير مقطوع وهو ثواب الجنة يعني لا تبال بكلامهم مع مالك عند الله من الثواب الدائم والأجر العظيم وقيل غير ممنون اي لا يمن به عليك عن أبي مسلم والمعنى غير مكدر بالمن الذي يقطع عن لزوم الشكر فقد قيل المنة تكدر الصنيعة وقال ابن عباس ليس من نبي إلا وله مثل اجر من آمن به ودخل في دينه ثم وصف سبحانه نبيه ﷺ فقال (وانك) يا محمد (لعلي خلق عظيم) اي على دين عظيم وهو دين الإسلام عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل معناه إنك متخلق بأخلاق الإسلام وعلى طبع كريم وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب وإنما سمي خلقاً لأنه يصير كالخلاقة فيه فأما ما طبع عليه من الآداب فإنه الخليم فالخلق هو الطبع المكنسب والخليم هو الطبع الغريزي وقيل الخلق العظيم الصبر على الحق وسعة البذل وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة وتحمل المكارة في الدعاء الى الله سبحانه والتجاوز والعمو وبذل الجهد في نصرته المؤمنين وترك الحسد والحرص ونحو ذلك عن الجبائي وقالت عائشة كان خلق النبي ﷺ ما تضمنه العشر الأول من سورة المؤمنين ومن مدحه الله سبحانه بأنه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح وقيل سمي خلقه عظيماً لأنه عاشر الخلق بحقه وزايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وقيل لأنه امتثل تأديب الله سبحانه اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل سمي خلقه عظيمًا لاجتماع مكارم الأخلاق فيه وبعضه ما روي عنه قال انما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق وقال أدبني ربي فأحسن تأديبي وقال ﷺ ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار وعن أبي الدرداء قال قال النبي ﷺ ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن وعن الرضا علي بن موسى (ع) عن آبائه عن النبي ﷺ قال عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة وإياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال أجبكم الى الله احسنكم اخلاقاً الموطون اكنافاً الذين بألقون ويؤلقون وأبفضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان المتمسون للبراء العثرات (فستبصر ويبصرون) أي فسترى يا محمد ويرون يعني الذين رموه بالجنون (بأيكم المقتون) اي أيكم المجنون الذي فن بالجنون أنت أم هم وقيل بأيكم الفتنة وهو الجنون يريد انهم يعلمون عند العذاب ان الجنون كان بهم حين كذبوك وتركوا دينك لابلك وقيل معناه فستعلم ويعلمون في اي الفريقين المجنون الذي فتنه الشيطان ثم اخبر سبحانه انه عالم بالفريقين فقال (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذي هو سبيل الحق وعدل عنه وجار عن السلوك فيه (وهو أعلم بالمتدين) اليه العالمين بوجبه فيجازي كلا بما يستحقه ويستوجه اخبرنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القائني رحمه الله قال حدثنا الحاكم ابو القاسم بن عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا ابو عبد الله الشيرازي قال حدثنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثني عمرو بن محمد بن تركي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن شمر عن دلم بن صالح عن

الضحاك بن مزاحم قال: لما رأته قريش تقديم النبي ﷺ عليا (ع) واعظامه له نالوا من علي وقالوا قد افتتن به محمد فأنزله الله تعالى ن والقلم وما يسطرون قسم أقسم الله به ما أنت يا محمد بنعمة ربك بمجنون وانك لعلى خلق عظيم يعني القرآن الى قوله بن ضل عن سبيله وهم النفر الذين قالوا ما قالوا وهم اعلم بالمتدين علي بن ابي طالب عليه السلام ثم قال سبحانه للنبي ﷺ (فلا تطع المكذبين) بتوحيد الله عز وجل الجاحدين لنبوتك ولا تجهمهم الى ما يلتمسون منك ولا توافقهم فيما يريدون (ودوا لو تدهن فيدهنون) اي ود هو لا الكفار ان تلين لهم في دينك فيلينون في دينهم شبه التليين في الدين بتليين الدهن عن ابن عباس وقيل معناه ودوا لو تكفروا فيكفروا عن الضحاك وعطاء وابن عباس في رواية اخرى وقيل معناه ودوا لو تركن الى عبادة الاصنام فيالوثونك والادهان الجربان في ظاهر الحال على المقاربة مع اضرار العداوة وهو مثل النفاق وقيل ودوا لو تصانهم في دينك فيصانعونك عن الحسن ثم قال (ولا تطع) يا محمد (كل حلاف) اي كثير الحلف بالباطل لقلة مبالاته بالكذب (مهين) فيل من المهانة وهي القلة في الرأي والتعديز وقيل دليل عند الله تعالى وعند الناس وقيل كذاب لان من عرف بالكذب كان ذليلا حقيرا عن ابن عباس وقيل يعني الوليد بن المغيرة قال عرض على النبي ﷺ المال ليرجع عن دينه وقيل يعني الأحنس ابن شريق عن عطاء وقيل يعني الأسود بن عبد يغوث عن مجاهد (هاز) اي وقاع في الناس مغتاب عن ابن عباس (مشاء بنميم) اي قتات يسعى بالنميمة ويفسد بين الناس ويضرب بعضهم على بعض (مناع الخبير) اي يجمل بالمال وقيل مناع عشيرته عن الاسلام بأن يقول من دخل دين محمد لا انفعه بشي ابدأ عن ابن عباس (معتد) اي مجاوز عن الحق غشوم ظلوم عن قتادة (أثيم) اي آثم فاجر فاعل ما يأثم به وقيل معتد في فعله ائيم في معتده وقيل معتد في ظلم غيره ائيم في ظلم نفسه (عتل بعد ذلك) اي هو عتل مع كونه مناعا للخبير معتديا ائيا وهو الفاحش السي الخلق روي ذلك في خبر مرفوع وقيل هو القوي في كفره عن عكرمة وقيل الجافي الشديد الخصومة بالباطل عن الكلبي وقيل الاكول المنوع عن الخليل وقيل هو الذي يعتل الناس فيجرم الى حبس او عذاب ومنه قول الشاعر

فيا ضيعة الفتيان اذ يعتلونه ببطون الشرى مثل الفنيق المسدم

(زنيم) اي دعي ملصق الى قوم ليس منهم في النسب قال الشاعر

زنيم قدعاه الرجال تداعياً كما يزيد في عرض الأديم الأكارع

وقيل هو الذي له علامة في الشر وهو معروف بذلك فإذا ذكر بالشر سبق القلب اليه كأن العنز يعرف بين الاغنام بالزينة في عنقه عن الشعبي وقيل هو المهجين المعروف بالشر عن سعيد بن جبير وقيل هو الذي لا اصل له عن علي (ع) وقيل هو المعروف بلومه كما تعرف الشاة بزئمتها عن عكرمة وروي انه سئل النبي ﷺ عن العتل الزنيم فقال هو الشديد الخلق المصحح الاكول الشراب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف وعن شداد بن اوس قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة جواظ ولا جفطري ولا عتل زنيم قلت فما الجواظ قال كل جماع مناع قلت فما الجفطري قال الفظ الغليظ قلت فما العتل الزنيم قال كل رحب الجوف سي الخلق اكل شراب غشوم ظلوم زنيم قال ابن قتيبة لانعلم ان الله وصف احدا وبلغ من ذكر عيوبه ما بلغ من ذكر عيوب الوليد بن المغيرة لانه وصف بالحلاف والمهانة والعيب للناس والمشي

بالتأثم والبخل والظلم والاثم والجفا والدعوة فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة (ان كان ذا مال وبنين) اي لا تطعه لأن كان ذا مال وبنين يعني ماله وبنيه عن الزجاج والفراء ومن قرأ بالاستفهام فلا بد ان يكون صلة ما بعده لأن الاستفهام لا يتقدم عليه ما كان في حيزه فيكون المعنى ألا ان كان ذا مال وبنين فيجحد آياتنا اي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا وهو قوله (اذ اتلى عليه آياتنا قال اساطير الأولين) اي احاديث الأوائل التي سطرت وكتبت لأصل لها ثم اوعده سبحانه فقال (سنسمه على الخرطوم) اي سنسمه يوم القيامة بسمه تشوه خلقته فيعرف من رآه انه من أهل النار وإنما خص الأنف لأن الإنسان يعرف بوجهه والأنف وسط الوجه وهذا على عادة العرب فإنهم يقولون شمخ فلان بأنفه وارغم الله أنفه وحمي فلان أنفه وقيل معناه سيجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم وجائز ان يفرد بسمه لمبالغته في عداوة النبي ﷺ فيخص من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته للرسول عداوة يتبين بها من غيره عن الزجاج وقال الفراء الخرطوم قد خص بالسمه لأنه في مذهب الوجه فإن بعض الوجه يوذي عن الكل وقيل ان المعنى سنخبطه بالسيف في القتال حتى يبقى اثره ففعل ذلك يوم بدر عن ابن عباس وقيل سنعله بشين يبقى على الابد عن قتادة وقال القتيبي العرب تقول قد وسه ميسر سوء يريدون الصق به عارا لا يفارقه لأن السمه لا تنمحق ولا يعفو أثرها وقد الحق الله بمن ذكر عارا لا يفارقه بما وسه به من العيوب التي هي كالوسم في الوجه وقيل ان الخرطوم الخمر فالمعنى سنسمه على شرب الخمر قال الشاعر

ابا حاضر من يزن يعرف زناؤه
ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

قوله تعالى (١٧) اِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا اَصْحَابَ الْجَنَّةِ اِذْ اَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ
(١٨) وَلَا يَسْتَنْوُونَ (١٩) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (٢٠) فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ
(٢١) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (٢٢) اَنْ اَعْذُوا عَلٰى حَرْثِكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٣) فَانظَلَقُوا
وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٤) اَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا اَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٥) وَغَدَوُا عَلٰى حَرَدٍ قَادِرِينَ
(٢٦) فَلَمَّا رَاوْهَا قَالُوْا اِنَّا لَضَالُوْنَ (٢٧) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٨) قَالَ اَوْسَطُهُمْ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ
لَوْ لَا نُسَبِّحُوْنَ (٢٩) قَالُوْا سُبْحٰنَ رَبِّنَا اِنَّا كُنَّا ظٰلِمِيْنَ (٣٠) فَاَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ يَتَلَوْمُوْنَ
(٣١) قَالُوْا يَا وَيْلَنَا اِنَّا كُنَّا طٰغِيْنَ (٣٢) عَسٰى رَبَّنَا اَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا اِنَّا اِلٰى رَبِّنَا لَارْغِيْبُونَ
(٣٣) كَذٰلِكَ اَلْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْاٰخِرَةُ اَكْبَرُ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ سبع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابو عمرو ان يبدلنا بالثديد والباقون بالتخفيف وقد مر ذكره في سورة الكهف

﴿ اللمة ﴾

الصرم والجداد في النخل بمنزلة الحصاد والقطف في الزرع والكرم يقال صرمت النخلة وجددتها واصرم النخل واجدت حان ذلك منها والصريم الليل الاسود وانشد ابو عمرو

الا بكرت وعاذاتي تلوم تجهلني وما انكشفت الصريم
وقال الآخر

تطاول ليك الجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم
اذا ما قلت اقشع او تناهي جرت من كل ناحية غيوم
ويسمى النهار ايضا صريما فهو من الاضداد لان الليل ينصرم عند مجيئ النهار والنهار ينصرم عند مجيئ الليل والصريم ايضا المصروم اي صرم جميع ثمارها وقيل الصريم منقطع الرمل الذي لا نبات فيه قال امرؤ القيس
وظل لصيران الصريم غمامم تدعسها بالسهمري المعطب
والطائف الطارق بالليل واذا قيل اطاف به صلح في الليل والنهار وانشد الفراء
اطفت بها نهارا غير ايل والهى ربهما طلب الرخال
والرخال الإناث من اولاد الضان واحدها رخل والحرد المنع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت لبنها قال الكهيت
وحاردت المكد الجلاد ولم يكن بعقة قدر المستعيرين معقب
ويروى النكد وهي النوق الغزيرات الألبان وقيل ان أصل الحرد القصد قال
اقبل سبل جاء من عند الله يحرد حرد الجنة المغله
اي يقصد وحرد يحرد حردا وقيل الحرد الغضب والحرق قال الأشهب بن رميلة
اسود شرى لاقت اسود خفية تساقوا على حرد دماء الاسود

❖ المعنى ❖

ثم قال سبحانه (انا بلوناهم) يعني اهل مكة اي اختبرناهم بالجوع والقهط (كما بلونا اصحاب الجنة) اي البستان الذي فيه الشجر قال سعيد بن جبير وهذه الجنة حديقة كانت باليمن في قرية يقال لها صروان بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلا كانت لشيخ وكان يمك منها قدر كفايته وكفاية اهله ويتصدق بالباقي فلما مات قال بنوه نحن احق بها لكثرة عيالنا ولا يسمنا ان نفعل كما فعل ابونا وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ما قص الله تعالى في كتابه وهو قوله (اذ اقموا) اي حلفوا فيما بينهم (ليصرونها مصبحين) اي ليقطن ثمرتها اذا دخلوا في وقت الصباح (ولا يستثنون) اي غير مستثنين في ايمانهم فلم يقولوا ان شاء الله فان قول القائل لافعلن كذا إلا ان يشاء الله استثناء ومعناه الا أن يشاء الله مني او تمكن ما نمي (فطاف عليها طائف من ربك) اي احاطت بها النار فاحترقت عن ابن عباس وقيل معناه طرقتها طارق من امر الله عن قتادة (وهم نائمون) اي في حال نومهم قال مقاتل بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت مسودة فذلك قوله (فاصبحت كالصريم) اي كالليل المظلم والصريمان الليل والنهار لانصرام احدها من الآخر عن ابن عباس وابي عمرو بن العلاء وقيل الصريم المصروم ثماره اي المقطوع والمعنى انها صارت كأن جميع ثمارها قطعت عن الجبائي وقيل الصريم الذي صرم عنه الخبير فليس فيه شيء منه عن الحسن وقيل كالصريم اي كالرملة انصرفت عن معظم الرمل عن مؤرج وقيل كالرماد الاسود بلغة خزيمية (فتنادوا مصبحين) اي نادى بعضهم بعضا وقت الصباح واصل التنادي من الندى بالقصر لأن النداء الدعاء بندي

الصوت الذي يند على طريقة يا فلان لأن الصوت إنما يند للانسان بئدي حلقه (أن اغدوا على حرثكم) اي نادوا بأن اغدوا معناه قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم والحراث الزرع والاعناب (ان كنتم صارمين) اي قاطعين النخل (فانطلقوا) اي فمضوا اليها (وهم يتخافتون) اي يتسارون بينهم واصله من خفت فلان يخفت اذا اخفى نفسه (ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) هذا ما كانوا يتخافتون به (وغدوا على حرد) اسى على قصد منع الفقراء (قادرين) عند انفسهم وفي اعتقادهم على منعمهم واحراز ما في جنتهم وقيل على حرد أي على جد وجهه من امرهم عن مجاهد وقناة وابي العالبة وقيل على جدي المنع عن ابي عبيدة وقيل على حنق وغضب من الفقراء عن سفيان وقيل قادرين مقدرين موافاتهم في الجنة في الوقت الذي قدروا اصرامها فيه وهو وقت الصبح والتقدير قصدوا الجنة لوقت الذي قدروا اصرامها فيه عن ابي مسلم (فلما رأوها) اي رأوا الجنة على تلك الصفة (قالوا انا لصالون) ضللتنا عن الطريق فليس هذا بستاننا عن قناة وقيل معناه انا لصالون عن الحق في امرنا فلذلك عوقبنا بذهاب ثمر جنتنا ثم استدر كوا قالوا (بل نحن محرومون) والمعنى ان هذه جنتنا ولكن حرمانا نفعها وخيرها لمنعنا حقوق المساكين وتر كنا الاستثناء (قال اوسطهم) اي اعدلهم قولاً عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه افضلهم واعتقلهم وقيل اوسطهم في السن (ألم اقل لكم لولا تسبحون) كأنه كان حذرهم سوء فاطلم قال لولا تستنون عن مجاهد لأن في الاستثناء التوكيل على الله والتعظيم لله والاقرار بأنه لا يقدر احد على فعل شيء الا بمشيئة الله فلذلك ساء تسبيحا وقيل معناه هلا تعظمون الله بعبادته واتباع امره وقيل معناه هلا تذكرون نعم الله عليكم فتودوا شكرها بأن تخرجوا حق الفقراء من اموالكم وقيل معناه هلا نزهتم الله تعالى عن الظلم واعتزفتكم بأنه لا يظلم ولا يرضى منكم بالظلم وقيل معناه لم لا تصلون ثم حكى عنهم أنهم (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) في عزمانا على حرمان المساكين من حصتهم عند الصرام فحرمانا قطعها والاتفاح بها والمعنى انه سبحانه منزه عن الظلم فلم يفعل بنا ما فعله ظالما وانا الظلم وقع منا حيث منعنا الحق (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) اي يلوم بعضهم بعضا على ما فرط منهم (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) قد غلونا في الظلم وتجاوزنا الحد فيه والويل غلظ المكروه الشاق على النفس والوهم دونه والويع بينها قال عمرو بن عبيد يجوز ان يكون ذلك منه توبة ويجوز ان يكون على حد ما يقول الكافر اذا وقع في الشدة (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها) اي لما تابوا ورجعوا الى الله قالوا العمل الله يخاف علينا ويوليننا خيرا من الجنة التي هلكت (انا الى ربنا راغبون) اي نرغب الى الله ونسأله ذلك وتوب اليه ما فعلناه وقرى يبدلنا بالتشديد والتخفيف ومعناها واحد (كذلك العذاب) في الدنيا للعاصين (وللعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) والا كبر هو الذي يصغر مقدار غيره بالاضافة اليه وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل النمل منها عنقودا وقال ابو خالد الجاهلي رأيت تلك الجنة ورأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم

قوله تعالى (٣٤) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ (٣٥) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٦) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٧) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٨) إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَاءٌ تَخَيَّرُونَ (٣٩) أَمْ لَكُمْ آيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَاءٌ تَحْكُمُونَ (٤٠)

سَلَّمَهُمْ أَيَّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤١) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤٢) أَيُّومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذُلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٤) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٥) وَأَمْ لِي لَهُمْ إِنْ كِيدِي مَتِينٌ اثنتا عشرة آية

اللغة

الزعيم والكفيل والضمين والقبيل نظائر والساق للانسان وساق الشجرة ما تقوم عليه وكل نبت له ساق ويبقى صيفا وشتاء فهو شجرة قال طرفة

لغتي عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه
وتقول العرب قامت الحرب على ساق وكشفت عن ساق يريدون شدتها وقال جد ابي طرفة
كشفت لكم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

وقال آخر

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا والقوس فيها وترعد

الاعراب

كيف في محل نصب على الحال تقديره اجازين تحكمون أم عادلين ويموز ان يكون في محل المصدر وتقديره اي حكم تحكمون وتحكمون في موضع النصب على الحال من معنى الفعل في قوله لكم لأن معنى قوله ما لكم اي شيء ثبت لكم وأم في جميع ذلك منقطعة ان لكم فيه لما تخبرون كسرت ان لمكان اللام في لما ولولاها لوجب فتحها لأنه مفعول تدرسون وهو كقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله ان لكم لما تحكمون مثله وان شئت قلت انما كسرت ان لأن ما قبله يمين وهي تكسر في جواب القسم وقوله يوم يكشف عن ساق العامل في الظرف قوله فلْيَأْتُوا وخاشعة ابصارهم حال ومن يكذب ييموز ان يكون مفعولا معه ويموز ان يكون عطفا على ضمير المتكلم من ذرني

المعنى

لما ذكر سبحانه ما أعده بالآخرة للكافرين عقبه بذكرا أعده للمتقين قال (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) يتمتعون فيها ويغتارونها على جنات الدنيا التي يحتاج صاحبها الى المشقة والعناء ثم استفهم سبحانه على وجه الانتكار فقال (انجعل المسلمين كالمجرمين) أي لانجعل المسلمين كالمشركين في الجزاء والثواب وذلك انهم كانوا يقولون ان كان بعث وجزاء كما يقوله محمد فإن حالنا يكون افضل في الآخرة كما في الدنيا فأخبر سبحانه ان ذلك لا يكون أبدا (ما لكم كيف تحكمون) هذا تهجين لهم وتوبيخ ومعناه اي عقل يحملكم على تفضيل الكفار حتى صار سببا لا يصراركم على الكفر ولا يحسن في الحكمة التسوية بين الأولياء والأعداء في دار الجزاء (أم لكم كتاب فيه تدرسون) معناه بل ألكم كتاب تدرسون فيه ذلك فأنتم متمسكون به لاتنفتون الى خلافه فإذا قد عدمتم الثقة بما أنتم عليه وفي الكتاب الذي هو القرآن عليكم أكبر الحجة لأنه الدلالة القائمة الى وقت قيام الساعة والمعجزة الشاهدة بصدق من ظهرت

على يده (ان لكم فيه لما تخيرون) فيه وجهان * احدهما * ان تقديره أم لكم كتاب فيه تدرسون بأن لكم فيه ما تخيرون إلا انه حذف الباء وكسرت إن لدخول السلام في الخبر * الثاني * إن معناه أن لكم لما تخيرونه عند أنفسكم والأمر بخلاف ذلك ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل الخير المطلق (أم لكم إيمان علينا بالغة الى يوم القيامة) اي بل لكم عهود ومواثيق علينا عاهدناكم بها فلا ينقطع ذلك الى يوم القيامة (أن لكم لما تحكمون) لأنفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى وقيل بالغة معناها موكدة وكل شيء منناه في الجودة والصحة فهو بالغ ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (سلم) يا محمد (أهدم بذلك زعيم) يعني اهدم كقيل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) معناه أم لهم شركاء في العبادة مع الله وهي الأصنام فليأتوا بهؤلاء الشركاء ان كانوا صادقين في انها شركاء الله وقيل معناه أم لهم شهداء يشهدون لهم بالصدق فتقوم به الحجة فليأتوا بهم يوم القيامة يشهدون لهم على صحة دعواهم ان كانوا صادقين في دعواهم (يوم يكشف عن ساق) اي فليأتوا بهم في ذلك اليوم الذي تظهر فيه الأهوال والشدائد وقيل معناه يوم يبدو عن الأمر الشديد الفظيع عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبیر قال عكرمة سئل ابن عباس عن قوله يوم يكشف عن ساق فقال إذا خفي عليكم شيء في القرآن فاجنوه في الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر * وقامت الحرب بنا على ساق * هو يوم كرب وشدة وقال القتيبي أصل هذا ان الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج الى الجدة فيه يشمر عن ساقه فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة وانشد لذريد بن الصمة

كبيش الازار خارج نصف ساقه بعيد من الآفات طلاع انجد

فأويل الآية يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه الى ان يكشف عن ساق (ويدعون الى السجود) اي يقال لهم على وجه التوبيخ اسجدوا (فلا يستطيعون) وقيل معناه ان شدة الامر وصعوبة ذلك اليوم تدعوهم الى السجود وان كانوا لا يتفقون به ليس انهم يومرون به وهكنا كما يفزع الإنسان الى السجود اذا أصابه هول من أهوال الدنيا (خاشعة ابصارهم) أي ذليلة ابصارهم لا يرفعون نظرم عن الأرض ذلة ومهانة (ترهقهم ذلة) اي تنشام ذلة الندامة والحسرة (وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) اي اصحاء يمكنهم السجود فلا يسجدون يعني انهم كانوا يومرون بالصلاة في الدنيا فلم يفعلوا قال سعيد بن جبیر كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجاعات وقد ورد عن الربيع بن خيثم أنه عرض له الفالج فكان يهادي بين رجلين إلى المسجد فقيل له يا أبا يزيد لو جلست فإن لك رخصة قال من سمع حي على الفلاح فليجب ولو حبواً وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انها قالوا في هذه الآية افحم القوم ودخلتهم الهية وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والحزني والمذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون اي يستطيعون الأخذ بما امروا به والترك لما نهوا عنه ولذلك ابتلوا وقال مجاهد وقتادة يؤذن المؤمنون يوم القيامة فبسجد المؤمن وتصاب ظهور المنافقين فيضرب سجد المسلمين حسرة على المنافقين وندامة وفي الخبراته تصير ظهور المنافقين كالسفائيد ثم قال سبحانه (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) هذا تهديد معناه فذرني والمكذبين أي كل امرهم الي كما يقول القائل دعني واياه يقول خل بني وبين من يكذب

بهذا القرآن ولا تشغل قلبك به فإني أكفيك امره (منسند رجبهم من حيث لا يعلمون) أي سنأخذهم الى العقاب حالا بمدحال وقد مر تفسيره في سورة الأعراف وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال إذا احدث العبد ذنبا جدد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج (واملي لهم ان كيدي متين) اي واطيل آجالهم ولا ابادر الى عذابهم مبادرة من يخشى الفوت فإنما يجعل من يخاف الفوت ان عذابي لشديد

قوله تعالى (٤٦) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٧) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ (٤٨) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٩) لَوْلَا أَنْ نَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّي لَنُبَذَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٥٠) فَأَجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥١) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥٢) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة ليزلقونك بفتح الياء والباقون ليزلقونك بضم الياء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بفتح الياء جعله من زلقه وزلقته انا مثل حزن وحزنته وشترت عينه وشترتها قال ابو علي والخليل يذهب في ذلك الى ان المعنى جعلت فيه شترا وجعلت فيه حزنا كما انك اذا قلت كحلته ودهنته اردت جعلت ذلك فيه ومن قرأ أزلقه نقل الفعل بالهمزة ومعنى يزلقونك بأبصارهم ينظرون اليك نظر البغضاء كما ينظر الاعداء ومثله قول الشاعر

يتقارضون إذا التقوا في مجلس نظراً يزيل مواقع الاقدام

﴿ اللغة ﴾

المغرم ما يلزم من الدين الذي يلج في اقتضائه واصله من لزوم بالاولحاح ومنه قوله ان عذابها كان غراما أي لازما ملحا قال الشاعر

يوم الجفار ويوم النصار كانا عذبا وكانا غراما

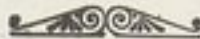
والمثقل المحمل الثقل وهو مثقل بالدين ومثقل بالعيال ومثقل بما عليه من الحقوق اللازمة والامور الواجبة والمكظوم المحبوس عن التصرف في الأمور ومنه كظمت رأس القربة اذا شدته وكظمه غيظه اذا حبسه بقطعه عما يدعو اليه وكظم خصمه إذا اجابه بالمسكت والعراء الارض العارية من النبات قال قيس بن جعدة

ورفعت رجلا لا اخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال على وجه التوبيخ للكفار (أم تسألهم اجرا) هذا عطف على قوله أم لكم كتاب فيه تدرسون ذكر سبحانه جميع ما يخرج به فقال أم تسأل يا محمد هو لاء الكفار اجرا على اداء الرسالة والدعاء الى الله (فهم من مغرم) أي هم من لزوم ذلك (مثقلون) أي عملون الاثقال (أم عندهم الغيب

فهم يكتبون) اي هل عندهم علم بصحة ما يدعونهُ اختصموا به لا يعلمهُ غيرهم فهم يكتبونه ويتوارثونه وينبغي ان
 يبرزوه ثم قال النبي ﷺ (فاصبر لحكم ربك) في ابلاغ الرسالة وترك مقابلتهم بالقبيح وقيل اللام تجري
 مجرى الى والمعنى اصبر الى ان يحكم الله بنصر اولائك وقهر اعدائك وقيل معناه فاصبر لحكم الله في التخلية
 بين الظالم والمظلوم حتى يبلغ الكتاب اجله (ولانك كصاحب الحوت) يعني يونس اي لا تكن مثله في
 استعجال عقاب قومه واهلاكهم ولا تخرج من بين قومك من قبل ان يأذن لك الله كما خرج هو (اذ
 نادى وهو مكظوم) اي دعا ربه في جوف الحوت وهو محبوس عن التصرف في الامور والذي نادى به
 قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل مكظوم اي محتقق بالنعمة اذ لم يجد لغيره شفاء
 (لولا ان تداركهُ نعمة من ربه) اي لولا ان ادر كنه رحمة من ربه باجابة دعائه وتخليصه من بطن الحوت
 وتبقيته فيه حيا واخرجه منه حيا (لنبد) أي طرح (بالعراء) اي الفضاء (وهو مذموم) ملوم مليم قد اتى بما
 يلام عليه ولكن الله تعالى تداركهُ بنعمة من عنده فطرح بالعراء وهو غير مذموم (فاجابه ربه) اي اختاره الله
 نبيا (فجعله من الصالحين) اي من جملة المطيعين لله التاركين لمعاصيه (وان يكاد الذين كفروا) ان هذه
 هي المخففة من الثقلية والتقدير وانه يكاد اي قارب الذين كفروا (ليزلقونك بأبصارهم) اي ليزهقونك اي
 يقتلونك ويهلكونك عن ابن عباس وكان يقرأها كذلك وقيل ليصرعونك عن الكلبي وقيل يصيبونك بأعينهم
 عن السدي والكل يرجع في المعنى الى الاصابة بالعين والمفسرون كلهم على انه المراد في الآية وانكر الجبائي
 ذلك وقال ان اصابة العين لا تصح وقال علي بن عيسى الرمانى وهذا الذي ذكره غير صحيح لانه غير ممنوع
 ان يكون الله تعالى اجري المادة لصحة ذلك لضرب من المصلحة وعليه اجماع المفسرين وجوزة العقلاء فلا
 مانع منه وجاء في الخبر ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان بني جعفر نصيبهم العين أفاسترقي لهم قال
 نعم فلو كان شي يسبق القدر لسبقه العين وقيل ان الرجل منهك كان اذا أراد ان يصيب صاحبه بالعين تجوع ثلاثة
 أيام ثم كان يصفه فيصرعه بذلك وذلك بأن يقول للذي يريد ان يصيبه بالعين لا أرى كاليوم ابلا أو
 شاء أو ما أراد أي كابل اراها اليوم فقالوا للنبي ﷺ كما كانوا يقولون لما يريدون أن يصيبوه بالعين عن
 الفراء والزجاج وقيل معناه أنهم ينظرون اليك عند تلاوة القرآن والدعاء الى التوحيد نظر عداوة وبغض
 وانكار لما يسمونه وتعجب منه فيكادون يصرعونك بحدة نظرهم ويزيلونك عن موضعك وهذا مستعمل
 في الكلام يقولون نظر إلي فلان نظرا يكاد يصرعني ونظرا يكاد بأكلني فيه وتأويله كانه نظر إلي نظراً
 لو أمكنه معه أكلني أو يصرعني لفعل عن الزجاج وقوله (لما سمعوا الذكر) يعني القرآن (ويقولون) مع
 ذلك (لانه لجنون) أي مغلوب على عقله مع علمهم بوقاره ووفور عقله تكذيباً عليه ومعاندة له (وما هو)
 أي وما القرآن (الأذكر) أي شرف (للعالمين) الى أن تقوم الساعة وقيل معناه وما محمد ﷺ الا
 شرف للخلق حيث هداهم الى الرشداً وتقدهم من الضلالة لما نسبوه الى الجنون وصفه بما ينفي ذلك عنه
 وقيل المراد بالذكر انه يذكرهم امر آخرتهم والثواب والعقاب والوعد والوعيد قال الحسن دواء اصابة
 العين ان يقرأ الانسان هذه الآية



سورة الحاقة (مكية)

✽ عدد آياتها ✽

احدى وخمسون آية بصري وشامي وآيتان في الباقيين

✽ اختلافها ✽

آيتان الحاقة الاولى كوفي كتابه بشاله حجازي

✽ فضلها ✽

ابى بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا وروى جابر الجعفي عن ابي جعفر (ع) قال اكثروا من قراءة الحاقة فإن قراؤها في الفرائض والنوافل من الايمان بالله ورسوله ولم يسلب قارئها دينه حتى يلقى الله

✽ تفسيرها ✽

لما ذكر في آخر سورة القلم حديث القيامة ووعيد الكفار افتتح هذه السورة بذكر القيامة أيضا وأحوال أهل النار فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَاقَّةُ (٢) مَا الْحَاقَّةُ (٣) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٤) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٥) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٦) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٧) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ (٨) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٩) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْحَاقَّةِ (١٠) فَمَصَّوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً عشر آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل البصرة والكسائي ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء والباقيون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء.

✽ الحجة ✽

قال سيبويه قبل لما ولي الشيء تقول ذهبت قبل السوق ولي قبلك حق أي فجا يهلك واتسع فيه حتى صار بمنزلة لي عليك حتى وحجة من قرأ انهم زعموا ان في قراءة ابي وجاء فرعون ومن معه وهذا يقوي ومن قبله لأن قبل لما ولي الشيء مما لم يتخلف عنه وهو يتبعه ويحذف به وحجة من قال ومن قبله أن معناه ومن قبله من الأمم التي كفرت كما كفر هو

✽ التثنية ✽

قال ابن الأثير الحاقة الواجبة حتى أي وجب يفتح حقا وحقوقا فهو حاق وقال الفراء تقول العرب لما عرفت الحق مني هربت والحقة والحاقة بمعنى وقيل سميت القيامة الحاقة لأنها تحق الكفار من قولهم حاقتة فحققتة مثل خاصته فخصمته وسميت القارعة لأنها تترع قلوب العباد بالخافة إلى أن يصير المؤمنون إلى

الأمن ودربت الشيء دراية ودرية علمته وادريته اعلمته والطاغية الطغيان مصدر مثل العافية والصرصر الريح الشديدة الصوت والحسوم المتوالية مأخوذ من حسم الداء بمتابعة الكي عليه فكأنه تابع الشر عليهم حتى استأصلهم وقيل هو من القطع فكأنها حسمتهم حسوما أي أذهبتهم وأفتتهم وقطعت دابرهم والخاوية الخالية التي لا شيء في أجوافها

✽ الاعراب ✽

العامل في الحاقة احد شيئين اما الابتداء والخبر ما الحاقة كما تقول زيد ما زيد واما ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحاقة ثم قيل أي شيء الحاقة تفخيماً لشأنها وحسوما نصب على المصدر الموضوع موضع الصفة لثانية أي تحسومهم حسوما ويموز ان يكون جمع حاسم فيكون مثل راقد ورقود وساجد وسجود وعلى هذا فيكون منصوبا على انه صفة لثانية ايضا وصرعى نصب على الحال وقوله كأنهم اعجاز نخل خاوية جملة في موضع الحال من صرعى أي صرعوا أمثال نخل خاوية ومن مزيدة في قوله من باقية

✽ المعنى ✽

(الحاقة) اسم من اساء القيامة في قول جميع المفسرين وسميت بذلك لأنها ذات الحواق من الأمور وهي الصادقة الواجبة الصدق لأن جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع صادقة الوجود (ما الحاقة) استفهام معناه التفخيم لها والتمظيم لشأنها ثم زاد سبحانه في التهويل فقال (وما أدراك ما الحاقة) أي كأنك لست تعلمها إذ لم تعانها ولم تر ما فيها من الاهوال قال الثوري يقال للمعلوم ما أدراك ولما ليس بمعلوم ما يدرك في جميع القرآن وإنما قال لمن يعلمها ما أدراك لأنه إنما يعلمها بالصفة ثم أخبر سبحانه عن المكذبت بها فقال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بيوم القيامة وإنما حسن ان نوضع القارعة موضع الكناية لتذكر بهذر الصفة الهائلة بعد ذكرها بأنها الحاقة والا فقد كان يكفي ان يقول كذبت ثمود وعاد بها ثم أخبر سبحانه عن كيفية اهلاكم فقال (فأما ثمود) وهم قوم صالح (فأهلكوا بالطاغية) أي أهلكوا بطغيانهم وكفرهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه اهلكوا بالصيحة الطاغية وهي التي جاوزت المقدار حتى أهلكتهم عن قتادة والجبائي وأبي مسلم وقال الزجاج اهلكوا بالرجفة الطاغية وقيل بالخصلة المتجاوزة لحال غيرها في الشدة التي أهلك الله بها أهل الفساد (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي باردة عن ابن عباس وقاتدة كأنه تصطك الاسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها وقيل الصرصر الشديدة العصف المتجاوزة لحدها المعروف (عانية) عنت على خزانها في شدة الهبوب روى الزهري عن قبيصة بن ذؤيب انه قال ما يخرج من الريح شيء إلا عليها خزان يعلمون قدرها وعددها وكيها حتى كانت التي أرسلت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون قدر غضب الله فلذلك سميت عانية (سخرها عليهم) أي سلطها الله وارسلها عليهم (سبع ليل وثمانية أيام) قال وهب وهي التي تسمى العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة وإنما نسبت هذه الأيام إلى العجوز لأن عجوز ادخلت مبرأ فبقيتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب فانقطع العذاب في اليوم الثامن وقيل سميت أيام العجوز لأنها في عجز الشتاء ولها أسامي مشهورة قالوا لليوم «الاول» صن «والثاني» صنبر «والثالث» وبر «والرابع» مطفي «الجمرة» «والخامس» مكفي «والثامن» وقيل «السادس» الآمر «والسابع» الموتير «والثامن» المعلل وقال في ذلك شاعرهم

كسع الشتاء بسبعة غير
فبأمر وأخيه مؤتمر
فإذا اتقضت أيام شهلتنا
ذهب الشتاء موليا هربا
أيام شهلتنا مع الشهر
ومعلل وبمطفى الجمر
بالصن والصنبر والوير
وأنتك واقدة من النجر

(حسوما) أي ولاء متتابعة ليست لها فترة عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة كأنه تابع عليهم الشر حتى استأصلهم وقبل دائمة عن الكاظمي ومقاتل وقبل قاطمة قطعتم قطعا حتى أهلكتهم عن الخليل وقبل مشائيم نكداء قليلة الخير حسمت الخير عن أهلها عن عطية (فترى القوم فيها) أي في تلك الايام واليبالي (صرعى) أي مصروعين (كانهم اعجاز نخل خاوية) أي أصول نخل بالية نخرة عن قتادة وقبل خاوية فارغة خالية الأجواف عن السدي وقبل ساقطة مثل قوله اعجاز نخل منقر (فهل ترى لهم من باقية) أي من نفس باقية وقبل من بقاء والباقية بمعنى المصدر مثل العافية والطاغية والمعنى هل ترى لهم من بقية أي لم يبق منهم احد (وجاء فرعون ومن قبله) مر معناه (والموتفكات) أي وجاء أهل القرى الموتفكات أي المنقلبات بأهلها عن قتادة وهي قرى قوم لوط يريد الأمام والجماعات الذين انفقوا (بالخطاطة) أي بخطيبتهم التي هي الشرك والكفر فالخطاطة مصدر كالخطأ والخطيئة وقبل معناه بالأفعال الخطاطة أي بالنفس الخطاطة (فصعوا رسول ربهم) فيها امرهم به وقبل ان المراد بالرسول الرسالة كما في قول الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول
اي برسالة عن ابي مسلم والأول اظهر (فأخدمهم) الله بالعقوبة (اخذة راية) أي زائدة في الشدة عن ابن عباس وقبل نامية زائدة على عذاب الأمد وقبل عالية مذكورة خارجة عن العادة

قوله تعالى (١١) إنا لما طغنا الماء حملناكم في الجارية (١٢) لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية (١٣) فإذا نفض في الصور نفخة واحدة (١٤) وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة (١٥) فيومئذ وقعت الواقعة (١٦) وأنشقت السماء فهي يومئذ واهية (١٧) والمملك على أرجائها وبحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (١٨) يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية (١٩) فأما من أوحي كتابه بيحينه فيقول هاؤم أقرأوا كتابه (٢٠) إني ظننت أني ملق حسابيه (٢١) فهو في عيشة راضية (٢٢) في جنة عالية (٢٣) فطوفها دانية (١٤) كلوا وأشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية

اربع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير في رواية القواس وتعيها بسكون العين مختلسا وهو بين الكسر والسكون والباقون بكسر العين وقرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء والباقون بالناء

* الحجة *

الوجه في سكن العين من تمبها انه جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة فخذ فاسكن لأن حرف
المضارعة لا تنفصل من الفعل فصار كتقولك فهو وفهي والياء والتاء في قوله لا يخفى حسن

* اللنة *

الجارية السفينة التي من شأنها أن تجري على الماء والجارية المرأة الشابة لأنه يجري فيها ماء الشباب
يقال وعيت العلم اعياه وعيا واوعيت المتاع جعلته في الوعاء قال

إذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع

والدك البسط ومنه الدكان واندك سنام البعير إذا انفرش على ظهره والارجاء النواحي واحداها رجا مقصور
والثنية رجوان وهاوتم أمر للجاعة بمنزلة هاكم تقول لواحد ها يا رجل وللأثنين هاوتما يا رجلان وللجاعة
هاوتم يا رجال وللمرأة ها يا امرأة بكسر الهجرزة وليس بعدها يا والمرأتين هاوتما وللنساء هاوتم هذه لئنه أهل
الحجاز وتميم وقيس يقولون ها يا رجل مثل قول أهل الحجاز وللأثنين هاوتم وللجاعة هاوتم والمرأة هاوتم وللنساء
هاوتم وبعض العرب يجعل مكان الهجرزة كافا فيقول هاك هاكا هاك هاكا هاك هاك هاك هاك هاك هاك هاك هاك هاك هاك هاك هاك هاك هاك
بهاولا ينهي ووقف الكسائي على هاوتم وابتدأ قرأوا كتابه اعلامه أنه لا يذهب إلى افعال الفعل الأول وإنما العمل
للثاني والراضية المرضية فاعلة بمعنى مفعول لأنها في معنى ذات رضى كما قيل لابن ونامراي ذوبن وذوتم قال النابغة

كأني لهم يا أميمة ناصب وليل اقاويه بطي الكواكب

يعني ذو نصب فكان الميثة اعطيت حتى رضىبت لأنها بمنزلة الطالبة كما ان الشهوة بمنزلة الطالبة
المشتهي وقيل هو مثل ليل نائم وسر كاتم وماء دافق على وجه المبالغة في الصفة من غير التباس في المعنى
والقطوف جمع قطف وهو ما يقطف من الثمر والقطف بالفتح المصدر

* الاعراب *

كتابي مفعول قرأوا لأنه يليه قطفها دانية جملة مجرورة الموضع لأنها صفة جنة

* المعنى *

ثم بين سبحانه قصة نوح «ع» قال (انا لما طمئ الماء) اي جاوز الحد المعروف حتى غرقت الأرض
بن عليها إلا من شاء الله نجاته (حملناكم في الجارية) اي حملنا آبائكم في السفينة عن ابن عباس وابن زيد
(لنجعلها لكم تذكرة) اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملناه عبثا لكم
وموعظة تذكرون بها نعم الله تعالى وتشكرونه عليها وتتفكرون فيها فتعرفون كمال قدرته وحكمته (وتمبها اذن
واعية) اي وتحفظها اذن حافظلة لما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل سامعة قابلة لما سمعت عن قتادة
وقال الفراء لتحفظها كل اذن فتكون عظة لمن يأتي بعد وروى الطبري بإسناده عن مكحول انه لما نزلت
هذه الآية قال النبي ﷺ اللهم اجعلها اذن علي ثم قال علي «ع» فما سمعت شيئا من رسول الله ﷺ
فنسبته وروى بإسناده عن عكرمة عن بريدة الاسلمي ان رسول الله ﷺ قال لعلي «ع» يا علي ان الله
تعالى امرني ان ادنيتك ولا اقصيتك وان اعلمك وتعي وحق على الله ان تعي فنزل وتمبها اذن واعية اخبرني
فيما كتب بخطه ابو المغيرة ابو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي قال حدثني الشيخ السعيد ابو

جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي والرئيس ابو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الكاتب والشيخ ابو عبدالله حسن بن احمد بن حبيب الفارسي قالوا حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن محمد المفيد الجرجاني قال سمعت ابا عمرو عثمان بن خطاب الممر المعروف بأبي الدنيا الاشج قال سمعت علي بن ابي طالب «ع» يقول لما نزلت وتعبها اذن واعية قال النبي ﷺ سألت الله عز وجل ان يجعلها اذنك يا علي (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) وهي النفخة الاولى عن عطا والنفخة الأخيرة عن مقاتل والكليبي (وجملت الأرض والجبال) اي رفعت من اماكنها (فدكتنا دكة واحدة) اي كسرنا كسرة واحدة لا تثنى حتى يستوي ما عليها من شيء مثل الأديم المددود وقيل ضرب بعضها ببعض حتى تفتت الجبال وسفتها الرياح وبقيت الأرض شيئاً واحداً لا جبل فيها ولا رابية بل تكون قطعة مستوية وإنما قال دكتنا لأنه جعل الأرض جملة واحدة والجبال دكة واحدة (فيومئذ وقعت الواقعة) اي قامت القيامة (وانشقت السماء) اي انفرج بعضها من بعض (فهي يومئذ واهية) اي شديدة الضعف بانتفاض بنيتها وقيل هو ان السماء تنشق بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف في الوهي والضعف (والملك على ارجائها) اي على اطرافها ونواحيها عن الحسن وقتادة والملك اسم يقع على الواحد والجمع والسماء مكان الملائكة فاذا وهت صارت في نواحيها وقيل ان الملائكة يومئذ على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والتكرمة فيها (ويحمل عرش ربك فوقهم) يعني فوق الخلائق (يومئذ) يعني يوم القيامة (ثمانية) من الملائكة عن ابن زيد وروى ذلك عن النبي ﷺ انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم بأربعة اخرين فيكونون ثمانية وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عن ابن عباس (يومئذ تعرضون) يعني يوم القيامة تعرضون معاشر المكلفين (لا تخفى منكم خافية) اي نفس خافية او فعله خافية وقيل الخافية مصدر اي خافية احد رروي في الخبر عن ابن مسعود وقتادة ان الخلق يعرضون ثلاث عرضات ثنتان فيها معاذير وجدال والثالثة تطير الصحف في الأيدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله وليس يعرض الله الخلق ليعلم من حاله ما لم يعلمه فإنه عز اسمه العالم لذاته يعلم جميع ما كان منهم ولكن يظهر ذلك لخلقه ثم قسم سبحانه حال المكلفين في ذلك اليوم فقال (فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول) لأهل القيامة (هاؤم) اي تعالوا (اقرأوا كتابيه) وإنما يقوله سرورابه لعله بأنه ليس فيه إلا الطاعات فلا يستحي ان ينظر فيه غيره واهل اللقمة يقولون ان معنى هاؤم خذوا (إني ظننت) اي علمت وايقنت في الدنيا (إني ملاق حسابيه) والهاء لنظم رؤوس الآي وهي هاء الاستراحة والمعنى اني كنت مستيقناً في دار الدنيا بأني لقي حسابي يوم القيامة عالماً بأني اجازي على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب فكانت اعمل بما اصل به إلى هذه المثوبة (فهو في عيشة راضية) اي في حالة من العيش راضية برضاها بأن لقي الثواب وامن العقاب (في جنة عالية) اي رفعة القدر والمكان (قطوفها دانية) اي ثمارها قريبة من يتناولها قال البراء بن عازب يتناول الرجل من الثمرة وهو نائم وقد ورد في الخبر عن عطاء بن يسار عن سلمان قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة احدكم إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية وقيل معناه لا يرد ايديهم عن ثمرها بعد ولا شوك عن قتادة (كلوا واشربوا) اي يقال لهم كلوا واشربوا في الجنة (هيناً بما اسلفتم) اي قدمتم من اعمالكم الصالحة (في الأيام الخالية) الماضية يعني ايام الدنيا ويعني بقوله

هنا انه ليس فيه ما يؤذي فلا يحتاج فيه الى اخراج فضل بغائط او بول
قوله تعالى (٢٥) وَاَمَّا مَنْ اُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ اُوْتِ كِتَابِي (٢٦)
وَلَمْ اُدْرِمَا حِسَابِي (٢٧) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٨) مَا اَغْنِي عَنِّي مَالِي (٢٩) هَلَكَ عَنِّي
سُلْطَانِيَّةٌ (٣٠) خَذُوهُ فَعَلُوهُ (٣١) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ (٣٢) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ
ذِرَاعًا فَاسْلُكُوْهُ (٣٣) اِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيْمِ (٣٤) وَلَا يَحْضُرُ عَلٰى طَعَامِ الْمَسْكِيْنِ
(٣٥) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيْمٌ (٣٦) وَلَا طَعَامٌ اِلَّا مِنْ غَسْلِيْنٍ (٣٧) لَا يَأْكُلُهُ اِلَّا
الْخَاطِئُوْنَ ثلاث عشرة آية

❖ الفنة ❖

القاضية الفاصلة بالإماتة يقال قضي فلان اذا مات واصله فصل الأمر ومنه قضية الحاكم ومنه قضاء الله
وهو في الاخبار بما يكون على القطع والتصلية الزام النار ومنه الاصطلاء وهو القعود عند النار للدفاة والجميم
النار العظيمة والسلسلة حلق منتظمة كل واحدة منها في الأخرى ويقال سلسل كلامه اذا عقد شيئاً منه بشيء
وتسلسل الشيء اذا استمر على الولاء شيئاً قبل شيء وذرع الثوب يذره ذرعاً مأخوذ من الذراع والغسلين
الصديد الذي يتغسل بسيلانه من ابدان اهل النار ووزنه فعلين من الغسل

❖ الاعراب ❖

قوله كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه قال الزجاج الوجه ان يوقف على هذه الهاءات ولا توصل
لأنها ادخلت للوقف وقد حذفها قوم في الوصل ولا احب مخالفة المصحف ولا ان اقرأ واثبت الهاءات
في الوصل وهذه رؤوس آيات فالوجه ان يوقف عندها وكذلك قوله ما به فليس له اليوم هاهنا حميم
الجار والمجرور خبر ليس ليصح قوله ولا طعام الا من غسلين اي ولا له طعام ولا يكون الخبر هاهنا لأن
التقدير بصير ولا طعام هاهنا الا من غسلين وهذا غير جائز إذ هنا طعام غير غسلين ولا يكون الخبر اليوم
لأن حميم جثة وظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة

❖ المعنى ❖

ثم ذكر سبحانه حال اهل النار فقال (واما من اوتي) اي اعطي (كتابه) الذي هو صحيفة اعماله
(بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه) اي تمنى انه لم يؤت لما يرى فيه من مقابح اعماله التي يسود لها
وجهه (ولم ادري ما حسابيه) اي ولم ادري شي حسابي لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب وإنما هو كله عليه
(باليتها كانت القاضية) الهاء في ليتها كناية عن الحال التي هم فيها وقبل هي كناية عن الموتة الاولى والقاضية القاطعة للحياة
اي لبت الموتة الاولى التي تتالم نحي بعدها عن الفراء يمتنى دوام الموت وان لم يبعث للحساب وقال قتادة تمنى يومئذ
الموت ولم يكن في الدنيا شي عنده اكره من الموت (ما اغنى عني ماليه) اي مادفع عني مالي من عذاب الله شيئاً وقيل
معناه اني قصرت همتي على تحصيل المال ليكشف الكرب عني فما نفعني اليوم (هلك عني سلطانيه) اي
حجبتني عن ابن عباس ومجاهد اي ضل عني ما كنت اعتقده حجة وقبل معناه هلك عني تسلطي وامري
ونهيي في دار الدنيا على ما كنت مسلطاً عليه فلا امر لي ولا نهي ثم اخبر سبحانه انه يقول للملائكة (خذوه

فقلوه) اي اوثقوه بالغل وهو ان تشد احدى يديه وورجله الى عنقه بجماعة (ثم الجحيم صلوه) اي ثم ادخلوه النار العظيمة والزموه اياها (ثم في سلسلة ذرعها) اي طولها (سبعون ذراعا فاسلكوه) اي اجملوه فيها لانه يؤخذ عنقه فيها ثم يجر بها قال الضحاك انما تدخل في فيه وتخرج من دبره فعلى هذا يكون المعنى ثم اسلكوا السلسلة فيه قلب كما يقال ادخلت القلنسوة في رأسي وقال الأعمش « اذا ما السراب ارتدى بالآكم » وانما ارتدى الآكم بالشراب ولكنه قلب وقال نوف البكالي كل ذراع سبعون باعا والباع ابدما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم بأي ذراع هو وقال سويد بن نجيع ان جميع اهل النار في تلك السلسلة ولو ان حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرها ثم قال سبحانه (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) شأنه اي لم يكن يوحد الله في دار التكليف ولا يصدق به (ولا يحض على طعام المسكين) وهو المحتاج الفقير والمعنى انه كان يمنع الزكاة والحقوق الواجبة (فليس له اليوم ههنا حميم) اي صديق يتفغمه (ولا طعام) اي ولا له اليوم طعام (الا من غسلين) وهو صديق اهل النار وما يبري منهم فالطعام هو ما هيى للاكل ولذلك لا يسمى التراب طعاما للانسان فلما هيى الصديق لا ياكل اهل النار كان ذلك طعاما لهم وقيل ان اهل النار طبقات فمنهم من طعامه غسلين ومنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الضريع لانه قال في موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع وقيل يجوز ان يكون الضريع هو الغسلين فبر عنه بمبارتين عن قطرب وقيل يجوز ان يكون المراد ليس لهم طعام الا من ضريع ولا شراب الا من غسلين كما قال الشاعر

علفتنا تبنا وماء باردا
حتى شأت ههالة عيناها

(لا يأكله) اي لا يأكل الغسلين (الا الغلاطئون) وهم الجائرون عن طريق الحق عامدين والفرق بين الغلاطي والمخطي ان المخطي قد يكون من غير تعمد والغلاطي المذنب المتعمد الجائر عن الصراط المستقيم قال امرؤ القيس

يا لهف هتدي ان خطئن كماهلا
القائلين الملك الحلاحلا

قوله تعالى (٣٨) فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٩) وَمَا لَا تَبْصِرُونَ (٤٠) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ (٤١) وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ (٤٢) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ
(٤٣) نُنزِّلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٥) لَأَخَذْنَا مِنْهُ
بِالْيَمِينِ (٤٦) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٧) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٨) وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥١)
وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥٢) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ اثنتا عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابن عامر وبمقرب وسهل يؤمنون ويذكرون باياء كناية عن الكفار والباطون
باتاء خطابا لهم وكلاهما حسن

﴿ اللغة ﴾

الوتين نباط القلب واذا اتقطع مات الانسان قال الشايع بن ضرار

اذا بلغتني وحملت رحلي

﴿ الاعراب ﴾

قليلًا في الموضوعين صفة مصدر محذوف وما مزيدة وتقديره اي انا قليلًا توئمنون وقد كرا قليلًا تذكرون ويجوز ان يكون صفة لظرف محذوف اي وقتًا قليلًا توئمنون ووقتًا قليلًا تذكرون ويجوز ان تكون ما مصدرية ويكون التقدير قليلًا ايمانكم وقليلًا تذكر كم يكون ما في موضع رفع بقليل وقوله من احد في موضع رفع لانه اسم ما ومن مزيدة لنا كيد اللفي تقديره فما منكم احد والاصل فما احد منكم فننكم في موضع رفع بكونه صفة على الموضوع او في موضع جر على اللفظ فلما تقدم الموصوف صار في موضع النصب على الحال حاجزين منصوب بانه خبر ما ولم يبطل قوله منكم عمل ما وان فصل بينهما لانه ظرف والفصل بالظرف في هذا الباب كذا فصل قال ابو علي ان جعلت منكم مستقرا كان حاجزين صفة احد وان جعلت منكم غير مستقرا كان حاجزين خبر ما وعلى الوجهين قوله حاجزين محمول على المعنى واقول في بيانه انه ان كان في منكم ضمير لأحد ويكون خبرا له متقدما عليه فيكون حاجزين صفة لأحد وتقديره ما منكم قوم حاجزون عنه ويكون ما غير عاملة هنا على غير لغة تميم ايضا ويكون حاجزين مجرورا جملا على اللفظ وكونه غير مستقرا هو ان يكون على ما ذكرناه قبل

﴿ المعنى ﴾

ثم اكد سبحانه ما تقدم فقال (فلا اقسما تبصرون وما لا تبصرون) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون قوله لا ردًا للكلام المشركين فكأنه قال ليس الأمر كما يقول المشركون اقسما بالاشياء كلها ما يبصر منها وما لا يبصر ويدخل فيها جميع المكونات (انه لقول رسول كريم) يعني محمدا ﷺ عن الفراء وقادة و﴿ ثانيها ﴾ ان لا مزيدة مؤكدة والتقدير فاقسم باثرون وما لا ترون ﴿ وثالثها ﴾ انه نفي للقسم ومعناه لا يحتاج الى القسم لوضوح الامر في انه رسول كريم فإنه اظهر من أن يحتاج في اثباته الى قسم عن ابي مسلم و﴿ رابعها ﴾ انه كقول القائل لا والله لا افضل ذلك ولا والله لا افضل ذلك وقال الجبائي انما اراد انه لا يقسم بالاشياء المخلوقات ما يرى وما لا يرى وانما اقسما برها لأن القسم لا يجوز الا بالله (انه لقول رسول كريم) قال انه قول الله على الحقيقة وانما الملك وجبرائيل والرسول يحكون ذلك وانما اسنده اليهم من حيث ان ما يسمع منهم كلامهم فلما كان حكاية كلام الله قبل هو كلام الله على الحقيقة في العرف قال الجبائي والرسول الكريم جبرائيل والكريم الجامع لخصال الخير (وما هو بقول شاعر قليلًا ماتوئمنون ولا يقول كاهن قليلًا ماتذكرون) قول الشاعر ما ألفه بوزن وجمله مقفى وله معنى وقول الكاهن السجع وهو كلام متكلف يضم الى معنى يشا كله طهارة الله سبحانه من الشر والكهانة وعصمه عنهما وانما منعه سبحانه من الشر ونزهه عنه لأن الغالب من حال الشر ان يدعو الى الهوى ويبعث على الشهوة والنبي ﷺ إنما يأتي بالحكم التي يدعو اليها العقل للحاجة الى العمل عليها والاهتداء بها وايضا فإنه سبحانه منعه من قول الشر دلالة على ان القرآن ليس بصفة الكلام المتبادر بين الناس وانه ليس بشعر بل هو صنف من الكلام خارج عن الانواع المتبادر واذا بدعما جرت

به العادة في تأليف الكلام فذلك ادل على اعجازه وقوله قليلا ما تؤمنون معناه لا تصدقون بأن القرآن من عند الله تعالى يريد بالقليل نفي إيمانهم اصلا كما تقول لمن لا يزورك قل ما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلا فالمعنى لا تؤمنون به ولا تذكرون ولا تفكرون فتعلموا المعجز ونفصلوا بينه وبين الشعر والكهانة (تنزيل من رب العالمين) بين انه منزل من عنده على لسان جبرائيل حتى لا يتوهم انه كلام جبرائيل (ولو تقول علينا) محمد ﷺ (بعض الاقوال) معناه ولو كذب علينا واخلاق ما لم نقله اي لو تكلف القول واتى به من عند نفسه (لاخذنا منه باليمين) اية لاخذنا بيده التي هي اليمين على وجه الازلال كما يقول السلطان با غلام خذ بيده فاخذها الهانة عن ابن جرير وقيل معناه لقطعنا يده اليمين عن الحسن وابي مسلم فعل هذا تكون الباء مزيدة اي لاخذنا منه اليمين وقيل معناه لاخذنا منه بالقوة والقدرة اي لاخذنا ونحن قادرين عليه ما يكون له عن الفراء والمبرد والزجاج وإنما اقام اليمين مقام القوة والقدرة لأن قوة كل شيء في يمانته عن ابن قتيبة (ثم لقطعنا منه الوتين) اي ولكننا نقطع منه وتبته ونهلكه قال مجاهد وقتادة هو عرق في القلب متصل بالظهر وقيل هو جبل القلب (فما منكم من احد عنه حاجزين) اي فما منكم احد يجزنا عنه والمعنى انه لا يتكلف الكذب لاجلكم مع علمه انه لو تكلف ذلك لعاتبناه ثم لم تقدرُوا انتم على دفع عقوبتنا عنه ثم ذكر سبحانه ان القرآن ما هو فقال (وانه لتذكرة للمتقين) اي وانه لعظة لمن اتقى عقاب الله بطاعته (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) بالقرآن اي علمنا ان بعضكم يكذبه اشار سبحانه الى ان منهم من يصدق ومنهم من يكذب (وانه لحسرة على الكافرين) اي ان هذا القرآن حسرة عليهم يوم القيامة حيث لم يعملوا به في الدنيا (وانه لحق اليقين) معناه وان القرآن للمتقين لحق اليقين والحق هو اليقين وإنما اضافة الى نفسه كما يقال مسجد الجامع ودار الآخرة وبارحة الاولى ويوم الخميس وما اشبه ذلك فيضاف الشيء الى نفسه اذا اختلف لفظه وقيل ان الحق هو الذي معتقده على ما اعتقد واليقين هو الذي لا شبهة فيه (فسبح باسم ربك العظيم) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين ومعناه نزه الله سبحانه عما لا يجوز عليه من الصفات والعظيم هو الجليل الذي يصغر شأن غيره في شأنه ويتضامل كل شيء لعظمته وسلطانه

سورة المعارج (مكية)

قال الحسن الا قوله والذين في اموالهم حق معلوم

✽ عدد آياتها ✽

اربع واربعون آية غير الشامي ثلاث شامي

✽ اختلافها ✽

آية الف سنة غير الشامي

✽ فضلها ✽

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم

لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صواباتهم يحافظون وعن جابر عن ابي جعفر (ع) قال من ادمن
قراءة سأل سائل لم يسأله الله يوم القيامة عن ذنب عمله واسكنه جنته مع محمدا ^{صلى الله عليه وسلم}

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سورة الحاقة بوعيد الكفار افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (٢) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ
(٣) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٤) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ
أَلْفَ سَنَةٍ (٥) فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٦) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٧) وَرَأَاهُ قَرِيبًا (٨) يَوْمَ تَكُونُ
السَّمَاوَاتُ كَالسُّمُومِ (٩) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (١٠) وَلَا يُسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا عشر آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وابن عامر سأل بغير همز والباقون بالهمز وقرأ الكسائي يعرج بالياء وقرأ الباقيون بالتاء
وقرأ ابن كثير في رواية البري وعاصم في رواية البرحي عن ابي بكر ولا يسأل بضم الباء والباقون
لا يسأل بفتح الباء

✽ الهمزة ✽

قال أبو علي من قرأ سأل جعل الالف منقلبة عن الواو التي هي عين مثل قال وخاف وحكى ابو عثمان عن
ابي زيد انه سمع من يقول هما يتساولان فمن قل سأل كأن على هذه اللغة ومن قرأ سأل فجعل الهمزة
غير الفعل فإن حقق قال سأل وان خفف جعلها بين الالف والهمزة واما قول الشاعر

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما قالت ولم تصب

ويمكن فيه الوجهان وكل القراء على همز سائل لأنه لا يخلو اما أن يكون من يتساولان او من اللغة
الآخري فإن كان من الاول لم يكن فيه الا الهمز كما يكون في قائل وخائف لأن العين إذا اعتلت بالفعل
اعتلت في اسم الفاعل واعتلالها لا يكون بال حذف للالتباس قلب الى الهمزة وان كانت في لغة من همز فليس فيه الا
الهمز كما يكون في نائر الا انك ان شئت خففت الهمزة فجعلتها بين وبين وكذلك في الوجه الآخر واما يعرج
وتعرج فالياء والتاء فيه حسنتان ومن ضم قوله ولا يسأل حميم حميما فالمعنى والله اعلم لا يسأل حميم عن حميمه
ليعرف شأنه من جهته كما يعرف الخبر الصديق من جهة صديقه والقريب عن قريبه فإذا كان كذلك فالكلام
إذا بنيت الفعل للفاعل قلت سألت زيدا عن حميمه وإذا بنيت الفعل للمفعول به قلت سئل زيد عن حميمه
وقد يحذف الجار فيصل الفعل الى الاسم الذي كان مجرورا قبل حذف الجار فينتصب بأنه مفعول الاسم الذي
استند اليه الفعل المبني للمفعول به فعلى هذا انتصب قوله حميما ويدل على هذا المعنى قوله يبصرونهم أي يبصر
الحميم الحميم تقول بصرت به فإذا ضعفت عين الفعل صار الفاعل مفعولا فتقول بصرتي زيد بكذا فإذا حذف
الجار قلت بصرتي زيد كذا فإذا بنيت الفعل للمفعول به وقد حذف الجار قلت بصرت زيدا فعلى هذا قوله
يبصرونهم فإذا بصروهم لم يحتج إلى تعرف شأن الحميم من حميمه وإنما جمع فقيل يبصرونهم لأن الحميم وان
كان مفردا في اللفظ فالمراد به الكثرة والجمع يدل على ذلك قوله فالنا من شافين ولا صديق حميم

ومن قرأ ولا يسأل حميماً حميماً فالمعنى لا يسأل الحميماً عن حميماً في ذلك اليوم لأنه يذهل عن ذلك ويشغل عنه
بشأنه كما قال يوم يفر المرء من أخيه إلى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

✽ اللغة ✽

المارج مواضع العروج وهو الصعود مرتبة بعد مرتبة ومنه الأعرج لارتفاع إحدى رجله عن الأخرى
قال الزجاج المهمل دردي الزيت وقيل هو الجاري بلفظه وعكزه على رفق من أمهله أمهالاً والمهن الصوف
المنفوش والحميم القريب النسب إلى صاحبه وأصله من القرب
أحمد الله ذلك من لقاء احاد احاد في شهر الحلال

✽ الاعراب ✽

بعذاب الباء تملق بسأل لأن معناه دعا داع بعذاب وقيل ان الباء بمعنى عن وتقديره عن عذاب قال
دع الم عمر لا تسأل بمصرعه واسأل بمصقلة البكري ما فعلاً
يريد عن مصرعه وعن مصقلة واللام في قوله للكافرين بمعنى على ويتعلق بواقع أي واقع على الكافرين
وقيل انه يتعلق بمحذوف فيكون صفة لسائل تقديره سأل سائل كائن للكافرين أي منهم

✽ المعنى ✽

(سأل سائل بعذاب واقع) قيل ان هذا السائل هو الذي قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الآية وهو النضر بن الحارث بن كلدة فيكون المعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستجاب له وهو واقع
بهم لا محالة عن مجاهد وقيل سأل المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمد فجاؤا جوابه بأنه
(للكافرين ليس له دافع) عن الحسن وقيل معناه دعا داع بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبي ﷺ
عن الجبائي وتكون الباء في بعذاب مزيدة على التوكيد كما في قوله وهزي اليك بيذع النخلة والتقدير سأل
سائل عذاباً واقعاً وقيل هي بمعنى عن وعليه تأويل قول الحسن لأنهم سألو عن العذاب لمن هو وقيل الباء
للتعدي أي بإنزال عذاب وعليه تأويل قول مجاهد وقيل ان معنى سأل سائل على قراءة من قرأ بالالف
من سأل يسهل سيلاً والتقدير سأل سائل بعذاب واقع وقيل سائل اسم واد في جهنم سمي به لأنه يسيل
بالعذاب عن ابن زيد واخبرنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسيني قال حدثنا ابو عبد الله
الشيرازي قال حدثنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا
زيد بن اسماعيل مولى الانصار قال حدثنا محمد بن ايوب الواسطي قال حدثنا سفيان بن عيينه عن جعفر
ابن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال لما نصب رسول الله ﷺ علياً (ع) يوم غدير خم وقال
من كنت مولاه فعلي مولاه طار ذلك في البلاد فقدم على النبي ﷺ النعمان بن الحرث الفهري فقال امرنا
عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله ﷺ وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة قبلناها ثم
لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شي منك أو أمر من عند الله فقال
والله الذي لا إله إلا هو ان هذا من الله فولي النعمان بن الحرث وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله ﷻ بجبر على رأسه فقتله وانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع
وقوله ليس له دافع (من الله ذي المارج) أي ليس لعذاب الله دافع من الله وقيل معناه بعذاب للكافرين

واقع من الله أي وقوعه من الله وذبي المعارج صفة الله سبحانه وقيل فيه وجوه **أحدها** **﴿** أن معناه ذي الفواضل العالية والدرجات التي يعطيها للأنبياء والأولياء في الجنة لأنه يعطيهم المنازل الرفيعة والدرجات العلية وهو معنى قول قتادة والجبائي **﴿** وثانيها **﴿** أنها معارج السماء أي مواضع عروج الملائكة عن ابن عباس ومجاهد وقيل الكاظمي معناه ذي السموات لأن الملائكة تخرج فيها **﴿** وثالثها **﴿** أنه بمعنى ذي الملائكة أي مالك الملائكة التي تخرج إلى السماء ومنه ليلة المعراج لأنه عرج بالنبي **﴿** إلى السماء فيها (تخرج الملائكة والروح) أي تصعد الملائكة وتصعد الروح أيضا معهم وهو جبرائيل خصه بالذكر من بين الملائكة تشريفا له (إليه) أي إلى الموضع الذي لا يجري لاحد سواه فيه حكم جعل سبحانه عروجه إلى ذلك الموضع عروجا إليه كقول إبراهيم (ع) اني ذاهب إلى ربي إلى الموضع الذي وعدني ربي (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) اختلف في معناه فقيل تخرج الملائكة إلى الموضع الذي يأمره الله به في يوم كان مقداره من عروج غيرم خمسين الف سنة وذلك من أسفل الارضين إلى فوق السموات السبع وقوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة هو لما بين السماء الدنيا والارض في الصعود والنزول خمسمائة سنة في الصعود وخمسمائة سنة في النزول عن مجاهد والمراد ان الأدميين لو احتاجوا إلى قطع هذا المقدار الذي قطعته الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدة وقيل أنه يعني يوم القيامة وأنه يفعل فيه من الأمور ويقضى فيه من الأحكام بين العباد ما لو فعل في الدنيا لكان مقداره خمسين الف سنة عن الجبائي وهو معنى قول قتادة وعكرمة وروى ابو سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم فقال والذي نفس محمد بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال لو ولي الحساب غير الله لكثروا فيه خمسين الف سنة من قبل ان يفرغوا والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة وعنه أيضا قال لا يتصف ذلك اليوم حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقيل معناه ان أول نزول الملائكة في الدنيا وامره ونهيه وقضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء وهو القيامة هذه المدة فيكون مقدار الدنيا خمسين الف سنة لا يدري كم مضى وكم بقي وانما يعلمه الله عز وجل وقال الزجاج يجوز أن يكون قوله في يوم من صلاة واقع فيكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وذلك العذاب يقع يوم القيامة (فاصبر) يا محمد على تكذيبهم إياك (صبرا جميلا) لا جزع فيه ولا شكوى على ما تقاسيه (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) أخبر سبحانه انه يعلم مجيء يوم القيامة وحلول العقاب بالكفار قريبا ويظنه الكفار بعيدا لأنهم لا يعتقدون صحته وكل ما هو آت فهو قريب دان فالرواية الاولى بمعنى الظن والثانية بمعنى العلم ثم أخبر سبحانه انه متى يقع العذاب بهم فقال (يوم تكون السماء كالمهل) أي كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل كسكر القطران عن عطاء وقيل مثل الفضة إذا اذيت عن الحسن وقيل مثل الصفر المذاب عن ابي مسلم (وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف المصبوغ وقيل كالصوف المنفوش عن مقاتل وقيل كالصوف الأحمر عن الحسن يعني انها تلين بعد الشدة وتفرق بعد الاجتماع قال الحسن انها اولا تصير كثيبا مهيبا ثم تصير عنها منقوشا ثم هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) لشغل كل انسان بنفسه عن غيره عن مجاهد وقيل لا يسأل حميم حميما ان يتحمل عنه من اوزاره لياسه منه ذلك في الآخرة عن الحسن وقال الأعمش الحميم من يخصه الرجل مودة

وشغفة من قريب الرحم وبميدته والحامة الخاصة وقبل معناه انه لا يحتاج الى سؤاله لانه يكون لكل علامة يعرف بها علامة الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون وعلامة المؤمنين نضارة اللون وبياض الوجوه

قوله تعالى (١١) يبصرونهم يوذ المجرم لو يفندي من عذاب يومئذ بينه (١٢) وصاحبه
 وأخيه (١٣) وقصيلته التي توثوبه (١٤) ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيها (١٥) كلاً إنها
 لظي (١٦) نزاعة للشوى (١٧) تدعوا من أذبر وتولى (١٨) وجمع فأوعى (١٩) إن
 الإنسان خلق هلوعاً (٢٠) إذا مسه الشر جزوعاً (٢١) وإذا مسه الخير منوعاً (٢٢) إلا المصلين
 (٢٣) الذين هم على صلواتهم دائمون (٢٤) والذين في أممهم حق معلوم (٢٥) للسائل والمحروم
 (٢٦) والذين يصدقون بيوم الدين (٢٧) والذين هم من عذاب ربهم مشفقون (٢٨) إن عذاب
 ربهم غير مأمون (٢٩) والذين هم لفروجههم حافضون (٣٠) إلا على أزواجهم أو ما ملكت
 أيمانهم فإنهم غير ملومين (٣١) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (٣٢) والذين
 هم لامنتهم وعهدهم راعون (٣٣) والذين هم بشهدتهم قائمون (٣٤) والذين هم على
 صلواتهم يحافظون (٣٥) أولئك في جنات مكرمون خمس وعشرون آية

❖ القراءة ❖

قرأ حفص نزاعة بالنصب والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير لاماتهم بغير الف بعد النون والباقون
 لاماتهم بالجمع وقرأ حفص ويعقوب وسهل بشهادتهم على الجمع والباقون بشهادتهم وكلامهم قرأوا على
 صلاتهم على التوحيد

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من قرأها لظي نزاعة للشوى فرفع نزاعة جاز في رفعه ما جاز في قولك هذا زيد منطلق
 وهذا بعلي شيخ ومن نصب فعل وجهين أحدهما ❖ ان يكون حالاً ❖ والآخر ❖ ان يحمل على فعل فحمله على
 الحال بعيد لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال فإن قلت فإن في قوله لظي معنى التلظي والتلجب فإن
 ذلك لا يستقيم لأن لظي معرفة لا يتنصب عنها الاحوال الا ترى أن ما استعمل استعمال الاسماء من اسم
 فاعل او مصدر لم يعمل هذا النحو من حيث جرى مجرى الاسماء فبان لا يعمل الاسم المعرفة عمله اولى
 وبذلك على تعريف هذا الاسم وكونه علماً ان التنوين لم يلحقه فإذا كان كذلك لم يتنصب الحال عنه فإن
 جمعها مع تعريفها قد صارت معروفة بشدة التلظي جاز ان تنصب بهذا المعنى الحادث في العلم وعلى هذا
 قوله تعالى وهو الله في السماوات وفي الارض علق الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير والالطاف فإن
 علق الحال بالمعنى الحادث في العلم كما علق الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير والالطاف لم يمنع لان
 الحال كالظرف في تعلقها بالمعنى كتملق الظرف به وكان وجها وان علق نزاعة بفعل مضمر نحو اعينها نزاعة

لشوة لم يمتنع أيضا وأما قوله لأمانتهم على الأفراد وإن كان مضافا إلى جماعة لكل واحد منهم إمانة فلأنه مصدر يقع على جميع الجنس ويتناوله ومن جمع فلاختلاف الامانات وكثرة ضرورها فأشبهت بذلك الاسماء التي ليست للجنس والقول في الشهادة والشهادات مثل القول في الامانة والامانات

❖ اللغة ❖

المودة مشتركة بين التمني وبين المحبة يقال ودبت الشيء أي تمنيته ووددته أي احببته أود فيها جميعا والافتداء افتداء الضرر عن الشيء يبدل منه والفصيلة الجماعة المنقطعة عن جملة القبيلة برجوعها إلى ابوة خاصة عن ابوة عامة ولظي اسم من أسماء جهنم مأخوذة من التوقد والنزاعة الكثيرة النزوع وهو اقتلاع عن شدة ضم والاقتلاع اخذ بشدة اعتاد والشوى جلدة الرأس واحدها شولة قال الاعشى

قالت قتيبة ما له قد جللت شيئا شواته

والشوى الاكارع والاطراف والشوى ما عدى المقاتل من كل حيوان يقال رماه فأشواه أي اصاب غير مقتله ورمى فأصمى أي اصاب المقتل والشوى أيضا الخسيس من المال والهلع الشديد الحرص الشديد الجزع والاشفاق رقة القلب عن تحمل ما يخاف من الامور فإذا قسا قلب الانسان بطل الاشفاق والمادى الخارج عن الحق يقال فلان إذا اعتدى وعدا في مشيه إذا أسرع وهو الاصل والمادى الظالم بالاسراع إلى الظلم

❖ الاعراب ❖

يجوز ان يكون العامل في الظرف من قوله يوم تكون السماء كالمهل قوله يصرورنهم ر قوله يود المجرم يجوز أن يكون استئناف كلام ويجوز أن يكون في عمل الجر بدلا من تكون السماء كالمهل هلوعا ومنوعا وجزوعا منصوبة على الحال والتقدير خلق هلوعا جزوعا إذا مسه الشر منوعا إذا مسه الخير والمصلين منصوب على الاستثناء وقوله إلا على أزواجهم قبل أن على هذه عمولة على المعنى والتقدير فإنهم يلامون على غير أزواجهم ويبدل عليه قوله فإنهم غير ملومين عن الزجاج وقيل تقديره إلا من أزواجهم فيكون على بمعنى من

❖ المعنى ❖

لما وصف سبحانه القيامة واخبر أن الحميم فيه لا يسأل حميمه لشغله بنفسه قال (يصرورنهم) أي يعرف الكفار بعضهم بعضا ساعة ثم لا يتعارفون ويفر بعضهم من بعض عن ابن عباس وقيل يعرفهم المؤمنون عن مجاهد أي يصر المؤمن أعداءه على حالهم من العذاب فيشت بهم ويسر وقيل يعرف اتباع الضلالة رؤسائهم وقيل ان الضمير يعود إلى الملائكة وقد تقدم ذكرهم أي يعرفهم الملائكة ويعلمون بصراهم فيسوفون فريقا إلى الجنة وفريقا إلى النار (يود المجرم) أي يمتنى العاصي (لو يفتدي من عذاب يومئذ بينه) يمتنى سلامته من العذاب النازل به بإسلام كل كريم عليه من اولاده الذين هم اعز الناس عليه (وصاحبه) أي وزوجه التي كانت سكنا لهم وربما آثرها على ابويه (واخيه) الذي كان ناصرا له ومعينا (وفصيلته) أي وعشيرته (التي تؤويه) في الشدائد وتضمه وبأوي إليها في النسب (ومن في الارض جميعا) أي وجميع الخلائق يقول يود لو يفتدي بجميع هذه الاشياء (ثم ينجي) ذلك الفداء (كللا) لا ينجي ذلك قال الزجاج كلا ردع وتنبه أي لا يرجع احد من هؤلاء فارتدعوا (انها لظلي) يعني ان يارجهنم

او الفصة لظي نزاعة للشوى وسميت لظي لانها تلتظي اي تشتعل وتنتهب على اهلها وقبل لظي اسم من اسماء جهنم وقبل هي الدر كة الثأب منه وهي (نزاعة للشوى) تنزع الاطراف فلا تترك لحما ولا جلد الا احرقته عن مقاتل وقبل تنزع الجلد وأم الرأس عن ابن عباس وقبل تنزع الجلد واللحم عن العظم عن الضحاك وقال الكلبي يعني تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان وقال ابو صالح الشوى لحم الساق وقال سعيد بن جبير المصعب والعقب وقال ابو العالية محاسن الوجه (تدعو من ادبر وتولى) يعني النار تدعو الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى عن طاعة الله ورسوله عن قتادة والمعنى انه لا يفوت هذه النار كافر فكأنها تدعوه فيجبها كرها وقبل ان الله تعالى ينطق النار حتى تدعوهم اليها وقبل معناه تدعو زبانية النار من ادبر وتولى عن الحق فجعل ذلك سبحانه دعاء من النار عن الجبائي وقبل تدعو اي تعذب رواه المبرد عن الخليل قال يقال دعاك الله اي عذبك (وجمع) المال (فاوعى) اي امسكه في الوعاء فلم ينقعه في طاعة الله فلم يودزكاة ولم يصل رحما وقبل جمعه من باطل ومنه عن الحق (ان الانسان خلق هلوعا) اي ضجورا شحيحا جزوعا من الهلع وهو شدة الحرص وقال اهل البيان تفسير فيما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعني اذا اصابه الفقر لا يحتسب ولا يبصر واذا اصابه الثنى منه من البر ثم استثنى سبحانه الموحد بن المطيعين فقال (الا المصابين الذين هم على صلاتهم دائمون) مستمرون على ادايتها لا يخلون بها ولا يتركونها وروي عن ابي جعفر (ع) ان هذا في النوافل وقوله (والذين هم على صلاتهم يحافظون) في الفرائض والواجبات وقبل هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة عن عقبه عن عامر والزجاج (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) يعني الزكاة المفروضة والسائل الذي يسأل والمحروم الفقير الذي يتعفف ولا يسأل وقد سبق تفسيرها وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الحق المعلوم ليس من الزكاة وهو الشيء الذي تخرجه من مالك ان شئت كل جمعة وان شئت كل يوم ولكل ذي فضل فضله وروي عنه ايضا انه قال هو ان تصل القرابة وتعطي من حرمك وتصدق على من عاداك (والذين يصدقون بيوم الدين) اي يؤمنون بأن يوم الجزاء والحساب حق لا يشكون في ذلك (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اي خائفون (ان عذاب ربهم غير مأمون) اي لا يؤمن حلوله بمستحقه وهم العصاة وقبل معناه يخافون ان لا تقبل حسناتهم ويؤخذون بسيئاتهم وقبل غير مأمون لأن المكلف لا يدري هل ادى الواجب كما امر به وهل انتهى عن المحذور على ما نهى عنه ولو قدرنا ان انسانا يعلم ذلك من نفسه لكان آمنا (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم) يعني الذين يحفظون فروجهم عن المناكح على كل وجه وسبب الا على الازواج او ملك الايمان من الامماء (فانهم غير ملومين) على ترك حفظ الفروج عنهم (فمن اجنى وراء ذلك فأولئك هم العادون) فمن طلب وراء ما اباحه الله له من الفروج فأولئك هم الذين تعدوا حدود الله وخرجوا عما اباحه لهم ومعنى وراء ذلك ما خرج عن حده من اي جهة كان (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) اي حافظون والامانة ما يؤتمن المرء عليه مثل الوصايا والودائع والحكومات ونحوها وقبل الامانة الايمان وما اخذ الله على عباده من التصديق بما اوجبه عليهم والعمل بما يجب عليهم العمل به (والذين هم بشهاداتهم قاننون) اي يقيمون الشهادات التي تلزمهم اقامتها والشهادة الاخبار بالشيء انه على ما شاهدوه ذلك انه قد يكون عن مشاهدة للمخبر به وقد يكون عن مشاهدة ما يدعوا اليه (والذين هم

على صلواتهم يحافظون) اي يحفظون اوقاتها واركاتها فيؤدونها بتمامها ولا يضيعون شيئا منها وروى محمد بن الفضيل عن ابي الحسن (ع) انه قال اولئك اصحاب الخمسين صلاة من شيعتنا وروى زرارة عن ابي جعفر (ع) قال هذه الفريضة من صلاحها لوقتها عارفا بحقها لا يؤثر عليها غيرها كعب الله له بها برائة لا يعذبه ومن صلاحها اتمير وقتها موثرا عليها غيرها فان ذلك اليه ان شاء غفر له وان شاء عذبه (واولئك) وصفوا بهذه الصفات (في جنات) اي بساتين ~~ببعض الشجر~~ (مكرمون) معظمون مبعجلون بما يفعل بهم من الثواب

قوله تعالى (٣٦) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مَهْطِعِينَ (٣٧) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٨) أَبْطَمَعُ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٩) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٤٠) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤١) عَلَى أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤٢) فَذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ (٤٣) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ (٤٤) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلِيلَةً ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ نسع آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وحفص وسهل إلى نصب بضمين والباقون إلى نصب بفتح النون وسكون الصاد

✽ الحجة ✽

قال ابو علي يجوز أن يكون نصب جمع نصب مثل سقف وسقف وورد وورد ومن ثقل فقال نصب كان بمنزلة اسد ويمكن أن يكون النصب والنصب لغتين كالضعف والضعف وما اشبه ذلك ويكون الثقل كسفل وشغل وطنب وطنب

✽ اللفظة ✽

قال الزجاج المهطم المقبل يبصره على الشيء لا بزايه وذلك من نظر العدو وقال ابو عبيدة الالهطاع الاسراع وعززين جماعات في تفرقة واحدهم عزة وإنما جمع بالواو والنون لأنه عوض مثل سنة وسنون وأصل عزة عزوة من عزاه بعزوه إذا أضافه إلى غيره فكل جماعة من هذه الجماعات مضافة إلى الاخرى قال الراعي

اخليفة الرحمن إن عشيرتي امسى سوامهم عزين فلولاً
وقال عنزة

وقرن قد تركت لدى مكره عليه الطير كالمصب المزينا
وقيل إن المحذوف من عزة هاء والاصل عزمة وهو من العزامة وهو المنتبض عن النساء وعن اللهو معهن
قال الاحوص

إذا كنت عزهارة عن اللهو والصبي فكفن حجرا من يابس الصخر جلعدا

وعن ابي هريرة قال خرج النبي ﷺ على اصحابه وهم حلق حلق متفرقون فقال مالي اراكم عزيزين والاجداث القبور واحدا حدث وجدف بمناءه والابفاض الاسراع والنصب الصنم الذي كانوا يبدونه قال الاعشى

وذا النصب المنسوب لا تنسكنه لعاقبة والله ربك فاعبدا

❦ الاعراب ❦

فا للذين كفروا ما رفع بالابتداء واللام خبره وفيه ضميره وقبلك في موضع الحال من كفروا أو من المجرور على التقدير فالهم ثابتين قبلك ومهطمين حال من الضمير في قبلك ويجوز في قبلك أن يكون ظرفا للام وأن يكون ظرفا لمهطمين ويجوز أن يكون مهطمين حالا بعد حال وعن اليمين يتعلق به وعن اليمين حال بعد حال ويجوز أن يتعلق عن اليمين بعزيم ومناء مجتمعين عن اليمين وعن الشمال كأنهم إلى نصب يوفضون جملة منصوبة الموضع على الحال من قوله سراعا خاشعة ابصارهم حال من الضمير في يوفضون

❦ المعنى ❦

ثم قال سبحانه على وجه الانكار على الكفار (فا للذين كفروا) يعني اي شئ للذين كفروا بتوحيد الله أي ما بالهم وما حملهم على ما فعلوا (قبلك) اي عندك يا محمد (مهطمين) مسرعين اليك عن ابي عبيدة وقبل متعلمين عن الحسن وقبل مقبلين عنك بوجههم لا يلتفتون عنك أي ناظرين اليك بالعداوة والمراد بالذين كفروا هنا المنافقون (عن اليمين وعن الشمال) أي عن يمينك وعن شمالك (عزيم) اي جماعات متفرقين عصبية وعصبية جماعة (ايطمع كل امرئ) منهم أي من هؤلاء المنافقين (بأن يدخل الجنة) كما يدخل أو تلك الموصوفون قبل هذا وإنما قال هذا لأنهم كانوا يقولون إن كان الامر على ما قال محمد فأنت لنا في الآخرة عند الله افضل مما للمؤمنين كما اعطانا في الدنيا افضل مما اعطاهم (كلا) اي لا يكون ولا يدخلونها (انا خلقناهم ما يعلمون) أي من النطفة عن الحسن أي من كان اصله من هذا الماء المهيمن فكيف استوجب الجنة باصله وبفسه وإنما يستوجبها بالاعمال الصالحة به سبحانه بهذا على أن الناس كلهم من اصل واحد وإنما يتفاضلون بالايمان والطاعة وتحقيقه وإنما خلقناهم من المغاير والانجاس فمتى يدخلون الجنة ولم يؤمنوا بي ولم يصدقوا رسولي وقبل معناه خلقناهم من الجنس الذين يعلمون او من الخلق الذين يعلمون ويفقهون ويلزمهم الحجية ولم نخلقهم من الجنس الذي لا يفقه كالبهائم والطير وقيل معناه خلقناهم من اجل ما يعلمون من الثواب والعقاب والتكاييف للطاعات تعريضا للثواب كما يقول القائل غضبت عليك مما تعلم اي من اجل ما تعلم قال الاعشى

أأزمت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى ان تزارا

اي من اجل آل ليلى ودل قوله وشطت على ذي هوى انه لم يزمع من عندهم وإنما الزم مع اجلهم للمصير اليهم (فلا اقسام) هو مفسر في سورة الحاقة (برب المشارق والمغرب) يعني مشارق الشمس ومغربها فإن لها ثلاثمائة وستين مطلما لكل يوم مطلع لا تعود اليه إلى قابل عن ابن عباس (انا لقادرون على ان تبدل خيرا منهم) هذا جواب القسم يعني انا تقدر على ان نهلكهم ونأتي بدلهم بقوم آخرين خيرا منهم (وما نحن بمسوقين) هذا حطفت على جواب القسم اي وان هؤلاء الكفار لا يقرون بأن يتقدموا على وجه يمنع من لحاق العذاب

بهم فإنهم لم يكونوا سابقين ولا العقاب مسبوقة منهم والتقدير وما نحن بمسبوقين يفوت عقابنا إياهم فإنهم لو سبقوا عقابنا لسبقونا وقبل معناه وما نحن بمنلوبين عن أبي مسلم (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) فإفك وبال ذلك عائد عليهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة (يوم يخرجون من الأحداث) أي القبور (سراعاً) مسرعين لشدة السوق (كأنهم إلى نصب يوفضون) أي كأنهم يسعون ويسرعون إلى علم نصب لهم عن الجبائي وأبي مسلم وقبل كأنهم إلى أو ثأنتهم يسعون للتقرب اليها عن ابن عباس وقتادة (خاشعة ابصارهم) أي ذليلة خاضعة لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم (ترهقهم ذلة) أي تغشاهم مذلة (ذلك اليوم الذي) وصفه اليوم الذي (كانوا يوعدون) به دار التكليف فلا يصدقون به ويحمدونه قد شاهدوه في تلك الحال

سورة نوح (مكية)

﴿ عدد آياتها ﴾

ثمان وعشرون آية كوفي تسع بصري شامي ثلاثون في الباقيين

﴿ اختلافها ﴾

اربع آيات سواها فادخلوا ناراً كلاهما غير الكوفي ونسرا كوفي والمدني الاخير اضلوا كثيراً مكياً والمدني الاول

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدرهم دعوة نوح أبو عبد الله (ع) قال من كان يومئذ بالله واليوم الآخر وبقراً كتب به فلا يدع ان يقرأ سورة إنا أرسلنا نوحاً فأمره فقرأها محتسباً صابراً في فضيلة أو نافذة أسكنه الله مساكن الأبرار وأعطاه ثلاث جنات مع جنة كرامة من الله وزوجه مائتي حوراء وأربعة آلاف ثيب إن شاء الله تعالى

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم سبحانه تلك السورة بوعيد أهل التكذيب افتتح هذه السورة بذكر قصة نوح وقومه وما نالهم بالتكذيب تسلياً للنبي ﷺ فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٣) أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٤) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً (٦) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً (٧) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْوَاعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَفْسَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَوْا وَأَمْسَكُوا أَكْبَاراً (٨) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً (٩) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ

لَهُمْ إِسْرَارًا (١٠) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١١) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١٢) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنَبِّئُكُمْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٣) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا (١٤) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا - اربع عشرة آية

﴿ اللغة ﴾

الاستغشاء طلب التغمي والاصرار الإقامة على الامر بالعزيمة عليه والمدار الكثير الدور بالغيث والمطر والامداد الحاق الثاني بالاول على النظام حالا بعد حال يقال امده بكذا ومد النهر نهر آخر والاموال جمع المال وهو عند العرب النعم واصل الوقار الثبوت وما به يكون الشيء عظيما من الحلم الذي يمتنع معه الخرق والرجاء بمعنى الخوف قال ابو ذؤيب

إذا سمعته النحل لم يرج لسمعها

وخالفها في بيت نوب عواسل

﴿ الاعراب ﴾

ان انذر قومك في موضع نصب بأرسلنا لأن الأصل بان انذر قومك فلما سقطت الباء افضى الفعل وقيل ان موضعه جر وان سقطت الباء وقد تقدم بيانه ويجوز ان يكون ان هذه المفسرة بمعنى اي وجهارا مصدر وضع موضع الحال اي دعوتهم مجاهر الهم بالدعاء الى التوحيد وقوله مدرارا نصب على الحال لا تارجون لله وقاراً جملة في موضع الحال ايضاً والعامل في الحال في ما لكم من معنى الفعل وقاراً منصوب بأنه مفعول تارجون

﴿ المعنى ﴾

اخبر سبحانه عن نفسه فقال (انا ارسلنا) اي بشنا (نوحا) رسولا (الى قومه) ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) معناه ارسلنا لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا قال الحسن امره ان ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ثم حكى ان نوحا امثل ما امر الله سبحانه به بأن قال (قال يا قوم) اضافهم الى نفسه فكأنه قال انتم تشيرون يسوونني ما يسوونكم (اني لكم نذير مبين) اي مخوف مبين وجوه الادلة في الوعيد وبيان الدين والتوحيد (اعبدوا الله واتقوه) اي اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتقوا معاصيه (واطيعون) فيما امركم به لأن طاعتي مقرونة بطاعة الله وطاعة الله واجبة عليكم لمكان نعمه السابقة التي لا توازيها نعمة منعم (يغفر لكم من ذنوبكم) اي فانكم ان فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ومن مزبدة وقيل ان من هاهنا للتبويض والمعنى يغفر لكم ذنوبكم السالفة وهي بعض الذنوب التي تضاف اليكم ولما كانت ذنوبهم التي يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها على الاطلاق لما يكون في ذلك من الاغراء بالقبيح قيد سبحانه هذا التقيد (ويؤخركم الى اجل مسمى) وفي هذا دلالة على ثبوت اجلين كأنه شرط في الوعد بالاجل المسمى عبادة الله والتقوى فلما لم يقع ذلك منهم اقتطعوا بعذاب الاستيصال قبل الاجل الاقصى بالاجل الادنى ثم قال (ان اجل الله) يعني الاقصى (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) صحة ذلك وتوهمون به قال الحسن يعني بأجل الله يوم القيامة جملة اجلا البعث ويجوز ان يكون هذا حكاية عن قول نوح (ع) لقومه ان يكون اخبارا منه سبحانه عن نفسه (قال) نوح (رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا) الى عبادتك وخلع الانداد من دونك والى الاقرار بنبوتي (فلم يزدحم دعائي الا فرارا) اي لم يزدادوا بدعائي اياهم الا فرارا

من قبوله ونفارا منه وادبارا عنه وإنما سمي كفرهم عند دعائه زيادة في الكفر لأنهم كانوا على كفر وضلال فلما دعاهم نوح (ع) إلى الاقلاع عن ذلك والاقرار به ولم يقبلوه فكفروا بذلك كأن ذلك زيادة في الكفر لأن الزيادة هي إضافة الشيء إلى مقدار قد كان حاصلًا ولو حصلًا جميعًا في وقت واحد لم يكن لأحدهما زيادة على الآخر (وإني كلما دعوتهم) إلى اخلاص عبادتك لتغفر لهم (جعلوا أصابعهم في آذانهم) لئلا يسمعوا كلامي ودعائي (واستغشوا ثيابهم) أي غطوا بها وجوههم لئلا يروني (واصروا) أي داموا على كفرهم (واستكبروا استكبارًا) أي تكبروا وأنفوا عن قبول الحق والاصرار بالإقامة على الأمر بالعزيمة عليه فلما كانوا عازمين على الكفر كانوا مصرين وقيل إن الرجل منهم كان يذهب بابنه إلى نوح فيقول له احذر وهذا لا يغوينك فإن أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك فحذرتني مثل ما حذرتك عن فتادة (ثم إني دعوتهم جهارًا) أي بأعلى صوتي عن ابن عباس وقيل مجاهرة يرى بعضهم بعضًا أي ظاهرا غير خفي (ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسرارًا) أي دعوتهم في العلانية وفي السر وقيل معناه إني أعلنت جماعة بالدعوة وأسررت جماعة ثم أعلنت للذين أسررت وأسررت للذين أعلنت لهم ومعناه إني سلكت معهم في الدعوة كل مذهب وتطفت لهم في ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا (فقلت استغفروا ربكم) أي اطلبوا منه المغفرة على كفركم ومعاصيكم (إنه كان غفارا) لكل من طلب منه المغفرة فعتى رجعتهم عن كفركم واطعمتموه (يرسل السماء عليكم مدرارا) أي كثيرة الدرور بالثبث وقيل أنهم كانوا قد قحطوا واستنوا وهلكت أموالهم وأولادهم فذلك رغبهم في رد ذلك بالاستغفار مع الإيمان والرجوع إلى الله قال الشعبي قحط المطر على عهد عمر بن الخطاب فصعد المنبر ليستسقي فلم يذكر إلا الاستغفار حتى نزل فلما نزل قيل له ما سمعناك استسقيت قال لقد طلبت الغيث بمجاريح السماء التي بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية (ويمددكم بأموال وبنين) أي يكثر أموالكم وأولادكم الذكور عن عطا (ويجعل لكم جنات) أي بسائين في الدنيا (ويجعل لكم أنهارا) تسقون بها جناتكم قال فتادة علم نبي الله نوح أنهم كانوا أهل حرص على الدنيا فقال هلموا إلى طاعة الله فإن فيها درك الدنيا والآخرة وروى الربيع بن صبيح أن رجلا أتى الحسن فشكا إليه الجدوبة فقال له الحسن استغفر الله وأتاه آخر فشكا إليه الفقر فقال له استغفر الله وأتاه آخر فقال ادع الله أن يرزقني ابنا فقال له استغفر الله فقلنا أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت ذلك من ذات نفسي وإنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح إنه قال لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا إلى آخره وروى علي بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن أبيه قال سألت رجلا أبا جعفر (ع) وأنا عنده فقال له جعلت فداك إني كثير المال وليس يولد لي ولد فهل من حيلة قال نعم استغفر ربك سنة في آخر الليل مئة مرة فإن ضيقت ذلك بالليل فاقضه بالنهار فإن الله يقول استغفروا ربكم إلى آخره ثم قال نوح (ع) لهم على وجه التبكيت (ما لكم) معاشر الكفار (لا ترجون الله وقارًا) أي لا تخافون الله عظمة فالوقار العظمة اسم من التوقير وهو التعميم والرجاء الخوف هنا والمعنى لا تعظمون الله حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ما لكم لا ترجون الله عاقبة عن فتادة أي لا تطعمون في عاقبة لعظمة الله تعالى وقيل . ناه ما لكم لا تخافون الله عذابا ولا ترجون منه ثوابا في رواية أخرى عن ابن عباس وقيل معناه ما لكم لا ترجون الله عاقبة الإيمان وتوحدون الله عن الزجاج وقيل معناه ما لكم لا تعتقدون الله

اثباتا عن ابي مسلم (وقد خلقكم اطوارا) اي خلقكم طورا نطفة ثم طورا علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسا العظام لها ثم انشأ خلقا آخر نبت له الشعر وكل له الصورة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل اطوارا احوالا حالا بعد حال وقيل معناه صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وقيل خلقكم مختلفين في الصفات اغنياء وفقراء ووزمنا واصحاء وطوالا وقصارا والآية محتملة للجميع

قوله تعالى (١٥) ألم ترؤا كيف خلق الله سبع سموات طباقا (١٦) وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا (١٧) والله أنبتكم من الأرض نباتا (١٨) ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا (١٩) والله جعل لكم الأرض يساطا (٢٠) لتسلكوا منها سبلا فجاجا (٢١) قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا (٢٢) ومكروا مكرا كبيرا (٢٣) وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن وداولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا (٢٤) وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا (٢٥) مما خطيبتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا (٢٦) وقال نوح رب لا تدر على الأرض من الكافرين ديارا (٢٧) إنك إن تدرهم بضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا (٢٨) رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وامن دخل بيتي مؤمنا والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا اربع عشرة آية

✽ القراءة ✽

قرأ اهل المدينة ودا بالضم والباقون بالفتح وقرأ ابو عمرو وما خطاياهم والباقون ما خطيبتانهم بالناء والمد والهمزة وقد ذكرنا الاختلاف في ولده في سورة مريم (ع)

✽ الحجة ✽

قال ابو عبيدة زعموا أن ودا كان صنم لهذا الحي من كلب وحكاه بالفتح قال وسمعت قول الشاعر
فحيالك ود من هداك لفتنة وخوص بأعلا ذي فضالة هجد
وقال ابو الحسن ضم اهل المدينة الواو وعسى أن يكون لفة في اسم الصنم وسمعت هذا البيت
حياك ودا فأنا لا يحل لنا لمو النساء وان الدين قد عزما

الواو مضمومة وخطاياهم جمع التكبير وخطيبتان جمع التصحيح ومازائدة كالتي في قوله فبارحة من الله وقوله فباتقضهم ميثاقهم

✽ اللفظة ✽

الفجاج الطرق المتسعة المتفرقة واحدها فجع وقيل الفجع المسلك بين جبلين والسواع هنا صنم وفي غيره الساعة من الليل ومثله السعواء والكبار الكبير جدا يقال كبير ثم كبار ثم كبار ومثله عجيب وعجاب وعجاب وحسن وحسان وحسان وروى أن اعرابيا سمع النبي ﷺ يقرأ ومكروا بكرا كبيرا فقال ما افصح ربك يا محمد وهذا من جفاء الاعراب لأن الله تعالى سبحانه لا يوصف بالفصاحة وديارا فيعال

من الدوران ونحوه القيام والاصل قبوام وديوار فقلت الواو ياء وادغمت احدهما في الاخرى قل الزجاج
يقال ما بالدار ديار أي ما بها احد يدور في الأرض قال الشاعر

وما نبالي إذا ما كنت جارتنا أن لا يجاورنا الاك ديار
فجعل المتصل موضع المنفصل ضرورة

✽ الاعراب ✽

طباقا منصوبا على احد وجهين أن يكون على تقدير خلقهن طباقا وان يكون نعتا لسبع اي سبع سموات
ذات طباق نباتا مصدر فعل محذوف تقديره انبتكم فنبتم نباتا وقال الزجاج هو محمول على المعنى لأن معنى
انبتكم جعلكم تنبتون نباتا وما من قوله ما خطيئاتهم مزيدة لتأكيد الكلام

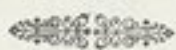
✽ المعنى ✽

ثم خاطب سبحانه المكافين منها لهم على توحيدهم فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا)
أي واحدة فوق الاخرى كالقباب (وجعل القمر فيهن نورا) قبل فيه وجوه ✽ احدها ✽ أن المعنى وجعل
القمر نورا في السموات والأرض عن ابن عباس قال يضي ظهره لما يليه من السموات ويضي وجهه لأهل
الأرض وكذلك الشمس ✽ وثانيها ✽ أن معنى فيهن معهن يعني وجعل القمر معهن أي مع خلق السموات
نورا لأهل الأرض ✽ وثالثها ✽ أن معنى فيهن في حيزهن وإن كان في واحدة منها كما تقول ان في هذه
الدور لبثرا وان كانت في واحدة منها لأن ما كان في احدهن كان فيهن وكما تقول اتيت بني تميم وإنما
اتيت بعضهم (وجعل الشمس سراجا) اي مصباحا يضي لأهل الأرض لما كانت الشمس جعل فيها
النور للاستضاءة به كانت سراجا فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان (والله انبتكم من الأرض
نباتا) يعني مبتدأ خلق آدم وآدم خلق من الأرض والناس ولده وهذا كقوله وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء وقيل معناه انه أنشأ جميع الخلق باغثذا ما تنبتة الأرض ونما فيها وقيل معناه انبتكم من الأرض
بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر (ثم يعيدكم فيها) أي في الأرض امواتا (ويخرجكم) منها عند
البعث احياء (اخرجا) وإنما ذكر المصدر تأكيدا (والله جعل لكم الأرض بساطا) اي مبسوطة ليتمكنكم
المشي عليها والاستقرار فيها ثم يرب انه إنما جعلها كذلك (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اي طرقا واسعة
وقيل طرقا مختلفة عن ابن عباس وقيل سبلا في الصحاري وفجاجا في الجبال وإنما عدد سبحانه هذه
الضروب من النعم امتنانا على خلقه وتنبها لهم على استحقاقه للعبادة خالصة من كل شرك ودلالة لهم على انه
عالم بمصالحهم ومدبر لهم على ما تقتضيه الحكمة فيجب أن لا يقابلوا هذه النعم الجليلة بالكفر والجحود ثم
عاد سبحانه إلى ذكر نوح (ع) بقوله (قال نوح) على سبيل الدعاء (رب انهم عصوني) فيما امرتهم به ونهيتهم
عنه يعني قومهم (واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خسارا) اي واتبعوا اغنياء قومهم اغترارا بما آتاهم الله من
المال والولد فقالوا لو كان هذا رسولا لله لكان له ثروة وغنى وقرى وولد وولد بالضم والفتح فالولد الجماعة
من الاولاد والولد الواحد وقيل هما سواء والخسار الهلاك بذهاب رأس المال وقيل ان معناه اتبع الفقراء
والسفلة الرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والاولاد إلا هلاكاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة (ومكروا)
في دين الله (مكرا كبارا) أي كبيرا عظيما عن الحسن وقيل معناه قالوا قولاً عظيماً عن ابن عباس وقيل اجترأوا

على الله وكذبوا رسوله عن الضحاك وقيل مكرهم تحريشهم سفلتهم على قتل نوح (ع) (وقالوا لا تذرنا
 ألهنكم) أي لا تتركوا عبادة اصنامكم ثم خصوا اصناما لهم معروفة بعد دخولها في الجملة الاولى تعظيما لها
 فقالوا (لا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وهذه اسماء اصنام كانوا يعبدونها ثم عبدتها العرب
 فيها بعد عن ابن عباس وقتادة وقيل إن هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح (ع) فنشأ قوم بعدهم
 يأخذون إخذهم في العبادة فقال لهم ابليس لو صورتهم صورهم كان انشط لكم واشوق إلى العبادة ففعلوا
 فنشأ بعدهم قوم فقال لهم ابليس إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فبدأ عبادة الاوثان كان
 ذلك الوقت عن محمد بن كعب وقيل كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند ويجول بينه وبين الكفار
 لئلا يطوفوا بقبره فقال لهم ابليس إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو آدم دونكم وانا هو جسد
 وانا اصور لكم مثله تطيفون به فنحت خمسة اصنام وحملهم على عبادتها وهي ود وشواع ويعوق ويغوث ونسر
 فلما كان ايام الترقى دفن الطوفان تلك الاصنام وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان
 لشركي العرب فاتخذت قضاة ودا فعبدوها بدومة الجندل ثم توارثها بنوه الاكابر فالأكابر حتى صارت
 إلى كعب فجاء الإسلام وهو عندهم واخذ بطنان من طي يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زمانا ثم ان
 بني ناجية أرادوا أن ينزعوه منهم ففروا به إلى بني الحرث بن كعب وأما يعوق فكان لكهلان ثم توارثه
 بنوه الاكبر فالأكبر حتى صار إلى همدان وأما نسر فكان لثعمر يعبدونه وأما سواع فكان لآل ذي
 الكلالع يعبدونه عن ابن عباس وقيل إن أوثان قوم نوح صارت إلى العرب فكانت ود بدومة الجندل
 وسواع برهاط لهذيل وكان يغوث لبني غطفان من مراد وكان يعوق لهمدان وكان نسر لآل ذي الكلالع
 من حير وكان اللات لتقيف وأما العزى فلسلم وغطفان وجشم ونضر وسعد بن بكر وأما مائة فكانت
 لتقديد وأما اساف ونائلة زهبل فلأهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود وكانت نائلة حيال الركن
 اليماني وكان هبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا عن عطا وقتادة والثالي وقال الواقدي كان ود على
 صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر
 من الطير (وقد اضلوا كثيرا) أي ضل بعبادتها وبسببها كثير من الناس نظيره رب انهن اضلن كثيرا من
 الناس وقيل معناه وقد اضل كبرائهم كثيرا من الناس عن مقاتل وأبي مسلم وعلى هذا فإن الضمير في اضلوا
 يعود إلى اكابر قوم نوح (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) أي هلاكا كما في قوله إن المجرمين في ضلال
 وسمر وقيل لإفنته بالمال والولد وقيل إلا ذهابا عن الجنة والثواب قال البلخي لا تزدهم إلا منما من الطاعات
 عقوبة لهم على كفرهم فإنهم إذا ضلوا استحقوا منع الاطاف التي تفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها ويمتثلون
 ولا يجوز أن يفعل بهم الضلال عن الحق والايان لأن ذلك لا يجوز في صفة الحكيم تعالى الله عن ذلك
 (ما خطيئاتهم اغرقوا) أي من خطيئاتهم وما مزيدة والتقدير من اجل ما ارتكبه من الخطايا والكبائر
 (اغرقوا) على وجه العقوبة (فادخلوا نارا) بعد ذلك ليعاقبوا فيها (فلم يجدوا لهم من دون الله اتصارا) أي
 لم يجدوا احدا يمنهم من عذاب الله وإنما اتى سبحانه بالفاظ المعني على معنى الاستقبال لصدق الوعد به
 وقال الضحاك اغرقوا فادخلوا نارا في الدنيا في حالة واحدة كانوا يفرقون من جانب ويحترقون في النار من
 جانب وانشد ابن التباري

الخلق مجتمع طورا ومفترق
والحادثات فنون ذات اطوار
لا تعجبين لاضداد إذا اجتمعت
فالله يجمع بين الماء والنار

(وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) اي نازل دار بعني لا تدع منهم احداً إلا
اهلكته قال قتادة ما دعا بهذا عليهم إلا بعد أن انزل عليه انه ان يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلذلك
قال (انك إن تذرهم يضلوا عبادك) أي ان تتركهم ولم تهلكهم يضلوا عبادك عن الدين بالأغواء والدعاء
إلى خلافه (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) وإلا فسلم يعلم نوح الغيب وإنما قال ذلك بعد أن أعلمه الله آياه
والمعنى ولا يلدوا إلا من يكون عند بلوغه كافرا لأنه لا يذم على الكفر من لم يقع منه فعل الكفر وقال
مقاتل والربيع وعطاء وإنما قال ذلك نوح (ع) لأن الله تعالى اخرج من اصلاهم كل من يكون مؤمنا واعتم ارحام
نسائهم وایس اصلا ب رجاله قبل العذاب بأربعين سنة واخبر الله تعالى نوحا بأنهم لا يؤمنون ولا يلدون
مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعاءه فاهلكهم كاهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب ثم دعا لنفسه
والمؤمنين والمؤمنات فقال (رب اغفر لي ولوالدي) واسم ابيه لك بن متوشلخ واسم امه سمحاء بنت
انوش وكان مؤمنا وقيل يريد آدم وحواء (ولن دخل بيتي مؤمنا) أي دخل داري وقيل مسجدي عن
الضحاك وقيل سفيني وقيل يريد بيت محمد ﷺ (والمؤمنين والمؤمنات) عامة وقيل من امة محمد ﷺ
عن الكلبي (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) أي هلاكا ودمارا قال اهل التحقيق دعاء نوح (ع) دعوتين دعوة
على الكافرين ودعوة للمؤمنين فاستجاب الله دعوته على الكافرين فأهلك من كان منهم على وجه الأرض
ونرجو ان يستجيب ايضا دعوته للمؤمنين فينفر لهم



سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون آية

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الجن اعطي بعدد كل جن وشيطان صدق بمحمد
وكذب به عنق رقبة . حنان بن سدير عن ابي عبد الله (ع) قال من أكثر قراءة قل أرحمي لم يصبه في حياة
الدنيا شيء من اعين الجن ولا من نفثهم ولا من سحرهم ولا من كيدهم وكان مع محمد ﷺ فيقول يارب
لا اريد بهم بدلا ولا اريد بدرجةتي حولا

﴿ تفسيرها ﴾

لما تقدم في سورة نوح (ع) اتباع قومه اكابرهم افتتح سبحانه في هذه السورة اتباع الجن نبينا ﷺ
ليعلم الفرق بين من ربهت صفقته وبين من خسرت بيعته فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا

قُرْآنًا عَجَبًا (٢) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٣) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٤) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٥) وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٦) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٧) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٨) وَأَنَا لَسْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٩) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ بَيِّنَاتٍ لَّهُ شَهَابًا رَصَدًا (١٠) وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا

عشر آيات

* الفرواة *

قرأ ابو جعفر قل اوحى الى انه استمع بفتح الالف ولم يخلفوا فيه ثم قرأ في الآية الثالثونه تعالى بالفتح وفي الرابعة وانه كان يقول بالفتح وفي السادسة وانه كان رجال بالفتح ويقرأ ما سواها بالكسر اولا قوله وأن لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام فإنه يقرأ هذه الثلاثة بالفتح وقال الرواة عنه ما كان مردودا على الوحي فهو انه بالفتح وما كان من قول الجن فهو بالكسر وهذا قول غير مستقيم على قراءته ويمكن أن يكون قد وقع خلل في روايته وقرأ ابن عامر واهل الكوفة غير ابي بكر بالفتح من قوله انه تعالى الى قوله وانا منا المسلمون وقرأ الباقرن كله بالكسر اولا قوله وأن لو استقاموا وأن المساجد فإنها بالفتح لم يخلفوا فيه وقرأ نافع وعاصم برواية ابي بكر وانه لما قام بالكسر والباقرن بالفتح وقرأ يعقوب ان لن تقول بتشديد الواو وفتحها وفتح القاف وروي ذلك عن الجحدري والحسن والباقرن أن لن تقول بالتخفيف وفي الشواذ قرواة جوية بن عابد قل اوحى الى على وزن فعمل

* الحجبة *

قال ابو علي اما قوله ان لو استقاموا فإنه يجوز فيه امران * احدهما * أن تكون ان المخففة من التثنية فيكون محولا على الوحي كأنه أوحى إلي ان لو استقاموا وفصل لو بينها وبين الفعل كفصل السين ولا في قوله أو لا يرون أن لا يرجع وعلم أن سيكون * والاخر * أن يكون ان قبل لو بمنزلة اللام في قوله لئن لم ينته المناقون إلى قوله لتفريتنك بهم وقوله لئن لم يفر لنا ربنا وبرحمنا لتكونن من الخاسرين فلحق مرة وتسقط اخرى لأن لو بمنزلة فعل الشرط فكما لحقت اللام زائدة قبل ان الداخلة على الشرط كذلك لحقت أن هذه قبل لو ومعنى ان لو استقاموا على الطريقة قد قبل فيه قولان * احدهما * لو استقاموا على طريقة الهدى * والاخر * لو استقاموا على طريقة الكفر ويستدل على القول الاول بقوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لا تكاوا من فوقهم وقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ويستدل على الآخر بقوله تعالى ولو لان يكون الناس امة واحدة لجلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة « واما » قوله وان المساجد لله فزعم سيويه ان المفسرين حملوه على اوحى كأنه اوحى الي ان المساجد لله ومذهب الظليل انه على قوله ولان المساجد لله فلا تدعو كما أن قوله

وان هذه امتكم على قوله ولأن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون اي لهذا فاعبدون ومثله في قول الخليل لا يلاف قريش كأنه قال لهذا فليعبدوا قال سيدييه ولو قرأ وان المساجد بالكسر لكان جيدا فأما قوله وانه لما قام عبد الله فإنه على اوحى الي ويكون أن يقطع من قوله اوحى ويستأنف به كما جوز سيدييه القطع من اوحى في قوله وان المساجد لله وعلى هذا يحمل قراءة من كسر ان من قوله وانه لما قام عبد الله ومن قرأ كل ذلك بالفتح فإنه لا يحمل على اوحى ويجوز أن يكون على غيره كما حمل المفكرون وان المساجد لله على الروحي وحمله الخليل على ما ذكرناه عنه فأما ما جاء من ذلك بعد قول فحكايه كما حكى قوله قال الله اني منزلها عليكم وكذلك ما بعد فاء الجزاء لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيدييه ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فأتمته فمن يؤمن بربه فلا يخاف على ان الابتداء فيها مضمرة ومثل ذلك في هذه السورة ومن يعص الله ورسوله فلا وله نار جهنم ومن قرأ ان تقول فيكون قوله كذبا منصوبا على المصدر من غير حذف موصوف وذلك أن لن تقول في معنى تكذب فجرى مجرى تبسمت وميض البرق فإنه منصوب بفعل مضمرة دل عليه تبسمت اي اومضت فكأنه قال ان لن تكذب الانس والجن على الله كذبا قال ابن جنى ومن رأى أن ينتهب وميض البرق بنفس تبسمت لأنه في معنى اومضت نصب ايضا كذبا بنفس تقول لأنه بمعنى كذب ومن قرأ أن لن تقول على وزن تقوم فان كذبا وصف مصدر محذوف أي قول كذبا فكذبا ها هنا وصف لامصدر كما في قوله وجاءوا على قميصه بدم كذب اي كاذب فلان جعلته ها هنا مصدرا نصبت نصب المفعول به أي لن تقول كذبا كقولك قلت حقا وقلت شعرا ولا يحسن ان تجعله مع تقول وصفا اي تقول تقولا كذبا لان التثنية لا يكون إلا كذبا فلا فائدة فيه ومن قرأ اوحى فهو من وحيته اليه بمعنى اوحى واصله وحي فلما انضمت الواو ضما لازما هزمت ونحوه وإذا الرسل اقتت اي وقتت قال العجاج «وحى لها القرار فاستقرت»

اللغة

الجد اصله القطع ومنه الجد العظيمة لانقطاع كل عظيمة عنها لعلها عليه ومنه الجد ابو الاب لانقطاعه بعلو ابوته وكل من فرق لهذا الولد اجداد والجد الحظ لانقطاعه بعلو شأنه والجد خلاف المنزل لانقطاعه عن السخف ومنه الجديد لأنه حديث عهد بالقطع في غالب الأمر والرهق لطاق الاوثم واصله الماحوق ومنه رهاق الغلام إذا لحق حال الرجال قال الاعشى

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها
هل يشتفي وامق ما لم يصب رهاقا
أي لم يفسح إيمانا

الإعراب

حرسا منصوب على التمييز وهو جمع حارس ويجوز أن يكون جمع حرسى فيكون مثل عربي وعرب وشديدا مذكور محمول على اللفظ ويمكن أن يكون على النسبة أي ذات شدة ومقابلة نصب لأنه ظرف مكان - أشر اريد مبتدأ وخبر وإنما جاز أن تكون النكرة مبتدأ من غير تخصيص لأجل همزة الاستفهام كما يجوز ذلك بعد حرف النفي لأن كليهما يفيد معنى العموم

المعنى

امر سبحانه نبيه محمدا ﷺ أن يخبر قومه بما لم يكن لهم به علم فقال (قل) يا محمد (اوحى الي) إني ذكره على لفظ ما لم يسم فاعله تفخيا وتعظيما وأنه سبحانه اوحى اليه وانزل الملك عليه (انه استمع نغم من الجن) اي استمع القرآن طائفة من الجن وهم جبل رفاق الاجسام خفيفة على صورة مخصوصة بخلاف صورة الإنسان والملائكة فان الملك مخلوق من النور والانس من الطين والجن من النار فقالوا أي قالت الجن بعضها

لبعض (إنا سمعنا قرآنا عجبا) والمعجب ما يدور إلى التعجب منه لحفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله فلما كان القرآن قد خرج بتأليفه المخصوص عن العادة في الكلام وخفي سببه عن الاتمام كان عجبا لا محالة وايضا فإنه مبين لكلام الخلق في المعنى والفصاحة والنظام لا يقدر احد على الاتيان بمثله وقد تضمن اخبار الأولين والآخريين وما كان وما يكون اجراء الله على يد رجل امي من قوم اميين فاستظموه وسموه عجبا (يهدي إلى الرشدا) أي يدل على الهدى ويدور اليه والرشدا ضد الضلال (فآمننا به) أي صدقنا بأنه من عند الله (ولن نشرك) فبما بعد (ربنا احدا) فتوجه العبادة اليه بل نخلص العبادة لله تعالى والمعنى أنا قد بدأنا بأنفسنا فقبلنا الرشدا والحق وتركتنا الشرك وامتدنا التوحيد وفي هذا دلالة على انه ﷺ كان مبعوثا إلى الجن والانس وعلى أن الجن عقلاء مخاطبون وبلغات العرب عارفون وعلى انهم يميزون بين المعجز وغير المعجز وانهم دعوا قومهم إلى الاسلام واخبروهم باعجاز القرآن وانهم كلام الله تعالى لأن كلام العباد لا يتعجب منه وروى الواحدي باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رأهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من اصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حبل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حبل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذلك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فصر الثفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي ﷺ وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم وقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشدا فآمننا به ولن نشرك ربنا احدا فأوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ قل اوحى إلي انه استمع نغمة من الجن ورواه البخاري ومسلم أيضا في الصحيح وعن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود من كان منكم مع النبي ﷺ ليلة الجن فقال ما كان منا معه احد فقدناه ذات ليلة ونحن بككة فقلنا اقتيل رسول الله ﷺ او استطيع فانطلقنا نطلبه من الشام فلقيناه مقبلا من نحو حراء فقلنا يا رسول الله اين كنت لقد اشفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة بشر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال لنا انه اتاني داعي الجن فذهبت اقرئهم القرآن فذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم فاما أن يكون صحبه منا احد فلم يصعبه وعن ابي روق قال هم تسعة نفر من الجن قال ابو حمزة الثمالي وبلغنا انهم من بني الشيبان هم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس وقيل كانوا سبعة نفر من جن نصيبين رأهم النبي ﷺ فآمنوا به وأرسلهم إلى سائر الجن (وأنه تعالى جسد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) الاختيار كسر إن لأنه من قول الجن لقومهم وهو معطوف على قوله قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا أي وقالوا تعالى جد ربنا وقال القراء من فتح فتقديره فآمننا به وآمننا بأنه تعالى جسد ربنا وكذلك كل ما كان بعده ففتح أن يوقوع الإيمان عليه والمعنى تعالى جلال ربنا وعظمتته من اتخاذ الصحابة والولد عن الحسن ومجاهد وقيل معناه تعالت صفات الله التي هي له خصصا وهي الصفات العالية التي ليست للمخلوقين عن ابي مسلم وقيل معناه جد ربنا صفاته فلا تجوز عليه صفات الاجسام والاعراض عن الجبائي وقيل تعالى قدرة ربنا عن ابن عباس وقيل تعالى ذكره عن مجاهد وقيل فعله وأمره عن الضحاك وقيل عسلا ملك ربنا عن الاخفش وقيل تعالى آلاؤه ونعمه على الخلق عن القرظي والجميع يرجع إلى معنى واحد وهو العظمة والجلال على ما تقدم ذكرها ومنه قول انس بن مالك كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جد في اعيننا أي عظم وقال الربيع بن انس انه قال ليس لله تعالى جد وإنما قالته الجن بجهالة فحكاه سبحانه كما قالت وروي ذلك عن ابي جعفر الباقر (ع) وابي عبد الله (ع) (وانه كان يقول سفهنا) اي جاهلنا (على الله شططا) أرادوا بسفيهم ابليس عن مجاهد وقتادة والشطط السرف في ظلم النفس والخروج عن الحق فاعتقوا بأن ابليس كان يخرج عن الحد في اغراء الخلق ودعائهم إلى الضلال وقيل شططا أي قولاً بعيداً من الحق وهو الكذب في التوحيد والعدل (وانا ظننا أن لن نقول الا انس والجن على

الله كذبا) اعترفوا بأنهم ظنوا أن لن يقول احد من الانس والجن كذبا على الله في اتخاذ الشريك معه والصحابة والولد اي حسبنا أن ما يقولونه من ذلك صدق وانا على حق حتى سمعنا القرآن وتبيننا الحق به وفي هذا دلالة على انهم كانوا مقاداة حتى سمعوا الحجة وانكشف لهم الحق فرجعوا عما كانوا عليه وفيه اشارة إلى بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل (وانه كان رجال من الانس يعرذون برجال من الجن) أي يعتصمون ويستجيرون وكان الرجل من العرب إذا نزل الوادي في سفره ليلا قال امرؤ يعرذ هذا الوادي من شر سفهاة قومه عن الحسن ومجاهد وقناة وكان هذا منهم على حسب اعتقادهم أن الجن تحفظهم قال مقاتل وأول من تعرذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا في العرب وقيل معناه وانه كان رجال من الانس يعرذون برجال من اجال الجن ومن معرفة الجن عن البلخي قال لأن الرجال لا تكون إلا في الناس وقال الاولون في الجن رجال مثل ما في الناس (فزادوهم رهقا) اي فزاد الجن الانس إثما على اثمهم الذي كانوا عليه من الكفر والمعاصي عن ابن عباس وقناة وقيل رهقا أي طغيانا عن مجاهد وقيل فرقا وغرفا عن الربيع وابن زيد وقيل شرا عن الحسن وقيل زادوهم ذلة وضعا قال الزجاج يجوز أن يكون الانس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقا وذلك أن الجن كانوا يزدادون طغيانا في قومهم بهذا التعرذ فيقولون سدا الانس والجن ويجوز ان يكون الجن زاد الانس رهقا (وأنهم ظنوا كما ظنتم أن لن يبعث الله احدا) قيل معناه قال موثرو الجن لكفارهم لأن كفار الانس الذين يعرذون برجال من الجن في الجاهلية حسبوا كما حسبتم يا معشر الجن أن لن يبعث الله رسولا بعد موسى او عيسى وورا. هذا أن الجن مع ترددهم وعثرهم لما سمعوا القرآن آمنوا واهتدوا به فأنتم معاشر العرب أولى بالتفكير والتدبر لتؤمنوا وتهتدوا مع أن الرسول من جنسكم ولسانه لسانكم وقيل إن هذه الآية مع ما قبلها اعتراض من اخبار الله تعالى يقول إن الجن ظنوا كما ظنتم معاشر الانس أن الله لا يبشر احدا يوم القيامة ولا يحاسبه عن الحسن وقيل يعني لن يبعث الله احدا رسولا عن قناة ثم حكى عن الجن قولهم (وانا لسنا الساء) اي مستناها وقيل معناه طلبنا الصعود إلى السماء فعبء عن ذلك باللمس مجازا عن الجبائي وقيل التمسنا قرب السماء لاستراق السمع عن النبي صلى الله عليه وسلم (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) اي حفظة من الملائكة شدادا (وشها) والتقدير ملئت السماء من الحرس والشهب وهو جمع شهاب وهو نور يتد من السماء كالنار (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) اي لاستراق السمع أي كان يتهاى لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع منها صوت الملائكة وكلامهم (فمن يستمع) منا (الآن) ذلك (يجد له شهابا رصدا) يرمى به ويرصد له وشها مفعول به وصدنا صفته قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجم في الجاهلية قال نعم قلت أفرايت قوله إنا كنا نقعد منها الآية قال غلط وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال البلخي إن الشهب كانت لا محالة فيما مضى من الزمان غير انه لم يكن يمنع بها الجن عن صعود السماء فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منع بها الجن من الصعود (وانا لا ندرى أشر اريد من في الأرض) اي بحدوث الرجم بالشهب وحراسة السماء جوزوا هجرم انقطاع التكليف أو تغيير الامر بتصديق نبي من الأنبياء وذلك قوله (أم أراد بهم ربهم رشدا) اي صلاحا وقيل معناه إن هذا المنع لا يدرى العذاب سينزل بأهل الأرض أم لنبي يبعث ويهدي إلى الرشاد فلو لمثل هذا لا يكون إلا لاحد هذين الأمرين وسمى العذاب شرا لأنه مضرة وسمى بعثة الرسول رشدا لأنه منفعة

قوله تعالى (١١) وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا (١٢) وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّعْجِزُهُ هَرَبًا (١٣) وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٤) وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ

فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٥) وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا يَجِدُونَ حَطَبًا (١٦) وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا
عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٧) لَنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ
عَذَابًا صَعَدًا (١٨) وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٩) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ
كَادُوا بِكُفْرَانِهِ عَلَيْهِ لَيْدًا (٢٠) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل العراق غير أبي عمر يسلكه بالياء. والباقون بالنون وقرأ ابن عامر برواية هشام لبدا بضم اللام الباكون
بكسرها وقرأ أبو جعفر وعاصم وحزرة قل إذا ادعوا والباقون قال وفي الشواذ قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب لو
استقاموا بضم الواو وقراءة الحسن والجدري لبدا بالتحديد وفي رواية أخرى عن الجحدري لبدا بضمهتين

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يسلكه بالياء. فلنقدم ذكر الغيبة في قوله ومن يعرض عن ذكر ربه ومن قرأ بالنون فهو مثل قوله
وأتينا مرسى الكتاب بعد قوله سبحانه الذي أسرى ومن قرأ قال إذا ادعوا فلنقدم ذكر الغيبة أيضا في قوله وانه
لما قام عبدا الله ومن قرأ قل فلان بعدة قل اني لا املك قل اني لن يغيرني من الله احد ومن قرأ لبدا فإن اللبدا الكثير
من قوله مالا لبدا وكأنه قيل له لبدا لركوب بعضه على بعض ولصوق بعضه ببعض لكثرة واللبد جمع لبدة وهي
الجماعة وقد يقال ذلك للجراد الكثير قال بعض المذليين

صابوا بستة آيات وواحدة حتى كأن عليهم جاييا لبدا

قال الجبائي هو الجراد لأنه يجي كل شيء باكله وقال الزجاج اللبدة واللبدة بمعنى ومن قرأ لبدا بالتحديد
فإنه وصف على فعل كالجبا. والزمل ويجوز أن يكون جمع لابد فيكون مثل راكم وركم واللبد من الاوصاف
التي جاءت على فعل ككناقة سرج ورجل طلق ومن قرأ لو استقاموا فإنه على التشبيه بواو الجماعة نحو قوله اشتروا
الضلالة كما شبهت تلك بهذه فقيل اشتروا الضلالة وقد مضى هذا في سورة البقرة

﴿ اللفظة ﴾

الصالح عامل الصلاح الذي يصلح به حاله في دينه وأما المصالح فهو فاعل الصلاح الذي يقوم به امر من الامور
ولهذا يوصف سبحانه بأنه مصلح ولا يوصف بأنه صالح والطرائق جمع طريقة وهي الجهة المستمرة مرتبة بعد مرتبة
والقعد القطع جمع قعدة وهي المستمرة بالقد في جهة واحدة والرهق حلق السرف في الامر وهو الظلم والقاسط
الجانث والمقسط المادل ونظيره الترب الفقير والتراب الغني واصله التراب فالاول ذهب ماله حتى لصق بالتراب
والآخر كثر ماله حتى صار بعدد التراب وكذلك القاسط هو المادل عن الحق والمقسط المادل إلى الحق قال

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمرا وهم قسطوا على النعمان

وقال آخر

قسطنا على الاملاك في عهد تبع ومن قبل ما اردى النفوس عقابها

والتحري تعمد اصابة الحق واصله طلب الشيء والقصد له قال امرؤ القيس

ديعة هطلا. فيها وطف طبق الأرض تحري وتدر

وماء غدق كثير وغدق المكان يغدق غدقا كثير فيه الماء والندى وهو غدق عن الزجاج وقال امية بن ابي الصلت

مزاجها سلسبيل ماؤها غدق
عذب المذاقة لا ملح ولا كدر
والصعد الغليظ الصعب المنصب في المظم ومنه التنفس الصعداء والصعود العقبة الكوثر الشاقة

✽ المعنى ✽

ثم قال سبحانه في تمام الحكاية عن الجن الذين آمنوا عند سماع القرآن (وانا منا الصالحون) وهم الذين عملوا الصالحات المخلصون (ومنا دون ذلك) اي دون الصالحين في الرتبة عن ابن عباس وقتادة ومجاهد (كنا طرائق قددا) اي فرقا شتى على مذاهب مختلفة واهوا متفرقة من مسلم وكافر وصالح ودون الصالح عن ابن عباس ومجاهد وقيل قددا ألوانا شتى مختلفين عن سعيد بن جبير والحسن وقيل فرقا متباينة كل فرقة تباين صاحبها كما بين المقدود بعضه من بعض قال السدي الجن امثالكم فيهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة (وانا ظننا) أي علمنا وتيقنا (أن ان نعجز الله في الارض) اي لن نفوته اذا اراد بنا امرا (ولن نعجزه هربا) اي انه يدركنا حيث كنا (وانا لما سمعنا الهدى آمنا) به اعترفوا بأنهم لما سمعوا القرآن الذي فيه الهدى صدقوا به ثم قالوا (فمن يؤمن بربه) اي يصدق بتوحيد ربه وعرفه على صفاته (فلا يخاف) تقديره فإنه لا يخاف (بخسا) اي نقصانا فيما يستحقه من الثواب (ولا رهقا) اي لحاق ظلم وغشيان مكروه وكأنه قال لا يخاف نقصا قليلا ولا كثيرا وذلك أن اجره وثوابه موفر على اتم ما يمكن فيه وقيل معناه فلا يخاف نقصا من حسنه ولا زياده في سيئته عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد قالوا لأن البخس النقصان والرهق العدوان وهذه حكاية عن قوة إيمان الجن وصحة اسلامهم ثم قالوا (وانا منا المسلمون) الذين استسلموا لما امرهم الله سبحانه به وانقادوا لذلك (ومنا القاسطون) اي الجائزون عن طريق الحق (فمن اسلم) لما امره الله به (فأوثق تحروا رشدا) اي توجهوا للرشد واتمسوا بالثواب والهدى وتمعدوا لاصابة الحق وليسوا كالشركين الذين ألفوا ما يدعوم اليه الهوى وزاغوا عن طريق الهدى (واما القاسطون) العادلون عن طريق الحق والدين (فكأنوا) في علم الله وحكمه (لجهنم حطبا) يلتقون فيها فتحرقهم كانهن النار الحطب او يكون معناه فيكونون لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد النار بالحطب (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) هذا ابتداء حكم من الله سبحانه اي لو استقام الانس والجن على طريقة الايمان عن ابن عباس والسدي وقيل اراد به مشركي مكة أي لو آمنوا واستقاموا على الهدى لأسقيناهم ماء كثيرا من السماء وذلك بعد ما رفع ماء المطر عنهم سبع سنين عن مقاتل وقيل لو آمنوا واستقاموا لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق مثلا لأن الخبير كله والرزق يكون في المطر وهذا كقوله ولو انهم اقاموا التوراة الى قوله لا كلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله لفتحننا عليهم بركات من السماء والارض وقيل معناه لو استقاموا على طريقة الكفر فكانوا كفارا كلهم لاعطيناهم مالا كثيرا ولو سعنا عليهم تغليظا للمحنة في التكليف ولذلك قال (لنفتنهم فيه) اي لنختبرهم بذلك عن الفراء وهو قول الربيع والكاسبي والثالي وابي مسلم وابن مجليز ودليله فلما نسوا ما ذكروا به فتحننا عليهم الآية وقيل لنفتنهم معناه لتعاملهم معاملة المختبر في شدة التعب بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم اليه وفي ذلك المحنة الشديدة وهي الفتنة والثوبة على قدر المشقة في الصبر عما تدعو اليه الشهوات وروي عن عمر بن الخطاب انه قال في هذه الآية أيضا كانت الماء كان المال واينما كان المال كانت الفتنة وقيل معناه لنختبرهم كيف يكون شكرهم للنعم عن سبيد بن

المسيب وفتادة ومقاتل والحسن والاولى ان تكون الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين والإيمان لأنها لا تطلق إلا على ذلك ولائها في موضع التلطف والاستدعاء إلى الإيمان والحث على الطاعة وفي تفسير اهل البيت (ع) عن ابي بصير قال قلت لأبي جعفر (ع) قول الله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هو والله ما اتم عليه ولو استقاموا على الطريقة لأستقيبناهم ماء غدقا وعن يربد العجلي عن ابي عبد الله (ع) قال معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلمونه من الائمة ثم قال سبحانه على وجه التهديد والوعيد (ومن يعرض عن ذكر ربه) اي ومن يعدل عن الفكر فيما يؤدبه إلى معرفة الله وتوحيده والإخلاص في عبادته وقيل عن شكر الله وطاعته (يسلكه عذابا صعدا) أي يدخله عذابا شاقا شديدا متصندا في العظم وإنما قال يسلكه لأنه تقدم ذكر الطريقة وقيل معناه عذابا ذا صعد اي ذا مشقة (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا) تقديره ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا سوى الله عن الخليل والمعنى لا تذكروا مع الله في المواضع التي بنيت للعبادة والصلاة احدا على وجه الإشتراك في عبادته كما تفعل النصارى في بيعهم والمشركون في الكعبة قال الحسن من السنة عند دخول المساجد أن يقال لا إله إلا الله لا ادعو مع الله احدا وقيل المساجد مواضع السجود من الإنسان وهي الجبهة والكفان واصابع الرجلين وعينا الركبتين وهي لله تعالى اذ خلقها وانتم بها فلا ينبغي أن يسجد بها لأحد سوى الله تعالى عن سعيد بن جبير والزجاج والفراء وروي أن المعتصم سأل ابا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا (ع) عن قوله تعالى وان المساجد لله فقال هي الاعضاء السبعة التي يسجد عليها وقيل إن المراد بالمساجد البقاع كلها وذلك لأن الأرض كلها جعلت للنبي ﷺ مسجدا عن الحسن وقال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي ﷺ كيف لنا ان نأتي المسجد ونشهد معك الصلاة ونحن نأوثون عنك فنزلت الآية وروي عن الحسن ايضا ان المساجد الصلوات وهي لله والمراد اخلصوا لله العبادة واقروا له بالتوحيد ولا تجعلوا فيها لغير الله نصيبا (وانه لما قام عبد الله) يريد به محمدا ﷺ (يدعوه) بقول لا إله إلا الله ويدعو اليه ويقرأ القرآن (كادوا يكونون عليه لبدا) أي كاد الجن يركب بعضهم بعضا يزدحمون عليه حرصا منهم على استماع القرآن عن ابن عباس والضحاك وقيل هو من قول الجن لاصحابهم حين رجعوا اليهم والمراد أن اصحاب النبي ﷺ يتزاحمون عليه لاستماع القرآن منه يود كل واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فينلبد بعضهم على بعض عن سعيد بن جبير وقيل هو من جملة ما اوحى الله إلى النبي ﷺ بما كان من حرص الجن على استماع القرآن وقيل معناه أنه لما دعا قريشا إلى التوحيد كادوا يترابكون عليه بالزحمة جماعات متكاثرات ليزيلوه بذلك عن الدعوة وإبي الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناواه عن فتادة والحسن وعلى هذا فيكون ابتداء كلام (قل إنما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا) وذلك انهم قالوا للنبي ﷺ إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع مثله فأجابهم بهذا عن مقاتل وامره سبحانه بأن يجيبهم بهذا فقال قل إنما ادعوا ربي وهذا يعصد قول الحسن وفتادة لأنه كالدّم لهم على ذلك

قوله تعالى (٢١) قُلْ إني لَا أملكُ لكمُ ضراً وَلَا رشداً (٢٢) قُلْ إني لَنْ أُجيبَ ربي منَ
اللهِ أحدٌ وَلَنْ أُجِدَّ منْ دُونِهِ مُلتحداً (٢٣) إِلَّا بِلَاغَا منَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ بَعْصَ اللهُ رَسولَهُ

فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٤) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أضعفُ
نَاصِرًا وَأَقْلَبُ عَدَدًا (٢٥) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٦)
عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٧) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٨) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدِ ابْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ
وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا

ثماني آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء والباقون ليعلم بفتح الياء والمعنيان متقاربان

﴿ اللغة ﴾

المتنجد المتنجا بالميل الى جهة والرصد جمع راصد وهو الحافظ

﴿ الاعراب ﴾

بلاغا منصوب لأنه بدل من متنجد اي لن اجد ملجأ إلا ان ابلي عن الله ما ارسلني به فهو ملجأ
ورسالته منصوبة بالمطف على محذوف والتقدير إلا بلاغا من الله وآياته ورسالاته قوله من اضعف ناصرا
جملة من مبتدأ وخبر هي تعليق وناصري نصب على التمييز وكذلك قوله عددا وقوله اقرب ما توعدون
الاستفهام مع ما في خبره تعليق إلا من ارتضى يجوز أن يكون من مبتدأ وقوله فإنه بسلك خبره ويجوز ان
يكون استثناء منقطعا وعددا انتصابه على ضربين ﴿ احدها ﴾ على معنى واحصى كل شيء في حال العدد
فلم يخف عليه سقوط ورقة ولا حبة ولا رطب ولا يابس ﴿ والآخر ﴾ ان يكون في موضع المصدر لأن
معناه وعد كل شيء عددا عن الزجاج ﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (قل) يا محمد للمكلفين (اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا)
اي لا اقدر على دفع الضرر عنكم ولا ابرصال الخبير اليكم وإنما القادر على ذلك هو الله تعالى ولكني رسول
ليس علي إلا البلاغ والدعاء الى الدين والهداية الى الرشاد وهذا اعتراف بالعبودية وازافة الحول والقوة
اليه تعالى ثم قال (قل) لهم يا محمد (اني لن يجيرني من الله احد) اي لا يمنعني احد ما قدره الله علي (ولن
اجد من دونه) اي من دون الله (ملتحدا) اي ملتبجا اليه اطلب به السلامة (الا بلاغا من الله) اي تبليغا
من الله آياته (ورسالته) فإنه ملجأ ومنجاي وملتجدي ولي فيه الأمن والنجاة عن الحسن والجباني
وقبل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا فاعلي إلا البلاغ عن الله فكانه قال لا املك شيئا سوى تبليغ
وحي الله بوفيقه وعونه عن قتادة وقبل ان قوله الا بلاغا يحتمل معنيين ﴿ احدها ﴾ إلا ما بليغي من الله
اي لا يجيرني شيء إلا ما اتاني من الله فلا فرق بين ان يقول بليغي كتابه وان يقول اتاني كتابه ﴿ والثاني ﴾
إلا تبليغ ما انزل الي فاما القبول والايان فليس لي وإنما ذلك اليكم عن أبي مسلم وقيل انه عطف رسالاته
على البلاغ فوجب أن يكون غيره فالأولى أن يكون أراد بالبلاغ ما بلغه من توحيد الله وعدله وما يجوز عليه
وما لا يجوز وأراد بالر سألته ما ارسل لأجله من بيان الشرائع ولما بين سبحانه انه لا ملجأ من عذابه الاطاعته
عقبه بوعيد من قارف مصيبته فقال (ومن بعض الله ورسوله) اي خالف امره في التوحيد وارتكب الكفر

والمعاصي (فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) جزاء على ذلك (حتى إذا رأوا) في الآخرة (ما يوعدون)
 به من العقاب في الدنيا وقبل هو عذاب الاستئصال (فسيعلمون) عند ذلك (من اضعف ناصرا و اقل عددا)
 المشركون أم المؤمنون وقيل اجند الله أم الذي عبده المشركون وإنما قال من اضعف ناصراً ولا ناصر لهم
 في الآخرة لأنه جاء على جواب من توهم انه ان كانت الآخرة فناصرهم اقوى وعددهم أكثر وفي هذا دلالة
 على ان المراد بقوله ومن بعض الله ورسوله الكفار وكانوا يفتخرون على النبي ﷺ بكثرة جموعهم
 ويصفونه بقلة العدد فينب سبحاته ان الأمر سينعكس عليهم (قل) يا محمد (ان ادري) اي لست اعلم
 (أقرب ما توعدون) به من العذاب (ام يجعل له ربي أمدا) اي مهلة وغاية ينتهي اليها قال عطاء اراد أنه
 لا يعرف يوم القيامة إلا الله وحده (عالم الغيب) اي هو عالم الغيب يعلم متى تكون القيامة (فلا يظهر على
 غيبه احدا) اي لا يطلع على الغيب احدا من عباده ثم استثنى فقال (إلا من ارتضى من رسول) يعني الرسل
 فإنه يستدل على نبوتهم بأن يخبروا بالغيب لتكوت آية معجزة لهم ومعناه ان من ارتضاء واختاره للنبوة
 والرسالة فإنه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة وهو قوله (فإنه يسلك من بين يديه ومن
 خلفه رسدا) والرصد الطريق اي يجعل له الى علم ما كان قبله من الانبياء والسلف وعلم ما يكون بعده طريقا وقيل
 معناه انه يحفظ الذي يطلع عليه الرسول فيجعل من بين يديه ومن خلفه رسدا من الملائكة يحفظون
 الوحي من أن تسترقه الشياطين فتلقه الى الكهنة وقيل رسدا من بين يدي الرسول ومن خلفه وهم الحفظة
 من الملائكة يحرسونه عن شر الاعداء وكيدهم فلا يصل اليه شرهم وقيل المراد به جبرائيل (ع) اي يجعل
 من بين يديه ومن خلفه رسدا كالحجاب تعظيما لما يتحملة من الرسالة كما جرت عادة الملوك بأن يضموا الى
 الرسول جماعة من خواصهم تشريفا له وهذا كما روي ان سورة الانعام نزلت ومعها سبعون الف ملك
 (ليعلم) الرسول (أن قد ابغوا) يعني الملائكة قال سعيد بن جبير ما نزل جبرائيل بشي من الوحي إلا ومع
 اربعة من الملائكة حفظة فيعلم الرسول انه قد ابغ الرسالة على الوجه الذي قد امر به وقيل ليعلم من كذب
 الرسل ان الرسل قد ابغوا رسالات الله عن مجاهد وقيل ليعلم محمد ﷺ ان الرسل قبله قد ابغ جميعهم
 (رسالات ربهم) كما ابغ هو اذ كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله عن فتادة وقيل ليعلم الله ان
 قد ابغوا عن الزجاج وقيل معناه ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالما ويعلمه واقما كما كان يعلم انه
 سيقع وقيل اراد ليبلغوا فجعل بدل ذلك قوله ليعلم ابلاغهم توسعا عن الجبائي وهذا كما يقول الانسان
 ما علم الله ذلك مني اي ما كان ذلك اصلا لأنه لو كان لعلم الله ذلك فوضع العلم موضع الكون (واحاط
 بما لديهم) اي احاط الله علما بما لدى الانبياء والخلائق وهم لا يحيطون الا بما يطلعهم الله عليه مما هو عند
 الله (واحصى كل شي عددا) اي احصى ما خلق وعرف عددا ما خلق لم يفقه علم شي حتى مثاقيل الذر
 وانظر دل عن ابن عباس وقيل معناه عد جميع المعلومات المدومة والموجودة عندا فعلم صغيرها وكبيرها وقليلها
 وكثيرها وما يكون وما لا يكون وما كان ولو لم يكن . ولو كان كيف كان وقيل معناه لا شي يعلمه عالم
 او يذكره ذا كرا لا وهو تعالى عالم به ومحض اياه عن الجبائي قال الاحصاء فعل وليس هو بمنزلة العلم فلا يجوز
 أن يقال احصى ما لا يتناهى كما يجوز ان يقال علم مالا يتناهى فإن حمل على العلم تناول جميع المعلومات
 وان حمل على العد تناول الموجودات

سورة المزمل مكية

وقبل مدنية وقبل بعضها مكى وبعضها مدني

✽ عدد آياتها ✽

ثماني عشرة آية المدني الاخير وتسع عشرة بصري عشرون في الباقي

✽ اختلافها ✽

ثلاث آيات المزمل كوفي شامي والمدني الاول شيبا غير المدني الاخير اليكم رسولا مكى

✽ فضلها ✽

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة المزمل رفع عنه العسر في الدنيا والآخرة منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال ومن قرأ سورة المزمل في العشاء الآخرة او في آخر الليل كان له الليل والنهار شاهدين مع السورة واحياه الله حياة طيبة وامانه ميتة طيبة

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سورة الجن بذكر الرسل افتتح هذه السورة بذكر نبينا ﷺ خاتم الرسل فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الْمَزْمُولُ (٢) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٣) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٤) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٥) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٦) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٧) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٨) وَأَذْكَرَ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٩) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (١٠) وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا عشر آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابو عمرو وابن عامر وطائفة بكسر الواو والمد والباقون وطائفة بفتح الواو وسكون العطاء مقصورا وقرأ اهل الكوفة غير حفص وابن عامر ويعقوب رب المشرق بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة المزمل والمدثر خفيفة الزاي والدال مشددة الميم والتاء وقراءة ابي السابك قم الليل بضم الميم

✽ الحجة ✽

من قرأ أشد وطاء فمعناه مواطأة اي موافقة وملازمة ومنه ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا والمعنى ان صلاة ناشئة الليل وعمل ناشئة الليل يواطئ السمع القلب فيها اكثر مما يواطئ في ساعات النهار ولأن البال افرغ لا تقطاع كثير مما يشغل بالنهار ومن قال وطأ فالعنى انه اشق على الانسان من القيام بالنهار لأن الليل للدعة والسكون وجاء في الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قبلاي اشد استقامة وصوابا لفرغ البال وانقطاع ما يشغله قال

ووقع بمستن الفضاء قويم

له ولها وقع بكل قرارة

اي مستقيم

والناشئة ما يحدث وينشأ من ساعات الليل والرفع في رب المشرق يحتمل امرين * أحدهما * أنه لما
قال واذا ذكر اسم ربك قطعته من الاول فقال هو رب المشرق فيكون خبر مبتدأ محذوف * والآخر *
أن يكون مبتدأ وخبره الجملة التي هي لا إله إلا هو ومن جر فعل اتباعه قوله اسم ربك وأما قوله المرمل
بتخفيف الزاي فعل حذف المفعول به يا أيها المرمل نفسه والمدثر نفسه وحذف المفعول كثير قال الخطيب

منعمة تصون اليك منها كصونك من ردى شرعي

اي تصون حديثا وتخزنه كقول الشنفرى

كأن لها في الأرض نسيا تقصه على امها وان تكلمك تبليت

ومن قرأ قم الليل وضم فيمكن ان يكون ضمه للاتباع

* اللغة *

المرمل المتزمل في ثيابه ادغم التاء في الزمي الآن الزاي قريبة المخرج من التاء وهي اندى في المسموع
من التاء وكل شيء لفف فقد زمل قال امرؤ القيس

كأن ثبيراً في عرائن وبله كبير اناس في بجاد مزمل

والنصف احد قسمي الشيء المساوي للآخر في المقدار كما ان الثلث جزء من ثلاثة والربع جزء من اربعة
وهذه من صفات الاجسام فاذا رفعت التأليفات عنها بقيت اجزاء لا توصف بأن لانصفهاو ثلثا او ربعا والعرض
لا يوصف بالنصف والجزء . والقديم لا يوصف ايضا بذلك لأن هذه عبارات عن مؤلفات على وجوه فأن
قيل فإذا يجب ان لا يكون ووصف القديم تعالى بأنه واحد مدحا فالجواب ان معنى قولنا انه واحد اختصاصه
بصفات لا يستحقها غيره وهي كونه قادرا عالما لذاته قديما ونحو ذلك واذا قيل انه لا يتجزأ فليس بمدح
الا ان يقال انه حي لا يتجزأ بخلاف غيره من الاحياء والترتيل ترتيب الحروف على حتمها في تلاوتها بثبت
فيها والحدر هو الاسراع فيها وكلاهما حسن الا ان الترتيل هنا هو المرغب فيه والاقاء مثل التلقية تقول
القيت على فلان مسألة والأقوم الأخلص استقامة والسبح التقلب ومنه السابح في الماء لتقلبه فيه وقرأ يحيى
ابن يعمر والضحاك سبخا طويلا بانحاء ومعناه التوسعة يقال سبخت القطن اذا وسعته للندف ومنه قول النبي
ﷺ لعائشة وقد سمعها تدعو على سارق لا تسبخني عنه بدعائك عليه اي لا تخفني ويقال لقطع
اذا ندف سبانخ قال الأخطل يصف القناص والكلاب

فارسلوهن يذرين التراب كما يذري سبانخ قطن ندف اوتار

وقال تغلب السبع التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي ﷺ الحمى من فيح جهنم
فسبخوها بالماء اي اسكنوها والتبتل الاتقطاع الى الله عز وجل واخلاص العبادة له قال امرؤ القيس

يضي الظلام بالعشي كأنه منارة ممسي راهب متبتل

واصله من تبت الشيء قطعه وصدقة تبة تبة اي بائنة مقطوعة من صاحبها لا سبيل له عليها ومنه
البتول عليها السلام لانقطاعها الى عبادة الله عز وجل

* الإعراب *

الليل نصب على الظرف الا قليلا نصب على الاستثناء تقديره الا شيئا قليلا منه لا تقوم فيه ثم بين القدر

فقال نصفه قال الزجاج ان نصفه بدل من الليل كما نقول ضربت زيدا رأسه وإنما ذكرت زيدا لتوكيد الكلام هو او كدمن قواك ضربت رأس زيد فالمعنى قم نصف الليل الا قليلا او انقص من النصف او زد على النصف وانقص منه قليلا بمعنى الا قليلا ولكنه ذكر مع الزيادة فالمعنى قم نصف الليل او انقص من نصف الليل او زد على نصف الليل

المعنى

(يا أيها المزمل) معناه يا أيها المتزمل بشيابه المتلطف بها عن قتادة وقيل يا أيها المتزمل بعبادة النبوة اي المتحمل لا تقالها عن عكرمة وقيل معناه يا أيها النائم وكان قد تزمل النوم عن السدي وقيل كان يتزمل بالثياب في اول ما جاء به جبرائيل خوفا حتى انس به وإنما خوطب بهذا في بدء الوحي ولم يكن قد بلغ شيئا ثم خوطب بقرآنه بعد ذلك بالنبي والرسول (قم الليل) للصلاة (الا قليلا) والمعنى بالليل صل الا قليلا من الليل فإن القيام بالليل عبارة عن الصلاة بالليل (نصفه) هو بدل من الليل فيكون بيانا للمستثنى منه اي قم نصف الليل ومعناه صل من الليل النصف الا قليلا وهو قوله (او انقص منه قليلا) اي من النصف (او زد عليه) اي على النصف وقال المفسرون او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد على النصف الى الثلثين وقيل ان نصفه بدل من القليل فيكون بيانا للمستثنى والمعنى فيهما سواء ويؤيد هذا القول ما روي عن الصادق (ع) قال القليل النصف او انقص من القليل قليلا او زد على القليل قليلا وقيل معناه قم نصف الليل الا قليلا من الليالي وهي ليالي العذر كالمرض وغلبة النوم وعلّة العين ونحوها او انقص من النصف قليلا او زد عليه ذكره الإمام علي بن ابي الطيب (ره) خير الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الساعات للقيام بالليل وجعله موكولا الى رأيه وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطائفة من المؤمنين منه يقومون على هذه المقادير وشق ذلك عليهم فكان الرجل منهم لا يدري كم صلى وكم بقي من الليل فكان يقوم الليل كله مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب حتى خفف الله عنهم بأخر هذه السورة وعن قتادة عن زرارة بن اوفى عن سعيد ابن هشام قال قلت لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ألتست تقرا يا أيها المزمل قلت بلى قالت فإن الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله واصحابه حولا وامسك الله خانتها اثني عشر شهرا في السماء حتى انزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد ان كان فريضة وقيل كان بين اول السورة وآخرها الذي نزل فيه التخفيف عشر سنين عن سعيد بن جبير وقيل كان هذا بمكة قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس عن ابن كيسان ومقاتل وقيل لما نزل اول المزمل كانوا يقومون نحو من قيامهم في شهر رمضان فكان بين اولها وآخرها سنة عن ابن عباس وقيل ان الآيات الاخرة نسخت الاولى عن الحسن وعكرمة وليس في ظاهر الآيات ما يقتضي النسخ فالاولى ان يكون الكلام على ظاهره فيكون القيام بالليل سنة موكدة مرغبا فيه وليس بفرض (ورتل القرآن ترتيلا) اي بينه بيانا وقرأه على هبتك ثلاث آيات واربع وخمسا عن ابن عباس قال الزجاج والبيان لا يتم بأن تعجل في القرآن وإنما يتم بأن تبين جميع الحروف وتوفي حقها من الإشباع قال ابو حمزة قلت لابن عباس اني رجل في قراوتي وفي كلامي عجلة فقال ابن عباس لأن اقرأ البقرة أرتلها احب الي من ان اقرأ القرآن كله وقيل معناه ترسل فيه ترسلا عن مجاهد وقيل معناه ثبت فيه تثبتا عن قتادة وروي عن امير المؤمنين (ع) في معناه انه قال

بيته يانا ولا نهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن افرغ به القلوب القاسية ولا يكونن هم أحد كم آخر السورة
وعن ابي عبد الله (ع) قال إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فاسأل الله الجنة وإذا مررت بآية فيها ذكر النار
فتموذ بالله من النار وقيل الترتيل هو أن تقرأ على نظمه وتواليه ولا تغير لفظا ولا تقدم مؤخرا وهو مأخوذ
من ترنل الاسنان إذا استوت وحسن انتظامها ونثر رتل إذا كانت اسنانه مستوية لا تفاوت فيها وقيل
رتل مغناه ضعف والرتل اللبن عن قطرب قال والمراد بهذا تحزين القرآن أي اقرأه بصوت حزين وبعضه
ما رواه ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) في هذا قال هو ان تتمكث فيه وتحسن به صوتك وروى
عن ام سلمه انها قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية وعن انس قال كان يمد صوته مدا وعن
عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتل كما سكنت ترنل في
الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها (اناسنقي عليك قولاً ثقيلاً) اي سنوحي عليك قولاً يثقل عليك وعلى
امتك اما ثقله عليه فلما فيه من تبليغ الرسالة وما يلحقه من الاذى فيه وما يلزمه من قيام الليل ومجاهدة النفس وترك
الراحة والدعة واما ثقله على امته فلما فيه من الامر والهي والحدود وهذا معنى قول قتادة ومقاتل والحسن
قال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك وكائن في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة وقيل ثقيل لا يحمله إلا قلب
موثوق بالتوفيق ونفس موبدة بالنوحيد وقيل ثقيل ليس بالسفاسف الخفيف لأنه كلام ربنا جلت عظمته عن
الفراغ وقيل معناه قولاً عظيم الشأن كما يقال هذا كلام رصين وهذا الكلام له وزن إذا كان واقعا مرقه
وقيل معناه قولاً ثقيلاً نزوله فإنه ﷺ كان يتغير حاله عند نزوله ويعرق وإذا كان راكباً يبرك راحلته
ولا يستطيع المشي وسأل الحرث بن هشام رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال
ﷺ احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وحيانا يتمثل الملك
رجلاً فأعني ما يقول قالت عائشة انه كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فيضرب بجرانها
قالت ولقد رأيتته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليبرق عرقاً وقيل ثقيلاً على الكفار
لما فيه من الكشف عن جهلهم وضلالهم وسفه احلامهم وقبح افعالهم (ان ناشئة الليل) معناه ان ساعات
الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة وتقديره أن ساعات الليل الناشئة وقال ابن عباس هو الليل كله لأنه ينشأ
بعد النهار وقال مجاهد هي ساعات التهجد من الليل وقيل هي بالحشبشة قيام الليل عن عبد الله بن
مسعود وسعيد بن جبير وقيل هي القيام بعد النوم عن عائشة وقيل هي ما كان بعد العشاء الآخرة عن الحسن
وقتادة والمروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انها قالوا هي القيام في آخر الليل الى صلاة الليل (هي
اشدوطاً) اي اكثر ثقلاً وابلغ مشقة لأن الليل وقت الراحة والعمل يشق فيه ومن قال وطاء فالعنى
اشد مواطاة للسمع والبصر يتوافق فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهم والتفكير إذ القلب
غير مشغول بشي من امور الدنيا (وأقوم قبلاً) أي اصوب للقراءة واثبت للقول لفرغ البال وانقطاع ما يشغل
القلب عن انس ومجاهد وابن زيد وقال ابو عبد الله (ع) هو قيام الرجل عن فراشه لا يريد به إلا الله تعالى
(ان لك في النهار سبحاً طويلاً) معناه ان لك يا محمد في النهار منصرفاً ومنقلباً إلى ما تقضي فيه حوائجك
عن قتادة والمراد ان مذاهبك في النهار ومشاغلك كثيرة فإنك تحتاج فيه الى تبليغ الرسالة ودعوة الخلق
وتعليم الفرائض والسنن واصلاح الممبشة لنفسك وعبالك وفي الليل يفرغ القلب لتذكر القراءة فأجمل

ناشئة الليل لعبادتك لتأخذ بحظك من خير الدنيا والآخرة وفي هذا دلالة على انه لا عذر لأحد في ترك صلاة الليل لأجل التعليم والتعلم لأن النبي ﷺ كان يحتاج الى التعليم اكثر مما يحتاج الواحد منا اليه ثم لم يرض سبحانه ان يترك حفظه من قيام الليل (واذكر اسم ربك) يعني اسما الله تعالى التي تعبد بالدعاء بها وقيل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك من كل ما سواه وقيل واقصد بمملك وجه ربك (وتبتل اليه تبتيلا) اي اخلص له اخلاصا عن ابن عباس وغيره يعني في الدعاء والعبادة وقيل انقطع اليه انقطاعا عن عطاء وهو الاصل وقيل توكل عليه توكلنا عن شقيق وقيل نفرغ لعبادته عن ابن زيد وقد جاء في الحديث النهي عن التبتل والمراد به الانقطاع عن الناس والجماعات وكان يجب ان يقول تبتلا لأن المراد بتلك الله من المخلوقين واصطفاك لنفسه تبتيلا فبتل انت ايضا به وقيل انما قال تبتيلا ليطابق او اخر آيات السورة وروى محمد بن مسلم وزرارة وجران عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ان التبتل هنا رفع اليدين في الصلاة وفي رواية ابي بصير قال هو رفع يدك الى الله وتضرعك اليه (رب المشرق والمغرب) اي رب العالم بما فيه لانه بين المشرق والمغرب وقيل رب مشرق الشمس ومغربها والمراد اول النهار وآخره فأضاف النصف الاول من النهار الى المشرق والنصف الآخر منه الى المغرب وقيل مالك المشرق والمغرب اي المتصرف فيما بينهما والمدير لما بينهما (لا اله الا هو) اي لا احد تحق له العبادة سواه (فاتخذه وكيفا) اي حفظا للقيام بأمرك وقيل معناه فاتخذه كافيا لما وعدك به واعتمد عليه وفوض امرك اليه تجده خير حفظ وكاف (واصبر على ما يقولون) لك يعني الكفار من التكذيب والاذى والنسبة الى السحر والكهانة (واهجرهم هجرا جميلا) والهجر الجميل اظهار المودة عليهم من غير ترك الدعاء الى الحق على وجه المناصحة قال الزجاج هذا يدل على انه نزل قبل الامر بالقتال وقيل بل هو امر بالتلطف في استدعائهم فيجب مع القتال ولا نسخ وفي هذا دلالة على وجوب الصبر على الاذى لمن يدعو الى الدين والمعايشة باحسن الاخلاق واستعمال الرقى ليكونوا اقرب الى الاجابة

قوله تعالى (١١) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ وَمَهَلُمُ قَلِيلًا (١٢) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٣) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٤) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً (١٥) إِذَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٦) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٧) فَكَيْفَ نَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٨) أَلَسْمَاءَ مَنْفَطِرًا بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٩) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا نسع آيات

اللغة

يذر ويدع بمعنى يترك ولا يقال وذر ولا ودع واستغنى بترك عن ذلك لأن الابتداء بالواو عندهم مكروه ولذلك ابدلوا منها الهمزة في اقتت والناء في تحمة وتراث والنعمة بفتح النون لين اللمس وضدها الخشونة والنعمة الثروة والمنة ايضا والنعمة بضم النون المسرة يقال نعم ونعمة عين ونعمى عين والانكال

القيود واحدها نكل والنصة تردد اللقمة في الحلق ولا يسبغها آكلها يقال غص بريقه بغص غصصا وفي قلبه
غصة من كذا وهي كاللذغة التي لا يسوغ معها الطعام والشراب قال عدي بن زيد
لو يغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري
والكثيب الرمل المجتمع الكثير وهات الرمل اهبله هبلا فهو مهبل اذا حرك اسفله فقال اعلاه
ومنه الحديث كيلوا ولا تهاوا وكل ثقيل وبيل ومنه كلاً مستويل اي مستوخم لا يستمر لثقله ومنه الويل
والوابل وهو المطر العظيم القطر ومنه الوبال وهو ما يغلظ على النفس والويلل ايضا الغليظ من العصي قال طرفة
فمرت كهة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالويلل بلندد

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه مهذا للكفار (وذري) يا محمد (والمكذبين) الذين يكذبونك فيما تدعوهم
اليه من التوحيد واخلاص العبادة وفي البعث والجزاء وهذا كما يقول القائل دعني واياه اذا اراد ان يهدده
وهو نصب على انه مفعول معه (اولي النعمة) يعني المتنعمين ذوي الثروة في الدنيا اي كل جزاءهم الي
ولا تشغل قلبك بمجازاتهم (ومهاهم قليلا) وهذا ايضا وعيد لهم ولم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر
والمعنى واخرهم في المدة قليلا قال مقاتل نزلت في المطمئنين ييدر وهم عشرة ذكرناهم في الانفال وقبل
نزلت في صناديد قريش والمستهزئين (ان لدينا انكالا) اي عندنا قيوداً في الآخرة عظيما لا تفك ابدأ
عن مجاهد وقتادة وقبل اغلالا (وجحبا) وهو اسم من اسماء جهنم وقيل يعني ونارا عظيمة ولا يسمى
القليل به (وطعاما ذا غصة) اي ذا شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج عن ابن عباس وقيل طعاما يأخذ
بالحلقوم لحشوته وشدة تكرهه وقيل يعني الزقوم والضريع وروي عن جرير بن عمار عن عبد الله بن عمر
ان النبي ﷺ سمع قارئا يقرأ هذه فصعق (وعذابا ليا) اي عقابا موجعا مؤلما ثم بين سبحانه متى يكون
ذلك فقال (يوم ترجف الارض) اي تتحرك باضطراب شديد (والجبال) اي وترجف الجبال معها ايضا وتضطرب
بين عليها (وكانت الجبال كشيئا مهيبا) اي رملا سائلا متناثرا عن ابن عباس وقيل المهبل الذي اذا وطأته
القدم زل من تحتها واذا أخذت اسفله انهار اعلاه عن الضحاك والمعنى ان الجبال تنقلع من اصولها فتصير
بعد صلاحيتها كالرمل السائل ثم اكد سبحانه الحجة على اهل مكة فقال (انا ارسلنا اليكم رسولا) يعني
محمد ﷺ شاهدا عليكم اي يشهد عليكم في الآخرة بما يكون منكم لا في الدنيا (كما ارسلنا الى فرعون)
بمصر (رسولا) يعني موسى بن عمران (فعضى فرعون الرسول) ولم يقبل منه ما دعاه اليه (فأخذناه) بالعذاب
(اخذاً وببلا) اي شديداً ثقيلامع كثرة جنوده وسعة ملكه يعني الفرق حذرهم سبحانه ان ينالهم مثل ما نال
فرعون وقومه (فكيف تنفون ان كفرتم) ولم تؤمنوا برسولكم (يوما) اي عقاب يوم (يجمل الولدان شيئا) وهو
جمع اشيب وهذا وصف لذلك اليوم وشدة كما يقال هذا امر يشيب منه الوليد وتشيب منه النواصي اذا كان عظيما
شديداً والمعنى بأي شيء تحصنون من عذاب ذلك اليوم ان كفرتم وكيف تدفون عنكم ذلك قال النابغة
«سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته وانتقنا باليد» اي دفننا ثم زاد سبحانه في وصف
شدة ذلك اليوم فقال (السا منقطر به) الهاء تعود الى اليوم وهذا كما يقال فلان بالكوفة اي هو فيها والمعنى
ان الساء تنقطر وتنشق في ذلك اليوم من هوله وقيل بسبب ذلك اليوم وهوله وشدة وقيل به بامر الله

وقدرته ولم يقل منفطرة لان لفظة الساء مذكر فيجوز ان يذكر ويوث ومن ذكر اراد السقف وقيل
معناه ذات انقطاع كما يقال امرأة مطلق اي ذات اطفال ومرضع ذات رضاع فيكون على طريق النسبة
(كان وعده مفعولا) اي كأننا لا خلف فيه ولا تبديل (ان هذه) الصفة التي ذكرناها وبينها (تذكرة) أي
عظة لمن انصف من نفسه والتذكرة الموعظة التي يذكر بها ما يعمل عليه (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)
اي فمن شاء من المكلفين اتخذ الى ثواب ربه سبيلا لأنه قادر على الطاعة التي او فعلها وصل الى الثواب وقد
رغبه الله تعالى فيه ودعا الى فعل ما يوصله اليه وبث رسولا يدعو اليه فمن لم يصل اليه فسوء اختياره انصرف عنه
قوله تعالى (٢٠) **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثُهُ**
وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ نَحْضُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا
مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ
مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ
خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ هُمْ بِأَنفُسِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ آية واحدة

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير واهل الكوفة نصفه وثلثه بالنصب والباقون بالجر

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من نصب حملة على ادنى وادنى في موضع نصب قال ابو عبيدة ادنى اقرب فكأنه قال
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه ومن جر فانه يحمله على الجار قال ابو الحسن
وليس المعنى عليه فيما بلغنا لان المعنى يكون على ادنى من نصفه وادنى من ثلثه قال وكان الذي افترض
الثلث واكثر من الثلث قال فاما الذين قرأوا بالجر فعلى ان يكون المعنى انكم ان لم تؤدوا ما فرض الله
عليكم فقوموا ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه ومن ثلثه

❖ المعنى ❖

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (ان ربك) يا محمد (يعلم انك تقوم ادنى) اي اقرب واقل (من)
ثلثي الليل ونصفه وثلثه (اي اقل من نصفه وثلثه والهاء تعود الى الليل اي نصف الليل وثلث الليل والمعنى
انك تقوم في بعض الليالي قريبا من الثلثين وفي بعضها قريبا من نصف الليل وقريبا من ثلثه وقيل ان الهاء
تعود الى الثلثين اي واقرب من نصف الثلثين ومن ثلث الثلثين واذا نصبت فالمعنى تقوم نصفه وثلثه (و) تقوم
(طائفة من الذين معك) على الايمان وروى الحاكم ابو القاسم ابراهيم الحسكاني باسناده عن الكلبي عن ابي
صالح عن ابن عباس في قوله وطائفة من الذين معك قال علي وابو ذر (والله يقدر الليل والنهار) اي يقدر
اوقاتها لتعملوا فيها علي ما يأمركم به وقيل معناه لا يفوته علم ما تفعلون عن عطاء والمراد انه يعلم مقادير
الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومونه من الليل (علم ان لن تحصوه) قال مقاتل كان الرجل يصلي الليل
كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فقال سبحانه علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك

وقال الحسن قاموا حتى انتفضت أقدامهم فقال سبحانه انكم لا تطبقون احصاءه على الحقيقة وقيل معناه لن تطيقوا المداومة على قيام الليل ويقع منكم التقصير فيه (فتاب عليكم) بأن جعله تطوعا ولم يجعله فرضا عن الجبائي وقيل معناه فلم يلزمكم اثما كما لا يلزم التائب أي رفع التبعة فيه كرفع التبعة عن التائب وقيل فتاب عليكم أي فخفف عليكم (فاقروا ما تيسر من القرآن) الآن يعني في صلاة الليل عن أكثر المفسرين وأجمعوا أيضا على أن المراد بالقيام المتقدم في قوله قم الليل هو القيام الى الصلاة الا إذا مسلم فإنه قال أراد القيام لقراءة القرآن لا غير وقيل معناه فصلوا ما تيسر من الصلاة وعبر عن الصلاة بالقرآن لأنها تتضمنه ومن قال إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو معمول على الاستحباب عند الاكثرين دون الوجوب لانه لو وجبت القراءة لوجب الحفظ وقال بعضهم هو معمول على الوجوب لأن القارئ يقف على اعجاز القرآن وما فيه من دلائل التوحيد وارسال الرسل ولا يلزم حفظ القرآن لأنه من القرب المستحبة المرغوب فيها ثم اختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الامر من القراءة فقال سعيد بن جبيرة خمسون آية وقال ابن عباس مائة آية وعن الحسن قال ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ مائة آية في ليلة كتب من القانتين وقال السدي مائتا آية وقال جويرير ثلث القرآن لأن الله يسره على عباده والظاهر أن معنى ما تيسر مقدار ما أردتم واحببتم (علم ان سيكون منكم مرضى) وذلك يقتضي التخفيف عنكم (وآخرون) أي ومنكم قوم آخرون (يضربون في الأرض ينتفون من فضل الله) أي يسافرون للتجارة وطلب الارباح عن ابن عباس (وآخرون) أي ومنكم قوم آخرون (يقاتلون في سبيل الله) فكل ذلك يقتضي التخفيف عنكم (فاقروا ما تيسر من القرآن) رروي عن الرضا (ع) عن أبيه عن جده (ع) قال ما تيسر منكم فيه خشوع القلب وصفاء السر (وأقيموا الصلاة) بحدودها التي أوجبها الله عليكم (وآتوا الزكاة) المفروضة (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) أي وانفقوا في سبيل الله والجهات التي أمركم الله وتذبكم الى النفقة فيها وقد مر معنى القرض فيما تقدم (وما تقدموا لانفسكم من خير) أي طاعة (تجوده) أي تجددوا ثوابه (عند الله هو خيرا) لكم من الشح والتقصير (وأعظم أجرا) أي افضل ثوابا وهو هنا يسمى فضلا عند البصريين وعسداً عند الكوفيين ويجوز أن يكون صفة لاهاء في تجوده (واستغفروا الله) أي اطلبوا مغفرته (ان الله غفور رحيم) أي ستار الذنوبكم صفوح عنكم رحيم بكم منعم عليكم قال عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب شيئاً الى مدينة من مدن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء. ثم قرأ وآخرون يضربون في الأرض الآية . وقال ابن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من ان أموت بين شقي رجل اضرب في الأرض ابتغي من فضل الله وقيل ان هذه الآية مدنية ويدل عليها ان الصلاة والزكاة لم توجبا بمكة وقيل . أوجبتا بمكة والاية مكية .

سورة المدثر مكة

✽ عدد آياتها ✽

خمسون وست آيات عراقية والبزري والمدني الاول وخمس شامي والمدني الاخير والمكي غير البزري

✽ اختلافها ✽

يتساون غير المدني الاخير عن المجرمين غير الشامي والمكي إلا البزري .

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة المدثر اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بمحمد ﷺ وكذب به بمكة . محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ في الفريضة سورة المدثر كان حقا
على الله ان يجعله مع محمد ﷺ في درجته ولا يدركه في حياة الدنيا شقاء ابدا

﴿ تفسيرها ﴾

لما امر سبحانه نبيه ﷺ في آخر المزمّل بالصلاة وغيرها امره في مفتتح هذه السورة بالانذار فكانت
امرته ان يبدأ بنفسه ثم بالناس فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (٢) قُمْ فَأَنْذِرْ (٣) وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ (٤) وَثِيَابَكَ
فَطَهِّرْ (٥) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٦) وَلَا تَمَنَّأَنَّ تَسْتَكْثِرُ (٧) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٨) فَإِذَا تَقَرَّ فِي
النَّاقُورِ (٩) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (١٠) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحفص ويعقوب وسهل والرجز بالضم والباقون بكسر الراء . وقرأ الحسن تستكثر بالجزم وقرأ
الاعمش تستكثر بالنصب والقراءة بالرفع

﴿ الحجة ﴾

الرجز بالضم قراءة الحسن وهو اسم صنم فإما زعموا وقال قتادة هما صنمان اساف ونائلة ومن كسر فهو
العذاب والمعنى ذات العذاب فاهجر لأن عبادتها تؤدي إلى العذاب ويجوز أن يكون الرجز والرجز لغتين كالذكر
والذكر وقال ابن جني الجزم في تستكثر يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بدلا من تمنن فكانه قال
لا تستكثر فإن قيل فعبرة البدل ان يصلح اقامة الثاني مقام الاول وانت لو قلت لا تستكثر لا يدل ذلك النهي على
المن للاستكثر وإنما المعنى لا تمنن من مستكثر قبل قد يكون البدل على حذف الاول وقد يكون على نية
ثباته وذلك كقولك زيد مررت به اني محمد فتبدل ابا محمد من الماء وار قلت زيد مررت بابي محمد
كان قبيحا فقله ولا تمنن تستكثر من هذا القبيل وتكر ابو حاتم الجزم على البدل ﴿ والآخر ﴾ ان يكون
اراد تستكثر فاسكن الراء لتقل الضمة مع كثرة الحركات كما حكى ابو زيد من قوله بلى ورسنا باسكان
اللام واما تستكثر بالنصب فبان مضرة وذلك ان يكون بدلا من قوله ولا تمنن في المعنى الا ترى ان معناه لا يكن
منك من فاستكثر فكانه قال لا يكن منك من ان تستكثر فتضمر ان لتكون مع الفعل المنصوب بها بدلا
عن المن في المعنى الذي دل عليه الفعل وما وقع فيه الفعل موقع المصدر قوله

فقالوا ما تشاء فقلت هو إلى الاصباح آثر ذي اثر

اراد فقلت الله فوضع الله موضع الله

﴿ اللفظة ﴾

المدثر المتفعل من الدثار إلا ان الثاء ادغمت في الدال وهو المنطوي بالثياب عند النوم والتكبير وصف الاكبر
على اعتقاد معناه تكبير المكبر في الصلاة بقوله الله اكبر والتكبير نقيض التصغير والكبير الشأن هو المختص
باتساع المقدور والمعالم والطهارة النظافة بانتفاء النجاسة لان النظافة قد تكون بانتفاء الرسخ من غير نجاسة
وقد تكون بانتفاء النجاسة فالطهارة في الآية هو القسم الأخير والمن ذكر النعمة بما يكدرها ويقطع حق الشكر

بها يقال من يعطائه يمنٌ مَذا إذا فعل ذلك فاما المن على الاسير فهو اطلاقه بقطع اسباب الاعتقال عنه والاستكثار طلب الكثرة وهو هنا طلب ذكر الاستكثار للمعطية والناقور فاعول من النقر كماضوم من المضم وحاطوم من الحاطم وهو الذي من شأنه ان ينقر فيه للتصويت به واليسير القليل الكلفة ومنه اليسار وهو كثرة المال لقلة الكلفة به في الانفاق ومنه تيسير الامور لسهولته

✽ الإعراب ✽

وربك فكبير تقديره قم فكبر ربك وكذلك ما بعده وفائدة تقديم المفعول عنها التخصيص لأنك إذا قلت وكبر ربك لم يدل ذلك على انه لا يجوز تكبير غير الرب وإذا قلت ربك فكبر دل على انه لا يجوز تكبير غيره وتستكثر في موضع نصب على الحال فذلك مبتدأ ويوم عسير خبره ويومئذ يجوز أن يكون رفعا ويجوز أن يكون نصبا فإذا كان رفعا فإنما بينى على التتم لاضافته إلى اذ لان اذ غير متسكنة وإذا كان نصبا فعلى الظرف وتقديره فذلك يوم عسير في يوم يتفتح في الصور قاله الزجاج وقال ابو علي في بعض كتبه لا يجوز أن ينتصب يومئذ بقوله عسير لأن الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف قال وإنما انتصب يومئذ على انه صلة قوله فذلك لأن ذلك كتابة عن المصدر فكأنه قال فذلك النقر يومئذ وعلى هذا فيكون التقدير فذلك النقر في ذلك الوقت نقر يوم عسير وقوله على الكافرين غير يسير على يتعلق بعسير ولا يتعلق بيسير لان ما يعمل فيه المضاف اليه لا يتقدم على المضاف على انهم قالوا ان غيرا في حكم حرف النفي فيجوز أن يعمل ما بعده فيما قبله نحو ان تقول انت زيدا غير ضارب ولا يجوز أن تقول انت زيدا مثل ضارب فتعمل ضاربا في زيد وإنما اجازوا ان زيدا غير ضارب حملا على انت زيدا لا ضارب

✽ المعنى ✽

خاطب سبحانه نبيه ^(صلى الله عليه وسلم) فقال (يا أيها المدثر) اي المتدثر بشيابه قال الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول سألت ابا سلمة اي القرآن انزل من قبل قال يا أيها المدثر فقلت او اقرأ باسم ربك فقال سألت جابر بن عبد الله اي القرآن انزل قبل قال يا أيها المدثر فقلت او اقرأ فقال جابر احدثكم ما حدثنا رسول الله ^(صلى الله عليه وسلم) قال جاورت بجراه شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الواد فتوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وشالي فلم ار احدا ثم توديت فرفعت رأسي فاذا هو على العرش في الهواء يعني جبرائيل فقلت دثروني دثروني فصبوا علي ماء فانزل الله عز وجل يا أيها المدثر وفي رواية فحييت منه فرقا حتى هويت إلى الارض فجنبت إلى اهلي فقلت زموني فنزل يا أيها المدثر (قم فانذر) اي ليس بك ما تخافه من الشيطان إنما انت نبي فانذر الناس وادعهم إلى التوحيد وفي هذا ما فيه لان الله تعالى لا يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين النيرة والآيات البينة الدالة على أن ما يوحى اليه إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء سواها ولا يفزع ولا يفرق وقيل معناه يا أيها الطالب صرف الاذى بالدثار اطلبه بالانذار وخوف قومك بالنار وان لم يؤمنوا وقيل انه كان قد تدثر بشملة صغيرة لينام فقال يا أيها النائم قم من نومك فانذر قومك وقيل إن المراد به الجد في الامر والقيام بما ارسل به وترك الهويناء فيه فكانه قيل له لا تنم عما امرتك به وهذا كما تقول العرب فلان لا ينام في امره إذا وصف بالجد والانكماش وصدق العزيمه كأنهم يحظرون النوم على ذي الحاجة حتى يبلغ حاجته وبذلك نطقت اشعارهم كما قيل

الا ايها الناهي فزاره بعد ما اجدت لامر إنما انت حالم

أرى كل ذي وتر يقوم بوتره ويمنع عنه النوم إذ انت نائم

ويقال لمن ادرك تأره هذا هو الثار المنيم وقال الشاعر يصف من اورد ابلا له

اوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الابل

والاستئجال مثل التدثر (وربك كبير) اي عظمه ونزوه عما لا يليق به وقيل كبره في الصلاة فقل الله اكبر (وثيابك فطهر) أي وثيابك الملبوسة فطهرها من النجاسة للصلاة وقيل معناه ونفسك فطهر من الذنوب والسيئات عبارة عن النفس عن قتادة ومجاهد وعلى هذا فيكون التقدير وذا ثيابك فطهر فحذف المضاف وما يؤيد هذا القول قول عنزة

فشككت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم
وقيل معناه طهر ثيابك من لبسها على معصية او غدره كما قال سلامة بن غيلان الثقفي انشده ابن عباس
اني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره اتقنع

قال الزجاج معناه ويقال لغادر دنس الثياب وفي معناه قول من قال وعملك فاصلح قال السدي يقال للرجل إذا كان صالحا انه اطهر الثياب وإذا كان فاجرا انه نجس الثياب وقيل معناه وثيابك فقصر عن طاووس وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال الزجاج لأن تقصير الثوب ابعد من النجاسة فانه إذا اتجر على الأرض لم يؤمن ان يصيبه ما ينجسه وقيل معناه وثيابك فاعسلها عن النجاسة بالماء لان المشركين كانوا لا يتطهرون من ابن زيد وابن سيرين وقيل لا يكن ثيابك من حرام عن ابن عباس وقيل معناه وازواجك فطهرهن عن الكفر والمعاصي حتى يصرن مؤمنات صالحات والعرب تكني بالثياب عن النساء عن أبي مسلم وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال قال امير المؤمنين (ع) غسل الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور للصلاة وتشمير الثياب طهور لها وقد قال الله سبحانه وثيابك فطهر اي فشم (والرجز فاهجر) اي اهجرا الاصنام والوثان من ابن عباس ومجاهد وقاتدة والزهري وقيل معناه اجتنب المعاصي عن الحسن قال الكسائي الرجز بالسكر العذاب وبالضم الصنم وقال المعنى اهجرا ما يؤذي إلى العذاب ولم يفرق غيره بينهما وقيل معناه جانب الفعل القبيح والخلق الذميمة عن الجبائي وقيل معناه اخرج حب الدنيا من قلبك لانه رأس كل خطيئة (ولا تمنن تستكثر) اي لا تعط عطية لتمطي اكثر منها وهذا للنبي ﷺ خاصة اذبه الله سبحانه باكرام الآداب واشرفها عن ابن عباس ومجاهد وقاتدة والنخعي والضحاك وقيل معناه ولا تمنن حسناك على الله تعالى مستكثرا لها فينقصك ذلك عند الله عن الحسن وربيعة بن انس وقيل معناه لا تمنن ما اعطاك الله من النبوة والقرآن مستكثرا به الأجر من الناس عن ابن زيد وقيل هو نهي عن الربا المحرم اي لا تعط شيئا طالبا ان تعطى اكثر مما اعطيت عن ابي مسلم وقيل لا تضع في عملك مستكثرا اطاعتك عن مجاهد وقيل ولا تمنن بعبائتك على الناس مستكثرا ما اعطيت فان متاع الدنيا قليل ولان المن يكدر الصنعة وقيل معناه إذا اعطيت عطية فاعطها لربك واصبر حتى يكون هو الذي يثديك عليها عن زيد بن اسلم وقيل معناه لا تمنن بابلاغ الرسالة على امتك عن الجبائي (ولربك) اي لوجه ربك (فاصبر) على اذى المشركين عن مجاهد وقيل فاصبر على ما امرك الله به من اداء الرسالة وتعميم الشريعة وعلى ما ينالك من التكذيب والاذى لتنال الفوز والذخر وقيل فاصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمصابب وقيل فاصبر لله على ما حملت من الآوار الشاقة في محاربة العرب والمجهم عن ابن زيد (فاذا قر في الناقر) معناه إذا نفع في الصور وهي كهينة البوق عن مجاهد وقيل إن ذلك في النفخة الأولى وهو أول الشدة الهائلة العامة وقيل انه النفخة الثانية وعندها يحيي الله الخلق وتقوم القيامة وهي صيحة الساعة عن الجبائي (فذلك يومئذ) قد مر معناه في الاعراف (يوم عسير) اي شديد (على الكافرين) لنعم الله الجاحدين لاياته (غير يسير) غير هين ولا سهل وهو بمعنى قوله عسير إلا انه اعاده بلفظ آخر للتأكيد كما تقول اني واد لفلان غير مبغض وقيل معناه عسير في نفسه وغير عسير على المؤمنين لما يرون من حسن العاقبة

قوله تعالى (١١) ذرني ومن خلقت وحيدا (١٢) وجعلت له مالا ممدودا (١٣) وبينين
 شهودا (١٤) ومهدت له تهيدا (١٥) ثم بطمع أن أزيد (١٦) كلاً إنه كان لا ياتنا عبيدا
 (١٧) سارهم صودا (١٨) إنه فكر وقدر (١٩) فقتل كيف قدر (٢٠) ثم قتل كيف قدر
 (٢١) ثم نظر (٢٢) ثم عبس وبسر (٢٣) ثم أذبر وأستكبر (٢٤) فقال إن هذا إلا سحر يؤثر
 (٢٥) إن هذا إلا قول البشر (٢٦) سأصليه سقر (٢٧) وما أدراك ما سقر (٢٨) لا تبقي ولا تذر
 (٢٩) لراحة البشر (٣٠) عليها تسعة عشر (٣٠) وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما
 جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا
 ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون
 ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا
 هو وما هي إلا ذكري للبشر

احدى وعشرون آية

اللغة

التهديد والتوطئة والتذليل والتسهيل نظائر والعنيد الذاهب عن الشيء على طريق العداوة له يقال عند العرق
 يئند عنودا فهو عائد إذا نفر والمعاندة منافرة المضادة وكذلك العناد وبعبارة عنود أي نافر قال الشاعر

إذا نزلت فاجعلوني وسطا
 إني كبير لا أطبق العندا

والارهاق الامجاز بالعنف والصعود العقبة التي يصعب صعودها وهي الكوؤود وعبس ببس عيبا إذا قبض
 وجهه والعبوس والتكليب والتقطيب نظائر وضدها الطلاقة والبشاشة والبسور بدو التكرور في الوجه وأصله من
 بسر بالامر إذا عجل به ومنه بسر لتعجيل حانه قبل الارطاب قال تربة

وقد رايت منها صدود رأيت
 واعراضها عن حاجتي وبسورها

والاصلاء الزام موضع النار يقال اصلته فاصلتي وسقر اسم من اسما جهنم لم يصرف للتأنيث والتعريف
 وأصله من سقرته الشمس سقرا إذا المتدماغه والابقاء ترك شيء مما أخذ والتلويع تغيير اللون إلى الاحمرار ولوحته
 الشمس تلويحا فهي لراحة على المبالغة والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد ومنه سمي الانسان بشرا لأنه ظاهر
 الجلد بتمريه من الوبر والريش والصفوف الذي يكون في غيره من الحيوان .

الاعراب

وحيدا منصوب على الحال وهو على وجهين أحدهما أن يكون من صفة الله أي ذرني ومن خلقت وحدي
 والآخر أن يكون من صفة المخلوق

النزول

نزلت الآيات في الوليد بن المغيرة المخزومي وذلك أن قريشا اجتمعت في دار الندوة فقال لهم الوليد انكم
 ذور احساب وذور احلام وإن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف فاجمعوا امركم على
 شيء واحد ما تقولون في هذا الرجل قالوا نقول إنه شاعر فعبس عندها وقال قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر
 فقالوا نقول انه كاهن قال إذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة قالوا نقول انه لمجنون فقال إذا

قأثرته فلا تجدونه مجنوننا قالوا نقول انه ساحر قال وما الساحر فقالوا بشر مجنون بين المتباغضين ويغضرن بين المتحابين قال فهو ساحر فخرجوا فكان لا يلقى احد منهم النبي ﷺ إلا قال ياساحر ياساحر واشتد عليه ذلك فانزل الله تعالى يا ايها المدثر إلى قوله الا قول البشر عن مجاهد ويروى أن النبي ﷺ لما انزل عليه حم تغويل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قام إلى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد أنفا ككلام ما هو من كلام الاتس ولا من كلام الجن وان له حلالة وان عليه اطلاوة وان اعلاه لشر وان اسفله لمصدق وان ليمار وما يبلى ثم انصرف إلى منزله فقال قريش صبا والله الرايد والله لتصبأن قريش كلهم وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم ابو جهل انا كفيكموه فانطلق ففقد إلى جنب الوليد حزينا فقال لي ما اراك حزينا يا ابن اخي قال هذه قريش يسيونك على كبر سنك وبزعمون انك زينت كلام محمد فقام مع ابي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال أتزعون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخفق قط فقالوا اللهم لا قال أتزعون انه كاهن فهل رأيتم عليه شيئا من ذلك قالوا اللهم لا قال أتزعون انه شاعر فهل رأيتموه انه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال أتزعون انه كذاب فهل جريتم عليه شيئا من الكذب فقالوا اللهم لا وكان يسمى الصادق الأمين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال ما هو إلا ساحر ما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر بوثر

المعنى

ثم قال سبحانه لئيبه ﷺ على وجه التهديد للكافر الذي وصفه (ذرني ومن خلقت وحيدا) اي ودعني واياه فاني كاف له في عقابه كما يقول القائل دعني واياه ومعناه دعني ومن خلقت متوحدا بخلق لا شريك لي في خلقه وان حملته على صفة المخلوق فعناه دعني ومن خلقت في بطن امه وحده لا مال له ولا ولد يعني الوليد بن المغيرة قال مقاتل معناه خل بيني وبينه فأنا افرد بهلكته وقال ابن عباس كان الوليد يسمى الوحيد في قومه وروى العياشي باسناده عن زرارة ومهران ومحمد بن مسلم عن ابي عبد الله واي جعفر عليها السلام ان الوحيد ولد الزنا قال زرارة ذكر لابي جعفر عليه السلام عن احد بني هشام انه قال في خطبته انا ابن الوحيد فقال ويله او علم ما الوحيد ما فخر بها فقلنا له وما هو قال من لا يعرف له اب ثم ذكر سبحانه رزقه المال والولد فقال (وجعلت له ما لحدودا) ما بين مكة الى الطائف من الابل المربلة والحبل المسومة والنعم المرحلة والمستغلات التي لا تنقطع غلتها والجوارى والبيد والعين الكثيرة من عطا عن ابن عباس وقيل الممدود الكثير الذي لا تنقطع غلته عنه سنة حتى يدرك غلة سنة اخرى فهو محدود على الايام وكان له بستان بالطائف لا ينقطع خيره في شتاء ولا صيف وعشرة بنين ومائة الف دينار عن مجاهد وقيل ستة آلاف دينار عن قتادة وقيل اربعة آلاف دينار عن سفيان (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لا يغيبون عنه لغناهم عن ركوب السفر للتجارة قال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر وقال مقاتل كانوا سبعة الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قالوا فما زال الوليد بعد هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك (وهدت له تمهيدا) اي بسطت له في العيش بسطا حتى صار مكفي المرثونة من كل وجه حتى صارت احواله متناسبة من الحسن وغيره وقيل سهات له التصرف في الأمور تهيبا (ثم يطمع ان ازيد) اي لم يشكرني على هذه النعم بل كفر نعمائي وهو مع ذلك بطمع ان ازيد في انعامه ثم قال على وجه الردع والزجر (كلا) اي لا يكون كما ظن ولا اريده مع كفره وقيل كلا معناه انزجر وارتدع فليس الامر على ما تتوهم ثم بين سبحانه كفره فقال (انه كان لا ياتنا عنيدا) اي انما لم نفعل به ذلك لانه كان يحجبنا وادلتنا معاندا ينكرها مع معرفته بها وقيل عنيدا جحودا عن ابن عباس وقاتدة (سأرقه صمورا)

اي ساكنه مشقة من العذاب لا راحة فيه وقيل صمرد جبل في جهنم من نار يؤخذ بارتقائه فاذا وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت وكذلك رجله في خبر مرفوع وقيل هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعدا حتى اذا بلغ اعلاهما احذر إلى اسفلها ثم يكلف ايضا ان يصعدا فذلك دأبه ابدًا يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بقاطع الحديد فيصعدا في اربعين سنة عن الكلبي (انه فكر) ودير ماذا يقول في القرآن (وقدر) القول في نفسه وإنما فكر ليحتال به للباطل لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لكان ممدوحا وقدر فقال ان قلنا شاعر كذبنا العرب باعتبار ما أتى به وان قلنا كاهن لم يصدقونا لأن كلامه لا يشبه كلام الكهان فنقول ساحريوثر ما أتى به عن غيره من السحرة (فقتل) اي لمن وعذب وقيل لمن بما يجري مجرى القتل وقيل استحق العذاب عن الجبائي (كيف قدر) قال صاحب النظم معناه لمن على اي حال قدر ما قدر من الكلام كما يقال في الكلام لأضربنه كيف صنع اي على اي حال كان منه (ثم قتل كيف قدر) هذا تكرير للتأكييد وقيل معناه كيف قدر في آياتنا ما قدر مع وضوح الحجة ثم لمن وعذب بمقاب آخر كيف قدر في ابطال الحق تقدير آخر وقيل معناه عوقب في الآخرة مرة بعد مرة (ثم نظر) في طلب ما يدفع به القران ويرده (ثم عبس وبسر) أي كبح وكره وجهه ونظر بكرهه شديدة كالمهتم المنكسر في الشيء (ثم ادبر) عن الايمان (واستكبر) اي تكبر حين دعا اليه فقال (ان هذا) اي ما هذا القرآن (إلا سحر يوتر) اي يروى عن السحرة وقيل هو من الايثار اي سحر توتره النفوس وتختاره خلالاته فيها (إن هذا إلا قول البشر) اي ما هذا إلا كلام الانس وليس من عند الله ولو كان القرآن سحرا او من كلام البشر كما قاله الملعون لا يمكن السحرة ان يأتيوا ببثله ولقد هو وغيره مع فصاحتهم على الايتان بسورة مثله ثم قال سبحانه مهديا له (سأصليه سقرا) اي سأدخله جهنم والزمه اياها وقيل سقر دركة من دركات جهنم وقيل باب من ابوابها (وما ادريك) ايها السامع (ما سقر) في شدتها وهولها وضيقتها ثم وصف بعض صفاتها فقال (لا تبقي ولا تذر) اي لا تبقي لهم لحما الا اكلته ولا تذرهم اذا اعيدوا خلقا جديدا عن مجاهد وقيل لا تبقي شيئا الا احرقته ولا تذر اي لا تبقي عليهم بسل يبلغ مجهودهم في انواع العذاب عن الجبائي (اراحة للبشر) اي مغيرة للجوارد وقيل لافعة للجلود حتى تدعها اسد سواد من الليل (عليها تسعة عشر) من الملائكة هم خزنتها ملك ومعه ثمانية عشر امينهم كالبرق الحاطف وانبايهم كالصياصي يخرج جلب النار من افواههم ما بين منكي لحدهم مسيرة سنة تسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر تزعت منهم الرحمة يرفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقيل معناه على سقر تسعة عشر ملكا وهم خزان سقر ولانار ودركاها الآخر خزان آخرون وقيل انما خصوا بهذا العدد ليرافق المخبر الخبر لما جاء به الانبياء قبله وما كان من الكتب المتقدمة ويكون في ذلك مصلحة للمكلفين وقال بعضهم في تخصيص هذا العدد ان تسعة عشر يجمع اكثر القليل من العدد واقل الكثير منه لأن العدد آحاد وعشرات ومئات والوف فأقل العشرات عشرة واكثر الاحاد تسعة قالوا ولما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لغريش ثكلتكم امهاتكم اتسمعون ابن أبي كيشة يجبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الذم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم فقال أبو الاسد الجمحي أنا اكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني انتم اثنين فنزل (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومعناه وما جعلنا الموكلين بالنار المتولين تدبيرها الا ملائكة جعلنا شهرتهم في تعذيب اهل النار ولم نجعلهم من بني آدم كما تهمدون انتم فتطيقونهم (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أي لم نجعلهم على هذا العدد إلا محنة وتشديدا في التكليف للذين كفروا نعم الله ووجدوا وحدانيته حتى يتمكروا فيعلموا ان الله سبحانه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمة ويعلموا انه قادر على ان يزيد في قواهم ما يقدرون به على تعذيب الخلائق واراجع الكفار عقولهم لعلوا ان من ساطع ملكا واحدا على كافة بني آدم لقبض ارواحهم

فلا يقبلونه قادر على سوق بعضهم إلى النار وجعلهم فيها تسعة عشر من الملائكة (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى انه حق وان محمداً ﷺ صادق من حيث أخبرنا هو في كتبهم من غير قراءة لها ولا تعلم منهم (ويزداد الذين آمنوا إيماناً) أي يقينا بهذا العدد وبصحة نبوة محمد ﷺ إذا أخبرهم أهل الكتاب انه مثل ما في كتابهم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أي وان لا يشك هؤلاء في مدد الخزنة والمعنى وليستيقن من لم يؤمن بمحمد ﷺ ومن آمن به صحة نبوته إذ تدبروا وتفكروا (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) اللام هنا لام العاقبة أي عاقبة امر هؤلاء أن يقولوا هذا يعني المنافقين أو الكافرين وقيل معناه لأن يقولوا ماذا أراد الله بهذا الوصف والمدد ويتدبروه فوودي بهم التدبر في ذلك إلى الايمان (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي مثل ما جعلنا خزنة أصحاب النار ملائكة ذوي مدد مخنة واختبارا تكلف الخلق يظهر الضلال والهدى وأضافها إلى نفسه لأن سبب ذلك التكليف وهو من جهته وقيل يضل عن طريق الجنة والثواب من يشاء ويهدي من يشاء اليه (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي ما يعلم جنود ربك من كثرتها أحد إلا هو ولم يجعل خزنة النار تسعة عشر آفة جنوده ولكن الحكمة اقتضت ذلك وقيل هذا جواب أي جهل حين نال المحدثان إلا تسعة عشر عن مقاتل وقيل معناه وما يعلم عدة الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلا الله من عطاء والمعنى أن التسعة عشر هم خزنة النار واهم من الاعوان والجنود ما لا يعلمه إلا الله ثم رجع إلى ذكر سقر فقال (وما هي إلا ذكرى للبشر) أي تذكرة ومرعظة للعالم ليتذكروا فيتجنبوا ما يستوجبون به ذلك وقيل معناه وما هذه النار في الدنيا إلا تذكرة للبشر من نار الآخرة حتى يتفكروا فيها فيحذروا نار الآخرة وقيل ما هذه السورة إلا تذكرة للناس وقيل وما هذه الملائكة التسعة عشر إلا مرعبة للخلق يستدلون بذلك على كمال قدرة الله تعالى ويتجزون عن المعاصي

قوله تعالى (٣٢) كَلَّا وَالْقَمَرَ (٣٣) وَاللَّيْلَ إِذْ أَدْبَرَ (٣٤) وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ (٣٥) إِنَّهَا لَإِْحْدَى الْكَبِيرِ (٣٦) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٧) لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٨) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٩) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٤٠) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤١) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤٢) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٣) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٤) وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ (٤٥) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٦) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٤٧) حَتَّى آتَيْنَا الْيَقِينَ (٤٨) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشُّفَعَاءِ (٤٩) فَمَا لَهُمْ عَنِ الذُّكْرِ كَرِهَ مَعْزِينَ (٥٠) كَانَهُمْ حُمُرٌ مَسْتَنْفِرَةٌ (٥١) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥٢) بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَّةً (٥٣) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٤) كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ (٥٥) فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْهُ (٥٦) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ

خمس وعشرون آية

✽ القراءة ✽

قرأ نافع وحزمة وحفص ويعقوب وخلف إذ بغير الف ادبر بالالف والباقون إذا بالالف دبر بغير الالف وقرأ أهل المدينة وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء والباقون بكسر الفاء وفي الشواذ قراءة بعضهم يرويه عن ابن كثير انها لحدي الكبر بلا همزة وقراءة سعيد بن جبير صحفا منشرة بسكون الحاء والنون

* الحجة *

ابو علي قال يونس دبر انقضى وادبر تولى قال قتادة والليل اذا ادبر اذلى يقال دبر وادبر وقال والتخفيف في لاحدى الكبر ان يجعل فيها الهزة بين بنجر سم فاما حذف الهزة فليس بقياس ووجه ذلك أن الهزة حذفت حذفاً كما حذفت في قوله

ويلهما في هواء الجو طالبا
وقد جاء ذلك في مواضع من الشعر قال ابو الاسود لزيد

يا با المغيرة رب امر معضل فرجته بالنكر مني والدهاء
وقال آخر

ان لم اقاتل فالبسوني برقماً وفتحات في اليدين اربعا
وانشد احمد بن يحيى

ان كان حزن لك يا فقيمة باعك عبدا باخس قيمة
وقال الفرزدق

وعليك اثم عطية بن الخطفي واثم التي زجرتك ان لم تجهد
قال والكسر في مستنفة اولى لقوله فرت من قسورة فهذا يدل على انها هي استنفت ويقال نفر واستنفر مثل سفر واستنفر وعجب واستعجب ومن قال مستنفة فكان القسورة استنفتها والرامي قال أبو عبيدة مستنفة مذعورة وانشد الزجاج

امسك حمارك انه مستنفر في اثر احمره عمدن لغرب
ورويت بالكسر أيضاً قال ابن سلام سألت ابا سواد العربي وكان امرانياً فصيحاً قارئاً للقرآن فقلت كأنهم حمر ماذا قال حمر مستنفة طردها قسورة قلت انها هور فرت من قسورة فقال افرت قلت نعم فقال مستنفة قال ابن جني اما سكن الحاء من صنف فلغة تسمية واما منشرة بسكون النون فالن العرف في الاستعمل نشرت الثوب وغيره وانشر الله الموتى فنشروهم قال وقد جاء عنهم أيضاً نشر الله الميت قال المتنبي

ردت صنائعه اليه حياته فكانه من نشرها منشور
ولم نعلمهم قالوا انشرت الثوب ونحوه إلا انه يجوز ان يشبه شي بشي وكما جاز ان يشبه الميت بالشي المطوي حتى قال المتنبي منشور فكذلك يجوز ان يشبه المطوي بالميت فيقال صنف منشرة أي كأنها بطيها ميتة فلما نشرت قبل منشرة

* اللغة *

اليقين العلم الذي يوجد برد الثقة به في الصدر ويقال وجد فلان برد اليقين وثاج اليقين في صدره ولذلك لا يوصف سبحانه بأنه متيقن والقسورة الأسد وقيل هم الرماة من قسره يقسره قسراً إذا قهره واصل الفرار الانكشاف عن الشيء ومنه يقال فر الفرس يفر فرا اذا كشف عن سنه والصحف جمع الصحيفة وهي الرقعة التي من شأنها ان تقلب من جهة إلى جهة لما فيها من الكتابة ومنه المصحف وجمعه مصاهف

* الإعراب *

نذيرا للبشر اختلف في وجه انتصابه فقيل نصب على الحال وهو اسم فاعل بمعنى منذر وذو الحال الضمير في احدى الكبر العائد إلى الهاء في انها وهي كتابة عن النار فالعنى انها الكبيرة في حال الانذار وانما ذكره لأن

معناه معنى العذاب ويجوز ان يكون التذكير على قولهم امرأة طالق أي ذات طلاق وكذلك نذير بمعنى ذات إنذار وقيل هو حال يتعلق بآول السورة فكانه قال يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فأنذروا وقيل ان النذير هنا بمعنى الانذار وتقديره انذارا للبشر فيكون نصبا على المصدر لانه لما قال انها لاحدى الكبر دل على انه انذروهم بها انذارا وقوله معرضين منصوب على الحال ما في اللام من قوله فإلهم من معنى الفعل والتقدير اي شي ثبت لهم معرضين عن التذكرة وكانهم حرم مستغفرة جملة في موضع الحال من معرضين وهي حال من حال او حال بعد حال أي مشابهين حورا

المعنى

ثم أقسم سبحانه على عظيم ما ذكره من الوعيد فقال (كلا) أي حقا وقيل معناه ليس الأمر على ما يشعرونه من أنهم يمكنهم دفع خزنة النار وغلبتهم (والقمر) أقسم بالقمر لما فيه من الآيات العجيبة في طلوعه وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه (والليل إذ أدير) وأقسم بالليل إذا ولي وذهب عن فتادة وقيل أدير إذا جاء بعد غيره وأدير إذا ولي مدبراً فعلى هذا يكون المعنى في إذ أدير إذا جاء الليل في اثر النهار وفي إذا أدير إذا ولي الليل فجاء الصبح عقبه وعلى القول الأول فهما لفتان معناها ولي واقتضى (والصبح إذا أسفر) أي إذا أضاء وأثار عن فتادة وهو قسم آخر وقيل معناه إذا كشف الظلام وضاء الأشخاص وقال قوم التقدير في هذه الأقسام ورب هذه الأشياء لأن اليمين لا يكون إلا بالله تعالى (إنها لاحدى الكبر) هذا جواب القسم يعني أن سقر التي هي النار لاحدى العظام والكبر جمع الكبرى وهي العظمى عن ابن عباس ومجاهد وفتادة وقيل معناه أن آيات القرآن لاحدى الكبر في الوعيد (نذيرا للبشر) أي منذراً ومخوفاً معلماً مواضع المخافة والنذير الحكيم بالتحذير عما ينبغي أن يحذر منه فكل نبي نذير لأنه حكيم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه واختلاف فيه فقيل إنه من صفة النار عن الحسن وقيل من صفة النبي ﷺ فكانه قال لم نذيراً عن ابن زيد وقيل من صفة الله تعالى عن ابن زرين وعلى هذا يكون حالا من فعل القسم المحذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أي يتقدم في طاعة الله أو يتأخر عنها بالمعصية عن فتادة والمشيئة هي الإرادة فيكون المعنى أن هذا الإنذار متوجه إلى من يمكنه أن يتقي عذاب النار بأن يتجنب المعاصي ويفعل الطاعات فيقدر على التقدم والتأخر في أمره بخلاف قول أهل الجبر القائلين بتكليف ما لا يطاق وقيل انه سبحانه عبر عن الايمان والطاعة بالتقدم لان صاحبه متقدم في العقول والدرجات وعن الكفر والمعصية بالتأخر لأنه متأخر في العقول والدرجات وروى محمد بن الفضيل عن ابي الفضل عن ابي الحسن (ع) أنه قال كل من تقدم إلى ولايتنا تأخر عن سقر وكل من تأخر وعن لايتنا تقدم إلى سقر (كل قس بما كسبت رهينة) أي مرهونة بعملها محبوسة به مطالبة بما كسبه من طاعة أو من معصية فالرهن أخذ الشيء بامر على أن لا يرد إلا بالخروج منه قال زهير

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمرسى الرهن قد غلقا

فكذلك هؤلاء الضلال قد أخذوا برهن لا فكاك له والكسب هو كل ما يجتلب به قمع أو يدفع به ضرر ويدخل فيه الفعل وأن لا يفعل ثم استثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال (إلا أصحاب اليمين) وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين يسلك بهم ذات اليمين قال فتادة غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين وهم الذين لا ذنب لهم فعم ميامين على أنفسهم وقيل هم المؤمنون المستحقون لثواب عن الحسن وقيل هم الملائكة عن ابن عباس وقال الباقر (ع) نحن وشيعتنا أصحاب اليمين (في جنات يتسألون) أي يسأل بعضهم بعضاً وقيل يسألون (عن المجرمين) أي عن حالهم وعن ذنوبهم التي استحقوا بها النار (ما سلكتكم في سقر) هذا سؤال توبيخ أي تطلع أهل الجنة على أهل النار فيقولون لهم ما أوقعكم في النار (قالوا لم نك من المصلين) أي كنا لا نصلي الصلاة المكتوبة على ما قررها الشرع وفي هذا دلالة على أن الإخلال بالواجب يستحق به الذم والعقاب لأنهم غلقوا

استحقاقهم العقاب بالإخلال في الصلاة وفيه دلالة أيضا على أن الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعية لأنه حكاية عن الكفار بدلالة قوله وكنا نكذب يوم الدين وقوله (ولم نك نطعم المسكين) معناه لم نك نخرج الزكوات التي كانت واجبة علينا والكفارات التي وجب دفعها إلى المساكين وهم الفقراء وكنا نخوض مع الخائضين أي كلما غوى غاوير بالدخول في الباطل غويينا معه عن قتادة والمعنى كنا تلوث أنفسنا بالمرور في الباطل كتلويث الرجل بالخوض فلما كان هؤلاء يجرون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم في القول كانوا خائضين معهم (وكنا نكذب يوم الدين) مع ذلك أي نجحد يوم الجزاء وهو يوم القيامة والجزاء هو الإيصال إلى كل من له شيء أم عليه شيء ما يستحقه فيوم الدين هو يوم أخذ المستحق بالعدل (حتى أتينا باليقين) أي أننا الموت على هذه الحالة وقيل حتى جاءنا العلم اليقين من ذلك بأن عايناه (فما تنفهم شفاعة الشافعين) أي شفاعة الملائكة والنبيين كما نفعت الموحدين عن ابن عباس في روايته عطاء وقال الحسن لم تنفهم شفاعة ملك ولا شهيد ولا مؤمن وبعضد هذا الإجماع على أن عقاب الكفر لا يسقط بالشفاعة وقد صحت الرواية عن عبد الله بن مسعود قال يشفع نيكم رابع أربعة جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم لا يشفع أحد أكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر إلى قوله فما تنفهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود فهو هؤلاء الذين يبقون في جهنم وعن الحسن عن رسول الله قال يقول الرجل من أهل الجنة يوم القيامة أي رب عبدك فلان سقاني شربة من ماء في الدنيا فشفتني فيه فيقول إذهب فأخرجه من النار فيذهب فيتجسس في النار حتى يخرج منه منها وقال إن من أمي من سيدخل الله الجنة بشفاعته أكثر من مضر (فما لهم عن التذكرة معرضين) أي أي شيء لهم ولم أعرضوا وتولوا عن القرآن فلم يؤمنوا به والتذكرة التذكرة بمواعظ القرآن والمعنى لا شيء لهم في الآخرة إذا عرضوا عن القرآن وتروا عنه (كأنهم حمر مستنفرة) أي كأنهم حمر وحشية نافرة (فرت من قسورة) يعني الأسد عن عطاء والكبي قال ابن عباس الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت منه كذلك هؤلاء الكفار إذا سمعوا النبي بقر القرآن هربوا منه وقيل القسورة الرماة ورجال القنص عن ابن عباس بخلاف والضحاك ومقاتل ومجاهد وقال سعيد بن جبيرة القنص (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منسورة) أي كتباً من السماء تنزل إليهم بأسانهم إن آمنوا بمحمد عن الحسن وفتادة وابن زيد وقيل معناه أنهم يريدون صحفاً من الله تعالى بالبرائة من العقوبة واسباغ التعمية حتى يؤمنوا وإلا قاموا على كفرهم وقيل يريد كل واحد منهم أن يكون رسولاً يوحى إليه متبوعاً وأنف من أن يكون تابعاً وقيل هو تفسير ما ذكره الله تعالى في قوله ولن نؤمن لربك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه فقال سبحانه (كلا) أي حقاً ليس الأمر على ما قالوا ولا يكون كذلك (بل لا يخافون الآخرة) فيحدهم صحتها ولو خافوا عذاب الآخرة لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالات والمعجزات (كلا) أي حقا (إنه تذكرة) أي إن القرآن تذكرة وموعظة (فمن شاء ذكره) أي أتعظ به لأنه قادر عليه (وما ينذركون إلا أن يشاء الله) هذه المشيئة غير الأولى إذ لو كانت واحدة لتناقضت فالأولى مشيئة اختيار والثانية مشيئة إكراه وإجبار والمعنى أن هؤلاء الكفار لا ينذركون إلا أن يشاء الله بجبرهم الله تعالى على ذلك وقيل معناه إلا أن يشاء الله من حيث أمر به ونهى عن تركه ووعد الثواب على فعله وأوعد بالعقاب إن لم تفعله فكانت مشيئته سابقة أي لا تشاءون إلا والله قد شاء ذلك (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو أهل أن يتقي محارمه وأهل أن يغفر الذنوب عن فتادة وروي صراحة عن انس قال إن رسول الله تلا هذه الآية فقال قال الله سبحانه إنا أهل ان أتقى فلا يجعل معي إله فعن اتقى أن يجعل معي إلهاً فإنا أهل ان أغفر له وقيل معناه هو أهل ان يتقى عقابه وأهل ان يعمل له بما يؤدى إلى مغفرته

سورة القيمة (مكية)

أربعون آية كوفي تسع وثلاثون في الباقين

* اختلافها *

آية لتعجل به كوفي

* فضلها *

البي بن كعب عن النبي ﷺ ومن قرأ سورة القيمة شهدت انا وجبريل له يوم القيامة أنه كان موثقا بيوم
القيامة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من أدمن قراءته لا أقسم
وكان يعمل بها بعثها الله يوم القيامة معه في قبره في أحسن صورة تبشره وتضحك في وجهه حتى يجوز الصراط والميزان

* تفسيرها *

لما ختم الله سبحانه سورة المدثر بذكر القيامة وأن الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السورة بذكر القيامة
وذكر أهوالها فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (٢) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ
(٣) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٤) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِيَ بَنَانَهُ (٥) بَلَى يَرِيدُ
الْإِنْسَانَ لِيَفْجُرْ أَمَامَهُ (٦) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٧) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٨) وَخَسَفَ الْقَمَرُ
(٩) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (١٠) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ (١١) كَلَّا لَا وَزَرَ (١٢) إِلَى
رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٣) يَنْبِئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٤) بَلَى الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ
بَصِيرَةٌ (١٥) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ

خمس عشرة آية

* القراءة *

قرأ القواس لأقسم والباقون لا أقسم ولم يختلفوا في الثاني أنه ولا أقسم وقرأ أهل المدينة بوق البصر بفتح
الراء والباقون بوق بالكسر وفي الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وأيوب السجستاني والحسن المفر بفتح الميم وكسر الفاء
وقراءة الزهري المرفكسر الميم وفتح الفاء

* الحجة *

قال أبو علي من قرأ لا أقسم بيوم القيامة كانت لاعلى قوله صلة كالتي في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب فإن
قلت لا وما والحروف التي من زوائد إنما تكون بين كلامين كقوله ما خطيئاتهم وفيها رحمة من الله وفيما تقضهم
ولا تكاد تزداد اولا فقد قالوا إن مجاري القرآن مجاري الكلام الواحد والسورة الواحدة قال والذي يدل على ذلك
انه قد يذكر الشيء في سورة وبجي جوابه في سورة أخرى كقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
جاء جوابه في سورة أخرى ما أنت بنعمة ربك بمجنون فلا فصل على هذا بين قوله لئلا يعلم وبين قوله لا أقسم فاما من
قرأ لا أقسم فإن اللام تجوز أن تكون اللام التي تصحبها احدى التوين في أكثر الأسماء وقد حكى ذلك سيبويه
وأجازه وكالم يلحق النون مع الفعل الآتي في لا أقسم كذلك لم يلحق اللام مع النون سيف نحو قول الشاعر

وقتيل مرة أثارن فإنه فزع وان اخاكم لم يثار

یرید لا تآرن فحذف اللام ویجوز ان یکون اللام لحقت فعل الحال وإذا کان المثال للخال لم یبعها التون لأن هذه التون التي تلحق الفعل یفـی اکثر الأسماء إنما هی للفصل بین فعل الحال والفعل الآتی وقد یمکن أن یکون لا رداً للكلام وزعموا أن الحسن قرأ لا أقسم بیوم القیامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وقال أقسم بالاولی ولم یقسم بالثانیة وحكي نحو ذلك عن ابن ابی اسحاق أيضاً وذكر أبو علي سیف غیر کتاب الحجة ان اللام زیادة لأن القسم لا یدخل علی القسم وقال ابن جنی ینبغی أن تكون هذه اللام لام الابداء أي لأننا أقسم بیوم القیامة وحذف المبتدأ للعلم به وقال ابو الحسن یرق البصر اکثر فی كلام العرب والمفتوحة لغة قال الزجاج من قرأ یرق فمعناه فزع وتحمیر ومن قرأ یرق فهو من یریق العینین وقال ابو عبیدة یرق البصر إذا شق وانشد

لما اتأني ابن صبيح راغباً اعطيته عيساء منها فبرق

والمر الفرار والمر كسر الفاء الموضع الذي يفر اليه والمر بكسر الميم: فتح الفاء الانسان الجيد الفرار

وقال اسرؤ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

❖ الاعراب ❖

یلى قادرین نصب علی الحال والتقدير یلی فجمعها قادرین فالعامل فی الحال محذوف لدلالة ما تقدم علیه كفاي قوله فإن خنتم فرجالاً أي فصأوا رجالاً ومفعول یرید محذوف تقديره بل یرید الانسان الحياة لیفجر وبسأل جملة فی موضع الحال ولا وزر خیره محذوف وتقديره لا وزر فی الوجود وقوله بل الانسان علی نفسه بصيرة قیل فی تفسيره أقوال ❖ أحدها ❖ ان المعنی بل الانسان علی نفسه عین بصيرة ❖ والثانی ❖ حجة بصيرة أي یبینه ❖ والثالث ❖ ان الماء للمبالغة كما یقال رجل علامة ونسابة وقال علي بن عیسی تقديره بل الانسان علی نفسه من نفسه بصيرة أي جوارحه شاهدة علیه یوم القیامة فأنث بصيرة لأنه حمل الانسان علی النفس وجواب لو محذوف تقديره ولو التی معاذیره لم ینفعه ذلك ویجوز ان یکون جوابه فیما سبق

❖ المعنی ❖

(لا أقسم بیوم القیامة) قیل إن لا صلة ومعناه أقسم بیوم القیامة عن ابن عباس وسعيد بن جبیر وقیل إن لا رد علی الذین انكروا البعث والنشور من المشرقین فكأنه قال لا كما نظنون ثم ابتداء القسم فقال أقسم بیوم القیامة انکم مبعوثون لیكون فرقاً بین الیمین التي تكون جحداً و بین الیمین المستأققة وقیل معناه لا أقسم بیوم القیامة لظهورها بالدلائل العقلية والسمعية وقیل معناه لا أقسم بیوم القیامة فإلنکم لا تقرون بها (ولا أقسم بالنفس اللوامة) فإلنکم لا تقرون بأن النفس تلوم صاحبها یوم القیامة ولكن استخبرکم فأخبرونی هل أقدر علی أن اجمع العظام المنفرقة وهذان الوجهان عن ابی مسلم وقیل معناه أقسم بیوم القیامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أقسم بالأول ولم یقسم بالثانی عن الحسن قال علی بن عیسی وهذا ضعیف لأنه یخرج عن تشاکل الكلام والاولی أن یکونا قسمین وهو قول الاكثرین وجواب القسم محذوف تقديره ما الأسم علی ما تنوهمون وانکم تبعثون أو لتبعثن ومن قرأ لا أقسم فإنه یجعلها جواب القسم وحذف التون لانه اراد الحال وقد ذکرنا ما قیل فیہ والنفس اللوامة الكثيرة اللوم وليس من قس مرة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها یوم القیامة إن كانت عملت خیراً قالت هلا ازددت وان كانت عملت سوءاً قالت یا لیتنی لم افعل عن ابن عباس فی رواية عطاء وقال مجاهد تلوم علی ما مضى تقول لم فعلت ولم لم أفعل وقیل النفس اللوامة الكافرة الفاجرة عن قتادة ومجاهد ومعناه ذات اللوم الكثير لما سلف منها وقیل هی النفس المؤمنة تلوم نفسها فی الدنيا وتحاسبها فتقول ماذا فعلت ولم قصرت فتكون مفكرة فی العواقب ابدأ والتاجر لا یفکر فی أمر الآخرة ولا یحاسب نفسه عن الحسن (ایحسب الانسان) صورته صورة

الاستفهام ومعناه الإنكار على منكري البعث ومعناه أوجب الكافر بالبعث والنشور يعني جنس الكفار (أن لن نجعم عظامه) أي أنه لن نعيده إلى ما كان أولاً عليه خلقاً جديداً بعد أن صار رفائلاً فكفى عن البعث يجمع العظام ثم قال سبحانه (يلى) نجعمها (فادرين على أن نسوي بنانه) على ما كانت وإن قلت عظامها وصغرت قوتها كما كانت ونولف بينها حتى يستوي البنان ومن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أفدر عن الزجاج والجبائي وابي مسلم وقيل معناه تقدر على أن نجعل بنانه كالخف والحافر فيتناول الماء كقول بفيه ولكننا مننا عليه بالأنامل ليكمل بها المنفعة وينها له القبض والوسط والارتفاق بالأعمال اللطيفة كالكتابة وغيرها عن ابن عباس وقتادة (بل يريد الانسان) أي يريد الكافر (ليفجر أمامه) هذا اخبار من الله تعالى أن الانسان يمضي قدماً في معاصي الله تعالى راكباً رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب عن مجاهد والحسن وعكرمة والسدي أي فهذا هو الذي يحمله على الاعراض عن مقدرات ربه فلذلك لا يقر بالبعث وينكر النشور وقيل ليفجر أمامه أي ليفكر بما قدامه من البعث ويكذب به فالفجور هو التكذيب وعن الزجاج قال ويجوز أن يريد أنه يسوف التوبة ويقدم الأعمال السيئة وقال ابن الأنباري يريد أن يفجر ما امتد عمره وليس في نيته أن يرجع عن ذنب يرتكبه وقيل معناه انه يقول اعمل ثم أتوب عن عطية والمراد انه يتمجل المعصية ثم يسوف التوبة يقول غداً وبعد غد (يسأل أباان يوم القيامة) معناه أن الذي يفجر أمامه يسأل متى تكون القيامة فان معنى اباان متى إلا أن السؤال بمتى أكثر من السؤال بايان فلذلك حسن أن يفسر بها وانما يسأل عن ذلك تكذيباً به واشتغالاً بالدنيا من غير تفكير في العاقبة فإذا خوف بالقيامة قال مستي يكون ذلك ثم قال سبحانه (فإذا برق البصر) أي شخص البصر عند معاينة ملك الموت فلا يطرف من شدة الفزع وقيل إذا فزع وتخبّر لما يرى من أهوال القيامة وأحوالها مما كان يكذب به في الدنيا وهذا كقوله لا يرتد اليهم طرفهم عن قتادة وابي مسلم (وخسف القمر) أي ذهب نوره وضوؤه (وجمع الشمس والقمر) جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالانسوف ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتى يراها كل احد بنير نور وضياء عن مجاهد وهو اختيار الفراء والزجاج والجمع على ثلاثة أقسام جمع في المكان وجمع في الزمان وجمع الأعراس في المحل فأما جمع الشيبين في حكم أو صفة فجواز لأن حقيقة الجمع جعل أحد الشيبين مع الآخر وقيل جمع بينهما في طلوعهما من المغرب كالعبيرين القريين عن ابن مسعود (يقول الانسان) المكذب بالقيامة (يومئذ أين المفر) أي أين الفرار ويجوز أن يكون معناه أين موضع الفرار عن الفراء وقال الزجاج المفر بالفتح الفرار والمفر بالكسر مكان الفرار قال الله سبحانه (كلا لا وزر) أي لا مهرب ولا ملجأ لهم يلجأون اليه والوزر ما يتحصن به من جبل أو غيره ومنه الوزير الذي يلجأ اليه في الأمور وقيل معناه لا حصن عن الضحاك (الى ربك يومئذ المستقر) أي المنتهى عن قتادة أي ينتهي الخلق يومئذ إلى حكمه وأمره فلا حكم ولا أمر لأحد غيره وقيل المستقر المكان الذي يستقر فيه المؤمن والكافر وذلك الى الله لا إلى العباد وقيل المستقر المصبر والمرجع عن ابن مسعود والمستقر على وجهين مستقر الى آمد ومستمراً الى الأبد (ينبوء الانسان يومئذ بما قدم وآخر) أي يخبر الانسان يوم القيامة بأول عمله وآخره فيجازى به عن مجاهد وقيل معناه بما قدم من العمل في حياته وما سته فعل به بعد موته من خير أو شر وقيل بما قدم من المعاصي وآخر من الطاعات عن ابن عباس وقيل بما أخذ وترك عن ابن زيد وقيل بما قدم من طاعة الله وآخر من حق الله فضيمه عن قتادة وقيل بما قدم من ماله لنفسه وما خلفه لورثته بعده

عن زيد بن اسلم وحقيقه النبأ الخبير بما يعظم شأنه وإنما حسن في هذا الموضع لأن ما جرى مجرى المباح لا يعتد به في هذا الباب وإنما هو ما يستحق عليه الجزاء فأما ما وجوده كقدمه فلا اعتبار به (بل الانسان على نفسه بصيرة) أي ان جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه عن ابن عباس وعكرمة ومقاتل وقال القتيبي اقام جوارحه مقام نفسه ولذلك انث لأن المراد بالانسان هاهنا الجوارح وقال الاخفش هي كقواك فلان حجة وعبرة ودليله قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقيل معناه ان الانسان بصير بنفسه وعمله وروى العياشي باسناده عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) قال ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سينا البس اذ ارجع إلى نفسه يعلم انه ليس كذلك والله سبحانه يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذ اصلحت قويته العلانية وعن عمر بن يزيد عن ابي عبد الله (ع) انه تلا هذه الآية ثم قال ما يصنع الانسان أن يمتد إلى الناس خلاف ما يعلم الله منه ان رسول الله ﷺ كان يقول من اسر سريرة رده الله رداها إن خيرا فخير وإن شرا فشر وعن زرارة قال سألت ابا عبد الله ما حد المرض الذي يفطر صاحبه قال بل الانسان على نفسه بصيرة هو أعلم بما يطيق وفي رواية اخرى هو اعلم بنفسه ذاك اليه (ولو اتى معاذيره) أي ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذرة ومعاذير ومعاذير وهي ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب وقيل معناه ولو ارخى الستور واغلق الأبواب عن الضحاك والسدي قال الزجاج معناه ولو ادلى بكل حجة عنده وجاء في التفسير المعاذير الستور واحدا معذار وقال المبرد هي لغة طائفة والمعنى على هذا القول وان اسبل الستور ليخفي ما يعمل فإن نفسه شاهدة عليه

قوله تعالى (١٥) لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ

عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والكوفة تحبون وتذرون بالياء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فعلى معنى قل لهم بل تحبون وتذرون ومن قرأ بالياء فعلى معنى هم يحبون ويذرون قال ابو علي الباء على ما تقدم من ذكر الانسان فإن المراد به الكثرة والعموم كقوله ان الانسان خلق هلوعا ثم قال الا المصلين

﴿ اللفظة ﴾

التحريك تصيير الشيء من مكان الى مكان أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة فيه والحركة ما به يتحرك المتحرك والمتحرك هو المنقلب من جهة إلى غيرهما واللسان آلة الكلام والعجلة طلب عمل الشيء قبل وقته الذي ينبغي أن يعمل فيه وتقيضه الابطاء والسرعة عمل الشيء في أول الوقت الذي هو له وضده الأناة والقراءة اصله الضم والجمع وهو مصدر كالرجحان والنقصان والبيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره وتقيض البيان الإخفاء

والإغماض والنضرة مثل البهجة والطلاقة وضده العبوس والبسور نضر وجهه ينضر نضارة ونضرة فهو ناضر والنظر تغليب المدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرويته ويكون النظر بمعنى الانتظار كما قال عز شأنه واني مرسل اليهم بهدية فناظرة أي منتظرة وقال الشاعر

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

ثم يستعمل في الفكر فيقال نظرت في هذه المسألة أي تفكرت ومنه المناظرة وتكون من المقابلة يقال دور بني فلان تناظرا أي تقابل والفاقرة الكاسرة لفغار الظهر شدة وقيل الفاقرة الداهية والآبدة

✽ المعنى ✽

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال ابن عباس كان النبي ﷺ إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لجه إياه وحرصه على أخذه وضبطه مخافة أن ينساه فعناه الله عن ذلك وفي رواية سعيد بن جبيرة عنه أنه ﷺ كان يعاجل من النزول شدة وكان يشد عليه حفظه فكان يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي فقال سبحانه لا تحرك به أي بالوحي أو بالقرآن لسانك يعني بالقراءة لتعجل به أي لتأخذه كما قال ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه (ان علينا جمعه) في صدرك حتى نحفظه (وقرآنه) أي وتأليفه على ما نزل عليك عن قتادة وقيل معناه ان علينا جمعه وقرآنه عليك حتى نحفظه ويمكنك تلاوته فلا تخف فوت شي منه عن ابن عباس والضحاك (فإذا قرأناه) أي قرأه جبريل عليك بأمرنا (فاتبع قرآنه) أي قرأه عن ابن عباس والمعنى اقرأه إذا فرغ جبريل عن قراءته قال فكان النبي ﷺ بعد هذا إذا نزل عليه جبريل (ع) اطرق فإذا ذهب قرأ وقبل فاتبع قرآنه أي فاعمل بما فيه من الأحكام والحلال والحرام عن قتادة والضحاك وقال البلخي الذي اختاره انه لم يرد القرآن وإنما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة يدل على ذلك ما قبله وما بعده وليس فيه شيء يدل على انه القرآن ولا شيء من أحكام الدنيا وفي ذلك تقريب للعبد وتوبيخ له حين لا تنفعه العجلة يقول لا تحرك لسانك بما تقرأه من صحيفتك التي فيها أعمالك يعني اقرأ كتابك ولا تعجل فإن هذا الذي هو على نفسه بصيرة إذا رأى سيئاته ضجر واستعجل فيقال له توبخا لا تعجل وتثبت لتعلم الحجة عليك فانا نجمها لك فإذا جمعناه فاتبع ما جمع عليك بالالتقياد لحكمه والاستسلام للثبته فيه فانه لا يمكنك انكاره (ثم ان علينا بيانه) لو انكرت وقال الحسن معناه ثم ان علينا بيان ما انبأناك انا فاعلون في الآخرة وتحقيقه وقيل يريد انا نبين لك معناه إذا حفظته عن قتادة وقيل معناه ثم ان علينا ان نحفظه عليك حتى تبين للناس بتلاوتك إياه عليهم وقبل معناه علينا ان ننزله قرآنا عربيا فيه بيان للناس عن الزجاج وفي هذا دلالة على انه لا تمعية في القرآن ولا الفاظ ولا دلالة فيه على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة وإنما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (كلا) أي لا تندرون القرآن وما فيه من البيان (بل تحبون العاجلة وتندرون الآخرة) أي تختارون الدنيا على العقبى فيعملون للدنيا لا للآخرة جهلا منهم وسوء اختيار ثم بين سبحانه حال الناس في الآخرة فقال (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة (ناضرة) أي ناعمة بهجة حسنة عن ابن عباس والحسن وقيل مسرورة عن مجاهد وقيل مضيئة بيض يعلوها النور عن السدي ومقاتل جعل الله سبحانه وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة علامة للخلق والملائكة على انهم الفائزون (إلى ربها ناظرة) اختلف

فيه على وجهين ﴿ أحدها ﴾ ان معناه نظر العين ﴿ والثاني ﴾ انه الانتظار واختاف من حمله على نظر العين على قولين ﴿ أحدها ﴾ ان المراد الى ثواب ربها ناظرة اي هي ناظرة الى نعيم الجنة حالا بعد حال فيزداد بذلك سرورها وذكور الوجوه والمراد اصحاب الوجوه وروى ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين لهم وغيرهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى وجاء ربك أي امر ربك وقوله وانا ادعوكم الى العزيز الغفار أي الى طاعة العزيز الغفار وتوحيد وقوله ان الذين يؤذون الله أي اولياء الله ﴿ والآخر ﴾ ان النظر بمعنى الروية والمعنى تنظر الى الله معاينة روي ذلك عن الكلابي ومقاتل وعطاء وغيرهم وهذا لا يجوز لأن كل منظور اليه بالعين مشار اليه بالحدقة والمحاظ والله تعالى عن أن يشار اليه بالعين كما يجلي سبحانه عن أن يشار اليه بالأصابع وايضا فإن الروية بالحاسة لا تتم الا بالمقابلة والتوجه والله تعالى عن ذلك بالاتفاق وايضا فإن روية الحاسة لا تتم الا باتصال الشعاع بالمرئي والله منزه عن اتصال الشعاع به على ان النظر لا يفيد الروية في اللغة فإنه اذا علق بالعين افاد طلب الروية كما انه اذا علق بالقلب افاد طلب المعرفة بدلالة قولهم نظرت الى الهلال فلم اراه فلو افاد النظر الروية لكان هذا القول ساقطا متناقضا وقولهم ما زلت انظر اليه حتى رأيت والشيء لا يجعل غاية لنفسه فلا يقال ما زلت اراه حتى رأيت ولا ناعلم الناظر ناظراً بالضرورة ولا نعلمه رايا بالضرورة بدلالة انا نسأله هل رأيت أم لا وأما من حمل النظر في الآية على الانتظار فانهم اختلفوا في معناه على اقوال ﴿ أحدها ﴾ ان المعنى منتظرة لثواب ربها وروى ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك وهو المروي عن علي (ع) ومن اعترض على هذا بأن قال ان النظر بمعنى الانتظار لا يتمدى بالى فلا يقال انتظرت اليه وانما يقال انتظرت فالجواب عنه غلب وجوه منها انه قد جاء في الشعر بمعنى الانتظار معدى بالي كما في البيت الذي سبق ذكره ناظرات الى الرحمن وكقول جميل بن معمر

وإذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك جدتني نعماً
وقول الآخر

اني اليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغني الموسر
ونظائره كثيرة ومنها ان تحمل الى في قوله الى ربها ناظرة على انها اسم فهو واحد الآلاء التي هي النعم فان في واحدها اربع لئات الى والى مثل معا وقفا وأني والى مثل جدى وحسى وسقط التنوين بالاضافة وقال اعشى وائل

ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحماً ولا يخون إلى
اي لا يخون نعمة من انعم عليه وليس لأحد أن يقول ان هذا من اقوال المتأخرين وقد سبقهم الاجماع فإننا لا اسلم ذلك لما ذكرناه من ان عليا (ع) ومجاهد او الحسن وغيرهم قالوا المراد بذلك تنتظر الثواب ومنها أن لفظ النظر يجوز ان يمدى بالى في الانتظار على المعنى كما ان الروية عديت بالى في قوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل فأجرى الكلام على المعنى ولا يقال رأيت الى فلان ومن اجراء الكلام على المعنى قول الفرزدق ولقد عجبت إلى هو اذن اصبحت مني تلوذ ببطن أم جرير
فمدى عجت بالى لأن المعنى نظرت ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه مؤتملة لتجديد الكرامة كما يقال عيني

ممدودة الى الله تعالى والى فلان وانا شاخص الطرف الى فلان وما كانت العيون بعض اعضاء الوجوه اضعيف الفعل الذي يقع بالمعين اليها عن ابي مسلم رضي الله عنه وثالثها ب ان المعنى انهم قطعوا آمالهم واطاعهم عن كل شيء سوى الله تعالى ووجوه دون غيره فكفى سبحانه عن الطمع بالنظر الا ترى ان الرعية تتوقع نظر السلطان وتطمع في افضاله عليها واسعافه في حوائجها فنظر الناس مختلف فناظر الى سلطان وناظر الى تجارة وناظر الى زراعة وناظر الى ربه يومئذ وهذه الأقوال متقاربة في المعنى وعلى هذا فان الانتظار متى يكون قبيل انه بعد الاستقرار في الجنة وقيل انه قبل استقرار الخلق في الجنة والتار فكل فريق ينتظر ما هو له أهل وهذا اختيار القاضي عبد الجبار وذكر جمهور أهل العدل ان النظر بجوز ان يعمل على المعنيين جميعا ولا مانع لنا من جملة على الوجهين فكأنه سبحانه اراد انهم ينرون الى الثواب المعد لهم في الحال من أنواع التعميم ومنتظرون امثالها حالا بعد حال لئتم لهم ما يستحقونه من الاجلال ويسأل على هذا فيقال اذا كان بمعنى النظر بالمعين حقيقة وبمعنى الانتظار مجازاً فكيف يحمل عليهما والجواب ان عند اكثر المتكلمين في أصول الفقه يجوز ان يراد بلفظة واحدة اذ لا تنافي بينهما وموافق اختيار المرتضى قدس الله روحه ولم يجوز ذلك ابو هاشم الا اذا تكلم به مرتين مرة يريد النظر ومرة يريد الانتظار وأما قولهم المنتظر لا يكون نعيه خالصا فكيف بوصف أهل الجنة بالانتظار فالجواب عنه ان من ينتظر شيئا لا يحتاج اليه في الحال وهو واثق بوضوئه اليه عند حاجته فانه لا يهتم بذلك ولا ينقص سروره به بل ذلك زائد في نعيه وانما يلحق لهم المنتظر اذا كان يحتاج الى ما ينتظره في الحال ويلحقه بفوته مضرة وهو غير واثق بالوصول اليه وقد قيل في اضافة النظر الى الوجوه ان النوم والسرور انما يظهران في الوجوه فيبين الله سبحانه ان المؤمن اذا ورد يوم القيامة تهال وجهه وان الكافر العاصي يخاف مقبة افعال القبيحة فيكبح وجهه وهو قوله (ووجوه يومئذ باسرة) أي كالحة عابسة متغيرة (تظن ان يفعل بها فاقرة) أي تعلم وتستيقن انه يعمل بها داهية تفقر ظهورهم اي تكسرها وقيل انه على حقيقة الظن اي يظنون حصولها جملة ولا يملكون تفصيلها وهذا اولي من الأول لانه لو كان بمعنى العلم لكان أن بعده مخففة من ان الثقلة على ما ذكر في غير موضع وذكر سبحانه هذه الوجوه الظائنة في مقابلة الوجوه الناضرة فولاء برجون تجديد الكرامة وهو لاء يظنون حلول الفاقرة فيكون حال الوجوه الراجية للأحوال السارة على الضد من حال الوجوه الظائنة للفاقرة

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله لا تحرك به لسانك بما قبله انه لما تقدم ذكر القيامة والوعيد خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم فقال لا تحرك به لسانك لتعجل قراءته بل كررها عليهم ليتقرر في قلوبهم فانهم غافلون عن الأدلة الهامم حب العاجلة فاحتاجوا الى زيادة تنبيه وتقرير

قوله تعالى (٢٦) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٧) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٨) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٩) وَالْتَفَتِ الْأَسَاقِي بِالسَّاقِي (٣٠) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِي (٣١) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣٢) وَلَكِن كَذَّبَ وَقَتَلَى (٣٣) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٤) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٦) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٦) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُشْرَكَ سُدًى (٣٧) أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً

من مَنِيٍّ بِمَنِيٍّ (٣٨) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٩) فَجَعَلَ مِنْهُ الْبَشَرَ وَالْإِنْسَانَ
(٤٠) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ خمس عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص ورويس بمعنى بالياء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ بالياء حمله على النطفة أي لم يك نطفة تمنى من مني ومن قرأ بالياء حمله على المنى
أي من منى يعني يقدر خلق الانسان وغيره منها قال

منت لك ان تلقى ابن هند منية وفارس مياس إذا ما تلبيا
وقال آخر

لعمرو ابي عمرو لقد ساقه المنى إلى جدث يوزى له بالأهاضب
أي ساقه القدر

﴿ اللمة ﴾

التراقي جمع الترقوة وهو مقدم الخلق من أعلى الصدر تترقى إليه النفس عند الموت واليه يتراقى البخار
من الجوف وهناك تقع الحشرجة قال ذو الرمة

ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقي
والراقي طاب الشفاء رقاء برقيه رقية اذا طلب له شفاء باسماء الله الشريفة وآيات كتابه العظيمة واما
الموضة فهي دفع البلية بكلمات الله تعالى وتقول العرب قامت الحرب على ساق يعنون شدة الأمر قال

فاذا شممت لك عن ساقها . فويزها ربيع ولا تسام
والتمطي تمدد البدن من الكسل واصله ان ياوي مطاه اي ظهره وقيل اصله يتمطط فجعل احدى
الطائين ياء وهو من المط. بمعنى المد كقولهم تظنيت وامليت ونحو ذلك ونهى عن مشية المطيطاء وذلك ان
يلقي الرجل بديه مع التكفي في مشيته . اولى لك كلمة وعيد وتهديد قالت الخنساء

هممت بنفسي كل المصوم فأولى بنفسي أولى لها
والسدى المهمل والعلقة القطعة من الدم المنعقد

﴿ الاعراب ﴾

في اعراب اولى وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون مبتدأ وخبره لك ﴿ والآخر ﴾ ان يكون خبر مبتدأ
محذوف تقديره الشر اولى لك فعلى هذا يكون اللام في لك للاختصاص كأنه قال الشر اولى لك من الخير
ويجوز ان يكون بمعنى من تقديره الشر أقرب منك وسدى منصوب على الحال من قوله بترك

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حالهم عند النزاع فقال (كلا) اي ليس يؤمن الكافر بهذا وقيل معناه حقا (اذابلت)
النفس او الروح ولم يذكره لدلالة الكلام عليه كما قال ما ترك على ظهرها من دابة يعني على ظهر الأرض
(التراقي) اي العظام المكتنفة بالخلق وكفى بذلك عن الاشفاء على الموت (وقيل من راق) اي وقال من

حضره من اهل هل من راق اي طيب شاف يرقبه وبداهه فلا يجذونه عن ابي قلابة والضحاك وقناة وابن زيد قال قناة التمسوا له الاطباء فلم يفتوا عنه من عذاب الله شيئا وقيل ان معناه قالت الملائكة من يرقى بروحه أملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب عن ابن عباس ومقاتل قال ابو العالية تختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ايهم يرقى روحه وقال الضحاك اهل الدنيا يجوزون البدن واهل الآخرة يجوزون الروح (وظن انه الفراق) اي وعلم عند ذلك هذا الذي بلغت روحها تراقيها انه الفراق من الدنيا والاهل والمال والولد والفراق ضد الوصال وهو بعاد الآلاف وجاء في الحديث ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته ومفاسله يسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيامة (والثفت الساق بالساق) قيل فيه وجوه **احدها** **الثفت** شدة امر الآخرة بأمر الدنيا عن ابن عباس ومجاهد **الثاني** **الثفت** حال الموت بحال الحياة عن الحسن **الثالث** **الثفت** ساقاه عند الموت عن الشعبي وابي مالك لأنه يذهب القوة فيصير كجناد يفت بعضه ببعض وقيل هو ان يضطرب فلا يزال يمد احدى رجليه ويرسل الأخرى ويافت احدها بالأخرى عن قناة وقيل هو التفاف الساقين في الكفن **الرابع** **الثفت** ساق الدنيا بساق الآخرة وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلاع والمعنى في الجميع انه تنابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة إلا جاءه أشد منها (الى ربك يومئذ المساق) أي مساق الخلائق الى المحشر الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غير الله تعالى وقيل يسوق الملك بروحه الى حيث امر الله تعالى به ان كان من اهل الجنة فالى عليين وان كان من اهل النار فالى سجين والمساق موضع السوق (فلا صدق ولا صلى) اي لم يصدق بشي ولم يصل لله (ولكن كذب) بالله (وتولى) عن طاعته عن الحسن وقيل معناه لم يصدق بكتاب الله ولا صلى لله ولكن كذب بالكتاب والرسول واعرص عن الايمان عن قناة (ثم ذهب الى اهل يمتطى) اي يرجع اليهم يتبختر ويختال في مشيته وقيل ان المراد بذلك ابو جهل بن هشام (اولى لك فأولى) اي وهذه تهديد من الله له والمعنى وليك المكروه يا ابا جهل وقرب منك وجاءت الرواية ان رسول الله اخذ بيد ابي جهل ثم قال له اولى لك فأولى ثم اولى لك فأولى فقال ابو جهل بأي شي تهددني لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعل بي شيئا واني لأعز اهل هذا الوادي فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وقيل معناه الذم اولى لك من تركه الا انه حذف وكثر في الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك وصار من المحذوف الذي لا يجوز اظهاره وقيل هو وعبد على وعبد عن قناة ومعناه وليك الشر في الدنيا وليك ثم وليك الشر في الآخرة وليك والتكرار للتأكيد وقيل بعداً لك من خيرات الدنيا وبعداً لك من خيرات الآخرة عن الجبائي وقيل اولى لك ما تشاهده يا ابا جهل يوم بدر فأولى لك في القبر ثم اولى لك يوم القيامة فلذلك ادخل ثم فأولى لك في النار (أي حسب الانسان) يعني ابا جهل (ان يترك سدى) مهملاً لا يؤمر ولا ينهى عن ابن عباس ومجاهد والآلف للاستفهام والمراد الانكار اي لا ينبغي ان يظن ذلك وقيل انه عام اي أيقظ الانسان الكافر بالبحث الجاحد لنعم الله ان يترك مهملاً من غير امر يؤخذ به فيكون فيه تقويم له واصلاح لما هو اعود عليه في عاقبة امره واجمل به في دنياه وآخرته (ألم يك نطفة من مني يعني) اي كيف يظن ان يهمل وهو يرى في نفسه من تنقل الأحوال ما يمكنه ان يستدل به على ان له صانعا حكيمًا اكمل عقله واقدره وخلق فيه الشهوة فيعلم انه لا يجوز ان يخليه من التكليف ومعنى قوله يعني اي يقدر وقيل معناه يصب في

الرحم (ثم كان علقه فخلق) منها خلقاً في الرحم (فسوى) خلقه وصورته واعضائه الباطنة والظاهرة في بطن امه وقيل فسواه انساناً بعد الولادة واكل قوته وقيل معناه فخلق الاجسام فسواها للأفعال وجعل لكل جراحة عملاً يختص بها (فجعل منه) اي من الإنسان (الزوجين الذكر والأنثى) وقيل من المنى وهذا اخبار من الله سبحانه انه لم يخلق الا انسان من المنى ولم ينقله من حال الى حال ليركه مهملًا فانه لا بد من غرض في ذلك وهو التعريض للثواب بالتكليف (أليس ذلك) الذي فعل هذا (بقادر على ان يحيي الموتى) هذا تقرير لهم على ان من قدر على الابتداء قدر على البعث والاحياء فان من قدر على جعل النطفة علقه والعلقه مضغة الى ان يجعلها حياً سليماً كما فيه الحواس الخمس والاعضاء الشريفة التي يصلح كل منها لما يصلح له الآخر وخلق الزوجين الذكر والانثى الذين يصح بهما التناسل فانه يقدر على اعادته بعد الموت الى ما كان عليه من كونه حياً وجاء في الحديث عن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الآية أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال رسول الله ﷺ سبحانهك اللهم وبلى وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وفي الآية دلالة على صحة القياس العقلي فانه سبحانه اعتبر النشأة الثانية بالنشأة الاولى

سورة الانسان مكية

وتسمى سورة الدهر وتسمى سورة الأبرار ومنهم من يسميها بفانحتها واختلفوا فيها فقيل مكية كلها وقيل مدنية كلها عن مجاهد وقتادة وقيل انها مدنية الا قوله ولا تطع منهم آثماً او كفوراً فانه مكي عن الحسن وعكرمة والكلبي وقيل ان قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً الى آخر السورة مكي والباقي مدني

❖ عدد آياتها ❖

احدى وثلاثون آية بالاجماع

❖ فضلها ❖

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة هل اتى، كان جزاؤه على الله جنة وحريراً وقال ابو جعفر (ع) من قرأ سورة هل اتى في كل غداة خميس زوجه الله من الحور العين مائة عذراء واربعه آلاف ثيب وكان مع محمد ﷺ

❖ تفسيرها ❖

ختم الله سبحانه يوم القيامة بأن دل على صحة البعث بخلق الانسان من نطفة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً (٢) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٣) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٤) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً (٥) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٦) عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا عِبَادُ

اللَّهُ يُفَجِّرُوهَا تَفْجِيرًا (٧) يُوْفُونَ بِالنَّدَى وَبِخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٨)
وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٩) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (١٠) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا عشر آيات

❖ القراءة ❖

قرأ أهل المدينة وأبو بكر عن عاصم والكسائي سلاسل بالنونين وكذلك قواريرا وقواريرا ويقفون بالألف
على الجميع وقرأ ابن كثير وخلف سلاسل بغير تنوين وقواريرا وقواريرا الأول بالنونين والثاني بغير تنوين
ويقفان على سلاسل وقوارير الثانية بغير الألف وقرأ حمزة ويعقوب بغير تنوين في الجميع ويقفان بغير الف
عليها وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص بغير تنوين فيها أيضاً إلا أنهم يقفون على سلاسل وقواريرا الأولى
بالألف وعلى قوارير الثانية بغير الف غير أن شجاعاً يقف على سلاسل أيضاً بغير الف

❖ الحجة ❖

قال أبو علي حجة من صرف سلاسل وقوارير في الوصل والوقف امران ❖ أحدهما ❖ أن أبا الحسن
قال سمعت من العرب من يصرف هذا ويصرف جميع ما لا ينصرف قال وهذه لغة أهل الشعر لأنهم اضطروا
إليه في الشعر فصرفوه فجرت سنتهم على ذلك واحتملوا ذلك في الشعر لأنه يمتثل الزيادة كما يمتثل
النقص فاحتملوا زيادة التنوين والأمر الآخر أن هذه الجموع اشبهت الآحاد لأنهم قالوا صواحبات
يوسف فلما جمعت جمع الآحاد المنصرفة جعلوه في حكمها فصرفوها قال أبو الحسن وكثير من العرب يقول
مواليات يريد الموالي وانشد لفرزدق

فإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكسي الأبصار
فهذا كأنه جمع نواكس ومن قرأ بغير تنوين ولا الف فإنه جعله كقوله لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد والحاق الألف في سلاسل وقوارير كالحاقه في قوله الظنوننا والسبيلنا والرسولنا يشبه ذلك بالإطلاق
في القوافي من حيث كانت مثلها في أنها كلام تام

❖ اللفظة ❖

الدهر مرور الليل والنهار وجمه أدهر ودهور واصل النطفة الماء القليل وقد تقع على الكثير قال أمير
المؤمنين (ع) حين ذكر الخوارج مصارعهم دون النطفة يريد النهروان والجمع نطاف ونطف قال الشاعر :

وما النفس إلا نطفة بقرارة إذا لم تكدر كان صفواً غدورها
وواحد الأمشاج مشيج ومشجت هذا أي خلطته وهو بمشوج ومشيج وواحد الأبرار بار منحو
ناصر وانصار وبر أيضاً والكأس الإنياء إذا كان فيه شراب قال عمرو بن كلثوم

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليميننا
وأوفى بالعقد وفيه فأوفى لغة أهل الحجاز ووفى لغة تميم وأهل نجد والندى عقد علي فعل بر بوجه
الإنسان على نفسه نذر بنذر قال عنترة

الشامي عرضي ولم اشتمها والناذرين إذا لم القهما دمي

اي يقولان ان لقبنا عنزة لثقله والمستطير المنتشر قال الاعشى

فبانث وقد اسأرت في الفؤاد صدعا على نأبها مستطيرا
والقمطير الشديدي في الشر وقد اقمطر اليوم اقمطراراً ويوم قمطير وقاطر كأنه قد التف شره بعضه
على بعض قال الشاعر

بني عنما هل تذكرون بلاونا
قبل ان هل هنا بمعنى قد قال الشاعر
ام هل كبير بكى لم يقض عبرته
اثر الاحبة يوم البين مشكوم

❖ الاعراب ❖

لم يكن شيئاً جملة في محل الرفع لأنها صفة حين والتقدير لم يكن فيه شيئاً مذكوراً وأما حاج يجوز ان يكون صفة لطفة ويجوز ان يكون بدلا والوصف بالجمع مثل قولهم برمة اعشار وثوب اسبال وبتنايه في موضع نصب على الحال. اما شاكراً واما كفوراً حالان من الهاء في هديناه اي هديناه شاكراً او كفوراً وقوله عينا في انتصابه وجوه ❖ احدها ❖ ان يكون بدلا من كافوراً اذا جعلت الكافور اسم عين فيكون بدل الكل من الكل ❖ والثاني ❖ ان يكون بدلا من قوله من كأس أي يسقون من عين ثم حذف الجار فوصل الفعل اليه فنصبه ❖ والثالث ❖ ان يكون منصوبا على المدح والتقدير اعني عينا يشرب بها الباء مزيدة أي يشربها والمعنى يشرب ماؤها لأن العين لا تشرب وانما يشرب ماؤها

❖ النزول ❖

قد روى الخصاص والعام ان الآيات من هذه السورة وهي قوله ان الابرار يشربون الى قوله وكان سعيكم مشكورا نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وابي صالح

❖ والقصة طويلة ❖

جملتها انهم قالوا مرض الحسن والحسين (ع) فعادها جدهما عليه السلام ووجوه العرب وقالوا يا ابا الحسن لو نذرت علي ولديك نذراً فنذر صوم ثلاثة ايام ان شفاها الله سبحانه ونذرت فاطمة (ع) كذلك وكذلك فضة فبراً وليس عندهم شيء فاستقرض علي (ع) ثلاثة اصوع من شير من يهودي وروي انه اخذها ليغزل له صوفاً وجاء به الى فاطمة (ع) فطحن صاعاً منها فاخبزته ووصل علي المغرب وقربته البهم فأتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثاني اخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدمته الى علي (ع) فاذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثالث عمدت الى الباقي فطحنته وخبزته وقدمته الى علي (ع) فاذا اسير بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم اتى علي (ع) ومعه الحسن والحسين (ع) الى النبي ﷺ وبهما ضعف فبكى رسول الله ﷺ ونزل جبرئيل (ع) بسورة هل اتى وفي رواية عطاء عن ابن عباس ان علي ابن ابي طالب (ع) اجر نفسه ليستقي نخلاً بشي من شعير ليلة حتى اصبح فلما اصبح وقبض الشعير طحن ثلثه فجمعوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة فلما تم انضاجه اتى مسكين فأخرجوا اليه الطعام ثم عمل الثلث الثاني فلما تم انضاجه اتى يتيم فسأل فأطعموه ثم عمل الثلث الثالث فلما تم انضاجه اتى اسير من المشركين فسأل فأطعموه

وطلوا يومهم ذلك ذكره الواحدي في تفسيره وذكر علي بن ابراهيم ان اباة حدثه عن عبد الله بن ميمون عن ابي عبد الله (ع) قال كان عند فاطمة شمير فجعلوه عصبدة فلما انضجوها ووضعوها بين ايديهم جاء مسكين فقال المسكين رحمكم الله فقام علي فأعطاه فثمها فلم يلبث ان جاء يتيم فقال النبي رحمكم الله فقام علي (ع) فأعطاه الثالث ثم جاء اسير فقال الأسير رحمكم الله فأعطاه علي (ع) الثالث الباقي وما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم وهي جارية في كل مؤمن فعل ذلك الله عز وجل وفي هذا دلالة على ان السورة مدنية وقال ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني الحسن بن الحسن بن عبد الله بن الحسن انها مدنية نزلت في علي وفاطمة السورة كلها حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القابيني قال اخبرنا الحاكم ابو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا ابو نصر المفسر قال حدثني عمي ابو حامد املاء قال حدثني الفراري ابو يوسف يعقوب بن محمد المقرئ قال حدثنا محمد بن يزيد السلمي قال حدثنا زيد بن موسى قال حدثنا عمرو بن هارون عن عثمان بن عطاء عن ابيه عن ابن عباس قال اول ما انزل بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم المزمحل ثم المدثر ثم تبت ثم اذا الشمس كورت ثم سبع اسم ربك الأعلى ثم الليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهيكم التكاثر ثم رأيت ثم الكافرون ثم ألم تر كيف ثم قل اعوذ برب الفلق ثم قل اعوذ برب الناس ثم قل هو الله احد ثم والنجم ثم عبس ثم انا انزلناه ثم والشمس ثم البروج ثم والتين ثم لا يلاف ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم والمرسلات ثم ق ثم لا اقسم بهذا البلد ثم الطارق ثم اقتربت ثم ص ثم الاعراف ثم قل اوحى ثم يس ثم الفرقان ثم الملائكة ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم بني اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم لقمان ثم القمر ثم سبا ثم الزمر ثم حم المؤمن ثم حم السجدة ثم جمعة ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف ثم الذاريات ثم الفاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم المؤمنون ثم الم تنزيل ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم ذو المارج ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم انفطرت ثم انشقت ثم الروم ثم العنكبوت ثم المطففين فهذه انزلت بمكة وهي خمس وثمانون سورة ثم انزلت بالمدينة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اسم اذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم اذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سورة الصف ثم سورة الفتح ثم سورة المائدة ثم سورة التوبة فهذه ثمان وعشرون سورة وقد رواه الاستاذ احمد الزاهد باسناده عن عثمان بن عطاء عن ابيه عن ابن عباس في كتاب الايضاح وزاد فيه وكانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة وباسناده عن عكرمة والحسن بن ابي الحسن البصري ان اول ما انزل الله من القرآن بمكة على الترتيب اقرأ باسم ربك ون والمزمحل الى قوله وما نزل بالمدينة ويل للمطففين والبقرة والانفال وآل عمران والأحزاب والمائدة والممتحنة والنساء. وإذا زلزلت والحديد وسورة محمد بمكة والرعد والرحمن وهل اتى على الانسان إلى آخره وباسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن ابي طالب (ع) انه قال سألت النبي عن ثواب القرآن فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء. فاول ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب ثم اقرأ باسم ربك ثم ن إلى ان قال واول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد ثم سورة الرحمن

ثم هل أتى إلى قوله فهذا ما انزل بالمدينة ثم قال النبي ﷺ جميع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلاثون آية وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفاً لا يعرف في تلم القرآن إلا السعداء. ولا يشهد قراءته إلا أولياء الرحمن ﴿أقول﴾ قد اتسع نطاق الكلام في هذا الباب حتى كاد يخرج عن أسلوب الكتاب وربنا نسبنا به إلى الإطراب ولكن الغرض فيه أن بعض أهل العصبية قد طعن في هذه القصة بأن نال هذه السورة مكية فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينة واستدل بذلك على أنها مخترعة جرأة على الله سبحانه وعبادة لأهل بيت رسوله فأجبت ابضح الحق في ذلك وإيراد البرهان في معناه وكشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه على أنه كياترى يفتوي على السر المخزون والدر المكتون من هذا العلم الذي يستضاء بنوره ويتلألأ بزهوره وهو معرفة ترتيب السور في الترتيب وحصر عددها على الجملة والتفصيل اللهم امددنا بتأييدك وابدنا بتوفيقك فأنت الرجا والأمل وعلى فضلك المول والمنكحل

المعنى

(هل أتى) معناه قد أتى (على الإنسان) أي ألم بأنت على الإنسان (حين من الدهر) وقد كان شيئاً إلا أنه (لم يكن شيئاً مذكوراً) لأنه كان تواباً وطيناً إلى أن نزع فيه الروح عن الزجاج وعلى هذا فهل هنا استفهام يراد به التقرير قال الجبائي وهو تقرير على الطف الرجوع وتقديره أي المنكر للصانع وقدرته أليس قد أتى عليك دهور لم تكن شيئاً مذكوراً ثم ذكرت وكل أحد يعلم من نفسه أنه لم يكن موجوداً ثم وجد فإذا تفكر في ذلك علم أن له صناعاً صنعه ومحدثاً أحدثه والمراد بالإنسان هنا آدم (ع) وهو أول من سمي به عن الحسن وقتادة وسفيان والجبائي وقيل إن المراد به كل إنسان والألف واللام للجنس عن أبي مسلم وقيل أنه أتى على آدم (ع) أربعون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض بل كان جسداً ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الروح وروى عطية عن ابن عباس أنه تم خلقه بعد عشرين ومائة سنة وروى العياشي بإسناده عن عبد الله بن بكير عن زرارة قال سألت أبا جعفر (ع) عن قوله لم يكن شيئاً مذكوراً قال كان شيئاً ولم يكن مذكوراً وبإسناده عن سعيد الحداد عن أبي جعفر (ع) قال كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق وعن عبد الأعلى بن مولى آل سام عن أبي عبد الله (ع) مثله وعن حمزان بن عيينة قال سألت عنه فقال كان شيئاً مقدوراً ولم يكن مذكوراً وفي هذا دلالة على أن المعلوم معلوم وإن لم يكن مذكوراً وإن المعلوم يسمى شيئاً فإذا حملت الإنسان على الجنس فالمراد أنه قبل الولادة لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من هو وما يراد به بل يكون معدوماً ثم يوجد في صلب أبيه ثم في رحم أمه إلى وقت الولادة وقيل المراد به العلماء لأنهم كانوا لا يذكرون فصيرهم الله سبحانه بالعلم مذكورين بين الخاص والعام في حياتهم وبعد مماتهم وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقرأ هذه الآية فقال ليت ذلك ثم يعني ليت آدم بقي على ما كان فكان لا يلد ولا يتلى أولاده ثم قال سبحانه (أنا خلقنا الإنسان) يعني ولد آدم (ع) (من نطفة) وهي ماء الرجل والمرأة الذي يخلق منه الولد (امشاج) أي اختلاط من ماء الرجل وماء المرأة في الرحم فأبهرها علاماً صاحبه كان الشبه له عن ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقيل امشاج أطوار طوراً نطفة طوراً معلقة وطوراً مضممة وطوراً عظماً إلى أن صار إنساناً عن قتادة وقيل أراد اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء فهي مختلفة الألوان عن مجاهد والضحاك والكلبي وروى أيضاً عن ابن عباس وقيل نطفة مشجت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض عن الحسن وقيل هي العروق التي تكون في النطفة عن ابن مسعود وقيل امشاج اختلاط من الطبايع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة جعلها الله في النطفة ثم بناء الله البنية الحيوانية المعدلة

الاخلاط ثم جعل فيه الحياة ثم شق له السمع والبصر فتبارك الله رب العالمين وذلك قوله فجعلناه سميعا بصيرا وقوله (نبتليه) اي تختبره بما تكلفه من الافعال الشاقة ليظهر اما طاقته واما عصابته فنجازيه بحسب ذلك قال القراء معناه (فجعلناه سميعا بصيرا) لنبتيه اي لنتعبه ونأمره وننهيه والمراد فأعطيناه آية السمع والبصر ليتمكن من السمع والبصر ومعرفة ما كلف (انا هديناه السبيل) اي بينا له الطريق ونصبنا له الادلة وازحنا له العلة حتى يتمكن من معرفة الحق والباطل وقيل هو طريق الخير والشر عن قتادة وقيل السبيل هو طريق معرفة الدين الذي به يتوصل الى ثواب الابد ويلزم كل مكلف سلوكه وهداية العقل والشرع التي يعم جميع المكلفين (اما اشكرا واما كفوفا) قال القراء معناه ان شكر وان كفر على الجزاء وقال الزجاج معناه ليختار اما السعادة واما الشقاوة والمراد اما ان يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى والاعتراف بنعمه فيصيب الحظ واما ان يكفر نعم الله ويحسد احسانه فيكون ضالا عن الصواب فايهما اختار جزوي عليه بحسبه وهذا كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وفي هذه الآية دلالة على ان الله قد هدى جميع خلقه لأن اللفظ عام ثم بين سبحانه ما اعد للكافرين فقال (انا اعتدنا للكافرين) اي هياتنا وادخرنا لهم جزاء على كفرانهم وعصيانهم (سلاسل) يعني في جهنم كما قال في سلسلة ذرعهما سبعون ذراعا (واغلالا وسعيرا) نار موقدة تمذوبهم بها وتعاقبهم فيها ثم ذكر ما اعد للشاكرين المطيعين فقال (ان الأبرار) وهو جمع البر المطيع لله المحسن في افعاله وقال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر وقيل هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة وقد اجمع اهل البيت (ع) ووافقوهم وكثير من مخالفيهم ان المراد بذلك علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام والاية مع ما بعدها متعينة فيهم وايضا فقد اتفق الاجماع على انهم كانوا ابرارا وفي غيرهم خلاف (يشربون من كأس) انا فيه شراب (كان مزاجها) اي ما يمازجها (كافورا) وهو اسم عين ماء في الجنة عن عطاء والكسبي واختاره القراء قال ويدل عليه قوله عينا وهي كافورة للكافور وقيل يعني الكافور الذي له رائحة طيبة والمعنى يمازجه ريح الكافور وليس ككافور الدنيا عن مجاهد ومقاتل قال قتادة يمزج بالكافور ويختتم بالمسك وقيل معناه طيب بالكافور والمسك والزنجبيل عن ابن كيسان (عينا يشرب بها عباده) اي اولياؤه من ابن عباس اي هذا الشراب من عين يشرب بها اولياء الله وخصمهم بأنهم عباد الله تشريفا وتبجيلا قال القراء شربها وشرب بها سواء في المعنى كما يقاؤون تكلمت بكلام حسن وكلاما حسنا قل عنترة

عسرا على طلابها ابنة مخزم

شربت بما الدهر ضين فاصبحت

وانشد القراء

متى لجج خضر لهن نشيج

شربن بما البحر ثم ترفعت

اي صوت (يفجرونها تفجييرا) اي يقودون تلك العين حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم عن مجاهد والتفجير تشقيق الارض بجري الماء قال وانهار الجنة تجري بغير اخدود فاذا اراد المؤمن ان يجري نهرا خطا فينبع الماء من ذلك الموضع ويجري بغير تعب ثم وصف سبحانه هولاء الابرار فقال (يوقنون بالآذر) اي كانوا في الدنيا بهذه الصفة والايضا بالآذر هو ان يفعل ما نذر عليه فاذا نذر مطاعة قمها ووفى بها عن مجاهد ومكرمة وقيل يتنون ما فرض الله عليهم من الواجبات عن قتادة (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) اي فاشيا منتشرا ذاهبا في الجهات بلغ اقصى المبالغ وسمي العذاب شرا لانه لا خير فيه للمعاقبين وان كان في نفسه حسنا لكونه مستحقا وقيل المراد بالشر هنا احوال يوم القيامة وشدائده (ويطعمون الطعام على حبه) اي على حب الطعام والمعنى يطعمون الطعام اشدا ما تكون حاجتهم اليه وصفهم الله سبحانه بالآثرة على انفسهم وفي الحديث عن النبي سعيد الحدري ان النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قال ما من مسلم اطعم مسلما على جوع الا اطعمه الله من ثمار الجنة وما من

مسلم كسا اخاه على عري إلا كساه الله من خضر الجنة ومن سقى مسلماً على ظلم سقاه الله من الرحيق قال ابن عباس يطعمون الطعام على شهورهم له ومحبتهم اياه وقيل الها. كناية عن الله تعالى اي يطعمون الطعام على حب الله (مسكيناً) وهو الفقير الذي لا شيء له (ويتياً) وهو الذي لا والد له من الاطفال (وأسيراً) وهو المأخوذ من اهل دار الحرب عن قتادة وقيل هو المحبوس من اهل القبلة عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل الاسير المرأة (انما نطمعكم اجراً) أي اطلب رضا الله خالصاً مخلصاً من الرياء وطلب الجزاء. وهو قوله (لا يزيد منكم جزاء ولا شكوراً) وهو مصدر مثل القعود والجلوس وقيل انهم لم يتكلموا بذلك ولكن علم الله سبحانه ما في قلوبهم فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك الراجب عن سعيد بن جبير وبجاهد والمراد لا نطلب بهذا الطعام مكافأة عاجلة ولا يزيد ان تشكرونا عليه عند الخلق بل فعلناه لله (إنا نخاف من ربنا يوماً) أي عذاب يوم (عبوساً) أي مكهنراً تعبس فيه الرجوه ووصف اليوم بالعبوس توسعاً لما فيه من الشدة وهذا كما يقال يوم صائم وليل قائم قال ابن عباس يعبس فيه الكافر حتى يسيل من بين عينيه مرق مثل القطران (قهطرياً) أي صعباً شديداً عن ابي عبيدة والمبرد وقال الحسن سبحانه الله ما أشد اسمه وهو من اسمه اشد وقيل القهطري الذي يقلص الرجوه ويقبض الجباه وما بين العين من شدته عن قتادة

قوله تعالى (١١) فَوَقَّيْهِمُ اللَّهُ شُرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيْهِمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا (١٢) وَجَزَّيْهِمْ يَأْ صَبْرًا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٣) مَتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٤) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَوْدَانُهَا نَدْبِيلًا (١٥) وَيَطَّافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٦) قَوَارِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْرُوهَا تَقْدِيرًا (١٧) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٨) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٩) وَيَطَّوَّفُ عَلَيْهِمْ وَإِلَٰهًا مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا (٢٠) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تَمِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا (٢١) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَّيْهِمْ رَحِيْمًا شَرَابًا طَهُورًا (٢٢) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا اثنتا عشرة آية

✽ القراءة ✽

قرأ الشعبي وعبيد بن عمير قدروها بضم القاف والقراءة المشهورة قدروها بفتح القاف وقرأ اهل المدينة وحمة عليهم ساكنة الياء والباقون عليهم بفتح الياء وقرأ اهل البصرة وابو جعفر وابن عامر خضر بالرفع واستبرق بالجر وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر واستبرق بالرفع وقرأ نافع وحسن بالرفع فيها وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالجر فيها

✽ الحجة ✽

من قرأ قدروها بالفتح فالمنى قدروها في انفسهم فجاءت كما قدروها ومن قرأ بالضم اراد ان ذلك قدر لهم اي قدره الله لهم كذلك قال ابو علي الضمير في قدروها للخزان او الملائكة اي قدروها على ربهم لا ينقص من ذلك ولا يزيد عليه ومن قرأ قدروها فهو على هذا المعنى يريد وكان اللفظ قدروا عليها فحذف الجار كما حذف من قوله

كأنه واضح الاقتراب في لفتح اسمى بهن وعزته الأناصيل

فلما حذف الحرف وصل الفعل فكذلك قوله قدروها إلا ان المعنى قدرت عليهم اي على ربهم قلب كما قال

لا تحسبن دراهما سرقتها تمعو مخازينك التي يعان

وعلى هذا يتأول قوله ما ان مفاخه لتنوء بالعصبة ومثل هذا ما حكاه ابو زيد إذا طلعت الجوزاء. اوفى المرودي الجرياء قال ومن نصب عليهم فإن نصب يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون حالاً ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ظرفاً فاما الحال فيحتمل ان يكون العامل فيها احد شيئين ﴿ احدهما ﴾ نقاً ﴿ والآخر ﴾ جزاهم ومثله في كونه حالاً متكئين فيها على الارائك فإن قلت لم لا يكون متكئين صفة جنة وفيها ذكر لها قيل لا يجوز ذلك ألا ترى انه لو كان كذلك لزمك ان تبرز الضمير الذي في اسم الفاعل من حيث كان صفة للجنة وليس الفعل لها فإذا لم يجوز ذلك كان حالاً وكذلك قوله ودانية عليهم ظلالة إلا انه يجوز في قوله ودانية عليهم ظلالة امران ﴿ احدهما ﴾ الحال ﴿ والآخر ﴾ ان ينتصب على انه مفعول به ويكون المبنى وجزاهم جنة وحريرا أي لبس حرير ودخول جنة ودانية عليهم ظلالة فيكون على هذا التقدير كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فإن لم تحمله على هذا وقلت إنه يعرض فيه اقامة الصفة مقام المرصوف وإن ذلك ليس بالمطروح في كلامهم وإذا حملته على الحال يكون مثل ما عطفته عليه من قوله متكئين ودانية عليهم وكذلك يكون عليهم ثياب سندس مطرفاعلى ما انتصب على الحال في السورة فيكون ثياب سندس مرتفعة باسم الفاعل والضمير عائد إلى ذي الحال من قوله عليهم وفي الشواذ عاليتهم قراءة الاعمش ويكون بنزلة قوله خاشعا ابصارهم وخاشعة ابصارهم ومن جعله ظرفاً فإنه لما كان عالي بمنى فوق اجري مجراه في هذا ومن قرأ عليهم بسكون الياء جعله مبتدأ وثياب سندس خبره ويكون عليهم المبتدأ في موضع الجعاعة كما ان الخبر جعاعة وقد جاء اسم الفاعل في موضع جعاعة قال

إلا إن جبراني المشية رائح دعتهم دواع من هوى ومناوح

وفي التنزيل مستكبرين به سائراً فهجرون فقطع دابر القوم الذين ظلموا فكانه أفرد من حيث جعل بمعنى المصدر من نحو قوله « ولا خارجاً من في زور كلام » وقد قالوا الجامل والباقر يواد بها الكثرة واخذ عليه البصير النحوي الملقب بجامع العلوم هذا الكلام ونسبه فيه إلى سورة التامل وقال عليهم بسكون الياء صفة الولدان أي يطوف عليهم ولدان عليهم ثياب سندس فيرفع ثياب سندس باسم الفاعل الجاري صفة على المرصوف وأقول وبالله التوفيق اني لأرى ان نظير هذا الفاضل قد اختل كما ان بصره قد اعتل فرمى أبا علي بدائه وانسل ألم ينظر في خاتمة هذه الآية إلى قوله سبحانه وسقامهم ربههم شراباً طهوراً ثم قوله عقب ذلك ان هذا كان لكم جزاء فيعرف ان الضمير في عليهم هو بعينه في وسقامهم وهو ضمير المخاطبين في لكم وهذا الضمير لا يمكن أن يعود إلا إلى الابرار المتأبين المجازين دون الولدان المخلمين الذين هم من جملة ثوابهم وجزائهم اللهم لك الحمد على تأييدك وتسدديدك رجعتنا إلى كلام اني علي قال ويجوز على قياس قول ابى الحسن في قسائه اخراك واعمال اسم الفاعل عدل الفعل وإن لم يعتمد على شيء أن يكون ثياب سندس مرتفعة بعاليهم وافرقت عالياً لأنه فعل متقدم قال ابو علي والأوجه قراءة من قال خضر بالرفع واستبرق بالجر لأن خضراً صفة مجموعة لمرصوف مجموع وهو ثياب وأنا استبرق فجر من حيث كان جنساً اضيفت اليه الثياب كما اضيفت إلى سندس كما يقال ثياب خز وكنتان ويدل على ذلك قوله ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ومن قرأ خضر واستبرق فسأته اجري الخضر وهو جمع على السندس لما كان المعنى ان الثياب من هذا الجنس وأجاز ابو الحسن وصف هذه الاجناس بالجمع فقال تقول أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض على استقباح له ومن رفع استبرق فلما اراد عطف الاستبرق على الثياب كأنه ثياب سندس وثياب استبرق فحذف المضاف الذي هو ثياب واقام استبرق مقامه كما انك إذا قلت عليه خز بمعنى عليه ثوب خز وليس المعنى ان عليه الدابة التي هي الخز وعلى هذا قوله

كأن خزا تحته وقزا وفرشاً محشوة أوزا

﴿ اللغاة ﴾

الرقابة الحفظ والمنع من الأذى وقاه بقيه رقابة ووقاه توقيه قال روضة «أن الموقى مثل ما وقيت» ومنه اتقاه وتوقاه وأصل الشر الظهور فهو ظهور الضرر ومنه شررت الثوب إذا ظهرته للشمس أو الريح قال «ومنى اشرت بالاكف المصاحف» وظهرت ومنه شرر النار انظرده بتطاييره والنضرة حسن الالوان ونبت ناضر ونضير ونضر والسرور اعتماد وصول المنافع اليه في المستقبل وقال قوم هر لفة في الغلب فحسب متعلقة بها فيه النفع وكل سرور فلا بد له من متعلق كالسرور بالمال والولد والسرور بالاكرام والاجلال والسرور بالحمد والشكر والسرور بالثواب والأرائك الحجال فيها الاسرة وامتدتها أريكة قال الزجاج الأريكة كل ما يتكأ عليه من مسورة او غيرها والزمهرير أشد ما يكون من البرد والزنجبيل ضرب من القرفة طيب الطعم يجذو اللسان ويربى بالعسل ويستدفع به المضارة وإذا مزج به الشراب فاق في الالذاذ والرب تستطيب الزنجبيل جدا قال الشاعر

كأن القرنفل والزنجبيل بآنا بفيها واريا مشورا

والسبيل الشراب السهل اللذيذ يقال شراب سلسل وسلسيل والوردان الغلمان جمع وليد والسندس الدباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الدباج الغليظ الذي له بريق

﴿ الاعراب ﴾

و إذا رأيت ثم قال الزجاج العامل في ثم معنى رأيت والمعنى وإذا رأيت بصرك ثم قال الفراء المعنى وإذا رأيت ما ثم وغلطه الزجاج في ذلك وقال ان ما تكون مرصولة بقوله ثم على هذا التفسير ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رأيت يتعدى في المعنى إلى ثم وأقول يجوز ان يكون مفعول رأيت محذوفاً ويكون ثم ظرفاً والتقدير وإذا رأيت ما ذكرناه ثم

﴿ المعنى ﴾

ثم أعبر سبحانه بما أعد للابرار الموصوفين في الآيات الأولى من الجزاء فقال (فوقهم الله شر ذلك اليوم) أي كفاهم الله ومنع منهم احوال يوم القيامة وشدائدهم (واقبهم نضرة وسرورا) أي استقبلهم بذلك (وجزيهم) أي وكافهم (بما صبروا) أي بصبرهم على طاعته واجتناب معاصيه وتحمل محن الدنيا وشدائدها (جنة) يسكنونها (وحريرا) من لباس الجنة يلبسونه ويفرشونه (متكئين) أي جالسين جلوس الملوك (فيها) أي في الجنة (على الأرائك) أي الاسرة في الحجال عن ابن عباس ومجاهد وقيل كلما يتكأ عليه فهو اريكة عن الزجاج وقيل الأرائك الفرش فوق الاسرة عن ابى مسلم (لا يرون فيها) أي في تلك الجنة (شمسا) يتأذون بجرها (ولا زمهريرا) يتأذون ببرده (ودانية عليهم ظلالها) يعني ان اقيام اشجار تلك الجنة قريبة منهم وقيل ان ظلال الجنة لا تنسخها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا (وذلات قطوفها تذيلا) أي وسخرت وسهل أخذ ثمارها تسخييرا ان قام ارتفعت بقدره وان قعد تزلت عليه حتى ينالها وان اضطلع جمع تدلت حتى تنالها يده عن مجاهد وقيل معناه لا يرد ايديهم عنها بعد ولاشوك (ويطاف عليهم) أي على هؤلاء الابرار الموصوفين قيل (بانية من فضة واكواب) جمع كواب وهو إناء للشرب من غير عروة وقيل الاكواب الاقداح عن مجاهد (كانت) تلك الاكواب (قواريرا) أي زجاجات (من فضة) قال الصادق (ع) ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج والمعنى أن اصلها من فضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير فيرى من خارجها ما في داخلها قال ابو علي إن سئل فقيل كيف تكون القوارير من فضة وإنما القوارير من الرمل دونها فالقول في ذلك أن الشيء إذا قاربه شيء واشتدت ملابسته له قيل انه من كذا وان لم يكن منه في الحقيقة كقول البيت

ألا أصبحت خنساء خارمة الوصل وضدت علينا والضنين من البخل

وصدت فأعدانا بهجر صدودها
وقال الا في سبيل الله تغيير لمتي
وهن من الاخلاف قبلك والمطل
ووجهك مما في التوارير اصفرا

فعل هذا يجوز قوارير من فضة أي هي في صفا. الفضة ونقائها ويجوز تقدير حذف المضاف أي من صفا. الفضة وقوارير الثانية بدل من الاولى وليست بتكرار وقيل ان قوارير كل ارض من تربتها وأرض الجنة فضة فذلك كانت قواريرها مثل الفضة عن ابن عباس (قدروها تقديرا) أي قدروا الكأس على قدر ربهم لا يزيد ولا ينقص من الري والضمير في قدروها للسقاة والحتم الذين يسقون فالنهم يقدرونها ثم يسقون وقيل قدروها على قدر من الكف أي كانت الاكواب على قدر ما اشتبهوا لم تعظم ولم يتقل الكف من حملها عن الربيع والقرظي وقيل قدروها في انفسهم قبل مجيئها على صفة فجاءت على ما قدروا والضمير في قدروا للشاربين (ويستون فيها) أي في الجنة (كأسا كان مزاجها زنجيلا) قال مقاتل لا يشبه زنجيل الدنيا وقال ابن عباس كل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا ولكن سماه الله بالاسم الذي يعرف والزنجيل مما كانت العرب تستطيه فذلك ذكره في القرآن وودعم انهم يسقون في الجنة الكأس المزوجة بزنجيل الجنة (عينا فيها تسمى سلسيلا) أي تزج الخمر بالزنجيل والزنجيل من عين تسمى تلك العين سلسيلا قال ابن الأعرابي لم اسمع السلسيل إلا في القرآن وقال الزجاج هو صفة لما كان في غاية السلاسة يعني انها سلسلة تتسلسل في الخلق وقيل سمي سلسيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن إلى اهل الجنان من ابي العالبة ومقاتل وقيل سميت بذلك لأنها ينقاد ماؤها لهم بصرفونها حيث شاوروا عن قتادة (ويظرف عليهم ولدان مخلدون) مرّ تفسيره (إذا رأيتهم) يعني إذا رأيت او تلك الولدان (حسبهم لوزوا منشورا) من الصفا. وحسن المنظر والكثرة فذكر لونهم وكثرتهم وقيل إنما شبههم بالمشور لانشارهم في الخدمة فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم (وإذا رأيت) ثم أي إذا رميت ببصرك ثم يعني الجنة وقيل ان تقديره واذا رأيت الاشياء (ثم رأيت نعيما) خطيرا (وملكا كبيرا) لا يزول ولا يفنى عن الصادق (ع) وقيل كبيرا اي واسعا يعني ان نعيم الجنة لا يوصف كثرة وإنما يوصف بعضها وقيل الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم وتبتهم بالسلام وقيل هو انهم لا يريدون شيئا إلا قدروا عليه وقيل هو ان ادانهم مثلة ينظر في ملكه من مسيرة الف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو الملك الدائم الابدي في نفاذ الامر وحصول الاماني (عليهم ثياب سندس) مسن جلده ظرفا فهو بمنزلة ثوبك فوقعهم ثياب سندس ومن جلده حالا فهو بمنزلة ثوبك يعاومهم ثياب سندس وهو مارق من الثياب فيلبسونها وروي عن الصادق (ع) انه قال في معناه ثوبهم الثياب فيلبسونها (خضر واستبرق) وهو ما غلط منها ولا يراد به الناظر في السلك إنما يراد به التخانة في النسيج قال ابن عباس أما رأيت الرجل عليه ثياب والذي يعاومها افضلها (وحلوا أساور من فضة) الفضة الشفافة وهي التي يرى ما وراءها كما يرى من الباردة وهو افضل من الدر والياقوت وهما افضل من الذهب والفضة فتلك الفضة افضل من الذهب والفضة في الدنيا وهما أثنان الاشياء وقيل انهم يحملون بالذهب تارة وبالفضة أخرى ليجمعوا محاسن الحلية كما قال الله تعالى يحملون فيها من أساور من ذهب والفضة وان كانت دنية الثمن في الدنيا فهي في غاية الحسن خاصة إذا كانت بالصفة التي ذكرناها والنرض في الآخرة ما يكسر الاستلذاذ والسرور به لا ما يكثر ثمنه لأنه ليست هناك اثنان (وسقامهم ربهم شرابا طهورا) أي طاهرا من الاقدار والاقضاء لم تدنسها الايدي ولم تدسها الارجل كخمر الدنيا وقيل طهورا لا يصير يولنجسا ولكن يصير رشحا في ابدانهم كربيح المسك وان الرجل من اهل الجنة يقسم له شهوة مائة رجل من اهل الدنيا واكلامهم ونهتهم فاذا اكل ما شاء سقي شرابا طهورا فيظهر بطنه ويصير ما اكل رشحا يخرج من جلده اطيب ريحا من المسك الاذفر ويضمر بطنه وتعد شهرته عن ابراهيم التيمي والي قلابة وقيل يظهرهم عن كل

شيء سوى الله إذ لا طاهر من تدنس بشيء من الأكوان إلا الله روه عن جعفر بن محمد (ع) (ان هذا) يعني ما وصف من النعيم وأنواع الملاذ (كان لكم جزاء) أي مكافأة على أعمالكم الحسنة وطاعتكم المبرورة (وكان سيئكم) في مرضاة الله وقيامكم بما أمركم الله به (مشكوراً) أي مقبولاً مرضياً جوزيتم عليه فكانه شكر لكم فلكم

قوله تعالى (٢٣) إنا نحن نزلنا عليك القرآن أن تنزلاً (٢٤) فأصبر لحكم ربك ولا تطع منهم أذماً أو كفوراً (٢٥) وأذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً (٢٦) ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً (٢٧) إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً (٢٨) نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً (٢٩) إن هذو تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً (٣٠) وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً (٣١) يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً نسع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وما يشاؤون بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة عبد الله بن الزبير وابان بن عثمان والظالمون بانواو

﴿ الحجة ﴾

وجه الياء قوله تعالى فمن شاء اتخذ ووجه التاء انه خطاب للكافة وماي تشاؤون الطاعة والاستقامة إلا ان يشاء الله او يكون محمولاً على الخطاب واما قوله والظالمون فإنه على ارتجال جملة مستأنفة قال ابن جني كأنه قال الظالمون أعد لهم عذاباً أليماً ثم عطف الجملة على ما قبلها وقد سبق الرفع إلى مبتدئها غير ان قراءة الجماعة نصب وهو النصب لأن معناه ويعذب الظالمين فلما اضر هذا الفعل فسره بقوله أعد لهم عذاباً أليماً وهذا اكثر من ان يورثي له بشاهد قال الزجاج يقول النحويون اعطيت زيدا وعمراً أعدت له برا فيختارون النصب على معنى ويرث عمراً أعدت له براً واتشد غيره

اصبحت لا احمل السلاح ولا
والذئب اخشاه إن مررت به
املك رأس البعير إن نفرا
وحدي واخشى الرياح والمطرا

﴿ اللفظة ﴾

الاسر اصله الشد ومنه قتب مأسود اي مشدود ومنه الأسير لأنهم كانوا يشدونهم بالقدر قولهم خذ بأسره اي يشده قبل ان يحل ثم كثر حتى صار بمعنى خذ جميعه قول الاخطل

من كل مجتنب شديد اسره
سلس القياد تخاله مختالا

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج في قوله ولا تطعم منهم آثماً او كفوراً او هنا او كدم من الواو لأنك إذا قلت لا تطعم زيدا وعمراً فأطاع احدهما كان غير عاص لأنك أمرته ان لا يطعم الاثنين واذا قلت لا تطعم منهم آثماً او كفوراً فأو قد دلت على ان كل واحد منهما اهل ان يعصى وانها اهل ان يعصبا كما انك إذا قلت جالس الحسن او ابن سيرين فقد قلت كل واحد منها اهل ان يجالس قال البصير النحوي او هذه التي للتخيير إذا قلت اضرب زيدا او عمراً

فمعناه اضرب احدهما فلماذا قلت لا تضرب زيدا او عمراً فمعناه لا تضرب احدهما فيحرم عليه ضربهما لأن احدهما في التنفي يتعمم وابن كيسان يحمل النهي على الامر فيقول إذا قال لا تضرب احدهما لم يحرم عليه ضربهما وإنما حرم في الآية طاعتها لأن احدهما بمنزلة الآخر في امتناع الطاعة له ألا ترى ان الآتم مثل الكفور في هذا المعنى قال سيويه واو قال لا تطع آتما ولا تطعم كفورا لانقلاب المعنى إذ ذاك لأنه حينئذ لا تحرم طاعتها كليهما

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً) فيه شرف وتعظيم لك وقيل معناه فصلناه في الانزال آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة عن ابن عباس (فاصبر) يا محمد على ما امرتك به من تحمل اعباء الرسالة (لحكم ربك) أن تبلغ الكتاب وتعمل به وقيل انه امر لنا بالتصبر بالصبر وان كذب فيما أتى به ووعد لمن كذبه (ولا تطع منهم) أي من مشركي مكة (آتما) يعني عتبة بن ربيعة (أو كفوراً) يعني الوليد بن المغيرة فإنها قالوا له ارجع عن هذا الامر ونحن نرضيك بالمال والتزويج عن مقاتل وقيل الكفور ابو جهل نهي النبي ﷺ عن الصلاة وقال لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه فنزلت الآية عن قتادة وقيل ان ذلك عام في كل عاص فاسق وكافر منهم اي من الناس اي لا تطع من يدعوك إلى إثم او كفر وهذا أولى لزيادة الفائدة وعدم التكرير (واذا كراسم ربك بكرة واصيلاً) اي اقبل على شائك من ذكر الله والدعاء اليه وتبليغ الرسالة صباحاً ومساءً اي دائماً فإن الله ناصرك وموئيدك ومعينك والبكرة اول النهار والاصيل العشي وهو اصل الليل (ومن الليل فاسجد له) دخلت من للتبعض والمعنى فاسجد له في بعض الليل لأنه لم يأمره بقيام الليل كله وقيل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلاً) أي في ليل طويل يريد التطوع بعد المكتوبة وروي عن الرضا (ع) انه سأله احمد بن محمد عن هذه الآية وقال ما ذلك التسيب قال صلاة الليل (ان هو لاه يجبون العاجلة) أي يؤثرون اللذات والمنافع العاجلة في دار الدنيا (ويذرون وراهم) أي ويتركون أمامهم (يوماً ثقيلاً) أي عسيراً شديداً والمعنى انهم لا يؤمنون به ولا يعملون له وقيل معنى وراهم خلف ظهورهم وكلاهما محتمل ثم قال سبحانه (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) أي قوينا واحكمنا خلقهم عن قتادة ومجاهد وقيل أسرهم اي مفاصلهم عن الربيع وقيل اوصالهم بعضها إلى بعض بالمروق والعصب عن الحسن ولولا احكامه اياها على هذا الترتيب لما امكن العمل بها والانتفاع منها وقيل شددنا أسرهم جعلناهم اقوياء عن الجائي وقيل معناه كلفناهم وشددناهم بالامر والنهي كيلا يجاوزوا حدود الله كما يشد الأسير بالقد لئلا يهرب (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلاً) أي اهلكناهم واتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم ولكن نبقهم اتماماً للحجة (ان هذه) السورة (تذكرة) أي تذكرة كبيرة وعظة يتذكر بها امر الآخرة عن قتادة وقيل ان هذه الرسالة التي تبلغها (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) أي فمن اراد اتخذ إلى رضاء ربه طريقاً بأن يعمل بطاعته ويتقي عن معصيته وفي هذا دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل (وما تشاؤون إلا ان يشاء الله) أي وما تشاؤون اتخذوا الطريق إلى مرضاة الله اختياراً إلا ان يشاء الله اجباراً كما عليه والجاه كما اليه فحينئذ تشاؤون ولا ينفعكم ذلك والتكليف زائل ولم يشأ الله هذه المشيئة بل شاء ان تختاروا الإيمان لتستحقوا الثواب عن ابي مسلم وقيل معناه وما تشاؤون شيئاً من العمل بطاعته الا والله يشاؤه ويربده وليس المراد بالآية انه سبحانه يشاء كل ما يشاء العبد من المعاصي والمباحات وغيرها لأن الدلائل الواضحة قد دلت على انه سبحانه لا يجوز ان يريد القبائح ويتعالى

عن ذلك وقد قال سبحانه ولا يريد بكم العسر وما الله يريد ظلما للعباد (ان الله كان عليما حكيما) مر
معناه (يدخل من يشاء في رحمته) أي جنته يعني المؤمنين (والظالمين) يعني ويميزي الكافرين والمشر كين
(اعد لهم عذابا اليما)

سورة المرسلات مكية

وهي خمسون آية بلا خلاف

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة المرسلات كتب الله له بها من المشر كين وروي عن
ابن عبد الله (ع) قال من قرأها عرف الله بينه وبين محمد ﷺ

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم سبحانه سورة هل أتى بذكر القيامة وما اعد فيها للظالمين افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (٢) فَأَلْمِصَّاتِ عَصْفًا (٣) وَالنَّاشِرَاتِ
نَشْرًا (٤) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٥) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٦) عُدْرًا أَوْ نُذْرًا (٧) إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٍ
(٨) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٩) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (١٠) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١١) وَإِذَا
الرُّسُلُ أُقْتَتِ (١٢) لِيَأْتِيَ يَوْمٌ أُجِّلَتْ (١٣) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٥)
وَبِيلَ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ خمس عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز والشام وابو بكر وعقوب وسهل عذرا سا كنة الذال أو نذرا بضمها وروي محمد بن
الحبيب عن الاعشى والبرجي عن ابى بكر بضم الذال فيها ومحمد بن خالد عن الاعشى عذرا بسكون الذال
أو نذرا بضمها مثل رواية حماد ويحيى عن ابى بكر وقرأ الباقون بسكون الذال فيها وقرأ ابو جعفر وقتت
بالواو والتخفيف وقرأ أهل البصرة غير رويس بالواو والتشديد وقرأ الباقون اقتت بالالف وتشديد القاف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي النذر بالثقل والنذر مثل النكر والتكبر وهما جميعا مصدران ويجوز في النذر ضربان
﴿ احدهما ﴾ أن يكون مصدرا كالنكبر وعذير الحمي ﴿ والآخر ﴾ أن يكون فعلا يراد به المنذر كما أن
الألميم بمعنى المولم ويجوز تخفيف النذر على حد التخفيف في العنق والعنق والاذن والاذن قال ابو الحسن عذرا
أو نذرا أي اعذارا أو انذارا وقد خفتا جميعا وهما لغتان فاما انتصاب عذرا فعلى ثلاثة اضرب ﴿ احدها ﴾ ان
يكون بدلا من الذكر سيء قوله فالملقيات ذكرا ﴿ والآخر ﴾ أن يكون مفعول ذكرا أي فالملقيات أن
بذكر عذرا أو نذرا ﴿ والثالث ﴾ أن يكون منصوبا على انه مفعول له ويجوز في قول من ضم عذرا
أو نذرا أن يكون عذرا جمع عاذر أو عذور والنذر جمع نذير قال حاتم

أماوي قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني في طلابكم العذر

فيكون عذرا او نذرا على هذا حالا من الإلقاء كأنهم يلقون الذكـر في حال العذر والانداز ومن قرأ وقتت بالواو فلأن الكلمة اصلها من الوقت ومن ابدل منها همزة فلانضمام الواو والواو إذا انضمت أولا في نحو وجوه ووعد وثالثة في نحو ادور فإنها تبدل على الاطراد همزة إنكراهم الضمة على الواو

المعنى

(والمرسلات عرفا) يعني الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وابي صالح فعلى هذا يكون عرفا نصبا على الخالب من قولهم جاءوا اليه عرفا واحدا اي متتابعين وقيل إنها الملائكة ارسلت بالمعروف من امر الله ونبيه وفي رواية اخرى عن ابن مسعود وعن ابي حمزة الثمالي عن اصحاب علي عنه (ع) وعلى هذا يكون مفعولا له وقيل المراد بها الانبياء جاءت بالمعروف والارسل تقيض الامساك (فالعاصفات عصفاء) يعني الرياح الشديديات المهبوب والعصف مرور الريح بشدة (والناشرات نشرا) وهي الرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشرا للغيث كما تلقعه للمطر وقيل انها الملائكة تنشر الكتب عن الله تعالى عن ابي حمزة الثمالي وابي صالح وقيل انها الامطار تنشر الثبات عن ابي صالح في رواية اخرى وقيل الرياح ينشرها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته عن الحسن وقيل الرياح تنشر السحاب في الهواء عن الجبائي (فالفارقا فرقا) يعني الملائكة تأتي بما يفرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام عن ابن عباس وابي صالح وقيل هي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال عن الحسن وأبي حمزة وقتادة وقيل انها الرياح التي تفرق بين السحاب فتبدده عن مجاهد (فالملقيات ذكرا) يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الانبياء وتلقيه الانبياء إلى الامم عن ابن عباس وقتادة كأنها الحاملات للذكر الطارحات له ليأخذه من خوطب به واللقاء طرح الشيء على غيره (عذرا او نذرا) اي للاعذار والانداز ومعناه اعذارا من الله وانذارا إلى خلقه وقيل عذرا يعتذر الله به إلى عباده في العقاب انه لم يكن إلا على وجه الحكمة ونذرا اي اعلاما بموضوع المخافة عن الحسن وهذه اقسام ذكرها الله تعالى وقيل اقسام الله سبحانه برب هذه الاشياء عن الجبائي قال لا يجوز القسم إلا بالله سبحانه وقال غيره بل اقسام بهذه الاشياء تنبيها على عظم موقعها (إنما توعدون لواقع) هذا جواب القسم والمعنى أن الذي وعدكم الله به من البعث والشور والثواب والعقاب لكائن لا محالة وقيل إن الفرق بين الواقع والكائن أن الواقع لا يكون إلا حادثا تشبيها بالحوادث الواقعة لأنه من ابيين الاشياء في الحدوث والكائن اعم منه لأنه بمنزلة الموجود الثابت يكون حادثا وغير حادث ثم بين سبحانه وقت وقوعه فقال (فإذا النجوم طمست) أي بحيث آثارها واذهب نورها وازيل ضوءها (وإذا السماء فرجت) اي شقت وصدعت فصار فيها فروج (وإذا الجبال نسفت) أي قلعت من مكانها كقوله سبحانه ينسفها ربي نسفا وقيل نسفت اذ هبت بسرعة حتى لا يبقى لها اثر في الأرض (وإذا الرسل اقتت) اي جمعت لوقتها وهو يوم القيامة لتشهد على الامم وهو قوله (لأي يوم اجلت) اي اخرت وضرب لهم الاجل لجمعهم تعجب العباد من ذلك اليوم عن ابراهيم ومجاهد وابن زيد وقيل اقتت معناه عرفت وقت الحساب والجزاء لأنهم في الدنيا لا يعرفون متى تكون الساعة وقيل عرفت ثوابها في ذلك اليوم وقال الصادق عليه السلام اقتت اي بعثت في اوقات مختلفة ثم بين سبحانه ذلك اليوم فقال (ليوم الفصل) اي يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ثم عظم ذلك اليوم فقال (وما ادريك ما يوم الفصل) ثم اخبر سبحانه حال من كذب به فقال (ويبل يومئذ للمكذبين) هذا تهديد ووعيد إنما خص الوعيد من جحدوا يوم القيامة وكذب به لأن الكذب بذلك يتبعه خصال المعاصي كلها وان لم يذكر معه والعامل في الظرف محذوف بدل عليه قوله إنما توعدون لواقع والتقدير فإذا طمست النجوم وفرجت السماء ونسفت الجبال واقتت الرسل وقعت القيامة

(١٩) وبلى يومئذ للمكذبين (٢٠) ألم نخلقكم من ماء مهين (٢١) فجعلناه في قرارة مكين (٢٢) إلى قدر معلوم (٢٣) فقدرتنا فنعم القادرون (٢٤) وبلى يومئذ للمكذبين (٢٥) ألم نجعل الأرض كفافاً (٢٦) أحياء وأمواتاً (٢٧) وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً (٢٨) وبلى يومئذ للمكذبين
ثلاث عشرة آية

❖ القراءة ❖

قرأ أهل المدينة والكسائي فقدرتنا بالتشديد والباقون فقدرتنا بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الأعرج تتبعهم بالجزم

❖ الحجة ❖

قد تقدم أن قدر وقدر بمعنى والتخفيف اليبق بقوله فنعم القادرون ومن شدد أراد أن يجيئ باللغتين كما يقال جاد مجد وكقوله سبحانه فهل الكافرين أمهلهم ومن جزم تتبعهم فإنه يحتمل أمرين ❖ أحدهما ❖ أنه أسكن العين استئقالات لئوالى الحركات ❖ والثاني ❖ أن يكون عطفاً على نهلك كما تقول ألم ازرك ثم أحسن اليك فيكون معنى هذه القراءة أنه يريد قوماً أهلكتهم الله سبحانه بعد قوم قبلهم على اختلاف أوقات المرسلين إليهم نبياً بعد نبي وأما الرفع على القراءة المشهورة فلاستئناف الكلام أو على أن يجعل خبر مبتدأ محذوف

❖ اللمعة ❖

القرار المكان الذي يمكن طول المكث فيه والقدر المقدر المعلوم الذي لا زيادة فيه ولا نقصان والقدر المصدر من قولهم قدر بقدر قدر أو قدرا أي قدر فمن شدد جمع بين اللغتين كما قال الأعشى

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما

وكفت الشيء يكفته كفنا وكفانا إذا ضمه ومنه الحديث اكتبوا صبيانكم أي ضمومهم إلى أنفسكم ومثله ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة المشاء ويقال للوعاء كفت وكفيت وقال أبو عبيدة كفانا أي أوعية والرواسي الثوابت والشامخات العاليات ومنه شمع بأفقه إذا رفعه كبرا وماء فرات وزلال وعذب وغير كله من العذوبة والطيب ومنه سمي النهر العظيم المعروف بالفرات قال الشاعر

إذا غاب عنا غاب عنا فراتنا وان شهدا جدى نيله وفواضله

قال ابن عباس أصول الأنهار العذبة أربعة جيحان ومنه دجلة وسبحان نهر بلخ و فرات الكوفة ونيل مصر

❖ الاعراب ❖

أحياء منصوب بأنه مفعول قوله كفانا معناه ان هكفت أحياء وأمواتا فلي هذا يكون كفانا مصدراً وان جعلته جمع كفت فيكون العامل في أحياء معناه والتقدير واعية أحياء أو تعي أحياء

❖ المعنى ❖

ثم ذكر سبحانه ما فعله بالمكذبين الأولين فقال (ألم نهلك الأولين) يعني بالعذاب في الدنيا يرهد قوم نوح وعاد وثمود حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) قوم لوط وإبراهيم لم يعطف تتبعهم على نهلك فيجزم بل استأنف وقال المبرد تقديره ثم نحن نتبعهم لا يجوز غيره لأن قوله ألم نهلك ماض وقوله ثم نتبعهم مستقبل ويؤيده

قول الحسن ان الآخرين هم الذين تقوم عليهم القيامة (كذلك قتل بالمجرمين) أي كما فعلنا بمن تقدم قتل بالمكذبين من أهل مكة وقد فعل بهم ذلك فقتلوا يوم بدر وقد يكون الإهلاك بتصيير الشيء إلى حيث لا يدري أين هو إما بالعدم أو بإخفاء مكانه وقد يكون بالأمانة وقد يكون بالنقل إلى حال الجمادية (وبل يومئذ) يعني يوم الجزاء (للمكذبين) فإنهم بجازن بالسيم العقاب (ألم تخلقكم من ماء مهين) أي حقير قليل الغناء وفي خلق الإنسان على هذا الكمال من الحواس الصحيحة والعقل الشريف والتبصير والنطق من ماء ضعيف اعظم الاعتبار وأبين الحجة على أن له صناعاً مديراً حكيماً والجاحد لذلك كالمكابر لبداية العقول (فجعلناه) أي فجعلنا ذلك الماء المهين (في فرار مكين) يعني الرحم (إلى قدر معلوم) أي إلى مقدار من الوقت معلوم يعني مدة الحمل (فقدنا) أي قدرنا خلقه كيف يكون قصيراً أم طويلاً ذكراً أم أنثى (فنعم القادرون) أي فنعم المقدرين نحن وبهجوم أن يكون المعنى إذا خفف من القدرة أي قدرنا على جميع ذلك فنعم القادرون على تدبير ذلك وعلى ما لا يقدر عليه أحد إلا نحن فحذف المخصوص بالمدح (وبل يومئذ للمكذبين) بأننا قد خلقنا الخلق وأنا نعيدهم (ألم نجعل الأرض كفاتاً) للعباد تكفتهم (أحياء) على ظهورها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم (أمواتاً) في بطنها أي تحوزهم وتضمهم عن فتادة ومجاهد والشعبي قال بنان خرجنا في جنازة مع الشعبي فنظر إلى الجنازة فقال هذه كفات الأموات ثم نظر إلى البيوت فقال هذه كفات الأحياء وروي ذلك عن أمير المؤمنين (ع) وقيل كفاتنا أي وعاء وهذا كفته أي وعاءه وقوله أحياء وأمواتاً أي منه ما بنيت ومنه ما لا بنيت فعل هذا يكون أحياء وأمواتاً نصباً على الحال وعلى القول الأول على المفعول به (وجعلنا فيها رواسي شامخات) أي سبيلاً جبالة ثابتة عالية (وأسقينكم ماء فراتاً) أي وجعلنا لكم سقياً من الماء العذب عن ابن عباس (وبل يومئذ للمكذبين) بهذه النعم وانها من جهة الله وقيل بالأنبياء والقرآن وإنما كرر لأنه عدد النعم فذكره عند كل نعمة فلا بعد ذلك تكراراً وقد تقدم الوجه في التكرار في سورة الرحمن

قوله تعالى (٢٩) انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٣) انطلقوا إلى ظلي ذي ثلاث شعب (٣١) لا ظليل ولا يغني من اللهب (٣٢) إنها ترمي بشرير كالفصر (٣٣) كأنه جبال صفر (٣٤) ويل يومئذ للمكذبين (٣٥) هذا يوم لا ينطقون (٣٦) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٧) ويل يومئذ للمكذبين (٣٨) هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين (٣٩) فإن كان لكم كيد فكيدهم (٤٠) ويل يومئذ للمكذبين اثنتا عشرة آية

القراءة

قرأ رويس عن يعقوب انطلقوا الثانية بفتح اللام والباقون من القراء على كسر اللام فيها وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر جملة بغير الف ويعقوب جملة صفر بالألف وضم الجيم وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وغيرها وقرأ الباقر جملة بالألف وكسر الجيم وفي الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير بخلاف كالفصر بفتح القاف والصاد

الحجة

من قرأ انطلقوا الثانية بالفتح فإنه حمل الأول على الأمر والثاني على الخبر وجملة جبال وجمع جبال وجمع بالألف والتاء على تصحيح البناء كما جمع على تكسيره في قولهم جائل قال ذو الرمة
وقرين بالزرق الجمائل بعدما تقوَّب عن غربان أوراكها الخطر

وأما جملة فإن التاء لحقت جمالا لتأنيث الجمع كما لحقت في فعل وفعالة وذكر وذكاره ومن قرأ جمالات بالضم فهي جمع جمالة وهو القلس من قلوب سفن البحر ويقال من قلوب الجسر قال الزجاج ويجوز أن يكون جمع جبل وجمال وجمالات كما قيل رخال جمع رخل ومن قرأ كالفصر بفتح الصاد فهو جمع قصرة أي كأنها اعتاق الأوبل وقيل القصر أصول الشجر وحدثها قصرة وكذا قرأها مجاهد قال وهي خرم الشجر قال الحسن قصرة وقصر مثل جمرة وجرم وهي أصول الشجر قال والعامه يجعلونها على القصور قال ابن جنى وحدثنا أبو علي أن القصر هنا بمعنى القصور وقال هي بيوت من آدم كان يضربون بها إذا انزلوا على الماء.

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما يقال لهم جزاء على تكذيبهم فقال (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أي تقول لهم الخزنة إذ هبوا وسيروا إلى النار التي كنتم تحجدونها وتكذبون بها ولا تعرفون بصحتها في الدنيا والانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث ثم ذكر الموضع الذي أسرم بالانطلاق إليه فقال (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) أي نار لها ثلاث شعب سماها ظللا لسواد نار جهنم وقيل هو دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكافر شعبة تكون فوقه وشعبة عن يمينه وشعبة عن شماله وسمي الدخان ظللا كما قال أحاط بهم مرادها أي من الدخان الآخذ بالأفاس عن مجاهد وقتادة وقيل يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب فيكون فيها حتى يفرغ من الحساب ثم وصف سبحانه ذلك الظل فقال (لا ظليل) أي غير مانع من الأذى بستره عنه ومثله الكئين فالظليل من الظلة وهي السترة والكئين من الكن فظل هذا الدخان لا يعني الكفار شيئا من حر النار وهو قوله (ولا يعني من اللهب) واللهب ما يعلو على النار إذا اضطربت من احمر وأصفر وأخضر يعني أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب ثم وصف سبحانه النار فقال (إنها ترمي بشر) وهو ما ينطأ من النار في الجهات (كالفصر) أي مثله في عظمه وتخوفه تنطأ على الكافرين من كل جهة نعوذ بالله منه وهو واحد القصور من البنيان عن ابن عباس ومجاهد والعرب تشبه الأوبل بالقصور قال الاخطل كأنه برج رومي يشيده لز يجص وآجر وأحجار

قال عنتره

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلوم

والفدن القصر وقيل كالفصر أي كأصول الشجر العظام عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر فقال (كأنه جمالات صفر) أي كأنها ابتق سود لما بعثري سوادها من الصفرة عن الحسن وقتادة قال الفراء لا ترى أسود من الأوبل إلا وهو مشرب صفرة ولذلك سمى العرب سود الأوبل صفراء وقيل هو من الصفرة لأن النار تكون صفراء عن الجبائي (وبل يومئذ للمكذبين) بنا هذه صفتها (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) قيل في معناه قولان ﴿ أحدهما ﴾ أنهم لا ينطقون بنطق ينفعون به فكأنهم لم ينطقوا ﴿ والثاني ﴾ أن في القيامة مواقف ففي بعضها يتصمون ويتكلمون وفي بعضها ينحتم على أفواههم ولا يتكلمون وعن قتادة قال جاء رجل إلى عكرمة قال أرأيت قول الله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال إنها مواقف فأما موقف منها فتكلموا واختصموا ثم ختم على أفواههم وتكلمت أيدهم وأرجلهم فحينئذ لا ينطقون وأجاز التحويين هذا يوم لا ينطقون بالنصب على أنه يشير إلى الجزاء ولا يشير إلى اليوم وقوله فيعتذرون رفع عطفا على قوله ولا يؤذن لهم تقديره فلا يعتذرون ولو قيل فلا يعتذروا فنصب لكان المعنى ان الأذن سبب لعذرهم ولكن المعنى لا يؤذن لهم في الاعتذار فهم لا يعتذرون

(ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الخبر (هذا يوم الفصل) بين أهل الجنة والنار وقيل هذا يوم الحكم والقضاء بين الخلق والانتصاف للمظلوم من الظالم وفصل القضاء يكون في الآخرة على ظاهر الأمر وباطنه بخلاف الدنيا لأن القاضي يحكم على ظاهر الأمر في الدنيا ولا يعرف البواطن (جمعناكم والأولين) يعني مكذبي هذه الأمة مع مكذبي الأمم قبلها يجمع الله سبحانه الخلائق في يوم واحد وفي صعيد واحد (فإن كان لكم كيد فكيدون) أي ان كانت لكم حيلة فاحتملوا لانفسكم وقيل إن هذا توبيخ من الله تعالى للكفار وتقرع لهم واظهار لعجزهم عن الدفع عن انفسكم فضلا عن أن يكيدوا غيرهم وانما هو على انكم كنتم تعملون في دار الدنيا ما يفضيني فالآن عجزتم عن ذلك وحصانتم على وبال ما علمتم (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا قوله تعالى (٤١) **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤٢) وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٣) كُلُّوا** وأشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون (٤٤) **إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٥) وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُسْكَذِبِينَ (٤٦) كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ (٤٧) وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُسْكَذِبِينَ (٤٨) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لا إرْكَعُونَ (٤٩) وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُسْكَذِبِينَ (٥٠) فَبِأَيِّ حَيْثُ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (عشر آيات)**

❀ المعنى ❀

ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال (إن المتقين) الذين اتقوا الشرك والفواحش (في ظلال) من أشجار الجنة (وعيون) جارية بين أيديهم في غير اخدود لأن ذلك امتنع لهم بما يرونه من حسن مياهها وصفاتها وقيل عيون أي بنايع بما يجري خلال الأشجار (وفواكه) جمع فاكهة وهي ثمار الأشجار (بما يشتهون) أي من جنس ما يشتهونه والشهوة معنى في القلب إذا صادف المشهى كان لذة وضدها النفار ثم يقال لهم (كلوا واشربوا) صورته صورة الأمر والمراد الإباحة وقيل إنه أمر على الحقيقة وهو سبحانه يريد منهم الأكل والشرب في الجنة فإنهم اذا علموا ذلك ازداد سرورهم فلا يكون ارادته لذلك عبثا (هنيئًا بما كنتم تعملون) في دار الدنيا أي خالصا من التكبر والهنئي النفع الخالص من شائب الأذى وقيل هو الأذى الذي لا أذى يتبعه (انا كذلك نجزي المحسنين) هذا ابتداء الإختبار من الله تعالى ويقال لهم ذلك أيضا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الوعد ، ثم عاد الكلام الى ذكر المكذبين فقال سبحانه (كلوا) أي يقال لهم كلوا (وتمتعوا) في الدنيا (قليلا) أي تمتعا قليلا أو زمانا قليلا فإن الموت كائن لا محالة (إنكم مجرمون) أي مشركون مستحقون للعقاب (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الوعيد (واذا قيل لهم اركعوا) أي صلوا (لا يركعون) أي لا يصلون قال مقاتل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله بالصلاة فقالوا لا نتحنى والرواية لا نتحنى فإن ذلك سبة علينا فقال **وَلَا يَسْتَعِزُّونَ** لا خير في دين لبس فيه ركوع وسجود وقيل إن المراد بذلك يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون عن ابن عباس (ويل يومئذ للمكذبين) بوجوب الصلاة والعبادات (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي فبأي كتاب بعد القرآن يصدقون ولم يصدقوا به مع اعجازة وحسن نظمه فإن من لم يؤمن به مع ما فيه من الحجمة الظاهرة والآية الباهرة لا يؤمن بغيره .



سورة عم

وتسمى سورة النبا وسورة المعصرات ومنهم من يقول سورة التساؤل وهي مكية

﴿ عدد آياتها ﴾

إحدى وأربعون آية مكية وبصري وأربعون في الباقيين

﴿ اختلافها ﴾

آية واحدة عندنا قريبا مكية بصري

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة وروى عن أبي عبد الله (ع) انه قال من قرأ عم يتساءلون لم يخرج سنه اذا كان يدمنها في كل يوم حتى يزور البيت الحرام

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر القيامة ووعد المكذبين بها افتتح هذه السورة بذكرها وذكر دلائل القدرة على البعث والإعادة فقال

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (٢) عَنِ النَّبَاءِ الْعَظِيمِ (٣) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٤) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٦) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٧) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٨) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٩) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (١٠) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا (١١) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١٢) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٣) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٤) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَجًا (١٥) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٦) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ست عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة عكرمة وعيسى بن عمر عما يتساءلون وقرأ ابن الزبير وابن عباس وقتادة وأنزلنا بالمعصرات

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى اثبات الألف في ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف جر أضعف اللغتين وروينا عن قطرب لسان

علي م قام بشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد

وقال في قوله بالمعصرات اذا انزل منها فقد انزل بها كقولهم أعطيتهم من يدي شيئا وبدي شيئا والمعنى

واحد ومعنى من هنا ابتداء الغاية أي كان مبتدأ العطية من يده

﴿ اللغة ﴾

النبأ الخبر العظيم الشأن ومنه النبي - علي مذهب من يهز والمهاد الوطاء ومهد الشيء تمهيداً أي وطأه توطية والوند المسار إلا أنه أغلظ منه والسبات قطع العمل للراحة ومنه سبت انفه اذا قطعه ومنه يوم السبت أي يوم قطع العمل على ما جرت به العادة في شرع موسى (ع) والوهاج الوقاد وهو المشتعل بالنور العظيم

والمعصرات السحاب تعصر بالمطر كأن السحاب يحمل الماء ثم تعصره الرياح وترسله كل إرسال الماء بعصر الثوب وعصر القوم مطروا والثجاج الدفاعة في انصبابه كنج دماء البدن يقال نججت دمه أتجته نجاً وقد شج الدم يشج ثجوجا وفي الحديث افضل الحج المعج فالعج رفع الصوت بالتلبية والتج اسالة دم الهدي والالغاف الأخلاط المتداخلة بدور بعضها على بعض واحدها لف ولغيف وقيل شجرة لغاء واشجار لف بضم اللام وجنات الغاف

✽ الاعراب ✽

عم اصله عن ما جعل النون ميماً وادغم في الميم وحذفت الألف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه وليحصل الفرق بين الاستفهام والخبر وهذه الحروف التي تسقط معها هذه الألف ثمانية عن تقول عم ومن تقول مم والباء نحو بم واللام نحو لم وفي نحو فيم والي نحو الي م وعلى نحو على م وحتى نحو حتى م قال البصير جامع العلوم النحوي عن النبا العظيم لا يكون بدلا من عم لأنه لو كان بدلا لوجب تكرار ما لأن الجار المتصل بحرف الاستفهام اذا اعيد اعيد مع الحرف المستفهم بها كقولك بكم ثوبك بعشرين أم بثلاثين ولا يجوز بعشرين من غير همزة فإذا كان كذلك كان قوله عن النبا متعلقاً بفعل آخر دون هذا الظاهر .

✽ المعنى ✽

(عم يتساءلون) قالوا لما بعث رسول الله ﷺ وأنهم جوحد الله تعالى وبالبعث بعد الموت ونلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم أي يسأل بعضهم بعضا على طريق الإنكار والتعجب فيقولون ماذا جاء به محمد وما الذي أتى به فأنزل الله تعالى عم يتساءلون أي عن أي شيء يتساءلون قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمراد تفخيم القصة كما تقول أي شيء زيد اذا عظمت شأنه ثم ذكر أن تسألهم عن ماذا فقال (عن النبا العظيم) وهو القرآن ومعناه الخبر العظيم الشأن لأنه ينسب عن التوحيد وتصديق الرسول والخبر عما يجوز وما لا يجوز وعن البعث والنشور وقيل يعني نبا يوم القيامة عن الضحاك وقتادة ويؤيده قوله إن يوم الفصل كان ميقانا وقيل النبا العظيم ما كانوا يختلفون فيه من اثبات الصانع وصفاته والملائكة والرسول والبعث والجنة والنار والرسالة والخلافة فإن النبا معروف بتناول الكل (الذي هم فيه مختلفون) فمصدق به ومكذب (كلا) أي ليس الأمر كما قالوا (سيعلمون) عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الامور (ثم كلا سيعلمون) هذا وعيد على اثر وعيد وقيل كلا أي هما سيعلمون أي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم عن الضحاك وقيل كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة ثم كلا سيعلمون ما ينالهم في جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكراراً ثم نهبهم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال (ألم نجعل الأرض مهاداً) أي وطاء وقراراً مهيئاً للتصرف فيه من غير اذية وقيل مهاداً أي بساطاً عن قتادة (والجبال أوناداً) الأرض لتلا تيمد بأهلها (وخلقناكم أزواجاً) أي اشكالا كل واحد شكل الآخر وقيل معناه ذكرنا واثاناً حتى يصح منكم التناسل ويتمتع بعضكم ببعض وقيل اصنافا اسود وايض وصغيراً وكبيراً الى غير ذلك (وجعلنا نومكم سباتاً) اختلف في معناه على وجوه ✽ احدها ✽ ان معناه وجعلنا نومكم راحة ودعة لأجسادكم ✽ وثانيها ✽ ان المعنى جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وتصرفكم عن ابن الانباري ✽ وثالثها ✽ جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت على الحقيقة ولا مخرجاً عن الحياة والادراك (وجعلنا الليل لباساً)

أي غطاء وستره يستر كل شيء بظلمته وسواده (وجعلنا النهار معاشاً) المعاش العيش أي جعلناه مطلب معاش أي مبتغى معاش وقيل معناه وجعلنا النهار وقت معاشكم لتصرفوا في معاشكم أو موضع معاشكم تبتغون فيه من فضل ربكم (وبيننا فو قكم سبعا) أي سبع سماوات (شداداً) بحكمة احكامها صنعها واوثقنا بناؤها (وجعلنا سراجاً وهاجاً) يعني الشمس جعلها سبجانه سراجاً للعالم وقادماً متلاًلاً بالنور يستضيئون به فالنعمه عامه به لجميع الخلق قال مقاتل جعل فيه نوراً وحراً والوهج يجمع النور والحرق (وانزلنا من المعصرات) أي الرياح ذوات الأعاصير عن مجاهد وقتادة والكسبي وقال الأزهري ومن معناه الباء فكأنه قول بالمعصرات أو ذلك ان الريح تستدر المطر وقيل المعصرات السحاب تنحلب بالمطر عن الربيع وابي العالیه وهو رواية الوابي عن ابن عباس (ماء ثجاجاً) أي صبياً دفاغاً في انصبابه وقيل مدراراً عن مجاهد وقيل متتابعاً يتلو بعضه بعضاً عن قتادة (لنخرج به) أي بالماء (حبا ونباتاً) فالحب كل ما تضمنه كأم الزرع الذي يحصد والنبات الكلاً من الحشيش والزرع ونحوهما فجمع سبحانه بين جميع ما يخرج من الارض وقيل حبا يأكل الناس ونباتاً تنبته الارض مما يسأكله الانعام (وجنات ألفافاً) أي بساكنين ملثقة بالشجر والتقدير ونخرج به شجر جنات ألفافاً لخذف لدلالة الكلام عليه وإنما سمي جنه لأن الشجر يجنحها أي تسترها

قوله تعالى (١٧) **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا** (١٨) **يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا** (١٩) **وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا** (٢٠) **وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا** (٢١) **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا** (٢٢) **لِلطَّاغِينَ مآبًا** (٢٣) **لِبئس ما آتاهم فيها أحقابًا** (٢٤) **لا يذوقون فيها برداً ولا شرباً** (٢٥) **إلا حميماً وغساقاً** (٢٦) **جزاءً وفاقاً** (٢٧) **إنهم كانوا لا يرجون حساباً** (٢٨) **وكذبوا بآياتنا كذاباً** (٢٩) **وكل شيء أحصيناه كتاباً** (٣٠) **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً** (أربع عشرة آية)

❖ القراءة ❖

قرأ أهل الكوفة غير الاعشى والبرجمي وفتحت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ حمزة لبثين بغير الالف والباقون لابثين بالالف والخلاف في غداق مذكور في صـ ورووا عن علي بن ابي طالب «ع» وكذبوا بآياتنا كذاباً خفيفة والقراءة المشهورة وكذبوا بآياتنا كذاباً بالثقل وحكى ابو حاتم في الشواذ عن عبد الله بن عمر كذاباً بضم الكاف وتشديد الذال .

❖ الحجة ❖

قال أبو علي فتحت بالتشديد أوفق لقوله تعالى مفتحة لهم الأبواب ومن حجة التخفيف قوله فتحناعلهم ابواب كل شيء وحجة من قرأ لابثين بالالف مجي المصدر على الالبث فهو من باب شرب يشرب ولقمة بقم وليس من باب فرق بفرق إذ لو كان منه لكان المصدر مفتوح العين فلما اسكن وجب أن يكون اسم الفاعل على فاعل كشارب ولاقم كما كان الالبث كالقم ومن قرأ لبثين جعل اسم الفاعل فعلاً وقد جاء غير حرف من هذا النحو على فاعل وفعل والكذاب مصدر كذب كما أن الكلام مصدر كأم وكذا القياس فيأزاد على الثلاثين تأتي بلفظ الفعل وتزيد في آخره الالف كقوله اكرما وأما التكذيب فزعم سيبويه أن التاء عوض من التضعيف والياء التي قبل الآخر كالالف فأما الكذاب فمصدر كذب قال الاعشى

فصدقته وكذبتة والمرء ينفعه كذابه
فهو مثل كتاب في مصدر كتب وأما الكذاب بضم الكاف فقد قال أبو حاتم لا وجه له إلا أن
يكون كذاب جمع كاذب فينصبه على الحال اي وكذبوا بآياتنا في حال كذبهم قال طرفه
إذا جاء مالا بد منه فمرحبا به حين يأتي لا كذاب ولا علق

❖ اللغة ❖

الميقات انتهى المقدار المضروب لحدوث أمر من الأمور وهو من الوقت كما أن الميعاد من الوعد
والمقدار من القدر والمرصاد هو المعد لا مر على ارتقاب الوقوع فيه قال الأزهري المرصاد المكان الذي يرصد
فيه العدو والأحقاب جمع واحدا حقب من قوله او امضى حقبا اي دهرأ طويلا وقيل واحده حقب بفتح
القاف وواحد الحقبة قال وكنا كندمان جذيمة حقبة من الدهرحتي قيل لن يتصدعا

❖ الاعراب ❖

يوم ينفع منصوب لأنه بدل من يوم الفصل وأفواجا نصب على الحال لا يندوقون فيها برداً جملة ويجوز
أن يكون حالا من لا يئين والتقدير يلبثون غير ذاتين ويجوز أن يكون صفة لقوله احقبا والتقدير احقبا
غير مذوق فيها وجزاء مصدر وضع موضع الحال وكل شيء منصوب بفعل مضمر بفسره قوله احصيناه وكتبا
منصوب على المصدر لأن كتب في معنى أحصى ويجوز أن يكون في موضع الحال أي نكتبه والتقدير احصيناه كاتبين

❖ المعنى ❖

ثم ذكر سبحانه الإعادة والبعث تنبيها على أنه دل بذكر الآيات فيما تقدم على صحة البعث فقال (أن يوم الفصل) أي
يوم القضاء الذي يفصل الله فيه الحكم بين الخلائق (كان ميقاتنا) لما وعد الله من الجزاء والحساب والثواب
والعقاب (يوم ينفع في الصور) قد مر معناه (فأتون أفواجا) أي جماعة جماعة إلى أن تتكلموا وفي القيامة
وقبل زمرأ زمرأ من كل مكان للحساب وكل فريق يأتي مع شكله وقيل إن كل أمة تأتي مع نبيها فلذلك
جاءوا أفواجا أفواجا (وفتحت السماء) أي شقت لنزول الملائكة (فكانت ابوابا) أي ذات أبواب وقيل
صار فيها طرق ولم تكن كذلك من قبل (وسيرت الجبال) أي زابت عن أماكنها وذهب بها (فكانت سرايا)
أي كالسرايا يظن أنها جبال وليست أياها وفي الحديث عن البراء بن عازب قال كان معاذ بن جبل جالسا
قريبا من رسول الله ﷺ في منزل أبي ايوب الانصاري فقال معاذ يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى
يوم ينفع في الصور فأتون أفواجا الآيات فقال يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر ثم أرسل عينيه ثم قال
يحشر عشرة أصناف من امتي أشناتنا قد ميزم الله من المسلمين وبدل صورهم بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثم يسحبون
عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السننهم فيسيل القبح
من أفواههم لعابا يتقدم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار
وبعضهم اشدتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سايغة من قطران لازقة يجلودهم فأما الذين على صورة
القردة فالقتات (١) من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على رؤسهم فأكلة الربا

والعبي الجائزون في الحكم والصم والبكم المعجبون بأعمالهم والذين يمضون بالسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران والمصابون على جذوع من نار فالساعة بالناس إلى السلطان والذين هم أشدتنا من الجيف فالذين ينتمعون بالشهوات واللذات ويمنون حتى الله في أموالهم والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء (إن جهنم كانت مرصاداً) يرصدون به أي هي معدة لهم يرصد بها خزنها الكفار عن المبرد وقبل مرصداً محسباً يحبس فيه الناس عن مقاتل وقيل طريقاً منصوباً على المعاصين فهو مردهم ومنهلم وهذا إشارة إلى أن جهنم المعصاة على الرصد لا يفوتونها (لاطاغين مآباً) أي الذين جاوزوا حدود الله وطفوا في معصية الله مرجحاً يرجعون إليه ومصيراً فكان المجرم قد كان بإجرامه فيها ثم رجع إليها (لا بين فيها أحقاباً) أي ما كثر فيها أزماناً كثيرة وذكر فيها أقوال ﴿ أحدها ﴾ ان المعنى أحقاباً لا انقطاع لها كما مضى حقب جاء بعده حقب آخر والحقب ثمانون سنة من سني الآخرة عن قتادة والربيع ﴿ وثانها ﴾ أن الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً كل حقب سبعون خريفاً كل خريف سبعائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً وكل يوم الف سنة عن مجاهد ﴿ وثالثها ﴾ ان الله تعالى لم يذكر شيئاً الا وجعل له مدة ينقطع إليها ولم يجعل لأهل النار مدة بل قل لا بين فيها أحقاباً فوالله ما هو إلا أنه إذ مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك إلى أبد الأبدين فليس للأحقاب عدة إلا الخلود في النار ولكن قد ذكروا ان الحقب الواحد سبعون الف سنة كل يوم من تلك السنين الف سنة ما نعه عن الحسن ﴿ ورابعها ﴾ أن مجاز الآية لا بين فيها أحقاباً لا يذوقون في تلك الأحقاب برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً ثم يلبثون فيها لا يذوقون غير الحميم والغساق من انواع العذاب فهذا توقيت لانواع العذاب لا لمكثهم في النار وهذا أحسن الاقوال ﴿ وخامسها ﴾ انه يعني به أهل التوحيد عن خالد بن معدان وروى نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقاباً والحقب بضع وستون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم كالف سنة ما تمدون فلا يتكلم احد ان يخرج من النار وروى العياشي بإسناده عن جرير قال سألت ابا جعفر (ع) عن هذه الآية فقال هذه في الذين يخرجون من النار وروى عن الأحول مثله وقوله (لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) يريد النوم والماء عن ابن عباس قال أبو حبيدة البرد النوم هنا وانشد « فيصدي عنها وعن قبلاتها البرد » أي النوم وقبل لا يذوقون في جهنم برداً ينفعهم من حرها ولا شراباً ينفعهم من عطشها عن مقاتل (إلا حميماً) وهو الماء الحار الشديد الحر (وغساقاً) وهو صديد أهل النار (جزاء وفاقاً) أي وافق عذاب النار الشرك لأنها عظيمان فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار عن مقاتل وقيل جوزوا جزاء وفق أعمالهم عن الزجاج وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وفتادة والوفاء الجاري على المقدار فالجزاء وفاق لأنه جار على مقدار الاعمال في الاستحقاق (انهم كانوا لا يرجون حساباً) أي فعلنا ذلك بهؤلاء الكفار لأنهم كانوا لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم محاسبون عن الحسن وفتادة وقيل لا يرجون المجازاة على الاعمال ولا يظنون ان لهم حساباً عن أبي مسلم وقال الهذلي في الرجاء بمعنى الخوف

وخالفها في بيت لوب عوامل

إذا لسته النحل لم يرج لسمها

(وكذبوا بآياتنا) أي بما جاءت به الانبياء وقيل بالقرآن وقيل بحجج الله ولم يصدقوا بها (كذاباً)

أي تكذيباً (و كل شيء احصيناه كتاباً) أي وكل شيء من الاعمال بيناه في اللوح المحفوظ ومثله وكل شيء احصيناه في إمام مبین وقيل معناه وكل شيء من اعمالهم حفظناه لنجازهم به ثم بين ان ذلك الاحصاء والحفظ وقع بالكتابة لأن الكتابة أبليغ في حفظ الشيء من الاحصاء ويجوز ان يكون كتاباً حالاً موكدة أي احصيناه في حال كونه مكتوباً عليهم والكتاب بمعنى المكتوب (فذوقوا) أي قبلوا الكفار ذوقوا ما انتم فيه من العذاب (فلن نزيدكم إلا عذاباً) لان كل عذاب يأتي بعد الوقت الاول فهو زائد عليه

قوله تعالى (٣١) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣٢) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٣) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٤) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٥) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٣٦) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٧) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٨) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٩) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٤٠) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمُرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ قُرْبَانًا عشر آيات

✽ القراءة ✽

قرأ الكسائي ولا كذاباً بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو رب السماوات بالرفع والباقون بالجر وقرأ عاصم وابن عاصم ويعقوب وسهل الرحمن بالجر والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

ولا كذاباً يجوز أن يكون مصدر كذب فيكون معناه ولا كذبا ويجوز ان يكون مصدر كاذبه مكاذبة وكذاباً وبالشديد قد يكون مصدر كذب قال الفراء قال أعرابي في طريق مكة يا باز كريا النصر احب اليك أم الحلق يهد أقصر شعري أم أحلق ومن قرأ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن قطع الاسم الأول من الجر الذي قبله في قوله جزاء من ربك فاجده وجعل الرحمن خبره ثم استأنف لا يملكون منه ومن قرأ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن اتبع الإسمين الجر الذي قبلهما في قوله من ربك ومن قرأ رب السماوات الرحمن اتبع رب السماوات الجر الذي في قوله من ربك واستأنف بقوله الرحمن وجعل قوله لا يملكون خبر قوله الرحمن

✽ اللفظ ✽

الحديقة الجنة المحوطة والجمع حدائق ومنه أحرق القوم بفلان اذا طافوا به ومنه الحدقة لأنه يحيط بها جفنها والأعناب جمع عنب وهو ثمر الكرم قبل ان يجف فإذا جف فهو الزبيب والكواعب جمع الكاعب وهي الجارية التي نهد ثديها والأتراب جمع التراب وهي الأذنة التي تنشأ مع لذتها على سن الصبي الذي يلعب بالتراب والدهاق الكس المتلثة التي لا مزيد فيها وأصل الدهق شدة الضغط ادهمت الكأس ملأها قال «يلذه بكأسه الدهاق» وعطاء حساباً أي كثيراً كافياً يقال أحسبت فلاناً أي اعطيته ما يكفيه حتى قال حسي قال

ونفقي وليد الحلي إن كان حائفاً ونحسه ان كان ليس بجائع

قال الأصمعي يقال حسبت الرجل بالتشديد اي اكرمه وانشد

إذا أتاه ضيفه يحسبه من حاقن أو من صريح يعلبه

✽ الإعراب ✽

حدائق يدل من قوله مفازا بدل البعض من الكل وكذلك ما بعده واترابا صفة لكواعب جزاء منصوب
بمعنى ان للمتقين مفازا أي جازاهم بذلك جزاء وأعطاهم عطاء فإن معنى جازاهم واعطاهم واحد يوم يقوم الروح
ظرف لقوله لا يملكون وقوله صفا منصوب على الحال ويوم ينظر ظرف لقوله عذابا لأنه بمعنى التعذيب

✽ المعنى ✽

ثم عقب سبحانه وعيد الكفار بالوعد للمتقين الأبرار فقال (إن للمتقين) الذين يتقون الله باجتنب
الشرك والمعاصي (مفازا) أي فوزا ونجاة إلى حال السلامة والسرور وقيل المفاز موضع الفوز وقالوا
للمهلكة مفازة على طريق التفاؤل كأنهم قالوا وقيل مفازا منجى إلى منزله وهو النجاة من النار إلى الجنة
ثم بين ذلك الفوز فقال (حدائق واعنابا) يعني أشجار الجنة وثراها (وكواعب اترابا) أي جوارى تكعب
تذهبن مستويات في السن عن قنادة ومعناه استواء الخلق والقامة والصورة والسن حتى يكن منشاكلات
وقيل اترابا على مقدار أزواجهن في الحسن والصورة والسن عن أبي علي الجبائي (وكأسا دهاقا) أي متروعة
مملوكة عن ابن عباس والحسن وقنادة وقيل متتابعة على شاربها أخذ من متابعة الشد في الدهق عن مجاهد وسعيد
ابن جبير وقيل دهادم عن أبي هريرة وقيل على قدر ريم عن مقاتل (لا يسمعون فيها) أي في الجنة (لنوا)
أي كلاما لنوا لا فائدة فيه (ولا كذابا) ولا تكذيب بعضهم لبعض ومن قرأ بالتخفيف يرهق ولا مكاذبة
عن أبي عبيدة وقيل كذبا عن أبي علي الفارسي (جزاء من ربك) أي فعل بالمتقين ما فعل بهم جزاء من
ربك على نصديقتهم بالله ونبية ^{صلى الله عليه وسلم} (عطاء) أي اعطاهم الله عطاء (حسابا) أي كافيا عن أبي عبيدة
والجبائي وقيل حسابا أي كثيراً وقيل حسابا على قدر الاستحقاق وبحسب العمل قال الزجاج معناه ما
يكفيهم أي ان فيه ما يشتهون (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن) مرة ذكره والمعنى أن الذي
يفعل بالموثمين ما تقدم ذكره هو رب السموات والأرض ومدبرها ومدير ما بينها والمتصرف فيها على ما
يشاء الرحمن المنعم على خلقه مؤمنهم وكافرهم (لا يملكون منه خطابا) أي لا يملكون ان يسألوه الا فيما أذن
لهم فيه كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله لا تكلم نفس الا بإذنه والخطاب توجه الكلام الى مدرك
له بصيغة مثبتة عن المراد على طريقة انت وبك قال مقاتل لا يقدر الخلق على ان يكلموا الرب إلا بإذنه (يوم
يقوم الروح والملائكة صفاً) أي في ذلك اليوم اختلف في معنى الروح هنا على أقوال [✽] أحدها [✽] ان
الروح خلق من خلق الله تعالى على صورة بني آدم وليسوا بناس وليسوا بملائكة يقومون صفاً والملائكة
صفاً هؤلاء جند وهؤلاء جند عن مجاهد وقنادة وأبي صالح قال الشعبي هما سباط رب العالمين يوم القيامة
سباط من الروح وسباط من الملائكة [✽] وثانيها [✽] ان الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا اعظم
منه فاذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً وقامت الملائكة معهم صفاً واحداً فيكون خلقه مثل صفهم
عن ابن مسعود وعن عطاء عن ابن عباس [✽] وثالثها [✽] ان أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين
قبل ان ترد الأرواح الى الأسماد عن عطية عن ابن عباس [✽] ورابعها [✽] انه جبريل (ع) عن الضحاك

وقال وهب ان جبرائيل (ع) واقف بين يدي الله عز وجل ترتمد فرائضه يخلق الله عز وجل من كل رعدة مائة الف ملك فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكرو روضهم فاذا اذن الله لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وقال صوابا اي لا اله الا الله وروى علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق (ع) قال هو ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل وخامسها ان الروح بنو آدم عن الحسن وقوله صفا معناه مصطفين (لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن) وهم المؤمنون والملائكة (وقال) في الدنيا (صوابا) اي شهد بالتوحيد وقال لا اله الا الله وقيل ان الكلام ها هنا الشفاعة أي لا يشفعون الا لمن اذن له الرحمن ان يشفع عن الحسن والكليبي وروى معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال سئل عن هذه الآية فقال نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون قال جعلت فداك ما تقولون قال نمجد ربنا ونصلي على نبينا صلى الله عليه وسلم ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا رواه العياشي مرفوعا (ذلك اليوم الحق) الذي لا شك في كونه وحصوله يعني القيامة (فن شاء اتخذ الى ربه ما ياب) اي مرجعا للطاعة والمعنى فن شاء عمل عملا صالحا يوثب الى ربه فقد ازيمحت العمل واوضحت السبل وبلغت الرسل والمآب مفعول من الاوب وهو الرجوع قال عبيد

وكل ذي غيبة يوثب وغائب الموت لا يوثب

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (انا انذرناكم عذابا قريبا) يعني العذاب في الآخرة فان كل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أي ينظر جزاء ما قدمه فان قدم الطاعة انتظر الثواب وان قدم المعصية نظر العقاب وقيل معناه ان كل احد ينظر الى عمله في ذلك اليوم من خير وشر مثبتا عليه في صحيفته فيرجو ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سوء عمله (ويقول الكافر) في ذلك اليوم (يا ليتني كنت ترابا) أي يعني ان لو كان ترابا لا يعاد ولا يحاسب ليتخلص من عقاب ذلك اليوم قال الزجاج ان معنى يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم ابعث قال عبد الله بن عمر اذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجاه من الشاة القرنا التي نطحتها وقال مجاهد يقاد يوم القيامة المنطوحة من الناطحة وقال للقائلان ان الله يجمع الوحوش والموام والطير وكل شيء غير النقاين فيقول من ربكم فيقولون الرحمن الرحيم فيقول لهم الرب بعدما يقضي بينهم حتى يقتص للجاء من القرناء انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين ايام حياتكم فارجعوا الى الذي كنتم كونوا ترابا فنكون ترابا فاذا التفت الكافر الى شيء صار ترابا يتعجب فيقول يا ليتني كنت في الدنيا على صورة خنزير رزقي كرزقه وكنتم اليوم اي في الآخرة ترابا وقيل ان المراد بالكافر هنا ابليس عاب آدم بأن خلق من تراب وافتخر بالنار فيوم القيامة اذا رأى كرامة آدم وولده المؤمنين قال يا ليتني كنت ترابا

سورة النازعات مكة

✽ عدد آياتها ✽

ست وأربعون آية كوفي وخمس في الباقيين

✽ اختلافها ✽

آيتان ولأنعامكم حجازي كوفي طنبي عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة النازعات لم يكن حسبه وحسابه يوم القيامة إلا كقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة وقال ابو عبد الله (ع) من قرأها لم يميت إلا ريان ولم يدخله الجنة إلا ريان

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر أحوال القيامة وأهوالها وافتتح هذه السورة بمثله فقال
بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا (٢) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٣) وَالسَّابِقَاتِ سَبَاحًا (٤) فَالسَّابِقَاتِ سَبَقًا (٥) فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا (٦) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٧) تَتَّبِعُنَّ الرَّادِفَةَ (٨) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٩) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (١٠) يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَ دُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١١) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا تَخْرُجُ (١٢) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٣) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٤) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ
اربع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص وقتيبة ونصير ورويس عن يعقوب ناخرة بالالف والباقون نخرة بغير الف وروى ابو عمرو والدوري وحمدون عن الكسائي ناخرة ونخرة لا ييالي كيف قرأ وفي الشواذ قراءة ابي حنيفة الحفزة بغير الف وقرأ نافع غير قالون ويعقوب انا لمرودودون بهمزة واحدة غير ممدودة اذا كنا بغير استفهام وقرأ ابن عامر والكسائي انا لمرودودون بهمزتين اذا كنا كما تقدم وقرأ ابن كثير انا اذا كنا بالاستفهام فيهما بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة وقرأ عاصم وحجرة وخالف فيهما بهمزتين بهمزتين وقد تقدم ذكر هذا مشروحا في مواضع

﴿ الحجة ﴾

نخرة وناخرة لغتان وقال الفراء النخرة البالية والناخرة المجوفة قال الزجاج ناخرة اكثر وأجود لشبهه اواخر الآتي بعضها ببعض نحو الخاسرة والحافرة وأما الوجه في الحفرة فهو أن يكون اراد الحافرة كقراءة الجعاعة فحذف الألف تخفيفا كما في قوله

اصبح قلبي صردا لا يشتهي ان يردا الا عرادا عردا
أي عاردا

﴿ اللفظة ﴾

الفرق اسم أقيم مقام المصدر وهو الاغراق يقال اغرق في النزاع اذا استوفى في مد القوس وبالغ فيه والنشط النزاع ايضا ومنه حديث ام سلمة فجاها عار وكان أخاها من الرضاعة ونشط زينب من حجرها اي نزعها ونشط الوحش من بلد الى بلد اذا خرج بنشاط والمهوم تنشط بصاحبها اي تخرج به من حال الى حال قال هيبان بن قحافة

اهست همومي تنشط المناشطا الشام بي طوراً وطورا واسطا

وانشطت العقدة حلتها ونشطتها عقدتها قالوا كأنما انشط من عقال والانشوطة العقدة تنحل إذا
مد طرفاها يقال ما عقاله بانشوطة والرجف حركة الشي من تحت غيره بترديد واضطراب والرجفة
الزلزلة العظيمة وارجفوا اي ازعجوا الناس باضطراب الأتور وكل شي تبع شيئا فقد ردفه وأرداف النجوم
تواليها يتبع بعضها بعضاً وأرداف الملوك في الجاهلية الذين يخلفون الملوك والردفان الليل والنهار والوجيف
شدة الاضطراب وقلب واجف مضطرب والوجيف سرعة السير وواجف في السير اسرع وأزعج الركاب
فيه والحافرة بمعنى المحفورة مثل ماء دافق اي مدفوق وقيل الحافرة الأرض المحفورة ورجع الشيخ في
حافرته أي رجع من حيث جاء وذلك كرجوع المهترع قال

أحافرة على صلح وشيب معاذ الله من سفه وعار

أي أرجوعا إلى حال الشباب وأوله ويقال التقد عند الحافر أي لا يزول حافر الفرس حتى ينقد
الثمن لأنه لكرامته لا يباع نسيئة ثم كثر حتى قيل في غير الحافرة . والساهرة وجه الأرض والعرب تسمي
وجه الأرض من الغلاة ساهرة أي ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفا منها قال امية بن ابي الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر اي وفيها صيد البر والبحر وقال آخر

فإنما قصرك ترب الساهرة ثم تعود بعدها في الحافره

❖ الاعراب ❖

جواب القسم محذوف على تقدير ليعثن وقيل الجواب في ان في ذلك لميرة يوم ترجف الراجفة نصب
بأذكر وان شئت كان نصبا بدلول قوله قلوب يومئذ واجفة على تقدير يوم ترجف الراجفة رجفت قلوبهم
ويكون يومئذ بدلا من يوم ترجف الراجفة

❖ المعنى ❖

(والنازعات غرقا) اختلف في معناها على وجوه ❖ أحدها ❖ انه يعني الملائكة الذين ينزعون
ارواح الكفار عن ابدانهم بالشدة كما يفرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المدى وروي ذلك عن علي (ع)
ومقاتل وسعيد بن جبير وقال مسروق هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم وقيل هو الموت ينزع النفوس عن
بجاهد وروي ذلك عن الصادق (ع) ❖ وثانيها ❖ انها النجوم تنزع من افق إلى افق أي تطلع وتغرب عن الحسن
وقتادة وابي عبيدة والأخفش والجبائي قال ابو عبيدة تنزع من مطالعها وتغرب في مغاربها ❖ وثالثها ❖
النازعات القسي تنزع بالسهم والناشطات الازهاق عن عطاء وعكرمة وعلى هذا فالقسم بفاعلها وهم الغزاة
المجاهدون في سبيل الله (والناشطات نشطا) في معناها اقوال ❖ أحدها ❖ ما ذكرناه ❖ وثانيها ❖ انها
الملائكة تنشط ارواح الكفار بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من اجوافهم بالكرب والنعيم عن علي (ع)
والنشط الجذب يقال نشطت الدلو نشطانزعة ❖ وثالثها ❖ انها الملائكة تنشط انفس المؤمنين فتقبضها كما
تنشط العقال من يد البعير اذا حل عنها عن ابن عباس وحكى الفراء هذا القول ثم قال والذي سمعت من
العرب ان يقولوا كأنما انشط من عقال ونشطت الجبل رباعته وانشطته حلكته ❖ ورابعها ❖ انها انفس المؤمنين

عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ما من مؤمن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى موضعه فيها وازواجه من الحور العين فنفسه تنشط ان تخرج عن ابن عباس **☆** وخامسها **☆** انها النجوم تنشط من افق الى افق أي تذهب يقال حمار ناشط عن قتادة والأخفش والجبائي (والسابحات سبحا) فيها أقوال **☆** احدها **☆** انها الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين بسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابع بالشيء في الماء يرمي به عن علي (ع) والكافي **☆** وثانيها **☆** انها الملائكة ينزلون من السماء مسرعين وهذا كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع في جريه عن مجاهد وابي صالح **☆** وثالثها **☆** انها النجوم تسبح في فلكها عن قتادة والجبائي وقيل هي خيل الغزاة تسبح في عدوها كقوله والماديات ضبجا عن ابي مسلم وقيل هي السفن تسبح في الماء عن عطاء (فالسابقات سبحا) فيها أقوال ايضا **☆** احدها **☆** انها الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير والايان والعمل الصالح عن مجاهد وقيل انها تسبق الشياطين بالوحي الى الأنبياء وقيل إنها تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة عن علي (ع) ومقاتل **☆** وثانيها **☆** انها انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى رحمة الله لقاء ثوابه وكرامته عن ابن مسعود **☆** وثالثها **☆** انها النجوم يسبق بعضها بعضا في السير عن قتادة والجبائي **☆** ورابعها **☆** انها الخيل يسبق بعضها بعضا في الحرب عن عطاء وابي مسلم (فالمدبرات امراء) فيها أقوال ايضا - احدها انها الملائكة تدبر امر العباد من السنة الى السنة عن علي (ع) - وثانيها - ان المراد بذلك جبرئيل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام يدبرون أمور الدنيا فأما جبرئيل فهو كل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فهو كل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فهو كل يقبض الانفس وأما اسرافيل فهو ينزل بالأمم عليهم عن عبد الرحمن بن سابط - وثالثها - انها الأفلاك يقع فيها امر الله تعالى فيجري بها القضاء في الدنيا رواه علي بن ابراهيم اقسم الله تعالى بهذه الأشياء التي عددها وقيل تقديره ورب النازعات وما ذكر بعدها وهذا ترك للاظهار بنير دليل وقد قال الباقر والصادق (ع) ان لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وليس خلقه ان يقسموا إلا به والوجه في ذلك انه سبحانه يقسم بخلقه للتنبية على موضع العبارة فيه لأن القسم يدل على عظمة شأن المقسم به وجواب القسم محذوف فكأنه سبحانه اقسم فقال وهذه الأشياء لتبعن ولتحاسبن (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلائق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا تمخض (تتبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية تعقب النفخة الأولى وهي التي يبعث معها الخلق وهو كقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فإذا هم قيام ينظرون ويوم منصوب على معنى (قلوب يومئذ واجفة) يوم تُرجف الراجفة ومعنى الراجفة الشديدة الاضطراب ايضا وهذا معنى قول الحسن وقاتدة وغيرهما قبل معناه يوم تضطرب الأرض اضطرابا شديدا وتحرك تحركا عظيما يعني يوم القيامة تتبعها الرادفة اي اضطرابه اخرى كأنه بعد الأولى في موضع الردف من الراكب فلا تزال تضطرب حتى تفنى كلها وقال ابن عباس معنى الراجفة خائفة والمراد بذلك اصحاب القلوب يعني أنها قلقة غير هادئة ولا ساكنة لما عاينت من أهوال يوم القيامة (أبصارها خاشمة) أي ذليلة من هول ذلك اليوم قال عطاء يريد ابصار من مات على غير الاسلام (يقولون أنا نارا مرددون في الحفرة) اي يقول هولاء المنكرون لا تمت من شركي قريش وغيرهم في الدنيا إذا قيل لهم انكم مبعوثون من بعد الموت انرد إلى أول

حالتنا وابتداء. أمرنا فنصير أحياء. كما كنا والحافرة عند العرب اسم لأول الشيء وابتداء الأمر. قال ابن عباس والسدي الحافرة الحياة الثانية وقيل الحافرة الأرض المحفورة والمعنى نؤد من قبورنا بعد موتنا أحياء. (إذا كنا عظاما نخرة) أي بالية مفتتة والمعنى أنهم أنكروا البعث فقالوا أنرد أحياء. إذا متنا وتفتتت عظامنا يقال نخر العظم ينخر فهو ناخر ونخر (قالوا أتاك إذا كرة خاسرة) أي قال الكفار تلك الكرة الكائنة بعد الموت كرة خسرة ومعنا، إن أهلها خاسرون لأنهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب النار والخاسر الذاهب رأس ماله وإنما قالوا كرة خاسرة على معنى أنه لا يجي منها شيء كالخسران الذي لا يجي منه فائدة فكانتهم قالوا هي كالخسران بذهاب رأس المال لا يجي به تجارة فكذلك لا تجي بتلك الكرة حياة وقيل معناه إن كان الأمر على ما يقوله محمد من أن نبعث ونعاقب فتلك كرة ذات خسرة علينا ثم اعلم سبحانه سهولة البعث عليه فقال (فإنما هي) يعني النفخة الأخيرة (زجرة واحدة) أي صيحة واحدة من اسرافيل يسمونها وهم أموات في بطون الأرض فيحيون وهو قوله (فلوذا هم بالساهرة) وهي وجه الأرض وظهورها من الحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وقيل أنها سميت الأرض ساهرة لأن عملها في النبت في الليل والنهار دائب ولذلك قيل خير المال عين خراة في أرض خوارة نهر ذات وتشهد إذا فبت ثم صارت اسما لكل أرض وقيل المراد بذلك عرصة القيامة لأنها أول مواقف الجزاء وهم في سهر لا نوم فيه

قوله تعالى (١٥) هل أتيتك حديث موسى (١٦) إذ ناديه ربه بالواد المقدس طوى (١٦)
 إذ ذهب إلى فرعون إنه طغى (١٧) فقل هل لك إلى أن تزكى (١٩) وأهديك إلى ربك فتحشى
 (٢٠) فأرية الآية الكبرى (٢١) فكذب وعصى (٢٢) ثم أذبر بسعى (٢٣) فحشره نادى (٢٤)
 فقال أنا ربكم الأعلى (٢٥) فأخذه الله نكال الآخرة والأولى (٢٦) إن في ذلك لعبرة
 لمن يخشى اثنتا عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز والبصرة طوى بغير تنوين والباقرن بالتنوين وقرأ أهل الحجاز وعباس وبعقوب تركى بتشديد الزاء والباقرن بتخفيفها

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي قال أبو عبيدة طوى مضمومة الالول ومكسورة فمن لم ينون جعله اسما مؤنثا ومن نون جعله مثل ثنى على معنى المقدس مرة بعد مرة وروي عن الحسن أنه قرأ طوى بكسر الطاء. وقال وطوي بالبركة والتقديس مرتين كما قال طرفة
 اعاذل ان اللوم في غير كنهه
 علي طوى من فيك المتردد
 أي أن لومك مكرر علي قال أبو علي من لم يصرف طوى احتمل قوله لمرين ﴿ حدهما ﴾ أنه جعله اسم بلدة أو بقعة أو يكون معدولا كزفر ومسرور من صرف احتمل أيضا لمرين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون جعله اسم موضع أو بلد أو مكان ﴿ والآخر ﴾ أن يكون مثل زحل وعطيم ولكم وقوله تركى معناه تطهر من الكفر والابتداء محذوف من اللفظ مراد في المعنى والتقدير هل لك إلى ذلك حاجة أو اربة قال الشاعر

فهل لكم فيها إلى فإنني طبيب بما اعيبى النطاسي حديثا

ومن قال تركى أراد تركى فأدغم تاء الفعل في الزاء لتقاربها ومن خفف حذف التاء التي أثبتها من ادغم وتخفيفها بالحذف أشبه

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة موسى (ع) فقال (هل أزيك) يا محمد حديث موسى استفهام يراد به التقرير (إذ ناديه ربه) أي حين ناداه الله ودعاه فالتداء الدعاء بطريقة يا فلان فالمعنى قال له يا موسى (بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) اسم واد من مجاهد وقتادة وقيل طوي بالتقديس مرتين وهو الموضع الذي كلم الله فيه موسى (أذهب إلى فرعون انه طغى) أي علا وتكبر وكفر بالله وتجاوز الحد في الاستعلاء والتشرد والفساد (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي تتطهر من الشرك وتشهد ان لا إله إلا الله عن ابن عباس وهذا تلطف في الاستدعاء ومعناه هل الرغبة الى ان تعلم وتصلح وتطهر (واهديك إلى ربك) أي وأدلك إلى معرفة ربك وانه خلقك وربك وقيل واهدك أي ارشدك الى طريق الحق الذي إذا سلكته وصلت إلى رضا الله وثوابه (فتخشى) أي فتخافه فتتأرق ما نهاك عنه وفي الكلام حذف تقديره فأثاه ودعاه (فأريه الآية الكبرى) يعني العصا وقال الحسن هي اليد البيضاء (فكذب) بأنها من الله (وعصى) نبي الله ووجد نبرته (ثم أدير) فرعون أي ولي السدير ليطلب ما يكسر به حجة موسى في المعجزة العظيمة فما ازداد إلا غواية (يسمى) أي يعمل بانفساد في الارض وقيل إنه لما رأى الحية في عظمها خاف منها فأدير وسمى عرباً عن الجاني (فحشر) أي فجمع قومه وجنوده (فنادى) فيهم (فقال اتاربكم الاعلى) أي لارب فوقي وقيل معناه انا الذي اتال بالضرر من شئت ولا يناني غيري وكذب اللعين انا هذه صفة الله الذي خلقه وخلق جميع الخلائق وقيل انه جعل الاصنام أرباباً فقال أنا ربها وربكم (فأخذ الله نكال الآخرة والاولى) نكال مصدر مؤنك لأن معنى اخذه الله نكل به نكال الآخرة والاولى بأن اغرق في الدنيا ويعذبه في الآخرة وقيل معناه فعاقبه الله بكلمته الآخرة وكلمته الاولى فالآخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من آله غيري فنكل به نكال هاتين الكلمتين وجاء في التفسير عن أبي جعفر (ع) انه كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل انه انا ناداهم فقال انا ربكم الاعلى فامنعوني من هذا الثعبان ولم يعلم الجهال أن من يخاف ضرر حية ويستعين بأمثاله لا يكون لآهلاً ومن وهب عن ابن عباس قال قال موسى (ع) يارب انك امهات فرعون اربعمائة سنة وهو يقول انا ربكم الاعلى ويجحد رسلك ويكذب باياتك فأوحى الله تعالى اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت أن اكافيه وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ قال جبرئيل (ع) قلت يارب قدع فرعون وقد قال أنا ربكم الاعلى فقال انا يقول هذا مثلك من يخاف الموت (ان في ذلك) الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى (عبرة) أي لعظة (لمن يخشى) الله تعالى ويخاف عقابه ونقمته ودلالة يمكن أن يعتبر بها العاقل ويميز بين الحق والباطل

النظم

وجه اتصال قصة موسى (ع) بما قبلها انه لما تقدم ذكر المكذبين اللاتبيين المنكرين للبعث عقبه بحديث موسى وتكذيب قومه اياه وما قاساه من الشدائد تسلية لنبينا ﷺ وعدة له بالنصر وحثا اياه على الصبر اقتداء بموسى وتحذيراً لقومه أن يقل بهم ما نزل باوتك وعظة بهم وتأكيذا للحجة عليهم

قوله تعالى (٢٧) انتم اشد خلقا ام السماء بنيتها (٢٨) رفح سمكها فسويها (٢٩) وأغطش ليلها وأخرج ضحيتها (٣٠) والأرض بعد ذلك دحيتها (٣١) أخرج منها ماءها ومرعيها (٣٢) وألجبال أرسيا (٣٣) متاعا لكم ولانما مكتم (٣٤) فإذا جاءت الطامة الكبرى (٣٥) يوم يتذكر الإنسان ما سعى (٣٦) وبرزت الجحيم لمن يرى (٣٧) فأما من طغى (٣٨) وآثر الحيوه

الذنب (٣٩) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٤٠) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤١)
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤٢) بِسْأَلِنَاكَ عَنِ السَّاعَةِ أَبَانَ مُرْسِيهَا (٤٣) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا
(٤٤) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهِيهَا (٤٥) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا (٤٦) كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرَوْنَهَا نَمَّ يَلْبَسُوا
إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحِيهَا
عشرون آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر والعباس عن العياشي عن أبي عمرو وإذ انت منذر بالتونين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة الحسن
ومعرو بن عبيد والجلال ارساها بالرفع وقراءة مجاهد والارض مع ذلك دحاها وقراءة مكرمة وبرزت الجحيم
لمن ترى باتا.

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي حجة التنوين في قوله انما انت منذر ان اسم الفاعل هنا للحال ويدل عليه قوله قل انما انذركم بالرحمي
فليس المراد انذر فيما استقبل وانما يقول انذر في الحال واسم الفاعل على قياس الفعل ومن اضاف استخف فحذف
التنوين كما حذف من قوله فلما رأوه عارضا مستقبلا ودينهم ونحو ذلك مما جاء على لفظ الاضافة والمراد به الانفصال
ويجوز ان يكون منذر من على نحو هذا ضارب زيدا امس لأنه قد فعل الانذار ومن قرأ والجلال ارساها بالرفع
فإنه مثل قراءة من قرأ والظالمون اعد لهم وقد تقدم بيانه ومن قرأ والارض مع ذلك فلمله قال ذلك تفسيراً
للقراءة المشهورة لأنه ليس الغرض فيه ترتيب الزمان وانما الغرض اجتماعهما اعني السوات والارض في الحلق
لا في ان زمان الفعلين واحد وهذا كقولك فلان كريم فيقول السامع وهو مع ذلك شجاع اي قد اجتمع له
الوصفان واما قوله لمن ترى باتا. المفتوحة فيمكن ان يكون عطفاً للذي ^{سئل} والمراد لمن ترى يا محمد من
الناس فأشار إلى البعض وغرضه الجنس والجحيم كقول لبيد

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

فأشار إلى جنس الناس ونحن نعلم انه ليس جميعهم شاعداً حاضرا له وبمكن ان يكون التاء. في ترى للجحيم
أي لمن تراء النار

﴿ اللمعة ﴾

السك الارتقاع وهو مقابل الحق لأنه ذهاب الجسم بالتأليف إلى جهة العلو وبالعكس صفة العمق
والمسوكات السوات لارتقاعها ومنه قول امير المؤمنين (ع) يا داعم المسوكات قال الفرزدق

إن الذي سدك السهائب بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

والتسوية جعل احد الشيتين على مقدار الآخر في نفسه أو في حكمه والنعش الظلمة وأعطشه الله اظلمه
والاغتش الذي في عينه شبه العمش وفلاة غطشا. لا يهتدى فيها والدحو البسط دعوت ادحو دحوا ودحيت
ادحي دحيا لتنان قال امية بن ابي الصلت

دار دحاها ثم اعمر بابها واقام بالاخري التي هي امجد

وقال اوس

ينفي الحصى عن جديد الارض مبرك كأنه فاحص او لاعب داح
والطامة العالية الغالبة يقال هذا أطم من هذا أي اعلى منه وطم الطائر الشجرة علاها وتسمى الداهية التي
لا يستطيع دفعها طامة

* الاعراب *

والأرض منصوب بفعل مضر الذي ظهر تفسيره وكذا قوله والجبال ارساها متاعا لكم مفعول له لأن المعنى لا يتاعكم ويجوز أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله أخرج منها ماؤها ومرماها امتع بذلك وقوله فإن الجحيم هي المأوى وتقديره هي المأوى له قال الزجاج وقال قوم الألف واللام بدل من الضمير العائد أي هي مأواه والمراد أن المعنى يؤول إلى التي هي مأواه لأن الألف واللام بدل من الما. وهذا كما يقول الإنسان غرض الطرف يا هذا فليس الألف واللام بدلا من الكاف وان كان المعنى غرض طرفك لأن المخاطب يعرف انك لا تأمره بنقض طرف غيره قال

فغض الطرف إنك من نمير فلا سمعدا بلغت ولا كلابا

وكذلك المعنى في الآية وجراب إذا في قوله فإذا جاءت الطامة الكبرى في قوله فأما من طمى وما بعده فإن المعنى إذا جاءت الطامة الكبرى فإن الامر كذلك وقوله او ضحاها اضاف الضحى إلى العشية والغداة والعشي والضحوة والضحى لليوم الذي يكون فيه فإذا قلت أتيتك صباحا ومساء ومساواة وصباحة فالعنى أتيتك صباحا ومساء. يلي الصباح واتيتك مساء وصباحا يلي المساء. وتقول اتيتك العشية وغداتها

* المعنى *

لما قدم سبحانه ما أتى به موسى وما قابله به فرعون وما عوقب به في الدارين عظة لمن كان على عهد رسول الله ﷺ وتحذيرا لهم من المثلث خاطر عقب ذلك منكري البعث فقال (أنتم) أيها المشركون المشركون للبعث (أشد خلقا ام السماء) يعني أخلقكم بعد الموت اشد عندكم وفي تقديركم ام السماء. وهما في قدرة الله تعالى واحد وهذا كقوله خلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس ثم ابتداء فيين سبحانه كيف خلق السماء. فقال (بنها) الله تعالى الذي لا يكبر عليه خلق شي (رفع سمكها) سققها وما ارتفع منها (فسورها) بلا شقرق ولا فطور ولا تفاوت وقيل سواها احكمها وجعلها متصرفا للثلاثة (واغطش ليها) أي اظلم لها عن ابن عباس ومجاهد وقادة (واخرج ضجيجا) أي ابرز نهارها وإنما اضاف الليل والضحى إلى السماء لأن منها منشأ الظلام والضياء بغروب الشمس وطلوعها على ما دبرها الله عز وجل (والارض بعد ذلك دحها) أي بعد خلق السماء بسطها من الدح وهو البسط قال ابن عباس ان الله تعالى دحا الارض بعد السماء وان كانت الارض خلقت قبل السماء وكانت روية مجتمة تحت الكمية فبسطها وقال مجاهد والسدي معناه والارض مع ذلك دحاها كما قال مثل بعد ذلك زعيم أي مع ذلك (اخرج منها) أي من الارض (ماها) والمعنى فجر الانهار والبحار والعيون عن ابن عباس (ومرصها) مما يأكل الناس والانعام بين سبحانه بذلك جميع المناقم المتعلقة بالارض من المياه التي بها حياة كل شي من الحيوانات والاشجار والثلج والحبوب والعيون عن ابن عباس وبها يحصل جميع الارزاق والنبات التي تصلح للمواشي فهي ترعاه بأن تأكله في موضعه (والجبال ارسها) أي اثبتها في اوساط الارض (متاعا لكم ولا نعماكم) أي خلق سبحانه الارض واخرج منها المياه والمرامي واثبت الجبال بما فيها من انواع المعادن لمنفعتكم ومنفعة انعامكم تنتمون بها ولما دل سبحانه بهذه الاشياء على صحة البعث وصف يوم البعث فقال (فإذا جاءت الطامة الكبرى) وهي القيامة لأنها تطم على كل داهية هائلة أي تملو وتقلب ومن ذلك يقال ما من طامة الا وفوقها طامة والقيامة فوق كل طامة فهي الداهية العظيمة قال الحسن هي النفخة الثانية وقيل هي الناشئة الغليظة المججلة التي تدقق الشئ بالتلاظ وقيل ان ذلك حين يساق اهل الجنة إلى الجنة واهل النار إلى النار (يوم يتذكر الانسان ما سعى) أي تجبى الطامة في يوم يتذكر الانسان ما عمله من خير او شر (وبرزت الجحيم) أي اظهرت النار (لمن يرى) فيراها الخلق مكشورا عنها الغطاء. ويصرونها مشاهدة (فأما من طمى) أي تجاوز الحد الذي

حده الله له وارتكب المعاصي (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة (فلن الجحيم هي المأوى) له والإبصار إرادة الشيء على طريقة التفضيل له على غيره (وأما من خاف مقام ربه) أي خاف مقام مسألة ربه عما يجب عليه فعله أو تركه (ونهى النفس عن الهوى) أي عن المحارم التي تشبهها وتهواها وقيل ان الرجل يهيم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها عن مقاتل (فإن الجنة هي المأوى) له أي هي مقره ومأواه ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (يستلونك عن الساعة أبان مرسبها) أي متى يكون قيامها ثابتة على ما وصفتها (فيم أنت من ذكرها) أي لست في شيء من علمها وذكرها والمعنى لا تعلمها قال الحسن أي ليس عندك علم بوقتها وإنما تعلم أنها تكون لا محالة وقيل معناه ليس هذا مما يتصل بما بعثت لأجله فإنما بعثت داعيا وقيل أنها من حكاية قولهم والمعنى أنك قد أكثرت من ذكرها فمتى يكون (إلى ربك منتهبها) أي قبل لهم إلى الله اجراؤها والمنتهى موضع بلوغ الشيء فكأنه قيل إلى أمر ربك منتهى أمرها بإقامتها لأن منتهى أمرها بذكرها ووصفها والإقرار بها إلى الرسول ومنتهى أمرها بإقامتها إلى الله لا يقدر عليها إلا هو سبحانه وقيل معناه إلى ربك منتهى نيلها أي لا يعلم وقتها إلا هو عن الحسن (إنما أنت منذر من يخشيها) أي إنما أنت مخوف من يخاف قيامها أي إنما ينفع اندارك من يخافها فأما من لا يخشاها فكأنك لم تنذره (كأنهم يوم يرونها أي يعاينون القيامة لم يلبثوا) في الدنيا (إلا عشيبة أو ضحبا) أي الا قدر آخر نهار وأوله ومثله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وقد مر بيانه وقيل ان معناه أنهم اذا رأوا الآخرة صغرت الدنيا في أعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها إلا مقدار عشيبة أو مقدار ضحى تلك العشيبة عن قتادة

سورة عبس

وتسمى سورة السفره مكية

﴿ عدد آياتها ﴾

اثنان وأربعون آية حجازي كوفي واحدى وأربعون بصري وأربعون شامي والمدني الاول

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات ولأنعامكم حجازي كوفي إلى طعامه غير يزيد الصاخة غير الشامي

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر وروى معاوية بن وهب عن ابي عبد الله (ع) قال ومن قرأ سورة عبس وتولى واذا الشمس كورت كان تحت (؟) الله من الجنان وفي ظل الله وكرامته في جنانه ولا يعظم ذلك على ربه عز وجل

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر انذاره من يخشى القيامة افتتح هذه السورة بذكر انذاره قوما يرجو اسلامهم واعراضه عن يخشى فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) عبس وتولى (٢) أن جاءه الأعمى (٣) وما يدريك لعله يزكى (٤) أو يذكر فتنعه الذي كرى (٥) أما من استغنى (٦) فانت له تصدى (٧) وما عليك ألا

يزكى (٨) وأما من جاءك يسعى (٩) وهو يخشى (١٠) فأنت عنه تلهي (١١) كلا إنها ذو كبر (١٢) فمن شاء ذكره (١٣) في صحف مكرمة (١٤) مرفوعة مطهرة (١٥) بأيدي سفرة (١٦) كرام بررة (١٧) قتل الإنسن ما أكفره (١٨) من أي شيء خلقه (١٩) من نطفة خلقه فقدره (٢٠) ثم السبيل يسره (٢١) ثم أماته فأقبره (٢٢) ثم إذا شاء أنشره (٢٣) كلا لما يقض ما أمره ثلاث وعشرون آية

✽ القراءة ✽

قرأ عاصم غير الأعمى والبرجي فتنغمه بالنصب والباقون بالرفع وقرأ أهل الحجاز تصدى بالتشديد والباقون تصدى بتخفيف الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن أن جاءه وقراءة أبي جعفر الباق (ع) تصدى بضم التاء وفتح الصاد وتلقى بضم التاء أيضاً وقراءة أبي حياة وشعيب بن أبي حمزة نشره بغير ألف

✽ الحجة ✽

قال أبو علي من قرأ فتنغمه بالرفع عطفه على ما تقدم من المرفوع ومن قرأ بالنصب فعله أنه جواب بالغاء لأن المتقدم غير موجب فكان قوله تعالى يذكر المعطوف على يزكى في معنى له يكون منه تذكير فالتفاع وكذا قوله لعلي أبلغ الأسباب اسباب الساعات فاطلع وقوله تصدى أي تعرض فن قرأ بتشديد الصاد ادغم التاء في الصاد ومن قرأ بالتخفيف أراد تصدى فحذف التاء ولم يدغمها وقرأ ابن فليح والبري عن ابن كثير تلهي بتشديد التاء على أنه شبه المنفصل بالمتصل وجاز وقوع الساكن بعد اللين كما جاز تمود الثوب في المتصل وحكى سيبويه فلا تاجوا ومن قرأ أن جاءه بلفظ الاستفهام فتقديره الآن جاءه الأعمى وكان ذلك منه فعلق أن يفعل بمحذوف دل عليه عبس وتولى وأما على القراءة المشهورة فإن جاءه في موضع نصب بتولي لأنه الفعل الأقرب منه فكانه قال تولى لاجبي الأعمى وهو مفعول له ومن قرأ تصدى فالمعنى يدعوك داع من زينة الدنيا وبشارتها إلى التصدي له والاقبال عليه وعلى ذلك قوله تلهي أيضاً أي تصرف عنه ومن قرأ نشره فعله أنه لغة في أنشره

✽ التفة ✽

التصدي التعرض للشيء كعرض الصديان للماء والصحف جمع صحيفة والعرب تسمي كل مكتوب فيه صحيفة كما تسميه كتاباً رقاً كان أو غيره والسفرة الكتابة لاسفار الحكمة واحدهم سافر وواحد الاسفار سفر واصله الكشف من قولهم سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها وسفرت القوم إذا اصلحت بينهم قال

وما أدع السفارة بين قومي وما امشي بعش إن مشيت

والبررة جمع بار وهو فاعل البر والبر فعل النفع اجتلاباً للودة واصله اتساع النفع ومنه البر سمي به نفاوياً باتساع النفع به واقبره جعل له قبراً فالأقبار جعل القبر لدفن الميت فيه ويقال اقبرني فلانا أي اجعلني اقبره والقابر الدافن للميت بيده قال الأعمى:

لو اسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للمعيت الناشر
والانشار الاحياء للتصرف بعد الموت كشر الثوب بعد الطي

✽ الاعراب ✽

ثم السبيل يسره انصب السبيل بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر تقديره ثم يسر السبيل يسره له أي
للإنسان ثم حذف الجار والمجرور وقوله كلاً لما يقض ما أمره أي ما أمره به فحذف الباء فصار التقدير ما
أمره هو به فحذف الاول فصار ما أمره فالهاء الباقية لما الموصولة والهاء المحذوفة للإنسان .

✽ النزول ✽

قيل نزلت الآيات في عبد الله بن أم مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من
بني عامر بن لوئي وذلك انه اتى رسول الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس
بن عبد المطلب وأبياً وامية ابني خلف يدعوهم الى الله ويرجو اسلامهم فقال يا رسول الله اقرني وعلمي مما
عليك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري انه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه
رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هو لا الصناديد انما اتباعه العميان والعيبد فأعرض عنه
واقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه
ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وقال انس بن مالك فرأيت يوم
القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ليس في ظاهر الآية دلالة
على توجهه الى النبي ﷺ بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه وفيها ما يدل على ان المعنى بها غيره لأن
العبوس ليس من صفات النبي ﷺ مع الاعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم الوصف بأنه
ينصدى للاغنياء وينتهي عن الفقراء لا يشبه اخلاقه الكريمة ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه
ﷺ وانك لعل خلق عظيم وقوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فالظاهر ان قوله
عبس وتولى المراد به غيره وقدر يروي عن الصادق (ع) انها نزلت في رجل من بني امية كان عند النبي ﷺ فجاء
ابن ام مكتوم فلما رآه تقدر منه وجمع نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك وانكره
عليه فان قيل فلو صح الخبر الاول هل يكون العبوس ذنباً أم لا فالجواب ان العبوس والانسباط مع الاعمى
سواء اذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنباً فيجوز ان يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه ﷺ بأخذه
بأوفر محاسن الاخلاق وبينه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد ويعرفه ان تأليف المؤمن ليقم على ايمانه
اولى من تأليف المشرك طمعاً في ايمانه وقال الجبائي في هذا دلالة على ان الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان
الذمى فأما في الماضي فلا يدل على انه كان معصية قبل ان ينهى عنه والله سبحانه لم ينه الا في هذا الوقت
وقيل ان ما فعله الاعمى نوعاً من سوء الادب فحسن تأديبه بالايعراض عنه الا انه كان يجوز ان يتوم انه
اعرض عنه لفقره واقبل عليهم لرياستهم تعظيماً لهم فماتبه الله سبحانه على ذلك وروي عن الصادق (ع) انه
قال كان رسول الله ﷺ اذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال مرحبا مرحبا لا والله لا يعاتبني الله
فبك أبداً وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي ﷺ مما يفعل به

* المعنى *

(عبس) اي بسر وقبض وجهه (وتولى) اي اعرض بوجهه (ان جاءه الأعمى) اي لان جاءه الأعمى (وما يدريك لعله) أي لعل هذا الأعمى (يزكى) يتطهر بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (أو يذكر) أي يذكر فيتعظ بما يعلمه من مواضع القرآن (فتنتفه الذكري) في دينه قالوا وفي هذا لطف من الله عظيم لنبه ^{تعالى} إذ لم يخاطبه في باب العبوس فلم يقل عبست فلما جاوز العبوس عاد الى الخاطب فقال وما يدريك ثم قال (أمان استغنى) اي من كان عظيمًا في قومه واستغنى بالمال (فأنت له تصدى) اي تتعرض له وتقبل عليه بوجهك (وما عليك الا يزكى) اي أي شيء يلزمك ان لم يسلم ولم يتطهر من الكفر فإنه ليس عليك الا البلاغ (واما من جاءك يسمي) اي يعمل في الخبر يعني ابن ام مكتوم (وهو يخشى) الله عز وجل (فأنت عنه تلهي) اي تتغافل وتشتغل عنه بغيره (كلا) اي لا تعد لذلك وانزجر عنه (إنها تذكرة) اي ان آيات القرآن تذكرك وموعظة للخلق (فمن شاء ذكره) اي ذكر التزليل او القرآن أو الوعظ والمعنى فمن شاء ان يذكره ذكره وفي هذا دلالة على ان العبد قادر على الفعل مخير فيه وقوله كلا فيه دلالة على انه ليس له ان يفعل ذلك في المستقبل واما الماضي فلم يتقدم النهي عن ذلك فيه فلا يكون معصية ثم اخبر سبحانه بجلاله قدر القرآن عنده فقال (في صحف مكرمة) اي هذا القرآن أو هذه التذكرة في كتب معظمة عند الله وهي اللوح المحفوظ عن ابن عباس وقيل يعني كتب الانبياء المنزلة عليهم كقوله ان هذا نفي الصحف الاولى (مرفوعة) في السماء السابعة وقيل مرفوعة قد رفعها الله عن دنس الانجاس (مطهرة) لا يمسها الا المطهرون وقيل مصونة عن ان تنالها ايدي الكفرة لأنها في ايدي الملائكة في اعز مكان عن الجبائي وقيل مطهرة من كل دنس عن الحسن وقيل مطهرة من الشك والشبهة والتناقض (بأيدي سفرة) يعني الكتبة من الملائكة عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني السفراء بالوحي بين الله تعالى وبين رسله من السفارة وقال قتادة هم القراء يكتبونها ويقرأونها وروى فضيل بن يسار عن الصادق عليه السلام قال الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة ثم اثني عليهم فقال (كرام) على ربههم (بررة) مطيعين وقيل كرام عن المعاصي يرفعون انفسهم عنها بررة اي صالحين متقين وقال مقاتل كان القرآن ينزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر الى الكتبة من الملائكة ثم ينزل به جبريل (ع) الى النبي ^{صلى الله عليه وسلم} ثم ذكر سبحانه المكذبين بالقرآن فقال (قتل الإنسان) اي عذب ولعن الانسان وهو اشارة الى كل كافر عن مجاهد وقيل هو امية بن خلف عن الضحاك وقيل هو عتبة بن ابي لهب اذ قال كفرت برب النجم اذا هوى (ما اكفره) اي ما أشد كفره وما أبين ضلاله وهذا تعجب منه كأنه قد قال تعجبوا منه ومن كفره مع كثرة الشواهد على التوحيد والايان وقيل ان ما الاستفهام اي أي شيء اكفره وأوجب كفره عن مقاتل والكافي فكانه قال ليس ها هنا شيء يوجب الكفر ويدعو اليه فالذي دعاه اليه مع كثرة نعم الله عليه ، ثم بين سبحانه من امره ما كان ينبغي معه ان يعلم ان الله خلقه فقال (من اي شيء خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير وقيل معناه لم لا ينظر الى أصل خلقته من اي شيء خلقه الله ليده على وحدانية الله تعالى ثم فرس فقال (من نطفة خلقه فقدره) اطوارا نطفة ثم علقه الى آخر خلقه وعلى حد معلوم من طوله وقصره وسمعه وبصره وحواسه واعضائه ومدة عمره ورزقه وجميع احواله (ثم السبيل يهره) اي ثم يسر سبيل الخروج من

بطن امه حتى خرج منه عن ابن عباس وقتادة وذلك ان رأسه كان الى رأس امه وكذلك رجلاه كانتا
إلى رجلها فقلبه الله عند الولادة لسهل خروجه منها وقبل ثم السبل اي سبيل السدين يسره وطريق الخير
والشر بين له وخبره ومكنه من فعل الخير واجتناب الشر ونظيره وهدياته التجدين عن مجاهد والحسن
وابن زيد (ثم امانته) اي خلق الموت فيه وقبل ازال عنه حياته (فأقبره) اي صيره بحيث يقبره وجعله
ذا قبر عن ابي مسلم وقيل جعله مقبوراً ولم يجعله ممن يلقي الى السباع والطير عن الفراء وقيل امر
بأن يقبر عن ابي عبيدة (ثم اذا شاء انشره) اي احياء من قبره وبعثه اذا شاء تعالى ان يجيبه للجزاء
والحساب والثواب والعقاب عن الحسن (كلا) أي حقاً (لما يقض) أي لم يقض (ما امره) الله به من
اخلاص عبادته ولم يؤد حق الله تعالى عليه مع كثرة نعمه قال مجاهد هو على العموم في الكافر والمسلم لم
يعبده أحد حق عبادته

قوله تعالى (٢٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٥) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٦) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ
شَقًّا (٢٧) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٨) وَعَسَبًا وَقَضَبًا (٢٩) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٣٠) وَحَدَائِقَ غَلَبًا (٣١)
وَفَكْهَةً وَأَبًا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِ كُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ (٣٤) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ
أَخِيهِ (٣٥) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٦) وَصَجِيئِهِ وَبَنِيهِ (٣٧) لِكُلِّ أُمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٨)
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٩) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٤٠) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَافِرَةٌ (٤١)
تَرَاهُمْ قَائِرَةٌ (٤٢) أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ نَسْعَ عَشْرَةَ آيَةً

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة انا صببنا بالفتح والباقون بالكسر وفي الشواذ قراءة ابن مجيستن بعينه بالعين وفتح الباء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من كسر كان ذلك تفسيراً للنظر الى طعامه كما ان قوله لهم مغفرة تفسير للوعد ومن فتح
فقال انا فالعنى على البدل بدل الاشتمال لأن هذه الأشياء مشتملة على كون الطعام وحدوثه فهو من نحو
يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه وقتل اصحاب الاخدود النارذات الوقود وقوله وما اتانته الا الشيطان
ان اذ كره لأن الذكر كالمشتمل على المذكور ومعنى الى طعامه الى كون طعامه وحدوثه وهو موضع
الاعتبار قال ابن جني قوله بعينه بالعين قراءة حسنة الا ان قراءة الجماعة اقوى معنى فإن الانسان قد
بعينه الشيء ولا بعينه عن غيره الا ترى ان من كان له الف درهم فيؤخذ منها مائة درهم بعينه امرها ولا
بعينه عن بقية ماله ان يمتد به ويراعيه فأما اذا اغناه الأمر عن غيره فإن ذلك اقوى فاعرفه
الحديقة البستان المحوط وجمعه حدائق ومنه قولهم احذق به القوم اذا احاطوا به والغلب الغلاظ شجرة
غلباء غليظة قال الفرزدق

فويل ابن المراغة ما استنارا

عوى فأنار اغلب ضيغيا

والأب المرعى من الحشيش وسائر النبات الذي ترعاه الأنعام والدواب ويقال أب الى سيفه فاستله

اي بدر اليه وهب اليه فيكون كبدور المرعى بالخروج قال الاعشى
صرمت ولم اصرمكم وكصارم
أخ قد طوى كشحاً وأب ليذها
وقال في الأب

جد مناقيس ونجد دارنا ولنا الأب بها والمكروع
والصاخة الصاكة لشدة صوتها الآذان فتصمها والتترة ظلمة الدخان ومنه القنار ربح الشواء لأنها
كالدخان

✽ الاعراب ✽

فاذا جاءت الصاخة العامل في الظرف في قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه اي ثبت لكل امرئ
منهم ذلك في وقت مجيء الصاخة

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الذي يأكله ويتقوته
من الأطعمة الشهية اللذيذة كيف خلقها سبحانه وهبها لرزق عباده ليفكر كيف مكّنه من الانتفاع بذلك
ثم بين فقال (أنا صيينا الماء صبا) اي نزلنا الفيث انزالاً (ثم شققنا الأرض شققاً) بالنبات (فأنبتنا فيها) اي
في الأرض (حباً) اي جنس الحبوب التي يتغذى بها وتدخر (وعنباً) خص العنب لكثرة منافعه (وقضباً) وهو
القت الرطب يقضب مرة بعد اخرى يكون علفاً للدواب عن ابن عباس والحسن (وزيتوناً) وهو ما يعصر
عنه الزيت (ونخللاً) جمع نخلة (وحدائق غلباً) اي وبساتين محوطة تشتمل على أشجار عظام غلاظ مختلفة
وقيل غلباً ملتفة الشجر عن مجاهد (وفاكهة) يعني سائر ألوان الفواكه (وأباً) وهو المرعى والكلأ الذي
لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام وقيل ان الأب للأنعام كالفاكهة للناس (متاعاً) أي منفعة (لكم ولأنعامكم)
مر معناه ثم ذكر يوم القيامة فقال (فاذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة عن ابن عباس سميت بذلك
لأنها تصنع الآذان اي تبالغ في اساعها حتى تكاد تصمها وقيل لأنها يصيح لها الخلق اي يستمع وقد قلب
حرف التضعيف باء الكراهية التضعيف فقالوا صاح كما قالوا نظنبت في نظنت وتقضى البازي في تقضض ثم
ذكر سبحانه في أي وقت تجيء الصاخة فقال (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبه) أي وزوجته
(وبنيه) اي اولاده المذكور اي لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لعظم ما هو فيه وشغله بنفسه وان كان في
الدنيا يعثنى بشأنهم وقيل يفر منهم جذراً من مطالبهم اياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم وقيل لعلمه بأنهم
لا ينفعونه ولا يفتنون عنه شيئاً ويجوز ان يكون مؤمناً واقرباؤه من اهل النار فيعاديهم ولا يلتفت اليهم
أو يفر منهم لئلا يرى ما نزل بهم من الهوان (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) اي لكل انسان منهم
امر عظيم يشغله عن الأقراباء ويصرفه عنهم ومعنى يغنيه يكفيه من زيادة عليه اي ليس فيه فضل لغيره لما
هو فيه من الأمر الذي قد اكتنفه وملا صدره فصار كالغني عن الشيء في امر نفسه لا ينازع اليه وروي
عن عطاء بن يسار عن سودة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس عراة حفاة
عزلاً يلجمهم العرق ويبلغ شحمة الآذان قالت قلت يا رسول الله واسوأناه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل
الناس عن ذلك وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ثم قسم سبحانه احوال الناس في ذلك

اليوم فقال (وجوه يومئذ مسفرة) اي مشرقة مضيئة (ضاحكة مستبشرة) من سرورها وفرحها بما اعد لها من الثواب واراد بالوجوه اصحاب الوجوه (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي سواد وكآبة اللهم (ترهتها) أي تلوها وتفشاها (قتره) أي سواد أو كسوف عند معاينة النار وقيل ان الغبرة ما انحطت من السماء الى الارض والقتره ما ارتفعت من الأرض الى السماء عن زيد بن اسلم (أولئك هم الكفرة) في أديانهم (الفجرة) في افعالهم واستدل الخوارج بذلك على ان من ليس بمؤمن لا بد ان يكون كافرا فإن الله سبحانه قسم الوجوه هذين القسمين ولا تعلق لهم به لأنه سبحانه ذكر هنا قسمين من الوجوه متقابلين وجوه المؤمنين ووجوه الكفار ولم يذكر وجوه الفساق من أهل الصلاة فيجوز ان يكون لها صفة اخرى بأن يكون عليها غبرة لا تفشاها قتره او يكون عليها صفرة او لون آخر

سورة كورت

ومنهم من يقول سورة التكوبر مكية

﴿ عدد آياتها ﴾

تسع وعشرون آية

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة اذا الشمس كورت اعاده الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من احب ان ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت وروى ابو بكر قال قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله اسرع اليك الشيب قال شيتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فأما ما روي عن انس انه سئل هل اختضب رسول الله ﷺ فقال ما شأنه الشيب فقبل او شين هوبا أبا حمزة فقال كلكم يكرهه فالوجه فيه انه يجوز ان يكون المراد بقوله شيتني أنه لو كان امر يشيب منه انسان لثبت من قراءة هذه السطور وقد روي أن علياً (ع) لما غسل رسول الله ﷺ وجد في لحيته شعرات بيضا وما لا يظهر الا بعد التفطيش لا يكون شيبا

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة عبس بذكر يوم القيامة وأهوالها افتتح هذه السورة ايضا بذكر علاماتها وأحوالها فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (٢) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٣) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٤) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٥) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٦) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٧) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٨) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ (٩) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (١٠) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١١) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَبَابِيطُ سُيِّرَتْ (١٣) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ (١٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ اربع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير واهل البصرة سجرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ اهل المدينة وابن عامر وعاصم وبعقوب وسهل نشرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ اهل المدينة وابن عامر ورويس وعاصم وغير يحيى وحامد سمعت بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابو جعفر قنلت بالتشديد والباقون بالتخفيف وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) واذا المودة سئلت بفتح الميم والواو وروي ذلك عن ابن عباس ايضا وروي عن امير المؤمنين (ع) واذا المودة سئلت بأي ذنب قنلت وهو قراءة ابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد وابي الضحى وجابر بن زيد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة سجرت قوله والبحر المسجور وقيل في البحر المسجور انه الفارغ والمعتلى ومن المعتلى قول الشاعر في صفة رحل

إذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والساسيا

وحجة تشديد نشرت قوله صحفا منشرة وحجة سمعت بالتخفيف قوله وكفى بجهنم سعيراً فسيب فعمل بمعنى مفعول وهذا انما يجي من فعل وحجة من قال سجرت أن الفعل مسند الى ضمير كثيرة من باب غلقت الابواب وحجة نشرت خفيفة قوله في رق منشور وحجة سمعت مشددة كما خبت زدناهم سعيراً فهذا يدل على كثرة وشي بعد شي فحقه التشديد ومن قرأ واذا المودة سألت بفتح السين جعل المودة موصوفة بالسؤال وبالقول بأي ذنب قنلت ويمكن ان يكون الله سبحانه اكلها في تلك الحال واقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول وبعضه ما روي عن النبي ﷺ انه قال يجي المعتلى ظلاً يوم القيامة وأوداجه شخب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقاً بقائله يقول يا رب سل هذا فيم قنلني ومن قرأ قنلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل لأن المراد بالمودة هنا الجنس فإعادة التكرار جائزة واما من قرأ المودة بفتح الميم والواو فالمراد بذلك الرحم والقربة وأنه يسأل قاطعها عن سبب قطعها وروي عن ابن عباس انه قال هو من قتل في مودتنا أهل البيت (ع) وعن ابي جعفر (ع) قال يعني قرابة رسول الله ﷺ ومن قتل في جهاد وفي رواية اخرى قال هو من قتل في مودتنا وولايتنا

﴿ اللفظة ﴾

التكوير التلغيف على جهة الاستدارة ومنه كور العمامة كرت العمامة على رأسي اكورها كوراً وكورتها تكويراً وطلعت فكوره اذا القاه مجتمعا ونعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة والانكدار انقلاب الشيء حتى يصير اعلاه أسفله بما لو كان ماء لتكدر واصله الانصباب قال العجاج « ابصر خربان فضاء فانكدر » والمشار جمع عشراء وهي الناقة التي قد اتى عليها عشرة أشهر من حملها والناقة اذا وضعت لثام ففي سنة واصل السجر الملاء قال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها

أي مملوء وتنور مسجور مملوء بالنار والموودة وأدا يندوآد وكانت العرب تئد البنات خوف الإملاق قال قتادة جاء قيس بن عاصم التميمي الى النبي ﷺ فقال اني وأدت ثمانى بنات في الجاهلية فقال

فاعتق عن كل واحدة رقبة قال اني صاحب ابل قال فاهد الى من شئت عن كل واحدة بدنة قال الجبائي انما سميت موودة لأنها ثقلت في التراب الذي طرح عليها حتى ماتت وهذا خطأ لأن الموودة من وأديد معتل الغاء ومن الثقل آده يؤده اثقله وهو معتل العين ولو كانت مأخوذة منه لقبيل موودة على وزن معوودة وروى عن النبي ﷺ انه سئل عن العزل فقال ذاك الواد الخفي قال الفرزدق

ومنا الذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم تؤاد

وقال

ومنا الذي احيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا غالب والاقارع

والكشط القلع عن شدة التزاق والكشط والقشط واحد وفي حرف عبد الله وإذا السماء قشقت والتعبير تهبج النار حتى تتأجج ومنه السعرا لأنه حال يهبج الثمن بالارتفاع والانحطاط

✽ الاعراب ✽

ارتفعت الشمس بفعل مضمر تقديره إذا كورت الشمس كورت ولا يجوز اظهاره لأن ما بعده يفسره وإنما احتيج إلى اضمار فعل لأن في إذا معنى الشرط والشرط يقتضي الفعل وجواب إذا قوله علت نفس ما احضرت فإذا في موضع النصب لأنه ظرف لعلت وعلى هذا يجري امثاله والجملة التي هي الفعل المحذوف مع فاعله بعد إذا في موضع جر بإضافة إذا اليها والتقدير وقت تكوُّب الشمس تعلم كل نفس ما عملته وتجرى به وعلى هذا فثنا اثنا عشر ظرفاً كلها اضافة الى الجمل من قوله اذا الشمس كورت الى قوله وإذا الجنة ازلفت والعامل فيها كلها قوله علت نفس ما احضرت

✽ المعنى ✽

اخبر الله سبحانه عن القيامة وشدائدها فقال (إذا الشمس كورت) أي ذهب ضوءها ونورها فأظلمت واطمحلَّت عن ابن عباس وأبي ومجاهد وقناة وقيل القيت ورمي بها عن أبي صالح والربيع بن خيثم وقيل جمع ضوءها ولغت كما تلف العامة عن الزجاج والمعنى ان الشمس تكور بأن يجمع نورها حتى تصير كالكرة الملقاة ويذهب ضوءها ويحدث الله تعالى للعباد ضياء غيرها (وإذا النجوم تنكدرت) أي تساقطت وتناثرت عن مجاهد وقناة والربيع بن خيثم يقال انكدر الطائر من الهواء إذا انقض وقيل تغيرت من الكدورة عن الجبائي والاول اولى لقوله واذا الكواكب انتثرت الا ان تقول يذهب ضوءها ثم تنثرت (واذا الجبال سهرت) عن وجه الارض فصارت هباء منبثا وسرابا (واذا العشار) وهي النوق الحوامل اتت عليها عشرة اشهر وبعد الوضع تسمى عشارا ايضا وهي انفس مال عند العرب (عطلت) أي تركت هملا بلا راع وقيل العشار السحاب فلعطل فلا تمطر عن الجبائي وحكي ذلك عن أبي عمرو قال الازهري لا اعرف هذا في اللغة (واذا الوحوش حشرت) أي جمعت حتى يقتص بعضها من بعض فيقتص للجاء من القرناء ويحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل اليها ما تستحقه من الاعواض على الآلام التي نالتها في الدنيا ويتتصف بعضها من بعض فإذا وصل اليها ما استحقته من الاعواض فمن قال ان العوض دائم تبقى منعمة الى الابد ومن قال تستحق العوض منقطعا فقال بعضهم يديه الله لها تفضلا لئلا يدخل على المعوض غم بانقطاعه وقيل بعضهم اذا فعل الله بها ما استحقته من الاعواض جعلها ترابا (وإذا البحار سجرت) أي ارسل عذبا على مالهما

ومالها على عذبا حتى امتلأت وقيل إن المعنى فجر بعضها في بعض فصارت البحور كلها بجرا واحدا ويرتفع البرزخ عن مجاهد ومقاتل والضحاك وقيل سجرت ابي اوقدت فصارت نارا تضطرم عن ابن عباس وقيل بيست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة عن الحسن وقنادة وقيل ملئت من القيق والصديد الذي يسيل من ابدان اهل النار في النار وأراد بحار جهنم لأن بحور الدنيا قد فثيت عن الجبائي (واذا النفوس زوجت) اي قرن كل واحد منها الى شكاه وضمه اليه والنفس يعبر بها عن الانسان وقد يعبر بها عن الروح فالمعنى قرن كل انسان بشكله من اهل النار وبشكله من اهل الجنة عن عمر بن الخطاب وابن عباس ومجاهد والحسن وقنادة وقيل معناه ردت الارواح الى الاجساد فتصير احياء عن عكرمة والشعبي وابي مسلم وقيل يقرن الغاوي بمن اغواه من انسان او شيطان عن الجبائي وقيل زوجت اي قرنت نفوس الصالحين من المؤمنين بالخور العيرت وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين عن عطاء ومقاتل (واذا الموءودة سئلت) يعني الجارية المدفونة حيا وكانت المرأة اذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فان ولدت بتا رمت بها في الحفرة وإن وادت غلاما حبسته عن ابن عباس قال شاعرهم

سميتها إذا ولدت تموت وانقر صهر ضامن زميت

ومعنى قوله سئلت (بأبي ذنب قنلت) ان الموءودة تسأل فيقال لها بأبي ذنب قنلت ومعنى سؤلها توبخ قاتنها لأنها تقول قنلت بغير ذنب ويجري هذا مجرى قوله سبحانه لعيسى (ع) أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله على سبيل التوبيخ لقومه واقامة الحجية عليهم عن الفراء وقيل ان معنى سئلت طواب قاتنها بالحجة في قتلها وسئل عن سبب قتلها فكأنه قيل والموءودة يسأل قاتنها بأبي ذنب قنلت هذه ونظيره قوله ان العهد كان مسوولا ولا آي مسوولا عنه عن أبي مسلم وعلى هذا فيكون القتلة هنا هم المسوولين على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسوولة عنها (وإذا الصحف نشرت) يعني صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها أعمال أهلها من خير وشر تنشر ليقراها اصحابها ولتظهر الاعمال فيجازوا بحسبها (وإذا السماء كسفت) أي أزيلت عن موضعها كالجلد يزال عن الجزور ثم يطويها الله وقيل معناه قلمت كما يقلع السقف عن الزجاج وقيل كسفت عن فيها ومعنى الكسفت رفك شيئا عن شيء قد غطاه كما يكسفت الجلد عن السنام (وإذا الجحيم سعرت) اوقدت واضمرت حتى ازدادت شدة على شدة وقيل سمرها غضب الله وخطايا بني آدم عن قنادة (وإذا الجنة ازلفت) أي قربت من أهلها للدخول وقيل قربت بما فيها من النعيم فيزداد المؤمن سرورا ويزداد أهل النار حسرة (علمت نفس ما أحضرت) أي إذا كانت هذه الاشياء التي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كل نفس ما وجدت حاضرا من عملها كما قالوا احمدته وجدته محمودا وقيل علمت ما احضرته من خير وشر واحضار الاعمال مجاز لأنها لا تبقى والمعنى انه لا يشذ عنها شيء فكان كما حاضرة وقيل أن المراد صحائف الاعمال

قوله تعالى (١٥) فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٦) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ (١٧) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ (١٨) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٢٠) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢١) مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ (٢٢) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٣)

وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَيْبِنِ (٢٤) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٥) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٦) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٧) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٨) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خمس عشرة آية

❖ القراءة ❖

قرأ أهل البصرة غير سهل وابن كثير والكسائي بظنين بالطاء والباقون بضنين بالضاد

❖ الحجة ❖

الظنين المنتهم من قولهم ظننت أي اتهمت لا من ظننت المتعدي إلى مفعولين إذ لو كانت منه لكان لا بد من ذكر المفعول الثاني وفي أنه لم يذكر المفعول الآخر دلالة على أنه من ظننت بمعنى اتهمت وكان النبي ﷺ يعرف بالأمين وبذلك وصفه أبو طالب في قوله

ان ابن آمنة الامين محمدا عندي بمثل منازل الاولاد

ومن قرأ بضنين فهو من البخل والمعنى انه يخبر بالغب فيبينه ولا يكتمه كما يمنع الكاهن من اعلام ذلك حتى يأخذ عليه حلواناً

❖ اللفظة ❖

الخنس جمع خانس والكنس جمع كنس وأصلها السن والشيطان خناس لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى أي يذهب ويستتر وكناس الطير والوحش بيت يتخذه ويخفي فيه والكواكب تكنس في بروجها كالظباء تدخل في كناسها وعمس الليل إذا قبل من اوله وأظلم وعمس إذا أدير وهو من الاضداد قال علقمة بن قروط حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعمسا

والعمس طلب الشيء بالليل ومنه اخذ العمس ويقال عمس الليل وسمع

❖ الاعراب ❖

انه لقول رسول كريم جواب القسم ثم وصف الرسول باوصاف الى قوله أمين ثم قال وما صاحبكم بمجنون وهو معطوف على جواب القسم وكذلك ما بعده وقوله فأين تذهبون اعتراض قال الفراء تقول العرب إلى أين تذهب وأين تذهب وتقولون ذهبت الشام وخرجت الشام وانطلقت السوق سمعناه في هذه الاحرف الثلاثة وانشد الفراء

تصيح بنا حنيفة إذ رأتنا وأي الأرض تذهب للصباح

يريد إلى أي الأرض ولم يحك سبويه من هذا إلا ذهبت الشام وعلى هذا جاء فأين تذهبون والمعنى فألى أين تذهبون وقوله إن هو إلا ذكر للعالمين جواب القسم أيضاً وقوله وما تشاؤون داخل في جواب القسم أيضاً وقوله لمن شاء منكم بدل من قوله للعالمين بدل البعض من الكل فإذا السورة كلها مركبة من فعل وفاعل ومن قسم وأجوبة

❖ المعنى ❖

ثم أكد سبحانه ما تقدم بالقسم فقال (فلا أقسم) أي فأقسم ولا زايدة وقد ذكرنا اختلاف العلماء

فيه عند قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس) وهي النجوم تخنس بالنهار وتبدو بالليل (والجواري) صفة لها لأنها تجري في أفلاكها (الكنس) من صفتها أيضا لأنها تكنس أي تنوارى في بروجها كما تنوارى الأطباء في كناسها وهي خمسة أنجم زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد عن علي (ع) وقيل معناه انها تخنس بالنهار فتختفي ولا ترمى وتكنس في وقت غروبها فهذا خنوسها وكوسها وقيل هي مقر الوحش عن ابن مسعود وقيل هي الأطباء عن ابن جبير (والليل إذا عمس) أي إذا أدير بظلامه عن علي (ع) وابن عباس ومجاهد وقناة وقيل أقبل بظلامه عن الحسن وقيل أظلم عن الجاني (والصبح إذا تنفس) أي إذا أسفر وأضاء والمعنى امتد ضوءه حتى يصير نهاراً (انه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم أي ان القرآن قول رسول كريم على ربه وهو جبرئيل وهو كلام الله تعالى أنزله على لسانه أي سمعه محمد من جبرئيل ولم يقله من قبل نفسه عن الحسن وقناة وقيل إننا أضافه الى جبرئيل لأن الله تعالى قال لجبرئيل أنت محمد صلى الله عليه وسلم وقوله كذا ثم وصف جبرئيل (ع) فقال (ذي قوة) أي فيما كلف وأمر به من العلم والعمل وتبليغ الرسالة وقيل ذي قدرة في نفسه ومن قوته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها (عند ذي العرش مكين) معناه متمكن عند الله صاحب العرش وخالقه رفيع المنزلة عظيم القدر عنده كما يقال فلان مكين عند السلطان والمكانة القرب (مطاع ثم) أي في السماء نطيعه ملائكة السماء قالوا ومن طاعة الملائكة لجبرئيل انه أمر خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتح لمحمد صلى الله عليه وسلم أبوابها فدخلها ورأى ما فيها وأمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر إليها (أمين) أي على وحي الله ورسالاته إلى أنبيائه وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبرئيل (ع) ما أحسن ما أتيتك عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فما كانت قوتك وما كانت أمانتك فقال اما قوتي فأني بعثت إلى مدين لوط وهي أربع مدين في كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع اهل السموات اصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويتهم فقلبتهم واما امانتي فأني لم أوامر بشي فعدوته إلى غيره ثم خاطب سبحانه جماعة الكفار فقال (وما صاحبكم) الذي يدعوكم إلى الله واخلاص طاعته (بمجنون) والمجنون المغطى على عقله حتى لا يدرك الامور على ما هي عليه للآفة العارمة له وبغمور الآفة يتميز من النائم لأن النوم ليس بأفة وهذا ايضا من جواب القسم اقسام الله عز اسمه ان القرآن نزل به جبرائيل وان محمداً صلى الله عليه وسلم ليس على ما يرميه به اهل مكة من الجنون (ولقد رآه بالأفق المبين) أي رأى عمداً صلى الله عليه وسلم جبرائيل (ع) على صورته التي خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس وهو الافق الأعلى من ناحية المشرق عن قناة ومجاهد والحسن (وما هو على الغيب بضنين) أي ليس هو على وحي الله تعالى وما يخبر به من الاخبار بينهم فإن احواله ناطقة بالصدق والأمانة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابراهيم والضحاك ومن قرأ بالضاد فالمعنى انه ليس ببخيل فيما يؤدى عن الله ان يعلمه كما علمه الله (وما هو بقول شيطان رجيم) رجمه الله باللعنة عن الحسن وقيل رجم بالشهب طرداً من السماء والمعنى وليس القرآن بقول شيطان رجيم القاه اليه كما قال المشركون ان الشيطان بلقي إليه كما بلقي إلى الكهنة ثم يكتمهم الله سبحانه فقال (فأين تذهبون) أي بأي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقتي التي قد بينت لكم عن الزجاج وقيل معناه فأين تعدلون عن هذا القرآن وهو الشفاء والهدى (إن هو إلا ذكر للعالمين) معناه ما القرآن إلا عظة وتذكيرة للخلق يمكنهم ان يتوصلوا به إلى الحق والذكر هو ضد السهو

والذاكر لا يخلو من ان يكون عالما او جاهلا او مقلدا او شاكا ولا يصح شي من ذلك مع السهو الذي يصاد الذكر (لمن شاء منكم ان يستقيم) على امر الله وطاعته ذكر سبحانه انه ذكر لجميع الخلق على العموم ثم خص المستقيم لان المنفعة راجعة اليهم كما قال انما اتذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين) فيه اقوال * احدها * ان معناه وما تشاؤون الاستقامة على الحق الا ان يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها وكفكم بها فمشيئته بين يدي مشيئتم عن الجبائي * وثانيها * انه خطاب للكفار والمراد لا تشاؤون الا ان يشاء الله ان يبرئكم عليه ويلجأكم اليه ولكنه لا يفعل لانه يريد منكم ان تؤمنوا اختيارا لتستحقوا الثواب ولا يريد ان يجعلكم عليه عن ابي مسلم * وثالثها * ان المراد وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان يطف لكم في الاستقامة لما في الكلام من معنى النعمة

سورة انفطرت

وتسمى سورة لانفطار مكة تسع عشرة آية

* فضلها *

ابي بن كعب قال قال النبي ﷺ ومن قرأها اعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعده كل قطرة مائة حسنة وأصلح الله شأنه يوم القيامة وروى الحسن بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ هاتين السورتين اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت وجعلها نصب عينه في صلاة الفريضة والنافلة لم يحجبه من الله حجاب ولم يحجزه من الله حاجز ولم يزل ينظر الى الله وينظر الله اليه حتى يفرغ من حساب الناس

* تفسيرها *

لما كانت السورة المتقدمة في ذكر احوال يوم القيامة افتتح سبحانه هذه السورة بمثل ذلك ليتصل بها اتصال النظر بالنظير فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (٢) وَإِذَا الْكُوفُ انشَرتْ (٣) وَإِذَا الْجِبَارُ فُجِرَتْ (٤) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ (٥) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٦) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ (٧) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّيَكَ فَعَدَّلَكَ (٨) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٩) كَلَّا بَلْ تُكذِبُونَ بِالَّذِينَ (١٠) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١١) كِرَامًا كَتِيبِينَ (١٢) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٣) إِنَّ الْآيَاتِ لَنِي تَعِيمِ (١٤) وَإِنَّ الْفُجَارَ لَنِي جَعِيمِ (١٥) هَصلَوْهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٦) وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (تسع عشرة آية)

* الترامه *

قرأ اهل الكوفة وابو جعفر فمدلك خفيفة والباقون بالتشديد وقرأ ابو جعفر بل يكذبون بالياء والباقون باللام

وقرأين كثير واهل البصرة يوم لا تملك بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة سعيد بن جبير ما اغرك بربك

❖ الحجة ❖

اما عدلك بالتشديد فمعناه عدل خلفك فاخرجك في احسن تقويم واما عدلك بالتخفيف فمعناه عدل بعضك ببعض فكنت معتدل الخلقه متناسبا فلا تفاوت فيها وقوله يكذبون بالياء يكون اخبارا عن الكفار وبالهاء على خطابه واما وجه الرفع في قوله يوم لا تملك نفس انه خبر مبتدأ محذوف اي هو يوم لا تملك والمعنى يوم الدين يوم لا تملك نفس واما النصب فإنه لما قال وما ادريك ما يوم الدين فجرى ذكر الدين وهو الجزاء قال يوم لا تملك يعني الجزاء يوم لا تملك نفس فصار يوم لا تملك خبر الجزاء المضمرا لأنه حدث وتكون اسما الزمان اخبارا عن الحدث ويموز النصب على وجه آخر وهو ان اليوم لما جرى في اكثر الامر ظرفا ترك على ما كان يكون عليه في اكثر امره والسدليل على ذلك ما اجتمع عليه القراء والعرب في قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك وما يقوي النصب في ذلك قوله وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار يغنون فالنصب في يوم لا تملك نفس مثل هنا ونحوه قال ابو الحسن ولو رفع ذلك كله كان جيدا الا أنا نختار ما عليه الناس واما من قرأ ما أغرك فيجوز ان يكون معناه ما الذي دعاك الى الاغترار به ويموز أن يكون تعجبا وقد قيل في قوله فما اصبرم على النار هذان الوجهان واغرك يموز أن يكون من الفر والفرارة فيكون معناه ما اجهلك وما اغفلك عما يراد بك ويموز أن يكون من الترور على غير القياس كما قيل في المثل اشغل من ذات النحيين

❖ اللفظة ❖

الانفطار والانشقاق والانصداع نظائر والانتثار تساقط الشيء في الجهات والتفجير خرق بعض مواضع الماء الى بعض على التكثير ومنه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج الى كثير من الذنوب ومنه الفجر لانفجاره بالضياء وبشرت الحوض وبجثرته اذا جعلت اسفله اعلاه والبعثرة والبعثرة اثاره الشيء بقلب باطنه الى ظاهره والترور ظهور امر يتوهم به جهلا الأمان من المحذور يقال غره غرورا واغتره اغترارا قال الحرث بن حنظلة لم يغرركم اغرورا ولكن رفع الآل جمعهم والضحا.

❖ الاعراب ❖

قوله في اي صورة ما شاء يجوز ان تكون ما مزيدة مؤسدة والمعنى في اي صورة شاء ربك اما طويلا واما قصيرا واما كذا وكذا ويكون ربك عطفًا على عدلك فحذف الواو ويجوز ان يكون ما في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى في اي صورة ما شاء ان يربك فيها ربك ولا يكون على هذا قوله في اي صورة من صلواتك لك لأن سيويه قال ان تضرب زيدًا اضرب عمرا ولا يجوز تقديم عمرو على ان فوجب ان يكون قوله في اي صورة من صلواتك مضمورا ولا يكون من صلواتك لأنه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله - يصلونها في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون في موضع رفع فيكون خبرا لأن خبرا بعد خبر والتقدير ان الفجار في جحيم صالون

* المعنى *

(إذا السماء انفطرت) أي انشقت وتقطعت ومثله يوم تشقق السماء بالنفث الآتية (وإذا الكواكب
انتشرت) أي تساقطت وتهاوت قال ابن عباس سقطت سودا لا ضوء لها (وإذا البحار فجرت) أي فتح
بعضها في بعض عذبها في ملحها وملحها في عذبها فصارت بحرا واحدا عن قتادة والجبائي وقيل معناه ذهب ماؤها عن
الحسن (وإذا القبور بعثرت) أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها وقيل معناه بحثت عن الموتى فأخرجوا
منها يريد عند البعث عن ابن عباس ومقاتل (علمت نفس ما قدمت وأخرت) وهذا كقوله سبحانه ينبؤ
الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقد مر ذكره عن عبد الله بن مسعود قال ما قدمت من خير أو شر وما أخرت
من سنة حسنة أستن بها بعده فله أجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء أو سنة سيئة عمل بها بعده
فعلية وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ويؤيد هذا القول ما جاء في الحديث ان سائلا
قام على عهد النبي ﷺ فسأل فسكت القوم ثم أن رجلا أعطاه فأعطاه القوم فقال النبي ﷺ من استن
خيرا فاستن به فله اجره ومثل اجور من اتبعه من غير متقص من أجورهم ومن استن شرا فاستن به فعلية
وزره ومثل أوزار من اتبعه غير متقص من أوزارهم قال فتلا حذيفة بن اليان علمت نفس ما قدمت وأخرت
(يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أي أي شيء غرك بخالقك وخذعك وسؤال لك الباطل حتى عصيته وخالفته
وروي أن النبي ﷺ لما تلا هذه الآية قال غره جهله واختلف في معنى الكريم فقيل هو المنعم الذي كل
أفعاله احسان واتعام لا يجربه نغما ولا يدفع به ضررا وقيل هو الذي يعطي ما عليه وما ليس عليه ولا يطلب
ماله وقيل هو الذي يقبل اليسير ويعطي الكثير وقيل إن من كرمه سبحانه انه لم يرض بالغو عن السيئات
حتى بدلها بالחסنات وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال ما غرك بربك الكريم
ماذا كنت تقول له قال أقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامني الله بين يديه فقال ما غرك
بي قلت غرني بك برك بي سالفا وأنفا ومن بعضهم قال غرني حلك وعن أبي بكر الوراق غرني كرم الكريم
وانما قال سبحانه الكريم دون سائر اسائه وصفاته لأنه كأنه لغته الإجابة حتى يقول غرني كرم الكريم وقال
عبد الله بن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم يا ابن آدم ما غرك بي
يا ابن آدم ماذا عملت فيما عملت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين وقال أمير المؤمنين (ع) كم مغرور بالستر
عليه ومستدرج بالإحسان اليه (الذي خلقك) من نطفة ولم تك شيئا (فسواك) انسانا تسمع وتبصر (فعدلك)
أي جعلك معتدلا وقيل معناه عدل خلقك في العيين والأذنين واليدين والرجلين عن مقاتل والمعنى عدل
بين ما خلقك من الاعضاء التي في الانسان منها اثنان لا تفضل يد على يد ولا رجل على رجل (في أي
صورة ماشاء ركبك) أي في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم عن مجاهد وروي عن الرضا (ع) عن
آبائه عن النبي ﷺ انه قال لرجل ما ولدك قال يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إماما غلام
وإماما جارية قال فمن يشبه قال يشبه أمه أو أباه قال ﷺ لا تقل هكذا ان النطفة إذا استقرت في الرحم
احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم اما قرأت هذه الآية في أي صورة ما شاء ركبك أي فيما بينك وبين
آدم وقيل في أي صورة ما شاء من صور الخلق ركبك ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة حمار
وان شاء في صورة قرد عن عكرمة وأبي صالح وقال الصادق (ع) لو شاء ركبك على غير هذه الصورة والمعنى

انه سبحانه بقدر على جعلك كيف شاء ولكنه خلقك في احسن تقويم حتى صرت على صورتك التي أنت عليها لا يشبهك شيء من الحيوان وقيل في أي صورة شاء من ذكر أو أنثى أو جسيم أو نجف حسن أو دميم طويل أو قصير (كلا) أي ليس الأمر كما تزعمون انه لا بعث ولا حساب وليس هنا موضع الإنكار للبعث مع وضوح الامر فيه وقيام الدلالة عليه (بل تكذبون) معاشر الكفار (بالدين) الذي هو الجزاء لا إنكاركم البعث والنشور عن مجاهد وقناة وقيل تكذبون بالدين الذي جاء به محمد ﷺ وهو الاسلام عن الجبائي (وان عليكم لحافظين) من الملائكة يحفظون عليكم ما تعلمونه من الطاعات والمعاصي ثم وصف الحفظة فقال (كراما) على ربهم (كاتبين) يكتبون اعمال بني آدم (يعملون ما يفعلون) من خير وشر فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شيء وقيل ان الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطرار وإما باستدلال وقيل معناه يعملون ما يفعلون من الله دون الباطن وفي هذا دلالة على أن أفعال العبد حادثة من جهتهم وانهم المحدثون لها دونه تعالى والا فلا يصح قوله يفعلون (إن الاربار لفي نعيم) وهو الجنة والاربار أولياء الله المطيعون في الدنيا (وإن الفجار لفي جحيم) وهو العظيم من النار والمراد بالفجار هنا الكفار المكذبون للنبي ﷺ لقوله (يصلونها يوم الدين) أي يلزمون بها بكونهم فيها (وما هم عنها بغائبين) أي لا يكونون غائبين عنها بل يكونون مؤيدين فيها وقد دل الدليل على أن أهل الكبيرة من المسلمين لا يخلدون في النار ولا نه سبحانه قد ذكر المكذبين بالدين فيما قبل هذه الآية فالاولى أن تكون لفظة الفجار مخصوصة بهم وأيضا فإذا احتل الكلام ذلك بطل تعلق أهل الوعيد بعموم اللفظ ثم عظم سبحانه يوم القيامة فقال (وما أدريك ما يوم الدين) تعظيما لشدةه وتنبيها على عظم حاله وكثرة أهواله (ثم ما أدريك ما يوم الدين) كرهه تأكيد ذلك وقيل اراد ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم لأهل الجنة وما أدراك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار عن الجبائي (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أي لا يملك احد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب كما يملك كثير من الناس في دار الدنيا ذلك (والأمر يومئذ لله) وحده أي الحكم له في الجزاء والثواب والعمو والانتقام وروى عمر بن شمر عن جابر عن ابي جعفر (ع) انه قال ان الامر يومئذ واليوم كله لله يا جابر إذا كان يوم القيامة بادت الحكم فلم يبق حاكم إلا الله وقيل معناه يوم لا تملك نفس لنفس كفرة شيئا من المنفعة عن مقاتل والمعنى الصحيح في الآية ان الله سبحانه قد مأك في الدنيا كثيرا من الناس امورا واحكاما وفي القيامة لا أمر لسواه ولا حكم ومتى قيل فيجب أن لا يصح على هذا شفاعة النبي ﷺ فالجواب ان ذلك لا يكون إلا بأمره تعالى وبإذنه وهو من تدبيره

سورة المطففين

وتسمى سورة التطفيف مكية وقال المعدل مدنية عن الحسن والضحاك وعكرمة قال وقال ابن عباس وقناة إلا ثمانى آيات منها وهي ان الذين أجزموا إلى آخر السورة
 * عدد آياتها *

ست وثلاثون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ ومن قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة وروى صفوان الجبال عن أبي عبد الله (ع) قال من كانت قراءته في الفريضة ويل للمطففين أعطاه الله الأمان يوم القيامة من النار ولا تراه ولا يراها ولا يمر على جسر جهنم ولا يحاسب يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر القيامة وما أعده فيها للإبرار والفجار وبين في هذه السورة أيضا ذكر احوال الناس في القيامة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَيَلُّ لِّلْمُطَفِّفِينَ (٢) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٣) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٤) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٥) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٦) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ (٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (١٠) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٢) وَإِذَا تَنَالَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا سَطِيرُ الْأُولِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ سبع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى ران بكسر الراء والباقون بفتحها

﴿ اللفظ ﴾

التطفيف نقص المكيال والميزان والطفيف الشيء التزر القليل مأخوذ من طف الشيء وهو جانبه في الحديث كلتم بنو آدم طف الصاع لم تلووه فليس لأحد فضل الا بالتقوى وطف الصاع قريب من مثله اي بعضكم قريب من بعض وانا طفان اذا لم يكن ملائ ولا كتيال الاخذ بالكيل ونظيره الاتزان وهو الاخذ بالوزن واذا كالوهم او وزنوم كان عيسى بن عمر يجعل لهم فصلا في موضع رفع او نأ كيدا للضمير في كالوا اووزنوا والباقون يجعلونها ضمير المنصوب وهو الصحيح واهل الحجاز يقولون وزنتك حقت وكنك طمامك وعليه جاء التنزيل وغيرهم يقول وزنت لك وكاتك ويقال اخمرت الميزان وخسرت اي نقصت في الوزن والسجين فعل من السجن قال ابن مقبل « ضربا توأصى به الأبطال سجيناً » اي شديدا وقيل السجين هو السجن على التخليد فيه لأن هذا الوزن للبالغة قالوا شريب وسكير وشريبر والرقم طبع الخط بما فيه علامة الأمر يقال رقت الثوب ارقه رقاً والرین اصله الغلبة ران على قلبه اي غلب عليه والخمر ترين على قلب السكران والموت يرين على الميت فيذهب به وفي حديث عمر بن الخطاب انه قال في اسبغ جبهة لما ركبته الدين اذان معرضا فأصبح قدرين به اي احاط الدين بماله حتى غلبه

* الاعراب *

يوم يقوم الناس منصوب بقوله مبعوثون اي ألا يظنون انهم مبعوثون يوم القيامة وقبل في اصل كلا قولان * احدها * انها كلمة واحدة من غير تركيب وضمت للردع والزجر وجرت مجرى الأصوات نحو صه ومه ونحوها * والثاني * ان يكون الكاف للتشبيه دخات على لا وشددت للمبالغة في الزجر مع الإيذان بتركيب اللفظ

* النزول *

قبل لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأُنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك عن عكرمة عن ابن عباس وقيل انه ﷺ قدم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فنزلت الآيات عن السدي

* المعنى *

(ويل للمطففين) وهم الذين ينقصون المكيال والميزان ويخسون الناس حقوقهم في الكيل والوزن قال الزجاج وإنما قيل له مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف ثم فسر المطففين فقال (الذين اذا اكنالوا على الناس) اي اذا كالوا ما على الناس ليأخذوه لانفسهم (يستوفون) عليهم الكيل ولم يذكروا ان الكيل والوزن بها الشراء والبيع فأحدها يدل على الآخر (واذا كالوم او وزنوم) أي كالوا لم او وزنوا لهم (يخسرون) اي ينقصون والمعنى انهم إذا كالوا او وزنوا لهم نقصوا تقول كنتك وكنت لك كما تقول نصحتك ونصحت لك ويروي عن ابن مسعود انه قال الصلاة مكبال فمن وفى وفى الله له ومن طفف قد سمعتم ما قال الله في المطففين ثم عجب الله خلقه من غفلة هؤلاء حيث فارقوا أمر الله وطريقة العدل فقال (ألا يظن) اي ألا يعلم (أو تلك انهم مبعوثون ليوم عظيم) وهو يوم القيامة يريد الا يستيقن من فعل هذا انه مبعوث محاسب عن ابن عباس ثم اخبر عن ذلك اليوم فقال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمعنى يوم يقوم الناس من قبورهم لأمر رب العالمين ولجزائه او حسابه وجاء في الحديث انهم يقومون في رشحهم الى انصاف آذانهم وفي حديث آخر يقومون حتى يبلغ الرشح الى اطراف آذانهم ويحتمل ان يكون المراد ايضاً ألا يحسب أو تلك لأن من ظن الجزاء والبعث وقوى ذلك في نفسه وان لم يكن عالماً به فإنه يجب عليه ان يتحرز خوفاً من العقاب الذي يجوزه ويظنه كما ان من ظن العطب في سلوك طريق فواجب عليه ان يتجنب سلوكه وفي الحديث عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون الشمس بقدر ميل او ميلين قال سليم فلا أدري أمسافة الأرض أم الميل الذي تكحل به العين ثم قال صهرتهم الشمس فيكونون في العرق بقدر اعالم فمنهم من يأخذه الى عقبه ومنهم من يلجمه الجاما قال فرأيت رسول الله ﷺ يشير يده الى فيه فقال يلجمه الجاما اورده مسلم في الصحيح وروي ان ابن عمر قرأ ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين فبكي حتى خرّ وامتنع من القراءة (كلا) هو ردع وزجر اي ارددعوا وانزجروا عن المعاصي فليس الأمر على ما اتهم عليه تم الكلام ها هنا وعندابي حاتم سهل كلابتداء بنصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجر لني سجين) يعني كتابهم الذي فيه ثبت اعمالهم من الفجور والمعاصي عن الحسن وقيل معناه انه كتب

في كتابهم انهم يكونون في سجين وهي في الأرض السابعة السفلى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ سجين أسفل سبع ارضين وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الأخبار فقال اخبرني عن قول الله تعالى ان كتاب الفجار في سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الأرض فتأبى الأرض ان تقبلها فتدخل سبع ارضين حتى يتهي بها الى سجين وهو موضع جندابلس والمعنى في الآية ان كتاب عملهم بوضع هناك وقيل ان سجين جب في جهنم مفتوح واللقى جب في جهنم مفتوح رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ وقيل السجين اسم لكتابهم وهو ظاهر التلاوة أي ما كتبه الله على الكفار بمعنى ارجبه عليهم من الجزاء في هذا الكتاب المسمى سجين ويكون لفظه من السجن الذي هو الشدة عن ابي مسلم والذي يدل على ان العرب ما كانت تعرفه هو قوله (وما ادريك ما سجين) أي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك عن الزجاج ثم قال مفسراً لذلك (كتاب مرقوم) أي كتاب معلوم كتب فيه ما بسوهم ويسخن اعينهم وقيل مرقوم معناه رقم لهم بشر كأنه اعلم بعلامه يعرف بها الكافر والوجه الصحيح ان قوله كتاب مرقوم ليس تفسير السجين لأنه ليس السجين من الكتاب المرقوم في شيء وانما هو تفسير للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار على تقدير وهو كتاب مرقوم أي مكتوب قد تينت حروفه (وهل يومئذ للمكذبين) وهذا تهديد لمن كذب بالجزاء والبعث ولم يصدق وذكر صاحب النظم ان هذا منتظم بقوله يوم يقوم الناس وان قوله كلاً ان كتاب الفجار وما اتصل به اعتراض بينها ثم فسر سبحانه المكذبين فقال (الذين يكذبون بيوم الدين) أي يوم الجزاء فإن من كذب بالباطل لا يتوجه اليه الوعيد بل هو ممدوح ثم قال (وما يكذب به) أي لا يكذب بيوم الجزاء (الا كل معتد) أي متجاوز للحق الى الباطل (أثيم) كثير الاثم مبالغ في ارتكابه ثم وصف المعتدي الاثيم بقوله (اذا تلى عليه آياتنا) وهي القرآن (قال اساطير الاولين) أي باطيل الاولين والتقدير قال هذا اساطير الاولين أي ما سطره الاولون وكتبوه مما لا أصل له (كلاً) لا يؤمنون وقيل ليس الأمر على ما قالوه ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم) أي غلب عليها (ما كانوا يكسبون) والمعنى غلب ذنوبهم على قلوبهم وقيل ان معنى الرين هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب عن الحسن وقتادة وقال الفراء كثرت المعاصي منهم والذنوب واحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وعن عبد الله بن مسعود قال ان الرجل يذنب الذنب فتنتك على قلبه نكتة سوداء ثم يذنب الذنب فتنتك نكتة أخرى حتى يصير قلبه على لون الشاة السوداء وروى المياشي بإسناده عن زرارة عن ابي جعفر (ع) قال ما من عبد مؤمن الا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا اذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء فإذا تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابداً وهو قول الله تعالى كلاً بل ران على قلوبهم الآية وقال ابو عبد الله (ع) يصدأ القلب فإذا ذكرته بالآء الله انجلي عنه وقال ابو مسلم ان اعتيادهم الكفر واغفلتهم له وغفلتهم صار غطاء على قلوبهم فلا يعلمون ما ينفعهم لأن ترك النظر في العواقب وكثرة المعاصي والانغماس في التمسق بقوي الدواعي في الاعراض عن التوبة والايباع بالذنوب فصار ذلك كالتغالب على القلوب الرائن عليها وقال ابو القاسم الباقلي وفي الآية دلالة على صحة ما يقوله اهل العدل في تفسير الطبع على القلوب وانختم عليها والاضلال لأنه تعالى اخبر ان اعمالهم السيئة وما كانوا يكسبونه من التبيح ران على قلوبهم (كلاً) يريد

لا يصدقون عن ابن عباس ثم استأنف (انهم عن ربه يومئذ لمحجوبون) يعني ان هؤلاء الذين وصفهم بالكفر والفجور محجوبون يوم القيامة عن رحمة ربهم واحسانه وكرامته عن الحسن وقتادة وقبل ممنوعون من رحمة مدفوعون عن ثوابه غير مقبولين ولا مرضيين عن ابي مسلم وقيل محرومون عن ثوابه وكرامته عن علي (ع) (ثم انهم) بعد ان منعوا من الثواب والكرامة (لصالوا الجحيم) اي لازموا الجحيم بكونهم فيها لا يفيون عنها وقال ابو مسلم لصالون صلاها اي وقودها (ثم يقال) لهم توبينا وتبكتنا (هذا الذي) فعل بكم من العذاب والعقاب (الذي كسبتم به تكذبون) في دار التكليف ويسمى مثل هذا الخطاب تقربا لانه خبر بما يفرح بشدة النعم على وجه الدم

قوله تعالى (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ (١٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيمُونَ (٢٠) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢١) بِشَهَادَةِ الْمُقَرَّبُونَ (٢٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٣) عَلَى الْأَرْثِكِ يَنْظُرُونَ (٢٤) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٥) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتومٍ (٢٦) خِتَمُهُمْ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٧) وَإِلَازِجَهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٨) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ (٣٠) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣١) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣٢) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ (٣٣) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٤) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٥) عَلَى الْأَرْثِكِ يَنْظُرُونَ (٣٦) هَلْ ثَوَابَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تسع عشرة آية

❖ القراءة ❖

قرأ ابو جعفر ويعقوب تعرف بضم التاء وفتح الراء نضرة بالرفع والباقون تعرف بفتح التاء و كسر الراء نضرة بالنصب وقرأ الكسائي وحده خاتمه وهي قراءة علي (ع) وعلقمة والباقون ختامه وقرأ ابو جعفر وحفص فكهين بغير ألف والباقون فاكهين وقرأ حمزة والكسائي هثوب الكفار بادغام اللام في التاء وقد روي نحوه عن ابي عمرو والباقون بالإظهار

❖ الحجة ❖

تعرف في وجوههم على الخطاب والمعنى في القراءة تين سواء وقال ابو عبيدة ختامه اي عاقبته قال ابن مقبل مما يفتق في الحانوت باطنها بالفلفل الجون والرمان مختوم قال ابو علي ختامه مسك المراد به لذادة المقطع وذكا الرائحة وارجها مع طيب الطعم وهذا كقولهم كان مزاجها كافورا وكان مزاجها زنجبلا اي يجذي اللسان وأما قول الكسائي خاتمه فإن معناه آخره كما كان خاتم النبيين معناه آخرهم فالخاتم المصدر والظاتم اسم الفاعل كالطابع والتابل والعرب تقول خاتم بالفتح وخاتيم وخانام وخيتام قل سيوبه ادغم ابو عمرو هثوب الكفار وادغامها فيها حسن وان كان دون ادغام اللام في الراء في الحسن لتقاربها وجاز ادغامها فيها لانه قد ادغم في الشين فيما قد انشده من قوله هشي يكفيك لا يقال يريد هل شي

﴿ اللغة ﴾

عليون علو على علو مضاعف ولهذا جمع بالواو والنون تفخيماً لشأنه وتشبيهاً بما يعقل في عظام الشأن وهي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قال الشاعر

فأصبحت المذاهب قد اذاعت به الأعصار بعد الوايلينا
يريد قطراً بعد قطر غير محدود العدد وكذلك تفخيم شأن العدد الذي ليس على الواحد نحو ثلاثون واربعون الى التسعين وجرت المشرون عليه وقال الزجاج عليون اسم لأعلى الأمكنة و اعرابه كاعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع كما تقول هذا قنسران ورأيت قنسران والأرناك الأسمرة في المجال والرحيق الشراب الذي لا غش فيه قال حسان

يسقون من ورد البريص عليهم بردى تصفق بالرحيق السائل
قال الخليل هي أفضل الخمر وأجودها والتنافس تني كل واحد من النفسين مثل الشيء النفس الذي للنفس الأخرى ان يكون له. تنافسوا في الشيء تنافسوا ونافسه فيه منافسة ونفس عليه بالشيء بنفس نفاسة إذا ضمن به جلالة قدره عنده وذلك الشيء الذي بنفس به نفس والمزج خلط مائع بمائع على خلاف صفته كزج الشراب بالماء والتسليم عين ماء يجري من علو الى اسفل يتسليم عليهم من الغرف واشتقاقه من السنام وسنمت العين تسنم إذا اجريتها عليهم من فوقهم والتغامز إشارة بعضهم إلى بعض بالاعين استهزاء وطلباً للعب يقال غمز بجفنه إذا اشار والفاكهون اللاهون والفكهون المرحون الاشرار والفكاهة المزاح واصل الثواب من الرجوع كأنه يرجع على العامل بعمله وثاب عليه عقله إذا رجع

﴿ الاعراب ﴾

عينا يشرب بها المقربون يجوز ان تكون منصوبة مفعولة لتسليم اي مزاجه من ماء متسئم عينا كقوله تعالى او اطعام يتيا ويجوز ان تكون منصوبة على تقدير ويستقون من عين ويجوز أن تكون منصوبة على الحال ويكون تسليم معرفة وعينا نكرة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر حال الفجار عقبه سبحانه بذكر حال الابرار فقال (كلا) اي لا يؤمنون بالمذاب الذي يصلونه فعلى هذا يصل بما قبله وقبل معناه حقاً ويصل بما بعده (ان كتاب الابرار) اي المطيعين لله (لفي عليين) اي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقبل في السماء السابعة وفيها ارواح المؤمنين عن قتادة ومجاهد والضحاك وكعب وقبل في سدرة المنتهى وهي التي ينتهي اليها كل شيء من امر الله تعالى عن الضحاك في رواية اخرى وقبل العليون الجنة عن ابن عباس قال الغراء في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له وقبل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعالمهم مكتوبة فيها عن ابن عباس في رواية اخرى وعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال في عليين في السماء السابعة تحت العرش (وما ادراك ما عليون) وهذا تنظيم لشأن هذه المنزلة وتفخيم لأمرها وتنبه على ان تفصيل تفضيله لا يمكن العلم به إلا بالمشاهدة ثم قال (كتاب مرقوم) اي هو كتاب مكتوب فيه جميع طاعتهم وما تقر به اعينهم ويوجب سرورهم بصد الكتاب الذي للفجار لأن فيه ما يسوؤهم وينوهم ويسخن عيونهم قال مقاتل مرقوم مكتوب لهم بالخيرات في ساق العرش ويدل عليه قوله (يشهده المقربون)

يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب او ذلك الكتاب اذا صمد به إلى عليين والمقربون هم الذين قربوا إلى كرامة الله في اجل المراتب وقال عبد الله بن عمر ان اهل عليين لينظرون إلى اهل الجنة من كذا فإذا اشرف رجل منهم اشرفت الجنة وقالوا قد اطلع علينا رجل من اهل عليين (إن الابرار لفي نعيم) اي يحصلون في ملاذ وانواع من النعمة في الجنة (عل الأرائك) قال الحسن ما كنا نعرف ما الأرائك حتى قدم البنا رجل من اهل اليمن فزعم ان الأريكة عندهم المجلة اذا كانت فيها سرير (ينظرون) إلى ما اعطوا من النعيم والكرامة وقيل ينظرون إلى عدوهم حين يعذبون عن مقاتل (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي إذا رأيتهم عرفت انهم من اهل النعمة بما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة قال عطاء وذلك ان الله تعالى قد زاد في جمالهم والوانهم ما لا يصفه واصف (يسقون من رحيق) اي خر صافية خالصة من كل غش (مخنوم) وهو الذي له ختام اي عاقبة وقيل مخنوم في الآنية بالمسك وهو غير الخمر التي تجري في الانهار وقيل مخنوم اي ممنوع من ان تمسه يد حتى يفك ختمه للابرار ثم فسر المخنوم بقوله (ختمه مسك) أي آخر طعمه ربيع المسك إذا رفع الشارب فاه عن آخر شرابه وجد ريمه كريع المسك عن ابن عباس والحسن وقناة وقيل ختم اناؤه بالمسك بدلا من العطين الذي يختم به الشراب في الدنيا عن مجاهد وابن زيد قال مجاهد طينه مسك وعن يحيى الدرداء قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل اصبعه فيه ثم اخرجه لم يبق ذو روح إلا ونال طيبها ثم رغب فيها قل (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) اي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى ومثله قوله سبحانه لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليتنازع المتنازعون عن مقاتل وقيل فليتشاح المتشاحون عن زيد بن اسلم وفي الحديث من صام لله في يوم صائف سقاه الله على الظمأ من الرحيق المخنوم وفي وصية النبي ﷺ لا مبر المؤمنين «ع» من ترك الخمر لله سقاه الله من الرحيق المخنوم (ومزاجه من تسنيم) أي ومزاج ذلك الشراب الذي وصفناه وهو ما يمزج به من تسنيم وهو عين في الجنة وهو اشرف شراب في الجنة قال مسروق يشربها المقربون صرفا ويمزج بها كأس اصحاب اليمن فيطيب وروى ميمون بن مهران ان ابن عباس سئل عن تسنيم فقال هذا مما يقول الله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ونحو هذا قول الحسن خفايا اخفاها الله لأهل الجنة وقيل هو شراب ينصب عليهم من علو انصبابا عن مقاتل وقيل هو نهر يجري في الهواء فينصب في اواني اهل الجنة بحسب الحاجة عن قتادة ثم فسره سبحانه فقال (عيننا يشرب بها المقربون) اي هي خالصة للمقربين يشربونها صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة عن ابن مسعود وابن عباس (إن الذين اجرموا) يعني كفار قريش ومترفهم كأبي جهل والوليد بن العيرة والعاص بن وائل واصحابهم (كانوا من الذين آمنوا) يعني اصحاب النبي ﷺ مثل عار وخباب وبلال وغيرهم (يضحكون) على وجه السخرية بهم والاستهزاء في دار الدنيا ويحتمل أن يكون ضحكوا من جدهم في عبادتهم وكثرة صلاتهم وصيامهم لا إنكارهم الجزاء والبعث ويجوز ان يكون كان ضحكهم انكازا وتعجبا من قولهم بالاعادة واحياء المقام الرمية ويحتمل ان يكون ذلك لغوهم في كفرهم وجهامهم ولاويهام العوام انهم على حق وان المسلمين على باطل فكانوا يضحكون (واذا مروا بهم) يعني واذا مر المؤمنون بهؤلاء المشركين (يتغامزون) بأن يشير بعضهم إلى بعض بالاعين والحواجب استهزاء بهم

اي يقول هؤلاء انهم على حق وان محمداً ﷺ انزل عليه الوحي وانه رسول وانا نبئت ونحو ذلك وقبل
 نزلت في علي بن ابي طالب (ع) وذلك انه كان في نفر من المسلمين جاءوا الى النبي ﷺ فسخر منهم
 المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلح فضحكنا منه فنزلت الآية قبل
 ان يصل علي (ع) واصحابه الى النبي ﷺ عن مقاتل والكبيبي وذكر الحاكم ابو القاسم الحسكاني
 في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل باسناده عن ابي صالح عن ابن عباس قل إن الذين اجرؤا منافقو
 قريش والذين آمنوا علي بن ابي طالب (ع) واصحابه (واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكيف) يعني واذا رجع
 هؤلاء الكفار الى اهلهم رجعوا معجبين بما هم فيه يتفكرون بذكرهم (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون)
 عن طريق الحق والصواب تركوا التمتع رجاء ثواب لا حقيقة له خدعهم به محمد ﷺ ثم قال سبحانه
 (وما ارسلوا عليهم حافظين) أي ولم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين ما هم عليه وما كانوا يحفظ اعمالهم
 فكيف يظنون عليهم ولو اشتغلوا بما كانوا كفروه كان ذلك أولى بهم وقيل معناه وما ارسلوا عليهم شاهدين لأن
 شهادة الكفار لا تقبل على المؤمنين اي ليسوا شهداء عليهم بل المؤمنون شهداء على الكفار يشهدون عليهم
 يوم القيامة عن ابي مسلم (فاليوم) يعني يوم القيامة الذي يجازي الله كل احد على عمله (الذين آمنوا من
 الكفار يضحكون) كما ضحك الكفار منهم في الدنيا وذلك انه يفتح للكفار باب الجنة ويقال لهم اخرجوا اليها
 فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم بفعل ذلك بهم مراراً فيضحك منهم المؤمنون عن ابي صالح وقيل يضحكون
 من الكفار اذا رأوهم في العذاب وانفسهم في النعيم وقيل ان الوجه في ضحك اهل الجنة من اهل النار انهم
 لما كانوا اعداء الله واعداً لهم جعل الله سبحانه لهم سروراً في تعذيبهم ولو كان المغوق قد وقع عليهم لم يميز
 ان يجعل السرور في ذلك لأنه مضمن بالعداوة وقد زالت بالمغو (على الارائك ينظرون) يعني المؤمنون
 ينظرون الى عذاب اعدائهم الكفار على سرور في الحال ثم قال سبحانه (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون)
 اي هل جزوي الكفار اذا فعل بهم هذا الذي ذكره على ما كانوا يفعلونه من السخرية بالمؤمنين في الدنيا وهو
 استفهام يراد به التقرير وثوب بمعنى ائيب وقيل معناه يتصل بما قبله ويكون التقدير ان الذين آمنوا ينظرون
 هل جزوي الكفار بأعمالهم ويكون الجملة متعلقة بينظرون وعلى القول الأول يكون استئناف كلام لا موضع
 له من الاعراب وانما قل هل ثوب الكفار فاستعمل لفظ الثواب في العقوبة لأن الثواب في اصل اللغة الجزاء
 الذي يرجع الى العامل بعمله وان كان في العرف اخنص الى الجزاء بالنعيم على الاعمال الصالحة فاستعمل هنا
 على اصله وقيل لأنه جاء في مقابلة ما فعل بالمؤمنين اي هل ثوب الكفار كما ثوب المؤمنون وهذا القول
 يكون من قبل الله تعالى او قوله الملائكة للمؤمنين تنبيها لهم على ان الكفار جوزوا على كفرهم واستهزأهم
 بالمؤمنين ما استحقوه من أليم العذاب ليزدادوا بذلك سروراً الى سرورهم ويحتمل أن يكون ذلك بقوله
 المؤمنون بعضهم لبعض سروراً بما ينزل بالكفار وكل هذه الوجوه إنما تنجبه على القول الأول إذا كانت
 الجملة كلاماً مستأنفاً لا تعلق له بما قبله

سورة انشقت

وتسمى سورة الانشقاق مكية

✽ عدد آياتها ✽

ثلاث وعشرون آية بصري شامي وخمس في الباقيين

✽ اختلافها ✽

آبان كتابه يمينه وراء ظهره كلاهما حجازي كوفي

✽ فضلها ✽

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة انشقت اعاده الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

✽ تفسيرها ✽

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر احوال القيامة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فانصلت بها اتصال
التفسير بالنظير فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إذا السماء انشقت (٢) وأذنت لربها وحق (٣) وإذا الأرض
مدت (٤) وألفت ما فيها وتخلت (٥) وأذنت لربها وحق (٦) يا أيها الإنسان إنك كادح إلى
ربك كدحاً فملقية (٧) فأما من أوتي كتبه بيمينه (٨) فسوف يحاسب حساباً يسيراً (٩)
وينقلب إلى أهله مسروراً (١٠) وأما من أوتي كتبه وراء ظهره (١١) فسوف يدعو ثوراً (١٢)
ويصلى سعيراً (١٣) إنه كان في أهله مسروراً (١٤) إنه ظن أن لن يمحو (١٥) على إن ربه كان به
بصيراً (١٦) فلا أقسم بالشفق (١٧) والليل وما وسق (١٨) والقمر إذا انسق (١٩) لتزكبن
طبقاً عن طبق (٢٠) فما لهم لا يؤمنون (٢١) وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون (٢٢) بل
الذين كفروا يكذبون (٢٣) والله أعلم بما يوعون (٢٤) فبشرهم بعذاب أليم (٢٥) إلا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون خمس وعشرون آية

✽ القراءة ✽

قرأ ابو جعفر واهل العراق غير الكسائي يصلى بالتخفيف بفتح اليا والباقون يصلى بضم اليا والتشديد

وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم لتر كبن بفتح الباء والباقون بضم الباء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة يصلى مشددة اللام ثم الجحيم صلوه وحجة يصلى وسيصلون سعيراً اصلوها اليوم
وهذا كثير في التنزيل وحجة لتر كبن قول ابن عباس لتر كبن السماء حالاً بعد حال مرة كالمثل ومرة كالدخان
وابن مسعود لتر كبن يا محمد طبقاً عن طبق مجاهد لتر كبن امراً بعد امر الحسن اي حالاً عن حال ومنزلاً

عن منزل ابو عبدة لتركب سنة من كان قبلكم ابو علي من فتح الباء اراد النبي ﷺ ومن ضم الباء اراد النبي ﷺ وغيره والضم يأتي على معنى المفتوحة وفسروا طبقا عن طبق حالا بعد حال ومثل ما فسروا من أن معنى عن معنى بعد قول الأعشى

ساد وألقى رهطه سادة وكابرا سادوك عن كابر
المعنى كابرا بعد كابر فمن متعلق بسادوك ولا يكون متعلقا بكابر وقد بينوا ذلك في قول النابغة
بقية قدر من قدور تورثت لآل الجلاح كابرا بعد كابر
وقالوا عرق عن الحمى اي بعدها

* اللغة *

الإنشقاق افتراق امتداد عن النائم فكل انشقاق افتراق وليس كل افتراق انشقاق والاذن الاستماع
تقول العرب أذن لك هذا الأمر اذا بمعنى استمع لك قال عدي بن زيد
في سماع بأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار
وقال ايضا

ايها القلب تعلل بددن إن همي في سماع واذن
وقال آخر «وان ذكرت بشرى عندهم اذنوا» والكدح السمي الشديد في الأمر والدأب في العمل
ويقال كدح الانسان في عمله يكدح وثور فيه كدوح اي آثار من شدة السعي قال ابن مقبل
وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح
والحور الرجوع حار يحور اذا رجع وكلمته فمأجرا جوابا اي ما رد جوابا ونعوذ بالله من الحور بعد
الكور اي من الرجوع الى التقصان بعد الزيادة والتمام وحوره اذا رده الى البياض والمحور البكرة تدور
حتى ترجع الى مكانها والشفق هو الحمرة بين المغرب والمساء الآخرة وهو قول مالك والشافعي والاوزاعي
وابي يوسف ومحمد وهو قول الخليل وهو المروي عن ائمة الهدى (ع) وقال تغلب هو البياض وهو قول
ابي حنيفة قال الفراء سمعت بعض العرب تقول الثوب احمر كأنه الشفق وقال الشاعر «أحمر اللون كمحمر الشفق»
وقال آخر

قم يا غلام أعني غير محتشم على الزمان بكأس حشوها شفق
واصل الشفق الرقة ومثله التشفيق وهو الرقة على خلل فيه واشفق على كذا اذا رق عليه وخاف هلاكه
وثوب شفق رقيق فالشفق هو الحمرة الرقيقة في المغرب بعد مغيب الشمس والوسق الجمع وسقته اسقه اذا
جمته وطعام موسوق اي مجموع والوسق الطعام المجتمع الكثير مما يكال او يوزن ومقداره ستون صاعا
والانساق الاجتماع على تمام افتعال من الوسق واصل الطبق الحال والعرب تسمي الدواهي ام طبق
وبنات طبق قال قد طرقت بنكرها ام طبق وقال في ان الطبقي الحال

الصبر احمد والدنيا مفجعة من ذا الذي لم يندق من عيشه رنقا
اذا صفا لك من مسرورها طبق اهدى لك الدهر من مكر وهها طبقا

وقال آخر

اني امرؤ قد حللت الدهر اشطره
فلمست اصبو الى خل يفارقني
وساقني طبق منه الى طبق
ولا تقبض احشائي من الفرق

* الاعراب *

قال الزجاج جواب اذا يدل عليه قوله فملاقه والمعنى اذا كان يوم القيامة لقي الانسان عمله والهواء في قوله فملاقه يجوز ان يكون تقديره فملاق ربك ويجوز ان يكون فملاق كدحك اي عملك وسميت وقوله كادح الى ربك كدحا قيل ان الى هنا بمعنى اللام والوجه الصحيح فيه ان يكون محمولا على المعنى لأن معناه ساع الى ربك سعي على انه يحتمل ان يكون الى متعلقه بمحذوف ويكون التقدير انك كادح لنفسك سائر الى ربك كما ان قوله وتبتل اليه يكون على معنى تبتل من الخلق راجعا الى الله تعالى او راجعا اليه وقوله يدعو ثورا معناه انه يقول يا ثوراه فكأنه يدعو ويقول يا ثور تعال فهذا او انك مثل ما قيل في يا حسرتي فلي هذا يكون ثورا مفعولا به ان لن يحور تقديره انه لن يحور فهي مخففة من الثقيلة ولا يجوز ان تكون ان الناصبة للفعل لأنه لا يجوز ان يجتمع عاملان على كلمة واحدة وقوله فما لهم مبتدا وخبر ولا يؤمنون جملة منصوبة الموضع على الحال والتقدير اي شي استقر لهم غير مؤمنين

* المعنى *

(اذا السماء انشقت) اي تصدعت وانفجرت وانشققتها من علامات القيامة وذكر ذلك في مواضع من القرآن (واذنت لربها) اي سمعت واطاعت في الانشقاق عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقادة وهذا توسع اي كأنها سمعت وانقادت لتدبير الله (وحقت) اي وحق لها ان تأذن بالانقياد لأمر ربه الذي خلقها وتطبع له (واذا الارض مدت) اي بسطت بأند كاك جبالها وآكامها حتى تصير كالصحيفة المساء وقيل انها تمد الأديم المكاني وتزاد في سعتها عن ابن عباس وقيل سويت فلا بنا ولا جبل الا دخل فيها عن مقاتل (والقت ما فيها) من الموتى والكنوز مثل واخرجت الأرض انقالها عن قنادة ومجاهد (وتحت) اي خلت فلم يبق في بطنها شي وقيل معناه القت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتحت ما على ظهرها من جبالها وبحارها) واذنت لربها وحقت) ليس هذا بتكرار لأن الأول في صفة السماء والثاني في صفة الارض وهذا كله من اشراف الساعة وجلال الامور التي تكون فيها والتقدير اذا كانت هذه الاشياء التي ذكرناها وعددناها رأى الانسان ما قدم من خير او شر وبدل على هذا المحذوف قوله (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) اي ساع اليه في عملك وقوله يا ايها الانسان خطاب لجميع المكلفين من ولد آدم يقول الله لهم سبحانه ولكل واحد منهم يا ايها الانسان انك عامل عملا في مشقة لتحمله الى الله وتوصله اليه (فملاقه) اي ملاق جزاء جعل لقاء جزاء العمل لقاء له تفخيما لشأنه وقيل معناه ملاق ربك اي صائر الى حكمه حيث لا حكم الا حكمه وقال ابن الأنباري والبلخي جواب اذا قوله اذنت لربها وحقت والواو زائدة كقوله حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وهذا ضعيف والأول هو الوجه ثم قسم سبحانه احوال الخلق يوم القيامة فقال (فأما من أوتي كتابه بيمينه) اي من اعطي كتابه الذي ثبت فيه أعماله من طاعة او معصية بيده اليمنى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) يريد انه لا يناقش في الحساب ولا يواقف

على ما عمل من الحسنات وما له عليها من الثواب وما حط عنه من الاوزار إما بالتوبة او بالعمو وقيل الحساب اليسير التجاوز عن السيئات والاثابة على الحسنات ومن نوقش الحساب عذب في خبر مرفوع وفي رواية اخرى يعرف عمله ثم يتجاوز عنه وفي حديث آخر ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وادخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله قال تعطي من جرمك وتصل من قطعك وتعفو عن ظلمك (ويتقلب) بعد الفراغ من الحساب (الى اهله مسرورا) بما اوتي من الخير والكرامة والمراد بالاهل هنا ما اعد الله له من الحور العين وقيل اهله ازواجه واولاده وعشائره وقد سبقوه الى الجنة والسرور هو الاعتقاد والعلم بوصول نفع اليه او دفع ضرر عنه في المستقبل وقال قوم هو معنى في القلب يلثذ لأجله بنيل المشتى يقال سر بكذا من مال أو ولد أو بلوغ امل فهو مسرور (واما من اوتي كتابه وراه ظهره) لأن يمينه مقلولة الى عنقه وتكون يده اليسرى خلف ظهره عن الكلبي وقيل تخلع يده اليسرى خلف ظهره عن مقاتل والوجه في ذلك أن تكون اعطاء الكتاب باليمين اشارة للملائكة والمؤمنين لكون صاحبه من اهل الجنة ولطفا للخلق في الاخبار به و كناية عن قبول اعماله واعطاؤه على الوجه الآخر اشارة لهم على ان صاحبه من اهل النار وعلامة المناقشة في الحساب وسوء المآب ثم حكي سبحانه ما يهل به فقال (فسوف يدعو ثورا) اي هلاكا اذا قرأ كتابه وهو أن يقول واثوراه واهلاكاه (ويصلى سعيرا) اي يدخل النار ويهذب بها عن الجبائي وقيل يصبر صلاء النار المسعرة وقيل يلزم النار معذبا على وجه التأييد (انه كان في اهله مسرورا) في الدنيا ناعما لا يهيمه أمر الآخرة ولا يشغل مشقة العبادة فابده الله بسروره غما باقيا لا ينقطع وكان المؤمن مهتما بأمر الآخرة فأبدله الله بهمه سرورا لا يزول ولا يبديد وقيل كان مسرورا بما صهي الله تعالى لا يندم عليها عن الجبائي وقيل ان من عصى وسر بمعصية الله فقد ظن انه لا يرجع الى البعث ولو كان موقنا بالبعث والجزاء لكان بعيدا عن السرور بالمعاصي (انه ظن أن لن يحور) اي ظن في دار التكليف انه لم يرجع الى حال الحياة في الآخرة للجزاء فان تكب المآثم واتهك المحارم وقال مقاتل حسب أن لا يرجع الى الله فقال سبحانه على ليجورن وليعثن وليس الأمر على ما ظنه (ان ربه كان به بصيرا) من يوم خلقه الى أن يبعثه قال الزجاج كان به بصيرا قبل أن يخلقه عالما بأن مرجعه اليه ثم اقسم سبحانه فقال (فلا قسم) سبق بيانه في سورة القيامة (بالشفق) اي بالحمة التي تبقى عند المغرب في الأفق وقيل البياض (والليل وما يحسق) اي وما جمع وضم مما كان متشرا بالنهار في تصرفه وذلك ان الليل اذا قبل اوى كل شيء الى ماواه عن عكرمة وغيره وقيل وما ساق لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء الى مسكنه عن الضحاك ومقاتل وقيل وما وسق اي طرد من الكواكب فإنها تظهر بالليل وتختفي بالنهار واطراف ذلك الى الليل لأن ظهورها فيه مطرد عن ابي مسلم (والقمر اذا انسق) اي اذا استوى واجتمع وتكامل وتم قال الفراء اتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه لثلاث عشرة الى ست عشرة (لتر كبن طبقا عن طبق) هذا جواب القسم اي لتر كبن يا محمد سماء بعد سماء تصعد فيها عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والشعبي والكلبي ويجوز أن يريد درجة بعد درجة رتبة بعد رتبة في المقرية من الله ورفعة المنزلة عنده وروى مجاهد عن ابن عباس انه كان يقرأ لتر كبن بفتح الباء طبقا عن طبق قال يعني نبيكم حالا بعد حال رواه البخاري في الصحيح ومن قرأ بالضم فانخطاب للناس اي لتر كبن حالا بعد حال ومنزلا بعد منزل وأمرأ بعد امر يعني في الآخرة والمراد ان

الاحوال تتقلب بهم فيصيرون على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وعن معنى بعد كما قال سبحانه عما
قليل ليصبحن نادمين اي بعد قليل وقال الشاعر

قربا مربوط النعامة مني لقمحت حرب وائل عن حبال

اي بعد حبال وقيل معناه شدة بعد شدة حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء وروي ذلك مرفوعا وقيل
امرا بعد امر ورخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وفقرا بعد غنى وغنى بعد فقر وصحة بعد سقم وسقا بعد صحة
عن عطا وقيل حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم خلقا آخر ثم جنينا ثم وليدا ثم رضيعا ثم
فطليا ثم يافعا ثم ناشئا ثم مترعرا ثم حزورا ثم مراهقا ثم محتلا ثم بالغا ثم امرد ثم طارا ثم باقلا ثم مسيطرا
ثم مطرخا ثم مختطا ثم صملا ثم ملتجيا ثم مستويا ثم مصعدا ثم مجتعا والشاب يجمع ذلك كله ثم ماهوزا
ثم كهلا ثم اشمطا ثم شيخا ثم اشيب ثم حوقلا ثم صفنا ثم ها ثم هرما ثم ميتا فيشتمل الانسان من كونه
نطفة إلى ان يموت على سبعة وثلاثين اسما وقيل معناه لتحدثن امرا لم تكونوا عليه في كل عشرين سنة
عن مكحول وقيل معناه لتركن منزلة عن منزلة وطبقة عن طبقة وذلك أن من كان على صلاح دعاه
ذلك إلى صلاح فوقه ومن كان إلى فساد دعاه إلى فساد فوقه لأن كل شيء يجر إلى شكله وقيل لتركن
سنن من كان قبلكم من الأولين واحوالهم عن ابي عبيدة وروي ذلك عن الصادق (ع) والمعنى انه
يكون فيكم ما كان فيهم ويجري عليكم ما جرى عليهم حذو القذة بالقذة ثم قال سبحانه على وجه التقرير
لهم والتبكي (فا لهم) يعني كفار قريش (لا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والمعنى اي شيء لهم إذا
لم يؤمنوا وهو استفهام انكار أي لا شيء لهم من النعيم والكرامة إذا لم يؤمنوا وقيل معناه فاوجه الارتباب
الذي يصرفهم عن الايمان وهو تعجب منهم في تركهم الايمان والمراد اي ماع لهم واي عذر لهم في
ترك الايمان مع وضوح الدلائل (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) عطف على قوله فا لهم لا يؤمنون
اي ما الذي يصرفهم عن الايمان وعن السجود لله تعالى إذا تلى عليهم القرآن وقيل معنى لا يسجدون
لا يصلون لله تعالى عن عطا والكليبي وفي خبر مرفوع عن ابي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا السماء
انشقت فسجد ثم قال سبحانه (بل الذين كفروا يكذبون) اي لم يتركوا الايمان لتصور في البيان أو
لاقتطاع من البرهان لكنهم قلدوا اسلافهم ورواهم في التكذيب بالرسول والقرآن (والله اعلم بما يعون)
اي يجمعون في صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب والشرك عن ابن عباس وقتادة ومقاتل وقيل
بما يجمعون من الأعمال الصالحة والسيرة عن ابن زيد قال الفراء اصل الايمان جعل الشيء في وعاء والقلوب
اوعية لما يحصل فيها من علم او جهل وفي كلام امير المؤمنين (ع) ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعياتهم
قال (فبشرهم) يا محمد (بعذاب اليم) اي اجعل ذلك لهم بدل البشارة للمؤمنين بالرحمة ثم استثنى سبحانه
المؤمنين من جملة المخاطبين فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) أي غير منقوص
ولا مقطوع لأن نعيم الآخرة غير منقطع عن ابن عباس وقيل غير منقص ولا مكدر بالمن عن الجبائي وروي
ذلك عن الحسن وقيل له من ولا متوايما قيل له من ومنه لأنه يقطع عن شكر النعمة واصل المن القطع
يقال منت الحبل اذا قطعت قال لبيد

لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما بين طعامها

وقيل ليس لأحد عليها منة فيما يكسب وفي قوله سبحانه فما لهم لا يؤمنون ولا يسجدون دلالة على ان
الايان والسجود فعلهم لأن الحكيم لا يقول مالك لا تؤمن ولا تسجد لمن يعلم انه لا يقدر على الايمان
والسجود ولو وجد ذلك لم يكن من فعله وبدل قوله لا يسجدون على ان الكفار مخاطبون بالعبادات

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ان ربه كان به بصيرا بما قبله انه سبحانه لما اخبر عن ظن الكافرين ان يحور عقبه بالاخبار
بانه يحور والقطع عليه وذكرا به بصيره وقيل ان تقديره بلى سير جمع الى الآخر قوره بصير بأحواله فسيجازيه بأعماله

سورة البروج

مكية اثنتان وعشرون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها اعطاه الله من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم
عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات يونس بن ظبيان عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ والسماء ذات
البروج في فرائضه فإنها سورة النبيين كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر المؤمنين وافتتح هذه السورة ايضا بذكر المؤمنين من اصحاب
الاخدود فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (٢) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٣) وَشَاهِدِ
وَمَشْهُودِ (٤) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٥) الْأَنْارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٦) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٧) وَهُمْ
عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٨) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
(٩) الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١٢) إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٣) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ (١٤) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٥) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ
(١٦) فَعَالٍ لِمَا يُرِيدُ (١٧) هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ الْجَنَّاتِ (١٨) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٩) بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ (٢٠) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢١) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢٢) فِي

اثنتان وعشرون آية

لوح محفوظ

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم وقتيبة المجيد بالجر والباقون بالرفع وقرأ نافع في لوح محفوظ بالرفع والباقون بالجر

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من رفع المجيد كان متبعا لقوله ذوالعرش ومن جر فمن النحويين من جعله وصفا لقوله ربك في ان بطش ربك قال ولا اجعله وصفا للعرش ومنهم من قال صفة للعرش قال ابو زيد يقال مجدت الايل تمجدا مجودا اذا رعت في ارض مكثته وشبعت وامجدت الايل اذا اشبعها وقالوا في كل شجر نار واستمجد المرخ والغفار اي صار ماجدا في ايرائه النار وقيل استمجد الغفار اذا كثر ناره وصفت وحجة نافع في قرأته محفوظا أن القرآن وصف بالحفظ في قوله وانا له لحافظون ومعنى حفظ القرآن انه يؤمن من تحريفه وتبديله وتغييره فلا يلحقه شيء من ذلك وحجة من جر محفوظا جعله وصفا لأوح فانهم يقولون الأوح المحفوظ

﴿ اللغة ﴾

الأخدود الشق العظيم في الأرض ومنه ما روي في معجز النبي ﷺ انه دعا الشجرة فجعلت تخذ الأرض خذا حتى أتته ومنه الخرد لمجاري الدموع وتخذ لحمه اذا صار فيه طرائق كالشقوق والوقود ما تشتمل به النار من الحطب وغيره بفتح الواو والوقود بالضم الايقاد يقال فنتت الشيء احرقته والفتين حجارة سود كأنها محرقة وأصل الفتنة الامتحان ثم يستعمل في العذاب

﴿ الاعراب ﴾

قال الفراء قتل اصحاب الاخدود جواب القسم كما كان جواب والشمس وضحاها قد افلح من زكاه وقيل ان جواب القسم محذوف وتقديره ان الأمر حق في الجزاء على الاعمال وقيل جواب القسم قوله ان الذين فتنوا المؤمنین الآية وقيل جواب القسم قوله ان بطش ربك لشديد النار يدل من الاخدود وهو بدل الاشتمال لأن الاخدود يشتمل على ما فيه من النار اي النار منه وذات الوقود صفة للنار ويسأل على هذا فيقال كيف خصت هذه النار بذاوكل نار لها وقود واجيب عنها بجوابين ﴿ احدها ﴾ انه قد يكون نار ليست بذات وقود كنار الحجر ونار الكبد ﴿ والآخر ﴾ ان الوقود معرف فصار مخصوصا كأنه وقود بعينه كما قال وقودها الناس والحجارة فكان الوقود هنا ابدان الناس إذ هم عليها قعود إذ مضاف الى الجملة وهي ظرف لقوله قتل اصحاب الاخدود اذا كان اخبارا لادعاء وان يؤمنوا في موضع نصب بقوله تقموا والتقدير وما تقموا الا ايمانهم فرعون وثمود في موضع جريدل من الجنود ويجوز أن يكونا في موضع نصب باضمار فعل كأنه قال اعني فرعون وثمود

﴿ قصة اصحاب الاخدود ﴾

روى مسلم في الصحيح عن هدية بن خالد عن حماد بن سلمه عن ثابت بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال لي قد حضر اجلي فادفع الي غلاما اعلمه السحر فدفع اليه غلاما وكان يختلف اليه وبين الساحر والملك راهب فمر الغلام بالراهب فاعجبه كلامه وامره فكان يبطل عنده القمود فلذا ابطأ عن الساحر ضربه واذا ابطأ عن

اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يا بني اذا استبطأك الساحر فقل حبسني اهلي واذا استبطأك اهلك
 قتل حبسني الساحر فيبينما هو ذات يوم اذا بالناس قد حبستهم دابة عظيمة فظيعة فقال اليوم اعلم امر الساحر
 افضل ام امر الراهب فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك فاقتل هذه الدابة فرمى
 قتلها ومضى الناس فاخبر بذلك الراهب فقال اي بني انك ستبتلى واذا ابتليت فلا تدل علي قال وجعل
 يداوي الناس فيبصرى الأكمه والأبرص فيبينما هو كذلك إذ عمي جلس للملك فأتاه وحمل اليه مالا كثيرا
 فقال اشفني ولك ما هاهنا فقال اني لا اشفي احدا ولكن الله يشفي فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك قال
 فأمن فدعا الله له فشفاه فذهب فجلس الى الملك فقال يا فلان من شفاك قال ربي قال انا قال لا ربي وربك
 الله قال أو أن لك ربا غيري قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الغلام فبعث الى الغلام فقال لقد
 بلغ من امرك أن تشفي الأكمه والأبرص قال ما اشفي احدا ولكن الله ربي يشفي قال أو ان لك ربا غيري
 قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين
 وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فارسل معه نفرا وقال اصعدوا به جبل كذا وكذا فان رجع عن دينه
 وإلا فدهدوه منه قال فدلوا به الجبل فقال اللهم اكنفهم بما شئت قال فرجف بهم الجبل فدهدوهوا اجمعون
 وجاء الى الملك فقال ما صنع اصحابك قال كفانيهم الله فارسل به مرة اخرى قال انطلقوا به فلججوه في
 البحر فان رجع وإلا ففرقوه فانطلقوا به في قرقور فلما توسطوا به البحر قال اللهم اكنفهم بم شئت قال
 فانكفأت بهم السفينة وجاء حتى قام بين يدي الملك فقال ما صنع اصحابك قال كفانيهم الله ثم قال انك
 لست بقائلي حتى تفعل ما أمرك به اجمع الناس ثم اصليني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضمه على
 كبد القوس ثم قل باسم رب الغلام فانك ستقتلني قال فجمع الناس وصلبه ثم أخذ سهما من كنانته فوضعه
 على كبد القوس وقال باسم رب الغلام ورمى فوق السهم في صدغه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام
 فقيل له أرايت ما كنت تخاف قد نزل والله بك آمن الناس فأمر بالأخدود فخذت على افواه السكك
 ثم اضرمها نارا فقال من رجع عن دينه فدعوه ومن أبى فاقحموه فيها فجمعوا يقتحمونها وجاءت امرأة بابن لها
 فقال لها يا امه اصبري فانك على الحق وقال ابن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب إذ ورد عليه انهم
 احتفروا فوجدوا ذلك الغلام وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى صدغه فكتب عمر
 واروه حيث وجدتموه وروى سعيد بن جبيرة قال لما نهزم اهل اسفندهان قال عمر بن الخطاب ما هم يهود
 ولا نصارى ولا لهم كتاب وكاتبوا مجوسا فقال علي بن ابي طالب (ع) بل قد كان لهم كتاب ولكنه
 رفع وذلك ان ملكا لهم سكر فوقع على ابنته او قال على اخته فلما افاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيه
 قالت تجتمع اهل مملكتك وتخبرهم انك ترى نكاح البنات وتأمرهم ان يحلوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن
 يتابعوه فخذ لهم اخدودا في الأرض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فن أبى قبول ذلك كذفه في النار ومن
 أجاب خلى سبيله وقال الحسن كان النبي ﷺ اذا ذكر أمامه اصحاب الاخدود ترمذ بالله من جهد البلاء
 وروى المياشي بإسناده عن جابر عن ابي جعفر (ع) قال أرسل علي (ع) الى اسقف نجران يسأله عن اصحاب
 الاخدود فأخبره بشي فقال (ع) ليس كما ذكرت ولكن سأخبرك عنهم إن الله بعث رجلا حبشيا نبيا وم
 حبشة فكذبوه فقاتلهم فقتلوا اصحابه وأسروه وأسروا اصحابه ثم بنوا له حيا رآهم ملأوه ناراً ثم جمعوا الناس فقالوا من

كان على ديننا وأمرنا فليعتزل ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه فجعل أصحابه يتهافون في النار فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر فلما هجمت على النار هابت وركت على ابنها فتأداها الصبي لا تهابي واري بي وبنفسك في النار فإن هذا والله في الله قليل فرمت بنفسها في النار وصبيها وكان ممن تكلم في المهد وإسناده عن ميثم التمار قال سمعت أمير المؤمنين (ع) وذكر أصحاب الأخدود فقال كانوا عشرة وعلى مثلهم عشرة يقتلون في هذا السوق وقال مقاتل كان أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران والآخر بالشام والآخر بغارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فهو انطياخوس الرومي وأما الذي بغارس فهو ينجت نصر وأما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس فأما من كان بغارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيها قرآناً وأنزل في الذي كان بنجران وذلك ان رجلين مسلمين ممن يقرأون الانجيل ﴿أحدها﴾ بأرض تهامة ﴿والآخر﴾ بنجران البين أجر أحدها نفسه في عمل يعمله فجعل يقرأ الانجيل فرأت ابنة المستاجر النور يضي من قراءة الانجيل فذكرت لأبيها فرمق حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه مع سبعة وثمانين انساناً من رجل وامرأة وهذا بعدما رفع عيسى الى السماء فسمع يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تبع الجبيري فخذله في الارض وأوقد فيها فمرضهم على الكفر فمن ابى قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها وإذا امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على صغير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت فقال لها يا اماء اني ارى أمامك ناراً لا تطفئ فلما سمعت من ابنها ذلك قذفها في النار فجعلها الله وابنها في الجنة وقذف في النار سبعة وسبعون انساناً قال ابن عباس من ابى أن يقع في النار ضرب بالسياط فأدخل الله ارواحهم في الجنة قبل ان تصل اجسامهم الى النار

﴿ المعنى ﴾

ان الله سبحانه أقسم بالسموات فقال (والسماوات البروج) فالبروج المنازل العالية والمراد هنا منازل الشمس والقمر والكواكب وهي اثنا عشر برجاً يسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث وتسير الشمس في كل برج شهراً (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة في قول جميع المفسرين وهو اليوم الذي يجازى فيه الخلائق ويفصل فيه القضاء (وشاهد ومشهود) فيه أقوال ﴿ أحدها ﴾ ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة عن ابن عباس وقناة قوروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وروي ذلك عن النبي ﷺ وسمي يوم الجمعة شاهداً لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه وفي الحديث ما طلعت الشمس على يوم ولا غربت على يوم أفضل منه وفيه ساعة لا يوافقها من يدعو فيها الله بخير الا استجاب له ولا استعاذ من شر الا أعاده منه ويوم عرفة مشهود يشهد الناس فيه موسم الحج وتشهده الملائكة ﴿ وثانيها ﴾ أن الشاهد يوم النحر والمشهود يوم عرفة عن ابراهيم ﴿ وثالثها ﴾ أن الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة عن ابن عباس في رواية اخرى وسعيد بن المسيب وهو المروي عن الحسن بن علي وروي ان رجلاً دخل مسجد رسول الله ﷺ فإذا رجل يحدث عن رسول الله ﷺ قال فسأته عن الشاهد والمشهود فقال نعم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة فجزته الى آخر يحدث عن رسول الله ﷺ فسأته عن ذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر فجزتهما الى غلام كان وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله ﷺ فقلت اخبرني عن شاهد ومشهود فقال اما الشاهد فمحمد ﷺ واما المشهود فيوم القيامة اما سمعته سبحانه يقول يا ايها

النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فسألت عن
 الأول فقالوا ابن عباس وسألت عن الثاني فقالوا ابن عمر وسألت عن الثالث فقالوا الحسن بن علي (ع)
 ورابعها * أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أكثروا
 الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة وان احدا لا يصلي علي إلا عرضت علي صلواته
 حتى يفرغ منها قال فقلت وبعد الموت فقال إن الله حرم على الأرض أن تأكل اجساد الانبياء فنبى الله حي
 يرزق * وخامسها * ان الشاهد الملك يشهد على بني آدم والمشهود يوم القيامة عن عكرمة وتلاهاتين
 الآيتين وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وذلك يوم مشهود وقد قبل في ذلك أقوال اخر كقول الجبائي
 الشاهد الذين يشهدون على الناس والمشهود هم الذين يشهد عليهم وقول الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة
 والمشهود سائر الامة لقوله لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد اعضاء بني آدم والمشهود هم لقوله يوم
 تشهد عليهم الستمم الآية وقيل الشاهد الحجر الاسود والمشهود الحاج وقيل الشاهد الأيام والليالي والمشهود
 بنو آدم وينشد للحسين بن علي (ع)

مضى امسك الماضي شهيدا معدلا	وخلقت في يوم عليك شهيدا
فان انت بالامس اقترفت اساءة	فقيد باحسان وانت حميد
ولا ترج فعل الخير يوما إلى غد	لعل غدا يأتي وانت قعيد

وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم بيانه واذا أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله فاشهدوا وانا
 معكم من الشاهدين وقيل الشاهد الله والمشهود لا إله إلا الله بيانه قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية
 وقيل الشاهد الخلق والمشهود الحق والبه اشار الشاعر بقوله

أيا عجباً كيف يعصي الإله	ام كيف يجحده الجاحد
والله في كل تحريكة	وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على انه واحد

فهذه ثمانية اقوال اخر (قل اصحاب الاخدود) اي لمنوا بحريقهم الناس في الدنيا قبل الآخرة والمراد
 به الكافرون الذين حفروا الاخدود وعذبوا المؤمنين بالنار ويحتمل أن يكون اخباراً عن المسلمين الذين
 عذبوا بالنار في الاخدود والمعنى انهم قتلوا بالاحراق في النار ذكروا الله سبحانه واثني عليهم بحسن
 بصيرتهم وصبرهم على دينهم حتى احرقوا بالنار لا يعطون التقية بالرجوع عن الإيمان (النار ذات الوقود)
 أي اصحاب النار الذين أوقدوها باحراق المؤمنين وقوله ذات الوقود اشارة إلى كثرة حطب هذه النار
 وتعظيم لأمرها فإن النار لا تخلو عن وقود (إذ هم عليها قعود) يعني الكفار اذ هم على اطراف هذه النار
 جلوس يعذبون المؤمنين عن ابن عباس وقيل يعني هم عندها قعود يعرضونهم على الكفر عن مقاتل قال
 مجاهد كانوا قعوداً على الكراسي عند الاخدود وهو قوله (وم) يعني الملك واصحابه الذين خدوا الاخدود
 (على ما يفعلون بالمؤمنين) من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا إلى دينهم (شهود) أي حضور
 قال الزجاج أعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقبة ايمانهم إلى ان صبروا على ان احرقوا بالنار في الله وقال
 الربيع بن انس لما القوا في النار نجى الله المؤمنين بأن اخذ رواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى

من على شفير الاخدود من الكفار فأحرقتهم وقيل انهم كانوا فرقتين فرقة تعذب المؤمنين وفرقة تشاهد
الحال لم يتولوا تعذيبهم لكنهم قومود رضوا بفعل اولئك وكانت الفرقة القاعدة مؤمنة لكنهم لم ينكروا على
الكفار صديقهم فلمنهم الله جميعا عن ابي مسلم والقعود جمع القاعد وكذلك الشهود جمع الشاهد وهم كل
حاضر على ما شاهدوه إما بسمع أو بصر (وما تقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله) أي ما كرهوا منهم إلا انهم
آمنوا عن ابن عباس وقيل ما انكروا عليهم ديناً وما عابوا منهم شيئاً إلا ايمانهم وهذا كقوله هل نقمون منا
الا ان آمننا بالله عن الزجاج ومقاتل وقال الجبائي ما فعلوا بهم ذلك العذاب إلا بايمانهم (العزيز) القادر الذي
لا يمتنع عليه شيء القاهر الذي لا يقهر (الحميد) المحمود في جميع افعاله (الذي له ملك السموات والارض)
أي له التصرف في السموات والارض لا اعتراض لأجد عليه (والله على كل شيء شهيد) أي شاهد عليهم
لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين فإنه يجازيهم وينصف للمؤمنين منهم (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات)
أي الذين احرقوهم وعذبوهم بالنار عن ابن عباس وقاعدة والضحاك ومثله يومهم صلى النار يغتنون (ثم لم
يتوبوا) من فعلهم ذلك ومن الشرك الذي كانوا عليه وإنما شرط عدم التوبة لأنهم لو تابوا لما توجه اليهم الوعيد
(فاهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما احرقوا المؤمنين . يسأل فيقال كيف فصل بين
عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد . اجيب عن ذلك بأن المراد لهم انواع العذاب في جهنم سوى الاحراق
مثل الزقوم والتسليخ والمقامع ولم مع ذلك الاحراق بالنار وقيل لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب
الحريق في الدنيا وذلك ان النار ارتفعت من الاخدود فأحرقتهم عن الربيع بن انس وهو قول الكلبي وقال
الفرأ . ارتفعت النار عليهم فأحرقتهم فوق الاخاديد ونجا المؤمنون ثم ذكر سبحانه ما اعده للمؤمنين الذين
احرقوا بالنار فقال (ان الذين آمنوا) أي صدقوا بتوحيد الله (وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها
الانهار ذلك الفوز الكبير) النجاة العظيم والنعم الخالص وإنما وصفه بالكبير لأن نعيم العاملين كبير بالإضافة
الى نعيم من لا عمل له من داخلي الجنة لما في ذلك من الاجلال والاكرام والتبجيل والاعظام ثم قال سبحانه متوعداً
للكفار والعصاة (ان بطش ربك) يا محمد (لشديد) يعني ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة والجباية أليم شديد واذا
وصف البطش وهو الاخذ عنفاً بالشدة فقد تضاعف مكروهه وتزايد ايلامه (انه هو يبدى) الخلق يخلفهم
اولاً في الدنيا (ويبدى) هم احياء بعد الموت للحساب والجزاء . فليس امهاله لمن يعصيه لاهاله اياه وقيل انه يبدى
بالعذاب في الدنيا ويبدى في الآخرة عن ابن عباس وذلك لأن ما قبله يقتضيه (وهو الغفور) لذنوب
المؤمنين من اهل طاعته ومعناه كثير التفران عادته مغفرة الذنوب (الودود) يود اوليائه . ويحبهم عن مجاهد
قال الازهري في تفسير اسما . الله يجوز ان يكون ودود فمولا بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان
عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من فضله وكرمه ولما اسبغ من آلائه ونعمه قال وكلنا الصغتين
مدح لأنه سبحانه ان احب عباده المطيعين فهو فضل منه وان احبوه فلما عرفوه من فضله واحسانه (ذو
العرش المجيد) اكثر القراءة في المجيد الرفع لأن الله سبحانه هو الموصوف بالمجد ولأن المجيد لم يسمع في
غير صفة الله تعالى وان سمع الماجد ومن كسر المجيد جملة من صفة العرش وروي عن ابن عباس انه قال
يريد العرش وحسنه وهو يده ان العرش وصف بالكرم في قوله رب العرش الكريم فجاز ايضاً ان يوصف
بالمجد لأن معناه الكمال والعلو والرفعة والعرش اكل كل شيء واعلاه واجمعه لصفات الحسن

(فعال لما يريد) لا يعجزه شيء طلبه ولا يمتنع منه شيء اراده عن عطاء وقيل لما يريد من الابداء والإعادة ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال (هل أتيتك حديث الجنود) الذين تجندوا على انبياء الله أي هل بلغك اخبارهم وقيل اراد قد اتاك ثم بين سبحانه اصحاب الجنود فقتل (فرعون وثور) والمعنى تذكر يا محمد حديثهم تذكر معتبر كيف كذبوا انبياء الله وكيف نزل بهم العذاب وكيف صبر الانبياء وكيف نصروا فاصبر كما صبر اولئك يا أتيتك النصر كما أتاهم وهذا من الامجاز البديع والتلويح القصيح الذي لا يقوم مقامه التصريح (بل الذين كفروا) يعني مشركي قريش (في تكذيب) لك والقرآن قد عرضوا عما يوجب الاعتبار واقتبلوا على ما يوجب الكفر والطغيان (والله من ورائهم محيط) معناه انهم في قبضة الله وسلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوانبه لا يمكنه الفوات والحرب وهذا من بلاغة القرآن (بل هو قرآن مجيد) أي كريم لأنه كلام الرب عن ابن عباس أي ليس هو كما يقولون من انه شعر أو كهانة وسحر بل هو قرآن كريم عظيم الكرم فيما يعطي من الخير جليل الخطر والقدر وقيل هو قرآن كريم لما يعطي من المعاني الجليلة والدلائل النغيبه ولأن جميع حكم والحكم على ثلاثة اوجه لا رابع لها معنى يعمل عليه فيما يخشى او يتقى وموعظة تلين القلب للعمل بالحق وحجة تؤدي إلى تمييز الحق من الباطل في علم دين او دنيا وعلم الدين اشرفها وجميع ذلك موجود في القرآن (في لوح محفوظ) من التغيير والتبديل والنقصان والزيادة وهذا على قراءة من رفعه فجعله من صفة قرآن ومن جره فجعله لوح فالمعنى انه محفوظ لا يطلع عليه غير الملائكة وقيل محفوظ عند الله وهو أم الكتاب ومنه نسخ القرآن والكتب وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في جبهة اسرافيل عن انس وقيل اللوح المحفوظ عن عيين المرش عن مقاتل

سورة الطارق

مكية سبع عشرة آية

﴿ فضلتها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات عن المعل بن خنيس عن ابي عبد الله (ع) قال من كان قراءته في الفريضة بالساء والطارق كان له يوم القيامة عند الله جاه ومنزلة وكان من رفقاء النبيين واصحابهم في الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بالوعيد واقتنع هذه السورة بمثله واكد ذلك بأن اعمال الخلق محفوظة فقال بسم الله الرحمن الرحيم (١) والساء والطارق (٢) وما أدرك ما الطارق (٣) النجم الثاقب (٤) إن كل نفس لسا عليها حافظ (٥) فليظنر الإنسان من خلق (٦) خلق من ماء دافق (٧) يخرج من بين الصلب والترائب (٨) إنه على رجه لقادر (٩) يوم تئلي السرائر (١٠) فما له من قوة

ولا ناصر (١١) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١٢) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٣) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٤)
وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٥) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٦) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٧) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ امْهَلُهُمْ
رُويْدًا سبع عشرة آية

❖ القراءة ❖

قرأ ابو جعفر وابن عامر وعاصم وحزرة لما عليها بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة ابن عباس مهلم رويدا بخير الف

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من خفف لما كانت ان عنده المخففة من الثقل واللام معها هي اللام التي تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من ان النافية وما صلة كاتي في قوله فبا رحمة من الله وعما قليل وتكون ان متلقية للقسم كما تنلقا متقلة ومن ثقل لما كانت ان عنده النافية كاتي في قوله فبا ان مكناكم فيه ولما في معنى الا وهي متلقية للقسم كما يتلقاه ما قال ابو الحسن الثقلية في معنى الا والعرب لا تكاد تعرف ذا وقال الكسائي لا اعرف وجه الثقل وعن ابن عوف قال قرأت عند ابن سيرين ان كل نفس لما بالتشديد فأنكره قال الزجاج استعملت لما في موضع الا في موضعين ❖ احدهما ❖ هذا والآخر في باب القسم تقول سأنتك لما فعلتك بمعنى الافعلت

❖ اللفظة ❖

طرقتي فلان إذا اتاني ليلا واصل الطرق الدق ومنه الطريقة لانها يدق بها والطريق لأن المارة تدقه والطارق الآتي ليلا يحتاج إلى الدق للتنبه ونهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل اهله ليلا حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثة وقالت هند بنت عتبة (نحن بنات طارق نمشي على النمارق) تريدان ابانا نجم في شرفه وعاهوه وقال الشاعر

يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تأمنن بليل طاب اوله فرب آخر ليل أجمع النارا

والنجم الكواكب الطالعة في السماء يقال لكل طالع ناجم تشبها به نجم النبت ونجم السن والقرن والثاقب المضى النير وثقوبه ثوقه بنوره والثاقب العالي الشديد العلو والدق صب الماء الكثير باعتماد قوي ومثله الدفع فالما الذي يكون منه الولد دافقا وهو القاطر المصب وهي النطفة التي يخفق الله منها الولد وقبل ماء دافق معناه مدفوق ومثله سر كاتم وعيشة راضية والترائب نواحي الصدر واحداثها تربية وهو مأخوذ من تدليل حر كنها كالتراب قال المنقب

ومن ذهب يسن على ترهب كلون العاج ليس بذي غصون

وقال آخر

والزعفران على ترائبها شرقا به اللبات والصدر
والرجع اصله من الرجوع وهو الماء الكثير تردده الرباح، عليه قال المنخل في صفة السيف
ايض كالرجع رسوب إذا ما ثاخ في محتفل يخنلي

قل الزجاج الرجح المطر لأنه يجي ويبرجع ويتكرر والصدع الشق فصدع الارض انشقاقها بالنبات وضروب الزروع والاشجار

✽ الاعراب ✽

ما الطارق ما استفهام والجملة مبتدأ وخبر وهي معلقة بأدراك في موضع المفعول الثاني والثالث وقوله يوم تبلى السرائر العامل فيه فعل مضمرة يدل عليه قوله على رجمه لقادر والتقدير يرجعه يوم ابتلاء السرائر ولا يجوز أن يعمل فيه المصدر لأنه يكون من صلته وقد فرق بينه وبينه بقوله لقادر ويجوز أن يكون العامل فيه قوله لقادر ورويداً صفة لمصدر محذوف وتقديره امهالاً رويداً

✽ المعنى ✽

أقسم الله سبحانه فقال (والسحاب) اي بالسحاب وقيل برب السماء وقد بينا القول في ذلك (والطارق) وهو الذي يجي ليلاً (وما ادريك ما الطارق) وذلك ان هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلاً ولم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد لولم بينه ثم بينه بقوله (النجم الثاقب) أي هو الكوكب المضي ويريد به العموم وهو جماع النجوم عن الحسن وقيل هو زحل والثاقب العالي على النجوم عن ابن زيد وقيل اراد به الثريا والعرب تسميه النجم وقيل هو القمر لأنه يطلع بالليل عن الغراء وجواب القسم قوله (ان كل نفس لما عليها حافظ) اي ما كل نفس الا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها وقولها وفعلها ويحصى ما بكتسبه من خير وشر ومن قرأ لما بالتخفيف فالمعنى ان كل نفس لعلها حافظ يحفظها وقال قتادة حافظ من الملائكة يحفظ عملها ورزقها واجلها ثم نبه سبحانه على البعث بقوله (فلينظر الإنسان) يعني المكذب بالبعث عن مقاتل (م خلق) اي فلينظر نظر التفكير والاستدلال من اي شيء خلقه الله وكيف خلقه وانشأه حتى يعرف ان الذي ابتداء من نطفة قادر على اعادته ثم ذكر من اي شيء خلقه فقال (خلق من ماء دافق) اي من ماء مهراق في رحم المرأة يعني المنى الذي يكون منه الولد عن ابن عباس قال الغراء واهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم نحو سر كاتم وهم ناصب وليل نائم وقد ذكرناه قبل ثم وصف سبحانه ذلك الماء فقال (يخرج من بين الصلب والترائب) وهو موضع القلادة من الصدر عن ابن عباس قال عطاء يريد صلب الرجل وترائب المرأة والولد لا يكون إلا من الماء بين وقيل الترائب اليدان والرجلان والعينان عن الضحاك وسئل عكرمة عن الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثديه وقيل ما بين المنكبين والصدر عن مجاهد والمشهور في كلام العرب أنها عظام الصدر والنحر (انه على رجمه لقادر) يعني ان الذي خلقه ابتداء من هذا الماء يقدر على ان يرجعه حياً بعد الموت عن الحسن وقاتدة والجبائي وقيل معناه انه تعالى على رد الماء في الصلب لقادر عن عكرمة ومجاهد وقيل انه على رد الإنسان ماء كما كان قادر عن الضحاك وقال مقاتل ابن حيان يقول إن شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبي ومن الصبي الى النطفة والاصح القول الاول لقوله (يوم تبلى السرائر) أي انه قادر على بعثه يوم القيامة ومعنى الرجوع رد الشيء إلى اول حاله والسرائر اعمال بني آدم والفرائض التي اوجبت عليه وهي سراير بين الله والعبد وتبلى اي تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرا من شرها ومودعها من مضيعها روي ذلك مرفوعاً عن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ضمن الله خلقه اربع خصال الصلاة والزكوة وصوم رمضان والنسل من الجنابة

وهي السرائر التي قال الله يوم تبلى السرائر وعن معاذ بن جبل قال سألت رسول الله ﷺ وما هذه السرائر التي تبلى بها العباد في الآخرة فقال سرائر كم هي اعمالكم من الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض لأن الأعمال كلها سرائر خفية فإن شاء قال الرجل صليت ولم يصل وان شاء قال توضأت ولم يتوضأ فذلك قوله يوم تبلى السرائر وقيل يظهر الله اعمال كل احد لأهل القيامة حتى يعلموا على اي شيء ائابه ويكون فيه زيادة سرور له وان يكن من اهل العقوبة يظهر عمله ليعلموا على اي شيء عاقبه ويكون ذلك زيادة غم له والسرائر ما سره من خير او شر وما اضمره من إيمان او كفر وروى عن عبد الله بن عمر انه قال بيدي الله يوم القيامة كل سر ويكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه (فأله) أي فإلهنا الإنسان المنكر للبعث والحشر (من قوة) يمنع به من عذاب الله (ولا ناصر) ينصره من الله والقوة هي القدرة ثم ذكر سبحانه قسما آخر تأكيذا لأمر القيامة فقال (والسما ذات الرفع) أي ذات المطر عن أكثر المفسرين وقيل يعني بالرفع شمسها وقمرها ونجومها تقيب ثم تطلع عن ابن زيد وقيل رجع السماء اعطوا الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الازمات فترجع بالغيث وازراق العباد وغير ذلك (والأرض ذات الصدع) تنصدع بالنبات أي تنشق فيخرج منها النبات والاشجار (انه لقول فصل) هذا جواب القسم يعني ان القرآن يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما وروى ذلك عن الصادق (ع) وقيل معناه ان الوعد بالبعث والا حياء بعد الموت قول فصل أي مقطوع به لا خلاف ولا ريب فيه (وما هو بالهزل) أي هو الجسد وليس باللعب وقيل ان القرآن لم ينزل باللعب ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (إنهم يكيدون كيدا) أي يحتالون في الايقاع بك وبين معك ويريدون اطفاء نورك (واكيد كيدا) أي اريد امرا آخر على ضد ما يريدون وادبر ما ينتقض ندايرهم ومكايدهم فسمى ذلك كيدا من حيث يخفى ذلك عليهم (فهل الكافرين) أي انتظر بهم يا محمد ولا تعاجلهم وارض بتدبير الله فيهم (امهلهم رويدا) أي امهالا قليلا عن قتادة وإنما قلل الامهال لأن ما هو كائن آت لا محالة فهو قليل والمراد به يوم القيامة وقيل اراد يوم بدر والمعنى لا تمجل علي في طلب هلاكهم بل اصبر عليهم قليلا فإن الله مجزيهم لا محالة إما بالقتل والذل في الدنيا أو بالمذاب في الآخرة قال ابن جني قوله فهل الكافرين امهلهم غير اللفظ لأنه أثر التأكيد وكره التكرير فلما تجشم اعادة اللفظ انحرف عنه بعض الانحراف بتغييره المثل وانتقل عن لفظ فعل إلى لفظ افعال فقال امهلهم ولما تجشم التثنية جاء بالمعنى وترك اللفظ البتة فقال رويدا

سورة الاعلى

مكية عن ابن عباس مدنية عن الضحاك وهي تسعة عشرة آية بلا خلاف

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال النبي ﷺ من قرأها اعطاه الله من الاجر عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد ﷺ وروى عن علي بن ابي طالب (ع) قال كان رسول الله ﷺ

يجب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى وأول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل وعن ابن عباس كان النبي ﷺ إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربي الأعلى وكذلك روي عن علي (ع) وابن عمر وابن الزبير أنهم كانوا يفعلون ذلك وروى جوير عن الضحاك أنه كان يقول ذلك وكان يقول من قرأها فليفل ذلك وعن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سبح اسم ربك الأعلى في فريضة أو نافلة قبل يوم القيامة ادخل من أي أبواب الجنة شئت وروى العباسي بإسناده عن أبي حمزة عن علي (ع) قال صليت خلفه عشر بن ليلة فليس يقرأ إلا سبح اسم ربك وقال لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرة وإن من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى وإبراهيم الذي وفى وعن عقبه بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر الوعيد والتهديد للكفار افتتح هذه السورة بذكر صفاته العلى وقدرته على ما يشاء فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) سبح اسم ربك الأعلى (٢) الذي خلق فسوى (٣) والذي قدر فهدى (٤) والذي أخرج المرعى (٥) فجعله غثا نحوى (٦) سنقرئك فلا تنسى (٧) إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى (٨) ويسرك لبيسرى (٩) فدكر إن نعت الذي كرى (١٠) سيد كرى من يخشى (١١) وينجنيها الأشقى (١٢) الذي بصلى النار الكبرى (١٣) ثم لا يموت فيها ولا يحيى (١٤) قد أفلح من تزكى (١٥) وذكر اسم ربه فصلى (١٦) بل تؤثرون الحياة الدنيا (١٧) والآخرة خير وأبقى (١٨) إن هذا لفي الصحف الأولى (١٩) صحف إبراهيم وموسى (تسع عشرة آية)

✽ القراءة ✽

قرأ الكسائي قدر بالتحفيف وهو قراءة علي (ع) والباقون قدر بالتشديد وقرأ أبو عمرو وروح وزيد وقتيبة يؤثرون بالياء والباقون بالتاء

✽ الحجة ✽

قد تقدم ان قدر في معنى قدر فكلا الوجهين حسن وتؤثرون بالتاء على الخطاب بل انتم تؤثرون والياء على انه يريد الاشقين وروي ان ابن مسعود والحسن قرآه

✽ اللغة ✽

الأعلى نظير الاكبر ومعناه المالى بسلطانه وقدرته وكل من دونه في سلطانه ولا يقتضي ذلك المكان قال الفرزدق :

ان الذي سمك السماء بنى لنا

بيننا دعائه أعز وأطول

والثناء ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات وأصله الاخلاط من اجناس شتى

والعرب تسمي القوم اذا اجتمعوا من قبائل شتى اخلاطاً وغيثاً والاحوى الأسود والحوثة السوداء قال
ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حرة لس وفي اللثات وفي انيابها شنب

وقال :

قرحاه حواه اشراطية وكفت فيها الذهب وحفتها البراعم
والافراء أخذ القراءة على القارى بالاستماع لتقوم الزلال والقارى التالي واصله الجمع لأنه يجمع الحروف
والتسبان ذهب المعنى عن النفس ونظيره السهو وتقبضه الذكر وهو ذهاب العلم الضروري بما جرت به العادة
ان يعلمه وليس بمعنى وقال ابو علي الجبائي هو معنى من فعل الله تعالى

✽ الاعراب ✽

الاعلى يحتمل أن يكون جراً صفة لرب وان يكون نصبا صفة لاسم احوى نصب على الحال من المرعى
والتقدير اخرج المرعى احوى اي اسود لشدة خضرته فجعله غثاء اي جففه حتى صار جافاً كالغثاء ويجوز
أن يكون نعتاً لغثاء والتقدير فجعله غثاء اسود والاول اوجه وهو قول الزجاج . ما شاء الله في موضع نصب
على الاستثناء والتقدير سنتروك القرآن فلا تنساه إلا ما شاء الله ان تنساه برفع حكمه وتلاوته وهو قول الحسن
وقتادة . ان نعت الذكرى شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله فذكر والتقدير ان نعت الذكرى فذكرهم

✽ المعنى ✽

(سبح اسم ربك الاعلى) أي قل سبحان ربي الاعلى عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه نزه ربك عن
كل ما لا يليق به من الصفات المذمومة والافعال القبيحة لأن التسبيح هو التنزيه لله عما يليق به يجوز ان تقول
لا إله إلا هو فتعني ما لا يجوز في صفته من شريك في عبادته مع الاقرار بأنه الواحد في إلهيته وأراد
بالاسم المسمى وقيل انه ذكر الاسم والمراد به تعظيم المسمى كما قال ليلى « الى الحولى ثم اسم السلام عليكما »
ويحسن بالقارى اذا قرأ هذه الآية ان يقول سبحان ربي الاعلى وان كان في الصلاة قال الباقى (ع) اذا
قرأت سبح اسم ربك الاعلى فقل سبحان ربي الاعلى وان كان فيما بينك وبين نفسك والاعلى معناه
القادر الذي لا قدر اقدر منه القاهر لكل احد وقيل الاعلى صفة الاسم والمعنى سبح الله بذكر اسمه الاعلى
واساؤه الحسنى كلها اعلى وقيل معناه صل باسم ربك الاعلى عن ابن عباس (الذي خلق) الخلق (فسوى)
بينهم في باب الاحكام والاقان وقيل خلق كل ذي روح فسوى يديه وعينيه ورجليه عن الكلبي وقيل
خلق الانسان فعدل قامته عن الزجاج يعني انه لم يجعله منكوساً كالبهائم والدواب وقيل خلق الاشياء على
موجب ارادته وحكمته فسوى صنعها لتشهد على وحدانيته (والذي قدر فهدى) أي قدر الخلق على ما
خلقهم فيه من الصور والهيئات وأجرى لهم اسباب معاشهم من الارزاق والاقوات ثم هدام الى دهنه بمرقة
توجيهه بإظهار الدلالات والبيانات وقيل معناه قدر اقواتهم وهداهم لطبها وقيل قدرهم على ما اقتضته
حكيمته فهدى أي ارشد كل حيوان الى ما فيه منفعة ومضرتة حتى انه سبحانه هدى الطفل الى ثدي امه
وهدى الفرخ حتى طلب الزق من ابيه وامه والدواب والطيور حتى فزع كل منهم الى امه وطلب المعيشة
من جهته سبحانه وتعالى وقيل قدرهم ذكراً واناثاً وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى عن مقاتل والكلبي

وقيل هدى الى سبيل الخير والشر عن مجاهد وقيل قدر الولد في البطن تسعة اشهر او اقل او اكثر وهدى للخروج منه للتام عن السدي وقيل قدر المنافع في الاشياء وهدى الانسان لاستخراجها منه فجعل بعضها غذاء وبعضها دواء وبعضها ساء وهدى الى ما يحتاج الى استخراجها من الجبال والمعادن كيف تستخرج وكيف تستعمل (والذي اخرج المرعى) اي ائبت الحشيش من الارض لمنافع جميع الحيوان واقواتهم (فجعله) بعد الخضرة (غذاء) اي هشيما جافا كالغناء الذي تراه فوق السبل (أحوى) أي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا يبس اسود وقيل معناه اخرج العشب وما ترعاه النعم أحوى اي شديد الخضرة يضرب الى السواد من شدة خضرته فجعله غناء اي يابسا بعد ما كان رطبا وهو قوت البهائم في الحالبين فسبحان من دبر هذا التدبير وقدر هذا التقدير وقيل إنه مثل ضربه الله تعالى لذهاب الدنيا بعد نضارتها (سنقرئك فلا تنسى) أي سناخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك وقيل معناه سيقراً عليك جبريل القرآن بأمرنا فتحفظه ولا تنساه قال ابن عباس كان النبي ﷺ اذا نزل عليه جبرائيل (ع) بالوحي يقرأ مخافة أن ينساه فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئا (إلا ما شاء الله) أن ينسيه بنسخه من رفع حكمه وتلاوته عن الحسن وقتادة وعلى هذا فالإشياء نوع من النسخ وقد مر بيانه في سورة البقرة عند قوله ما ننسخ من آية أو ننسها الآية وقيل معناه الا ما شاء الله أن يوتر انزاله عليك فلا تقرأه وقيل الا ما شاء الله كالاستثناء في الإيمان وان لم يقع منه مشيئة النسيان قال الفراء لم يشأ الله أن ينسى عليه السلم شيئا فهو كقوله خالد بن فيها ما دامت السماوات والارض إلا ما شاء ربك ولا يشاء وكتول القائل لا عطينك كل ما سألت إلا ما شئت وإلا أن اشاء ان أمنعتك والية ان لا يمنه ومثله الاستثناء في الإيمان ففي الآية بيان لفضيلة النبي ﷺ واخبار انه مع كونه ﷺ أميا كان يحفظ القرآن وان جبرائيل عليه السلام كان يقرأ عليه سورة طويلة فيحفظه بكرة واحدة ثم لا ينساه وهذه دلالة على الاعجاز الدال على نبوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) معناه ان الله سبحانه يعلم العلانية والسر والجهر ورفع الصوت وتقبضه الهمس والمعنى انه سبحانه يحفظ عليك ما جهرت به وما اخفيتها مما تريد أن تعيه (ونيسرك لليسرى) اليسرى هي الفعلى من اليسر وهو سهولة عمل الخير والمعنى نوفر لك للشرعية اليسرى وهي الخفيفة ونهون عليك الوحي ونسهله حتى تحفظه ولا تنساه وتعمل به ولا تخالفه وقيل معناه نسهل لك من اللطاف والتأييد ما يشئت على أمرك ويسهل عليك المستصعب من تبليغ الرسالة والصبر عليه عن ابي مسلم وهذا احسن ما قيل فيه فإنه يتصل بقوله سنقرئك فلا تنسى فكأنه سبحانه أمره بالتبليغ ووعده النصر وأمره بالصبر وقيل ان اليسرى عبارة عن الجنة فهي اليسرى الكبرى أي يسر لك دخول الجنة عن الجبائي (فذكر) أمر النبي ﷺ ان يذكر الخلق ويعظهم (ان نعت الذكري) وإنما قال ذلك وذ كراه تنفع لا محالة في عمل الإيمان والامتناع من العصيان لأنه ليس بشرط حقيقة وإنما هو اخبار عن انه ينفع لامانة في زيادة الطاعة والانتها عن المعصية كما يقال سله ان نفع السوال وقيل معناه عظيم ان نعت الموعظة أو لم تنفع لأنه ﷺ بعث للاعذار والانتذار فلهذا التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله سراييل تقيمكم الحر وسراييل تقيمكم بأسمكم وقد نبه الله سبحانه على تفصيل الحالتين بقوله (سينذركم من يخشى) أي سيعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى ويخاف عقابه (ويتجنبها) أي يتجنب الذكري والموعظة

(الاشقى) اي اشقى العصاة فإن العاصين درجات في الشقاوة فأعظمهم درجة فيها الذي كفر بالله ونوحده
وعبد غيره وقيل الاشقى من الاثنين من يخشى ومن يتجنب عن ابي مسلم (الذي يصل النار الكبرى) أي
يلزم اكبر النيران وهي نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا عن الحسن وقيل إن النار الكبرى هي الطبقة السفلى
من جهنم عن الفراء (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة بتتفع بها بل صارت حياته وبالا عليه
يتمنى زوالها لما هو فيها معها من فنون العقاب والوان العذاب وقيل ولا يحيى أي ولا يجد روح الحياة (قد
أفلح من تزكى) أي قد فاز من تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله عن عطاء وعكرمة وقيل مناه قد
ظفر بالبغيه من صار زاكيا بالاعمال الصالحة والورع عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل تزكى أي أعطى
زكاة ماله عن ابن مسعود وكان يقول قد رحم الله امرأ تصدق ثم صلى وتقرأ هذه الآية وقيل أراد صدقة
الفطرة و صلاة العيد عن ابي عمرو وابي العالية وعكرمة وابن سيرين وروي ذلك مرفوعا عن ابي عبد الله (ع) ومضى
قيل على هذا القول كيف يصح ذلك والسورة مكية ولم يكن هناك صلاة عيد ولا زكاة ولا فطرة قلنا يحتمل
إن يكون نزلت اوائلها بمكة وختمت بالمدينة (وذكر اسم ربه صلى) أي وحد الله عن ابن عباس وقيل
ذكر الله بقلبه عند صلواته فرجا ثوابه وخاف عقابه فإن الخشوع في الصلاة بحسب الخوف والرجاء وقيل
ذكر اسم ربه بلسانه عند دخوله في الصلاة فصلى بذلك الاسم أي قال الله اكبر لأن الصلاة لا تنعقد إلا
به وقيل هو أن يفتتح بيسم الله الرحمن الرحيم ويصلي الصلوات الخمس المكتوبة ثم قال سبحانه مخاطبا للكفار
(بل تؤثرن) أي تختارون (الحياة الدنيا) على الآخرة فتعملون لها وتمرونها ولا تتفكرون في أمر الآخرة
وقيل هو عام في المؤمن والكافر بناء على الأعم الأغلب في أمر الناس قال عبد الله بن مسعود إن الدنيا
اخضرت لنا وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الآخرة نعمت لنا وزويت عنا فأخذنا
بالمعجل وتركتنا الآجل ثم رغب سبحانه في الآخرة فقال (والآخرة) أي والدار الآخرة وهي الجنة
(خير) أي أفضل (وأبقى) وأدوم من الدنيا وفي الحديث من أحب آخرته أضر بدنياء ومن أحب دنياه
أضر بآخرته (ان هذا لفي الصحف الاولى) يعني ان هذا الذي ذكر من قوله قد أفلح الى أربع آيات لفي
الكتب الأولى التي انزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المصلي والمتركي وإبشار الخلق الدنيا على الآخرة وان
الآخرة خير وقيل معناه ان من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فهو ممدوح في الصحف الاولى كما هو ممدوح
في القرآن ثم بين سبحانه ان الصحف الاولى ما هي فقال (صحف ابراهيم وموسى) وفي هذا دلالة على أن
ابراهيم كان قد انزل عليه الكتاب خلافا لمن يزعم انه لم ينزل عليه كتاب وواحدة الصحف صحيفة وروي
عن ابي ذر انه قال قلت يا رسول الله كم الانبياء فقال مائة الف نبي واربعه وعشرون الفا قلت يا رسول الله
كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم انبياء قلت كان آدم (ع) نبيا قال نعم كلمة الله وخلق بيده
يا ابا ذر اربعة من الانبياء عرب هود وصالح وشعيب ونيك قلت يا رسول الله كم انزل الله من كتاب قال
مائة واربعه كتب انزل الله منها على آدم (ع) عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادرس
ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم وعلى ابراهيم عشر صحائف والثوراة والانجيل والزبور والفرقان وفي الحديث
انه كان في صحف ابراهيم يبغى للماقل ان يكون حافظا لسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه وقيل ان كتب
الله كلها انزلت في شهر رمضان

سورة الغاشية

مكية ست وعشرون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها حاسبه الله حسابا يسيرا أبو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من ادمن قراءة هل أتاك حديث الغاشية في فرائضه او نوافله غشاه الله برحمته في الدنيا والآخرة واعطاه الأمان يوم القيامة من عذاب النار

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بالترغيب في الآخرة وانها خير من الدنيا وافتتح هذه ايضا ببيان احوال الآخرة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) هل أتاك حديث الغاشية (٢) وجوه يومئذ خشية (٣) عاملة ناصبة (٤) فصلى ناراً حامية (٥) نسقى من عين آنية (٦) ليس لهم طعام إلا من ضريع (٧) لا يسمن ولا يغني من جوع (٨) وجوه يومئذ ناعمة (٩) لسعيها راضية (١٠) في جنّة عالية (١١) لا تسمع فيها لنية (١٢) فيها عين جارية (١٣) فيها سرور مرفوعة (١٤) وآكواب موضوعة (١٥) وتمارق مصفوفة (١٥) وزراية مبثوثة (١٦) أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (١٧) وإلى السماء كيف رفعت (١٨) وإلى الجبال كيف نصبت (١٩) وإلى الأرض كيف سطحت (٢٠) فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمصيطر (٢٢) إلا من تولى وكفر (٢٣) فيعذبه الله العذاب الأكبر (٢٥) إن إلبنا إياهم (٢٦) ثم إن علينا حسابهم ست وعشرون آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل البصرة غير سهل وابو بكر تصلى بضم التاء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وأهل البصرة غير سهل لا يسمع بضم الياء لاغية بالرفع وقرأ نافع لا تسمع بضم التاء لاغية بالرفع وقرأ الباقر لا تسمع بفتح التاء لاغية بالنصب وقرأ ابو جعفر اياهم بتشديد الياء والباقون بالتخفيف وروي عن علي (ع) أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت بفتح اوائل هذه الحروف كلها وضم التاء وعن ابن عباس وقادة وزيد بن اسلم وزيد بن علي إلا من تولى بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

حجة من قال تصلى قوله سيصل ناراً ذات لهب وقوله إلا من هو صال الجحيم وحجة من قال تصلى قوله ثم الجحيم صلوه وصلوه مثل اصلوه واللاغية مصدر بمنزلة العاقبة والمافية ويجوز أن تكون صفة نحو أن تقول لا تسمع فيها كلمة لاغية والاول اوجه لقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تسمع على بناء الفعل

المفعول به حسن لأن الخطاب ليس بمصروف إلى واحد بعينه وبناء الفعل للمفاعل ايضا حسن على الشيع
 في الخطاب وإن كان لواحد وعلى هذا وإذا رأيت ثم رأيت نعيما ويجوز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ
 وكل واحد من التاء والياء في تسمع ويسمع حسن على اللفظ وعلى المعنى وأما قوله اياهم على التشديد فقال
 ابو الفتح انكر ابو حاتم هذه القراءة لأنه حملها على نحو كذبوا كذبا قال وهذا لا يجوز لأنه كان يجب
 اوبا لأنه فعال فيصح لا حتمال التفسير بالادغام كقولهم اجلوا اذا جلاوا اذا قال ابو الفتح يجوز أن يكونوا قبلوا
 الواو ياء من اواب وان كانت متحصنة بالادغام استحسننا التخفيف لا وجوبا كما قالوا ديمت السماء في دويمت قال
 هو الجواد ابن الجواد ان سئل ان ديمتوا جاد وان جادوا وهل

يريد دويموا وقال ويجوز أن يكون نبي من باب فعلت واصله ابوت والمصدر ابواب فقلت الواو ياء لوقوع
 الياء ساكنة قبلها ويجوز أن يكون ابوت فوعلت والمصدر على الفيعل كالحيقل من حوقلت انشد الاصمعي
 باقوم قد حوقلت او دنوت وبعد حيقال الرجال الموت

فصار ابوابا فقلت الواو ياء فصار اياها واما قراءة علي (ع) فالمفعول في جميعها محذوف لسدالة المعنى
 عليه اي كيف خلقتها وكيف رفعتها وكيف نصبتها ووسطحتها ومن قرأ الا من تولى فالإفتتاح كلام ومن
 شرط وجوابه فيعذبه الله اي فهو يعذبه الله وقد تقدم القول فيه في مواضع

❖ اللغة ❖

الناشية المجلة لجميع الجملة غشيه ينشاه غشيانا واغشاه غيره اذا جمعه يغشى وغشاه بمناء ونصب الرجل
 ينصب نصبا فهو نصب وناصب إذا تعب في العمل والآنية بالغة النهاية في شدة الحر والضرب نبت
 تأكله الاوئل بضر ولا ينفع وانما سمي ضريبا لانه يشبه عليها امره فظننه كغيره من النبت والاصل من
 المضارعة المشابهة والتارق واحدها نرققة والزراي البسط الفاخرة واحدها زريبه والمصيطر المنسلط على غيره
 بالقهر له يقال نصيطر فلان على فلان وصيطر إذا تسلط وقال ابو عبيدة مصيطر ومبيطر لا ثالث لهما في
 كلام العرب

❖ الاعراب ❖

كيف خلقت يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من خلقت ويجوز أن يكون على المصدر وتكون
 الجملة التي هي كيف خلقت معلقة بينظرون لأن النظر مؤد إلى العلم الا من تولى هو استثناء منقطع وسيبويه
 يقدر الاستثناء المنقطع بلكن والفراء يقدره بسوى

❖ المعنى ❖

(هل اتاك حديث الناشية) خطاب للنبي ﷺ يريد قد اتاك حديث يوم القيامة لأنها تنشى
 الناس بأهوالها بئنة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل الناشية النار تنشى وجوه الكفار بالعذاب وهذا كقوله
 تنشى وجوههم النار عن محمد بن كعب وسعيد بن جبير (وجوه يومئذ خاشعة) أي ذليلة بالعذاب الذي
 ينشأها والشدائد التي تشاهدها والمراد بذلك ارباب الوجوه وإنما ذكر الوجوه لأن الذل والخضوع يظهر فيها
 وقيل المراد بالوجوه الكبراء تقول جاءني وجوه بني تميم اي ساداتهم وقيل عنى به وجوه الكفار كلهم لأنها
 تكبرت عن عبادة الله تعالى عن مقاتل (عاملة ناصبة) فيه وجوه ❖ احدها ❖ ان المعنى عاملة في النار ناصبة

فيها عن الحسن وقتادة قالوا لم يعمل الله سبحانه في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال
قال الضحاك يكفون ارتقاء جبل من حديد في النار وقال الكلبي يجرون على وجوههم في النار **﴿وثانيها﴾**
أن المراد عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة عن عكرمة والسدي **﴿وثالثها﴾** عاملة ناصبة
في الدنيا يعملون وينصبون ويتعبون على خلاف ما أمرهم الله تعالى به وهم الرهبان واصحاب الصوامع واهل
البدع والآراء الباطلة لا يقبل الله اعمالهم في البدعة والضلالة وتصير هباء لا يثابون عليها عن سعيد بن جبير
وزيد بن اسلم وابي الضحاك عن ابن عباس وقال ابو عبد الله (ع) كل ناصب لنا وان تعبدوا اجتهد بصيرالي
هذه الآية عاملة ناصبة (تصلى ناراً حامية) قال ابن عباس قد حيت فهي تلتظى على اعداء الله وقيل المعنى إن
هؤلاء يلزمون الاحراق بالنار التي في غاية الحرارة (تسقى من عين آنية) أي وتسقى ايضاً من عين حارة قد بلغت
انها وانتهت حرارتها قال الحسن قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت فدفعوا اليها وردا عطاشاً هذا شربهم ثم
ذكر طعامهم فقال (ليس لهم طعام إلا من ضريع) وهو نوع من الشوك يقال له الشبرق واهل الحجاز يسمونه
الضريع إذا يبس وهو اخبث طعام وابشمه لا ترعاه دابة وعن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله **﴿ثالثها﴾**
الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك امر من الصبر والتن من الحيفة واشد حراً من النار سماه الله الضريع
وقال ابو الدرداء والحسن إن الله يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون
فيئاتون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يميزون النقص في الدنيا بالما. فيستسقون فيعطشهم الله سبحانه الف
سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة كما ادنوه إلى وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فإذا
وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله وسقوا ما حببنا فقطع امعائهم ولما نزلت هذه الآية قال المشركون إن
ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك لأن الأبل لا ترعاه الله سبحانه تكذيباً لهم (لا يسمن ولا ينبي
من جوع) أي لا يدفع جوعاً ولا يسمن احداً قال الحسن لا ادري ما الضريع لم اسمع من اصحاب محمد **﴿ثالثها﴾**
شيئاً فيه وقيل هو سم عن مجاهد وقتادة وقيل ضريع بمعنى مضرع أي يضرعهم وينذلهم وقيل يسمى ضريعاً لأن
أكله يضرع في الاعفاء منه خشونته وشدة كراهته عن ابن كيسان وقيل هو الحجارة عن سعيد بن جبير ثم وصف
سبحانه اهل الجنة فقال (وجوه يومئذ ناعمة) أي منعمة في انواع الاذات ظاهر عليها اثر النعمة والسرور ومضية
مشرقة (لسيها) في الدنيا (راضية) حين اعطيت الجنة بعملها والمعنى ثواب سعيها وعملها من الطاعات راضية
يريد انه لما ظهر نفع اعمالهم وجزاء عباداتهم وضوه وحمدوه وهذا كما يقال عند الصباح يحمد القوم السرى (في
جنة عالية) أي مرتفعة القصور والدرجات وقيل ان علو الجنة على وجهين علو الشرف والجلالة وعلو المكان والمترلة
بمعنى انها مشرقة على غيرها وهي انزه ما تكون والجنة درجات بعضها فرق بعض كما ان النار درجات (لا تسمن
فيها لاغية) أي كلمة ساقطة لا فائدة فيها وقيل لاغية ذات لغو كقولهم نابل ودارع أي ذو نبل ودرع قال
الخطيب «وغررتني وزعمت انك لابن بالضيف قامر» (فيها) أي في تلك الجنة (عين جارية) قيل انه اسم جنس
واكل انسان في قصره من الجنة عين جارية من كل شراب يشتهي وفي العيون الجارية من الحسن واللذة والمفعة
ما لا يكون في الواقعة ولذلك وصف بها عيون اهل الجنة وقيل إن عيون اهل الجنة تجري في غير اعدود وتجري
كما يريد صاحبها (فيها) أي في تلك الجنة (سرد مرفوعة) قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد
والدر والياقوت مرتفعة ما لم يحمى اهلها فإذا اراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعا
والسرد جمع سرير وهو مجلس السرور وقيل إذا رفعت ليرى المؤمنون يجلسون عليها جميع ما حولهم من الملك
(واكواب مرفوعة) على حافات العيون الجارية كلما أراد المؤمن شربها وجدها مسلوقة وهي الابريق ليس لها
خراطيم ولا عرى تتخذ للشراب وقيل هي أواني الشراب من الذهب والفضة والجواهر بين ايديهم ويشربون بها

ما يشتهونه من الاشربة ويشتمعون بالنظر اليها لحسنها (وغارق مصفوفة) أي وسائد يتصل بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك في الدنيا (وزراي ميثوق) وهي البسط الفاخرة والطنافس المخملية الميثوقة المسرطة المنشورة ويجوز أن يكون المعنى انها مفرقة في المجالس وعن عاصم بن ضمرة عن علي (ع) انه ذكر اهل الجنة فقال يجيئون فيدخلون فإذا اسلس بيوتهم من جندل الاولوسرور مرقومة واكواب مروضعة ونهارق مصفوفة وزراي ميثوقه وارلان الله تعالى قدرها لهم لانتعت ابصارهم بما يرون ويمعتقون الأزواج ويقعدون على السرر ويقراون الحمد لله الذي هدانا لهذا قال قتادة ولما نعمت الله الجنة وما فيها عجب من ذلك اهل الضلال فأنزل الله سبحانه (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) وكانت الإبل عيسا من عيسهم فيقول أفلا يتفكرون فيها وما يخرج الله من ضرعها من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين يقول كما صنعت هذا لهم فكذلك اصنع لأهل الجنة في الجنة وقيل معناه أفلا يمتدحون بنظرهم إلى الإبل وما ركبها الله عليهم من عجب الخلق فإنه مع عظمتها وقوتها يذلل الصغير فينقاد له بتسخير الله إياه لعباده فيركبه ويحمل عليه ثم يقوم وليس ذلك في غيره من ذوات الأربع فلا يحمل على شيء منها الا وهو قائم فاراهم الله سبحانه هذه الآية فيه ليستدلوا على توحيدته بذلك عن ابي عمرو بن العلاء والزجاج وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له القليل اعظم من الإبل في الامعوبة فقال اما القليل فالعرب بعيسدو المهديها ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يحمل درها والإبل من اعز مال العرب وانفسه تأكل النوى والقت وتخرج اللبن وتأخذ الصبي بزمامها فيذمب بها حيث شاء مع عظمتها في نفسها ويجكي أن فارة أخذت بزمام ناقة فأخذت تجرها وهي تقبها حتى دخلت الحجر فجرت الزمام فبركت الناقة فجرت فقربت منها من حجر الفار (وإلى السماء كيف رفعت) أي كيف رفعها الله فوق الأرض وجعل بينهما هذا الفضاء الذي به قوام الخلق وحياتهم ثم إلى ما خلقه فيها من بدائع الخلق من الشمس والقمر والكواكب وعلق بها منافع الخلق واسباب معاشهم (وإلى الجبال كيف نصبت) أي أولا يتفكرون في خلق الله سبحانه الجبال اوتادا للأرض ومسكنة لها وانه لولاها لاددت الأرض بأهلها (وإلى الأرض كيف سطحت) أي كيف بسطها الله ووسعها ولولا ذلك لما صح الاستقرار عليها والانتفاع بها وهذه من نعم الله سبحانه على عباده لا توازيها نعمة منعم وفيها دلائل على توحيدته ولو تفكروا فيها لعلموا أن لهم صانعا صنعمهم ووجدا أوجدهم ولما ذكر سبحانه الأداة امر فييهه بالتذكير بها فقال (فذكر) يا محمد والتذكير التعريف للذكر بالبيان الذي يقع به الفهم والنعيم بالتذكير العظيم لأنه طريق للفهم بالامور التي يحتاج اليها (إنما انت مذكر) لهم بنعم الله تعالى عندهم وما يجب عليهم في مقابلتها من الشكر والعبادة وقد اوضح الله تعالى لمريق الحبيج في الدين وأكده غاية التأكيد بما لا يسع فيه التقليد بقوله إنما انت مذكر وقوله وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقوله إن في ذلك لآية لقوم يعقلون وقوم يذكرون ويتفكرون وقيل إن المراد فذكرهم بهذه الأدلة وامرهم بالاستدلال بها ونههم عليها عن الجبائي والي مسلم (است عليهم بمصيطر) معناه است عليهم بتسلط تسلطها بكنتك أن تدخل الإيمان في قلوبهم وتجبرهم عليه وإنما الواجب عليك الانتذار فاصبر على الانتذار والتبليغ والدموة إلى الحق وقيل معناه است عليهم بتسلط الآن حتى تقاتلهم إن خالفوك وكان هذا قبل نزول آية الجهاد ثم نسخ بالامر بالقتال والوجه الصحيح انه لا نسخ فيه لأن الجهاد ليس باكرام للقلوب والمراد انك إنما بعثت للتذكير وليس عليك من ترك قبولهم شيء (إلا من تولى وكفر) أي عرض عن الذكر ولم يقبل منك وكفر بالله وبما جئت به فكل امرء إلى الله عن الحسن وقيل معناه إلا من تولى وكفر فاست له بذكر لأنه لا يقبل منك فكأنك است تذكره (فيعذب الله العذاب الأكبر) وهو الخلود في النار ولا عذاب اعظم منها ثم ذكر سبحانه أن مرجعهم اليه فقال (إن اليينا إياهم) أي مرجعهم ومصيرهم بعد الموت (ثم إن علينا حسابهم) أي جزاءهم على اعمالهم فهذا جامع بين الرعد والرعيد ومعناه لا يهينك امرهم فلونهم

وإن عاندوك وآذوك فمصير جميعهم إلى حكمنا لا يفوتونا ومجازاتهم علينا وعن قريب نقر عيذك بما ترامت في أعدائك

﴿ النظم ﴾

يسأل كيف يتصل ذكر الأبل وما بعدها بذكر وصف الجنان ونعيمها ﴿ والجواب ﴾ إنه يتصل بأول السورة والضمير في قوله ينظرون عائد إلى الذين وصفهم بقوله عاملة ناصبة وأنه لما ذكر عقابهم وثواب المؤمنين عاد عليهم بالاحتجاج بالأبل والسماء والأرض والجبال وكيفية دلالاتها على وجود الصانع الحكيم يريد هلا نظر هؤلاء في صنائهم الله فيعرفونه ويعبدونه عن أبي مسلم وقيل إنه لما ذكر سرر الجنة وارتفاعها تعجبوا من ذلك وقالوا كيف يصعد عليها فإراهم الله سبحانه الأبل وأنه كيف سخرت لبني آدم مع عظامها حتى انبخت للحمل عليها وتقوم بعد ذلك وكيف أحكم الله خلق السموات والأرض والجبال ردا على أولئك القوم وإنما خص سبحانه هذه الأشياء بالذكر لاستواء الناس كلهم في معرفتها

سورة الفجر

مكية اثنتان وثلاثون آية حجازي وثلاثون كوفي شامي وتسع وعشرون بصري

﴿ اختلافها ﴾

أربع آيات ونعمه فقدر عليه رزقه كتمامها حجازي بجهنم حجازي شامي في عبادي كوفي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومن قرأها في ليالٍ عشر غفر الله له ومن قرأها سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة وروى داود بن فرقد عن أبي عبد الله (ع) قال اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فساؤها سورة الحسين بن علي (ع) من قرأها كان مع الحسين بن علي (ع) يوم القيامة في درجته من الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بأن آيات الخلق إليه وحسابهم عليه وافتتح هذه السورة بتأكيد ذلك المعنى حين أقسم أنه بالمرصاد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) وَالْفَجْرِ (٢) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٣) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٤) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرٍ (٥) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَبْرٍ (٦) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٧) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٨) الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ (٩) وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (١٠) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ (١١) الَّذِينَ طَفَعُوا فِي الْبَلَدِ (١٢) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٣) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٤) إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ مُرْصِدٌ (١٥) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَسَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٦) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنَّ (١٧) كَلَّا بَلْ لَأَكْرَمُونَ الْبَيْتِمْ (١٨) وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (١٩) وَنَأَى كُلُّونَ الثَّرَاثِ أَكَلًا لَمَّا (٢٠) وَتُحْمِيُونَ أَلْمَالَ حَبًا جَمًّا (٢١) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا

(٢٣) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٣) وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ
وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٤) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٥) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا (٢٦)
وَلَا يُؤْتِقُ وِتَاقَهُ أَحَدًا (٢٧) يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٨) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً
(٢٩) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٣٠) وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ثلاثون آية

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم والوتر بكسر الواو والباقرن بالفتح وقرأ أبو جعفر وابن عامر فقدس بالتشديد
والباقرن بالتخفيف وقرأ لا يكرمون بالياء. وكذلك ما بعده أهل البصرة والباقرن بالياء. وقرأ لا تحاضون أهل
الكوفة وأبو جعفر وقرأ لا يعذب ولا يوثق بالفتح الكسائي ويعقوب وسهل والباقرن لا يعذب ولا يوثق وقرأ أهل
المدينة وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي والليل إذا يسري بالياء في الوصل وحذفها في الوقف وقرأ ابن
كثير ويعقوب بالياء في الوصل والوقف والباقرن بالحذف فيها وقرأ القواسم والبزري ويعقوب بالواو بالياء
في الوصل والوقف وورش بالياء في الوصل وحذفها في الوقف والباقرن بحذفها في الوصل والوقف وقرأ أهل
المدينة أكرموني وأهانني بالياء في الوصل وحذفها في الوقف والقواسم والبزري ويعقوب بالياء في الوصل
والوقف وأبو عمرو لا يبالي كيف قرأ بالياء وغيره بالياء. وروى العياشي عنه بحذف الياء من غير تخيير والباقرن
بحذف الياء في الحرفين في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة ابن عباس بعد أرم ذات العماد وروي ذلك من الضحاك
أيضا وقراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك وابن السميع فادخلي في عبادي

الحجة

قال أبو علي حدثنا محمد بن السري أن الأصمعي قال لكل فرد وتر وأهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر في
الترد ويكسرون الوتر في الذحل وقيس وتيم يسوونهما في الكسر ويقولون في الوتر الذي هو الأفراد أوترت
وأنا أوتر أيتارا أي جعلت أمري وترا وفي الذحل وترته وتره وتره قال أبو بكر وترته في الذحل إنسا هو
أفردته من أهله وماله ومن قرأ يكرمون ما بعده بالياء. فلما تقدم من ذكر الإنسان والمراد به الجنس والكثرة
على لفظ النية ولا يتنع في هذه الأشياء. الدالة على الكثرة أن يحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى أخرى ومن قرأ
بالتاء فعلى معنى قل لهم ذلك ومعنى لا تحضون على طعام المسكين لا تأمرون به ولا تبغثون عليه ولا تحاضون
تفاعلون منه وقوله ولا يعذب عذابه أحد معناه لا يعذب تعذيبه فوضع العذاب موضع التعذيب كما وضع العطاء
موضع الإعطاء. في قوله «وبعد عطائك المائة الرتاعا» فالصدر الذي هو عذاب مضاف إلى المفعول به مثل دعاء الخير
والمفعول به الإنسان المتقدم ذكره في قوله يوم يتذكر الإنسان والرتاق أيضا موضع الإيثاق فلما من قرأ لا يعذب
فقد قيل إن المعنى فيه أنه لا يتولى عذاب الله تعالى يومئذ أحد والأمر يومئذ أمره ولا أمر لغيره هذا قول وقد قيل
أيضا لا يعذب أحد في الدنيا مثل عذاب الله في الآخرة وكان الذي حمل قائل هذا القول على أن قاله أنه إن حملة
على ظاهره كان المعنى لا يعذب أحد في الآخرة مثل عذاب الله ومعلوم أنه لا يعذب أحد في الآخرة مثل عذاب الله
إنما العذاب الله تعالى فمدل عن الظاهر لذلك ولو قيل إن المعنى في يومئذ لا يعذب أحد تعذيبا مثل تعذيب الكافر
المتقدم ذكره فاضيف المصدر إلى المفعول به كما اضيف إليه في القراءة الأولى ولم يذكر الفاعل كما لم يذكره في
مثل قوله تعالى من دعاء الخير لكان المعنى في القراءة الأولى والذي يرد بأحد الملائكة الذين يتولون تعذيب
أهل النار ويكون ذلك كقولهم يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة

بضربون وجوههم وادبارهم وقوله ولم مقامع من حديد لا شبهة ان يكون هذا القول اولي والفاعل له هم
 الملائكة قال ووجه قول من قال يسري بالياء وصل أو وقف ان الفعل لا يحذف منه في الوقف كما يحذف
 من الاسماء نحو قاض وغاز فتقول هو يقضي وانا اقضي فثبت الياء ولا تحذف كما تحذف من الاسم نحو
 هذا قاض وليس اثبات الياء بالأحسن في الوقف من الحذف وذلك انها فاصلة وجميع ما لا يحذف في الكلام
 وما يختار فيه ان لا يحذف نحو القاضي بالألف واللام يحذف اذا كان في قافية او فاصلة قال سيويوه :
 والفاصلة نحو والليل اذا يسر ويوم التناد والكبير المتعال فإذا كان شيء من ذلك في كلام تام شبه بالفاصلة
 لحسن حذفها نحو قوله ذلك ما كنا نبع فإن قلت كيف كان الاختيار فيه ان يحذف اذا كان في فاصلة
 أو قافية وهذه الحروف من أنفس الكلام وهلام يستحسن حذفها كما اثبت سائر الحروف ولم يحذف والقول
 في ذلك ان الفواصل والقوافي في مواضع الوقف والوقف موضع تقبر فلما كان الوقف تقبر فيه الحروف
 الصحيحة بالتضعيف والاسكان وروم الحركة غيرت فيه هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف ألا ترى
 ان النداء لما كان في موضع حذف بالترخيم والحذف للحروف الصحيحة الزموا الحذف في اكثر الكلام
 للحرف المتغير وهو تاء التأنيت فكذلك الزم الحذف في الوقف لهذه الحروف المتغيرة فجعل تغييرها الحذف
 ولما يراع فيها ما روعي في الحروف الصحيحة فسوا بينها وبين الزائد في الحذف للجزم نحو لم يمز ولم يرم ولم
 يخش وأجروها مجرى الزائد في الاطلاق نحو وبعض القوم يخلق ثم لا يفري وما يمر وما يحلو كما قالوا «اقوين
 من حجج ومن دهري» فذلك اختير فيها الحذف في الفواصل والقوافي وكذلك قوله جابوا الصخر بالواد
 الاوجه فيه الحذف اذا كانت فاصلة وان كان الأحسن اذا لم تكن فاصلة الاثبات ومن قرأ في الوصل
 يسري بالياء وفي الوقف بغير ياء فإنه ذهب الى انه اذا لم يقف عليها صار بمنزلة غيرها من المواضع التي
 لا يوقف عليها فلم تحذف من الفاصلة اذا لم يقف عليها كما لم يحذف من غيرها وحذفها اذا وقف عليها من
 اجل الوقف ومن قرأ اكرمنا واهاننا بغير ياء في وصل ولا وقف فهو كمن قرأ يسر في الوصل والوقف لأن
 ما قبلها كسرة في فاصلة ومن قرأها بياء في الوصل كمثل من قرأ يسري في الوصل بإثبات الياء وبحذفها في
 الوقف ورواية سيويوه عن ابي عمرو انه قرأ ربي اكرمنا وربنا اهاننا على الوقف ومن قرأ ارم ذات العباد
 فالمعنى جعلها رمياً رمت هي واسترمت وارمها غيرها قال ابن جنى واما القراءة بعاد ارم فعلى انه اراد اهل ارم
 هذه المدينة فحذف المضاف وهو يريد كقوله تعالى بزينة الكواكب اي بزينة الكواكب قال وقوله في عبدي
 لفظه لفظ الواحد ومعناه الجمع اي عبادي وذلك انه جعل عبادي كالواحد اي لا خلاف بينهم في عبوديته كما لا يخالف
 الانسان فيصير كقول النبي ﷺ وهم يد على من سواهم وقال غيره معناه فادخلي في جسم عبدي

❖ اللغة ❖

الفجر شق عمود الصبح فجره الله لمباده فجرًا اذ اظهره في افق المشرق مبشراً باودبار الليل المظلم واقبال
 النهار المضي وها فجران ❖ احدهما ❖ الفجر المستطيل وهو الذي يصعد طولاً كذئب السرحان ولا حكم
 له في الشرع ❖ والاخر ❖ هو المستطير المنتشر في افق السماء وهو الذي يحرم عنده الاكل والشرب لمن اراد
 ان يصوم في شهر رمضان وهو ابتداء اليوم والحجر العقل واصله المنع يقال حجر القاضي على فلان ماله اي
 منعه من التصرف فيه فالعقل يمنع من المقبحات ويمنع عن فعلها والعماد جمعه عمد وهو ما تبني به الابنية

ويستعمل في القوة والشرف يقال فلان رفيع المهاد قال

ونحن اذا عماد البيت خرت

والجوب القطع قال النابغة

اتاك ابو ليلى تجوب به الدجى

دجى الليل جواب الغلاة غشمشم

والغشمشم الطويل والسوط معروف قال الفراء السوط اسم للمذاب وان لم يكن ثم ضرب بسوط واصل

السوط خلط الشئ بمضه يبيض فكان السوط قسبط عذاب يخالط اللحوم والدماء كما يخالطها السوط

قال الشاعر

احارث انا لو تساط دماوتنا

تزايلن حتى لا يمس دم دما

والمرصاد الطريق مفعال من رصده يرصده رصداً اذا راعى ما يكون منه ليقابله بما يقتضيه والتم لمتم

ما على الخوان انه لما اذا اكله اجمع كأنه يأكل ما ألم به ولا يميز شيئاً من شئ والجمل الكثير العظيم وجمة

الماء معظمه وجم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر قال زهير

فلما وردن الماء زرقا جمامه

وضمن عصي الحاضر المتخيم

والدك حظ المرتفع بالبسط يقال اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقه دكا . اذا كانت كذلك

ومنه الدكان لاستوائه قال

ليت الجبال تداعت عند مسرعها

دكا فلم يبق من احجارها حجر

والوثاق الشد واوثقت شدته

✽ الاعراب ✽

جواب القسم قوله ان ربك بالمرصاد وقيل جوابه محذوف ليقضن على كل ظالم او ليتصفن كل مظلوم من

ظالمه اما رأيت كيف فعلنا بباد وفرصون وثمود لما ظلموا واجري ارم على عاد عطف بيان او على البدل

ولا يجوز ان يكون صفة لانه غير مشتق وانما لا ينصرف ارم للتعريف والتأنيث الا ترمى الى قوله ذات

المهاد ومن اضاف فقل بباد ارم في الشواذ فإنه عنده بمنزلة قولهم زيد بطة لانه لقب فيضاف اليه الاسم

وثمود في موضع جر أي وثمود لا ينصرف لانه اعجمي معرفة . على طعام المسكين تقديره على اطعام طعام

المسكين فحذف المضاف ويجوز ان يكون طعام اسما اقيم مقام الاطعام كقول لبيد

باكرت حاجتها الدجاج بسحرة

لا عل منها حين هب نيامها

اي لاحتياجي اليها فهو مفعول له والتراث اصله الوارث من ورثت ولكن التاء تبدل متن الواو ومثله

تجاه اصله وجاه من واجهه وجواب اذا في قوله اذا دكت الارض قوله فيومئذ لا يعذب عذابه احد وقوله

صفا صفا مصدر وضع موضع الحال أي مصطفين

✽ المعنى ✽

(والفجر) اقسم الله سبحانه بفجر النهار وهو انفجار الصبح كل يوم عن عكرمة والحسن والجبائي ورواه

ابو صالح عن ابن عباس وقيل هو فجر ذي الحجة لأن الله تعالى قرن الايام به فقال (وليال عشر) وهي

عشر ذي الحجة عن مجاهد والضحاك وقيل فجر اول المحرم لأنه تتجدد عنده السنة عن قتادة وقيل يريد فجر

يوم النحر لأنه يقع فيه القربان ويتصل بالليالي العشر عن ابي مسلم وقيل اراد بالفجر النهار كله عن ابن عباس وليال عشر يعني العشر من ذي الحجة عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وروي ذلك مرفوعاً شرفها الله ليسارع الناس فيها الى عمل الخير وقيل هي العشر الاواخر من شهر رمضان في رواية اخرى عن ابن عباس وقيل انها عشر موسى لثلاثين ليلة التي اتماها الله بها (والشفع والوتر) يعني الزوج والفرد من العدد كله عن الحسن قال ابو مسلم هو تذ كبير بالحساب لعظم ما فيه من النفع والنعم بما يضبط به من المقادير وقيل الشفع والوتر كل ما خلقه الله تعالى لأن جميع الاشياء إما زوج وإما فرد عن ابن زيد والجبائي وقيل الشفع الخلق لأنه قال وخلقناكم ازواجاً والوتر الله تعالى عن عطية العوفي وابي صالح وابن عباس ومجاهد وهي رواية ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ وقيل الشفع والوتر الصلاة ومنها شفع ومنها وتر وهي رواية ابن حصين عن النبي ﷺ وقيل الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وهي رواية جابر عن النبي ﷺ والوجه فيه ان يوم النحر يشفع بيوم نحر بعده وينفرد يوم عرفة بالموقف وقيل الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وقيل ان الشفع والوتر في قول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فالشفع النفر الاول والوتر يوم النفر الأخير وهو الثالث واما الليالي العشر فالثاني من ذي الحجة وعرفة والنحر عن ابن الزبير وقيل الوتر آدم شفع بزوجه عن ابن عباس وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا يلب بعده وهو يوم القيامة عن مقاتل بن حيان وقيل الشفع صفات المخلوقين وتضادها المز والذل والوجود والعدم والقدرة والعجز والعلم والجهل والحياة والموت والوتر صفة الله تعالى إذ هو الموجود لا يجوز عليه العدم والقادر لا يجوز عليه العجز والعالم لا يجوز عليه الجهل والحلي لا يجوز عليه الموت وقيل الشفع علي وفاطمة (ع) والوتر محمد ﷺ وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام (والليل اذا يسر) اختلفوا في المراد به على وجهين * احدهما * انه اراد جنس الليالي كما قال والليل اذا ادبر اقم بالليل اذا يمضي بظلامه فيذهب حتى يتقضي بالضياء المبتدى في سيره على المقادير المرتبة ومجيئه بالضياء عند تقضيه ادل دلالة على ان فاعله يختص بالعرز والجلال ويتعالى عن الاشياء والأمثال وقيل انه انما اضاف السير اليه لأن الليل يسير بسير الشمس في الفلك وانتقالها من افق الى افق وقيل اذا يسري اذا جاء واقبل البناء ويريد كل ليلة عن قتادة والجبائي والوجه الآخر ان المراد به ليلة بعينها تمييزاً لها من بين الليالي ثم قيل انها ليلة المزدلفة لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله تعالى وفيها يسري الحاج من عرفة الى المزدلفة ثم يصلي النداء بها ويغدو منها الى منى عن مجاهد وعكرمة والكلبي (هل في ذلك قسم لذي حجر) أي هل فيا ذكر من الأقسام مقنع لذي عقل ولب يعقل القسم والمقسم به وهذا تأكيد وتعظيم لما وقع القسم به والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما اقسام الله به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على توحيد الله توضح عن عجائب صنعه وبدائع حكمته ثم اعترض بين القسم وجوابه بقوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) وهذا خطاب للنبي ﷺ وتنبية للكفار على ما فعله سبحانه بالامم السالفة لما كفرت بالله وبأنبيائه وكانت أطول اعماراً وأشد قرة وعاد قوم هود واختلفوا في ارم على اقوال * احدها * انها اسم لقبيلة قال ابو عبيدة ما عادان فالاولى هي ارم وهي التي قال الله تعالى فيهم وانه اهلك عاداً الاولى وقيل هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام

ابن نوح عن محمد بن اسحاق وقيل هو سام بن نوح نسب عاد اليه عن الكلابي وقيل ارم قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك وكانوا بجمرة وكان عاد اباهم عن مقاتل وقنادة **﴿ وثانيها ﴾** ان ارم اسم بلد ثم قيل هو دمشق عن ابن سعيد المقرئ وسعيد بن المسيب وعكرمة وقيل هو مدينة الاسكندرية عن محمد بن كعب القرظي وقيل هو مدينة بناها شداد بن عاد فلما أتمها واراد ان يدخلها اهلكه الله بصيحة نزلت من السماء **﴿ وثالثها ﴾** انه ليس بقبيلة ولا بلد بل هو لقب لعاد وكان عاد يعرف به عن الجبائي وروي عن الحسن انه قرأ بعاد ارم على الاضافة وقيل هو اسم آخر لعاد وكان له اسنان ومن جملة بلداً فالنقد في الآية بعاد صاحب ارم وقوله ذات العماد يعني انهم كانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج الثبت رجعوا الى منازلهم عن ابن عباس في رواية عطاء والكلبي عن قنادة وقيل معناه ذات الطول والشدة عن ابن عباس ومجاهد من قول العرب رجل ممد لل طويل ورجل طويل العماد أي القامة ثم وصفهم سبحانه فقال (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق في البلاد مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وعظم الاجسام وهم الذين قالوا من أشد مناقرة وروي ان الرجل منهم كان يأتي بالصخرة فيحملها على الحيا فيهلكهم وقيل ذات العماد اي ذات الابنية العظام المرتفعة عن الحسن وقال ابن زيد ذات العماد في احكام البنين التي لم يخلق مثلها اي مثل ابنتها في البلاد

﴿ قصة ارم ذات العماد ﴾

قال وهب بن منية خرج عبد الله بن قلابة في طلب ابل له شردت فينا هو في صحار من عدن اذ هو قد وقع في مدينة في تلك الغلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها احداً يسأله عن ابله فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذ هو ببابين عظيمين لم ير اعظم منها والبابان مرصمان بالياقوت الابيض والاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح احد البابين فاذا هو بمدينة لم يرها احد مثلها واذا هو قصور كل قصر فوقه غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصارع تلك الغرف مثل مصراع المدينة يقابل بعضها بعضا مفروشة كلها بالثالي وبندق من سمك وزعفران فلما رأى الرجل ما رأى ولم ير فيها احداها له ذلك ثم نظر الى الأزقة فاذا هو بشجر في كل زقاق منها قد اثمرت تلك الاشجار وتحت الاشجار انهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة كل قناة أشد بياضاً من الشمس فقال الرجل والذي بعث محمداً **﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾** بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وان هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه فحمل معه من لؤلؤها ومن بندق السمك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها ومن ياقوتها شيئاً وخرج ورجع الى اليمن فأظهر ما كان معه وعلم الناس أمره فلم يزل ينمو امره حتى بلغ معاوية خبره فأرسل في طلبه حتى قدم عليه فقص عليه القصة فأرسل معاوية إلى كعب الاحبار فلما اتاه قال يا ابا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم اخبرك بها وبناها انما بناها شداد بن عاد فأما المدينة فأرم ذات العماد التي وصفها الله تعالى في كتابه وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد قال معاوية فحدثني حديثها فقال ان عادا الاولى ليس بعاد قوم هود وانما هود وقوم هود ولد ذلك وكاد عاد له ابنان شداد وشديد فهلك عاد فبقيا وملكا قهرا البلاد واخذها عنوة ثم هلك شديد وبقى شداد فملك وحده ودانت له ملوك الارض فدعته نفسه الى بناء مثل الجنة عتوا على الله سبحانه فأمر بصنعة تلك المدينة ارم ذات العماد وامر على صنعها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى كل ملك

في الدنيا ان يجمع له ما في بلاده من الجواهر وكان هو لاء القهارمة اقاموا في بنائها مدة طويلة فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصنا وحول الحصن الف قصر ثم سار الملك اليها في جنده ووزرائه فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عز وجل عليه وعلى من معه صحيفة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد وسيدخلها في زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له في تلك الصحارى والرجل عند معاوية فالتفت كعب اليه وقال هذا والله ذلك الرجل ثم قال سبحانه (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) أي وكيف فعل بشمود الذين قطعوا الصخر ونقبوها بالوادي الذي كانوا ينزلونه يعني وادي القرى قال ابن عباس كانوا ينحتون الجبال فيجعلون منها بيوتنا كما قال الله تعالى وتنتحون من الجبال بيوتنا فارهين (وفرعون) أي وكيف فعل فرعون الذي ارسل اليه موسى (ذي الاوتاد) أي ذبي الجنود الذين كانوا يشيدون امره عن ابن عباس وسام اوتاداً لأنهم قواد عسكره الذين بهم قوام امره وقيل كان يشد الرجل بأربعة اوتاد على الارض اذا اراد تعذيبه وبتركه حتى يموت عن مجاهد وعن ابن مسعود قال وتدمرانه بأربعة اوتاد ثم جعل على ظهرها رحي عظيمة حتى ماتت وقد مر بيانه في سورة ص (الذين طغوا في البلاد) يعني عاد وثمود وفرعون طغوا أي تجبروا في البلاد على انبياء الله وعلوا فيها بمعصية الله (فأكثروا فيها) أي في الارض وفي البلاد (الفساد) أي القتل والمعصية عن الكلبى ثم بين سبحانه ما فعله بهم عاجلاً بأن قال (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي فجعل سوطه الذي ضربهم به العذاب عن الزجاج وقيل معناه صب عليهم قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذي يعرف اراد ما عذبوا به وقيل ان كل شيء عذب الله به فهو سوط فأجرى على العذاب اسم السوط مجازاً عن قتادة شبه سبحانه العذاب الذي احله بهم والقاه عليهم بانصباب السوط وتواتره على المضروب حتى يهلكه (ان ربك لبالمرصاد) أي عليه طريق العباد فلا يفوته احد عن الكلبى والحسن وعكرمة والمعنى انه لا يفوته شيء من اعمالهم لأنه يسمع ويرى جميع اقوالهم وافعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد وروى عن علي (ع) انه قال معناه ان ربك قادر على ان يجزي اهل المعاصي جزاءهم وعن الصادق (ع) انه قال المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد مظلمة عبد وقال عطاء يعني يجازي كل واحد ويتصرف من الظالم للمظلوم وقيل لاعرابي ابن ربك قال بالمرصاد وليس يريد به المكان فقد سئل علي (ع) ابن كان ربنا قبل أن خلق السموات والارض فقال ابن سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وروى عن ابن عباس في هذه الآية قال ان على جسر جهنم سبع محابس يسأل العبد عندها اولها عن شهادة أن لا اله الا الله فإن جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسأل عن الصوم فإن جاء بها تامة جاز الى الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء به تاما جاز الى السادس فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز الى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها والا يقال انظروا فإن كان له تطوع اكمل به اعماله فإذا فرغ انطلق به الى الجنة ثم قسم سبحانه احوال البشر فقال (فأما الانسان اذا ما ابتليه ربه) أي اختبره وامتنعنه بالنعمة (فأكرمته) بالمال (ونعمه) بما وسع عليه من انواع الافضال (فيقول ربني اكرم من) فيفرح بذلك ويسر ويقول ربني اعطاني هذا لكرامتي عنده ومنزلتي لديه أي يحسب انه كريم على ربه حيث وسع الدنيا عليه (واما اذا ما ابتليه بالفقر والغاقة) (فقدر) أي فضيق وقتر (عليه رزقة) وجعله

على قدر البلية (فيقول ربي اهانن) اي فيظن ان ذلك هو ان من الله ويقول ربي اذلني بالفقر ثم قال (كلا)
 اي ليس كما ظن فاني لا اغني المرء لكرامته علي ولا اقرمه لمهاتته عندي ولكني اوسع على من اشاء واضيق على من اشاء
 بحسب ما توجه الحكمة ويقتضيه الصلاح ابتلاء بالشكر والصبر وانما الاكرام على الحقيقة يكون بالطاعة والاهانة
 تكون بالمعصية ثم بين سبحانه ما يستحق به الهوان فقال بل انما اهنت من اهنت لأنهم عصوني ثم فصل
 العصيات فقال (بل لا تكرمون اليتيم) وهو الطفل الذي لا اب له اي لا تعطونهم مما اعطاكم الله حتى
 تنفونهم عن ذل السؤال وخص اليتيم لأنهم لا كافل لهم يقوم بأمرهم وقد قال عنه انا وكافل اليتيم
 كهاتين في الجنة و اشار بالسبابة والوسطى قال مقاتل كانت قدامة بن مظعون في حجر امية بن خلف يتيم
 وكان يدفعه عن حقه فلهذا فإنه يحتمل معنيين من احدهما انكم لانك لا تحسنون اليه والآخر انكم
 لا تعطونه حقه من الميراث على ما جرت به عادة الكفار من حرمان اليتيم ما كان له من الميراث
 (ولا تحضون على طعام المسكين) اي ولا تحضون على اطعامه ولا تأمرون بالتصدق عليه ومن قرأ لا تحضون
 اراد لا يحض بعضكم بعضا على ذلك والمعنى ان الاهانة ما فعلتموه من ترك اكرام اليتيم ومنع الصدقة من
 الفقير لا ما توهمتموه وقيل ان المراد انما اعطيتكم المال لذلك فاذا لم تفعلوه فذلك يوجب اهانتكم (و تأكلون
 التراث) اي الميراث وقيل اموال التامى عن ابي مسلم قال ولم يرد الميراث الحلال لأنه لا يلام آكله عليه
 قال الحسن يأكل نصيبه ونصيب اليتيم وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون اموالهم
 وقيل يأكلون الميراث فيما يشتهون ولا يتفكرون في اخراج ما اوجب الله عليهم من الحقوق فيه (اكلوا
 شديدا تلون جميعه في الأكل وقيل هو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره عن الحسن وقيل هو
 أن يأكل ما يجده ولا يفكر فيما يأكله من خبيث وطيب عن ابن زيد (وتحبون
 المال حبا جما) اي كثيرا شديدا عن ابن عباس ومجاهد والمعنى تحبون جمع المال وتولعون به فلا
 تنفقونه في خير وقيل يحبون كثرة المال من فرط حرصهم فيجمعونه من غير وجهه ويصرفونه في غير وجهه ولا يتفكرون
 في العاقبة ثم قال سبحانه (كلا) اي لا ينبغي ان يكون الأمر هكذا وقال مقاتل معناه لا يفعلون
 ما امروا به في اليتيم والمسكين وقيل كلا زجر تقديره لا تفعلوا هكذا ثم خوفهم فقال (اذا دكت الارض
 دكا دكا) اي كسر كل شيء على ظهرها من جبل او بناء او شجر حتى زلزلت فلم يبق عليها شيء يفعل
 ذلك مرة بعد مرة وقيل دكت الارض اي مدت يوم القيامة مد الاديم عن ابن عباس وقيل دقت جبالها
 وانشازها حتى استوت عن ابن قتيبة والمعنى استوت في انفراسها وذهب دورها وقصورها وسائر ابنتها حتى
 تصير كالصحراء المساء (وجاء ربك) اي امر ربك وقضاؤه ومحاسنته عن الحسن والجبائي وقيل جاء امره
 الذي لا امر معه بخلاف حال الدنيا عن ابي مسلم وقيل جاء جلائل آياته فجعل مجيئها مجيئه تفعيلا لا مرها
 وقال بعض المحققين المعنى وجاء ظهور ربك لضرورة المعرفة به لأن ظهور المعرفة بالشيء يقوم مقام ظهوره
 ورويته ولما صارت المعارف بالله في ذلك اليوم ضرورة صار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقيل جاء
 ربك اي زالت الشبهة وارتفع الشك كما يرتفع عند مجيئ الشيء الذي كان يشك فيه جل وتقدس
 عن المجيئ والذهاب لقيام البراهين القاهرة والدلائل الباهرة على انه سبحانه ليس بجسم (والملك) اي وتجيئ
 الملائكة (صفا صفا) يريد صفوف الملائكة واهل كل سماء صف على حدة عن عطاء وقال الضحاك

اهل كل سماء اذا زلزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالارض ومن فيها فيكون سبع صفوف فذلك قوله صفا صفا وقيل معناه مصطفين كصفوف الناس في الصلاة يأتي الصف الاول ثم الصف الثاني ثم الصف الثالث ثم على هذا الترتيب لأن ذلك اشبه بحال الاستواء من الشوبش فالتعديل والتقويم اولى (وجيبى يومئذ جهنم) اي وا ضرت في ذلك اليوم جهنم ليعاقب بها المستحقون لها ويرى اهل الموقف هولها وعظم منظرها وروي مرفوعا عن ابي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية تغير وجه رسول الله ﷺ وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه ما رأوا من حاله وانطلق بعضهم الى علي بن ابي طالب (ع) فقالوا يا علي لقد حدث امر قد رأيناه في نبي الله ﷺ فجاء علي (ع) فاحتضنه من خلفه وقيل بين عاتقه ثم قال يا نبي الله ﷺ بأي انت وأبي ما الذي حدث اليوم قال جاء جبرائيل (ع) فأقرأني وجيبى يومئذ بجهنم قال فقلت كيف يجاء بها قال يجيبى بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شرده لو تركت لا حرقتم اهل الجمع ثم انعرض لجهنم فتقول مالي ولك يا محمد فقد حرم الله عليك علي فلا يبقى احد الا قال نفسي نفسي وان محمدا يقول رب امي امي ثم قال سبحانه (يومئذ) يعني يومس يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) أي يتعظ ويتوب الكافر (واني له الذكري) أي ومن أين له التوبة عن الزجاج وقيل معناه يتذكر الانسان ما قصر وفرط اذ يعلم يقينا ما قد تعد به فكيف ينفعه التذكري التذكري ثم نفاء بمعنى انه لا ينتفع به فكأنه لم يكن وكان ينبغي له ان يتذكر في وقت ينفعه ذلك فيه ثم حكي سبحانه ما يقول الكافر والمفرط الجاني على نفسه ويتمناه بقوله (يقول يا ليتني قدمت لحيوتي) اي بمعنى ان يكون قد كان عمل الطاعات والحسنات لحياته بعد موته أو عملها للحياة التي تدوم له بقوله يا ليتني قدمت لحياتي العمل الصالح لا آخرتي التي لا موت فيها ثم قال سبحانه (فيومئذ لا يعذب احد) أي لا يعذب عذاب الله احد من المخلوق (ولا يوثق وثاقه احد) أي وثاق الله احد من المخلوق فالمعنى لا يعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق احد في الدنيا بمثل وثاق الله الكافر يومئذ واما القراءة بفتح العين في يعذب ويوثق فقد وردت الرواية عن ابي قلابة قال أقرأني من آراء رسول الله ﷺ فيومئذ لا يعذب عذاب احد ولا يوثق وفاقه احد والمعنى لا يعذب احد تعذيب هذا الكافر ان قلنا انه كافر بعينه او تعذيب هذا الصنف من الكفار وهم الذين ذكروا في قوله لا يكرمون اليتيم الآيات وهذا وان اطلق فالأولى ان يكون المراد التقييد لأننا نعلم ان ابليس أشد عذابا ووثاقا منه وقيل معناه لا يؤخذ بذنبه غيره والتقدير لا يعذب احد بعذابه لأنه المستحق بعذابه ولا يؤخذ الله احداً بجرم غيره (يا ايها النفس المطمئنة) بالإيمان المؤمنة الموقنة المصدقة بالثواب والبعث والطأنينة حقيقة الإيمان عن الحسن ومجاهد وقيل المطمئنة الآمنة بالبشارة بالجنة عند الموت وبوم البعث عن ابن زيد وقيل النفس المطمئنة التي يبيض وجهها ويعطى كتابها يمينها فحينئذ تطمئن عن الكلابي وابي روق (ارجعي إلى ربك) أي يقال لها عند الموت عن ابي صالح وقيل عند البعث عن عكرمة والضحاك ارجعي الى ثواب ربك وما اعد لك من النعيم عن الحسن وقيل ارجعي الى الموضوع الذي يختص الله سبحانه بالأمر والنهي فيه دون خلقه وقيل ان المراد ارجعي الى صاحبك وجسدك فيكون الخطاب للروح ان ترجع الى الجسد عن ابن عباس (راضية) بثواب الله (راضية) اعمالها التي عملتها وقيل راضية عن الله بما اعد الله لها راضية رضي عنها بما عملت من طاعته وقيل راضية بقضاء الله في الدنيا حتى رضي الله عنها

ورضي بأفعالها واعتقادها (فادخلي في عبادي) أي في زمرة عبادي الصالحين المصطفين الذين رضيت عنهم وهذه نسبة تشريف وتعظيم (وادخلي جنتي) التي وعدتكم بها واعدت نعيمكم فيها

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله فأما الانسان الآية بما قبله فيه قولان ﴿ أحدها ﴾ أنه يتصل بقوله ان ربك بالمرصاد أي هو بالمرصاد لأعمالهم لا يخفى عليه شيء من مصالحهم فإذا أكرم احدا منهم بنوع من النعم التي هي الصحة والسلامة والمال والبنون امتحانا واختبارا ظن ذلك واجبا واذا قتر عليه رزقه ظن ذلك اهانة له وإنما يفعل سبحانه جميع ذلك للمصالح عن ابي مسلم ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى بالمرصاد لهم بتعبده بما هو الاصلح لهم وانهم يظنون انه يتدبى عبادهم بالاكرام والاهانة وليس كذلك بل هما مستحقان ولا يدخل العباد تحت الاستحقاق الا بعد التكليف واما قوله بل لا تكرمون البيتيم فوجه اتصاله بما قبله انه رد عليهم ظنهم انه ضيق عليهم ارزاقهم على وجه الاهانة فينبى سبحانه ان الاهانة لما ذكره لا لما قالوه

سورة البلد

مكيه عشرون آية بالاجماع

﴿ فضائها ﴾

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأها اعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من كان قرأته في الفريضة لا أقسم بهذا البلد كان في الدنيا معروفا انه من الصالحين وكان في الآخرة معروفا ان له من الله وكان من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم تلك السورة بذكر النفس المطمئنة بين في هذه السورة وجه الاطمئنان وانه النظر في طريق معرفة الله واكد ذلك بالقسم فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) لا أقسم بهذا البلد (٢) وأنت حل بهذا البلد (٣) ووالد وما ولد (٤) لقد خلقنا الانسان في كبد (٥) أبحسب أن لن يقدر عليه أحد (٦) يقول أهلكت ما لا أبدا (٧) أبحسب أن لم يره أحد (٨) ألم نجعل له عينين (٩) ولسانا وشفتين (١٠) وهديناه النجدين (١١) فلا اقتحم العقبة (١٢) وما أدراك ما العقبة (١٣) فك رقبة (١٤) أو إطعم في يوم ذي مسغبة (١٥) بيتما ذامقربة (١٦) أو مسكينا ذامقربة (١٧) ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة (١٨) أولئك اصحب الميمنة (١٩) والذين كفروا يا بيتنا هم اصحب المشئمة (٢٠) عليهم نار مؤصدة عشرون آية

* القراءة *

قرأ أبو جعفر لبدأ بالشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك رقبة أو اطعمم والباقون فك رقبة بالرفع والإضافة أو اطعمم بالتنوين وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم مؤصدة بالهمزة والباقون بغير همزة وبمقبوب مختلف عنه وفي الشواذ قراءة الحسن في يوم ذا مسغبة

* الحجة *

ابد يجوز أن يكون في واحد على وزن زمل وجباً ويجوز أن يكون جمعا فيكون جمع الابد واما قوله فك رقبة أو اطعمم فقد قال أبو علي المعنى فيه وما ادراك ما اقتحام العقبة فك رقبة أو اطعمم أي اقتحامها احد هذين أو هذا الضرب من فعل القرب فلولا تقدره وتركت الكلام على ظاهره كان المعنى العقبة فك رقبة ولا تكون العقبة الفك لأنه عين والفك حدث والخبر ينبغي ان يكون المبتدأ في المعنى ومثل هذا قوله وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة أي الحطمة نار الله ومثله وما ادراك ما هيه نار حامية وكذلك قوله وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والمعنى القارعة يوم يكون الناس لأن القارعة مصدر فيكون اسم الزمان خبراً عنه فهذه الجمل من الابتداء والخبر تفسير لهذه الأشياء المتقدم ذكرها من اقتحام العقبة والحطمة والقارعة كما أن قوله تعالى لهم مغفرة وأجر عظيم تفسير للوعد وقوله فلا اقتحم العقبة معناه فلم يقتحم واذا كانت لا بمعنى لم لم يلزم تكريرها كما لا يلزم التكرير مع لم فإن تكررت في موضع نحو فلا صدق ولا صلى فهو كتنكرير لم في قوله لم يسرفوا ولم يقتروا وقوله ثم كان من الذين آمنوا أي كانت مقتحم العقبة وفكك الرقبة من الذين آمنوا فإنه إذا لم يكن منهم لم ينفعه قربه وجزاء وصف اليوم بقوله ذي مسغبة كما جاز ان يقال ليله نائم ونهاره صائم ونحو ذلك ومن قرأ فك رقبة أو اطعمم فإنه يجوز ان يكون ما ذكر من الفعل تفسيرا لاقتحام العقبة فإن قلت ان هذا الضرب لم يفسر بالفعل وانما فسر بالابتداء والخبر كقوله نار الله الموقدة وقوله نار حامية فهلا رجحت القراءة الأخرى قيل انه قد يمكن ان يكون كذبت ثمود وعاد بالقارعة تفسيرا لقوله وما ادراك ما القارعة على المعنى وقد جاء ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وفسر المثل بقوله خلقه من تراب وزعموا ان ابا عمرو احتج بقوله ثم كان من الذين آمنوا القارعة فك رقبة كأنه لما كان فلا وجب ان يكون المعطوف عليه مثله وقد يجوز ان يكون ذلك كالتقطع من الاول والاستئناف كأنه اعلم أن فكك الرقبة من الرق بأن كان من الذين آمنوا لأنه بالإيمان يحرز ثواب ذلك ويجوزة فإذا لم ينضم الإيمان الى فعل القرب التي تقدم ذكرها لم ينفع ذلك والتقدير ثم كونه من الذين آمنوا فجاء هذا مجيبي قوله سبحانه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا ان شهدوا . وأوصدت الباب وأصدته لغتان فمن لم يهزم مؤصدة احتمل امرين (احدهما) أن يكون على لغة من قال أوصدت **ب** والوجه **ب** الآخر أن يكون من أصدت ثم خفت الهمزة قلبت واوا كما جاء في جونة وتووي ومن همزة مؤصدة فهو من أصدت وأبو عمرو يترك الهمزة الساكنة ويبدلها واوا إذا انضم ما قبلها نحو يومنون مومنين ويبدلها الفا إذا انفتح ما قبلها ويا. اذا انكسر ما قبلها ولا يبدلها في نحو قوله مؤصدة بل يهزها لأن مؤصدة بالهمزة هي لغة من قال أصدت الباب والباب مؤصدة وأبو عمرو على هذه اللغة فلا يترك الهمزة إذا احتاج أن يترك لغته وينقل عنها الى لغة اخرى وكذلك لا يترك الهمزة في قوله تووي اليك لأنه لو أبدلها واوا وبدلها

واو اجتمع واوان واجتماعها أثقل من الهمزة وكذلك إذا كان الفعل مجزوما ولا ماهرة بقاها على حالها ولا يبدلها بته نحو قوله ان تمسك حسنة تسوهم لأنه لو أبدلها واوا وجب حذفها بالجزم كما نقول في يفرز لم يفرز كذلك ان يشأ يذهبكم لا يبدلها الفال هذا المعنى ايضا وكذلك قوله اثنان ورتيا لا يقبلها ياء لأنه يشبهه بالري من روي من الماء فهذه اربعة احوال لا يترك الهمز فيها اذا احتاج الى ترك لغته وان ينتقل الى لغة أخرى وإذا كان الهمز في موضع الجزم واذا اشتبه المعنى في الكلمة بكلمة أخرى واذا كان ترك الهمزة يؤدي الى اجتماع الواو بين فافهم ذلك ومن قرأ ذا مسغبة جعله مفعول اطعام ويتبادل منه ويجوز ان يكون يتبادلا وصفا لذا مسغبة كقولك رأيت كريما عاقلا وجاز وصف الصفة الذي هو كريم لأنه لما لم يجر على الاسم الموصوف اشبه الاسم

❖ اللغة ❖

الحل الحال وهو الساكن والحل الحلال ورجل حل وحلال اي محل والكبد في اللغة شدة الأمر ومنه تكبد اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد لأنه دم يغلظ ويشند وتكبد الدم اذا صار كالكبد قال لبيد
 اعين هلا بكيت اربد إذ قمنا وقام المحصوم في كبد
 والبد الكثير مأخوذ من تلبد الشيء إذا تراكب بعضه على بعض ومنه البد يقال ما له سبد ولا لبد
 وأصل النجد العلو وسمي نجد العلو عن انخفاض تهامة وكل عال من الأرض نجد والجمع نجد امرؤ القيس

غداة غدوا فسالك بطن نخلة وأخر منهم جازع نجد كبكب

اراد طريقه في ارتفاع و كبكب جبل وفي المثل نجد من رأى حصنا ورجل نجد بين النجدة اذا كان جلدأقويا لاستلانه على قرنه واستنجدت فلانا فأنجدني أي استعنته للاستعلاء على قرني فأعاني وشبه طريق الخير والشر بالطريقين العالين لظهور ما فيها والاتحام الدخول على الشدة بالضيق يقال اقتمم وقتمم واخمه وقتمه غيره والعقة الطريقة التي ترتقى على صعوبة ويحتاج فيها الى معاقبة الشدة بالضيق والمخاطرة وقيل العقة الثنية الضيقة في رأس الجبل يتعاقبها الناس فشبته النفقة في وجوه البرها وعاقب الرجل صاحبه إذا صار في موضعه بدلا منه والفك فرق يزيد المنع ويمكن معه امر لم يكن متمكنا فكفك القيد والغل لأنه يزول به المنع ويمكن به تصرف لم يمكن قبل فكك الرقبة فرق بينها وبين حال الرق بإيجاب الحرية وابطال العبودية والمسغبة المجاعة سغب بسغب سغباً فهو ساغب اذا جاع قال جرير

تعطل وهي ساغبة بنيتها بأنفاس من الشيم القراح

والمقربة القرابة ولا يقال فلان قرابتي وإنما يقال ذو قرابتي لأنه مصدر كما قال الشاعر

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحمي مسرور

والنربة الحاجة الشديدة من قوطم ترب الرجل اذا افتقر

❖ المعنى ❖

(لا أقسم بهذا البلد) أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة وقد تقدم بيان قوله لا أقسم في سورة القيامة (وأنت حل بهذا البلد) أي وأنت يا محمد مقيم به وهو محلك وهذا تنبيه على شرف

البلد بشرف من حل به من الرسول الداعي الى توحيده، واخلاص عبادته وبيان ان تعظيمه له وقسمه به
 لأجله عليه السلام ولكونه حالا فيه كما سميت المدينة طيبة لأنها طابت به حيا وميتا وقيل معناه وأنت محل
 بهذا البلد وهو ضد المحرم والمراد وأنت حلال لك قتل من رأيت به من الكفار وذلك حين أمر بالقتال يوم
 فتح مكة فأحله الله له عليه السلام حتى قاتل وقتل وقد قال عليه السلام لا يحل لأحد قولي ولا يحل لأحد من
 بعدي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار عن ابن عباس ومجاهد وقنادة وعطاء وهذا وعد من الله لنبيه عليه السلام
 ان يحل له مكة حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده ويكون بها حلا يصنع بهما يريد القتل والاسر وقد فعل
 سبحانه ذلك فدخلها غلبة وكرها وقتل ابن أخطل وهو منعلق بأستار الكعبة ومقبس بن سبابة وغيرهما وقيل
 معناه لا أقسم بهذا البلد وأنت حل فيه متهاك الحرمه مستباح العرض لا تحترم فلم يبين للبلد حرمة حيث
 هتك حرمتك عن ابي مسلم وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال كانت قريش تعظم البلد وتستهل محمدا
عليه السلام فيه فقال لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد يريد أنهم استحلوك فيه فكذبوك وشتموك
 وكانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه ويتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إياه فاستحلوا من
 رسول الله عليه السلام ما لم يستحلوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم ثم عطف على القسم فقال (ووالد وما ولد) يعني
 آدم (ع) وذريته عن الحسن ومجاهد وقنادة وذلك أنهم خليفة أعجب من هذه الخليفة وهم عار الدنيا وقيل
 آدم وما ولد من الأنبياء والاصياء واتباعهم عن ابي عبد الله (ع) وقيل يريد ابراهيم (ع) ووالده عن ابن
 ابي عمير الجوني لما أقسم بالبلد اقسما ابراهيم فإنه بانيه وأولاده العرب إذ هم المخصصون بالبلد وقيل
 يعني كل والد وولده عن ابن عباس والجبائي وقيل ووالد من يولد له وما ولد يعني العاقر عن ابن جبير
 فيكون ما نغيا وهو بعيد لأنه يكون تقديره وما ما ولد فحذف ما الاولى التي تكون موصولة أو موصوفة
 (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي في نصب وشدة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن قال يكابد
 مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن آدم لا يزال يكابد أمرا حتى يفارق الدنيا وقيل في شدة خلق من حمله
 وولادته ورضاعه وطفامه ومعاشه وحياته وموته ثم أنه سبحانه لم يخلق خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو
 أضف المطلق وقيل في كبد أي قائما على قدميه منتصبا وكل شيء خلق فإنه يسي مكبا إلا الإنسان
 فإنه خلق منتصبا فالكبد الاستواء والاستقامة وهو رواية مقسم عن ابن عباس وهو قول مجاهد وابي صالح
 وعكرمة وقيل يريد شدة الأمر والنهي أي خلقناه ليعبدا بالعبادات الشاقة مثل الاغتسال من الجنابة في
 البرد والقيام الى الصلاة من النوم فينبغي له أن يعلم أن الدنيا دار كبد ومشقة والجنة دار الراحة والنعمة
 (أي حسب أن لن يقدر عليه أحد) معناه أيضا أن هذا الإنسان أنه لن يقدر على عقابه أحد اذا عصى الله
 تعالى وركب القبائح فبئس الظن ذلك وهذا استفهام انكار أي لا يظن ذلك وقيل معناه أي حسب هذا
 المغتر بما له أن لا يقدر عليه أحد يأخذ ماله عن الحسن وقيل أي حسب ان لا يسأل عن هذا المال من ابن
 اكنبه وفي ماذا أنفق عن قنادة وقيل انه يعني ابا الاسد بن كادة وهو رجل من جمح كان قويا شديدا
 انطلق بجيئ يجلس على أديم عكاظي فتجره العشرة من نحته فينقطع ولا يبرح من مكانه عن الكلبي ثم اخبر
 سبحانه عن مقالة هذا الإنسان فقال (يقول أهلكت مالا لبدأ) أي انفقت مالا كثيرا في عداوة النبي
عليه السلام ففتخر بذلك وقيل هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه أذنب ذنبا فاستغنى رسول الله

فأمره أن يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد عن مقاتل (أحسب أن لم يره أحد) فيطالبه من ابن اكتبه وفي ماذا أنفقه عن قتادة وسعيد بن جبير وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال لا نزول قدما العبد حتى يسأل عن أربعة عن عمره فيما أفناه وعن ماله من ابن جمعه وفيما أنفقه وعن عمله ماذا عمل به وعن جنبنا أهل البيت وقيل أنه كان كاذبا لم ينفق ما قاله فقال الله سبحانه أيقن أن الله تعالى لم ير ذلك فعل أو لم يفعل أنفق أو لم ينفق عن الكلبي ثم ذكر سبحانه النعم التي أنعم بها عليه ليستدل بها على توحيدده فقال (ألم نجعل له عينين) ليصير بها آثار حكمته (ولسانا وشفتين) لينطق بها فيبين باللسان ويستعين بالشفنتين على البيان قال قتادة نعم الله عليك منظاره فقرررك بها كما تشكر وروي عبد الحميد المدائني عن أبي حازم أن رسول الله ﷺ قال إن الله تعالى يقول يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعتك عليه بطبقتين فاطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعتك عليه بطبقتين فاطبق وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعتك عليه بطبقتين فاطبق (وهدينا النجدين) أي سبيل الخير وسبيل الشر عن علي (ع) وابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل معناه أرشدناه للتدبير عن سعيد بن المسيب والضحاك وفي رواية أخرى عن ابن عباس روي أنه قيل لأمير المؤمنين (ع) إن نازعك لسانك فاسأل عن أربعين في قوله وهدينا النجدين إنما التديان فقال لاها الخير والشر وقال الحسن بلغني إن رسول الله ﷺ قال يا أيها الناس ها نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير ولو قيل كيف يكون نجد الشر مرثعا كنجد الخير ومعلوم أنه لا رفعة في الشر « والجواب » أن الطريقين جميعا ظاهرا باديان للمكلفين فسمى سبحانه كلاهما نجدا لظهوره وبروزه ويحوز أن يكون سعى طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه الرفعة والشرف كما يحصل ذلك في طريق الخير وقيل أيضا أنه على عادة العرب في تسمية الأمرين إذا اتفعا على بعض الوجوه فيجري لفظ أحدهما على الآخر كقولهم القمرين في الشمس والقمر قال الفرزدق

أخذنا بأفانق السماء عليكم لنا قمرها والنجوم الطوالع

ونظائره كثيرة (فلا اقتحم العقبة) فيه أقوال (أحدها) أن المعنى فلم يقتحم هذا الإنسان العقبة ولا جاوزها وأكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظة لا كما قال سبحانه فلا صدق ولا صلى أي لم يصدق ولم يصل وكما قال الخطيب

وان كانت السماء فيهم جزوا بها

وقد جاء من غير تكرار في نحو قوله

ان تنفر اللهم تنفر جما وأي عبد لك لا ألما

أي لم يلم بذنب (والآخر) أن يكون على وجه الدعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة كما يقال لا يغفر الله له ولا نجبا ولا سلم والمعنى لا نجبا من العقبة ولا جاوزها (والثالث) أن المعنى فهلا اقتحم العقبة أو أفلا اقتحم العقبة عن ابن زيد والجبائي وأبي مسلم قالوا وبدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام قال المرتضى قدس الله روحه هذا الوجه ضعيف جدا لأن الكلام خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب

على عمر بن ابي ربيعة قوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

واما قولهم لو اريد النفي لم يتصل الكلام فليس بشي لان المعنى فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا أي لم يقتحم ولم يؤمن واما المراد بالعقبة ففيه وجوه **أحدها** * انه مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال الخير والبر فجعل ذلك كتكليف صمود العقبة الشاقفة الكؤود فكانه قال لم يحمل على نفسه المشقة بعنق الرقبة والإطعام وهو قوله (وما ادراك ما العقبة) أي ما اقتحام العقبة ثم ذكره فقال (فك رقبة) وهو تخليصها من اسار الرق الى آخره **وثانيها** * انها عقبة حقيقة قال الحسن وقناة هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل وروي ان النبي ﷺ انه قال ان امامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثلثون وانا اريدان اخفف عنكم لتلك العقبة وعن ابن عباس انه قال هي النار نفسها وروي عنه ايضا انها عقبة في النار **وثالثها** * ما روي عن مجاهد والضحاك والكلبي انها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلا وصعودا وهبوطا وان في جنبه كلاب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فمن بين مسلم وناج ومخدوش في النار تكوس فمن الناس من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف ومنهم من يمر عليه كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمر عليه كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزلون والزلات ومنهم من يكرس في النار واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر الى العشاء وقال سفيان بن عيينة كل شي قاله سبحانه وما ادراك فإنه اخبره به وكل شي قال فيه وما يدريك فإنه لم يخبره به وروي مرفوعا عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال ان كنت اقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة اعتق النسمة وفك الرقبة فقال او ليسا واحدا قال لا اعتق النسمة ان تنفرد بعتها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والفني على ذي الرحم الظالم فإن لم يكن ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك الا من الخير وقيل ان معنى فك رقبة ان يفك رقبة من الذنوب بالتوبة عن عكرمة وقيل اراد فك نفسه من العقاب بتحمل الطاعات عن الجبائي (او اطعام في يوم ذي مسغبة) أي ذي مجاعة قال ابن عباس يريد بالمسغبة الجوع وفي الحديث عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ من اشبع جائعا في يوم سغب ادخله الله يوم القيامة من باب من ابواب الجنة لا يدخلها الا من فعل مثل ما فعل وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ من موجبات المغفرة اطعام المسلم السبعان وروي عن محمد بن عمر بن يزيد قال قلت لابي الحسن الرضا (ع) ان لي ابنا شديدا العلة قال مره يتصدق بالقبضة من الطعام بعد القبضة فإن الله تعالى يقول فلا اقتحم العقبة وقرأ الآيات (بتجاذا مقربة) أي ذا قربى من قرابة النسب والرحم وهذا حث على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الاجانب في الإطعام والانتعام (او مسكينا) أي فقيرا (ذا متربة) قد لصق بالتراب من شدة فقره ورضه وروي مجاهد عن ابن عباس انه قال هو المطروح في التراب لا يقبه شي وهذا مثل قولهم فقير مدقع مأخوذ من الدقعا وهو التراب ثم بين سبحانه ان هذه القرية إنما تنفع مع الايمان فقال (ثم كان من الذين آمنوا) أي ثم كان مع هذا من جملة المؤمنين الذين استقاموا على ايمانهم (وتواصوا بالصبر) على فرائض الله والصبر عن معصية الله

أي وصى بعضهم بعضاً بذلك (وتواصوا بالمرحمة) أي واوصى بعضهم بعضاً بالمرحمة على أهل الفقر وذوي المسكنة والفاقة وقيل تواصوا بالمرحمة فيما بينهم فرحوا الناس كلهم (أو تلك اصحاب الميمنة) يؤخذ بهم ناحية اليمين وبأخذون كتبهم بأيانهم عن الجبائي وقيل هم اصحاب اليمن والبركة على انفسهم عن الحسن وابي مسلم (والذين كفروا بآياتنا) أي يجججنا ودلالاتنا وكذبوا انبياءنا (هم اصحاب المشمة) أي يأخذون كتبهم بشالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وقيل انهم اصحاب الشام على انفسهم (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني ان ابوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج عنها غم ولا يدخل فيها روح آخر الابد عن مقاتل

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله سبحانه ألم نجعل له عينين بما قبله ان المعنى كيف يحسب هذا الإنسان ان الله سبحانه لا يراه وهو الذي خلقه وجعل له عينين وكذا وكذا وقيل انه اتصل بقوله لقد خلقنا الإنسان في كبد أي اخبرناه حيث كلفناه ثم ازحنا عنه بأن جعلنا له عينين وقيل انه متصل بقوله لا يحسب ان لن يقدر عليه أحد والمعنى كيف يظن ذلك وقد خلقناه وخلقنا اعضاءه التي يبصر الدلائل بها ويتكلم بها

سورة الشمس مكية

﴿ عدد آياتها ﴾

ست عشرة آية مكي والمدني الاول وخمس عشرة في الباقيين

﴿ اختلافها ﴾

آية فغفروها مكي والمدني الاول

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عنه رضي الله عنه قال من قرأها فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال من اكثر قراءة والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والضحى وألم تشرح في يومه أو في ليلته لم يبق شيء بحضرته الا شهد له يوم القيامة حتى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعصبه وعظامه وجميع ما اقلت الارض منه ويقول الرب تبارك وتعالى قبلت شهادتك لعبيدي واجزتها له انطلقوا به إلى جناتي حتى ينخبر منها حيث أحب فأعطوه اياها من غير من مني ولكن رحمة وفضلا مني عليه فهنيئا هنيئا لعبيدي

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر النار المؤصدة بين في هذه السورة ان النجاة منها لمن زكى نفسه واكده بأن اقسم عليه فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (٢) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّيَا (٣) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّيَا (٤) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰهَا (٥) وَالسَّمَاءُ وَمَا بَيْنَهَا (٦) وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّيَا (٧) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيَا (٨)

فآلهما فجورهما وتقويها (٩) قد أفلح من زكيتها (١٠) وقد خاب من دسيها (١١) كذبت ثمود
 بطغوبها (١٢) إذ انبث أشقيها (١٣) فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها (١٤) فكذبوه
 فمقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسويها (١٥) ولا يخاف عقبيها خمس عشرة آية

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وابن عامر فلا يخاف بالفاء وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام وروي ذلك
 عن أبي عبد الله (ع) والباقون ولا يخاف بالواو وكذلك هو في مصاحفهم

✽ الحجة ✽

قال أبو علي الواو يجوز أن يكون في موضع حال أي فسواها غير خائف عقباها يعني غير خائف
 أن يتم عليه في شيء مما فعله وفاعل يخاف الضمير المائد إلى قوله ربهم وقيل إن الضمير يعود إلى صالح
 النبي ﷺ الذي أرسل إليهم وقيل إذ انبث أشقاها وهو لا يخاف عقباها أي لا يخاف من إقدامه على
 ما أتاه مما نهى عنه ففاعل يخاف الماقر على هذا والفاء للعطف على قوله فكذبوه فمقروها فلا يخاف كأنه
 يتبع تكذيبهم وعقرهم إن لم يخوفوا

✽ اللفظة ✽

ضحى الشمس صدر وقت طلوعها وضحي النهار صدر وقت كونه واضحا بفعل كذا إذا فعله
 في وقت الضحى وضحي بكبش أو غيره إذا ذبحه في وقت الضحى من إهام الأضحى ثم كثر ذلك حتى
 لو ذبح في غير ذلك الوقت لقبل ضحي والطحو والدحو بمعنى يقال طحا بك همك يطحو طحوا إذا انبسط بك
 إلى مذهب بعيد قال علقمة «طحا بك قلب في الحسان طروب» يقال طحا القوم بعضهم بعضا عن الشيء إذا
 دفعوا دفعا شديدا الانبساط والطواحي النور تنبسط حول القتل وأصل الطحو البسط الواسع يقال دسافلان
 يدسودسوا فهو داس نقيض زكا يزكو زكا فهو زاك وقيل إن أصل دسا دسس فأبدل من أحد السينين ياء
 كما قالوا تظننت بمعنى تظننت ومثله «نقض البازي إذ الباز كسر» بمعنى نقض وإنما يفعلون ذلك كراهية التضعيف
 والظنوى والظفان مجاوزة الحد في الفساد وبلوغ غايته وفي قراءة الحسن وحاد بن مسلمة بطغوبها بضم الطاء
 وعلى هذا فيكون مصدرا على فعل كالرجعي والحسنى وبمعنى مطاوع انبث يقال بعتته على الأمر فانبث له
 والسقيا الحظ من الماء والنصيب منه والعقر قطع اللحم بما يسيل الدم وهو من عقر الحوض أي أصله والعقر
 نقص شيء من أصل بنية الحيوان والدمدمة ترديد الحال المستكره وهي مضاعفة ما فيه الشقة وقال مؤرج
 الدمدمة هلاك باستئصال قال ابن الأعرابي دمدم أي عذب عذابا تاما

✽ الإعراب ✽

والشمس هذه الواو الأولى هي التي للقسم وسائر الواوات فيما بعدها عطف عليها إلى قوله قد
 أفلح من زكاها وهو جواب القسم والتقدير لقد أفلح وقوله وما بناها وما طحاها وما سواها ما هنا مصدرية
 وتقديره والسماء وبنائها والأرض وطحاها ونفس وتسويتها وقيل إن ما في هذه المواضع بمعنى من أي والذي
 بناها ويحكى عن أهل الحجاز أنهم يقولون إذا سمعوا صوت الرعد سبحان ما سبحت له أي سبحان الذي

سبحت له ومن سبحت له وقوله ناقة الله وسقياها منصوب بفعل مضمر أي احذروا ناقة الله وذروا سقياها

المعنى

(والشمس وضحيها) قد تقدم ان الله سبحانه أن يقسم بما يشاء من خلقه تنبيها على عظيم قدره وكثرة الانتفاع به ولما كان قوام العالم من الحيوان والنبات بطولع الشمس وغروبها اقسام الله سبحانه بها وبضحاها وهو امتداد ضوئها وانبساطه عن مجاهد والكليبي وقيل هو النهار كله عن قتادة وقيل حرها عن مقاتل كقوله تعالى في آله ولا تضحى اي لا يؤذيك حرها (والقمر اذا تليها) اي اذا اتبعها فأخذ من ضوئها وسار خلفها قالوا وذلك في النصف الأول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها ليلة الهلال وهي اول ليلة من الشهر اذا سقطت الشمس روي القمر عند غيوبتها عن الحسن وقيل في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس وقيل في الشهر كله فهو في النصف الاول يتلوها وتكون أمامه وهو ورواها في النصف الأخير يتلو غروبها بالطلوع (والنهار اذا جابها) اي جنى الظلمة وكشفها وجازت الكناية عن الظلمة ولم تذكر لأن المعنى معروف غير ملتبس وقيل ان معناه والنهار اذا اظهر الشمس وبرزها سمي النهار مجليا لها لظهور جرمها فيه (والليل اذا يغشها) اي يغشى الشمس حتى تغيب فنظلم الآفاق ويلبسها سواده (والسياء وما بينها) اي ومن بناها عن مجاهد والكليبي وقيل والذي بناها عن عطاء وقيل معناه والسياء وبنائها مع احكامها واتساقها وانتظامها (والارض وما طبعها) اي ما وجهان كما ذكرناه اي طحوها وتسطيحها وبسطها ليتمكن الخلق التصرف عليها (ونفس وما سواها) هو كما ذكرناه وسواها عدل خلقها وسواها وعضاؤها وقيل سواها بالمقل الذي فضل به سائر الحيوان ثم قالوا يريد جميع ما خلق من الجن والانس عن عطاء وقيل يريد بالنفس آدم ومن سواها الله تعالى عن الحسن (فألهما فجورها وتقويها) اي عرفها طريق الفجور والتقوى وزهدا في الفجور ورغبها في التقوى عن ابن عباس ومجاهد وقاتدة والضحاك وقيل علما بالطاعة والمعصية لتفعل الطاعة وتذر المعصية وتجتنب الخير وتجنب الشر (قد افلح من زكاتها) على هذا وقع القسم أي قد افلح من زكى نفسه عن الحسن وقاتدة اي طهرها واصلاحها بطاعة الله وصالح الاعمال (وقد خاب من دسها) بالعمل الطالح اي اخملها واخفى محامها وقيل اضلها واهلكها عن ابن عباس وقيل افجرها عن قتادة وقيل معناه قد افلحت نفس زكاتها الله وخابت نفس دساها الله اي جعلها قليلة خسيصة وجاءت الرواية عن سعيد بن ابي هلال قال كان رسول الله اذا قرأ هذه الآية قد افلح من زكاتها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها انت وليها ومولاها وزكها وانت خير من زكاتها وروي زرارة وجران ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) في قوله فألهما فجورها وتقواها قال بين لها ما تأتي وما تترك وفي قوله قد افلح من زكاتها قال قد افلح من اطاع وقد خاب من دساها قال قد خاب من عصي وقال ثعلب قد افلح من زكى نفسه بالصدقة والخير وخاب من دس نفسه في اهل الخير وليس منهم ثم اخبر سبحانه عن ثمود وقوم صالح فقال (كذبت ثمود بطقوها) اي بطغياتها ومعصيتها عن مجاهد وابن زيد يعني ان الطغيان حملهم على التكذيب فالطغوى اسم من الطغيان كما ان الدعوى من الدعاء وقيل ان الطغوى اسم العذاب الذي نزل بهم فالمعنى كذبت ثمود بمعذابها عن ابن عباس وهذا كما قال فاهلكوا بالطاغية والمراد كذبت بمعذابها الطاغية فأتاها ما كذبت به (اذ ابعث اشقيها) اي كان تكذيبها حين ابعث اشقى ثمود للقمر

ومعنى انبعث انتدب وقام والاشقى عاقر الناقة وهو اشقى الاولين على لسان رسول الله ﷺ واسمه قدار بن سالف قال الشاعر وهو عدي بن زيد

فمن يهدي اخا لذئاب لو
ولكن اهلكت لو كثيرا

يعني حين نزل بها العذاب فقال لو فعلت وقد صحت الرواية بالاسناد عن عثمان بن صهيب عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ لعلي بن ابي طالب (ع) من اشقى الاولين قال عاقر الناقة قال صدقت فمن اشقى الآخريين قال قلت لا اعلم يا رسول الله قال الذي يضربك على هذه وأشار الى بافوخه وعن عمار ابن ياسر قال كنت انا وعلي بن ابي طالب (ع) في غزوة العسرة نائمين في صور من النخل ودقناه من التراب فوالله ما اهتبنا الا رسول الله ﷺ يجر كنا برجله وقد تربنا من تلك الدعاء فقال ألا احدثكم بأشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله قال احبهم ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك بالسيف يا علي على هذه ووضع يده على قرنيه حتى تبل منها هذه واخذ بلحيتيه وقبل ان عاقر الناقة كان اشقر ازرق قصيرا ملتزق الحلق (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) قال الغراء حذرهم اياها وكل تحذير فهو نصب والتقدير احذروا ناقة الله فلا تمقروها عن الكلبي ومقاتل كما يقال الأسد الأسد اي احذروه (وسقيا) أي وشربها من الماء او ما يسقيا اي فلا تزاحمها فيه كما قال سبحانه لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (فكذبوه) اي فكذب قوم صالح صالحا ولم يلتفتوا الى قوله وتحذيره اياهم بالعذاب بمقروها اي فقتلوا الناقة (فدمدم عليهم ربهم) اي فدمر عليهم ربهم عن عطاء ومقاتل وقبل اطبق عليهم بالعذاب واهلكهم (بذئهم) لأنهم رضوا جميعا به وحشوا عليه وكانوا قد اقتربوا تلك الآفة فاستحقوا بما ارتكبوه من العصيان والطغيان عذاب الاستئصال (فسويها) اي فسوى الدمدمه عليهم وعمهم بها فاستوت على صغيرهم وكبيرهم ولم يفلت منها احد منهم وقبل معناه سوى الأمة اي انزل العذاب بصغيرها وكبيرها فسوى بينها فيه عن الغراء وقبل جعل بعضها على مقدار بعض في الاندكاك واللصوق بالأرض فالتسوية تصير الشيء على مقدار غيره وقبل سوى ارضهم عليهم (ولا يخاف عقبيها) اي لا يخاف الله من احد تبعه في اهلاكهم عن ابن عباس والحسن وقيادة ومجاهد والجبائي والمعنى لا يخاف ان يتعقب عليه في شيء من فعله فلا يخاف عقبي ما فعل بهم من الدمدمه عليهم لأن احدا لا يقدر على معارضته والانتقام منه وهذا كقول لا يسأل عما يفعل وقبل معناه لا يخاف الذي عقرها عقباها عن الضحاك والسدي والكلبي اي لا يخاف عقبي ما صنع بها لأنه كان مكذبا بصالح وقبل معناه ولا يخاف صالح عاقبة ما خوفهم به من العقوبات لأنه كان على ثقة من نجاته

سورة والليل

مكية احدى وعشرون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

* تفسيرها *

لما قدم في تلك السورة بيان حال المؤمن والكافر عقبه سبحانه بمثل ذلك في هذه السورة فانصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى (٣) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَى (٤) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٥) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٦) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٧) فَسَنبِئْهُ
لِلْبُئْرَى (٨) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٩) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (١٠) فَسَنبِئْهُ لِّلْعُسْرَى (١١) وَمَا
يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١٢) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٣) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٤) فَأَنْذَرْنَاهُمْ
نَارًا تَلْفَظَى (١٥) لَا يَصْلِيهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٦) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٧) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٨)
الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٩) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (٢٠) إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى
(٢١) وَلَسَوْفَ يَرْضَى احدى وعشرون آية

* القراءة *

في الشواذ قراءة النبي ﷺ وقراءة علي بن ابي طالب (ع) وابن مسعود وأبي الدرداء وابن عباس والنهار
إذا تجلى وخلق الذكر والأنثى بغير ما ورد في ذلك عن ابي عبد الله (ع)

* الحجة *

قال ابن جنبي في هذه القراءة شاهد لما أخبرنا به ابو بكر عن ابي العباس احمد بن يحيى قراءة بعضهم
وما خلق الذكر والأنثى بالجر وذلك انه جره لكونه بدلا من ما فقرأه النبي ﷺ شاهد بصحة ذلك

* اللغة *

شقي أي متفرق على تباعد ما بين الشيتين جداً ومنه شتان أي بعد ما بينها كبعد ما بين الثرى والثريا
وتشتت امر القوم وشتمهم رهب الزمان والبسرى تأنيث الأيسر والعسرى تأنيث الأيسر من اليسر
والعسر والتلفظي تلهب النار بشدة الإيقاد وتلفظت النار تلفظي فحذف احدى التاء من تخفيفاً وقرأ ابن كثير تلفظي
بتشديد التاء ادغم احدى التاءين في الأخرى والتجنب تصيير الشقي في جانب من غيره

* الاعراب *

وما خلق الذكر والأنثى ان جعلت ما مصدرية فهو في موضع الجر والتقدير وخلق الذكر أي وخلقته
الذكر والأنثى وان جعلتها بمعنى من فكذلك والحسنى صفة حذف موصوفها أي وصدق بالخصلة الحسنى
وكذا اليسرى والعسرى . التقدير فهما للطريقة اليسرى والطريقة العسرى وينزكى في موضع نصب على
الحال ويجوز ان يكون منصوب الموضع أو مرفوعاً على تقدير حذف ان أي لأن ينزكى فحذف اللام فصار
ان ينزكى ثم حذف ان أيضا كما في قول طرفة

ألا هذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد الذات هل أنت مخاخي

روي احضر بالرفع والنصب وما لأحد عنده من نعمة تجزى من نعمة الجار والمجرور في موضع رفع

ومن مزهدة لتأكيد النفي وافادة العموم وتجيزى جملة مجرورة الموضع لكونها صفة لنعمة والتقدير من نعمة مجزية وان شئت كانت مرفوعة الموضع على محل كونه من نعمة والتقدير وما لاحد عنده نعمة مجزية ابتغاء منصوب لانه مفعول له والعامل فيه يوثني اي وما يوثني ماله الا ابتغاء وجه ربه اية لطلب ثواب ربه ولم يفعل ذلك مجازاة ليد قد اسديت اليه

المعنى

(والليل اذا يشئ) أقسم الله سبحانه بالليل اذا يشئ بظلمته النهار وقيل اذا يشئ بظلمته الأفق وجميع ما بين السماء والأرض والمعنى اذا أظلم وادلهم وأغشى الأنام بالظلام لما في ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام (والنهار اذا تجل) أي بان وظهر من بين الظلمة وفيه أعظم النعم إذ لو كان الدهر كله ظلاما لما امكن الخلق طلب معاشهم ولو كان ذلك كله ضياء لما انتفعوا بسكونهم وراحتهم فلذلك كرر سبحانه ذكر الليل والنهار في السورتين لعظم قدرهما في باب الدلالة على مواقع حكمته (وما خلق الذكور والأنثى) أي والذي خلق عن الحسن والكاظمي وعلى هذا يكون ما يعني من وقيل معناه خلق الذكر والأنثى عن مقاتل قال مقاتل والكاظمي الذكر والأنثى آدم وحواء (ع) وقيل أراد كل ذكر وأنثى من الناس وغيرهم (ان سعيكم لشتى) هذا جواب القسم والمعنى ان اعمالكم المختلفة فعمل للجنة وعمل للنار عن ابن عباس وقيل ان سعيكم لمنفرد فساع في فكاك رقبتة وساع في هلاكه وساع للدنيا وساع للعقبى وروى الواحدي بالاسناد المتصل المرفوع عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقبر ذي عيال وكان الرجل اذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر فربما سقطت الثمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرجل من النخلة حتى يأخذ التمر من ايديهم فإن وجدها في في احداهم أدخل اصبعه حتى يأخذ الثمرة من فيه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ واخبره بما يلقي من صاحب النخلة قال له النبي ﷺ اذهب ولقي رسول الله ﷺ صاحب النخلة فقال تعطيني نخلتك المائلة التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال له الرجل ان لي نخلا كثيرا وما فيه نخلة اعجب إلي ثمرة منها قال ثم ذهب الرجل فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ يا رسول الله اتمطيني ما اعطيت الرجل نخلة في الجنة ان أنا أخذتها قال نعم فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها منه فقال له أشمرت ان محمدا اعطاني بها نخلة في الجنة فقلت له يعجبني ثمرتها وان لي نخلا كثيرا فما فيه نخلة اعجب إلي ثمرة منها فقال له الآخر أريد بيعها فقال لا إلا ان اعطى ما لا أظنه اعطى قال فما هناك قال اربعمون نخلة قال الرجل جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة اربعمون نخلة ثم سكت عنه فقال له أنا اعطيتك اربعمون نخلة فقال له اشهد ان كنت صادقا فر إلى اناس فدعاهم فأشهد له باربعين نخلة ثم ذهب إلى النبي ﷺ قال يا رسول الله ان النخلة قد صارت في ملكي فهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له النخلة لك ولعيالك فأنزل الله تعالى والليل اذا يشئ السورة وعن عطاء قال اسم الرجل ابو الدحداح (فأما من اعطى واتقى) هو ابو الدحداح وأما من يجمل واستغنى وهو صاحب النخلة وقوله لا يصلاحها إلا الأشتى وهو صاحب النخلة وسبجتها الأتقى هو ابو الدحداح ولسوف يرضى إذا دخل الجنة قال وكان النبي ﷺ يمر بذلك الحش وعذوقه دانية فيقول عذوق وعذوق لأبي الدحداح في الجنة وعن ابن الزبير قال ان الآية نزلت في ابي

بكر لأنه اشترى المالك الذين اسلموا مثل بلال وعامر بن فهيرة وغيرهما واعتقهم والاولى ان تكون الآيات محمولة على عمومها في كل من يعطي حق الله من ماله وكل من يمنح حقه سبحانه وروى العياشي ذلك باسناد عن سعد الاسكاف عن ابي جعفر (ع) قال فأما من اعطى مما اتاه الله واتقى وصدق بالحسنى أي بأن الله يعطي بالواحد عشر إلى كثير من ذلك وفي رواية أخرى إلى مائة الف فما زاد فسنيسره ليسرى قال لا يريد شيئاً من الخير إلا يسره الله له واما من يخل بما اتاه الله واستغنى وكذب بالحسنى بأن الله يعطي بالواحد عشر إلى اكثر من ذلك وفي رواية أخرى إلى مائة الف فما زاد فسنيسره ليسرى قال لا يريد شيئاً من الشر إلا يسره الله له قال ثم قال ابو جعفر (ع) وما يعني عنه ماله إذا تردى أما والله ما تردى من جبل ولا تردى من حائط ولا تردى في بئر ولكن تردى في نار جهنم فلي هذا يكون قوله (وصدق بالحسنى) معناه بالعدة الحسنى وهو قول ابن عباس وقتادة وعكرمة وقيل بالجنة التي هي ثواب المحسنين عن الحسن ومجاهد والجاني وقوله (فسنيسره ليسرى) معناه فسنهون عليه الطاعة مرة بعد مرة وقيل معناه سنهيه ونوفقه للطريقة اليسرى أي سنهله عليه فعل الطاعة حتى يقوم اليها يجيد وطيب نفس وقيل معناه سنيسره للخصلة اليسرى والحالة اليسرى وهو دخول الجنة واستقبال الملائكة إياه بالتحية والبشرى وقوله (وأما من يخل) أي ضن بماله الذي لا يبقى له وبخل بحق الله فيه (واستغنى) أي التمس الغنى بذلك المنع لنفسه وقيل معناه انه عمل عمل من هو مستغن عن الله وعن رحمته (وكذب بالحسنى) أي بالجنة والثواب والوعد وبالخلف (فسنيسره اليسرى) هو على مزاج الكلام والمراد به التمكين أي نخلي بينه وبين الأعمال الموجبة للمعذب والمعقوبة (وما يعني عنه ماله إذا تردى) أي سقط في النار عن قتادة وابي صالح وقيل إذا مات وهلك عن مجاهد وقيل للحسن ان فلانا جمع مالا فقال هل جمع لذلك عمرا قالوا لا قال فما تصنع الموتى بالأموال (إن علينا الهدى) معناه ان علينا لبيان الهدى بالدلالة عليه فأما الاهتداء فاليكم اخبر سبحانه ان الهدى واجب عليه ولو جاز الإضلال عليه لما وجب الهداية قال قتادة معناه ان علينا بيان الطاعة والمعصية (وان لنا الآخرة والاولى) وان لنا ملك الآخرة وملك الاولى فلا يزيد في ملكنا اهتداء من اهتدى ولا ينقص منه عصيان من عصى ولو نشاء لمنعام عن ذلك قسراً وجبراً ولكن التكليف اقتضى ان نمنعهم بيانا وأمرأ وزجرأ ثم خوف سبحانه العادل عن الهدى فقال (فأنذرتكم ناراً تظلي) أي خوفتكم ناراً تنهب وتتوهج وتتوقد (لا يصلبها) أي لا يدخل تلك النار ولا يلزمها (إلا الأشتى) وهو الكافر بالله (الذي كذب) بآيات الله ورسله (وتولى) أي أعرض عن الإيمان (وسيجنبها) أي سيجنب النار ويجعل منها على جانب (الأنتى) المبالغ في التقوى (الذي يوثق ماله) أي ينفقه في سبيل الله (بتزكى) يطلب ان يكون عند الله زكياً لا يطلب بذلك رياء ولا سمعة قال القاضي قوله لا يصلها إلا الأشتى الذي كذب وتولى لا يدل على انه تعالى لا يدخل النار إلا الكافر على ما يقوله الخوارج وبعض المرجئة وذلك لأنه نكر النار المذكورة ولم يعرفها فالمراد بذلك ان ناراً من جملة التيران لا يصلها إلا من هذه حاله والتيران درجات على ما بينه سبحانه في سورة النساء في شأن المنافقين فمن اين عرف ان غير هذه النار لا يصلها قوم آخرون وبعد فإن الظاهر من الآية يوجب ان لا يدخل النار إلا من كذب وتولى وجمع بين الأمرين فلا بد للقوم من القول بخلافه لأنهم يوجبون النار لمن يتولى عن كثير من الواجبات وان لم يكذب وقيل ان الأنتى

والاشقى المراد بها النبي والشقي كما قال طرفة

تمنى رجال ان اموت وان امت فتلک سبيل لست فيها بأوحد

أراد بواحد ثم وصف سبحانه الاتقى فقال (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) اي ولم يفعل الاتقى ما فعله من ابتناء المال وانفاقه في سبيل الله ليد اسديت اليه يكافي عليها ولا ليد يتخذها عند احد من الخلق (إلا ابتغاء وجهه الأعلی) اي ولكنه فعل ما فعل يتنفي به وجه الله ورضاه وثوابه وانما ذكر الوجه طلبا لشرف الذكر والمعنى إلا الله ولا ابتغاء ثواب الله (ولسوف يرضى) اي وسوف يعطيه الله من الجزاء والثواب ما يرضى به فإنه يعطيه كل ما تمنى ولم يخطر بباله فيرضى به لاعمالة

سورة والضحي مكة احدى عشرة آية بالإجماع

﴿ فضأها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها كان بمن يرضاه الله ولمحمد ﷺ أن يشفع له وله عشر حسنات بعدد كل هيم وسائل

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بأن الاتقى يعطيه من الثواب ما به يرضى وافتتح هذه السورة بأنه يرضى نبيه بما يوتيه يوم القيامة من الكرامة والزلفى فقال
بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالضَّحَى (٢) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٣) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٤)
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٥) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٦) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٧)
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٨) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٩) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَاتَتَّهَرَّ (١٠) وَأَمَّا السَّائِلَ
فَلَاتَنْهَرَّ (١١) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ احدى عشر آية

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ عن النبي ﷺ وعروة بن الزبير ما ودعك بالتخفيف والقراءة المشهورة بالتشديد وعن اشهب العقيلي فاوى بغير مد وعن ابن ابي السميع عيلا بالتشديد وعن النخعي والشامي فلا تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف عبدالله

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى ودع بالتخفيف بقل استعماله وقال سيويه استغنوا من وزر وودع بقولهم ترك واتشد ابو علي ذلك في شعر ابي الاسود قوله

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه

واما قوله فاوى فإنه من اويته اي رحمته واما عيلا فإنه فيعمل من العيلة وهي الفقر وهو مثل العائل ومعناه اذو العيلة من غير جدة يقال عال الرجل يعيل عيلة إذا كثر عياله وافتقر قال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل
أي متى يفتقر واما الكهر فهو مثل القهر والعرب قد تعاقب بين القاف والكاف وفي حديث معاوية بن
الحكم الذي تكلم في الصلاة قال ما كهرني ولا ضربني

﴿ اللغة ﴾

السجر السكون يقال سجد إذا هدى وسكن وطرف ساج وبجر ساج قال الاعشى
فما ذنبنا إذ جاش بحر ابن عمكم وبجر ساج لا يورى الدعامصا
وقال الآخر

يا حبذا القمر والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج
والقلى البغض إذا كسرت القاف قصرت واذا فتحت مددت قال

عليك سلام لا مللت قريبة ومالك عندي إن نأيت قلا
وفهره وانتهره بمعنى وهو ان يصبح في وجه السائل الطالب للرفد

﴿ الإعراب ﴾

وما قلى اي وما فلاك وكذلك قوله فأرى فأفنى تقديره فأواك فأغناك فالمفعول في هذه الآي محذوف وقال
ولسوف يعطيك ولم يقل ويعطيك وان كان جواب القسم لأن النون إنما تدخل لتؤذن بأن اللام لام القسم لا لام
الابتداء وقد حصل ما هنا العلم بأن هذه اللام للقسم لا للابتداء لدخوله على سوف ولام الابتداء لا تدخل على
سوف لأن سوف تختص بالأفعال ولام الابتداء إنما تدخل على الاسماء فأما اليتيم فلا تقهر تقديره فمهما يكن من
شيء فلا تقهر اليتيم ثم اقيم اما مقام الشرط فخلص اما فلا تقهر اليتيم ثم قدم المفعول على القاف كراهة لأن يكون
القاف التي من شأنها ان تكون متبعة شيئاً فشيئاً في اول الكلام وان كثر يجتمع في اللفظ مع اما فتكون على
خلاف اصول كلامهم وكذلك اما بنعمة ربك فحدث

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس احتبس الرحي عنه ^{سورة} خمسة عشر يوماً فقال المشركون ان محمدا قد ودعه ربه وقلاه
واو كان امره من الله تعالى لتتابع عليه فقرت السورة وقيل إنها احتبس الرحي اثني عشر يوماً عن ابن جريج وقيل
اربعين يوماً عن مقاتل وقيل ان المسلمين قالوا ما ينزل عليك الرحي يا رسول الله فقال وكيف ينزل علي الرحي وانتم
لا تنقون براجعكم ولا تغفلون اظفاركم ولما نزلت السورة قال النبي ^{صلى الله عليه وسلم} لغيرائيل (ع) اجئت حتى اشتقت اليك فقال
غيرائيل (ع) وأنا كنت أشد اليك شوقا واكني عبد مأمور وما ننزل إلا بأمر ربك وقيل سألت اليهود رسول
الله ^{صلى الله عليه وسلم} عن ذي القرنين واصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه
الرحي هذه الايام فاعتم لشهامة الاعداء فقرت السورة تسلياً لقلبه وقيل إن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} رمي بحجر في اصبه
فقال هل أنت إلا اصبم ربيت وفي سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين او ثلاثا لا يوحى اليه فقالت له ام جميل بنت
حرب امرأة ابي لهب يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين او ثلاث فقرت السورة

﴿ المعنى ﴾

(والضحى) أقسم سبحانه بنور النهار كله من قولهم ضحى فلان للشمس إذا ظهر لها ويدل عليه قوله في
مقابلته (واللبل إذا سجد) أي سكن واستقر ظلما وقيل إن المراد بالضحى أول ساعة من النهار وقيل صدر
النهار وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الشتاء والصيف وقيل معناه ورب

الضحى ورب الليل اذا سجي عن الجبائي وقيل إذا سجي أي غطى بالظلمة كل شيء من عطاء والضحاك وقيل اذا أقبل ظلامه عن الحسن (ما ودعك ربك وما قلى) هذا جواب القسم ومعناه ما تركك يا محمد ربك وما قطع منك الوحي توديعا لك وما قلاك أي ما أبغضك منذ اصطفاك (والآخرة خير لك من الأولى) يعني ان ثواب الآخرة والتعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية والكون فيها وقيل ان له عنه في الجنة الف الف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك وفي كل قصر ما ينفي له من الأزواج والحدم وما يشتهي على أتم الوصف عن ابن عباس وقيل معناه ولا آخر عمرك الذي بقي خير لك من أوله لما يكون فيه من الفرح والنصرة (وسوف يعطيك ربك فترضى) معناه وسيعطيك ربك في الآخرة من الشفاعة والخوض وسائر أنواع الكرامة فيك وفي أميتك ما ترضى به وروى حوث بن شريح عن محمد بن علي بن الحنفية انه قال يا اهل العراق ترمون أن أرجى آية في كتاب الله عز وجل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم الآية وانا اهل البيت (ع) نقول ارجى آية في كتاب الله وسوف يعطيك ربك فترضى وهي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول رب رضيت وعن الصادق (ع) قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة (ع) وعليها كساء من ثلة الأوبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أبصرها فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بجلالة الآخرة فقد انزل الله علي وسوف يعطيك ربك فترضى وقال زيد بن علي إن من رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل اهل بيته الجنة وقال الصادق (ع) رضا جدي ان لا يسبق في النار واحد ثم عدد سبحانه عليه نعمه في دار الدنيا فقال (ألم يجدك يتيما فأوى) قيل في معناه قولان أحدهما أنه تقرير لنعمة الله عليه حين مات أبوه وبقي يتيما فأواه الله بأن سخر له أولا عبد المطلب ثم لما مات عبد المطلب قبض له ابا طالب بسخره للاشفاق عليه وحببه اليه حتى كان أحب اليه من أولاده فكفله ورباه واليتيم من لا اب له وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات أبوه وهو في بطن امه وقيل انه مات بعد ولادته بدة قليلة وماتت امه صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن ستين ومات جده وهو ابن ثمانين فسلمه إلى ابي طالب (ع) لأنه كان اخا عبد الله لأمه فأحسن تربيته وسئل الصادق (ع) لم أوتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أبوه فقال لتلا يكون لمخلوق عليه حق والآخر ان يكون المعنى ألم يجدك واحدا لا مثل لك في شرفك وفضلك فأواك إلى نفسه واختصك برسائه من قولهم درة بيتية إذا لم يكن لها مثل قال

لا ولا درة بيتية بحر تتلالا في جونة البياح

وقيل فأواك اي جعلك ماوى الأيتام بعد ان كنت يتيما وكفيل الانام بعد ان كنت مكفولا عن الماوردي ثم ذكر نعمة اخرى فقال (ووجدك ضالا فهدى) قيل في معناه اقوال « احدها » وجدك ضالا بما انت عليه الان من النبوة والشريعة اي كنت غافلا عنها فهداك اليها عن الحسن والضحاك والجبائي ونظيره ما كنت تسدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت من قبله لمن المنافقين فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم مثل قوله ان تضل احدها افتدك احدها الاخرى « وثانيها » ان المعنى وجدك متحيرا لا تعرف وجه معاشك فهداك إلى وجه معاشك فان الرجل إذا لم يهتد طريقه فكسبه ووجه معيشته يقال انه ضال لا يدري الى اين يذهب ومن اي وجه يكتب عن ابي مسلم وفي الحديث نصرت بالرعب وجل رزقي في ظل رحمي يعني الجهاد « وثالثها » ان المعنى وجدك لا تعرف الحق فهداك اليه بلقمار العقل ونصب الأدلة والاطاف حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين وذلك من نعم الله سبحانه عليك « رابعها » وجدك ضالا في شعاب مكة فهداك إلى جديك عبد المطلب فروي انه صلى الله عليه وآله وسلم ضل في شعاب مكة وهو صغير فرآه ابو جهل وردده إلى جده عبد المطلب فمن الله سبحانه بذلك عليه إذ رده إلى جده على يد عدوه عن ابن عباس « وخامسها » ما روي ان حليمة بنت ابي ذؤيب لما ارضعت مدة وقضت حق الرضاع ثم ارادت رده على جده جاءت به حتى قربت من مكة فضل في الطريق فطلبته جزءة

وكانت تقول إن لم أره لأرمين نفسي من شامخ وجعلت تصيح واحمداه قالت فدخلت مكة على تلك الحال
فأريت شيخا متوكنا على عصي فسألني عن حالي فأخبرته فقال لا تبكين بأنا ادلك على من يرده عليك فأشار إلى
هبل صنهم الاكبر ودخل البيت فطاف بهبل وقبل رأسه وقال يا سيداه لم أنزل منك جسيمة رد محمد على أهذه
السدية قال فتساقطت الاصنام لما تقوه باسم محمد ﷺ وسمع صوت إن هلاكه على يدي محمد فخرج واسنانه
تصطك وخرجت إلى عبد المطلب وأخبرته بالحال فخرج فطاف بالبيت ودعا الله سبحانه فنودي وأشعر بكانه فأقبل
عبد المطلب وتلقاه ورقة بن نوفل في الطريق فبينما هما يسيران إذ النبي ﷺ قائم تحت شجرة يجذب الاغصان
ويلمب بالورق فقال عبد المطلب فذاك نفسي وحمله ورده إلى مكة عن كعب « وسادسها » ما روي انه ﷺ
خرج مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء ابليلس فأخذ بزمام رقابته
فعدل به عن الطريق فجاء جبرائيل (ع) فنفض ابليلس نفخة رفع بها إلى الخبشة ورده إلى القافلة فعن الله عليه بذلك عن
سعيد بن المسيب « وسابعها » ان المعنى وجدك مضلولا عنك في قوم لا يعرفون حقك فهداهم إلى معرفتك وارشدهم
إلى فضلك والاعتراف بصدقتك والمراد انك كنت خاملا لا تذكر ولا تعرف فمرفك الله الناس حتى عرفوك
وعظموك (ووجدك عائلا) اي فقيرا لا مال لك (فأغنى) اي فأغناك بمال خديجة والغنائم وقيل فأغناك بالقائمة
ورضاك بما أعطاك عن مقاتل واختاره الفراء قال لم يكن غنيا عن كثرة المال لكن الله سبحانه ارضاه بما آتاه من
الرزق وذلك حقيقة الغنى وروى العياشي بإسناده عن ابي الحسن الرضا (ع) في قوله ألم يجدك يتيما فأوى قال
فردا لا مثل لك في المخلوقين فأوى الناس اليك ووجدك ضالا اي ضالعا في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم اليك
ووجدك عائلا تعول اقواما بالعلم فأغناهم بك وروى ان النبي ﷺ قال من علي ربي وهو اهل المن وقد طعن
بعض الملحدين فقال كيف يحسن الامتنان بالانعام وهل يكون هذا من فعل الكرام « والجواب » ان المن انما
يقبح من المنعم اذا أراد به الغض من المنعم عليه والاذى له فأما من أراد التذكير لشكر نعمته والترغيب فيه
ليستحق الشاكر المزيد فإنه في غاية الحسن ولأن من كمال الجود وقام الكرم تعريف المنعم عليه انما انعم عليه ليرأس
جميع ما يحتاج اليه فيعطى ثم اوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال (فأما اليتيم فلا تقهر) أي فلا تقهره على ماله
فتذهب بحقه لضعفه كما كانت تفعل العرب في امر اليتامى عن الفراء والزجاج وقيل معناه لا تحتقر اليتيم فقد
كنت يتيما عن مجاهد وكان النبي ﷺ يحسن إلى اليتامى ويبرهم ويوصي بهم وجاء في الحديث عن ابي اوفى
قال كنا جارسا عند رسول الله ﷺ فأتاه غلام فقال غلام يتييم وأخت لي يتيمة وام لي ارملة أطمعنا ما أطمعك الله أعطاك
الله ما عنده حتى ترضى قال ما أحسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فأنتا با كان عندنا فجاء بواحدة وعشرين تمرة
فقال سبع لك وسبع لأختك وسبع لأهلك فقام اليه معاذ بن جبل فمسح رأسه وقال جبر الله يتييمك وجعلك خانا
من أبيك وكان من ابناء المهاجرين فقال رسول الله ﷺ رأيتك يا معاذ وما صنعت قال رحمتي قال لا يبلي
احد منكم يتيما فيحسن ولايته ووضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة ومحام عنه بكل شعرة
سيئة ورفع له بكل شعرة درجة وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من مسح على رأس يتييم
كان له بكل شعرة تمر على يده نور يوم القيامة وقال ﷺ أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله
عز وجل وأشار بالسبابة والوسطى وعن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال إن اليتيم إذا بكى اهتر له بكائه
عرش الرحمن فيقول الله ملائكتي يا ملائكتي من ابكى هذا اليتيم الذي غيب ابوه في التراب فتقول الملائكة
انت اعلم فيقول الله تعالى يا ملائكتي فإني اشهدكم ان لمن اسكته وارضاه ان ارضيه يوم القيامة وكان عمر اذا
رأى يتيما مسح رأسه واعطاه شيئا (ولما السائل فلا تنهر) أي لا تنهر السائل ولا ترده إذا أتاك يسألك فقد كنت
فقيرا فلما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا وفي الحديث عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ إذا أتاك

سائل على فوس باسط كفيه فقد وجب له الحق ولو بشق تمره قال ابو مسلم يريد كما اعطاك الله ورحمك وانت عائل فاعط سائلك وارحمه وقال الجبائي المراد بها جميع المكلفين وان كان الخطاب للبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان المراد بالسائل طالب العلم وهو متصل بقولك ووجدك ضالاً فهدى عن الحسن والمعنى علم من يسألك كما اعطاك الله الشرائع وكنت بها غير عالم (واما بنعمة ربك فحدث) معناه اذكر نعمة الله واظهرها رحمت بها وفي الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر وقيل يريد بالنعمة القرآن من الكلبي قال وكان القرآن أعظم ما انعم الله عليه به فأسره ان يقرأه وقيل بالنبوة التي اعطاك ربك من معاهد واختاره الزجاج قال اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اتاكها الله وهي أجل النعم وقيل معناه اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة قال الصادق (ع) معناه فحدث بما اعطاك الله وفضلك ورزقك واحسن اليك وهذا

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله والآخرة خير لك من الاولى بما قبله ان في قوله ما ودعك ربك وما قلى اثباتا لمحبتة سبحانه اياه واتلمه عليه فاتصل هذا ايضا به والتقدير ليس الامر كما قالوه بل الوحي يا نبيك ما عرفت وتدوم محبتي لك وما اعطيتك في الآخرة من الشرف ورفعة الميزة خير مما اعطيتك اليوم فلماذا حسدوك على ذا فكيف بهم اذا رأوا ذلك واما اتصال قوله ألم يجدك با قبله فوجهه انه اتصال ذكر النعم بذكر المنعم والتقدير انه سبحانه سينعم عليك في مستقبل امرك كما انعم عليك في الماضي من امرك

سورة الم نشرح

مكية وهي ثمانى آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأها اعطى من الاجر كن لقي محمدا صلى الله عليه وسلم منقلا ففرج عنه وروى اصحابنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة لتعلق احديهما بالآخرى ولم يفصلوا بينهما بيسم الله الرحمن الرحيم وجمعا بينهما في الركعة الواحدة في الفريضة وكذلك القول في سورة ألم تركيف ولا يلاف قريش والسياق يدل على ذلك لأنه قال ألم يجدك بتيا فأوى الى آخرها ثم قال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) ألم نشرح لك صدرك (٢) ووضعنا عنك وزرك (٣) الذي أنقض ظهرك (٤) ورفعنا لك ذكرك (٥) فإن مع العسر يسرا (٦) إن مع العسر يسرا (٧) فإذا فرغت فانصب (٨) وإلى ربك فارغب

﴿ اللغة ﴾

الشرح فتح الشيء بإذهاب ابصده من ادراكه واصل الشرح التوسعة ويعبر عن السرور بسعة القلب وشرحه وعن الهم بضيق القلب لأنه يورث ذلك والوزر الثقل في اللغة ومنه اشتق اسم الوزر لتحمله انتقال الملك وانما سميت الذنوب اوزارا لما يستحق عليها من العقاب العظيم والانتقاض الانتقال التي كان ينتقض بها ما حمل عليه والنقض والهدم واحد ونقض المذهب اطاله بما يفسده ويعبر نقض سفر اذا انقله السفر والنصب الثوب وانصبه الهم فهو

منصب قال الشاعر (تعناك هم من اميمة منصب) وهم ناصب ذونصب قال النابغة (كليني لهم يا اميمة ناصب)
 ﴿ المعنى ﴾

ثم اتى سبحانه تعداد نعمه على نبيه ﷺ فقال (ألم نشرح لك صدرك) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ انه قد سألت ربي مسألة وددت اني لم اسأله قلت اي رب انه قد كان انبياء قبلي منهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يجي الموتي قال فقال ألم اجدك يتيا فأويتك قال قلت بلى قال ألم اجدك ضالا فهديتك قال قلت بلى اي رب قال ألم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قال قلت بلى اي رب والمعنى ألم نفتح لك صدرك ونوسع قلبك بالنبوة والعلم حتى قمت باداء الرسالة وصبرت على المكابرة واحتمل الاذى واطمانت الى الايمان فلم تضق به ذرعا ومنه تشريح اللحم لأنه فتحه بترقيقه فشرح سبحانه صدره بسان ملاء علما وحكمة ورزقه حفظ القرآن وشرائم الاسلام ومن عليه بالصبر والاحتمال وقيل إنه ﷺ كان قد ضاق صدره بعد اعادة الجن والانس اياه ومناصبتهم له فآتاه من الآيات ما اتسع به صدره بكل ما حمله الله اياه وامره به وذلك من اعظم النعم عن البلخي وقيل معناه ألم نشرح صدرك يا ذهاب الشواغل التي تصد عن ادراك الحق وعن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ فقيل يا رسول الله أين شرح الصدر قال نعم قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الفرور والابتغاء الى دار الخلود والاعداد للموت قبل نزول الموت ومعنى الاستفهام في الآية التقرير اي قد فعلنا ذلك وبدل عليه قوله في العطف عليه (ووضعا عنك وزرك) اي وحططنا عنك وزرك (الذي انقض ظهرك) اي اثقله حتى سمع له نقيض اي صوت من الزجاج قال وهذا مثل معناه انه لو كان حملا لسمع نقيض ظهره وقيل ان المراد به تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بامرها سهل الله ذلك عليه حتى تيسر له ومن عليه بذلك عن ابى عبيدة وعبد العزيز بن مجي وقيل معناه وازلنا عنك همومك التي اثقلتك من اذى الكفار فسهل الهموم بالحمل والعرب تحمل الهم ثقلا عن ابى مسلم وقيل معناه وعصمتك عن احتمال الوزر فإن المقصود من الوضم ان لا يكون عليه ثقل فلذا عصم كان ابلغ في ان لا يكون قال المرتضى قدس الله روحه انها سميت الذنوب بانها اوزارا لانها تثقل كاسيها وحاملها فكل شيء اثقل الانسان وغمه وكده جاز ان يسمى وزرا فلا يثبت ان يكون الوزر في الآية انما اراد به غمه ﷺ بما كان عليه قومه من الشرك وانه واصحابه بينهم قهور مستضعف فلما اعلى الله كلمته وشرح صدره وبسط يده خاطبه بهذا الخطاب تذكيرا له بمراعاة النعمة ليقابله بالشكر ويؤيده ما بعمده من الآيات فلون اليسر بازالة الهموم اشبه والعسر بازالة الشدائد والقوم اشبه فلون قبل ان السورة مكية تزلت قبل ان يعلى الله كلمة الاسلام فلا وجه لقولكم قلنا انه سبحانه لما بشره بان يعلى دينه على الدين كله ويظهره على اعدائه كان بذلك واضحا عنه ثقل غمه بما كان يلحقه من اذى قومه ومبدلا عسرهم يسرا فلونه يشق بأن وعد الله حق ويموز ايضا ان يكون الاقنظ وان كان ماضيا فالمراد به الاستقبال كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ولهذا نظائر كثيرة (ورفعتنا لك ذكرك) اي قرنا ذكرك بذكرنا حتى لا اذكر إلا وتذكر معي يعني في الاذان والاقامة والشهادة والخطبة على المنابر عن الحسن وغيره قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا وينادي بأشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وفي الحديث عن ابى سعيد الخدري عن النبي ﷺ في هذه الآية قال قال لي جبرائيل قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وفي هذا يقول حسان بن ثابت يمدح النبي ﷺ

من الله مشهور يلوح ويشهد
 إذا قال في الخمس المؤذن اشهد

اغر عليه للنبوة خاتم
 وضم الآوله اسم النبي الى اسمه

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد
 ثم وعد سبحانه اليسر والرخاء بعد الشدة وذلك انه كان بسكرة في شدة قال (فإن مع العسر يسرا)
 أي مع الفقر سعة عن الكلبي وقيل معناه ان مع الشدة التي انت فيها من مزاوله المشركين يسرا ورخاء
 بأن يظهره الله عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئهم به طوعا او كرها ثم كرر ذلك فقال (ان مع العسر
 يسرا) روى عطاء عن ابن عباس قال يقول الله تعالى خلقت عدرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين
 وعن الحسن قال خرج النبي ﷺ يوما - رورا فرحا وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين فإن مع العسر يسرا
 إن مع العسر يسرا قال القراء ان العرب تقول اذا ذكرت نكرة ثم اعدتها نكرة مثلها صارتا اثنتين كقولك اذا
 كسبت درهما فاتفق درهما فالثاني غير الاول فاذا اعدتها معرفة فهي كقولك اذا كسبت الدرهم فاتفق الدرهم
 فالثاني هو الاول ونحو هذا ما قال الزجاج انه ذكر العسر مع الالف واللام ثم تبي ذكره فصار المعنى إن مع العسر
 يسرين وقال صاحب كتاب النظم في تفسير هذه الآية ان الله بعث نبيه وهو مقل مخف وكانت قريش تعيره بذلك
 حتى قالوا له ان كان بك من هذا القول الذي تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر اهل مكة
 فكروه النبي ﷺ ذلك وظن ان قومه انها يكذبوه لفقره فوعده الله سبحانه الغنى ليسليه بذلك عما خارمه
 من الهم فقال فإن مع العسر يسرا وتأويله لا يجوز ان يقولون وما انت فيه من الاقلال فإن مع العسر يسرا في
 الدنيا عاجلا ثم انجز ما وعده فلم يت حتى فتح عليه الحجاز وما والاها من القرى العربية وعلامة بلاد اليمن فكان
 يعطي المائتين من الابل ويهب الهبات السنوية وبعد لاهله قوت سنته ثم ابتداء فضلا آخر فقال ان مع العسر يسرا
 والدليل على ابتدائه تعريه من فاء وواو وهو وعد لجميع المؤمنين لانه يعني بذلك ان مع العسر في الدنيا للمؤمن
 يسرا في الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكر في
 الآية الثانية فقوله ﷺ لن يغلب عسر يسرين أي يسر الدنيا والآخرة فالعسر بين يسرين اما فرج الدنيا واما
 ثواب الآخرة وهذا الذي ذكره الجرجاني يؤيد ما ذهب اليه المرتضى قدس الله روحه من أن القائل اذا قال شيئا
 ثم كرره فلان الظاهر من تغاير الكلامين تغاير مقتضاهما حتى يكون كل واحد منهما مفيدا لما لا يفيد الآخر
 فيجب مع الاطلاق حمل الثاني على غير مقتضى الاول الا اذا كان بين المتخاطبين عهدا ودلالة يعلم المخاطب بذلك
 ان المخاطب اراد بكلامه الثاني الاول فيجمله على ذلك وانشد ابو بكر الانباري

إذا بلغ العسر مجهوده فشق عند ذلك بيسر سريع
 ألم تر نحس الشتاء الفظي مع يتلوه سعد الربيع البديع
 وانشد اسحاق بن بهلول القاضي

فلا تيأس وان اعسرت يوما فقد ايسرت في دهر طويل
 ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله اولى بالجميل
 فإن العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل قيل

(فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) معناه فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء
 وارغب اليه في المسألة يعطك عن مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي وهو المروي عن ابي جعفر والبي عبد
 الله (ع) ومعنى انصب من النصب وهو التمسك اي لا تشتغل بالراحة وقال الزهري اذا فرغت من الفرائض فادع
 بعد التشهد بكل حاجتك وقال الصادق (ع) هو الدعاء في دبر الصلاة وانت جالس وقيل معناه فاذا فرغت
 من الفرائض فانصب في قيام الليل عن ابن مسعود وقيل معناه فإذا فرغت من دنياك فانصب في عبادة ربك وصل

عن مجاهد والجهاني وقيل فإذا فرغت من الفرائض فانصب فسيما رغبك الله فيه من الاعمال وصل عن ابن عباس وقيل إذا فرغت من جهاد اعدائك فانصب بالعبادة لله عن الحسن وابن زيد وقيل فإذا فرغت من جهاد الاعداء فانصب بجهاد نفسك وقيل إذا فرغت من اداء الرسالة فانصب لطلب الشفاعة وسئل علي بن طلحة عن هذه الآية فقال القول فيه كثير وقد سمنا انه يقال اذا صححت فاجعل صحتك وفراغك نصبا في العبادة ويدل على هذا ما روي ان شريحا مر برجلين يصطرعان فقال ليس بهذا امر الفارغ انما قال الله سبحانه فإذا فرغت فانصب والى ربهك فارغب اي فارفع حوائجك إلى ربهك ولا ترفعهما الى احد من خلقه وقال عطاء يوبد تضرع اليه راهبا من النار وراغباً إلى الجنة

سورة التين

مكية المعدل عن ابن عباس مدنية ثمانى آيات بالاجماع

﴿ فضلتها ﴾

الى بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها اعطاه الله خصتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا فإذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم وعن الجراء بن عازب قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب والتين والزيتون فما رأيت انسانا احسن قراءة منه رواه ابو مسلم في الصحيح وروى شعيب المعرقوني عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ والتين في فرائضه ونوافله اعطاني من الجنة حيث يرضى

﴿ تفسيرها ﴾

امر الله سبحانه بالرغبة اليه في خاتمة تلك السورة وافتتح هذه السورة بذكر أنه الخالق المستحق للعبادة بعد ان اقسام عليه فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (٢) وَطُورِ سِينِينَ (٣) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٤) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٥) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٧) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ الْبَيِّنَاتِ (٨) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ

﴿ اللغة ﴾

التقويم تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون عليه من التأليف والتعديل يقال قومه فاستقام وتقوم

﴿ المعنى ﴾

(والتين والزيتون) اقسام الله سبحانه بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر منه الزيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد ومكرمة وقتادة وعطاء وهو الظاهر وانما اقسام بالتين لانه فاكهة مخصصة من شائب التنقيص وفيه اعظم عبرة لانه عز اسمه جعلها على مقدار الاقامة وهياها على تلك الصفة انعاما على عباده بها وقد روى ابو ذر عن النبي ﷺ قال في التين لو قلت ان فاكهة تزلت من الجنة لقلت هذه هي لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإني نها تقطع البواسير وتنفع من النقرس واما الزيتون فانه يتصر منه الزيت الذي يدور في اكثر الاطعمة وهو ادم والتين طعام فيه منافع كثيرة وقيل التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون العجل الذي عليه بيت المقدس عن قتادة

وقال عكرمة ها جبلان ولنا سميا لأنهما ينبتان بهما وقيل التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس عن كعب الاحبار وعبد الرحمن بن غنيم وابن زيد وقيل التين مسجد نوح الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس عن ابن عباس وقيل التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى عن الضحاك (وطور سينين) يعني الجبل السدي كلفه الله عليه موسى عن الحسن وسينين وسينا. واحد وقيل ان سينين معناه المبارك الحسن وكأنه قيل جبل الخير الكثير لأنه اضافة تعريف عن مجاهد وقتادة وقيل معناه كثير النبات والشجر عن عكرمة وقيل ان كل جبل فيه شجر مشعر فهو سينين وسينا. بلغة النبط عن مقاتل قال عمرو بن ميمون سمعت عمر بن الخطاب يقرأ بمسكة في المغرب والتين والزيتون وطور سيناء. قال فظننت انه إنا قرأها اعلم حرمة البلد وروي ذلك عن موسى بن جعفر (ع) ايضا (وهذا البلد الامين) يعني مسكة البلد الحرام يأمن فيه الخائف في الجاهلية والاسلام فالامين يعني المؤمن يؤمن من يدخله وقيل بمعنى الامن ويؤيده قوله انا جعلنا حرما آمنا قال الشاعر

الم تعلمي يا أسم ويحك انني حلفت يمينا لا اخون اميني

يريد أميني (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) هذا جواب القسم و اراد جنس الانسان وهو آدم وذريته خلقهم الله في احسن صورة عن ابراهيم ومجاهد وقتادة وقيل في احسن تقويم أي منتصب القامة وسائر الحيوان مكسب على وجهه إلا الانسان عن ابن عباس وقيل اراد انه خلقهم على كمال في انفسهم واعتدال في جوارحهم وابلانهم عن غيرهم بالنطق والتمييز والتدبير إلى غير ذلك مما يختص به الانسان وفي ذلك اشارة ايضا إلى حال الشباب (ثم رددناه اسفل سافلين) يورد إلى الحرف وارذل العمر والهزم ونقصان العقل والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل هو لا. جميعا عن ابن عباس و ابراهيم وقتادة وقيل معناه ثم رددناه إلى النار عن الحسن ومجاهد وابن زيد والجبائي والمعنى إلى اسفل الاسفلين لأن جهنم بعضها اسفل من بعض وعلى هذا فالمراد به الكفار اي خلقناهم في احسن خلقه احرارا عقلا. مكلفين فكفروا فرددناهم إلى النار في اقبح صورة ثم استثنى فقال (إلا الذين آمنوا) أي صدقوا بالله (وعملوا الصالحات) اي اخلصوا العبادة لله و اضافوا إلى ذلك الاعمال الصالحة فلن هو لا. لا يردون إلى النار ومن قال بالقرول الاول قال ان المؤمن لا يرد إلى الحرف وإن عمر اطريلا قال ابراهيم إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز معه من العمل كتب له ما كان يعمل وهو قوله (فلهم اجر غير ممنون) وقال عكرمة من رد منهم إلى ارذل العمر كتب له صالح ما كان يعمل في شبابه وذلك اجر غير ممنون وعن ابن عباس قال ومن قرأ القرآن لم يرد إلى ارذل العمر وذلك قوله ثم رددناه اسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال إلا الذين قرأوا القرآن وفي الحديث عن انس قال قال رسول الله ﷺ

الموارد حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتب لوالديه فلن عمل سيئة ام تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم امر الله الملكين اللذين معه يحفظانه ويسددانه فاذا بلغ اربعين سنة في الإسلام امنه الله من البلياء الثلاث الجنون والجنام والبرص فاذا بلغ خمسين خفف الله حسابه فاذا بلغ ستين رزقه الإجابة اليه فيما يحب فاذا بلغ سبعين احبه اهل السماء. فاذا بلغ ثمانين كتب الله حسناته وتجاوزت عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفر الله له. اتقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في اهل بيته وكان اسمه اسير الله في الارض فاذا بلغ ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا كتب الله له بئلا ما كان يعمل في صحته من الخير وان عمل سيئة لم تكتب عليه واقول او صح الخبر فلنما لا تكتب عليه السيئة لزال عقله ونقصان تمييزه في ذلك الوقت وقوله غير ممنون اي غير منقوص وقيل غير مقطوع عن ابي مسلم وقيل غير محسوب عن مجاهد وقيل غير مكدر بما يؤذي ويغمر عن الجبائي (فما يكذبك بعد بالدين) معناه اي شي يكذبك ايها الانسان بعد هذه الحجج بالدين الذي هو الجزاء والحساب عن الحسن وعكرمة واني مسلم والمراد ما يملك على ان لا تفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعبر وتقول ان الذي

فهل ذلك قادر على ان يعثني ويحاسبني ويجازيني بعلمي فيكون قوله فما يكذبك يعني به ما الذي يجعلك تكذب وقيل ان الخطاب للنبي ﷺ اي فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذه الحجج بالدين الذي هو الاسلام عن مجاهد وقتادة اي لا شيء يكذبك (أليس الله بأحكم الحاكمين) هذا تقرير للإنسان على الاعتراف بأنه تعالى أحكم الحاكمين في صنائعه وافعاله وانه لا خذل في شيء منها ولا اضطراب فكيف يترك هذه الخلائق ويهمهم فلا يجازيهم وقيل معناه أليس الله بأقضى القاضين فيحكم بينك يا محمد وبين اهل هذه الخلائق وبك عن مقاتل قال قتادة وكان رسول الله ﷺ اذا ختم هذه السورة قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين

✽ النظم ✽

انصل قوله أليس الله بأحكم الحاكمين بما قبله من ذكر الدين والجزاء على سبيل التنبيه على الإعادة فإن الحكيم اذا كاف وامر ونهى وخلق بين الظالم والمظلوم فلا بد من المجازاة والانتصاف والانتصاف فإذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بد من البعث فإن احكم الحاكمين لا يجوز عليه الإخلال بما ذكرناه

سورة العلق مكة

✽ عدد آياتها ✽

عشرون آية حجازي وتسع عشرة عراقي وثمان عشرة شامي

✽ اختلافها ✽

آيتان الذي ينهى غير الشامي لئن لم ينه حجازي

✽ فضلها ✽

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها فكأنما قرأ المفصل كله محمد بن حسان عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ في يومه او في ليلته اقرأ باسم ربك ثم مات في يومه او في ليلته مات شهيدا وبعثه الله شهيدا واحياه كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله ﷺ

✽ تفسيرها ✽

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر اسمه وافتتح هذه السورة باسمه ايضا فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) اقرأ باسم ربك الذي خلق (٢) خلق الإنسان من علق (٣) اقرأ وربك الاكرم (٤) الذي علم بالقلم (٥) علم الإنسان ما لم يعلم (٦) كلا إن الإنسان ليطغى (٧) أن رآه استغنى (٨) إن إلى ربك الرجعى (٩) أرأيت الذي ينهى (١٠) عبدا إذا صلى (١١) أرأيت إن كان على الهدى (١٢) أو أمر بالتقوى (١٣) أرأيت إن كذب وتولى (١٤) ألم يعلم بأن الله يرى (١٥) كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (١٦) ناصية كاذبة خاطئة (١٧)

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٨) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا نَطْمَعُ وَاَسْجُدُ وَاَقْتَرِبُ ثانيا عشرة آية

❖ اللغة ❖

العلق جمع علقه وهي القطعة الجامدة من الدم التي تعلق لرطوبتها بما تمر به فإذا جفت لا تسمى علقه والعلق ضرب من الدود اسود لأنه يعلق على العضو فيمتص منه الدم والرجعي الرجوع والمرجع واحد والسفع الجذب الشديد يقال سفعت بالشيء اذا قبضت عليه وجذبه جذبا شديدا وسفعت النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال نشوبه ومنه الحديث ليصيبن اقواما سفع من النار اي تشوبه خلقه والناصية شعر مقدم الرأس سميت بذلك لأنها متصلة بالرأس من قولهم ناصي يناصر مناصاة اذا وصل قال الراجز « في ناصيا بلاد في » النادي مجلس اهل النادي ثم كثر فسمي كل مجلس ناديا وواحد الزبانية زبينة عن ابي عبيدة وزبني عن الكسائي وزابن عن الاخفش اخذ من الزبن وهو الدفع والناقة تزبن الحالب اي تركضه برجلها قال الشاعر

ومستعجب مما يرى من اناثنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

❖ الاعراب ❖

خلق الانسان من علق تخصيص بعد تعميم الا ترى ان قوله خلق الانسان بعد قوله خلق خصوص بعد عموم فهو مثل قوله يؤمنون بالغيث ثم قال وبالآخرة هم يوقنون فخصص الآخرة بعد ذكر الغيب الذي هو عام لكل ما غاب عنا وعكسه قول لبيد

وهم المشيرة ان يبطن حاسد اوان يلوم بحاجة لوامها

الا ترى ان اللوم اعم من التبطة لأن التبطة نسبة قوم الى البطء فهذا بعض اللوم وقوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الضمير المستكن في رآه عائد الى الضمير المستكن في يطغى والهاء في رآه عائدة الى الضمير المستكن فيه وانما جاز ان يعود الضمير المنصوب الى ضمير الفاعل في باب علمت واخواتها من غير ذكر النفس ادخول هذه الافعال على المبتدأ والخبر والخبر هو نفس المبتدأ فتقول علمتني وحسبتي افعال كذا ولا يجوز في غيرها الا بواسطة النفس تقول ضربت نفسي ولا تقول ضربتني وان رآه في محل نصب لأنه مفعول له واستغنى جملة في موضع النصب لكونها مفعولة ثانية لرآه والتقدير لأن رآه مستغنيا . ناصية بدل من الناصية اي بناصية كاذبة خاطئة ومعناه بناصية صاحبها كاذب خاطئ يقال فلان ناره صائم وليه قائم اي هو صائم في ناره وقائم في ليله . فليدع ناديه اي اهل ناديه تخذف المضاف . والنون في لنسفن نون التأكيد الحقيقية والاختيار عند البصريين ان تكتب بالالف لأن الوقف عليها بالالف واختار الكوفيون ان تكتب بالنون لأنها نون في الحقيقة

❖ المعنى ❖

(اقرأ باسم ربك) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ﷺ ان يقرأ باسم ربه وان يدعوه بأسمائه الحسنی وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمى لأن الاسم ذكر المسمى بما يخصه فلا سبيل الى تعظيمه الا بجمناه ولهذا لا يعظم اسم الله حق تعظيمه الا من هو عارف به ومعتقد عبادته ولهذا قال سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنی وقال سبح اسم ربك الاعلى فالبا . هنا زائدة والتقدير اقرأ اسم ربك واكثر المفسرين على

أن هذه السورة اول ما نزل من القرآن واول يوم نزل جبرائيل (ع) على رسول الله ﷺ وهو قائم على حراء علمه خمس آيات من اول هذه السورة وقيل اول ما نزل من القرآن قوله يا ايها المدثر وقد مر ذكره وقيل اول سورة نزلت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب رواه الحاكم ابو عبد الله الحافظ بإسناده عن ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل ان رسول الله ﷺ قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء فقالت ما يفعل الله بك الا خيرا فوالله انك لتوذي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث قالت خديجة فانطلقنا الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال له ورقة اذا أتاك فائت له حتى تسمع ما يقول ثم اتيني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى تبلغ ولا الضالين قل لا اله الا الله فأتى ورقة فذكر له ذلك فقال له ابشر ثم ابشر فأنا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل فلان موسى وانك نبي مرسل وانك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن ادر كني ذلك لأجاهدن معك فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني يعني ورقة وروي ان ورقة قال في ذلك

فان بك حقا يا خديجة فاعلمي	حديثك ايانا فأحمد مرسل
وجبريل بآتيه وميكال معها	من الله وحي بشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزا لدينه	ويشقى به الفاوي الشقي المضل
فريقان منهم فرقة في جنانه	وأخرى بأغلال الجحيم تغفل

ثم وصف سبحانه ربه وبينه بفعله الدال عليه فقال (الذي خلق) اي خلق جميع المخلوقات على مقتضى حكمته واخرجه من العدم الى الوجود بكال قدرته ثم خص الانسان بالذكر تشريفا له وتنبيها على ابائته اياه عن سائر الحيوان فقال (خلق الانسان من علق) اراد به جنس بني آدم اي خلقهم من دم جامد بعد النطفة وقيل معناه خلق آدم من طين بعلق باليد والاول اصح وفي هذا اشارة الى بيان النعمة بأن خلقه من الاصل الذي هو في الغاية القصوى من المهانة ثم بلغ به مبالغ الكمال حتى صار بشرا سويا مهيبا للنطق والتميز مفرغا في قالب الاعتدال وانه كما تقل الانسان من حال الى حال حتى استكمل كذلك بنقلك من الجهالة الى درجة النبوة والرسالة حتى تستكمل شرف عملها ثم اكد الامر بالإعادة فقال (اقرأ) وقيل امره في الاول بالقراءة لنفسه وفي الثاني بالقراءة للتبليغ وليس بتكرار عن الجبائي ومعناه اقرأ القرآن (وربك الاكرم) اي الاعظم كراما فلا يبلغه كرم كريم لأنه يعطي من النعم ما لا يقدر على مثله غيره فكل نعمة توجد من جهته تعالى إما بأن اخترعها وإما بأن سببها وسهل الطريق اليها وقيل معناه بلغ قومك وربك الاكرم الذي يشيك على عملك بما يقتضيه كرمه ويقويك ويمينك على حفظ القرآن (الذي علم بالقلم) أي علم الكاتب ان يكتب بالقلم أو علم الانسان البيان بالقلم او علم الكتابة بالقلم امتن سبحانه على خلقه بما علمهم من كيفية الكتابة بالقلم لما في ذلك من كثرة الانتفاع فيما يتعلق بالدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولاه لم يقم دين ولم يصلح عيش وقال بعضهم في وصفها

لعاب الافاعي القاتلات لعابه وارى الجنى اشارته أيد عواسل

وقيل اراد سبحانه آدم لأنه اول من كتب عن كعب وقيل اول من كتب ادريس عن الضحاك
وقيل اراد كل نبي كتب بالقلم لأنه ما علمه الا بتعليم الله اياه (علم الانسان ما لم يعلم) من انواع الهدى
والبيان وامور الدين والشرايع والاحكام فجميع ما يعلمه الانسان من جهته سبحانه اما بأن اضطره اليه واما
بأن نصب الدليل عليه في عقله واما بأن بينه له على السنة ملائكته ورسله فكل العلوم على هذا مضاف اليه وفي
هذا دلالة على انه سبحانه عالم لأن العلم لا يقع الا من عالم (كلا) اي حقا (ان الانسان ليطغى) أي يتجاوز حده
ويستكبر على ربه ويعدو طوره (ان رآه استغنى) اي لأن رآه نفسه مستغنيا عن ربه بشيرته وامواله وقوته
كأنه قال انما يطغى من رأى انه مستغن عن ربه لا من كان غنيا قال قتادة كان اذا اصاب مالا زاد في
ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيانه وقيل انها نزلت في ابي جهل هشام من هنا الى آخر السورة (ان الى
ربك الرجعى) اي الى الله مرجع كل احد اي فهذا الطائي كيف يطغى بما له ويعصي ربه ورجوعه اليه وهو قادر
على اهلاكه وعلى مجازاته اذا رجع اليه (رأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) هذا تقرير للنبي ﷺ واعلام
له بما يفعله بمن ينهى عن الصلاة فقد جاء في الحديث ان ابا جهل قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهر كم قالوا
نعم قال فبالذي يحلف به لئن رأيت يفعله ذلك لأطأن على رقبته فقيل له ها هو ذلك يصلي فانطلق ليطأ على
رقبته فما فجأه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقالوا مالك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه خندق من نار
وهو لا واجنحة وقال نبي الله والذي نفسي بيده لو دنا مني لا خنطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله سبحانه
أرأيت الذي ينهى الى آخر السورة رواه مسلم في الصحيح ومعنى الآية أرأيت يا محمد من منع من الصلاة ونهى
من يصلي عنها ماذا يكون جزاؤه وما يكون حاله عند الله تعالى وما الذي يستحقه من العذاب فحذف
لدلالة الكلام عليه والآية عامة في كل من ينهى عن الصلاة والخير وروي عن علي (ع) انه خرج في
يوم عيد فرأى ناسا يصلون فقال يا ايها الناس قد شهدنا نبي الله في مثل هذا اليوم فلم يكن احد يصلي قبل
العهد او قال النبي ﷺ فقال رجل يا امير المؤمنين ألا تنهى ان يصلوا قبل خروج الامام فقال
لا اريد ان انهى عبدا اذا صلى ولكنا نحدثهم بما شهدنا من النبي ﷺ او كما قال ومعنى أرأيت ها هنا
تعجب للمخاطب ثم كرر هذه اللفظة تأكيداً في التعجب فقال (أرأيت ان كان على الهدى) يعني العبد
المنهي وهو محمد ﷺ (أو امر بالتقوى) يعني بالاخلاص والتوحيد ومخافة الله تعالى وها هنا حذف
ايضا تقديره كيف يكون حال من ينهى عن الصلاة ويزجره عنها ثم قال (أرأيت ان كذب) ابو جهل
(وتولى) عن الايمان واعرض عن قوله والاصناف اليه (ألم يعلم بأن الله يرى) ما يفعله ويعلم ما يصنعه والتقدير
أرأيت الذي فعل هذا الفعل ما الذي يستحق بذلك من الله تعالى من العقاب وقيل ان تقدير نظم الآية
أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى أمر بالتقوى والنهي كاذب مكذب متول عن الايمان فاعجب
هذا ثم هدده بقوله ألم يعلم هذا المكذب فإن لم يعلم فليعلم بأن الله يرى هذا الصنيع الشنيع فيؤاخذ به
وفي هذا اشارة الى انه سبحانه يتقم للحق من المبطل وفيه ان علم العبد بأن الله يعلم ما يأتيه ويراه
يوجب المسابقة الى فعل الطاعة وترك المعصية ثم قال سبحانه (كلا) أي لا يعلم ذلك (لئن لم يتنه)
يعني ان لم يمتنع ابو جهل عن تكذيب محمد ﷺ وايدائه (لتسفن بالناصية) اي لتجرن بناصيته الى
النار وهذا كقوله فيؤاخذ بالنواصي والاقدام ومعناه لذنه وتقيته مقام الاذلة في الاخذ بالناصية اهانة

واستخفاف وقيل معناه لتغيرن وجهه ونسودنه بالنار يوم القيامة لأن السفع اثر الاحراق بالنار ثم اخبر سبحانه عنه بأنه فابخر خاطي* بأن قال (ناصية كاذبة خاطئة) وصفها بالكذب والخطأ بمعنى ان صاحبها كاذب في اقواله خاطي* في افعاله لما ذكر الجربها اضاف الفعل اليها قول ابن عباس لما اتى ابو جهل رسول الله ﷺ انتهره رسول الله ﷺ فقال ابو جهل انتهرني يا محمد فوالله لقد علمت ما بها احدا اكثر ناديا مني فانزل الله سبحانه (فليدع ناديه) وهذا وعيد اي فليدع اهل ناديه اي اهل مجلسه يعني عشيرته فليستنصر بهم اذا حل عقاب الله به والنادي الغناء قال وتأتون في ناديك المنكر ثم قال (سندع الزبانية) يعني الملائكة الموكنين بالنار وهم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته زبانية النار من ساعته معاينة وقيل انه اخبار بأنه يدعو اليه الزبانية دعا ناديه ام لم يدع وصدق سبحانه ذلك فقتل ابو جهل يوم بدر ثم قال (كلا) أي ليس الامر على ما عليه ابو جهل (لا تطمه) في النهي عن الصلاة (واسجد) له عز اسمه (واقرب) من ثوابه وقيل معناه وتقرب اليه بطاعته وقيل معناه اسجد يا محمد للتقرب منه فإن أقرب ما يكون العبد من الله اذا سجد له وقيل واسجد اي وصل لله واقرب من الله وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ قال اقرب ما يكون العبد من الله اذا كان ساجدا وقيل المراد به السجود لقراءة هذه السورة والسجود هنا فرض وهو من العزائم وروي عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال العزائم ألم تنزيل وحم السجدة والنجم اذا هوى وقرأ باسم ربك وما عداها في جميع القرآن مسنون وليس بمفروض

سورة القدر

مكية وقيل مدنية

✽ عدد آياتها ✽

ست آيات مكي وشامي وخمس في الباقيين

✽ اختلافها ✽

آية ليلة القدر الثالث مكي شامي

✽ فضلها ✽

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر . الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ انا انزلناه في فريضة من الفرائض نادى مناد يا عبد الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل . سيف بن عميرة عن رجل عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ انا انزلناه بجمهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله ومن قرأها سرا كان كالمشحط بدمه في سبيل الله ومن قرأها عشر مرات مرت على نحو الف ذنب من ذنوبه

✽ تفسيرها ✽

أمر سبحانه بالسجود والتقرب اليه في خاتمة تلك السورة وافتتح هذه السورة بذكر ليلة القدر وان

التقرب فيها الى الله يزيد على التقرب اليه من سائر القبالي والايام فكانه قال اقترب اليه في سائر الاوقات خصوصا في ليلة القدر وقال ابو مسلم لما امره بقراءة القرآن في تلك السورة بين في هذه السورة ان انزاله في ليلة القدر فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إنا أنزلناه في ليلة القدر (٢) وما أدراك ما ليلة القدر (٣)
ليلة القدر خير من ألف شهر (٤) تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر (٥)
سلم هي حتى مطلع الفجر خمس آيات

❖ القراءة ❖

قرأ الكسائي وخلف مطلع بكسر اللام والباقون بفتح اللام وفي الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة والكسبي من كل أمر.

❖ الحجة ❖

قال ابو علي مطلع هنا مصدر بدلالة ان المعنى سلام هي حتى وقت طلوعه والى وقت طلوعه نحو مقدم الحاج وخفوق النجم بجمل المصدر فيه زمانا على تقدير حذف المضاف فالقياس ان يفتح اللام كما ان مصادر سائر ما كان من فعل يفعل مفتوح العين نحو المخرج والمدخل واما الكسر فلان المصادر التي ينبغي ان تكون على المفضل قد كثر كقولهم علاه المكبر والمعجزة وقوله من كل أمره قال ابن جني انكر ابو حاتم هذه القراءة على انه حكى عن ابن عباس انه قال يعني الملائكة قال ولا ادري ما هذا وانا هو تنزل الملائكة فيها كل امر كقوله فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا ومن كل امر فتم الكلام ثم استأنف فقال سلام أي هي سلام الى ان يطلم الفجر وقال قطرب معناه هي سلام من كل امر وامرى ويلزم على قول قطرب ان يقال فكيف جاز تقديم معمول المصدر الذي هو سلام عليه وقد عرفنا امتناع جواز تقديم صلة الموصول او شيء منها عليه والجواب ان سلاما في الاصل لعمري مصدر فأما هنا فإنه موضوع موضع اسم الفاعل الذي هو سائلة هي او مسلة فكانه قال من كل امر سائلة او مسلة هي اي هي سائلة او مسلة منه

❖ اللغة ❖

القدر كون الشيء مساويا لغيره من غير زيادة ولا نقصان وقد رآه الله هذا الامر يقدره قدرا اذا جملة على مقدار ما تدعو اليه الحكمة والشهر في الشرع عبارة عما بين هلالين من الايام وانا سمي شهرا لاشتهاره بالهلال وقد يكون الشهر ثلاثين ويكون تسعة وعشرين اذا كان هلاليا فإن لم يكن هلاليا فهو ثلاثون

❖ الاعراب ❖

خير من الف شهر تقديره خير من الف شهر لا ليلة قدر فيه فحذف الصفة وقوله سلام هي هي مبتدأ وسلام خير مقدم عليه وهو بمعنى الفاعل لأنه اذا حل على المصدر لم يميز تمليق حتى به لأنه لا يفصل بين الصلة والموصول ومثله قول الشاعر

فها سمعتم سعي عصبة مازن وهل كفلائي في الوفاء سوا

سوا بمعنى مستو والتقدير فهل كفلائي مستوون في الوفاء لا بد من هذا التقدير لأن سوا لو كانت

مصدرا لما تقدم عليه ما في صائه ويجوز تعليق حتى بقوله تنزل الملائكة ولا يجوز ان يكون هي مبتدأ وتكون حتى نكرة في موضع الخبر لأنه لا فائدة فيه اذ كل ليلة بهذه الصفة ومطلع مجرور بحتى وهو في معنى الى

✽ المعنى ✽

(انا انزلناه) الهاء كناية عن القرآن وان لم يجر له ذكر لأنه لا يشبه الحال فيه (في ليلة القدر) قال ابن عباس انزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم كان ينزله جبريل (ع) على محمد ﷺ نجوما وكان من اوله الى آخره ثلاث وعشرون سنة وقال الشعبي معناه انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر وقال مقاتل انزله من اللوح المحفوظ الى السفارة وهم الكتبة من الملائكة في السماء الدنيا وكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبرائيل (ع) على النبي ﷺ في السنة كلها الى مثلها من القابل والكلام في ليلة القدر على ضروب كثيرة فالاول ✽ اختلاف العلماء في معنى هذا الاسم وما أخذه فقبل سميت ليلة القدر لأنها الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كل امر عن الحسن ومجاهد وهي الليلة المباركة في قوله انا انزلناه في ليلة مباركة لأن الله تعالى ينزل فيها الخبر والبركة والمغفرة وروى ابو الضحى عن ابن عباس انه كان يقضي القضايا في ليلة النصف من شعبان ثم يسلمها الى اربابها في ليلة القدر وقبل ليلة القدر اي ليلة الشرف والخطر وعظم الشأن من قولهم رجل له قدر عند الناس أي منزلة وشرف ومنعما قدر والله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته عن الزهري قال ابو بكر الوراق لأن من لم يكن ذا قدر اذا احيها صار ذا قدر وقال غيره لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً وقبل سميت ليلة القدر لأنه انزل فيها كتاب ذو قدر الى رسول ذي قدر لاجل امة ذات قدر على يدي ملك ذي قدر وقبل هي ليلة التقدير لأن الله تعالى قدر فيها انزال القرآن وقبل سميت بذلك لأن الارض تضيق فيها بالملائكة من قوله ومن قدر عليه رزقه عن الخليل بن احمد ✽ الضرب الثاني ✽ اختلافهم في انها اية ليلة فذهب قوم الى انها انا كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت وجاءت الرواية عن ابي ذررانه قال قلت يا رسول الله ليلة القدر هي شي تكون على عهد الانبياء ينزل فيها فلما اذا قبضوا رفعت قال لا بل هي الى يوم القيامة وقبل انها في ايامي السنة كلها ومن علق طلاق امرأته على ليلة القدر لم يقع الى مضي السنة وهو مذهب ابي حنيفة وفي بعض الروايات عن ابن مسعود انه قال من يتم الحول كله يصيبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال رحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكنه اراد ان لا يتكلم الناس وجهور العلماء على انها في شهر رمضان في كل سنة ثم اختلفوا في اي ليلة هي منه فقبل هي اول ليلة منه عن ابن زيد المعقلي وقبل هي ليلة سبع عشرة منه عن الحسن وروى انها ليلة الفرقان وفي صبيحتها التقى الجمعان والصحيح انها في العشر الاواخر من شهر رمضان وهو مذهب الشافعي وروى مرفوعاً انه ﷺ قال التمسوها في العشر الاواخر وعن علي (ع) ان النبي ﷺ كان يوقظ اهله في العشر الاواخر من شهر رمضان قال وكان اذا دخل العشر الاواخر دأب وأدأب اهله وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال كان رسول الله ﷺ اذا دخل العشر الاواخر شد المئزر واجتنب النساء واحيا الليل وتفرغ للعبادة ثم اختلفوا في انها اية ليلة من العشر فقبل انها ليلة احدى وعشرين وهو مذهب ابي سعيد الخدري واختيار الشافعي قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ رأيت هذه الليلة ثم اتسيتها ورأيتني اسجد في ماء وطين فالتمسوها في العشر الاواخر والتسوها في كل وتر

قال فأبصرت عينا رسول الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وانفه أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين اورده البخاري في الصحيح وقيل هي ليلة ثلاث وعشرين منه عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول اني رأيت في النوم كأن ليلة القدر هي ليلة سابعة تبغى فقال ﷺ ارى رؤيا يا كم قد توأطأت على ثلاث وعشرين فمن كان منكم يريد ان يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة ثلاث وعشرين قال معمر كان ابوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وسأل عمر بن الخطاب اصحاب رسول الله ﷺ فقال قد علمتم ان رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر اطلبوها في العشر الاواخر وترا فغى اي الوتر تروون فاكثر القوم في الوتر قال ابن عباس فقال لي مالك لا تنكلم يا ابن عباس فقلت رأيت الله اكثر ذكر السبع في القرآن فذكر السماوات سبعا والارضين سبعا والطواف سبعا والجار سبعا وما شاء الله من ذلك خلق الانسان من سبعة فجعل رزقه في سبعة فقال كل ما ذكرت عرفت فاقولك خلق الانسان من سبعة وجعل رزقه في سبعة فقلت خلق الانسان من سبعة من طين الى قوله خلقا آخر ثم قرأت انا صبينا الماء صبا الى قوله وفا كهة و ابا فا اراها الا ليلة ثلاث وعشرين لسبع بقين فقال عمر عجزتم ان تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم يجتمع شؤن رأسه قال وقال عمر وافق رأيتك ثم ضرب منكبي فقال ما أنت بأقل القوم علما وروى العياشي بإسناده عن زرارة عن عبد الواحد بن المختار الانصاري قال سألت ابا جعفر (ع) عن ليلة القدر قال في ليلتين ليلة ثلاث وعشرين واحدى وعشرين فقلت افرد لي احداها فقال وما عليك ان تعمل في ليلتين هي احداها وعن شهاب بن عبد ربه قال قلت لأبي عبد الله (ع) اخبرني بليلة القدر فقال ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وعن حماد ابن عثمان عن حسان بن ابي علي قال سألت ابا عبد الله (ع) عن ليلة القدر قال اطلبها في تسع عشرة واحدى وعشرين وثلاث وعشرين وفي كتاب من لا يحضره الفقيه عن علي بن حمزة قال كنت عند ابي عبد الله (ع) فقال له ابو بصير جعلت فداك الليلة التي يرجى فيها ما يرجى اي ليلة هي فقال هي ليلة احدى وعشرين وثلاث وعشرين قال فإن لم أقو على كائيهما فقال ما يسر ليلتين فيما تطلب قال قلت فرجا رأينا الهلال عندنا وجاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك في ارض اخرى فقال ما يسر اربع ليال فيما تطلب فيها قلت جعلت فداك ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني قال ان ذلك لي قال جعلت فداك ان سليمان بن خالد روى ان في تسع عشرة يكتب وفد الحاج فقال يا ابا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والبلايا والارزاق ما يكون الى مثلها في قابل فاطلبها في احدى وثلاث وصل في كل واحدة منها مائة ركعة واحبها ان استطعت الى النور واغتسل فيها قال قلت فإن لم اقدر على ذلك وانا قائم قال فصل وانت جالس قلت فإن لم استطع قال فعلى فراشك قلت فإن لم استطع فقال لا عليك ان تكتحل اول الليل بشي من النوم ان ابواب السماء تفتح في شهر رمضان وتصعد الشياطين وتقبل اعمال المؤمنين نعم الشهر شهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله ﷺ المرزوق وفي رواية عبد الله بن بكير عن زرارة عن احدهما قال سألته عن الليالي التي يستحب فيها الفسل في شهر رمضان فقال ليلة تسع عشرة وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وقال ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة الجهني وحديثه انه قال لرسول الله ﷺ ان منزلي نأى عن المدينة فرني بليلة ادخل فيها فأمره بليلة ثلاث وعشرين قال الشيخ ابو جعفر (ره) واسم الجهني عبد الله بن انيس الانصاري وقيل انها ليلة سبع وعشرين عن ابي بن كعب وعائشة وروى ان ابن عباس وابن عمر قالوا قال رسول الله ﷺ

تحروها ليلة سبع وعشرين وعن زر بن حبیش قال قلت لأبي با ابا المنذر من اين علمت انها ليلة سبع وعشرين
 قال بالآية التي انبأ بها رسول الله ﷺ قال تطلع الشمس غدائند كأنها طلست ليس لها شعاع وقال
 بعضهم ان الله قسم كدمات هذه السورة على ليالي شهر رمضان فلما بلغ السابعة والعشرين اشار اليها فقال هي
 وقبل انها ليلة تسع وعشرين وروي عن ابي بكره قال سمعت رسول الله ﷺ يقول التمسوها في العشر
 الاواخر في سبع بقين او سبع بقين او خمس بقين او ثلاث بقين او آخر ليلة والفائدة في اخفاء هذه
 الليلة ان يجتهد الناس في العبادة ويحبوا جميع ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما ان الله سبحانه اخفى
 الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمها الاعظم في الاسماء وساعة الاجابة في ساعات الجمعة والضرب
 الثالث ذكر بعض ما ورد في فضل هذه الليلة روى ابن عباس عن النبي انه قال اذا كان ليلة القدر
 تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى ومنهم جبرائيل فينزل جبرائيل (ع) ومعه أويصة ينصب لواء
 منها على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع فيها مؤمنا ولا
 مؤمنة الا سلم عليه الا مدمن الخمر وآكل لحم الخنزير والمتنمخ بالزعفران وعنه ﷺ قال من قام ليلة
 القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ﷺ قال ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضي
 فجرها ولا يستطيع فيها على احد بجبل او داء او ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيه سحر ساحر وروى
 الحسن عن النبي ﷺ قال في ليلة القدر انها ليلة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس في صبيحتها
 ليس لها شعاع ثم قال الله سبحانه تعظيما لشأن هذه الليلة وتنبها لعظام قدرها وشرف عملها (وما أدراك ما ليلة
 القدر) فكأنه قال وما أدراك يا محمد ما خطر ليلة القدر وما حرمتها وهذا حث على العبادة فيها ثم فسر سبحانه
 تعظيمه وحرمنه فقال (ليلة القدر خير من ألف شهر) أي قيام ليلة القدر والعمل فيها خير من قيام ألف شهر
 ليس فيه ليلة القدر وصيامه عن مقاتل وقادة وذلك ان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها
 من الخير من النفع فلما جعل الله الخير الكثير في ليلة القدر كانت خيرا من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما
 يكون في هذه الليلة وذكروا عن ابن عباس قال ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني اسرائيل انه حمل السلاح
 على عاتقه في سبيل الله تعالى الف شهر فعجب من ذلك رسول الله ﷺ عجباً شديداً وتعنى ان يكون
 ذلك في امته فقال يا رب جعلت امتي أقصر الناس اعماراً واقلها اعمالاً فأعطاء الله ليلة القدر وقال ليلة القدر
 خير من الف شهر الذي حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولأمتك من بعدك الى يوم القيامة في كل
 رمضان ثم اخبر سبحانه بما يكون في تلك الليلة فقال (تنزل الملائكة) أي تنزل الملائكة (والروح) يعني
 جبرائيل (فيها) أي في ليلة القدر الى الارض لسمعوا الثناء على الله وقراءة القرآن وغيرها من الاذكار
 وقيل ليسلموا على المسلمين بإذن الله أي بأمر الله وقبل ينزلون بكل امر الى السماء الدنيا حتى يعلم ذلك اهل
 السماء الدنيا فيكون اطفا لهم وقال كعب ومقاتل بن حيان الروح طائفة من الملائكة لا ترام الملائكة الا
 تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل الروح هو الوحي كما قال وكذلك اوحينا
 اليك روحا من امرنا اي تنزل الملائكة ومعهم الوحي بتقدير الخيرات والمنافع (باذن ربهم) اي بأمر ربهم
 كما قال وما تنزل الا بأمر ربك وقيل يعلم ربهم كما قال انزله بعلمه (من كل امر) أي بكل امر من الخير
 والبركة كقوله يحفظونه من امر الله اي بأمر الله وقبل بكل امر من اجل ورزق الى مثلها من العام القابل

فلى هذا يكون الوقف هنا تاماً ثم قال (سلام هي حتى مطلع الفجر) أي هذه ليلة إلى آخرها سلامة من الشرور والبلايا وآفات الشيطان وهو تأويل قوله في ليلة مباركة عن قتادة وقال مجاهد يعني أن ليلة القدر سالمة عن أن يحدث فيها سوء أو يستطيع شيطان أن يعمل فيها وقيل معناه سلام على أولياء الله وأهل طاعته فكما لقبهم الملائكة في هذه الليلة سلموا عليهم من الله تعالى عن عطاء والكافي وقيل إن تمام الكلام عند قوله بإذن ربهم ثم ابتداء فقال من كل أمر سلام أي بكل أمر فيه سلامة ومنفعة وخير وبركة لأن الله يقدر في تلك الليلة كل ما فيه خير وبركة ثم قال هي حتى مطلع الفجر أي السلامة والبركة والفضيلة تمتد إلى وقت طلوع الفجر ولا يكون في ساعة منها فحسب بل يكون في جميعها والله أعلم بالصواب

سورة لم يكن

وتسمى سورة البرية وسورة القيمة مدنية وقيل مكية

✽ عدد آياتها ✽

تسع آيات بصري ثمان في الباقين

✽ اختلافها ✽

آية مخلصين له الدين بصري

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها كان يوم القيامة مع خير البرية مسافراً ومقيماً وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ لو يعلم الناس ما في لم يكن لعطلوا الأهل والمال وتعلموها فقال رجل من خزاعة ما فيها من الأجر يا رسول الله فقال لا يقرأها منافق أبداً ولا عبد في قلبه شك في الله عز وجل والله أن الملائكة المقربين ليقرئونها منذ خلق الله السموات والأرض لا يفترقون عن قراءتها وما من عبد يقرأها بليل إلا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة فإن قرأها نهاراً أعطي عليها من الثواب مثل ماضاء عليه النهار واظلم عليه الليل فقال رجل من قيس عيلان زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فذاك أبي وامي فقال ﷺ تعلموا عم يتساءلون وتعلموا ق والقرآن المجيد وتعلموا والسماء ذات البروج وتعلموا والسماء والطارق فإنكم لو تعلمون ما فيهن لعطتم ما اتم فيه وتعلمتموهن وتقربتم إلى الله بين وإن الله يفرغهن كل ذنب إلا الشرك بالله واعلموا أن تبارك الذي بيده الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة وتستغفر له من الذنوب. أبو بكر الحضرمي عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ سورة لم يكن كلف بريثاً من الشرك وادخل في دين محمد ﷺ وبعثه الله مؤمناً وحاسبه الله حساباً يسيراً

✽ تفسيرها ✽

بين الله سبحانه في سورة القدر أن القرآن حجة ثم بين في هذه السورة أن الكفار قبله لم يخلوا قط

من حجة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ

حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (٢) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٣) فِيهَا كُتِبَ قِيبَةً (٤) وَمَا تَفَرَّقَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مَن بَعَدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ (٥) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
حُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَامَةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٨) جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ثعالي آيات

❖ القراءة ❖

قرأ نافع وابن ذكوان البريئة مهموزة والباقون بغير همز

❖ الحجة ❖

قال ابو علي البريئة من برأ الله الخلق فالقياس فيه الهمز الا انه مما ترك همزه كقولهم النبي والذرية
والخباية فالهمزة فيه كالرد الى الاصل المتروك في الاستعمال كما ان همز النبي كذلك وترك الهمز اجود لانه
لما ترك فيه الهمز صار كرده الى الاصول المرفوضة مثل ظننوا وهمزة من همز البريئة يدل على فساد قول من
قال انه من البري الذي هو التراب

❖ اللنة ❖

الانفكاك الانفصال عن شدة اتصال قال ذو الرمة

قلانص ما تنفك الا مناخة على الحسف ان نرمي بها بلدا فقرا
واكثر ما يستعمل ذلك في النبي مثل ما زال تقول ما انفك من هذا الامر اي ما انفصل منه لشدة
ملاسته له والبينة الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل واصلاها من البيونة وفصل الشيء من غيره
فالنبي ^{صلى الله عليه وسلم} حجة وبينة واقامة الشهادة العادلة بيته وكل برهان ودلالة بيته والقيمة المستمرة في جهة الصواب
والخفيف المائل الى الصواب والحق والحنيفية الشرعية المائلة الى الحق واصلة الميل ومن ذلك الاحنف المائل
القدم الى جهة القدم الاخرى وقيل اصله الاستقامة وانما قيل للمائل القدم احنف على وجه التفاؤل

❖ الاعراب ❖

رسول من الله يدل من البينة قبله وقال الفراء هو مستأنف تقديره هو رسول دين القيمة تقديره دين
لملة القيمة لانه اذا لم يقدر ذلك كان اضافة الشيء الى صفته وذلك غير جائز لانه بمنزلة اضافة الشيء الى نفسه
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن اي دخول جنات عدن خالدين فيها حال من مضمر اي يجزونها خالدين فيها

❖ المعنى ❖

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) اي ومن المشركين
الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب (منفكين) أي منفصلين
وزائلين وقيل لم يكونوا متهمين عن كفرهم بالله وعبادتهم غير الله عن ابن عباس في رواية عطاء والكلبي

(حتى تأتيهم) اللفظ لفظ الاستقبال ومعناه المضي كقوله ما تنلو الشياطين أي ما تلت وقوله (البينة) يريد محمداً ﷺ عن ابن عباس ومقاتل بن سبحان لم ضلالهم وشركهم وهذا اخبار من الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى اتاهم محمد ﷺ فبين لهم ضلالهم عن الحق ودعاهم إلى الايمان وقبل معناه لم يكونوا ليركوا منفكين من حجج الله حتى تأتيهم البينة التي تقوم بها الحجج عليهم وقوله (رسول من الله) بيان للبينة وتفسيرها أي رسول من قبل الله (يتلو) عليه (صحفا مطهرة) يعني مطهرة في السماء لا يمسها إلا الملائكة المظهرون من الانجاس عن الحسن والجبائي وهو محمد ﷺ أنهم بالقرآن ودعاهم إلى التوحيد والايمان (فيها) أي في تلك الصحف (كتب قيمة) أي مستقيمة عادة غير ذات عوج تبين الحق من الباطل وقيل مطهرة عن الباطل والكذب والزور يريد القرآن عن قتادة ويعني بالصحف ما تضمنه الصحف من المكتوب فيها وبدل على ذلك أن النبي ﷺ كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب وقيل معناه رسول من الملائكة يتلو صحفا من اللوح المحفوظ عن ابي مسلم وقيل فيها كتب قيمة معناه في هذه الصحف التي هي القرآن كتب قيمة أي ان القرآن يشتمل على معاني الكتب المنقذة فتاليها نالي الكتب القيمة كما قال مصداقاً لما بين يديه فإذا كان مصداقاً لها كان ثانياً لها وقيل معناه في القرآن كتب قيمة بمعنى أنه يشتمل على انواع من العلوم كل نوع كتاب قال السدي فيها فرائض الله العادلة وما تفرق الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) يعني وما اختلف هؤلاء في امر محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءتهم البشارة به في كتبهم وعلى السنة رسلم فكانت الحجج قائمة عليهم فكذلك لا يترك المشركون من غير حجة تقوم عليهم وقيل معناه ولم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعث الله فلا بعث تفرقوا في امره واختلفوا فأمن به بعضهم وكفر آخرون ثم ذكر سبحانه ما امروا به في كتبهم فقال (وما امروا إلا ليعبدوا الله) أي لم يأمرهم الله تعالى إلا لأن يعبدوا الله وحده لا يشركون بعبادته فهذا ما لا تختلف فيه ملة ولا يقع فيه تبدل (مخلصين له الدين) لا يخلطون بعبادته عبادة ما سواه (حنفاء) مانئين عن جميع الاديان إلى دين الاسلام مسلمين مؤمنين بالرسول كلهم قال عطية إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج وإذا انفرد كان معناه المسلم وهو قول ابن عباس لأنه قال حنفاء أي حجاجا وقال ابن جبير لا تسمي العرب حنيفاً إلا من حج واختنن قال قتادة الحنيفية الختان وتحريم البنات والامهات والاخوات والعمات والحالات واقامة المناسك (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة) أي وبداءوموا على اقامة الصلاة ويخرجوا ما فرض عليهم في اموالهم من الزكاة (وذلك) يعني الدين الذي قدم ذكره (دين القيمة) أي دين الكتب القيمة التي تقدم ذكرها وقيل دين الملة القيمة والشريعة القيمة قال النضر بن شميل سألت الخليل عن هذا فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد فالمراد بذلك دين القائمين لله بالتوحيد وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر لأن فيها تصريحاً بأنه سبحانه انما خلق الخلق ليعبدوه واستدل بهذه الآية ايضا على وجوب النية في الطهارة اذا امر سبحانه بالعبادة على وجه الاخلاص ولا يمكن الاخلاص الا بالنية والقربة والطهارة عبادة ولا تجزي بغير نية ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) يعني من جحد توحيد الله وانكر نبوة نبيه ﷺ ومن اشرك معه إلهاً آخر في العبادة (في نار جهنم خالدين فيها) لا يفنى عقابهم (أو لك هم شر البرية) أي شر الخليقة ثم اخبر عن حال المؤمنين فقال (إن الذين

آمنوا وعملوا الصالحات أو ألك هم خير البرية) أي خير الخليقة (جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار) مر معناه (خالدين فيها أبدا) أي مؤبدين فيها دائما (رضي الله عنهم) بما قدموه من الطاعات (ورضوا عنه) بما جازاهم من الثواب وقيل رضي الله عنهم إذ وحدوه ونزهوه عما لا يليق به واطاعوه ورضوا عنه إذ فعل بهم ما رجوا من رحمته وفضله (ذلك) الرضا والثواب (لمن خشى ربه) فترك معاصيه وفعل طاعاته وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني (ره) قال أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالاسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب علي (ع) قال سمعت عليا (ع) يقول قبض رسول الله ﷺ وأنا مسنده إلى صدري فقال يا علي ألم تسمع قول الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أو ألك هم خير البرية هم شيعتك وموعدتي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرا محجلين وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله هم خير البرية قال نزلت في علي (ع) وأهل بيته

سورة إذا زلزلت

مدنية عن ابن عباس وقتادة مكية عن الضحاك وعطاء

✽ عدد آياتها ✽

ثمان آيات كوفي والمدني الأول تسع في الباقية

✽ اختلافها ✽

آية اشتاتا غير الكوفي والمدني الأول

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فكأنما قرأ البقرة وأعطى من الأجر كن قرأ ربع القرآن وعن انس بن مالك قال سأل النبي ﷺ رجلا من أصحابه فقال يا فلان هل تزوجت قال لا وليس عندي ما أتزوج به قال أليس معك قل هو الله أحد قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك إذا زلزلت قال بلى قال ربع القرآن ثم قال تزوج تزوج تزوج وعن أبي عبد الله (ع) قال لا تملوا من قراءة إذا زلزلت فإن من كانت قرأته في نوافله لم يصبه الله بزلزلة أبدا ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بأفة من آفات الدنيا وإذا مات امر به إلى الجنة فيقول الله سبحانه عدي ابنتك جنتي فأسكن منها حيث شئت وهويت لا ممنوع ولا مدفوع عنه

✽ تفسيرها ✽

ختم الله سبحانه تلك السورة ببيان حال المؤمنين والكافرين وافتتح هذه السورة ببيان وقت ذلك فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إذا زلزلت الأرض زلزالها (٢) وأخرجت الأرض أثقالها (٣) وقال الإنسان مالها (٤) يومئذ تحدث أخبارها (٥) بأن ربك أوحى لها (٦) يومئذ يصدر

النَّاسُ أَشْتَاتًا لِبُرِّهِمْ وَأَعْمَلَهُمْ (٧) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٨) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

❖ القراءة ❖

في بعض الروايات عن الكسائي خيرا يره وشرأ يره بضم الياء فيها وهي رواية ابان عن عاصم ايضا وهي قراءة علي (ع) والباقون يره بفتح الياء في الموضمين إلا أن ابا جعفر وروحا ورويسا قرأوا بضم الهاء ضمة مختلصة غير مشبعة

❖ الحجة ❖

قال ابو علي من قرأ يره جعل الفعل متوليا مسن رأيت زيدا إذا ادركته ببصرك وارينه عمرا وبني الفعل للمفعول ومن قرأ يره فالتقدير ير جزاءه واثبات الواو في ير هو بعد الهاء هو الوجه كما تقول اكرمهو لأن هذه الهاء يتبعها حرف اللين الواو والياء إذا كان قبلها كسرة أو ياء نحو بهي وعليهي وقد جاء في الشعر نحو قوله « ونضوان مشتاقان له أرقان »

❖ اللفظة ❖

الزلزلة شدة الاضطراب والزلال بكسر الزاي المصدر ويفتحها الاسم وزلزلت ورجفت ورجت بمعنى واحد والاثقال جمع الثقل وسمى سبحانه الموتى اثقالا تشبيها بالحمل الذي يكون في البطن لأن الحمل سمي ثقلا كما قال سبحانه فلما اثقلت وتقول العرب ان للسيد الشجاع ثقلا على الأرض فإذا مات سقط عنها بئوته ثقل قالت الخنساء ترثي اخاها صخرأ

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض اثقالها

عنت بذلك انه حل عن الارض ثقل بئوته لسوؤده وعزه وقيل معناه زينت موتها به من الحلبة وقال الشمر دل اليربوعي يرثي اخاه

وحلت به اثقالها الأرض وانتهى لثواء منها وهو عتف شمائله

وذكر ابن السائب أن زهير بن ابي سلمى قال بيتا ثم اكدى فمر به النابتة الذيباني فقال له يا ابا امامة

اجز قال ماذا قال

تزال الارض إمامت خفا وتحبى ما حبيت به ثقيلأ

«نزلت بمستقر العز منها» فماذا قال فأكدى والله النابتة الذيباني واقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له

ابوه اجز يا بني قال ماذا فانشده فقال كعب «فتمنع جانبها أن تزولا» فقال له زهير انت والله ابني واوحى

ووحي بمعنى واحد قال العجاج «وحى لها القرار فاستقرت»

❖ الإعراب ❖

العامل في إذا قوله فمن يعمل مثقال ذرة وقوله خيرا منصوب على التمييز وقيل ان العامل في إذا قوله

تحدث اخبارها ويكون يومئذ تكرارا أي اذا زلزلت الارض تحدث اخبارها وقيل أن التقدير وقال

الإنسان يومئذ ما لها يومئذ تحدث اخبارها فقيل ذلك بأب ربك أوحى لها وتحدث يجوز أن يكون على

الخطاب أي تحدث انت ويجوز أن يكون على تحدث هي

* المعنى *

خوف الله سبحانه عباده أهوال يوم القيامة فقال (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً لقيام الساعة زلزالها التي كتب عليها ويمكن أن يكون إنفاً إضافياً إلى الأرض لأنها تعم جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهودة التي تختص ببعض الأرض فيكون في قوله زلزالها تنبيهاً على شدتها (وأخرجت الأرض أثقالها) أي أخرجت موتاهم المدفونة فيها تخرجها أحياء للجزاء عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وقيل معناه لفظت ما فيها من كنوزها ومعادنها فتلقبها على ظهرها ليراهم أهل الموقف وتكون الفائدة في ذلك أن يتحسر العصاة إذا نظروا إليها لأنهم عصوا الله فيها ثم تركوها لا تنفي عنهم شيئاً وأيضاً فإنه تكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم (وقال الإنسان مالها) أي ويقول الإنسان متعجباً ما للأرض تنزلزل يعني مالها حدث فيها ما لم يعرف منها عن أبي مسلم وقيل إن المراد بالإنسان الكافر لأن المؤمن معترف بها لا يسأل عنها أي يقول الكافر الذي لم يؤمن بالبعث أي شيء زلزلها وأصارها إلى هذه الحالة (يومئذ تحدث أخبارها) أي تخبر بما عمل عليها وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال أنتدرون ما أخبرها قالوا الله ورسوله أعلم قال أخبرها أن تشهد على كل عبد وأنه بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا ويوم كذا وكذا وهذا أخبارها وعلى هذا فيجوز أن يكون الله تعالى أحدث الكلام فيها وإنما نسيه إليها توسعاً ومجازاً ويجوز أن يقبلها حيواناً يقدر على النطق ويجوز أن يظهر فيها ما يقوم مقامه الكلام فعبّر عنه بالكلام كما يقال عينك تشهدان بسهرك وكقول الشاعر «وقالت له العبدان سمعاً وطاعة» وقدم أمثاله وقوله (بأن ربك أوحى لها) معناه أن الأرض تحدث بها فتقول إن ربك يا محمد أوحى لها أي أهدمها وعرفها بأن تحدث أخبارها وقيل بأن تلقي الكنوز والاموات على ظهرها يقال أوحى له واليه أي التي إليه من جهة تخفي قال الفراء تحدث أخبارها يوحي الله وأذنه لها وقال ابن عباس أذن لها لتخبر بما عمل عليها وروى الواحدي بإسناده مرفوعاً إلى ربيعة الحارثي قال قال رسول الله ﷺ حافظوا على الوضوء وخبر أعمالكم الصلاة وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم وليس فيها أحد يعمل خيراً أو شراً إلا وهي مخبرته وقال أبو سعيد الخدري إذا كنت بالبوادي فأرفع صوتك بالأذان فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يسمعه جن ولا إنس ولا حجر إلا يشهد له (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً) أي يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين أهل الإيمان على حدة وأهل كل دين على حدة وهذا كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقوله يومئذ يصعدون (ليروا أعمالهم) أي ليروا جزاء أعمالهم عن ابن عباس والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار وقيل معنى الروية هنا المعرفة بالأعمال عند تلك الحال وهي روية القلب ويجوز أن يكون التأويل على روية العين بمعنى ليروا أصحاب أعمالهم فيقروون ما فيها لا بغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) أي فمن يعمل وزن ذرة من الخير يرث ثوابه وجزاؤه (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) أي ير ما يستحق عليه من العقاب ويمكن أن يستدل بها على بطلان الأحباط لأن الظاهر يدل على أنه لا يفعل أحد شيئاً من طاعة أو معصية إلا ويجازى عليها وما يقع محبطاً لا يجازى عليه وليس لهم أن يقولوا إن الظاهر بخلاف ما تذهبون إليه في جواز العفو عن مرتكب الكبيرة وذلك لأن الآفة مخصوصة بالإجماع فإن الثابت مفعو عنه بلا خلاف وعندهم أن من شرط المعصية التي يؤخذ بها أن

لا تكون صغيرة فجاز لنا أيضا أن نشترط فيها أن لا يكون مما يعفو الله عنه وقال محمد بن كعب معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا وهو كافر ير ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا وهو مؤمن ير عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر وقال مقاتل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به وكذلك من الشر يراه في كتابه فيسوء ذلك قال وكان أحدهم يستقل ان يعطي اليسير ويقول إنما نوحى على ما نعطي ونحن نحبه وليس اليسير مما يحب ويتهاون بالذنب اليسير ويقول إنما وعد الله النار على الكبار فانزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ويحذرهم اليسير من الشر وعن ابي عثمان المازني عن ابي عبدة قال قدم صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم فقال بأبي أنت يا رسول الله اوصني خيرا فقال اوصيك اوصيك بأمرك وأهلك وادابك قال زدني يا رسول الله قال احفظ ما بينك وبينك ورجلك ثم قال رسول الله ﷺ ما شيء بلغني عنك فعنته فقال يا رسول الله رأيت الناس يمجون على غير وجه ولم أدر اين الصواب غير أني علمت انهم ليسوا عليه فرأيتهم يثدون بانهم فعرفت ان الله عز وجل لم يأمرهم بذلك فلم انر كهم يثدون وفديت ما قدرت وفي روايه اخرى أنه سمع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حبيبي ما ابالي أن لا اسمع من القرآن غير هذا وقال عبد الله بن مسعود احكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره إلى آخر السورة وكان ﷺ يسميها الجامعة وتصدق سعد بن ابي وقاص بتمرين قبض السائل يده فقال سعد ويحك يقبل الله منا مثقال الذرة والمردلة وكان فيها مثاقيل

سورة العاديات

مدنية عن ابن عباس وقتادة وقيل مكية

﴿ عدد آياتها ﴾

احدى عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطيت من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جعلا سليمان بن خالد عن ابي عبد الله (ع) قال ومن قرأ والعاديات وادمن قراءتها بعثه الله مع امير المؤمنين (ع) يوم القيامة خاصة وكان في حجره ورفقائه

﴿ النظم ﴾

اتصلت هذه السورة بما قبلها لما فيها من ذكر القيامة والجزاء اتصال النظم بالنظم فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالْعَدِيَّتِ صُبْحًا (٢) فَأَلْمُورِيَّتِ قَدْحًا (٣) فَأَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٤) فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقَمًا (٥) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٦) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٧) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٨)

وإنه لحب الخبير لشديد (٩) أفلا يعلم إذا بعث ما في القبور (١٠) وحصل ما في الصدور (١١) إن ربهم بهم يومئذ لخبير

❖ القراءة ❖

في الشواذ قراءة ابي حياة فأثرن بتشديد التاء وقراءة علي وقنادة وابن ابي ليلى فوسطن بتشديد السين

❖ الحجة ❖

قال ابن جني فأثرن مثل ابدین وارین نقعا كما يوثر الانسان التمش وغيره بما يديه للناظر وهو من التأثير فالهمزة فاء الفعل واثرن بالتخفيف من الاثارة فالهمزة مزيدة وقوله فوسطن بالتشديد معناه مبرن به جما أي جعلته شطرين قسمين وشقين ومعنى وسطنه بالتخفيف صرن في وسطه

❖ اللفظة ❖

الضبح في الخيل المحممة عند العدو وقبل هو شدة النفس عند العدو وضبحت الخيل تضبح ضبحا وضابحا وقبل ضبح وضبح بمعنى وهو أن يمد ضبعه في السير حتى لا يجرد مزيدا وأورى القادح النار يورى ايرا. إذا قدح قدحا وتسمى تلك النار نار الجباح لضعفها قال النابغة

يقد الساوقى المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الجباح

وهو اسم رجل كان بخيلا وكانت ناره ضميصة لثلا يراها الاضفاف فضربوا المثل بناره وشبهوا نار الحوافر بها لثقتها والنقع التبار يفوص فيه صاحبه كما يفوص في الماء والكنود الكفور ومنه الأرض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا والاصل فيه منع الحق والخبير قال الاعشى

احدث لها تحدث لوصلك انها كند لوصل الزائر المعتاد
وقبل إنما سميت كندة لقطعها اياها

❖ النزول ❖

قبل بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حي من كنانة فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري احد النقباء فأخر رجوعهم فقال المنافقون قتلوا جميعا فأخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبعا عن مقاتل وقيل نزلت السورة لما بعث النبي ﷺ عليا (ع) إلى ذات السلاسل فأوقع بهم وذلك بعد أن بعث عليهم مرارا غيره من الصحابة فرجع كل منهم إلى رسول الله ﷺ وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) في حديث طويل قال وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنه اسر منهم وقتل وسبي وشد اسرام في الجبال مكتفين كأنهم في السلاسل ولما نزلت السورة خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فصل بهم الغداة وقرأ فيها والعاديات فلما فرغ من صلواته قال اصحابه هذه سورة لم نعرفها فقال رسول الله ﷺ نعم ان عليا غفر باعداء الله وبشرني بذلك جبرئيل (ع) في هذه الليلة فقدم علي (ع) بعد ايام بالفنائم والأسارى

❖ المعنى ❖

(والعاديات ضبعا) قبل هي الخيل في الغزو تعدو في سبيل الله عن ابن عباس وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد وقنادة والربيع قالوا أقسم الله بالخيل العادية لغزو الكفار وهي تضبح ضبحا وضبجها صوت

أجوافها اذا عدت ليس بصهيل ولا حمحة ولكنه صوت نفس وقيل هي الابل حين ذهبت الى غزوة بدر
تد اعناقها في السير فهي تضج اي تضج روي ذلك عن علي (ع) وابن مسعود والسدي وروي ايضا
انها ابل الحاج تمدو من عرفة الى مزدلفة ومن المزدلفة الى منى قالت صفية بنت عبد المطلب

ألا والعاديات غداة جمع بايديها إذا سطع الغبار

اختلفت الروايات فيه فروي عن ابي صالح انه قال قولت فيه عكرمة فقال عكرمة قال ابن عباس هي
الخيل في القتال قلت انا قال علي (ع) هي الابل في الحج وقلت مولاي اعلم من مولاك وفي رواية اخرى
أن ابن عباس قال هي الخيل ألا تراه يقول فأترون به نغما فهل تثيره إلا بجوافرها وهل تضج الابل إنما
تضج الخيل قال علي (ع) ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرس ابلق للمقداد بن الاسود وفي
رواية اخرى لمثد بن ابي مرثد الغنوي وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال بينا أنا في الحجرة
جالس اذ أتاني رجل فسأل عن العاديات ضجعا قلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي الى الليل
فيصنمون طعامهم ويورون نارهم فانقل عني وذهب الى علي بن ابي طالب (ع) وهو تحت سقاية زمزم
فسأله عن العاديات ضجعا فقال سألت عنها احدا قبلي قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال الخيل حين تغير
في سبيل الله قال فاذهب فادعه لي فلما وقف على رأسه قال نفثي الناس بما لا علم لك به والله إن كانت لاول
غزوة في الإسلام بدر وما كانت معنا إلا فرسان فرس الزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون
العاديات الخيل بل العاديات ضجعا الابل من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى قال ابن عباس فرغبت
عن قولي ورجعت الى الذي قاله علي (ع) (فالوريات قدحا) هي الخيل توري النار بحوافرها إذا صارت
في الحجارة والأرض المحصبة عن عكرمة والضحاك وقال مقاتل يقدح بحوافرهن النار في الحجارة قال
ابن عباس يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فأوردت منه النار مثل الزناد إذا قدح وقال مجاهد يريد مكر
الرجال في الحروب تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لا ورين لك برئند وار ولا قدح
لك وخالف المصدر فيها صدر الكلام ومجازه فالقداحات قدحا وقيل هي التيران يجمع عن محمد بن كعب
وقيل هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به عن عكرمة (فالغبرات صبعا) يريد الخيل تغير
بفرساتها على العدو وقت الصبح وإنما ذكر وقت الصبح لأنهم كانوا يسرون إلى العدو ليلا فباتوا بهم صبعا
هذا قول الاكثرين وقيل يريد الابل ترتفع بكباتها يوم النحر من جمع إلى منى والسنة ان لا ترتفع بكباتها حتى
تصبح والإغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كما تغير عن محمد بن كعب (فأترون به نغما) يقال نثار
الغبار والدخان وثرنه أي هيجته والهاء في به عائد الى معلوم يعني بالمكان أو بالوادي المعنى فهيجن بمكان
عدوهن غبارا (فوسطن به جمعا) أي صرن بدوهن* او بذلك المكان وسط جمع العدو وهم الكتيبة وقال
محمد بن كعب يريد جمع منى (ان الإنسان لربه لكتنود) هذا جواب القسم والكتنود الكفور الجحود
لنعم الله عن ابن عباس وقتادة والحسن ومجاهد وقيل هو بلسان كندة وحضرموت المعاصي ولسان مضر
وربيعة وقضاة الكفور عن الكاكي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم عن الحسن اخذه بعض
الشعراء فقال :

يا ايها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم

إلى متى انت وحتى متى
 وروى ابو امامة عن النبي ﷺ انه قال أتدرون من الكنود قالوا الله ورسوله أعلم قال الكنود الذي
 يأكل وحده ويمنع رفته ويضرب عبده وقيل الكنود الذي لا يعطي في النائة مع قومه عن عطاء وقيل هو
 القليل الخبير عن ابي عبيدة (وانه نل ذلك شهيد) معناه وان الله على كفره لشهيد عن ابن عباس وقتادة
 وعطاء وقيل ان الهاء تعود الى الانسان والمعنى ان الانسان شاهد على نفسه يوم القيامة بكنوده او في الدنيا
 فإنك لو سأته عن النعمة لم يذكرها كثيرا ويذكر جميع مصائبه وهو معنى قول الحسن (وانه) يعني الانسان
 (حب الخبير لشديد) اي لأجل حب الخبير الذي هو المال اي من اجله لبخيل شحيح يمنع منه حق الله
 تعالى عن الحسن يقال للبخيل شديد ومتشدد قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
 عقيلة مال الفاحش المتشدد
 وقيل معناه وانه لشديد الحب للخير أي المال عن الفراء وقال ابن زيد سمي الله سبحانه المال خيرا وعسى ان
 يكون خبيثا وحراما ولكن لأن الناس يعدونه خيرا فكذلك سمي الجهاد سوءا فقال لم يسسهم سوءا أي
 قتال وليس هو عند الله بسوء لأن الناس يسمونه سوءا وقال سبحانه على وجه التذكير والوعيد (افلا يعلم)
 هذا الانسان الذي وصفناه (اذا بعث ما في القبور) أي بعث الموتى وبشروا واخرجوا ومثله بجثر (وحصل
 ما في الصدور) أي ميزوا بين ما فيها من الخير والشر وقيل معناه واظهر ما اخفته الصدور ليجازي على
 السر كما يجازي على العلانية (ان ربهم بهم يومئذ خبير) قال الزجاج الله سبحانه خبير بهم في ذلك اليوم وفي
 غيره ولكن المعنى ان الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم وليس يجازيهم الا بعلمه بأحوالهم واعمالهم
 ومثله قوله أو آتاك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ومعناه أو آتاك الذين لا يترك الله مجازاتهم وفي هذا إشارة
 الى الجزر والوعيد فإن الانسان متى علم ان خالقه يرى جميع اعماله ويعلم سائر افعاله ويحقق ذلك لا بد ان
 يتزجر عن المعاصي

سورة القارعة مكية

❖ عدد آياتها ❖

احدى عشرة آية كوفي حجازي ثمان بصرى شامي

❖ اختلافها ❖

ثلاث آيات القارعة الاولى كوفي ثقات موازينه وخفت موازينه كاتباها حجازي كوفي

❖ فضائها ❖

في حديث ابي من قرأها ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة . عمرو بن ثابت عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ
 القارعة امنه الله من فتنة الدجال ان يؤمن به ومن قبح جهنم يوم القيامة

❖ تفسيرها ❖

اتصلت هذه السورة بما قبلها اتصال الظير بالظهير فإن كليهما في ذكر القيامة فقال سبحانه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْقَارِعَةُ (٢) مَا الْقَارِعَةُ (٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٤) يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٥) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٦) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ
(٧) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٨) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٩) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (١٠) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ
(٢١) نَارٌ حَامِيَةٌ

❖ القراءة ❖

روي عن أبي عمرو أنه أمال القارعة وقرأ حمزة ويعقوب ما هي في الوصل والباقون ما هي بإثبات الهاء
ولم يختلفوا في الوقف أنها بالهاء

❖ المحبة ❖

قال أبو علي إمالة القارعة وإن كان المستعلى فيه مفتوحاً جائزاً وذلك إن كسرة الراء غلبت عليها
فإمالتها وقد أمالت ما تباعد عنها نحو قادر وزعم سيويه إن ذلك لغة قوم ترضى عربيتهم وكذلك طارد
وغارم وطاهر وكل ذلك تجوز إمالته إذا كانت الراء مكسورة وقال سيويه وينشد أصحاب هذه اللغة
عسى الله يغني عن بلاد بن قادر
بهمر جون الرباب سكوب
وأما قوله ما هي فيوقف عندها لأنها فاصلة والفواصل مواضع وقوف كما إن أواخر الآيات كذلك
وهذا مما يقوي حذف الياء من يسر وما أشبهه لا ترى أنهم حذفوا الياء من نحو قوله
ولأنت تغري ما خلقت به
ض القوم يخلسق ثم لا يفر

❖ اللفظ ❖

القارعة البلية التي تفرع القلب بشدة المخافة والفرع الضرب بشدة الاعتماد قرع يقرع قرعاً ومنه المقرعة
وتقارع القوم في القتال إذا تضاربوا بالسيوف والقرعة كالضرب بالغال وقوارع الدهر دواهيته والفراس
الجراد الذي يفرش ويركب بعضه بعضاً وهو غوغاء الجراد عن الفراء والمبثوث المنفرد في الجهات كأنه
محمول على الذهب فيها والبث التفريق وابثته الحديث إذا القيت به كأنك فرقته بأن جعلته عند اثبت
والعنه الصوف ذو الألوان يقال عنهن وعهنه وعيشة راضية مرضية بمعنى المفعول وقيل معناه ذات رضى
كقولهم فلان نابل أي ذو نبل قال

وغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر
أي ذو لبن وتمر وقال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب
أي ذي نصب والهاوية من أسماء جهنم وهي المهواة التي لا يدرك قعرها

❖ الإعراب ❖

القارعة مبتدأ وما مبتدأ ثان وما بعده خبره وكان حقه القارعة ما هي لكنه سبحانه كرر تفخيلاً لأنها ومثله قوله
لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد والجملة خبر المبتدأ الأول ويجوز أن يكون قوله القارعة مبتدأ ويكون الناس خبره

بمعنى ان القارعة تحدث في هذا اليوم فيكون قوله ما القارعة وما ادراك ما القارعة اعتراضا ويموزان يكون التقدير هذا الامر يقع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث

❁ المعنى ❁

(القارعة) اسم من اسما يوم القيامة لأنها تفرع القلوب بالفزع وتفرع اعداء الله بالمذاب (ما القارعة) هذا تعظيم لشأنها وتهويل لأمرها ومعناه وأي شيء القارعة ثم عجب نبيه ﷺ فقال (وما ادراك ما القارعة) يقول انك يا محمد لا تعلم حقيقة أمرها وكنه وصفها على التفصيل وانما تعلمها على سبيل الاجمال ثم بين سبحانه انها متى تكون فقال (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) شبه الناس عند البعث بما يتهافت في النار وقال قتادة هذا هو الطائر الذي يتساقط في النار والسراج وقال ابو عبيدة هو طير ينفرش ليس بذباب ولا بعوض لأنهم اذا بعثوا ماج بعضهم الى بعض فالفراش اذا ثار لم يتجه الى جهة واحدة فدل ذلك على انهم يفرعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة وهذا مثل قوله كأنهم جراد متشر (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وهو الصوف المصبوغ المندوف والمعنى ان الجبال تزول عن أماكنها وتصير خفيفة السير ثم ذكر سبحانه احوال الناس فقال (فأما من ثقلت موازينه) اي رجحت حسناته وكثرت خيراته (فهو في عيشة راضية) أي معيشة ذات رضى يرضاها صاحبها (وأما من خفت موازينه) أي خفت حسناته وقلت طاعاته والقول في حقيقة الوزن والميزان والاختلاف في ذلك قد مضى ذكره فيما سبق من الكتاب وقد ذكر سبحانه الحسنات في الموضعين ولم يذكر وزن السيئات لأن الوزن عبارة عن القدر والخطر والسيئة لا خطر لها ولا قدر وانما الخطر والقدر الحسنات فكان المعنى فأما من عظم قدره عند الله لكثرة حسناته ومن خف قدره عند الله لقلته حسناته (فأمه هاوية) اي فأواها جهنم ومسكنه النار وانما ساءها امه لأنه يأوي اليها كما يأوي الولد الى امه ولأن الاصل السكون الى الامهات قال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل اذا وقع في امر شديد قيل هو ت امه وقيل انما قال فأمه هاوية لأن العاصي يهوي الى امه رأسه في النار عن ابي صالح وقيل انه يهوي فيها وهي المهواة لا يدرك قعرها ثم قال سبحانه (وما ادراك ما هي) هذا تعظيم وتفخيم لأمرها يريد انك لا تعلم تفصيلها وانواع ما فيها من العقاب وان كنت تعلمها على طريق الجملة والهاء في هيه الوقف ثم فسرها فقال (نار حامية) اي نار حارة شديدة الحرارة

سورة التكاثر

مدينة وقيل مكة ثمان آيات بالاجماع

❁ فضلها ❁

في حديث ابي ومن قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كأنما قرأ الف آية . شعيب المعرقوفي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة التكاثر في فريضة كتب له ثواب واجر مائة شهيد ومن قرأها في نافلة كان له ثواب خمسين شهيدا وصل معه في فريضته اربعون صفحا من

الملائكة . وعن دوست عن ابي عبد الله (ع) قال قال رسول الله ﷺ من قرأ الهكهم التكاثر عند النوم وفي فئنة القبر

✽ تفسيرها ✽

اخبر الله سبحانه في تلك السورة عن صفة القيامة وذكر في هذه السورة من الهاء عنها التكاثر فقال
بسم الله الرحمن الرحيم (١) أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ (٢) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٣) كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٦) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٧)
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٨) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وروى ذلك عن علي (ع) والباقون لترون بالفتح

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من قال لترون بضم التاء فان رأى فعل يتعدى الى مفعول واحد تقول رأيت الهلال كما
تقول لبت ثوبك فإذا نقلت الفعل بالهمزة زاد مفعول آخر تقول رأيت زيدا الهلال فإذا بنيت هذا الفعل
للمفعول قلت أرى زيد الهلال وكذلك لترون الجحيم

✽ اللفظة ✽

الالهاء الصرف الى الهو والهو الانصراف الى ما يدعو اليه الهوى يقال لها باهو لهوا وهى عن الشيء
يلهى ومنه قوامهم فإذا استأثر الله بشيء فآله عنه والتكاثر التفاخر بكثرة المناقب يقال تكاثر القوم اذا تعادوا
ما لهم من المناقب والزيارة انبان الموضع كإتيان المألوف على غير اقامة زاره يزوره زيارة ومنه زور تزويرا
اذا شبه الخط بما يوهم انه خط فلان وليس به والمزورة من ذلك اشتقت والفرق بين النعيم والنعمة ان النعمة
كالانعام في التضمين لمعنى منعم انعم وانعاما ونعمة وكلاهما موجب للشكر والنعيم ليس كذلك لأنه من نعم
نعيا فلو عمل ذلك بنفسه لكان نعيما لا يوجب شكرا واما النعمة بفتح النون فمن نعم بضم العين اذا لان

✽ الإعراب ✽

كلا حرف وليس باسم وتضمنه معنى ارتدع لا يدل على انه كسه بمعنى اسكت ومه بمعنى اكف الا
ترى ان اما تتضمن معنى مها يكن من شيء وهو حرف فكذا كلا ينبغي ان يكون حرفاً ككلا لو تعلمون
جواب لو محذوف وتقديره لما الهكهم التكاثر . وعلم اليقين مصدر وقيل هو قسم والتقدير وعلم اليقين لترون
الجحيم اي عذاب الجحيم محذوف لأن رويها ليس بوعيد وان الوعيد بروية عذابها وتقديره في الاعراب
علم الخبر اليقين محذوف المضاف ومثله حب الحصيد ولا يجوز الهمز في واو لترون ولترونها على قياس اثوب
في اثوب واعد في وعد لأن الضمة هنا عارضة لالتقاء الساكنين وليست بلازمة واما عين اليقين فانتصابه
انتصاب المصدر ايضا كما تقول رأيت حقاو نبيته يقينا والروية هنا بمعنى المشاهدة كما قال سبحانه وان منكم الا واردة

✽ النزول ✽

قيل نزلت السورة في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهامم ذلك

حتى ماتوا ضلالا عن فتادة وقبل نزات في فخذ من الانصار تفاخروا عن ابي بريدة وقبل نزلت في حين
من قريش بني عبد مناف بن قصي وبني سهم بن عمرو تكاثروا وعدوا اشرافهم فكثروهم بنو عبد مناف
ثم قالوا نمد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم وقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثروهم بنو سهم لانهم كانوا اكثر
عددا في الجاهلية عن مقاتل والكلبي

✽ المعنى ✽

(الحكم التكاثر) اي شغلكم عن طاعة الله وعن ذكر الآخرة التكاثر بالاموال والاولاد والتفاخر
بكثرتها (حتى زرتهم المقابر) اي حتى ادر كم الموت على تلك الحال عن الحسن وفتادة وقال الجبائي حتى
متم على ذلك ولم تنوبوا وقبل الحكم التباهي بكثرة المال والعدد عن تدبير امر الله حتى عدتم الاموات في
القبور وروى فتادة عن مطرف بن عبد الله الشخير عن ابيه قال انتهت الى رسول ﷺ وهو يقول الحكم
التكاثر السورة قال يقول ابن آدم مالي ومالي مالي وما لك من مالك الا ما اكلت فأفنت او لبست فأبليت او تصدقت
فأمضيت اورده مسلم في الصحيح ثم رد الله تعالى عليهم بهذا فقال (كلا) اي ليس الامر الذي ينبغي ان
تكونوا عليه التكاثر ثم اوعدهم فقال (سوف تعلمون) ثم اكد ذلك وكرره فقال (ثم كلا سوف تعلمون)
قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم اذ انزل بكم الموت
وقبل معناه سوف تعلمون في القبر ثم سوف تعلمون في الحشر رواه زر بن حبيش عن علي (ع) قال ما زلنا
نشك في عذاب القبر حتى نزلت الحكم التكاثر الى قوله كلا سوف تعلمون يريد في القبر ثم كلا سوف تعلمون
بعد البعث وقيل ان المعنى كلا سوف تعلمون اذا رأيتهم دار الابرار ثم كلا سوف تعلمون اذا رأيتم دار
الفجار والعرب توكد بكلا وحقا (كلا لو تعلمون علم اليقين) هذا كلام آخر يقول لو تعلمون الامر علما
يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر والتباهي بالمز والكثرة وعلم اليقين هو العلم الذي يشاغب به الصدر بعد
اضطراب الشك فيه ولهذا لا يوصف الله بأنه متيقن ثم استأنف سبحانه وعيدا آخر فقال (لترون الجحيم)
على نية القسم عن مقاتل يعني حين تبرز الجحيم في القيامة قبل دخولهم اليها (ثم لترونها) يعني بعد الدخول اليها
(عين اليقين) كما يقال حق اليقين ومحض اليقين ومعناه ثم لترونها بالمشاهدة اذا دخلتموها وعذبتم بها (ثم
لتستأنن يومئذ عن النعيم) قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيستأنن يوم القيامة
عن شكر ما كانوا فيه اذ لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره واشركوا به ثم يعذبون على ترك الشكر
وهذا قول الحسن قال لا يسأل عن النعيم الا اهل النار وقال الا كثرون ان المعنى ثم لتستأنن يسا معاشر
المكلفين عن النعيم قال فتادة ان الله سائل كل ذي نعمة عما انعم عليه وقبل عن النعيم في المأكل والمشرب
وغيرها من الملاذ عن سعيد بن جبير وقيل النعيم الصحة والفراغ عن عكرمة وبعضه ما رواه ابن عباس
عن النبي ﷺ قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقبل هو الامن والصحة عن عبد
الله بن مسعود ومجاهد وروى ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وقيل يسأل عن كل نعيم الا ما خصه
الحديث وهو قوله ثلاث لا يسأل عنها العبد خرقة يوارى بها عورته او كسرة يسد بها جوعته او بيت يكنه
من الحر والبرد وروى ان بعض الصحابة اخاف النبي ﷺ مع جماعة من اصحابه فوجدوا عنده قمارا
وماء باردا فاكلوا فلما خرجوا قال هذا من النعيم الذي تسألون عنه وروى العياشي باسناده في حديث

طوبل قال قال ابو حنيفة ابا عبد الله (ع) عن هذه الآية فقال له ما النعيم عندك يا نعمان قال القوت من الطعام والماء البارد فقال لئن اوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل اكلة اكلتها وشربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه قال فما النعيم جعلت فذاك قال نحن اهل البيت النعيم الذي انعم الله بنا على العباد وبنا اتلفوا بعد ان كانوا مختلفين وبنا الف الله بين قلوبهم وجعلهم اخوانا بعد ان كانوا اعداء وبنا هدام الله للاسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي انعم الله به عليهم وهو النبي ﷺ وعثرته

سورة العصر

مكية ثلاث آيات بالاجماع

✽ اختلافها ✽

ايتان والعصر غير المكي والمدني الاخير بالحق مكي والمدني الاخير

✽ فضلها ✽

في حديث ابي ومن قرأها ختم الله له بالصبر وكان مع اصحاب الحق يوم القيامة . الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ والعصر في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنة قريرة عينه حتى يدخل الجنة

✽ تفسيرها ✽

ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد من الهاء التكاثر وافتتح هذه السورة بمثل ذلك وهو ان الإنسان لقي خسر الامون من الصالح فقال سبحانه

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ (١) وَالْعَصْرِ (٢) اِنَّ الْاِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ (٣) اِلَّا الَّذِیْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

✽ اللفظة ✽

اصل العصر عصر الثوب ونحوه وهو فذله لاخراج مائه ومنه عصر الدهر فإنه الوقت الذي يمكن فيه فعل الامور كما يفعل الثوب والعصر المشي قال

يروح بنا عمرو وقد قصر العصر

والعصران الغداة والعشي والعصران الليل والنهار قال

ولن يلبث العصران يوم وليلة

✽ الاعراب ✽

اراد بالإنسان الجمع دون المفرد بدلالة انه استثنى منه الذين آمنوا وروى بعضهم عن ابي عمرو وتواصوا بالصبر على لغة من قال مررت بامر

* المعنى *

(والمصر) اقسام سبحانه بالدهر لأن فيه عبدة لذوي الابصار من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الادوار وهو قول ابن عباس والكأبي والجبائي وقيل هو وقت العشي عن الحسن وقتادة فلي هذا اقسام سبحانه بالطرف الاخير من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانية الله تعالى بل ديار النهار واقبال الليل وذهاب سلطان الشمس كما اقسام بالضحى وهو الطرف الاول من النهار لما فيه من حدوث سلطان الشمس واقبال النهار واهل الملتين يعظمون هذين الوقتين وقيل اقسام بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى عن مقاتل وقيل هو الليل والنهار ويقال لهما العصران عن ابن كيسان (ان الانسان لفي خسر) هذا جواب القسم والا انسان اسم الجنس والمعنى انه لفي نقصان لأنه ينقص عمره كل يوم وهو رأس ماله فاذا ذهب رأس ماله ولم يكتسب به الطاعة يكون على نقصان طول دهره وخسران إذ لا خسران اعظم من استحقاق العقاب الدائم وقيل لفي خسر اي في هلكة عن الاخفش (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات) استثنى من جملة الناس المؤمنين المصدقين بتوحيد الله العاملين بطاعة الله (وتواصوا بالحق) اي وصى بعضهم بعضا باتباع الحق واجتناب الباطل وقيل الحق القرآن عن الحسن وقتادة وقيل هو الايمان والتوحيد عن مقاتل وقيل هو ان يقولوا عند الموت لمخلفيهم لا تموتن الا وانتم مسلمون (وتواصوا بالصبر) اي وصى بعضهم بعضا بالصبر على تحمل المشاق في طاعة الله عن الحسن وقتادة وبالصبر عن معاصي الله اي فإن هو لا لبسوا في خسر بل هم في اعظم ربح وزهادة يربحون الثواب باكتساب الطاعات وانفاق العمر فيها فكان رأس المالم باق كما ان التاجر اذا خرج رأس المالم من يده وربح عليه لم يعد ذلك ذهابا وقيل لفي خسر معناه لفي عقوبة وغبن من فوت اهل ومنزله في الجنة وقيل المراد بالا انسان الكافر خاصة وهو ابو جهل والوليد بن المغيرة وفي هذه السورة اعظم دلالة على اعجاز القرآن ألا ترى انها مع قلة حروفها تدل على جميع ما يحتاج الناس اليه في الدين علما وعملا وفي وجوب التواصي بالحق والصبر اشارة الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء الى التوحيد والمدل واداء الواجبات والاجتناب عن المقبحات وقيل ان في قراءة ابن مسعود والمصر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى آخر الدهر وروي ذلك عن علي (ع)

سورة الهزرة

مكية وهي تسع آيات بالاجماع

* فضلها *

وفي حديث ابي من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد ﷺ واصحابه .
ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ ويل لكل همزة في فريضة من فرائضه نغت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء

* تفسيرها *

اجل سبحانه في تلك السورة ان الانسان لفي خسر وفصل في هذه السورة تلك الجملة فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزٍ لَمَزَةٍ (٢) الَّذِي جَمَعَ مَا لَوْ عَدَّدَهُ (٣) بِحَسَبِ
أَنْ مَالَهُ أُخْلِدَهُ (٤) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٥) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٦) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ (٧)
الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْافْتِدَاءِ (٨) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٩) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ

❖ القراءة ❖

قرأ أهل البصرة وابن كثير وزنغ وعاصم جمع بالتخفيف والباقون جمع بالتشديد. موّصدة وذ كراهه في
سورة البلد وقرأ أهل الكوفة غير حفص في عمد بضمين والباقون في عمد بفتح العين والميم

❖ اللمعة ❖

قال أبو الحسن المثقلة أكثر تقول فلان يجمع المال من هنا ومن هنا قال أبو عمرو وجمع خفيفة إذا أكثر
وإذا ثقل فإنما هو شيء بعد شيء قال أبو علي وقد يجوز أن يكون جمع لما يجمع فيما قرب من الوقت ولم يجمع
شيئا بعد شيء قال سبحانه ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وقال الأعشى

ولمثل الذي جمعت لريب الد هرا لا مسند ولا زمال

والاشبه أن تكون أداة الحرب لا تجمع في وقت واحد وإنما هو شيء بعد شيء فيجوز على هذا أن يكون
شيئا بعد شيء في قول من خفف كما تقول ذلك في قول من ثقل ومن قرأ عمد جملة جمعا لمعود مثل قدوم
وقدم وزبور وزير ومن قال عمد فإنه جمع عمود أيضا كما قالوا ابق وادم واهب في جمع ابق وادم واهب
وهذا اسم من أسماء الجمع غير مستمر وقد قالوا حارس وحرس وغائب وغيب وخادم وخدم ورائع وروح
وهو في أنه غير مطرد مثل عمد

❖ اللمة ❖

الهمزة الكثير الطعن على غيره بغير حق العائب له بما ليس بسبب واصل الهمز الكسر فكان العائب
بعبه اياه وطمئه فيه يكسره وبهمزه وقيل لأعرابي أنهمز الفأرة قال السنور تهمزها وكان الهمز في الكلام
نبرة كالطمئة بقوة اعتمادها والهمز العيب أيضا والهمزة واللمزة بمعنى وقد قيل بينها فرق فإن الهمزة الذي
بعبك بظهر الغيب واللمزة الذي بعبك في وجهك عن اللبث وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه
واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويؤذي بعبك بينه ويقال لمزه يلززه ويلززه بكسر الميم وضمها
ورجل لزاز ولمزة وهماز وهمزة قال زياد الأعجم

تدلي بودي إذا لاقتني كذبا وان تغيبت كنت الهامز اللمزة
والحطمة الكثير الحطم أي الأكل ورجل حطمة أكل وحطم الشيء إذا كسره واذهبه قال

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم

وفعلة بنا المبالغة في صفة من يكثر منه الفعل وبصير عادة له تقول رجل نكحة كثير النكاح وضحكة
كثير الضحك وكذا همزة ولمزة وفعلة سا كنة العين يكون للفعول به

❖ الاعراب ❖

الذي جمع في موضع جر على البدل من همزة ولا يجوز أن يكون صفة لأنه معرفة ويجوز أن يكون في

موضع نصب على اضرار اعنى وفي موضع رفع على اضرار هو وفي حرف عبد الله ويل للهزة الهمزة فعل هذا الوجه يكون صفة. لينبذن يعني الجامع للمال ورووي في الشواذ عن الحسن لينبذن يعني الجامع والمال. وتقديره هي نار الله

✽ المعنى ✽

(ويل لكل همزة لمزة) هذا وعيد من الله سبحانه لكل مقتاب غياض مشاء بالنميمة مفروق بين الاحبة عن ابن عباس وعنه ايضا قال الهمزة الطعان والهمزة المتغاب وقيل الهمزة المتغاب والهمزة الطعان عن سعيد بن جبير وقادة وقيل الهمزة الذي يطمن في الوجه بالمهيب والهمزة الذي يغتاب عند الغيبة عن الحسن وابي العالية وعطاء بن ابي رباح وقيل الهمزة الذي يهزم الناس بيده ويضربهم والهمزة الذي يلزمهم بلسانه وبعينه عن ابن زيد (الذي جمع مالا وعدده) اي احصاه عن الفراء. وقيل عدده للدهور فيكون من العدة عن الزجاج يقال اعددت الشيء وعدده اذا امسكته وقيل جمع مالا من غير حله ومنعه من حقه واعده ذخراً لنوائب دهره عن الجبائي وقيل ان الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطمن عليه في وجهه عن مقاتل وقيل نزلت في الاختمس بن شريق التقي وكان يلمز الناس ويغتابهم عن الكلبي ثم ذكر سبحانه طول امله فقال (يحسب ان ماله اخلده) اي يظن ان ماله الذي جمعه يخلده في الدنيا ويمنعه من الموت فأخلده في معنى يخلده لأن قوله يحسب يدل عليه وانما قال ذلك وان كان الموت معلوما عند جميع الناس لأنه يعمل عمل من يتمنى ذلك وقيل اخلده بمعنى اوجب اخلاده وهذا كما يقال هلك فلان اذا حدث به سبب الهلاك وان لم يقع هلاكه بعد ثم قال سبحانه (كلا) اي لا يخلده ماله ولا يبقى له وقيل معناه ليس الامر كما حسب وقيل معناه حقا (لينبذن في الحطمة) اي ليقذفن ويطرحن من وصفناه في الحطمة وهي اسم من أسماء جهنم قال مقاتل وهي تحطم العظام وتاكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ثم قال سبحانه (وما ادراك ما الحطمة) تفخيلا لأنها ثم فسرها بقوله (نار الله الموقدة) أي الموقدة اضافها سبحانه الى نفسه ليعلم انها ليست كسائر النيران ثم وصفها بالابقاد على الدوام (التي تطلع على الافئدة) اي تشرف على القلوب فيبلغها المأها وحرقتها وقيل معناه ان هذه النار تخرج من الباطن الى الظاهر بخلاف نيران الدنيا (انها عليهم مؤصدة) يعني انها على اهلها مطقة يطبق ابوابها عليهم تأكيدا للأياس عن الخروج (في عمد ممددة) وهي جمع عمود وقال ابو عبيدة كلاهما جمع عماد قال وهي لوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار وقال مقاتل اطبقت الابواب عليهم ثم شددت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع اليهم قتها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وقال الحسن يعني عمد السرداق في قوله واحاط بهم سرادقها فإذا مدت تلك العمدة اطبقت جهنم على اهلها نموذ بالله منها وقال الكلبي في عمد مثل السواربي ممددة مطولة تمد عليهم وقال ابن عباس هم في عمد اي في اغلال في أعناقهم يعذبون بها وروى العياشي بإسناده عن محمد بن النعمان الاحول عن حمران بن اعين عن أبي جعفر (ع) قال ان الكفار والمشركين يعيرون اهل التوحيد في النار ويقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئا وما نحن واتم الاسواء قال فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفعوا فيشغفون لمن شاء الله ثم يقول للنبيين اشفعوا فيشغفون لمن شاء الله ثم يقول للمؤمنين اشفعوا فيشغفون لمن شاء الله ويقول الله انا ارحم الراحمين اخرجوا برحمتي

كما يخرج الفراش قال ثم قال ابو جعفر (ع) ثم مدت العمدة واوصدت عليهم وكان والله الخلود

سورة الفيل

مكة خمس آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي من قرأها عافاه الله ايام حياته في الدنيا من المسخ والقذف . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ في الفريضة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل شهد له يوم القيامة كل سهل وجبل ومدبر بأنه كان من المصلين وينادي يوم القيامة مناد صدقتم على عبدي قبلت شهادتكم له أو دله ادخلوا عبدي الجنة ولا تحاسبوه فإنه ممن احبه واحب عمله ومن اكثر قراءة لا يلاف قريش بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة حتى يقعد على موائد النور يوم القيامة

﴿ نفيها ﴾

ذكر الله سبحانه في تلك السورة ما اعده من العذاب لمن عاب الناس واغتابهم وركن الى الدنيا وبين في هذه السورة ما فعله بأصحاب الفيل فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل (٢) ألم يجعل كبدهم في تضليل (٣) وأرسل عليهم طيراً أبابيل (٤) ترميهم بحجارة من سجيل (٥) فجعلهم كعصف ما كور (٦)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابي عبد الرحمن ألم تر بسكون الراء

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى ان هذا السكون بابيه الشعر دون القرآن لما فيه من استهلاك الحرف والحركة قبله يعني الالف والفتحة من ترى انشد ابو زيد « قالت سليمة اشتر لنا سويقاً يريد اشتر وانشد

قد حجج في ذا العام من كان رجاً

واحذر فلا تكتر كريا اعرجاً

فحذف كسرة اكثر في الموضعين

﴿ اللفظة ﴾

ابابيل جماعات في تفرقة زمرة زمرة ولا واحد لها في قول ابي عبيدة والفراء كعباديد وقال الكسائي واحدها بول مثل عجول وزعم ابو جعفر الرواسي أنه سمع في واحدها ابالة

﴿ الاعراب ﴾

كيف فعل ربك منصوب بفعل على المصدر أو على الحال من الرب والتقدير ألم تر أي فعل فعل ربك أو أمنتما فعل ربك بهم أم مجازياً ونحو ذلك والجملة التي هي كيف فعل ربك سدت مسد مفعولي ترى

* قصة اصحاب الفيل *

اجمت الرواة على ان ملك اليمن الذي قصد هدم الكعبة هو ابرهة بن الصباح الاشرم وقيل ان كنيته ابو يكسوم قال الواقدي هو صاحب النجاشي جد النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وقال محمد بن يسار اقبل تبع حتى نزل على المدينة فنزل بوادي قبا فحفرها بئراً يدعى اليوم بئر الملك قال وبالمدينة إذ ذاك يهود والايوس والخزرج فقاتلوه وجعلوا يقاتلونه بالنهار فإذا امسى ارسلوا اليه بالضيافة فاستجابا واراد صلحهم فخرج اليه رجل من الأوس يقال له احبيصة بن جلاح وخرج اليه من اليهود بنيامين القرظي فقال احبيصة ايها الملك نحن قومك وقال بنيامين هذه بلدة لا تقدر على ان تدخلها ولو جهدت قال ولم قال لأنها منزل نبي من الانبياء يبعثه الله من قريش قال ثم خرج يسير حتى اذا كان من مكة على ليلىين بعث الله عليه ريحا فقصفت يده ورجليه وشجبت جسده فأرسل الى من معه من اليهود فقال ويحكم ما هذا الذي اصابني قالوا حدثت نفسك بشي قال نعم وذ كرم ما اجمع عليه من هدم البيت واصابة ما فيه قالوا ذلك بيت الله الحرام ومن اراده هلك قال ويحكم وما المخرج مما دخلت فيه قالوا تحدث نفسك بأن تطوف به وتكسوه وتهدي له فحدث نفسه بذلك فأطلقه الله ثم سار حتى دخل مكة فطاف بالبيت وسمى بين الصفا والمروة وكسا البيت وذ كرم الحديث في نحره بمكة واطعمه الناس ثم رجوعه الى اليمن وقتله وخروج ابنه الى قيصر واستنائه به فيما فعل قومه بأبيه وان قيصر كتب له الى النجاشي ملك الحبشة وان النجاشي بعث له ستين الفا واستعمل عليهم روزبه حتى قاتلوا حير قتلة ابيه ودخلوا صنعاء فلكوها وملكوا اليمن وكان في اصحاب روزبه رجل يقال له ابرهة وهو ابو يكسوم فقال لروزبه اني اوتى بهذا الامر منك وقتله مكرماً وارضى النجاشي ثم انه بنى كعبة باليمن وجعل فيها قبابا من ذهب فأمر اهل مملكته بالحج اليها يضاهي بذلك البيت الحرام وان رجلا من بني كنانة خرج حتى قدم اليمن فنظر اليها ثم قعد فيها يعني لحاجة الانسان فدخلها ابرهة فوجد تلك العذرة فيها فقال من اجترأ علي بهذا ونصرا نيتي لا اهدمن ذلك البيت حتى لا يحججه حاج ابدا ودعا بالفيل واذن قومه بالخروج ومن اتبعه من اهل اليمن وكان اكثر من اتبعه منهم عك والاشعرون وخنعم قال ثم خرج يسير حتى اذا كان ببعض طريقه بعث رجلا من بني سليم يدعو الناس الى حج بيته الذي بناه فنتلقاه ايضا رجل من الحس من بني كنانة فقتله فازداد بذلك حث السير والانطلاق وطلب من اهل الطائف دليلا فبعثوا معه رجلا من هذيل يقال له فقيل فخرج بهم يهديهم حتى اذا كانوا بالمعس نزلوه وهو من مكة على ستة اميال فبعثوا مقدماتهم الى مكة فخرجت قريش عباد يد في روثوس الجبال وقالوا لا طاقة لنا بقتال هؤلاء ولم يبق بمكة غير عبد المطلب بن هاشم اقام على سقايه وغير شيبه بن عثمان بن عبد الدار اقام على حجابة البيت فجعل عبد المطلب يأخذ بمضادتي الباب ثم يقول

لا هم ان المرء يمنم رحله فامنع حلالك لا يغلبوا بصليهم ومحالمهم عدوا محالك

لا يدخلوا البلد الحرام إذا فأمر ما بدا لك

ثم ان مقدمات ابرهة اصابت نعا لقريش فأصابت فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلك خرج حتى اتى القوم وكان حاجب ابرهة رجلا من الاشعريين وكانت له بعبد المطلب معرفة فاستأذن له على الملك وقال له ايها الملك جاءك سيد قريش الذي يطعم انساها في الحيا ووحشها في الجبل فقال له ائذن له

وكان عبد المطلب رجلا جسيما جميلا فلما رآه ابو يكسوم اعظمه ان يجلسه تحته وكره ان يجلسه معه على سريره فنزل من سريره فجلس على الارض واجلس عبد المطلب معه ثم قال ما حاجتك قال حاجتي ما اتنا بعير لي اصابته مقدمتك فقال ابو يكسوم والله لقد رأيتك فأعجبني ثم تكلمت فزهدت فيك فقال ولم ايها الملك قال لأنني جئت الى بيت عزكم ومنعتكم من العرب وفضاكم في الناس وشرفكم عليهم ودينكم الذي تصدون فجئت لا كسره واصيبت لك ما اتنا بعير فسانتك عن حاجتك فكلمني في ابلك ولم تطلب الي في بيتكم فقال له عبد المطلب ايها الملك انسا اكلتك في مالي ولهذا البيت رب هو يمنعه لست انا منه في شيء فزاع ذلك ابا يكسوم وامر برد ابل عبد المطلب عليه ثم رجع وامست ليبتهم تلك الليلة كالحلة نجومها كأنها تكلمهم كلاما لا اقرباها منهم فأحست نفوسهم بالعذاب وخرج دليهم حتى دخل الحرم وتركهم وقام الاشعرون وخشم فكسروا رماحهم وسيوفهم ويروا الى الله أن يعينوا على هدم البيت فباتوا كذلك بأخبث ليلة ثم ادخلوا بسحر فبعثوا فيهم يريدون أن يصبخوا بمكة فوجهوه الى مكة فربض فضره فتمرغ فلم يزلوا كذلك حتى كادوا أن يصبخوا ثم انهم اقبلوا على الفيل فقالوا لك الله ان لا نوجهك الى مكة فانبعث فوجهوه الى اليمن راجعا فتوجه يهرول فعطفوه حين رأوه منطلقا حتى اذا رده الى مكانه الأول ربض فلما رأوا ذلك عادوا الى القوم فلم يزلوا كذلك يعالجونه حتى اذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم وكل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران واذا رمت بذلك مضت وطلعت اخرى فلا يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقة ولا عظم الا اوهاه وثبه وثاب ابو يكسوم راجعا قد اصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم ارضا انقطع له فيها ارب حتى اذا انتهى الى اليمن لم يبق شيء الا اباده فلما قدمها تصدع صدره وانشق بطنه فهلك ولم يصب من الاشعرين وخشم احد قال وكان عبد المطلب يرتجز ويدعو على الحبشة يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا انهم لم يقهروا قواكا

قال ولم نصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل القوم اصابته وخرجوا هارين يتندرون الطريق التي منها جاوا ويسألون عن نفيل ليدلم على الطريق وقال نفيل في ذلك

ردينة لو رأيت ولن ترينه لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا

وقال مقاتل بن سليمان السبب الذي جر اصحاب الفيل الى مكة هو ان فئة من قريش خرجوا تجارا الى ارض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي حقف من احقافها بيعة للنصارى تسمى قريش الهيكل وبسمىها النجاشي واهل ارضه ماسرخشان فنزل القوم فجمعوا حطباً ثم اججروا نارا واشتروا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل نارا فغضب النجاشي لذلك فبعث ابرهة اهدم الكعبة وروى العياشي باسناده عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال ارسل الله على اصحاب الفيل طيرا مثل الخطاف - ونحوه في منقاره حجر مثل العدة فكان يجاذي برأس الرجل

فريمه بالحجارة فيخرج من دبره فلم تزل بهم حتى اتت عليهم قال فأقلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصة فيبناهم يخبرهم إذا بصر طيرا فقال هذا هو منها قال فحاذى فطرحه على رأسه فخرج من دبره وقال عبيد ابن عمير الليثي لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل فبعث عليهم طير انشأت من البحر كأنها الخطاطيف كل طير منها معه ثلاثة أحجار ثم جاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها فإم من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره وان وقع على شيء من جسده خرج من الجانب الآخر وعن عكرمة عن ابن عباس قال دعا الله الطير الأبايل فأعطاهما حجارة سودا عليها الطين فلما حاذت بهم رمتهن فإم بقي احد منهم الا اخذته الحكمة وكان لا يحك الانسان منهم جدا الا تساقط لحمه قال وكانت الطير نشأت من قبل البحر لها خراطيم الطيور ورؤوس السباع لم تر قبل ذلك ولا بعده

المعنى

خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ تشبيها على عظم الآية التي اظهرها والمعجزة التي فعلها فقال (ألم تر) أي ألم تعلم يا محمد لأنه ﷺ لم ير ذلك وقبل معناه ألم تخبر عن الفراء (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الذي قصدوا تخريب الكعبة وكان معهم فيل واحد اسمه محمود عن مقاتل وقبل ثمانية افيال عن الضحاك وقيل اثنا عشر فيلا عن الواقدي وإنما وحده لأنه أراد الجنس وكان ذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ وعليه أكثر العلماء وقبل كان امر الفيل قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة عن الكلبي وقيل كان قبل مولده بأربعين سنة عن مقاتل والصحيح الأول ويبدل عليه ما ذكر ان عبد الملك بن مروان قال لعتاب بن اشيهم الكناني الليثي يا عتاب انتا كبير ام رسول الله ﷺ قال عتاب رسول الله ﷺ اكبر مني وانا أسن منه ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ووقعت على روث الفيل وقالت عائشة رأيت قائد الفيل وسائقه بمكة اعبيين مقمدين يستطعمان (ألم يجعل كيدهم في تضليل) معناه ألم يجعل ارادتهم سوء واحتياهم في تخريب البيت الحرام وقتل اهل وديارهم واستباحتهم في تضليل عما قصدوا اليه ضل سعيهم حتى لم يصلوا الى ما ارادوه بكيدهم وقبل في تضليل اي في ذهاب وبطلان (وارسل عليهم طيرا ابابيل) اي اقاطيع يتبع بعضها بعضا كالابيل المؤبلة قال الأعمش

عليه ابابيل من الطير تعب

طريق وجبار رواء اصوله

وقال امرؤ القيس

ابابيل طير تحت داجن مدجن

تراهم الى الداعي سراعا كأنهم

وكانت لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كأف الكلاب عن ابن عباس وقيل لها انياب كأنياب السباع عن الربيع وقيل طير خضر لها مناقير صفر عن سعيد بن جبير وقيل طير سود بحرية تحمل في مناقيرها واكلها الحجارة عن عبيد الله بن عمير وقدادقويمكن أن يكون بعضها خضرا وبعضها سودا (ترميهم بحجارة من سجيل) أي تقذفهم بحجارة صلبة شديدة ليست من جنس الحجارة وقد فسرنا السجيل في سورة هود وما جاء من الاقوال فيه فلا معنى لإعادته وقال موسى بن عائشة كانت الحجارة اكبر من العدسة وأصغر من الحصاة وقال عبد الله ابن مسعود صاحت الطير فرمتهم بالحجارة فبعث الله ريحا فضرت الحجارة فزادتها شدة فإم وقع منها حجر

على رجل الا خرج من الجانب الآخر فان وقع على رأسه خرج من دبره (فجمعهم كمصف ما كول) اي
 كزرع وتبين قد اكنه الدواب ثم رائته فدبت وتفرقت اجزائه شبه الله تقطع اوصالهم بتفريق اجزاء
 الروث قال الحسن كنا ونحن غلمان بالمدينة نأكل الشعير اذا قصب وكان يسمى العصف وقال ابو عبيدة
 العصف ورق الزرع قال الزجاج اي جمعهم كورق الزرع السذي جز واكل اي وقع فيه الاكال
 وكان هذا من اعظم المعجزات القاهرة والآيات الباهرات في ذلك الزمان اظهره الله تعالى ليدل
 على وجوب معرفته وفيه ارهاص انبوة نبينا ﷺ لأنه ولد في ذلك العام وقال قوم من المعتزلة انه كان معجزة
 لبي من الانبياء في ذلك الزمان وربما قالوا هو خالد بن سنان ونحن لا نحتاج إلى ذلك لأننا نجوز إظهار المعجزات على
 غير الانبياء من الائمة والاولياء وفيه حجة لآخرة قاصدة لظهور الفلاسفة والملحدون المنكرين للآيات الحارقة للمعادن
 فإنه لا يمكن نسبة شيء مما ذكره الله تعالى من امر اصحاب الفيل الى طبع وغيره كما نسبوا الصيحة والريح العقيم
 والحسف وغيرهما مما اهلك الله تعالى به الامم الحالية الى ذلك إذ لا يمكنهم ان يروا في اسرار الطبيعة ارسال
 جماعات من الطير معها احجار معدة مهياة لهلاك أقوام معينين قاصدات اياهم دون سواهم فترميهم بها حتى
 تهلكهم وتدمر عليهم حتى لا يتعدى ذلك الى غيرهم ولا يشك من له مسكة من عقل ولأن هذا لا يكون
 إلا من فعل الله تعالى مسبب الاسباب ومذل الصعاب وليس لأحد ان ينكر هذا لأن نبينا ﷺ لما قرأ
 هذه السورة على اهل مكة لم ينكروا ذلك بل اقرؤا به وصدقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه واعتنائهم
 بالرد عليه وكانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل فسلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة واصل لأنكروه وجحدوه
 وكيف وانهم قد ارخوا بذلك كما ارخوا ببناء الكعبة وموت قصي بن كعب وغير ذلك وقد اكثر الشعراء
 ذكر الفيل ونظموه ونقلته الرواة عنهم فمن ذلك ما قاله امية بن ابي الصلت

ان آيات ربنا بينات

حبس الفيل بالمعس حتى

وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم

انت الجليل ربنا لم تدنس

من بعد ما هم بشي ملبس

أي المنكسر قال ابن الرقيات في قصيدة

واستهلت عليهم الطير بال

جنبدل حتى كأنه مرجوم

سورة لايلاف

مكية خمس آيات حجازي اربع آيات عند غيرهم

✽ اختلافها ✽

آية من جوع حجازي

✽ فضائها ✽

في حديث ابي من قرأها اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها وروى العياشي

بوسناده عن المفضل بن صالح عن ابي عبد الله (ع) قال سمعته يقول لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا الضحى
والم نشرح وألم تركيب ولاويلاف قريش . وعن ابي العباس عن احدهما (ع) قال ألم تر كيف فعل ربك ولاويلاف
قريش سورة واحدة وروي ان ابي بن كعب لم يفضل بينهما في . صحفه . وقال عمرو بن ميمون الازدي صليت
المغرب خلف عمرو بن الخطاب وقرأ في الاولى والثين وفي الثانية ألم تر كيف ولاويلاف قريش

✽ تفسيرها ✽

ولما ذكر سبحانه عظيم نعمته على اهل مكة بما صنعه بأصحاب القبيل قال عقب ذلك
بسم الله الرحمن الرحيم (١) لاويلاف قريش ايلاف فيهم (٢) رحلة الشتاء والصيف (٣)
فليعبدوا رب هذا البيت (٤) الذي اطعمهم من جوع (٥) وآمنهم من خوف

✽ القراءة ✽

قرأ ابو جعفر ليلاف قريش بغير همز إلا فهم . مختلصة الهززة ليس بعدها يا . وقرأ ابن عامر ائلاف قريش
مختلصة الهززة ليس بعدها يا . ايلافهم مشبعة الهززة في الحرفين بعدها يا . وقرأ ابن فليح لاويلاف قريش التهم
ساكنة اللام ليس بعدها يا . وقرأ الآخرون لاويلاف قريش ايلافهم مشبعة الهززة في الحرفين بعدها يا .

✽ الحجة ✽

قال ابو علي قال ابو عبيدة الفته والفته لثان انشد ابو زيد
من الموفات الرمل ادماه حرة شعاع الضحى في جيدها بنوشع
وانشد غيره

ألف الصفون فلا يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيراً

وقال آخر

زعمتم ان اخوتكم قريش اهل اوف وليس لكم الاف

والانف والآف مصدرائف والايلاف . صدر آف

✽ اللفظة ✽

الايلاف ايجاب الألف بحسن التدبير والتلطف يقال آف يأف افا وآفه يؤلفه ايلافا اذا جعله ياتف فلايلاف
تقيض الايجاش ونظيره الايناس وأف الشيء لزومه على عادة في سكنون النفس اليه . والرحلة حال السير على
الراحلة وهي الناقة القوية على السير ومنه الحديث المروي الناس كل رجل مائة لا تجد فيها راحلة والرحل متاع السفر
والارتحال احتمال الرحل للسير في السفر

✽ الاعراب ✽

قال ابو الحسن الأخفش اللام في قوله لاويلاف قريش يتعلق بقوله كعصف . ما كقول اي فعلنا ذلك بهم لتأنف
قريش رحلتها وقال الزجاج . معناه اهلك الله اصحاب القبيل لتبقي قريش وما قد أنفوا من رحلة الشتاء والصيف
قال ابو علي امترض معترض فقال إنما جعلوا كعصف . ما كقول لكفرهم ولم يجعلوا كذلك تأف قريش قال وليس
هذا الاعتراض بشي لأنه يجوز ان يكون المعنى اهلكوا لكفرهم ولما أدى اهلاكهم الى ان تأف قريش
جاز كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه لذلك فلما آل الأمر اليه حسن ان يجعله صلة الالتقاط
وقال الخليل وسيبويه فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش اي يجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة واعترافاً بها

وقيل هو على ألم تر كيف فعل ربك لا يزال قريش عن الفراء قال لأنه سبحانه ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة

المعنى

(لا يزال قريش) أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش مضافة إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء. والصيف فكانه قال نعمة إلى نعمة فتكون اللام مؤدية معنى إلى وهو قول الفراء وقيل معناه فعلنا ذلك لتألف قريش بمكة ويمكنهم المقام بها أو لتؤلف قريشا فلأنهم هابوا من البرهة لما قصدوها وهربوا منه فلهذا كتبناهم لترجع قريش إلى مكة ويألفوا بها ويولد محمد ﷺ فيبعث إلى الناس بشيرا ونذيرا وقوله (لا يزال قريش) قرينة عن الأول وبدل منهم (ورحلة الشتاء والصيف) منصوبة بوقوع إيلافهم عليها وتحقيقه أن قريشا كانت بالحرم آمنة من الأعداء أن تهجم عليهم فيه وإن يعرض لهم أحد بالسوء إذا خرجت منها لتجارها والحرم واد جديب أنها كانت تعيش قريش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة رحلة في الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ورحلة في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ولولا هاتار الرحلتان لم يمكنهم به مقام ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد أصحاب الفيل مكة أهلكتهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم ومقامهم بمكة وقيل إن كلتا الرحلتين كانت إلى الشام ولكن رحلة الشتاء في البحر وإيلة طلب للدفا ورحلة الصيف إلى بصرى وأذرعاء طلبا للهواء ولما قريش فهم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلد النضر فليس بقرشي واختلف في تسميتهم بهذا الاسم فقيل سموا قريشا للتجارة وطلب المال وجمعه وكانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع ولا زرع والقرش المكسب يقال هو يقرش لبياله أي يكتسب لهم وذكر أنه قيل لابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القريش لا تمر بشيء من الفث والسمين إلا أكلته فيل افتنشد في ذلك شيئا فأنشد قول الجهمي

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تأكل الفث والسمين ولا تترك فيه لدى الخناجر ريشا

وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاية بيته قال الكلبي وكان أول من حمل المير من الشام ورحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف ويصدق قول الشاعر

تحمل هاشم ما ضاق عنه
أناهم بالفرائر متأفات
فوسع أهل مكة من هشيم

وقال سعيد بن جبير مر رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ببلادهم ينشدون
هلا صررت بآل عبد الدار
لوان مررت بهم تريد قراهم
فقال لاني بكر اهكذا قال الشاعر فقال لا والذي بمثك بالحق بل قال

يا ذا الذي طلب السباحة والندى
لوان مررت بهم تريد قراهم
هلا مررت بآل عبد مناف
والقائنين هلم للأضياف

والخالطين غنيهم بفقيرهم
والقائلين بكل وعد صادق
سفرين سنهما له ولقومه
حتى يصير فقيرهم كالكافي
ورجال مكة مستنون عجاف
سفر الشتاء ورحلة الاصيف

(فليصدوا رب هذا البيت) هذا امر من الله سبحانه اي فليوجهوا مبادتهم الى رب هذه الكعبة ويوحده وهو الله سبحانه (الذي اطعمهم من جوع) با سبب اهم من الارزاق في رحلة الشتاء والصيف واعطاهم مسن الاموال (وآمنهم من خوف) افلا يتعرض لهم احد في سفرهم إذا قالوا نحن اهل حرم الله وقيل آمنهم من خوف الغارة بالحرم الذي جبلت قلوب الناس على تعظيمه لأنهم كانوا يقران في الجاهلية نحن قطان حرم الله فلا يتعرض لهم وان كان الرجل ليصاب في الحمي من احياء العرب فيقال هو حرمي فيبخل عنه وعن ماله تعظيما للحرم وكان فيهم إذا خرج اغير عليه وقيل اطعمهم من جوع أي من بعد جوع كما يقال كسوتك من بعد عري يعني ما كانوا فيه من الجوع قال ابن عباس كانوا في ضرر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فلم يكن بنو أب أكثر مالا ولا اعز من قريش

سورة أُرأيت

وتسمى سورة الماعون مكية وقال الضحاك مدينة وقيل بمضا مكي وبمضا مدني

﴿ عدد آياتها ﴾

سبع عراقية وست في الباقيين

﴿ اختلافها ﴾

آية يراؤون عراقية

﴿ فضلها ﴾

في حديث أبي من قرأها غفر الله له ان كان لا زكاة مؤديا . عمرو بن ثابت عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ أُرأيت الذي يكذب بالدين في فرائضه ونوافله قبل الله صلانه وصيامه ولم يجاسبه بما كان منه في الحياة الدنيا

﴿ تفسيرها ﴾

ذكر سبحانه نعمه على قريش ثم عجب سبحانه في هذه السورة من تكذيبهم مع عظيم النعمة عليهم فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) أُرأيت الذي يكذب بالدين (٢) فذلك الذي يدع اليتيم (٣) ولا يحض على طعام المسكين (٤) فويل للمصلين (٥) الذين هم عن صلاتهم ساهون (٦) الذين هم يراؤون (٧) ويمنعون الماعون

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابي رجا. المطاردي يدع اليتيم بفتح الدال خفيفة

﴿ الحجة ﴾

ومعناه يتركه ويعرض عنه فهو صائر إلى معنى القراءة المشهورة بدع اليتيم أي يدفعه ويحفر عليه

* اللفظة *

الدع الدفع بشدة ومنه الدعدة تحريك المكبال ليستوعب الشيء كأنك تدفعه والدعدة أيضا زجر المعز والحض والحث والتحريض بمعنى واحد والماعون كل ما فيه منفعة قال الاعشى بأجود منه بماعونه إذا ما ساءوا لم تقم

وقال الراعي

قوم على الإسلام لما يمنموا مساعونهم ويضيعوا التهلبلا

وقال اعرابي في ناقة له « كذا انها تمطيك الماعون » أي تنقاد لك وتطيعك واصلة القلة من المعن وهو التليل قال الشاعر « فإن هلاك مائك غير معن » أي غير قليل ويقال ماله معن ولا معن فالماعون القليل القيمة مما فيه منفعة ويقال معن الوادي إذا جرت مياهه قليلا قليلا

* الإعراب *

فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اعتمد هنا في الخبر على ما جرى في صلة الموصول الذي هو وصف المجرور باللام المتعلق بالخبر ألا ترى ان قوله فويل للمصلين غير محمول على الظاهر والاعتماد على السهو في صلة الذين وقوله الذين هم يراوون يجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمصلين ويجوز ان يكون منصوبا على اضمار اعني وان يكون مرفوعا على اضمار هم

* المعنى *

خاطب الله تعالى نبيه ﷺ فقال (أرايت) يا محمد (الذي يكذب بالدين) أي هذا الكافر الذي يكذب بالجزاء والحساب وينكر البعث مع وضوح الامر في ذلك وقيام الحجج على صحته وانما ذكره سبحانه بلفظ الإستهفام ارادة للبالغ في الافهام والتكذيب بالجزاء من اضري شي على صاحبه لأنه يعدم بذلك اكثر الدواعي الى الخير والصوارف عن الشر فهو يتهاك في الإسراع الى الشر الذي يدعو اليه طبعه إذ لا يخاف عواقب الضرر فيه قال الكبي نزلت في العاصم بن اثل السهمي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة عن السدي ومقاتل بن حيان وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان ينحر في كل اسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئا فصرعه بعصاه عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل من المناقبين عن عطاء عن ابن عباس (فذلك الذي يدع اليتيم) بين سبحانه ان من صفة هذا الذي يكذب بالدين انه يدفع اليتيم عنقابه لأنه لا يؤمن بالجزاء عليه فليس له رادع عنه وقيل يدع اليتيم أي يدفعه عن حقه بجفوة وعنقه وقهره عن ابن عباس ومجاهد (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه يعني لا يفعله إذا قدر ولا يحض عليه إذا عجز لأنه يكذب بالجزاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وهم الذين يؤخرون الصلاة عن اوقاتها عن ابن عباس ومسروق وروى ذلك مرفوعا وقيل يريد المناقبين الذين لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها فإذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء وإذا لم يكونوا معهم لم يصلوا وهو قوله الذين هم يراوون عن علي (ع) وابن عباس وقال انس الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم يريد بذلك ان السهو الذي يقع للانسان في صلاته من غير عمد لا يعاقب عليه وقيل ساهون عنها لا يبألون صلوا أم لم يصلوا عن قتادة وقيل هم الذين يتركون

الصلاة عن الضحاك وقيل الذين ان صلوا صلوا رياء وان فاتهم لم يندموا عن الحسن وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقبتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها عن ابي العالية وعنه ايضا قال هو الذي اذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتا وروى المباشي بالاسناد عن يونس بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال سألته عن قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون اهي وسوسة الشيطان قال لا كل احد بصيبه هذا ولكن ان يغفلها ويدع ان يصلي في اول وقتها وعن ابي اسامة زيد الشحام قال سألت ابا عبد الله (ع) عن قول الله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الترك لها والتواني عنها وعن محمد بن الفضيل عن ابي الحسن (ع) قال هو النضييع لها وقيل هم الذين (يرادون) الناس في جميع اعمالهم لم يقصدوا بها الا خلاص الله تعالى (ويعنون الماعون) اختلف فيه قيل هي الزكاة المفروضة عن علي وابن عمر والحسن وقنادة والضحاك وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل هو ما يماوره الناس بينهم من الدلو والفأس والقدر وما لا يمنع كلاما والملمع عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وروى ذلك مرفوعا وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال هو القرض تفرضه والمعروف تصنعه ومناخ الليت تعبده ومنه الزكاة قال فقلت ان لنا جيرانا اذا اعزناهم متاعا كسروه وافسدوه اضلينا جناح ان تمنهم فقال لا ليس عليك جناح ان تمنهم اذا كانوا كذلك وقيل هو المعروف كله عن الكلبي

سورة الكوثر

مكية عن ابن عباس والكلبي مدنية عن عكرمة والضحاك وهي ثلاث آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي من قرأها سقاها الله من انهار الجنة واعطي من الاجر بعدد كل قربان قربه العباد في يوم عيد ويقربون من اهل الكتاب والمشركين . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ انا اعطيناك الكوثر في فرائضه ونوافله سقاها الله يوم القيامة من الكوثر وكان محدثه عند محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ تفسيرها ﴾

ذم سبحانه في تلك السورة تاركي الصلاة وماني الزكاة وذكر في هذه السورة ان فعلوا ذلك وكذبوه فإنه يعطيه الخير الكثير وامره بالصلاة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) انا اعطيناك الكوثر (٢) فصل لربك وانحر (٣) ان شاتيك هو الأبر

﴿ اللفظ ﴾

الكوثر فوعل من الكثرة وهو الشيء الذي من شأنه الكثرة والكوثر الخير الكثير والاعطاء على وجهين اعطاء تمليك واعطاء غير تمليك فأعطاء الكوثر اعطاء تمليك كما عطاء الاجر واصله من عطا يعطوا اذا تناول والشاتي المنفض والابتر اصله من الحمار الابتر وهو المقطوع الذنب وفي حديث زياد انه خطب خطبته البترا .

لأنه لم يحمد الله فيها ولم يصل على النبي ﷺ

✽ الاعراب ✽

وانحر مفعوله محذوف اي وانحر اضحيتك كما حذف لبيد من قوله « وهم العثيرة ان يطلى حاسد » أي ان يبطأهم حاسد أي أن ينسبهم الى البطو، وقوله ان شانك هو الابر لا انت هذا تقديره اي هو مبتور لا انت لأن ذكرك مرفوع معها ذكرت ممي وهو فصل والابر خبر ان

✽ النزول ✽

قيل نزلت السورة في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تتحدث معه قال ذلك الابر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ وهو من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن ابر فسمته قريش عند موت ابنه ابر ومبتورا عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

خاطب سبحانه نبيه ﷺ على وجه التعداد لنعمة عليه فقال (انا اعطيناك الكوثر) اختلفوا في تفسير الكوثر فقبل هو نهر في الجنة عن عائشة وابن عمر قال ابن عباس لما نزلت انا اعطيناك الكوثر سعد رسول الله ﷺ المنبر فقرأها على الناس فلما نزل قالوا يا رسول الله ما هذا الذي اعطاك الله قال نهر في الجنة اشد بياضا من اللبن واشد استقامة من القدرح حافظاه قباب الدر والياقوت ترده طير خضر لها اعناق كأعناق البخت قالوا يا رسول الله ما انعم تلك الطير قال أفلا اخبركم بأنعم منها قالوا بلى قال من اكل الطائر وشرب الماء وفاز برضوان الله وروى عن ابي عبد الله (ع) انه قال نهر في الجنة اعطاه الله نبيه ﷺ عوضا من ابنه وقيل هو حوض النبي ﷺ الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة عن عطاء وقال انس بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين اظهرونا اذ اغفى اغفاء ثم رفع رأسه مبتسقا فقلت ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آنا سورة فقرأ سورة الكوثر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فإنه نهر وعدنيه عليه ربي خيرا كثيرا هو حوضي ترد عليه امتي يوم القيامة آيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم فأقول يا رب انهم من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك اورده مسلم في الصحيح وقيل الكوثر الخبير الكثير عن ابن عباس وابسن جبير ومجاهد وقيل هو التوبة والكتاب عن عكرمة وقيل هو القرآن عن الحسن وقيل هو كثرة الاصحاب والاشياخ عن ابي بكر بن عياش وقيل هو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة (ع) حتى لا يحصى عددهم واتصل الى يوم القيامة مددهم وقيل هو الشفاعة روه عن الصادق (ع) واللفظ يحمى لكل فيجب ان يعمل على جميع ما ذكر من الاقوال فقد اعطاه الله سبحانه وتعالى الخبير الكثير في الدنيا ووعده الخبير الكثير في الآخرة وجميع هذه الاقوال تفصيل للجملة التي هي الخبير الكثير في الدارين (فصل لربك وانحر) امره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة بأن قال فصل صلاة العبد لأنها عقبها بالنحر أي وانحر هديك واضحيتك عن عطاء وعكرمة وقتادة قال انس بن مالك كان النبي ﷺ ينحر قبل ان يصلي فأمر ان يصلي ثم ينحر وقبل معناه فصل لربك صلاة النداء المفروضة بجمع وانحر البدن يعني عن سعيد بن جبير ومجاهد وقال محمد بن كعب ان اناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فأمر الله تعالى نبيه ﷺ ان

يكون صلواته ونحره للبدن تقربا اليه وخالصا له وقيل معناه صل لربك الصلاة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك
وتقول العرب منازلنا تتناحر أي هذا ينحر هذا يعني يستقبله وانشد

اباحكم هل انت عم مجالد وسيد اهل الأبطح المتناحر

أي ينحر بعضه بعضا وهذا قول الفراء واما ما رووه عن علي (ع) ان معناه ضم يدك اليمنى على اليسرى
حذاء النحر في الصلاة فما لا يصح عنه لأن جميع عترته الطاهرة (ع) قد رووه عنه بخلاف ذلك وهو ان
مناه ارفع يديك الى النحر في الصلاة وعن عمر بن يزيد قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول في قوله فصل لربك
وانحر هو رفع يديك حذاء وجهك وروى عنه عبد الله بن سنان مثله وعن جميل قال قلت لأبي عبد الله
(ع) فصل لربك وانحر فقال بيده هكذا يعني استقبل يديه حذو وجهه القبلة في افتتاح الصلاة وعن حماد
ابن عثمان قال سألت ابا عبد الله (ع) ما النحر فرفع يده الى صدره فقال هكذا ثم زفها فوق
ذلك فقال هكذا يعني استقبل يديه القبلة في افتتاح الصلاة وروى عن مقاتل بن حيان عن
الاصمعي بن بناتة عن امير المؤمنين (ع) قال لما نزلت هذه السورة قال النبي ﷺ لجبريل (ع)
ما هذه النخيرة التي امرني بها ربي قال ليست بنخيرة ولكنه يأمرك اذا تحرمت الصلاة ان ترفع يديك اذا
كبرت واذار كعت واذا رفعت رأسك من الركوع واذا سجدت فإنه صلواتنا وصلات الملائكة في السماوات
السبع فإن لكل شي زينة وان زينة الصلاة رفع الايدي عند كل تكبيرة قال النبي ﷺ رفع الايدي
من الاستكانة قلت وما الاستكانة قال ألا تقرأ هذه الآية فما استكانوا لربهم وما يضرعون اورده الثعلبي
والواحدي في تفسيرهما (ان شئتك هو الابر) معناه ان مبغضك هو المنتفع عن الخبير وهو العاص بن
وائل وقيل معناه انه الاقل الاذل بانقطاعه عن كل خير من فتادة وقيل معناه انه لا ولد له على الحقيقة
وان من ينسب اليه ليس يولد له قال مجاهد الابر الذي لا عقب له وهو جواب لقول قرش ان محمدا
ﷺ لا عقب له يموت قستريح منه ويدرس دينه إذ لا يقوم مقامه من يدعو اليه فينقطع امره وفي
هذه السورة دلالات على صدق نبينا ﷺ وصحة نبوته ﷺ احدها * انه اخبر عما في نفوس أعدائه وما
جرى على ألسنتهم ولم يكن بلغه ذلك فكان على ما اخبر * وثانيها * انه قال اعطيناك الكوثر فانظر كيف
انتشر دينه وعلا امره وكثرت ذريته حتى صار نسبه اكثر من كل نسب ولم يكن شي من ذلك في تلك
الحال * وثالثها * ان جميع فصحاء العرب والمعجم قد عجزوا عن الايتان بمثل هذه السورة على وجازة
الفاظها مع تحديه اياهم بذلك وحرصهم على بطلان امره منذ بعث النبي ﷺ الى يوم الناس هذا وهذا
غاية الإعجاز * ورابعها * انه سبحانه وعده بالنصر على أعدائه واخبره بسقوط امرهم وانقطاع دينهم أو
عقبهم فكان المخبر على ما اخبر به هذا وفي هذه السورة الموجزة من تشاكل المقاطع للفواصل وسهولة مخارج
الحروف بحسن التأليف والتقابل لكل من معانيها بما هو اولي به ما لا يخفى على من عرف مجازية
كلام العرب

سورة قل يا ايها الكافرون

مكية وعن ابن عباس وقناة مدنية وهي ست آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي ومن قرأ قل يا ايها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وبعافى من الفزع الاكبر . وعن جبير بن مطعم قال قال لي رسول الله ﷺ أنتحب يا جبير ان تكون اذا خرجت سفرا من أمثل اصحابك هيئة واكثرهم زادا قلت نعم بأبي أنت وامي يا رسول الله قال فاقرا هذه السور الخمس قل يا ايها الكافرون واذا جاء نصر الله والفتح وقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وافتتح قراؤتك بيسم الله الرحمن الرحيم قال جبير وكنت غير كثير المال وكنت اخرج مع من شاء الله ان اخرج فاكون اكثرهم همة وأمثلهم زادا حتى ارجع من سفري ذلك وعن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابيه انه اتى النبي ﷺ فقال جئت يا رسول الله لتعلمني شيئا اقوله عند منامي قال اذا اخذت مضجعتك فاقرأ قل يا ايها الكافرون ثم نم على خاتمها فإنها براءة من الشرك . شعيب الحداد عن ابي عبد الله (ع) قال كان ابي يقول قل يا ايها الكافرون ربع القرآن وكان اذا فرغ منها قال اعبد الله وحده اعبد الله وحده . وعن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال اذا قلت لا اعبد ما تعبدون قل ولكنني اعبد الله مخلصا له ديني فاذا فرغت منها قل ديني الاسلام ثلاث مرات . وعن الحسين بن ابي العلاء قال من قرأ قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في فريضة من الفرائض غفر الله له ولوالديه وما ولدنا وإن كان شقيا عي من ديوان الاشقياء . وكتب في ديوان السعداء وأحياء الله سعيدا وأمانته شهيدا وبعثه شهيدا

﴿ تفسيرها ﴾

ذكر سبحانه في تلك السورة ان أعداءه عابوه بأنه اجر فرد ذلك عليهم وذكر في هذه السورة انهم سألوهم المداينة فأمره بالبراءة منهم فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (٢) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٣) وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ
مَا أَعْبُدُ (٤) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٥) وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ (٦) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم لي دين بفتح اليا والباقون بسكون اليا

﴿ الحجة ﴾

اسكاف اليا من ولي وفتحها جميعا حسنان ساتنان

﴿ الإعراب ﴾

ولا أنتم عابدون ما أعبد كانت الوجه من أعبد ولكنه جاء بما يطابق ما قبله وما بعده وقبل أن ما هاهنا بمعنى من والعائد من الصلة إلى الموصول في الجميع محذوف والتقدير ما تعبدونه وما أعبدته وما عبدتموه

﴿ النزول ﴾

نزلت السورة في نفر من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاصم بن ابي وائل والوليد بن المغيرة

والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب بن اسد وأمينة بن خلف قالوا هلم يا محمد فاتبع ديننا نتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد آلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيرا ما بأيدينا كنا قد شر كناك فيه وأخذنا بحفظنا منه وان كان الذي بأيدينا خيرا ما في يدك كنت قد شر كنا في أمرنا وأخذت بحفظك منه فقال ﷺ معاذ الله ان أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد آلهك فقال حتى انظر ما يأتي من عند ربي فنزل قل يا ايها الكافرون السورة فمدل رسول الله ﷺ الى المسجد الحرام وفيه الملائكة من قرش فقام على رؤوسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا عند ذلك فأذوه وأذوا أصحابه قال ابن عباس وفيهم نزل قوله قل أفغير الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون

المعنى

خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (قل) يا محمد (يا ايها الكافرون) يريد قوم معينين لأن الالف واللام للمهد (لا أعبد ما تعبدون) أي لا أعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال (ولا انتم عابدون ما أعبد) أي إلهي الذي أعبده اليوم وفي هذه الحال أيضا (ولا أنا عابد ما عبدتم) فيما بعد اليوم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) فيما بعد اليوم من الاوقات المستقبلة عن ابن عباس ومقاتل قال الزجاج نفى رسول الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفيما يستقبل ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وهذا في قوم أعلمه الله سبحانه أنهم لا يؤمنون بكفوله سبحانه في قصة نوح (ع) انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وقيل أيضا في وجه التكرار ان القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتهم تكرير الكلام للتأكيد والافهام فيقول الجيبلي يلى ويقول الممتنع لا عن الفراء قال ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد

وكائن وكم عندي لهم من صنعة
وانشد
وقال آخر

أيادي ثنوها علي وأوجبوا
كم كم وكم
نعم الغراب بين ليلى غدوة
وقال آخر «هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أيننا» وقال آخر
أردت لنفسي بعض الامور
فأولى لنفسي أولى لها

قال وهذا أولى المواضع بالتأكييد لأن الكافرين أبدأوا في ذلك وأعادوا فكرر سبحانه ليوم كما يأسهم وحسم اطاعهم بالتكرير وقيل أيضا في ذلك ان المعنى لا أعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون الله الذي أنا عبده إذا أشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها تعبدونها من دونه وانما يعبد الله من اخلص العبادة له ولا أنا عابد ما عبدتم اي لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية ولا انتم عابدون ما أعبد أي وما تعبدون عبادتي على نحو ما ذكرناه فأراد في الأول المعبود وفي الثاني العبادة فإن قيل اما اختلاف المعبودين فمعلوم فما معنى اختلاف العبادة (قلنا) انه يعبد الله على وجه الاخلاص وهم بشر كون به في عبادته فاختلفت العبادتان ولأنه كان يتقرب إلى عبادته إلى معبوده بالافعال المشروعة الواقعة على وجه العبادة وهم لا يفعلون ذلك وانما يتقربون اليه بأفعال يعتقدونها قرينة جهلا من غير شرع (لكم دينكم ولي دين) ذكر فيه وجوه واحداها

ان معناه لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ﴿وثنائها﴾ ان المعنى لكم كفركم بالله ولي دين التوحيد والاخلاص وهذا وان كان ظاهره اباحة فإنه وعهد وتهديد ومبالغة في النهي والزجر كقوله اعملوا ما شئتم ﴿وثنائها﴾ ان الدين الجزاء ومعناه لكم جزاؤكم ولي جزائي قال الشاعر

إذا ما لقونا لقيناهمُ ودناهم مثل ما يقرضونا

وقد تضمنت السورة معجزةً لنبينا ﷺ من جهة الاخبار بما يكون في الأوقات المستقبلية مما لا سبيل إلى علمه إلا بوحي من قبل الله سبحانه العالم بالغيوب فكان ما أخبر به كما أخبر وفيها دلالة على ذم المداينة في الدين ووجوب مخالفة الكفار والمبطلين والبرائة منهم وروى داود بن الحصين عن ابي عبد الله (ع) قال إذا قرأت قل يا ايها الكافرون فقل ايها الكافرون وإذا قلت لا اعبد ما تعبدون فقل اعبد الله وحده وإذا قلت لكم دينكم ولي دين فقل ربي الله وديني الاسلام

سورة النصر

مدنية وهي ثلاث آيات بالإجماع

﴿فضلها﴾

في حديث ابي من قرأها فكاننا شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وروى كرام الخثمي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ اذا جاء نصر الله والفتح في نافلة او فريضة نصره الله على جميع اعدائه وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق قد اخرجته الله من جوف قبره فيه امان من حرجهم ومن النار ومن زفير جهنم يسمعه بأذنيه فلا يمر على شيء يوم القيامة إلا بشره واخبره بكل خير حتى يدخل الجنة

﴿تفسيرها﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر الدين وافتتح هذه السورة بظهور الدين فقال بسم الله الرحمن الرحيم (١) إذا جاء نصر الله والفتح (٢) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا (٤) فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً

﴿الاعراب﴾

مفعول جاء محذوف والتقدير اذا جاءك نصر الله وجواب اذا محذوف والتقدير اذا جاء نصر الله حضر اجلك وقيل جوابه الفاء في قوله فسبح وافواجا منصوب على الحال

﴿المعنى﴾

(إذا جاء) يا محمد (نصر الله) على من عاداك وهم قريش (والفتح) فتح مكة وهذه بشارة من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالنصر والفتح قبل وقوع الامر (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) اي جماعة بعد جماعة وضرمة بعد ضرمة والمراد بالدين الاسلام والتزام احكامه واعتقاد صحته وتوطين النفس على العمل به قال الحسن لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب اما اذا ظفر محمد ﷺ بأهل الحرم وقد أجارهم الله

من أصحاب الغيل فليس لكم به يدان أي طاقة فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا أي جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا أو اثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام وقبل في دين الله أي في طاعة الله وطاعتك وأصل الدين الجزاء ثم يعبر به عن الطاعة التي يستحق بها الجزاء كما قال سبحانه في دين الملك أي في طاعته (فسبح بحمد ربك واستغفره) هذا أمر من الله سبحانه بأن ينزه عمالا يليق به من صفات النقص وأن يستغفره ووجه وجوب ذلك بالنصر والفتح أن النعمة تقتضي القيام بحقها وهو شكر المنعم وتعظيمه والانتباه بأوامره والانتها عن معاصيه فكأنه قال قد حدث أمر يقتضي الشكر والاستغفار وإن لم يكن ثم ذنب فإن الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية بما ينافي الإصرار وقد يكون على وجه التسبيح والانتقاع إلى الله عز وجل (أنه كان توابا) يقبل توبة من بقي كما قبل توبة من مضى قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأها عليه السلام على أصحابه ففرحوا واستبشروا وسماها العباس فبكي فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال أظن أنه قد نبت إليك نفسك يا رسول الله فقال أنه لكما تقول فماش بعدها ستين ما روي فيها ضاحكا مستبشرا قال وهذه السورة تسمى سورة التوديع وقال ابن عباس لما نزلت إذا جاء نصر الله قال نبت إلى نفسي بأنها مقبوضة في هذه السنة واختلف في أنهم من أي وجه عملوا ذلك وليس في ظاهره نبي قبل لأن التقدير فسبح بحمد ربك فإنك حينئذ لاحق بالله وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل وعند الكمال يرقب الزوال كما قيل

إذا تم أمر بدا نقصه إذا وقع زوالا إذا قيل تم

وقيل لأنه سبحانه أمره بتجديد التوحيد واستدراك الفاتح بالاستغفار وذلك مما يلزم عند الانتقال من هذه الدار إلى دار الأبرار وعن عبد الله مسعود قال لما نزلت السورة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول كثيرا سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي أنك أنت التواب الرحيم وعن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآخرة لا يقوم ولا يقعد ولا يجبي ولا يذهب الا قال سبحانه الله وبحمده استغفر الله واتوب إليه فأنناه عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اني امرت بها ثم قرأ إذا جاء نصر الله والفتح وفي رواية عائشة أنه كان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب إليك

❖ حديث فتح مكة ❖

لما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا عام الحديبية كان في اشراطهم انه من احب ان يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل فيه فدخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش وكان بين القبيلتين شر قديم ثم وقعت فيما بعد بين بني بكر وخزاعة مقاتلة وردت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا وكان ممن اعان بني بكر على خزاعة بنفسه عكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فركب عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما حاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد بين ظهراني القوم فقال

لا هم أني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الانلدا

إن قريشا خلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وقتلونا ركما وسجدا

فقال رسول الله حسبك يا عمرو ثم قام فدخل دار ميمونة وقال اسكني لي مساء فجعل يغسل وهو يقول
 لا نصرت ان لم انصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بدليل بن ورقاء الخزاعي في نفر من
 خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما اصاب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم
 انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان ﷺ قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء يشدد العقد ويزيد في
 المدة وسيلقي بدليل بن ورقاء فلقوا ابا سفيان بعسفان وقد بعثه قريش الى النبي ﷺ ليشدد العقد فلما
 لقي ابا سفيان بدبلا قال من اين اقبلت يا بدليل قال سرت في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال
 ما اتيت محمداً قال لا فلما راح بدليل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء من المدينة لقد عاف بها
 النوى فعمد الى مبرك ناقته واخذ من بهرها ففتنه فرأى فيه النوى فقال احاف بالله تعالى لقد جاء بدليل محمداً
 ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ فقال يا عمدا احقن دم قومك واجر بين قريش وزدنا
 في المدة فقال ﷺ اغدرتم يا ابا سفيان قال لا قال ﷺ فنحن على ما كنا عليه فخرج فاتي ابا بكر
 فقال اجر بين قريش قال ويحك واحد يجير على رسول الله ﷺ ثم لقي عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك ثم
 خرج فدخل على ام حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فأهوت الى الفراش فطوته فقال يا بنية ارغبت بهذا الفراش عني
 فقالت نعم هذا فراش رسول الله ﷺ ما كنت لتجلس عليه وانت رجس مشرك ثم خرج فدخل على
 فاطمة (ع) فقال يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش وتزيدين في المدة فتكونين اكرم سيدة في الناس
 فقالت جوارى جوار رسول الله ﷺ قال أنا أمرين ابنيك ان يجيرا بين الناس قالت والله ما بلغ ابناي
 ان يجيرا بين الناس وما يجير على رسول الله ﷺ احد فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت
 علي فانصحني فقال علي (ع) انك شيخ قريش فقم على باب المسجد وأجر بين قريش ثم الحق بأرضك قال
 وترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد
 فقال يا أيها الناس اني قد اجرت بين قريش ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك فأخبرهم
 بالقصة فقالوا والله ان اراد علي بن ابي طالب على ان لعب بك فإبغني عنا ما قلت قال لا والله ما وجدت
 غير ذلك قال فأمر رسول الله ﷺ بالجهاز لحرب مكة وأمر الناس بالتهيئة وقال اللهم خذ العيون والاعبار
 عن قريش حتى نبغتها في بلادها وكتب حاطب بن ابي بلتعمة الى قريش فأتى رسول الله ﷺ الخبر من
 السماء فبعث عليا (ع) والزبير حتى اخذا كتابه من المرأة وقد مضت هذه القصة في سورة المنتحنة ثم استخلف
 رسول الله ﷺ ابا ذر الغفاري وخرج عامداً الى مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان في عشرة
 آلاف من المسلمين ونحو من اربعمائة فارس ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد وقد كان ابو سفيان
 ابن الحارث بن عبد المطالب وعبد الله بن امية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ ببنق العقاب فيما بين مكة
 والمدينة فالتمسا الدخول عليه فلم يأذن لهما فكلمته أم سلمة فيها فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك
 وصهرك قال لا حاجة لي فيها اما ابن عمي فهتك عرضي واما ابن عمتي وصهرتي فهو الذي قال لي بمكة
 ما قال فلما خرج الخبر اليها بذلك ومع ابي سفيان بني له فقال والله ليأذنن لي او لا آخذن بيد بني هذا ثم
 لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقا لها فأذن لها فدخلا عليه
 فأسلما فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد غمت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم عن رسول الله ﷺ

خبر خرج في تلك الليلة ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يجسسون الاخبار وقد قال العباس لبنته يا سوء صباح قريش والله لئن بنتها رسول الله في بلادها فدخل مكة عنوة انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فخرج على بئلة رسول الله وقال اخرج الى الارك لعلي اري خطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فتخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيسئامونه قال العباس فوالله اني لأطوف في الارك التمس ما خرجت له إذ سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وسمعت ابا سفيان يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيرانا فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال ابو سفيان خزاعة ألام من ذلك قال فعرفت صوته فقلت يا اباحنظلة يعني ابا سفيان فقال ابو الفضل قلت نعم قال ليك فذاك ابي وامي ما وراك فقلت هذا رسول الله وراك قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال فأتأمرني فقلت تركب عجز هذه البغلة فاستأمن لك رسول الله ﷺ فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت ار كض به بئلة رسول الله فكلمنا مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عم رسول الله ﷺ على بئلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال يعني عمر يا ابا سفيان الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله ﷺ ور كضت البغلة حتى اقتحمت باب القبة وسبقت عمر بما سبق به الدابة البطيئة الرجل البطي فدخل عمر فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم اني جلست الى رسول الله ﷺ واخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه اليوم احد دوني فلما اكثر فيه عمر قلت مهلا يا عمر فوالله ما يصنع هذا الرجل الا انه رجل من آل بني عبد مناف ولو كان من عدي بن كعب ما قلت هذا قال مهلا يا عباس فوالله لا سلامك يوم اسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو اسلم فقال ﷺ اذهب فقد أمناه حتى تندوبه علي في النداء قال فلما أصبح غدوت به علي رسول الله ﷺ فلما رآه قال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لا إله الا الله فقال بأبي انت وأمي ما اوصلك واكرمك وارحمك وأحلمك والله لقد ظننت ان لو كان معه إله لا أغنى يوم بدر ويوم احد فقال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وأمي اما هذه فإن في النفس منها شيئا قال العباس فقلت له ويحك اشهد بشهادة الحق قبل ان يضرب عنقك فشهد فقال ﷺ للعباس انصرف يا عباس فاجبه عند مضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله قال فحبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي ومر عليه القبائل قبيلة قبيلة وهو يقول من هو لاء واقول اسلم وجهينة وفلان حتى مر رسول الله ﷺ في الكتيبة الخضراء من المهاجرين والانصار في الحديد لا يرى منهم الا الحدق فقال من هو لاء يا ابا الفضل قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والانصار فقال يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقلت ويحك انها النبوة فقال نعم اذا وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء رسول الله ﷺ واسلما وبايعاه فلما بايعاه بشهارة رسول الله ﷺ بين يديه الى قريش يدعونهم الى الاسلام وقال من دخل دار ابي سفيان وهي بأعلى مكة فهو آمن ومن دخل دار حكيم وهي بأسفل مكة فهو آمن ومن اغلق بابها وكف يده فهو آمن ولما اخرج ابو سفيان وحكيم من عند رسول الله ﷺ عامدين الى مكة بعث في اثرهما الزبير بن العوام وامره على خيل المهاجرين وامره ان يفرز رايته بأعلى مكة بالمحجون وقال له لا تبرح حتى آتيك ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وضربت هناك

خيمته وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمته وبعث خالد بن الوليد فيمن كان اسلم من قضاة
 وبني سليم وامره ان يدخل أسفل مكة ويفرز رايته دون البيوت وامرهم رسول الله ﷺ جميعاً ان
 يكفوا ايديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم وامرهم بقتل أربعة نفر عبد الله بن سعد بن ابي سرح والحويرث بن
 نفيل وابن خطل ومقبس بن ضبابه وامرهم بقتل قبتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وقال اقتلوه
 وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة فقتل علي (ع) الحويرث بن نفيل واحدى القبتين وافلتت الاخرى
 وقتل مقبس بن ضبابه في السوق وادرك ابن خطل وهو منعلق بأستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث
 وعار بن ياسر فسبق سعيد عمارا فقتله قال وسعى ابو سفيان الى رسول الله ﷺ واخذ غرزه اي ركابه
 قبله ثم قال بأبي انت وامي أما نسمع ما يقول سعد انه يقول اليوم يوم الملحمة اليوم تسبي الحرمة فقال ﷺ
 لبي (ع) ادركه فخذ الراية منه وكن أنت الذي يدخل بها وادخلها ادخالاً رقيقاً فأخذها علي (ع) وادخلها
 كما امر ولما دخل رسول الله ﷺ مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون ان السيف لا يرفع عنهم
 وأتى رسول الله ووقف قائماً على باب الكعبة فقال لا إله الا الله وحده وحده نجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
 وحده الا ان كل مال او مأثرة ودم تدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداة الكعبة وسقاية الحاج فسلنما
 مردودتان إلى اهليها الا ان مكة محرمة بتحريم الله لم تحمل لأحد كان قبلي ولم تحمل لي الا ساعة من نهار
 وهي محرمة الى ان تقوم الساعة لا ينجلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحمل لقطتها الا لمنشد
 ثم قال ألا لبس جبران النبي كتبه لقد كذبتم وطردتم واخرجتم وآذيتهم ثم ما رضيتهم حتى جئتموني
 في بلادي تقائلوني فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم فكاننا انشروا من القبور ودخلوا في الاسلام وكان الله
 سبحانه امكنه من رقابهم عنوة فكانوا فياً فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء وجاء ابن الزبير الى رسول
 الله ﷺ واسلم وقال

يا رسول الآله إن لساني	راتق ما فتقت إذ انا بور
إذ أباري الشيطان في سنن	هي ومن مال ميله مشبور
أمن اللحم والعظام لربي	ثم نفسي الشهيد انت النذير

وعن ابن مسعود قال دخل النبي ﷺ يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنفاً فجعل يطعمها
 يعود في يده ويقول جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً
 وعن ابن عباس قال لما قدم النبي ﷺ إلى مكة ابى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت
 صورة ابراهيم واسماعيل (ع) وفي ايديها الازلام فقال ﷺ قاتلهم الله أما والله لقد علموا انهما لم
 يستقسما بها قط

سورة تبت

وتسمى ايضا سورة ابي لهب وتسمى سورة المسد مكية

* عدد آياتها *

خمس آيات بالاجماع

* فضلها *

في حديث ابي من قرأها رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة عن ابي عبد الله (ع)
قال اذا قرأتم تبت فادعوا على ابي لهب فإنه كان من المكذبين بالنبي ﷺ وما جاء به من عند الله

* تفسيرها *

ذكر سبحانه في تلك السورة وعده بالنصر والفتح ثم بين في هذه السورة ما كفاه الله من امر ابي لهب فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (٢) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ
(٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ

* القراءة *

قرأ ابن كثير ابي لهب ساكنة الهاء والباقون ففتحها وانفقوا في ذات لهب انها مفتوحة الهاء لوفائ
الفواصل وقرأ عاصم حمالة الحطب بالنصب والباقون بالرفع وروي عن البرجمي سيصلى بضم الياء وهي
قراءة اشهب العقيلي وابي رجا وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وامرأة حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

* الحجة *

قال ابو علي يشبه ان يكون لهب ولهب لفتين كالشمع والشمع والنهر والنهر وانفاقهم في الثانية على الفتح
يدل على انه اوجه من الإسكان وكذلك قوله ولا يغني من الالهب واما حمالة الحطب فمن رفع جعله وصفا
لقوله وامراته ويدل على ان الفعل قد وقع كقولك مررت برجل ضارب عمرا امس فهذا لا يكون إلا
معرفة ولا يقدر فيه الا الانفصال كما يقدر في هذا النحو اذا لم يكن الفعل واقما واما ارتفاع امرأته فيحتمل
وجهين * احدهما * العطف على فاعل سيصلى التقدير سيصلى نارا هو وامراته الا ان الاحسن الا يجوز
لما جرى من الفصل بينهما ويكون حمالة الحطب على هذا وصفها ويجوز في قوله في جيدها أن يكون في موضع
حال وفيها ذكر منها ويتعلق بمحذوف ويجوز فيه وجه آخر وهو ان يرتفع امرأته بالابتداء وحالة وصف
لها وفي جيدها خير المبتدأ واما النصب في حمالة الحطب فعل الظم لها كأنها كانت اشتهرت بذلك فحرت
الصفة عليها للظم لا للتخصيص والتخليص من موصوف غيرها وقوله جبل معنا غليظ . رجل جبل الوجه
وحبل الرأس

* اللغة *

التب والتباب الخسران والمودي الى الهلاك والمسد الحبل من الليف وجمه امساق قال

ومسد أمر من ايانق ليس بأنياب ولا حقائق

* النزول *

سميد بن جبير عن ابن عباس قال صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه فأقبلت اليه قريش فقالوا له مالك فقال أرايتم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبالك لهذا دعوتنا جميعا فأنزل الله هذه السورة أوردته البخاري في الصحيح

* المعنى *

(ثبت يداي ابي لهب وتب) أي خسرت يداه وخسر هو عن مقاتل وانما قال خسرت يداه لأن أكثر العمل يكون باليد والمراد خسر عمله وخسرت نفسه بالوقوع في النار وقيل ان اليد هنا صلة كقولهم بدالدهر ويد السنة قال « وأيدي الرزايا بالذخائر مولم ؟ » وقيل معناه صغرت يداه من كل خير قال الفراء الاول دعاء والثاني خبر فكانه قال اهلكه الله وقد هلك وفي حرف عبد الله وأبي وقد تب وقيل ان الاول ايضا ومعناه انه لم تكتسب يداه خيرا قط وخسر مع ذلك هو نفسه اي تب على كل حال وابو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ وكان شديد المعادة والمناصبة له قال طارق المحاربي بينا انا بسوق ذي المجاز اذا انا شباب يقول ايها الناس قولوا لا إله الا الله تغلجوا واذا برجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد يزعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وانما ذكر سبحانه كنيته دون اسمه لأنها كانت اغلب عليه وقيل لأن اسمه عبد العزى فكره الله سبحانه ان ينسب اليه العزى وانه ليس بعبد لها وانما هو عبد الله وقيل بل اسمه كنيته وانما سمي بذلك لحسنه واشراق وجهه وكانت وجنتاه كأنهما تنتهبان عن مقاتل (ما اغنى عنه ماله وما كسب) اي ما نفعه ولا دفع عنه عذاب الله ما له وما كسبه ويكون ما في قوله وما كسب موصولة والضمير العائد من الصلة محذوف وقيل معناه اي شي اغنى عنه ماله وما كسب يعني ولده لأن ولد الرجل من كسبه وذلك انه قال لما انذره النبي ﷺ بالنار ان كان ما تقول حقا فأني افتدي بمالي وولدي ثم انذره سبحانه بالنار فقال (سيصلى نارا ذات لهب) اي سيدخل نارا ذات قوة واشتعال تذهب عليه وهي نار جهنم وفي هذا دلالة على صدق النبي ﷺ وصحة نبوته لأنه اخبر ان ابا لهب يموت على كفره وكان كما قال (وامرأته) وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان (حالة الحطب) كانت تحمل الشوك والمضارة فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ اذا خرج الى الصلاة ليعقره عن ابن عباس وفي رواية الضحاك قال الربيع بن انس كانت تبث وتنشر الشوك على طريق الرسول فيطأه كما يطأ احدكم الحرير وقيل انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة وتوقد نارها بالتهيب كما توقد النار الحطب فسمى النميمة حطبا عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة ومجاهد وعكرمة والسدي قالت العرب فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به قال « ولم يمض بين الحلي بالحطب الرطب » اي لم يمض بالنميمة وقيل حالة الحطب معناه حالة الخطايا عن سميد بن جبير وابي مسلم ونظيره قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم (في جيدها جبل من مسد) اي في عنقها جبل من ليف وانما وصفها بهذه الصفة لخصيستها ولما وتحقيرا وقيل جبل يكون له خشونة الليف وحرارة النار وثقل الحديد يجعل في عنقها زيادة في عذابها وقيل في عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون

ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها وتدار على عنقها في النار عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسميت
السلسلة مسدا بمعنى انها مسودة اي مفتولة وقيل انها كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت لانفقتها في عداوة
محمد فيكون عذابا يوم القيامة في عنقها عن سعيد بن المسهب ويروي عن اسماء بنت ابي بكر
قالت لما نزلت هذه السورة اقبلت العمراء ام جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فبر وهي تقول « مذما
أينا ودينه قلينا وامره عصينا » والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه ابوبكر فلما رآها ابوبكر قال يا رسول الله
قد اقبلت وانا اخاف ان تراك قال رسول الله ﷺ انها ان تراني وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال واذا
قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فوفقت على ابي بكر ولم تر رسول
الله فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجاني فقال لا ورب البيت ما هجاك فقلت وهي تقول « قريش
تعلم اني بنت سيدها » وروي ان النبي ﷺ قال صرف الله سبحانه عني انهم يذمون مذمما وانا محمد ومتي
قيل كيف يجوز ان لا ترى النبي ﷺ وقد رأته غيره فالجواب يجوز ان يكون الله قد عكس شعاع عينها
او صلب الهواء فلم ينفذ فيه الشعاع او فرق الشعاع فلم يتصل بالنبي ﷺ وروي ان النبي ﷺ
قال ما زال ملك يسترني عنها واذا قبل هل كان يلزم ابا لهب الايمان بعد هذه السورة وهل كان يقدر على الايمان
ولو آمن لكان فيه تكذيب خبر الله سبحانه بأنه سيصلى نارا ذات لهب فالجواب ان الايمان يلزمه لأن
تكليف الايمان ثابت عليه وإنما توعد الله بشرط ان لا يؤمن الا ترى الى قوله سبحانه في قصة
فرعون الآن وقد غضبت قبل وفي هذا دلالة على انه لو تاب قبل وقت اليأس لكان يقبل منه ولهذا
خص رد التوبة عليه بذلك الوقت وايضا فلو قدرنا ان ابا لهب سأل النبي ﷺ قال لو آمنت هل ادخل
النار لكان ﷺ يقول له لا وذلك لعدم الشرط

سورة الاخلاص

مكية وقيل مدنية وسميت سورة التوحيد لأنه ليس فيها إلا التوحيد و كلمة التوحيد تسمى كلمة الاخلاص
وقيل إنما سميت بذلك لأن من تمسك بما فيها اعتقادا واقارارا كان مؤمنا مخلصا وقيل لأن من قرأها
على سبيل التنظيم اخلصه الله من النار اي انجاه منها وتسمى ايضا سورة الصمد وتسمى ايضا بفاتحتها وتسمى ايضا
نسبة الرب وروي في الحديث لكل شيء نسبة ونسبة الرب سورة الاخلاص وفي الحديث ايضا انه كان يقول
لسورتي قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقتشتان سميئا بذلك لأنها يبرنان من الشرك والنفاق يقال
تقتش المريض من علته اذا افلق وبرى وقشقه ابراه كما يقشش الهناء الجرب

✽ عدد آياتها ✽

خمس آيات مكي شامي اربع في الباقيين

✽ اختلافها ✽

آية لم يلد مكي شامي

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن واعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعن ابي الدرداء عن النبي ﷺ قال أبجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة قلت يا رسول الله ومن يطبق ذلك قال اقرأوا قل هو الله احد وعن انس عن النبي ﷺ قال من قرأ قل هو الله احد مرة بورك عليه وعلى اهله فإن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى اهله وعلى جميع جيرانه فإن قرأها اثنتي عشر مرة بني له اثنا عشر قصرا في الجنة فتقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا فإن قرأها مائة مرة كفر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والاموال فإن قرأها اربعمائة كفر عنه ذنوب اربعمائة سنة فإن قرأها الف مرة لم يميت حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له وعن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل الى النبي ﷺ فشكا اليه الفقر وضيق المعاش فقال له رسول الله ﷺ اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فأفاض الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه . السكوني عن ابي عبد الله (ع) ان رسول الله ﷺ صلى على سعد بن معاذ فلما صلى عليه قال ﷺ لقد وافى من الملائكة سبعون الف ملك وفيهم جبرائيل (ع) يصلون عليه فقالت يا جبرائيل بم استحق صلاتكم عليه قال بقراءة قل هو الله احد قاعدا وقائما وراكبا وماشيا وذاهبا وجائيا . منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال من مضى به يوم واحد فصلى فيه الخمس صلوات ولم يقرأ فيها بقل هو الله احد قبل له يا عبد الله لست من المصلين . اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال من مضت عليه جمعة ولم يقرأ فيها بقل هو الله احد ثم مات على دين أبي لهب . هارون بن خارجة عنه ﷺ قال من أصابه مرض أو شدة فلم يقرأ في مرضه أو شدته بقل هو الله احد ثم مات في مرضه او في تلك الشدة التي نزلت به فهو من اهل النار . أبو بكر الحضرمي عنه ﷺ قال من كان يومئذ بالله واليوم الآخر فلا يدع ان يقرأ في دبر الفريضة بقل هو الله احد فإنه من قرأها جمع له خير الدنيا والآخرة وغفر الله له ولوالديه وما ولدا . عبد الله بن حجر قال سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول من قرأ قل هو الله احد احدى عشرة مرة في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب وارغم انف الشيطان . ابراهيم بن مهزم عن سمع ابا الحسن (ع) يقول من قدم قل هو الله احد بينه وبين كل جبار منعه الله منه يقرؤها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فإذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شره وقال اذا خفت أمرا فاقرا مائة آية من القرآن حيث شئت ثم قل اللهم اكشف عني البلا . ثلاث مرات . عيسى بن عبد الله عن ابيه عن جده عن علي (ع) قال قال رسول الله ﷺ من قرأ قل هو الله احد مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ذم سبحانه اعداء أهل التوحيد في السورة المتقدمة ذكر في هذه السورة بيان التوحيد فقال
بسم الله الرحمن الرحيم (١) قل هو الله احد (٢) الله الصمد (٣) لم يلد ولم يولد (٤)
ولم يكن له كفوا احد

* القراءة *

قرأ ابو عمرو واحد الله الصمد بشير تنوين الدال من أحد وروي عنه (ع) انه كان يقول قل هو الله
أحدث ثم يقف فإن وصل قال أحد الله وزعم ان العرب لم تكن تصل مثل هذا والباقون أحد الله بالتنوين
وقرأ اساعيل عن نافع وحجرة وخلف ورويس كفاً ساكنة الفاء مهموزة وقرأ حفص كفوفاً مضمومة الفاء
مفتوحة الواو وغير مهموزة وقرأ الباقر كفوفاً بالهمزة وضم الفاء.

* الحجة *

قال ابو علي من قرأ أحد الله فوجهه بين وذلك ان التنوين من أحد ساكن ولام المعرفة من الاسم
ساكن فلما التقى الساكنان حرك الاول منهما بالكسر كما تقول اذهب اذهب ومن قال أحد الله فحذف التنوين
فإن النون قد شابهت حروف اللين في الآخر في أنها تزداد كما يزدن وفي أنها تدغم فيمن كما يدغم كل واحد
من الواو والياء في الآخر وفي أنها قد ابدلت منها الالف في الاسماء المنصوبة وفي الخفيفة فلما شابهت حروف اللين
اجريت مجراها في أن حذفت ساكنة لالتقاء الساكنين كما حذفت الالف والواو والياء لذلك في نحو رمى
القوم وبنزو الجيش ورمى القوم ومن ثم حذفت ساكنة في الفعل في نحو لم بك ولاتك في مربة فحذفت
في أحد الله لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف في نحو هذا زيد بن عمرو حتى استمر ذلك في الكلام
وأشدد ابو زيد

ولاذا كر الله إلا قليلا

فألفيته غير مستعتب

وقال الشاعر

تشمل الشام غارة شعوا

كيف نومى على الفراش ولما

عن خدام العقيلة العذرا

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي

أما كفوا وكفوفاً فأصله الضم فخفف مثل طنّب وطنّب وعنق وعنق

* اللفظة *

أحد أصله وحد فقلت الواو همزة ومثله اناة وأصله وناة وهو على ضربين * أحدهما * أن يكون
اسماً * والآخر * أن يكون صفة فالاسم نحو واحد وعشرون يريد به الواحد والصفة كما في قول النابغة

بذي الجليل على مستأنس وحد

كأن رحلي وقد زال النهار بنا

وكذلك قولهم واحد يكون اسماً كالكاهل والفارب ومنه قولهم واحد اثنان ثلاثة وتكون صفة كما

في قول الشاعر «فقد رجعوا كحي واحدنا» وقد جمعوا احدا الذي هو الصفة على احدان قالوا احد واحدان

شبهوه بسلق وسلقان ونحوه قول الشاعر

صيد ومجتري بالليل هماس

يحمي الصريمة احدان الرجال له

فهذا جمع لأحد الذي يراد به الرفع من الموصوف والتعظيم له وانه منفرد عن الشبه والمثل وقالوا هو

أحد الاحد اذا رفع منه وعظم وقالوا أحد الاحدين وواحد الآحاد وحقيقة الواحد شي لا ينقسم في

نفسه أو في معنى صفته فإذا اطلق واحد من غير تقدم موصوف فهو واحد في نفسه وإذا أجري على موصوف فهو واحد في معنى صفته فإذا قبل الجزء الذي لا يتجزأ واحد أريد أنه واحد في نفسه وإذا قبل هذا الرجل إنسان واحد فهو واحد في معنى صفته وإذا وصف الله تعالى بأنه واحد فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها أحد غيره نحو كونه قادراً لنفسه عالماً حياً موجوداً كذلك والحمد السيد المعظم الذي يحمد إليه في الموائج أي يقصد وقبل هو السيد الذي ينتهي إليه السؤدد قال الاسدي

الأبكر الناعي بخيري بني اسد
بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد
وقال الزبيرقان «ولا رهينة إلا السيد الصمد» وقال رجل مصمد أي مقصود وكذلك بيت مصمد
قال طرفة

وإن يلتقي الحلي الجميع يلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المصمد
والكفو والكفي والكفاء واحد وهو المثل والتظير قال النابغة

لا تقذفني بركن لا كفاء له ولو تتابعك الأعداء بالرصد

وقال حسان

وجبريل رسول الله منا وروح القدس ليس له كفاء

وقال آخر في الكفي

أما كان عباد كفيًا لدارم بلى ولأبيات بها الحجرات

❖ الإعراب ❖

قال أبو علي قل هو الله احد يجوز في اعراب الله ضربان ❖ احدهما ❖ ان يكون خبر مبتدأ وذلك على قول من ذهب الى ان هو كناية عن اسم الله تعالى ثم يجوز في قوله احد ما يجوز في قولك زيد اخوك قائم ❖ والآخر ❖ على قول من ذهب الى ان هو كناية عن القصة والحديث فيكون اسم الله عنده مرتفعاً بالابتداء واحد خبره ومثله قوله تعالى فإذا هي شاخته ابصار الذين كفروا الا ان هي جاءت على التأنيث لأن في التفسير اسما مؤنثاً وعلى هذا جاء فإنها لا تعنى الابصار واذا لم يكن في التفسير مؤنث لم يؤنث ضمير القصة وقوله الله الصمد الله مبتدأ والصمد خبره ويجوز ان يكون الصمد صفة الله والله خبر مبتدأ محذوف اي هو الله الصمد ويجوز ان يكون الله الصمد خبراً بعد خبر على قول من جعل هو ضمير الامر والحديث ولم يكن له كفوا احد قال ان له ظرف غير مستقر وهو متعلق بكان وكفوا متصّب بأنه خبر متقدم كما كان قوله تعالى وكان حقاً علينا نصر المؤمنين كذلك وزعموا ان من البغداديين من يقول ان في يكن من قوله ولم يكن له كفوا احد ضميراً مجزولاً وقوله كفوا يتصّب على الحال والعامل فيها له وهذا إذا افردته عن يكن كان معناه له احد كفوا واذا حمل على هذا لم يسغ ووجه ذلك انه محمول على معنى النفي فكأنه لم يكن احد له كفوا كما كان قولهم ليس الطيب الا المسك محمولاً على معنى النفي ولولا حمله على المعنى لم يميز ألا ترى انك لو قلت زيد الا منطلق لم يكن كلاماً فكأن هذا محمول على المعنى كذلك له كفوا احد محمول على المعنى وعلى هذا جاز ان يكون احد فيه الذي يقع لعموم النفي ولولا ذلك لم يجز ان يقع احد هذا في الايجاب فان قلت أيجوز ان يكون قوله تعالى له عندكم حالاً على ان يكون المعنى

ولم يكن كفوّاً له احد فيكون له صفة للتكرار فلما قدم صار في موضع الحال كقوله «لعزة موحش اطال قديم»
فإن سبويه قال ان ذلك يقل في الكلام وان كثر في الشعر فإن حملته على هذا على استكراه كان غير ممنوع
والعامل في قوله له اذا كان حالاً يجوز ان يكون احد شيئين * احدهما * يكن * والآخر * ان
يكون ما في معنى كفوّاً من معنى المائلة فإن قلت ان العامل في الحال اذا كان معنى لم يتقدم الحال عليه
فإن له لما كان على لفظ الظرف والظرف يعمل فيه المعنى وان تقدم عليه كقولك كل يوم لك ثوب كذلك
يجوز في هذا الظرف وذلك من حيث كان ظرفاً وفيه ضمير في الوجهين يعود الى ذي الحال وهو كفوّاً

* النزول *

قيل ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انب لنا ربك فنزلت السورة عن ابي بن كعب وجابر وقيل اتي
عامر بن الطفيل واريد بن ربيعة اخو لبيد النبي ﷺ وقال عامر الى ما تدعوننا يا محمد فقال الى الله فقال
صفه لنا من ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت السورة وارسل الله الصاعقة على اريد
فأحرقته وطمع عامر في خنصره فأت عن ابن عباس وقيل جاء اناس من احوار اليهود الى النبي ﷺ
فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله انزل نعتة في التوراة فنزلت السورة وهي نسبة الله خاصة
عن الضحاك وقتادة ومقاتل وروى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) قال ان اليهود سألو النبي ﷺ
فقالوا انب لنا ربك فمكث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت السورة . وقريب منه ما ذكره القاضي في تفسيره ان
عبد الله بن سلام انطلق الى رسول الله ﷺ وهو بمكة فقال له رسول الله ﷺ انشدك بالله هل تجدني
في التوراة رسول الله فقال انت لنا ربك فنزلت هذه السورة قرأها النبي ﷺ فكانت سبب اسلامه
إلا أنه كان يكتم ذلك الى ان هاجر النبي ﷺ الى المدينة ثم اظهر الاسلام

* المعنى *

(قل هو الله احد) هذا امر من الله عز اسمه لنبيه ﷺ ان يقول لجميع المكلفين هو الله الذي تحقق
له العبادة قال الزجاج هو كناية عن ذكر الله عز وجل ومعناه الذي سألتم تبين نسبتته هو الله احد اي
واحد ويجوز ان يكون المعنى الامر الله احد لا شريك له ولا نظير وقيل معناه واحد ليس كمثل شي عن
ابن عباس وقيل واحد في الإلهية والقدم وقيل واحد في صفة ذاته لا يشركه في وجوب صفاته احد فإنه
يجب ان يكون موجوداً عالماً قادراً حياً ولا يكون ذلك واجبا لغيره وقيل واحد في افضاله لأن افضاله كلها
احسان لم يفعلها لغيره ولا يدفع ضرر فأختص بالوحدة من هذا الوجه إذ لا يشركه فيه سواء واحد في
انه لا يستحق العبادة سواء لأنه القادر على اصول النعم من الحياة والقدرة والشهوة وغير ذلك مما لا تكون
النعمة نعمة الأبه ولا يقدر على شي من ذلك غيره فهو احد من هذه الوجوه الثلاثة وقيل انما قال احد ولم
يقل واحد لأن الواحد يدخل في الحساب ويضم اليه آخر واما الأحد فهو الذي لا يتجزأ ولا ينقسم في
ذاته ولا في معنائه ويجوز ان يجعل للواحد ثانياً ولا يجوز ان يجعل للأحد ثانياً لأن الواحد يستوعب
جنسه بخلاف الواحد ألا ترى انك لو قلت فلان لا يقاومه واحد جاز ان يقاومه اثنان ولما قلت لا يقاومه
احد لم يجز ان يقاومه اثنان ولا اكثر فهو ابلغ وقال ابو جعفر الباقر (ع) في معنى قل هو الله احد
اي قل اظهر ما اوحينا اليك وما نبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها عليك ليهتدي بها من أتى السمع وهو

شهاد وهو اسم مكنى مشار الى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو اشارة الى الغائب عن الحواس كما ان قولك هذا اشارة الى الشاهد عند الحواس وذلك ان الكفار نهوا عن آلهتهم بحرف اشارة الى المشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة بالابصار فأشرفت يا محمد الى إلهك الذي تدعو اليه حتى نراه وندركه ولا ناله فيه فأنزل الله سبحانه قل هو الله أحد فالهاء تثبيت للثابت والواو اشارة الى الغائب عن ادراك الابصار ولمس الحواس وانه يتعالى عن ذلك بل هو مدرك الابصار ومبدع الحواس وحدثني ابي عن ابيه عن امير المؤمنين (ع) انه قال رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليلة فقلت له علمني شيئا انتصر به على الاعداء فقال قل يا هو يا من لا هو إلا هو فلما أصبحت قصصت على رسول الله ﷺ فقال يا علي علمت الاسم الاعظم فكان على لساني يوم بدر قال وقرأع ابوم بدر قل هو الله أحد فلما فرغ قال يا هو يا من لا هو الا هو اغفر لي وانصرني على القوم الكافرين وكان يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد فقال له عمار بن ياسر يا امير المؤمنين ما هذه الكتابيات قال اسم الله الاعظم وعماد التوحيد لله لا إله الا هو ثم قرأ شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولو العلم قانئا بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم وآخر المشركم نزل فصلى اربع ركعات قبل الزوال قل وقال امير المؤمنين (ع) الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله اليه الله المستور عن ادراك الابصار المحجوب عن الاوهام والخطرات وقال الباقر (ع) الله معناه المعبود الذي آله الخلق عن ادراك ماهيته والاحاطة بكيفيته وتقول العرب آله الرجل اذا تحير في الشيء فلم يحيط به علما ووله اذا فرغ الى شيء قال والاحد الفرد المتفرد والاحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد والواحد المبين الذي لا يبعث من شيء ولا يتحد بشيء ومن ثم قالوا إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله الله أحد أي المعبود الذي يسأله الخلق عن ادراكه والاحاطة بكيفيته فرد بألهيته متعال عن صفات خلقه (الله الصمد) قال الباقر (ع) حدثني ابي زين العابدين (ع) عن ابيه الحسين بن علي (ع) انه قال الصمد الذي قد انتهى سو دده والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال والصمد الذي لا جوف له والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب والصمد الذي لا ينام واقول ان المعنى في هذه الثلاثة انه سبحانه الحي الذي لا يحتاج الى الطعام والشراب والنوم قل الباقر (ع) والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر ولا ناه قال وكان محمد ابن الحنفية يقول الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره وقال غيره الصمد المتعالي عن الكون والفساد والصمد الذي لا يوصف بالنظائر قال وسئل علي بن الحسين زين العابدين (ع) عن الصمد فقال الصمد الذي لا شريك له ولا يوده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء وقال ابو البخترى وهب بن وهب القرشي قال زيد بن علي (ع) الصمد الذي اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون والصمد الذي أبدع الاشياء فخلقها اضدادا وأصنافا وأشكالاً وازواجا وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند قال وهب بن وهب وحدثني الصادق جعفر بن محمد (ع) عن ابيه الباقر (ع) عن ابيه (ع) ان اهل البصرة كتبوا الى الحسين بن علي (ع) يسألونه عن الصمد فكتب اليهم بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبو مقعده من النار وان الله قد فسر سبحانه الصمد فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن كفراً أحد (لم يلد) لم يخرج

منه شيء كنيّف كالولد ولا سائر الاشياء الكنيّفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا ينبعث منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والغم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسآمة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كنيّف أو لطيف (ولم يولد) أي ولم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الاشياء الكنيّفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الارض والماء من الينابيع والثمار من الاشجار ولا كما تخرج الاشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الاذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب والنار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا شيء في شيء ولا على شيء مبدع الاشياء وخالقها ومنشئ الاشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للعناء بمشيئته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (ولم يكن له كفواً احد) قال وهب بن وهب سمعت الصادق (ع) يقول قدم وفد من فلسطين على الباقر (ع) فسألوه عن مسائل فأجابهم عنها ثم سألوه عن الصمد فقال تفسيره فيه الصمد خمسة احرف ﴿ فالألف ﴾ دليل على ائبته وهو قوله عز وجل شهد الله انه لا إله الا هو وذلك تنبيه وإشارة الى الغائب عن درك الحواس واللام ﴿ دليل على إلهيته بأنه هو الله والالف واللام مدغان ولا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان على إلهيته بلطفه خافية لا يدرك بالحواس ولا يقع في لسان واصف ولا اذن سامع لأن تفسير الإله هو الله الذي أله الخلق عن درك ماهيته و كنيّفته بحس او بوهم لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس وإنما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على ان الله سبحانه اظهر ربوبيته في ابداع الخلق وتر كيب ارواحهم اللطيفة في اجسادهم الكنيّفة واذا نظر عبد الى نفسه لم ير روحه كما ان لام الصمد لا يتبين ولا يدخل في حاسة من حواسه الخمس فلما نظر الى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف ففتح تفكر العبد في ماهية الباري و كنيّفته أله وتجبّر ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه تعالى خالق الصور واذا نظر الى خلقه ثبت له انه عز وجل خلقهم ومركب ارواحهم في اجسادهم وأما ﴿ الصاد ﴾ فـدليل على انه سبحانه صادق وقوله صدق وكلامه صدق ودعا عباده الى اتباع الصدق بالصدق ووعده بالصدق وأراد الصدق وأما ﴿ الميم ﴾ فـدليل على ملكه وانه الملك الحق المبين لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه وأما ﴿ الدال ﴾ فـدليل على دوام ملكه وانه دائم تعالى عن الكون والزوال بل هو الله عز وجل مكون الكائنات الذي كان بشكوبته كل كائن ثم قال (ع) لو وجدت لعلمي الذي اناني الله حملة كنشرت التوحيد والاسلام والدين والشرائع من الصمد و كنيّفي بذلك ولم يجد جدي امير المؤمنين (ع) حملة لعلمه حتى كان يتنفس على الصمد او يقول على المنبر سلوني قبل ان تفقدوني فإن بين الجوانح مني علما جاهاه آلا لا آجد من يحمله آلا وان عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يشوا من الآخرة كما يش الكفار من اصحاب القبور وعن عبد خير قال سأل رجل عليا (ع) عن تفسير هذه السورة فقال قل هو الله احد بلا تأويل عدد الصمد بلا تبويض بدد لم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يولد فيكون إلهاماً مشاركا ولم يكن له من خلقه كفواً احد وقال ابن عباس لم يلد فيكون والدا ولم يولد فيكون ولدا وقبل لم يلد ولدا فيرث عنه ملكه ولم يولد فيكون قد ورث الملك عن غيره وقيل لم يلد فيدل على حاجته فإن الانسان يشتهي الولد لحاجته اليه ولم يولد فيدل

على حدوثه وذلك من صفة الاجسام وفي هذا رد على القائلين ان عزيرا والمسيح ابن الله وان الملائكة بنات الله ولم يكن له كفواً احد أي لم يكن له احد كفوا اي عديلاً ونظيراً يماثله وفي هذا رد على من اثبت له مثلاً في القدم وغره من الصفات وقيل معناه ولم تكن له صاحبة وزوجة فتلد منه لأن الولد يكون من الزوجة فكنتي عنها بالكفوة لأن الزوجة تكون كفواً لزوجها وقيل انه سبحانه بين التوحيد بقوله الله احد وبين المدل بقوله الله الصمد وبين ما يستحيل عليه من الوالد والولد بقوله لم يلد ولم يولد وبين ما لا يجوز عليه من الصفات بقوله ولم يكن له كفواً احد وفيه دلالة على انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو في مكان ولا جهة وقال بعض ارباب اللسان وجدنا انواع الشرك ثمانية النقص والتقلب والكثرة والعدد وكونه علة او معلولاً والاشكال والاضداد فنفي الله سبحانه عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله قل هو الله احد ونفي التقلب والنقص بقوله الله الصمد ونفي العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفي الاشكال والاضداد بقوله ولم يكن له كفواً احد فحصلت الوجدانية البحت وروى عمران بن الحصين ان النبي ﷺ بمث سرية واستعمل عليها علياً (ع) فلما رجعوا سألهم عن علي (ع) فقالوا كل خير غير انه كان يقرأ في اثناء كل صلاة بقل هو الله احد فقال لم فعلت يا علي هذا فقال لحبي قل هو الله احد فقال النبي ﷺ ما احببتما حتى احببكم الله عز وجل وروى ان النبي ﷺ كان يقف عند آخر كل آية من هذه السورة وروى الفضيل بن يسار قال امرني ابو جعفر أن اقرأ قل هو الله احد واقول اذا فرغت منها كذلك الله ربي ثلاثاً

سورة الفلق

مدينة في أكثر الاقوايل وقيل مكة

✽ عدد آياتها ✽

خمس آيات بالاجماع

✽ فضلها ✽

في حديث ابي ومن قرأ قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فكأنما قرأ جميع الكتب التي انزلها الله على الانبياء . وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ انزلت علي آيات لم ينزل مثلهن المعوذتان اورده مسلم في الصحيح . وعنه عن النبي ﷺ قال يا عتبة الا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن أو من أفضل القرآن قلت بلى يا رسول الله فعلمني المعوذتين ثم قرأ بها في صلاة النداء وقال لي اقرأها كما قلت ونمت . ابو صبيدة الخذاء عن ابي جعفر (ع) قال من اوتر بالمعوذتين وقل هو الله احد قبل له يسا عبد الله ابشر فقد قبل الله وترك

✽ تفسيرها ✽

ذم سبحانه أعداء الرسول ﷺ في سورة تبت ثم ذكر التوحيد في سورة الاخلاص ثم ذكر سبحانه الاستعاذة في السورتين فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) قل أعوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (٢) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٣) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٤) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثِ فِي الْعُقَدِ (٥) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

* اللغة *

أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق رأسه بالسيف يفلقه فلقا ويقال ابين من فلق الصبح وفرق الصبح لأن عموده يتفلق بالضياء عن الظلام والناسق في اللغة المهاجم بضرره وهو هاهنا الليل لأنه يخرج السباع من آجامها والهوام من مكانها فيه يقال غسقت القرحة اذا جرى صديدها ومنه الغساق صديد أهل النار لسيلانه بالعذاب وغسقت عينه سال دمعها. الوقوب الدخول وقب يقب ومنه الوقبة القفرة لأنه يدخل فيها النفث شبيهة بالنفخ واما التفل فنفخ بريق فهذا الفرق بين النفث والتفل قال الفرزدق

هما نفثا في في من فمويها

والحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن صاحبها وان لم يرد لها لنفسه فالحاسد مذموم والقبطة محمودة وهي ان يريد من النعمة لنفسه مثل ما لصاحبه ولم يرد زوالها عنه

* النزول *

قالوا ان لبيد بن اعصم اليهود سحر رسول الله ﷺ ثم دس ذلك في بئر لبي زريق فعرض رسول الله ﷺ فينا هو نائم اذا اتاه ملكان فعمدا عند رأسه والآخر عند رجليه فأخبراه بذلك وانه في بئر دروان في جف طلعة تحت راعوفة والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر يقوم عليها المانع فاتبه رسول الله ﷺ وبعث عليا (ع) والزبير وعامر فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأس واسنان من مشطه واذا فيه معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالأبر فنزلت هاتان السورتان فجعل كما يقرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة فقام فكأنما انشطم من عقل وجعل جبرائيل (ع) يقول باسم الله ارقبك من شر كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله تعالى يشفيك ورووا ذلك عن عائشة وابن عباس وهذا لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قد دخل عقله وقد ابى الله سبحانه ذلك في قوله وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا ولكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته على ما روي اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه واطلع الله نبيه ﷺ على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج وكان ذلك دلالة على صدقه وكيف يجوز ان يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيرا من المؤمنين مع شدة عداوتهم له

* المعنى *

(قل اعوذ برب الفلق) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ﷺ والمراد جميع امته ومعناه قل يا محمد اعتصم وامتنع برب الصبح وخالقه ومدبره ومطلعه متى شاء على ما يرى من الصلاح فيه (من شر ما خلق) من الجن والانس وسائر الحيوانات وانما سمي الصبح فلقا لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل له فجر لانفجاره بذهاب ظلامه وهذا قول ابن عباس وجابر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وقيل الفلق المواليد لأنهم يتفلقون بالخروج من اصلاب الآباء وارحام الأمهات كما ينفلق الحب من النبات وقيل الفلق جب في جهنم يدعو اهل جهنم من شدة حره عن السدي ورواه ابو حمزة الثمالي وعلي بن ابراهيم في تفسيرها وقوله ما خلق عام في جميع ما خلقه الله تعالى ممن يجوز ان يحصل منه الشر وتقديره من شر الاشياء التي خلقها الله تعالى مثل السباع والهوام والشياطين وغيرها (ومن شر غاسق اذا وقب) اي ومن شر الليل

إذا دخل بظلامه عن ابن عباس والحسن ومجاهد فعل هذا فيكون المراد من شر ما يحدث في الليل من الشر والمكروه كما يقال اعوذ من شر هذه البلدة وإنما اختصر بالليل بالذكر لأن الغالب ان الفساق يقدمون على الفساد بالليل وكذلك الهوام والسباع تؤذي فيه أكثر وأصل الفسق الجريان بالضرر وقيل ان معنى الفاسق كل هاجم بضرره كأنما كان (ومن شر النفاثات في العقد) معناه ومن شر النساء الساحرات اللاتي يتفنن في العقد عن الحسن وقنادة وإنما امر بالتعوذ من شر السحرة لا بهامهم انهم يرضون ويصحون ويفعلون شيئاً من النفع والضر والخير والشر وعامة الناس يصدقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين ولأنهم يوهمون انهم يخدمون الجن ويعلمون الغيب وذلك فساد في الدين ظاهر فلاجل هذا الضرر أمر بالتعوذ من شرهم وقال ابو مسلم النفاثات النساء اللاتي يملن آراء الرجال ويصرفهم عن مرادهم ويردونهم الى آرائهن لأن العزم والرأي يعبر عنها بالعقد فعبر عن حاجها بالنفث فإن العادة جرت ان من حل عقد نفث فيه (ومن شر حاسد اذا حسد) فإنه يحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود فأمر بالتعوذ من شره وقيل انه اراد من شر نفس الحاسد ومن شر عينه فإنه ربما أصاب بها فغاب وضروقد جاء في الحديث ان العين حق وقد مضى الكلام فيه وروي ان العضباء ناقة النبي ﷺ لم تكن تسبق فجاء اعرابي على فعود له فسابق بها فسبقها فشق ذلك على الصحابة فقال النبي ﷺ حق على الله عز وجل الا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه وروي انس ان النبي ﷺ قال من رأى شيئاً يعجبه فقال الله الله ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضر شيئاً وروي ان النبي ﷺ كان كثيراً ما يعوذ الحسن والحسين (ع) بهاتين السورتين وقال بعضهم ان الله سبحانه جمع الشرور في هذه السورة وختمها بالحسد ليعلم أنه أخص الطبائع نعوذ بالله منه

سورة الناس

مدنية وهي مثل سورة الفلق لأنها احدى الموءذتين وهي ست آيات

﴿ فضلها ﴾

الفضيل بن يسار قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول ان رسول الله ﷺ اشتكى شكوى شديدة ووجع وجعا شديداً فأتاه جبرائيل وميكائيل (ع) فقعده جبرائيل (ع) عند رأسه وميكائيل عند رجله فمؤذة جبرائيل بقل أعوذ برب الفلق ومؤذة ميكائيل بقل أعوذ برب الناس . ابو خديجة عن ابي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل اتي النبي ﷺ وهو شاك فرقاه بالموءذتين وقل هو الله احد وقال باسم الله أرقبك والله يشفيك من كل داء يؤذيك خذها فلتنهيك فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) قل أعوذ برب الناس (٢) ملك الناس (٣) إله الناس (٤) من شر الوسوس الخناس (٥) الذي يوسوس في صدور الناس (٦) من الجنة والناس

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو والدوري عن الكسائي يميل الناس في موضع الجر ولا يبدل في الرفع والنصب والباقون لا يميلون

* اللثة *

الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفي واصله الصوت الخفي من قول الاعشى
تسمع للحل وسواسا اذا انصرفت
قال روثة

وسوس يدعو مخلصا رب الغلق سرا وقد اوتى تأويل العقق

والوسوسة كالمهممة ومنه قولهم فلان موسوس اذا غلب عليه ما يعتريه من المرة يقال وسوس وسواسا
ووسوسة وتوسوس والخنوس الاختفاء بعد الظهور خنس يخنس ومنه الخنس في الانف لخنفائه بانحنافه
عندما يظهر بنبوة واصل الناس الأناس فحذفت الهززة التي هي فأريد لك على ذلك الأناس والأناس وامة
قوله في تحقيره نوبس فإن الالف لما كانت ثانية زائدة اشبهت الف فاعل قلبت واوا

* الإعراب *

قيل ان قوله من الجنة بدل من قوله من شر الوسواس فكأنه قال اعوذ بالله من شر الجنة والناس وقيل
ان من تبين للوسواس والتقدير من شر ذي الوسواس الخناس من الجنة والناس اي صاحب الوسواس الذي
من الجنة والناس فيكون الناس معطوفا على الوسواس الذي هو في معنى ذي الوسواس وان شئت لم تحذف
المضاف فيكون التقدير من شر الوسواس الواقع من الجنة التي توسوسه في صدور الناس فيكون فاعل توسوس
ضمير الجنة وانما ذكر لأن الجنة والجن واحد وجازت الكتابة عنه وان كان متأخرا لأنه في نية التقدير مجرى
قوله فاعوجس في نفسه خيفة موسى وحذف المائد من الصلة الى الموصوف كما في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا
اي بعثه الله رسولا

* المعنى *

(قل) يا محمد (اعوذ برب الناس) اي خالقهم ومدبرهم ومنشئهم (ملك الناس) اي سيدهم
والقادر عليهم ولم يميز هنا الا ملك وراز في فاتحة الكتاب ملك ومالك وذلك لأن صفة ملك تدل على
تدبير من يشمر بالتدبير وليس كذلك مالك وذلك لأنه يجوز ان يقال مالك الثوب ولا يجوز ملك الثوب
فجرت اللفظة في فاتحة الكتاب على معنى الملك في يوم الجزاء وجرت في هذه السورة على ملك تدبير من
يعقل التدبير فكان لفظ ملك أولى هنا واحسن ومعناه ملك الناس كلهم واليه مفرغهم في الحوائج (اية
الناس) معناه الذي يجب على الناس ان يعبدوه لأنه الذي تحقق له العبادة دون غيره وانما خص سبحانه
الناس وان كان سبحانه ربا لجميع الخلائق لأن في الناس عطاء فأخبر بأنه ربهم وان عظموا ولأنه سبحانه
امر بالاستعاذة من شرهم فأخبر بذكرهم انه الذي يعيده منهم وفي الناس ملوك فذكر أنه ملكهم وفي
الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم وانه هو المستحق للعبادة دون غيره قال جامع العلوم النحوي
وليس قوله الناس تكرارا لأن المراد بالاول الاجنة ولهذا قال برب الناس لأنه يربهم والمراد بالثاني الاطفال
ولذلك قال ملك الناس لأنه يملكهم والمراد بالثالث البالقون المكلفون ولذلك قال إله الناس لأنهم يعبدونه
والمراد بالرابع العلماء لأن الشيطان يوسوس اليهم ولا يريد الجهال لأن الجاهل يضل بجهله وانما تقع
الوسوسة في قلب العالم كما قال فوسوس اليه الشيطان بقوله (من شر الوسواس الخناس) فيه أقوال * احدها *

ان معناه من شر الوسوسة الواقعة من الجنة وقد مر بيانه * وثانها * ان معناه من شر ذي
الوسواس وهو الشيطان كما جاء في الاثر انه يوسوس فاذا ذكر العبد ربه خفس ثم وصفه الله تعالى
بقوله (الذي يوسوس في صدور الناس) أي بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى قلوبهم من غير سماع
ثم ذكر ان هذا الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس (من الجنة) وهم الشياطين كما قال سبحانه ولا
ابليس كان من الجن ثم عطف بقوله (والناس) على الوسواس والمعنى من شر الوسواس ومن شر الناس
كانه امر ان يستعبد من شر الجن والانس * وثالثها * ان معناه من شر ذي الوسواس الخناس ثم فسره
بقوله من الجنة والناس كما يقال نعوذ بالله من شر كل وارد من الجن والانس وعلى هذا فيكون وسواس الجنة
هو وسواس الشيطان على ما مضى وفي وسواس الانس وجهان * احدهما * انه وسوسة الانسان من نفسه
* والثاني * اغواء من يقويه من الناس ويدل عليه قوله شياطين الانس والجن فشياطين الجن يوسوس
وشيطان الانس يأتي علانية ويرى انه ينصح وقصده الشر قال مجاهد الخناس الشيطان اذا ذكر اسم الله
سبحانه خفس وانقبض واذا لم يذكر الله انبسط على القلب ويؤيده ما روي عن انس بن مالك انه قال قال رسول
الله ﷺ ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله سبحانه خفس واذا نسي التقم قلبه
فذلك الوسواس الخناس وقيل الخناس معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور وهو المستتر المختفي من اعين
الناس لانه يوسوس من حيث لا يرى بالعين وقال ابراهيم التيمي اول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء
وقيل ان معنى قوله يوسوس في صدور الناس يلقي الشغل في قلوبهم بوسواسه والمراد ان له رقفاً به يوصل
الوسواس الى الصدر وهو اقرب من خلوصه بنفسه الى صدره وفي هذا اشارة الى ان الضرر يلحق من
جهة هؤلاء وانهم قادرون على ذلك ولولاه لما حسن الامر بالاستعاذة منهم وفيه دلالة على انه لا ضرر
من يتعوذ به وانما الضرر كله ممن يتعوذ منه ولو كان سبحانه خالفاً للقبائح لكان الضرر كله منه جل وعز وفيه
اشارة ايضا الى انه سبحانه براعي حال من يتعوذ به فيكفيه شرورهم ولولا ذلك لما دعاه الى التعموذ به من
شرورهم ولما وصف سبحانه نفسه بأنه الرب الإله الغني عن الخلق فان من احتاج الى غيره لا يكون إلهاً
ومن كان غنياً عالماً لغناه لا يختار فعل القبيح ولهذا حسنت الاستعاذة به من شر غيره وروى عبد الله بن
سنان عن ابي عبد الله (ع) قال اذا قرأت قل اعوذ برب الفلق قل في نفسك اعوذ برب الفلق واذا قرأت
قل اعوذ برب الناس قل في نفسك اعوذ برب الناس وروى العياشي بإسناده عن ابان بن تغلب عن جعفر
ابن محمد قال قال رسول الله ﷺ ما من مؤمن الا ولقوله في صدره اذنان اذن ينفث فيها الملك واذن
ينفث فيها الوسواس الخناس فيؤيد الله المؤمن بالملك وهو قوله سبحانه وايدهم بروح منه

تمر الجزء العاشر من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن

﴿ حكاية خط المصنف رحمه الله ﴾

وهي : الحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا على تسييله وتيسيره وتقدير الفراغ منه لمصنفيه يوم الخميس
منتصف ذي القعدة من سنة ست وثلاثين وخمسة

الهم لك الحمد على توفيقك وتأيدك وارشادك أو تسديدك حمدا استوجب به المزيد من نعمك واستحق
به اطائف كرمك اللهم اجعل جدي واجتهادي في جميع ما شذ من تفسير كتابك العزيز وكدي وانكاشي
في ضم ما انتشر من معانيه باللفظ الوجيز ذريعة إلى ادراك رضوانك وصلته إلى الاتصال بأوليائك وأصفيائك
في جناتك وقابل تقربي بذلك اليك وتوسلي إلى الاطهار الأختيار محمد ﷺ وعترته الابرار بالقبول التام
واعممي وولدي واهل حوزاتي بالإنعام العام واتمم يارب هذه النعمة الجسيمة التي انعمت علي بها وجعلتني اهلا
لها بالمد في العمر والإمداد بالتوفيق واليسر لإفادة من يطلبه من اهل الدين والخير والبث لما يتضمنه من
العلوم والنشر احرازا لجليل الذكر وجزيل الذخر والاجر واعتصاما بعروتك الوثقى واغتناما لشفاة نبيك
صاوانك عليه وآله يوم الزلغى إنك ولي الانعام ذو الجلال والاكرام وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على
محمد وآله اجمعين الطيبين الطاهرين

اذقل مصنف الكتاب (ره) من المشهد الرضوي على ساكنه الصلاة والسلام وعلى آبائه وابنائهم
الكرام إلى سبزوار في شهر سنة ثلاث وعشرين وخمسة وانتقل بها إلى دار الخلود ليلة النحر سنة ثمان
واربعين وخمسة ونقل ودفن على ما هو المشهور إلى مشهد الرضوي

﴿ خاتمة الكتاب ﴾

نحمده سبحانه على توفيقنا لإتمام طبع هذا التفسير الجليل القرب في ترتيبه وتبويبه وجمعه بين أقوال الفريقين
بدون تعصب أو تمييز شأن المؤلف المصنف وقد صدر الجزء الأول منه في أول سني الحرب أي سنة ١٩١٤ م
وها هو الجزء الأخير يصدر هذا العام أي بعد ٢٤ سنة ٤ وما ذاك إلا لوفرة نقاته وقلة المساعدين وقد كان لنا
شركاء في العمل عدلوا عن الماضي في هذه الشركة حين اشتداد أزمة الحرب وغلاء الورق غلاء فاحشا بحيث
لو بقي ورق الجزء الأول بدون طبع لبيع بما لا يقل عن خمسمائة ليرة عثمانية . ولا نتكر ان بعض اهل الغيرة
ساعدوا وأوجد بعض المشتركين وبعضهم جمع الاشتراكات واجلها وكل اسرى مجزي بعمله

أما الذين ساعدوا وثبتوا للنهابة فالوطني المهاجر الكريم السيد نعم قاسم الجزيني الذي لم يجمع من وقت
لآخر عن مساعدة هذا المشروع النبيل مادبا . والعلامتان الأستاذان الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر
الذان ساعدا أديبا فكنا بعد مقابلة اللازم على النسخة الايرانية التي عندنا واصلاحها نرسلها لها فيقابلنا على
النسخة التي لديها وهي أصح ويطبقون الآيات الشرعية على ما لديهم من الكتب الأدبية واللغوية فجاء التفسير
من أصح الكتب المطبوعة ومع كل ذلك لم يخل من أغلاط طفيفة سنشير إليها بعد تدقيقها في جزء الفهارس
الذي نطبعه في جزء مستقل وسيكون من احسن فهارس القرآن وهذا الفهرس لا يمكن إتمامه قبل سنة وبيع
على حدة . فنحن نشكر جميع من ساعدنا في إخراج هذا الأثر النفيس بهذا الشكل من ذكر اسمه ومن
لم يذكر سائلين المولى سبحانه أن يميزهم جزاء الخير وخير الجزاء وأن يكون عملنا خالصا لوجهه الكريم

صفحة	صفحة	صفحة
١١٣	٨٦	٦٣
سيقول المخلفون من الاعراب الى قوله بل كانوا يفتقون الا قليلا	أو آتئك الذين نتقبل عنهم الى قوله وربما كنتم تفسقون	فدعا ربه أن هو لا يقرم مجرمون الى قوله وما كانوا منظرين
١١٥	٨٦٤٨٨	٦٥
قل للمخلفين من الاعراب الى قوله ويهديكم صراطا مستقيما	واذكر اخا عاد الى قوله كذلك نجزي القوم المجرمين	ولقد نجينا بني اسرائيل الى قوله ميقاتهم اجمعين
١٢٢	٩٠	٦٧
وأخرى ان تقدروا عليها الى قوله لعذبتنا الذين كفروا منهم عذابا اليا	ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه الى قوله والى طريق مستقيم	يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا الى قوله ان هذا ما كنتم به تتقون
١٢٥٦١٢٤	٩٣	٦٨
إذ جعل الذين كفروا الى قوله واجرا عظيما	يا قومنا اجبوا داعي الله الى قوله وهل يهلك الا القوم الفاسقون	قوله فارتقب انهم مرتقبون
	﴿ سورة الاحزاب ﴾	﴿ سورة الجاثية ﴾
	وتسمى ايضا سورة القتال	٢٠
﴿ سورة الحجرات ﴾	٩٦٦٩٥	٢٢
١٢٨	٩٨	٢٣
بأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الى قوله والله غفور رحيم	ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم الى قوله ولا كفارى امثالها	ثم الى قوله ان ربكم ترجعون
١٣١	٩٩	٢٥
فأتى الى قوله لعلمكم ترجعون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الى قوله ان الله غفور رحيم	ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا الى قوله فقطع امامهم	ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب الى قوله قوم يوقنون
١٣٤	١٠١	٢٦
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله الى قوله والله بصير بما تعملون	ومنهم من يستمع اليك الى قوله فأولى لهم	أم حسب الذين اجترحوا السيئات الى قوله ان كنتم صادقين
	١٠٣	٢٩
	١٠٥	٨٠
	١٠٦	٨٢
	١٠٧	٨٣
	١٠٩	٨٤
	١١١	٨٥
		٨٦
		٨٧
		٨٨
		٨٩
		٩٠
		٩١
		٩٢
		٩٣
		٩٤
		٩٥
		٩٦
		٩٧
		٩٨
		٩٩
		١٠٠
		١٠١
		١٠٢
		١٠٣
		١٠٤
		١٠٥
		١٠٦
		١٠٧
		١٠٨
		١٠٩
		١١٠
		١١١
		١١٢
		١١٣
		١١٤
		١١٥
		١١٦
		١١٧
		١١٨
		١١٩
		١٢٠
		١٢١
		١٢٢
		١٢٣
		١٢٤
		١٢٥
		١٢٦
		١٢٧
		١٢٨
		١٢٩
		١٣٠
		١٣١
		١٣٢
		١٣٣
		١٣٤
		١٣٥
		١٣٦
		١٣٧
		١٣٨
		١٣٩
		١٤٠
		١٤١
		١٤٢
		١٤٣
		١٤٤
		١٤٥
		١٤٦
		١٤٧
		١٤٨
		١٤٩
		١٥٠
		١٥١
		١٥٢
		١٥٣
		١٥٤
		١٥٥
		١٥٦
		١٥٧
		١٥٨
		١٥٩
		١٦٠
		١٦١
		١٦٢
		١٦٣
		١٦٤
		١٦٥
		١٦٦
		١٦٧
		١٦٨
		١٦٩
		١٧٠
		١٧١
		١٧٢
		١٧٣
		١٧٤
		١٧٥
		١٧٦
		١٧٧
		١٧٨
		١٧٩
		١٨٠
		١٨١
		١٨٢
		١٨٣
		١٨٤
		١٨٥
		١٨٦
		١٨٧
		١٨٨
		١٨٩
		١٩٠
		١٩١
		١٩٢
		١٩٣
		١٩٤
		١٩٥
		١٩٦
		١٩٧
		١٩٨
		١٩٩
		٢٠٠

صفحة	صفحة	صفحة
١٤٨	١٧٤	٢١٣
واذفت الجنة للمتقين غير بعيد	ما كذب الفواد ما رأى الى	إذا وقعت الواقعة الى قوله
إلى قوله ومن الليل فسيحه	قوله ومائة الثالثة الاخرى	متكئين عليها متقابلين
وادبار السجود	١٧٦	٢١٥
١٥٠	قوله وهو اعلم بن اهتدى	يطوف عليهم ولدان مخلدون
واستمع يوم يناد المناد من	١٧٨	الى قوله إلا قبلاً سلاماً سلاماً
مكان قريب إلى قوله فذكر	الأرض إلى قوله ثم يجزاه	٢١٧
بالقرآن من يخاف وعيد	الجزء الأوفى	وأصحاب اليمين ما أصحاب
﴿سورة الذاريات﴾	١٨١، ١٨٠	اليمين الى قوله وثلاثة من الآخريين
١٥٢	وان الى ربك المنتهى	٢٢٠
والذاريات ذروا الى قوله هذا	الى قوله فاسجدوا لله واعبدوا	وأصحاب الشمال ما أصحاب
الذي كنتم به تستمعلون	﴿سورة القمر﴾	الشمال الى قوله هذا نزلهم
١٥٤	١٨٤	يوم الدين
إن المتقين في جنات وعيون	اقتربت الساعة وانشق القمر	٢٢٢، ٢٢١
الى قوله مثل ما أنكم تنطقون	الى قوله أنى مغلوب فانتصر	نحن خلقناكم الى قوله
١٥٦	١٨٨	فسبح باسم ربك العظيم
هل أتاك حديث ضيف ابراهيم	ففتحنا أبواب السماء الى قوله	٢٢٤
الى قوله للذين يخافون العذاب	فكيف كان عذابي ونذر	قوله ان كنتم صادقين
الأيام	١٩٠	٢٢٧
١٥٨	واقعد يسرنا القرآن للذكر الى	قوله فأسألكم من المقربين الى
وفي موسى إذ أرسلناه الى	قوله كهشيم المحتظر	قوله فاسبح باسم ربك العظيم
قوله انهم كانوا قوما فاسقين	١٩٢	﴿سورة الحديد﴾
١٥٩	واقعد يسرنا القرآن الى قوله	٢٢٩
والسما بينناها ما بأيدي وإنا	فأخذناهم اخذ عزيز مقتدر	سبح لله ما في السماوات الى
لموسعون الى قوله من يومهم	١٩٣	قوله وهو عليم بذات الصدور
الذي يوعدون	الى قوله عند مليك مقتدر	٢٣١
﴿سورة الطور﴾	﴿سورة الرحمن﴾	٢٣٣
١٦٢	١٩٦	يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
والطور وكتاب مسطور الى	الرحمن علم القرآن الى قوله	الى قوله وبش المصير
قوله ما كنتم تعملون	فبأي آلا ربكما تكذبان	٢٣٦
١٦٤	٢٠٠، ١٩٩	ألم يأن للذين آمنوا الى قوله
ان المتقين في جنات ونعيم	خلق الإنسان من	إلا متاع الفرور
الى قوله انه هو البر الرحيم	صلصال الى قوله فبأي آلا	٢٣٩
١٦٧، ١٦٦	ربكما تكذبان	سابقوا الى مغفرة الى قوله ان
فذكر فما انت بنعمة	٢٠٣	الله قوي عزيز
ربك بكمامن الى قوله فهم	سنفرغ لكم ايها الثقلان الى	٢٤٢
من مغرم مثقلون	قوله فبأي آلا ربكما تكذبان	واقعد أرسلنا نوحاً وابراهيم
١٦٩، ١٦٨	٢٠٧، ٢٠٦	الى قوله والله ذو الفضل العظيم
أم عندهم الغيب الى	الى قوله فبأي آلا ربكما تكذبان	﴿سورة المجادلة﴾
قوله وادبار النجوم	٢٠٩	٢٤٥
﴿سورة النجم﴾	ومن دونهما جنتان الى قوله	قد سمع الله قول التي تجاهد لك
١٧١	ذو الجلال والاكرام	في زوجها الى قوله عذاب مهين
والنجم إذا هوى الى قوله		
فأرعى الى عبده ما أوحى		

صفحة	الجزء العاشر	صفحة
٣١٧٤٣١٦	﴿سورة الجمعة﴾	٢٤٨
قوا انفسكم إلى قوله وكانت من القاتنين	صفحة	يوم يعيشهم انه جميعا الى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون
﴿سورة الملك﴾	٢٨٣	٢٥١
٣٢١ تبارك الذي بيده الملك إلى قوله واعتدنا لهم عذاب السمير	قوله والله لا يهدي القوم الظالمين	يا أيها الذين آمنوا الى قوله سا ما كانوا يعملون
٣٢٣ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم إلى قوله فسحقا لأصحاب السمير	٢٨٥ قل يا أيها الذين هادوا إلى قوله والله خير الرازقين	٢٥٤٢٥٣ اتخذوا آياتهم جنة الى قوله هم الفالحنون
٣٢٥ إن الذين يخشون ربهم إلى قوله بل لجوا في عتو وقور	﴿سورة المنافقين﴾	﴿سورة الحشر﴾
٣٢٨ أفمن يمشي مكبا على وجهه إلى قوله بما ممين	٢٩٠ إذا جاءك المنافقون إلى قوله وهم مستكبرون	٢٥٦ سبح لله ما في السموات وما في الأرض الى قوله وليخزي الفاسقين
﴿سورة القلم﴾	٢٩٢ سواه عليهم استقرت لهم إلى قوله والله خير بما تعملون	٢٥٩ وما افاء الله على رسوله الى قوله رزق رحيم
٣٣٠، ٣٣١ ن والقلم وما يسطرون إلى قوله سنسسه على الخرطوم	﴿سورة التغابن﴾	٢٦٣، ٢٦٢ ألم تر الى الذين ناقروا إلى قوله ولهم عذاب اليم
٣٣٥ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إلى قوله لو كانوا يعلمون	٢٩٧، ٢٩٦ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض إلى قوله ولهم عذاب اليم	٢٦٤ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر إلى قوله هم الفائزون
٣٣٨، ٣٣٧ إن للمتقين عند ربهم جنات نعيم إلى قوله إن كيدي متبين	٢٩٨ ذلك بأنه كانت تأتيهم إلى قوله خالدين فيها وبش المصير	﴿سورة الممتحنة﴾
٣٤٠ أم تسألهم أجرا إلى قوله إلا ذكر للعالمين	٢٩٩ ما اصاب من مصيبة إلا بالذن الله إلى قوله العزيز الحكيم	٢٦٨ يا أيها الذين آمنوا الى قوله إنك انت العزيز الحكيم
﴿سورة الحاقة﴾	﴿سورة الطلاق﴾	٢٧١ لقد كان لكم فيهم اسوة إلى قوله فأرثك هم الظالمون
٣٤٢ الحاقة ما الحاقة الى قوله فأخذهم أخذة راية	٣٠٢ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء إلى قوله ويعظم له اجرا	٢٧٢ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله الذي انتم به مؤمنون
٣٤٤ إنا لما طغنا الماء الى قوله في الآبام الخالية	٣٠٧ أسكنوهم من حيث سكتهم إلى قوله قد انزل الله اليكم ذكرا	٢٧٥ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات إلى قوله من اصحاب القبور
٣٤٧ وأما من أوتي كتابه بشالة الى قوله لا يأكله الا الغاطثون	٣١٠ رسولا يتلو عليكم آيات الله إلى قوله بكل شيء علما	﴿سورة الصف﴾
٣٤٨ فلا أقسم بما تبصرون الى قوله فسبح باسم ربك العظيم	﴿سورة التحريم﴾	٢٧٧ سبح لله ما في السموات إلى قوله القوم الفاسقين
﴿سورة المعارج﴾	٣١٢، ٣١١ يا أيها النبي لم تحرم ما أحس الله لك إلى قوله ثيبات وابكارا	٢٧٩ وإذا قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل إلى قوله ولو كره المشركون
٣٥١ سأل سائل بعذاب واقم الى قوله ولا يسأل حمي حميا		٢٨١، ٢٨٠ يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم إلى قوله فأصبحوا ظاهرين

صفحة	صفحة	صفحة
٥٤٨ سورة الكوثر	٥٢٥٤٥٢٤ سورة إذا زلزلت	٤٨١ سورة الفجر
٥٥١ سورة قل يا أيها الكافرون	٥٢٨٤٥٢٧ سورة العاديات	٤٩٠ سورة البلد
٥٥٣ سورة النصر	٥٣١ سورة القارعة	٤٩٦ سورة الشمس
٥٥٨ سورة نبت	٥٣٣ سورة التكاثر	٥٠٠ سورة الليل
٥٦١ سورة الإخلاص	٥٣٥ سورة العصر	٥٠٣ سورة الضحى
٥٦٧ سورة الفلق	٥٣٧ سورة المزة	٥٠٧ سورة ألم نشرح
٥٦٩ سورة الناس	٥٣٩ سورة الفيل	٥١٠ سورة التين
٥٧٢ حكاية خط المصنف	٥٤٤ سورة لا يزال	٥١٣٤٥١٢ سورة العلق
٥٧٢ خاتمة الكتاب	٥٤٦ سورة أرايت	٥١٧ سورة القدر
		٥٢٢٤٥٢١ سورة لم يكن

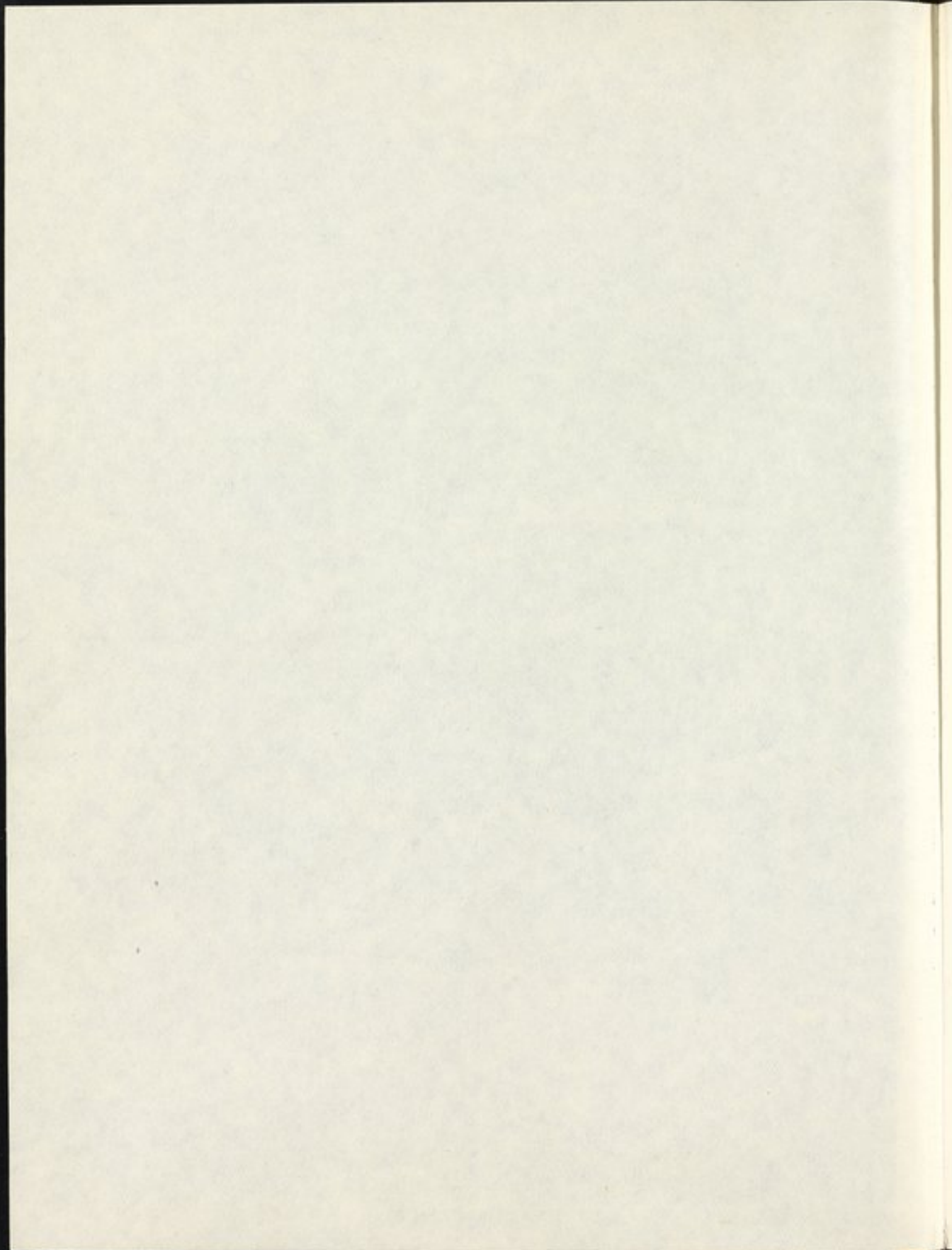
تم طبعه ونشأ وتصحيحه بعناية ونفقت

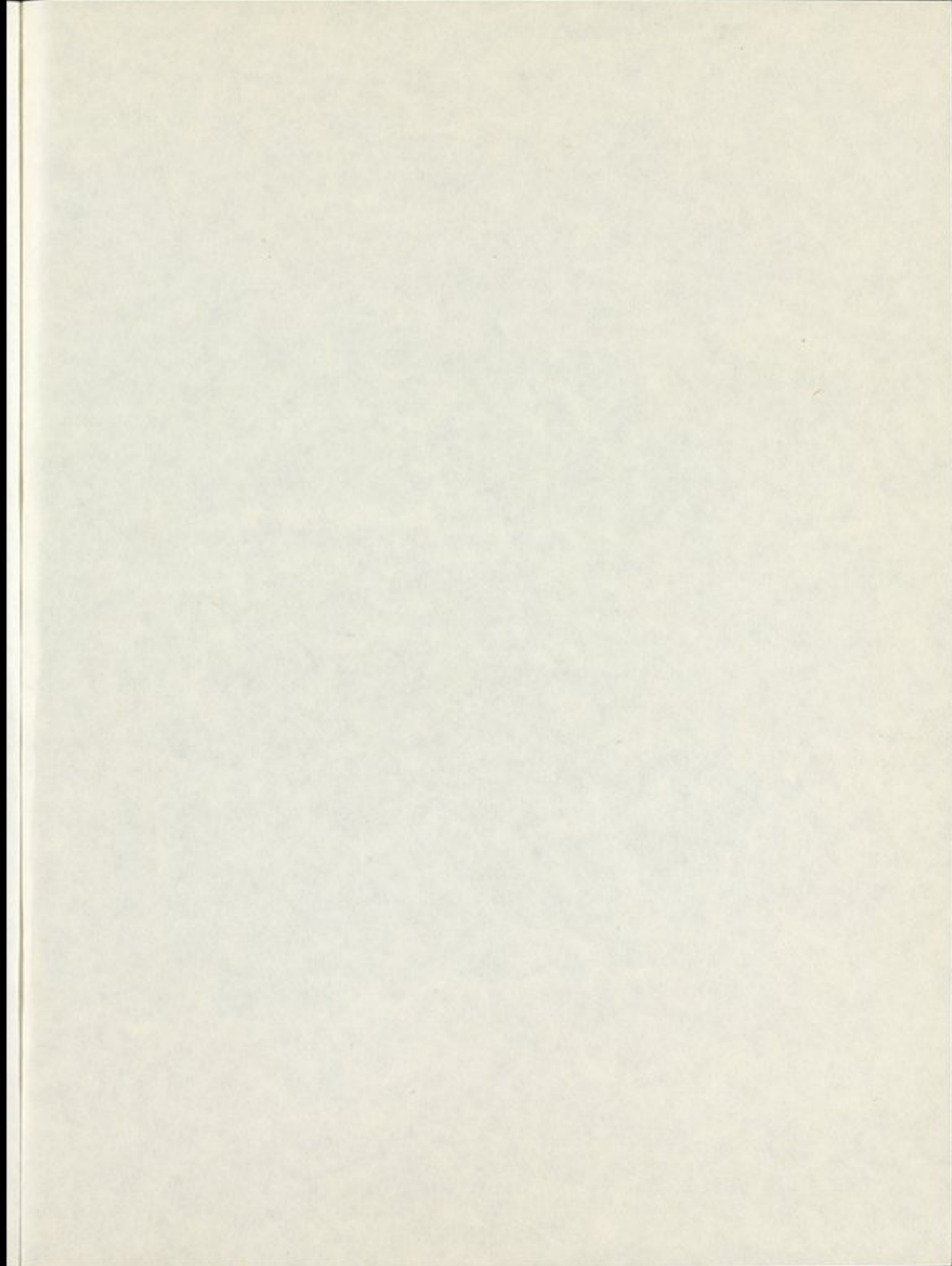
احمد عارف الزين

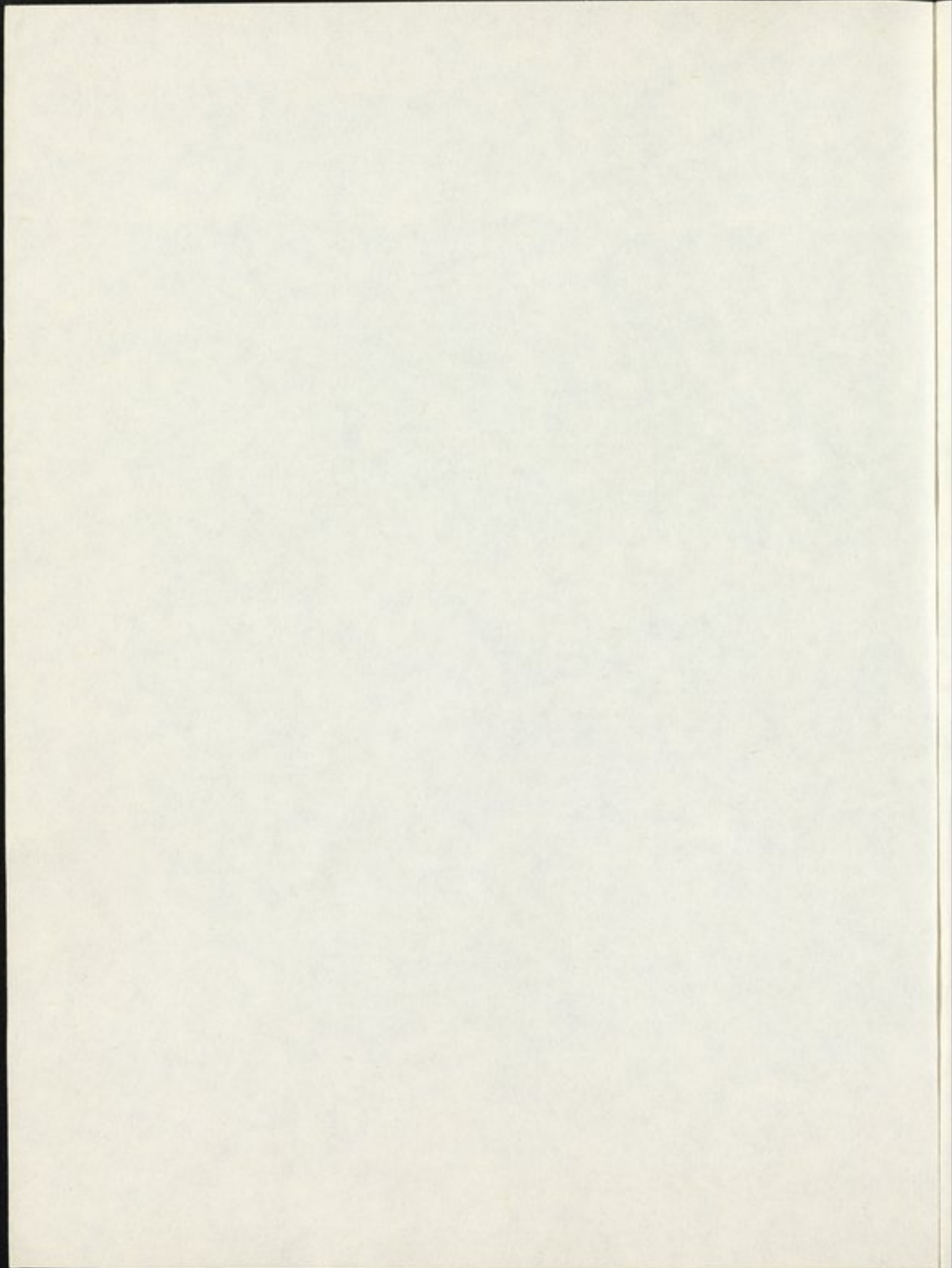
صاحب مجلة العرفان التي تصدر عن صيداء (سورية)

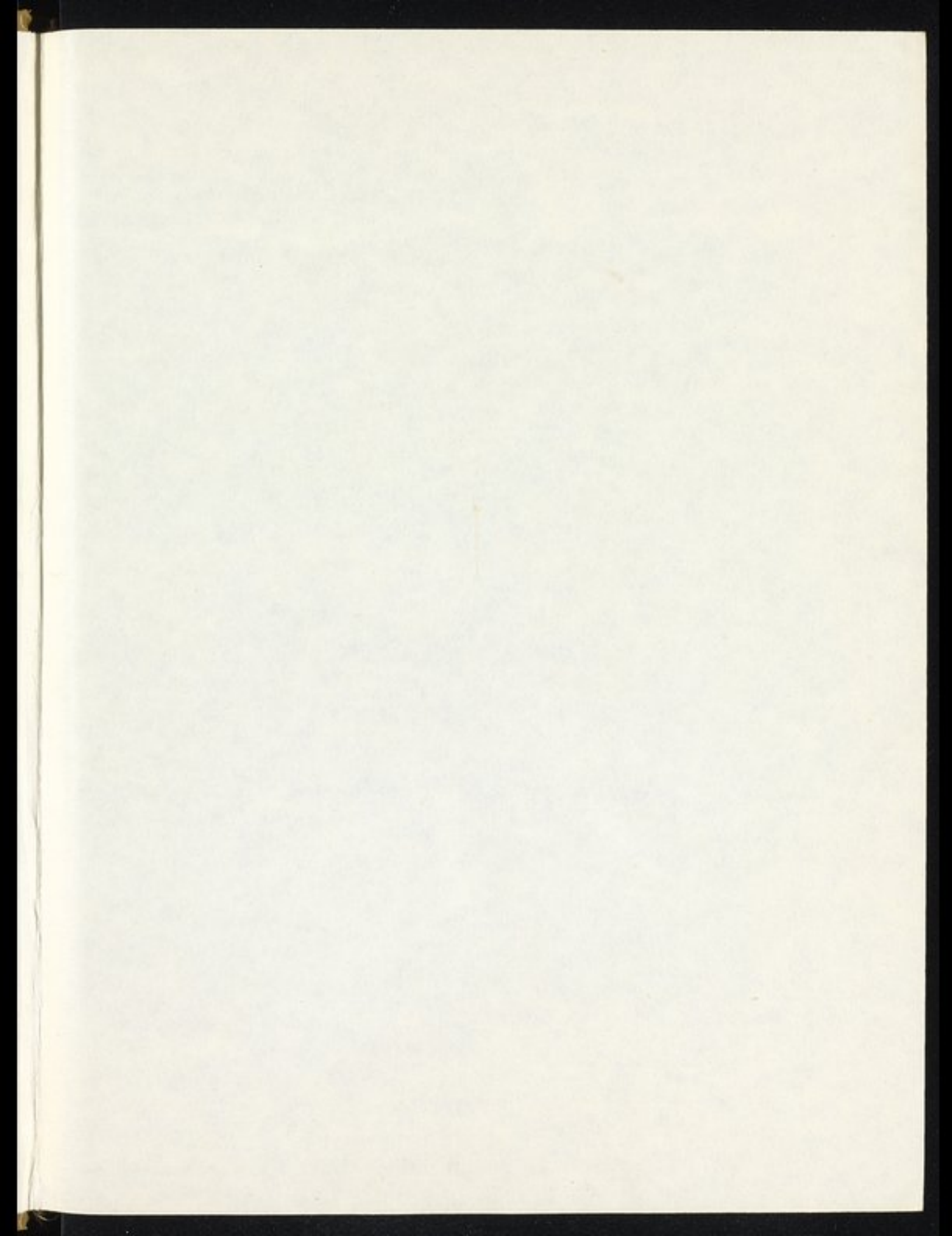
ولله الحمد في البدء والختام

وعلى محمد وآله أفضل الصلاة والسلام









COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036758698

DEC 12 1984

